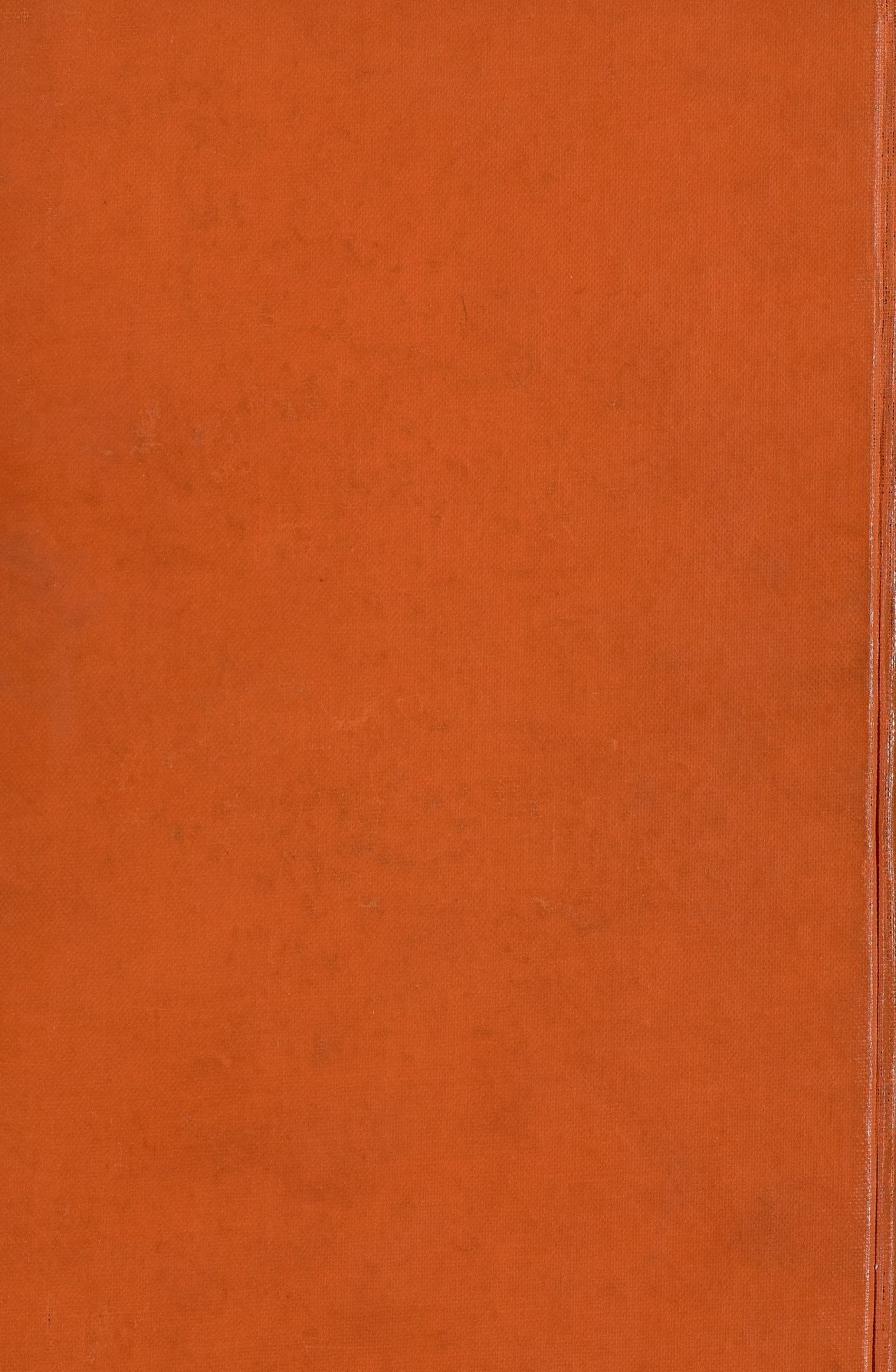
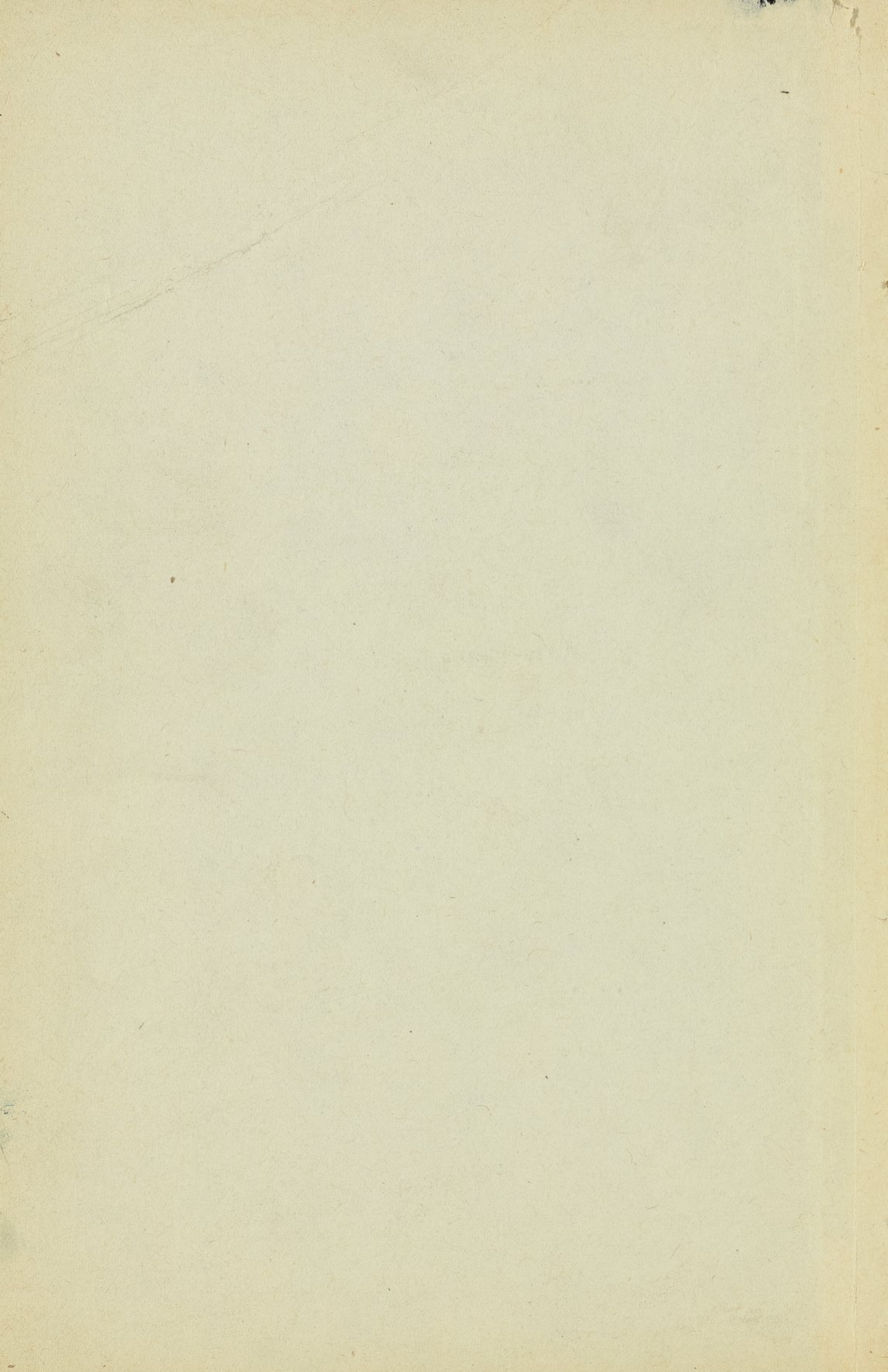
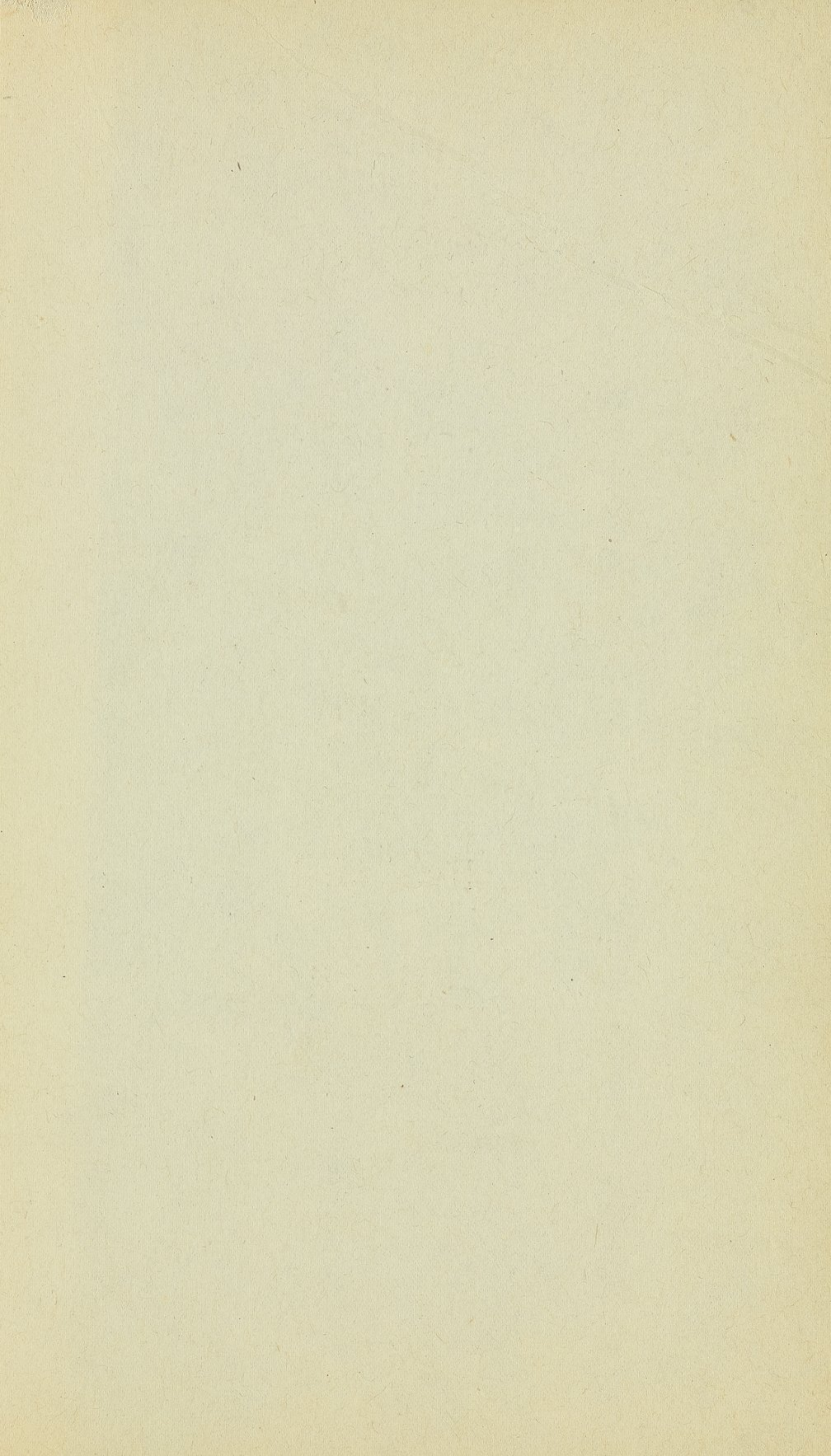





SIGILLVM · COLLEGII · COLVMBIAE · NOVI · EBORACI
IN LVMINE TVO VIDEBIMVS LVMEN
I PET. II. 1. 2.





مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور أحمد فريد رفاعي

مدير إدارة الصحافة والنشر والثقافة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

وفيات الأعيان

وأبناء الزمان

للقاضي أحمد الشهير بابن خلكان

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء الثالث

الطبعة الأخيرة

مهذبة ، مضبوطة ، مزيدة

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

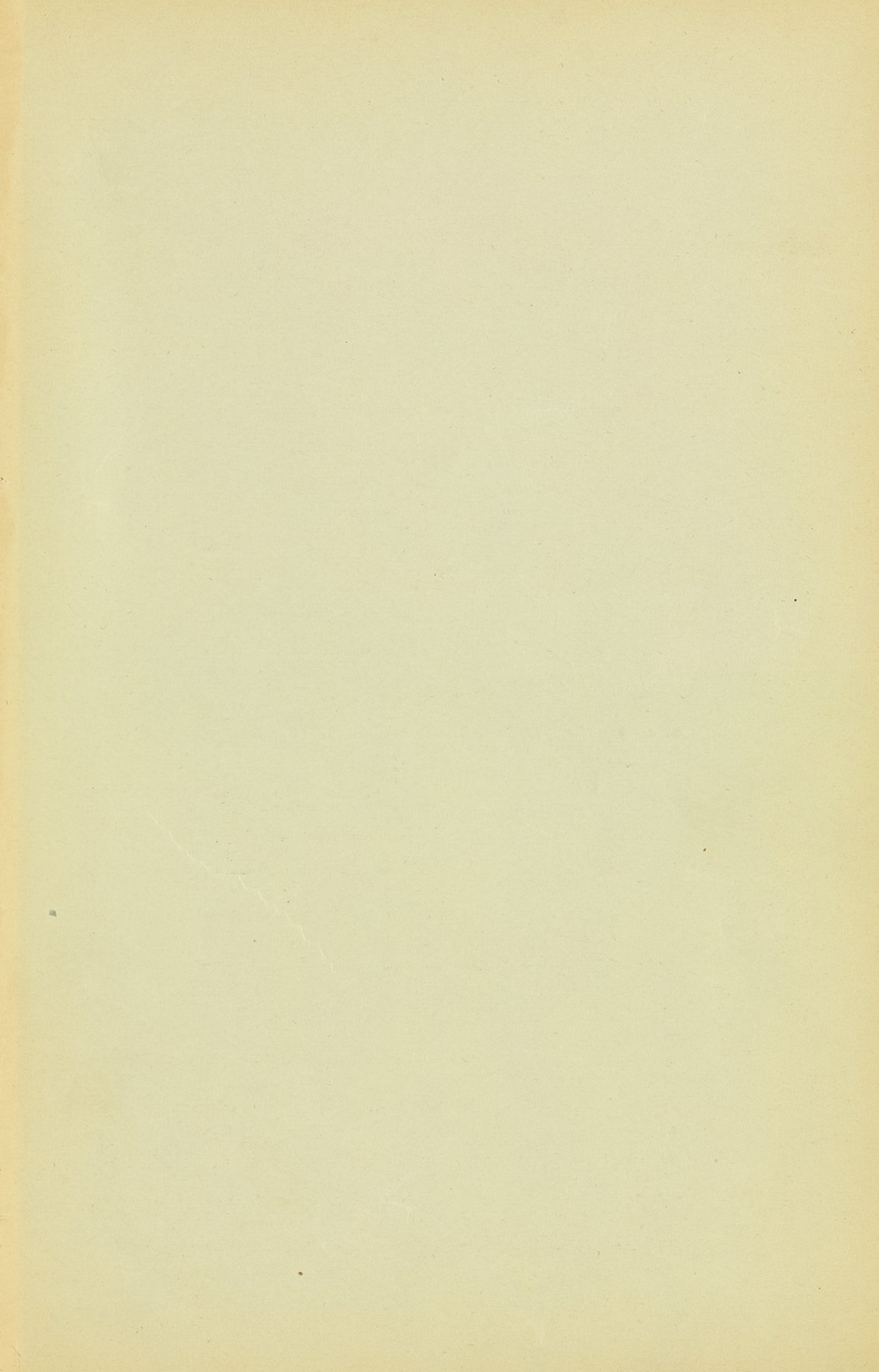
بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ أَمَّا بَعْدُ

فَقَدْ قالَ العِمادُ الأَصْفَهانِيّ

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لا يَكْتُبُ إِنْسانٌ كِتابًا فِي يَوْمِهِ إِلَّا قالَ فِي غَدِهِ : لَوْ غُيِّرَ هٰذا لَكانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زِيدَ كَذا لَكانَ يُسْتَحْسَنُ ، وَلَوْ قُدِّمَ هٰذا لَكانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تُرِكَ هٰذا لَكانَ أَجْمَلَ ، وَهٰذا مِنْ أَعْظَمِ العِبَرِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلى اسْتِيلاءِ النَّقْصِ عَلى جُمْلَةِ البَشَرِ .

العِمادُ الأَصْفَهانِي



بسم الله الرحمن الرحيم

***

« حَرْفُ اُلْبَاءِ »

بادیس بن المنصور الصنهاجی

« أَبُو مَنَادَ بَادِيسُ بْنُ اُلْمَنْصُورِ بْنِ بُلُكِّينَ[1] بْنِ زِيرِى بْنِ مَنَادَ اُلْحِمْيَرِىُّ اُلصِّنْهَاجِىُّ وَالِدُ اُلْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ اُلْآتِى ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اُللهُ تَعَالَى . وَبَقِيَّةُ نَسَبِهِ مَذْكُورٌ فِى حَرْفِ اُلتَّاءِ عِنْدَ ذِكْرِ حَفِيدِهِ اُلْأَمِيرِ تَمِيمٍ »

---

(١) اسمه يوسف ويكنى أبا الفتوح ، وكان المعز لدين الله الفاطمى لما سار الى مصر قد استنابه عنه بافريقية ، وأول اتصال أبيه زيرى بالمنصور العبيدى لما دخل المغرب فى طلب أبى يزيد الخارجى ودخل بلاد صنهاجة سنة ٣٣٥هـ هناك وافاه زيرى بعساكره وأهل بيته ودخل فى طاعته، فخلع عليه ووصله وعقد له على أهل بيته ومن اتصل به من أهل صنهاجة والبربر وعظم شأنه، وحضر مع المعز لدين الله عند دخوله للغرب سنة ٣٤٢ وولاه على مدينة أشير وما والاها ، وكان حازما شجاعا شديد البأس ،وحضر مع جوهر القائد لما دخل المغرب سنة ٣٤٦ على فاس وجوهر محاصر لها فكان زيرى سببا لفتحها فارتفعت رتبته فى الدولة، واتسعت رقعة ولايته

كَانَ بَادِيسُ الْمَذْكُورُ يَتَوَلَّى مَمْلَكَةَ إِفْرِيقِيَّةَ نِيَابَةً عَنِ الْحَاكِمِ الْعُبَيْدِيِّ الْمُدَّعِي الْخِلَافَةَ بِمِصْرَ، وَلَقَّبَهُ الْحَاكِمُ نَصِيرَ الدَّوْلَةِ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ بَعْدَ أَبِيهِ الْمَنْصُورِ، وَتُوُفِّيَ أَبُوهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ بِقَصْرِهِ الْكَبِيرِ خَارِجَ مَدِينَةِ صَبْرَةَ(١)، وَدُفِنَ فِيهِ ثَانِيَ يَوْمٍ، وَكَانَ بَادِيسُ الْمَذْكُورُ مَلِكًا كَبِيرًا، حَازِمَ الرَّأْيِ شَدِيدَ الْبَاسِ، إِذَا هَزَّ رُمْحًا كَسَرَهُ، وَمَوْلِدُهُ لَيْلَةَ الْأَحَدِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ بِأَشِيرَ(٢)

وتوفى زيرى سنة ٣٦١ فقام بالأمر بعده ابنه بلكين عند رحيل المعز الى المشرق، وأرسل بهدية الى مصر سنة ٣٦٥ فبلغه خبر موت المعز وولاية ولده العزيز فرد الهدية من طرابلس وأعد هدية أخرى و بعث بها باسم العزيز فكانت أول هدية قدمت عليه، فعظم شأنه لدى العزيز و بسط له فى السلطان بالمغرب، وتوفى بلكين سنة ٣٧٣، فاستقل بالأمر بعده ابنه المنصور، وعظم شأنه وقوى سلطانه، وتوفى سنة ٣٨٦ فقام بالأمر بعده ابنه باديس صاحب الترجمة «أحمد يوسف نجاتى»

(١) بلد قريب من مدينة القيروان وتسمى المنصورية من بناء مناد بن بلكين. وقال البكرى: صبرة متصلة بالقيروان بناها اسمعيل بن القاسم ابن عبيد الله سنة ٣٣٧ و بنى المنصور قصره بصبرة سنة ٣٧٦ (٢) مدينة فى جبال البربر بالمغرب فى طرف افريقية الغربى مقابل مدينة بجانة فى البر، وأول من عمرها زيرى بن منادفى سنة ٣٢٤ «أحمد يوسف نجاتى»

ٱلْمَذْكُورِ فِي تَرْجَمَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ قُرْقُولٍ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى وِلَايَتِهِ ، وَأُمُورُهُ جَارِيَةٌ عَلَى ٱلسَّدَادِ . وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ ٱلثُّلَاثَاءِ ٱلتَّاسِعُ وَٱلْعِشْرُونَ مِنْ ذِي ٱلْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، أَمَرَ جُنُودَهُ بِالْعَرْضِ ، فَعُرِضُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَهُوَ فِي قُبَّةِ ٱلسَّلَامِ جَالِسٌ إِلَى وَقْتِ ٱلظُّهْرِ ، وَسَرَّهُ حُسْنُ عَسْكَرِهِ وَأَبْهَجَهُ زِيُّهُمْ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَٱنْصَرَفَ إِلَى قَصْرِهِ ، ثُمَّ رَكِبَ عَشِيَّةَ ذَلِكَ ٱلنَّهَارِ فِي أَجْمَلِ مَرْكُوبٍ ، وَلَعِبَ ٱلْجَيْشُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَصْرِهِ شَدِيدَ ٱلسُّرُورِ بِمَا رَآهُ مِنْ كَمَالِ حَالِهِ ، وَقُدِّمَ ٱلسِّمَاطُ[1] بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَكَلَ مَعَ خَاصَّتِهِ ، وَحَاضِرِي مَائِدَتِهِ ، ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا عَنْهُ وَقَدْ رَأَوْا مِنْ سُرُورِهِ مَا لَمْ يَرَوْهُ مِنْهُ قَطُّ ، فَلَمَّا مَضَى مِقْدَارُ نِصْفِ ٱللَّيْلِ مِنْ لَيْلَةِ ٱلْأَرْبِعَاءِ سَلْخِ ذِي ٱلْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ قَضَى نَحْبَهُ - رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى - فَأَخْفَوْا أَمْرَهُ وَرَتَّبُوا أَخَاهُ كَرَامَةَ بْنَ ٱلْمَنْصُورِ ظَاهِرًا حَتَّى وَصَلُوا إِلَى وَلَدِهِ ٱلْمُعِزِّ فَوَلَّوْهُ ، وَتَمَّ لَهُ ٱلْأَمْرُ . وَذَكَرَ فِي

(١) السماط : مايبسط ليمد عليه الطعام ، وجمعه أسمطة

كِتَابِ الدُّوَلِ الْمُنْقَطِعَةِ أَنَّ سَبَبَ مَوْتِهِ أَنَّهُ قَصَدَ طَرَابُلُسَ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى قُرْبٍ مِنْهَا عَازِمًا عَلَى قِتَالِهَا ، وَحَلَفَ أَلَّا يَرْحَلَ عَنْهَا حَتَّى يُعِيدَهَا فُدُنًا لِلزِّرَاعَةِ — لِسَبَبٍ اقْتَضَى ذٰلِكَ تَرَكْتُ شَرْحَهُ لِطُولِهِ — قَالَ : فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْبَلَدِ عِنْدَ ذٰلِكَ إِلَى الْمُؤَدِّبِ مُحْرِزٍ ، وَقَالُوا : يَاوَلِيَّ اللّٰهِ قَدْ بَلَغَكَ مَا قَالَهُ بَادِيسُ ، فَادْعُ اللّٰهَ أَنْ يُزِيلَ عَنَّا بَأْسَهُ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : يَارَبَّ بَادِيسَ اكْفِنَا بَادِيسَ ، فَهَلَكَ فِي لَيْلَتِهِ بِالذَّبْحَةِ ، وَاللّٰهُ أَعْلَمُ . وَالصِّنْهَاجِيُّ بِضَمِّ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ وَكَسْرِهَا وَسُكُونِ النُّونِ وَفَتْحِ الْهَاءِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ جِيمٌ ، هٰذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى صِنْهَاجَةَ وَهِيَ قَبِيلَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْ حِمْيَرٍ(١) وَهِيَ بِالْمَغْرِبِ ، وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ :

---

(١) هذا رأى غير متفق عليه ، بل ربما كان رأيا مرجوحا لدى المحققين ، والذى أميل اليه أن صنهاجة فرع عظيم من فروع قبائل البربر الذين يجمعهم جذمان عظيمان هما البرانس ومادغيس «وجميعهم من نسل كنعان ابن حام» والشعبان عريقان فى البربرية ، وصنهاجة قبيلة من البربر البرانس الذين منهم قبائل أوربة ، وكتامة ، ومصمودة ، ولمتونة ، وصنهاجة أكبر قبائل البربر ، وهم أعظم شعوبهم بالمغرب ، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم ، حتى يزعم كثير من الناس أنهم ثلث البربر .

نعم ان رأى كثيرين من مؤرخى العرب أن صنهاجة وكتامة من حمير ويزعمون أن من يسمونه الملك أفريقس بن وائل بن حمير لما ملك حميرا غزا المغرب ، و بنى مدينة افريقية « تونس » وخلف فيها من قبائل حمير وزعمائها صنهاجة ، وقدمهم على البربر ليدبروا أمورهم و يأخذوا خراجهم ، ويزعمون أن صنهاجة هو ابن حصين بن سبأ ، و بعضهم يقول انهم فخذ من هوارة ، وهوارة فخذ من حمير ، فصنهاجة على زعمهم فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير . ولكن أولى التحقيق من نساب البربر ينكرون ذلك ويجزمون أن صنهاجة وكتامة قبيلتان من صميم البربر كما تقدم ، ورب البيت أدرى بما فيه ــ وحسبنا هذه الكلمة فى هذا الموضوع ، فان بعض الذين يمنعنا أدبنا أن نسمهم بالفضول ، أو نتهمهم بسوء القصد وارادة احتكار العلم والأدب ، يرموننا بفضول القول فى شرح الكتاب والتعليق عليه ، و يزعمون أنا نأتى بما لاحاجة اليه ، ونحن نرى أن لافضول فى التحقيق اذا اقتضاه شيء فى الكتاب أو استدعته مناسبة ، واذا كان الغرض من احياء هذه الكتب القيمة بهذه الصورة الرائقة انما هو نشر الثقافة العربية فلا علينا اذا أتينا بما يعين على هذا الغرض مادام موضوع الكتاب يستدعيه ، وقد كنا نود لو آثرنا العافية وتركنا للمدعين الميدان يجولون فيه وحدهم ، لولا خشيتنا على العلم والأدب أن تعبث بهما الأهواء ، فقد استنت الفصال حتى القرعى ، واختلط الهمل بما يرعى ، ولسنا ــ علم الله نريد شهرة زائفة ، أو صيتا يرفعه الأغرار بالتمويه والتدليس ، ولو أردنا ذلك لكان لنا شأن آخر ، وحينئذ ما كنت بحالى هذه ــ وان كنت أحمد الله عليها وكان ضميرى بها راضيا ــ وما

تقدمنى أناس كان شوطهم   وراء خطوى لو أمشى على مهل

ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وهو خير الحاكمين « أحمد يوسف نجاتى »

الْكَسْرَ ، وَاللهُ أَعْلَمُ ، وَضَبْطُ أَسْمَاءِ أَجْدَادِهِ سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

***

بختيار عز الدولة

« أَبُو مَنْصُورٍ بَخْتِيَارُ الْمُلَقَّبُ عِزَّ الدَّوْلَةِ بْنُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيُّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ أَبِيهِ وَتَتِمَّةُ نَسَبِهِ ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى إِعَادَتِهِ »

وَلِيَ عِزُّ الدَّوْلَةِ مَمْلَكَةَ أَبِيهِ يَوْمَ مَوْتِهِ فِي تَارِيخِهِ الْمَذْكُورِ هُنَاكَ ، وَتَزَوَّجَ الْإِمَامُ الطَّائِعُ ابْنَتَهُ شَاهْ زَمَانَ عَلَى صَدَاقٍ مَبْلَغُهُ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَخَطَبَ خُطْبَةَ الْعَقْدِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ قُرَيْعَةَ الْآتِي ذِكْرُهُ فِي حَرْفِ الْمِيمِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ عِزُّ الدَّوْلَةِ مَلِكًا سَرِيًّا[1] ، شَدِيدَ الْقُوَى ، يُمْسِكُ الثَّوْرَ الْعَظِيمَ بِقَرْنَيْهِ فَيَصْرَعُهُ ، وَكَانَ مُتَوَسِّعًا فِي الْإِخْرَاجَاتِ وَالْكُلَفِ وَالْقِيَامِ بِالْوَظَائِفِ . حَكَى بِشْرٌ الشَّمَعِيُّ بِبَغْدَادَ

(١) أى نبيلا شريفا عالى القدر

قَالَ : سُئِلْنَا عِنْدَ دُخُولِ عَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ - وَهُوَ ٱبْنُ عَمِّ عِزِّ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَذْكُورِ - إِلَى بَغْدَادَ لَمَّا مَلَكَهَا بَعْدَ قَتْلِهِ عِزَّ ٱلدَّوْلَةِ - عَنْ وَظِيفَةِ ٱلشَّمْعِ ٱلْمُوقَدِ بَيْنَ يَدَيْ عِزِّ ٱلدَّوْلَةِ فَقُلْنَا : كَانَتْ وَظِيفَةُ وَزِيرِهِ أَبِي ٱلطَّاهِرِ مُحَمَّدِ بْنِ بَقِيَّةَ أَلْفَ مَنٍّ (١) فِي كُلِّ شَهْرٍ ، فَلَمْ يُعَاوِدُوا ٱلتَّقَصِّيَ ٱسْتِكْثَارًا لِذَلِكَ. وَسَيَأْتِي تَرْجَمَةُ ٱلْوَزِيرِ ٱلْمَذْكُورِ فِي حَرْفِ ٱلْمِيمِ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى - وَكَانَ بَيْنَ عِزِّ ٱلدَّوْلَةِ وَٱبْنِ عَمِّهِ عَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ مُنَافَسَاتٌ فِي ٱلْمَمَالِكِ أَدَّتْ إِلَى ٱلتَّنَازُعِ ، وَأَفْضَتْ إِلَى ٱلتَّصَافِّ (٢) وَٱلْمُحَارَبَةِ . فَٱلْتَقَيَا يَوْمَ ٱلْأَرْبِعَاءِ ثَامِنَ عَشَرَ شَوَّالٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَقُتِلَ عِزُّ ٱلدَّوْلَةِ فِي ٱلْمَصَافِّ وَكَانَ عُمُرُهُ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ فِي طَسْتٍ وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْ عَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا رَآهُ وَضَعَ مِنْدِيلَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ وَبَكَى - رَحِمَهُمَا ٱللهُ - وَسَيَأْتِي ذِكْرُ عَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى .

---

(١) المن شرعا وعرفا بهراة : أربعون إستارا ، كل إستار شرعا أربعة مثاقيل ونصف مثقال ، وعرفا : سبعة مثاقيل - والمشهور أن المن رطلان

(٢) التصاف : اجتماع القوم صفوفا للقتال .

***

بركياروق السلجوقى

« أَلْمُظَفَّرُ بَرْكِيَارُوقُ أَلْمُلَقَّبُ رُكْنَ أَلدِّينِ بْنُ أَلسُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ بْنِ أَلْبَ أَرْسِلَانَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ مِيكَائِيلَ أبْنِ سَلْجُوقَ بْنِ (١) دُقْمَاقَ ، أَلْمُلَقَّبُ شِهَابَ أَلدَّوْلَةِ مَجْدَ أَلْمُلْكِ أَحَدُ أَلْمُلُوكِ أَلسَّلْجُوقِيَّةِ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ أَللهُ تَعَالَى »

وُلِّيَ أَلْمَمْلَكَةَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ مَلَكَ مَا لَمْ يَمْلِكْ غَيْرُهُ - عَلَى مَا سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ - إِنْ شَاءَ أَللهُ تَعَالَى - وَدَخَلَ سَمَرْقَنْدَ (٢) وَبُخَارَى (٣) وَغَزَا بِلَادَ مَا وَرَاءَ أَلنَّهْرِ ، وَكَانَ أَخُوهُ أَلسُّلْطَانُ سِنْجَرُ أَلْمَذْكُورُ فِي حَرْفِ أَلسِّينِ - إِنْ شَاءَ أَللهُ تَعَالَى - نَائِبَهُ عَلَى خُرَاسَانَ ، وَفِي مُحَارَبَتِهِ قُتِلَ عَمُّهُ تَاجُ أَلدَّوْلَةِ تُتُشُ بْنُ أَلْبَ أَرْسِلَانَ - كَمَا سَيَأْتِي

---

(١) فى الأصل « دقاق » وهو تحريف ، وان ورد فى غير مرجع ، وقد كان جد السلجوقية الأعلى يسمى بدقماق (٢) ويقال لها بالعربية سمران ، وهى مدينة مشهورة قديمة ، فتحها سعيد بن عثمان بن عفان والى خراسان من جهة معاوية سنة ٥٥ (٣) من أعظم مدن ماوراء النهر وأجلها ، وكانت قاعدة ملك الملوك السامانية ، فتحها أيضا سعيد بن عثمان

عِنْدَ ذِكْرِهِ فِي حَرْفِ ٱلتَّاءِ - إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى - وَكَانَ مَسْعُودًا عَالِيَ ٱلْهِمَّةِ ، لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَيْبٌ سِوَى مُلَازَمَتِهِ لِلشَّرَابِ وَٱلْإِدْمَانِ عَلَيْهِ . وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ فِي ٱلثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ ٱلْآخِرِ وَقِيلَ ٱلْأَوَّلِ - سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِبُرُوجِرْدَ[١] ، وَأَقَامَ فِي ٱلسَّلْطَنَةِ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَشْهُرًا - رَحِمَهُمَا ٱللهُ تَعَالَى - وَبَرْكِيَارُوقُ بِفَتْحِ ٱلْبَاءِ ٱلْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ ٱلرَّاءِ وَٱلْكَافِ وَفَتْحِ ٱلْيَاءِ ٱلْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَبَعْدَ ٱلْأَلِفِ رَاءٌ مَضْمُومَةٌ وَوَاوٌ سَاكِنَةٌ وَقَافٌ . وَبُرُوجِرْدُ بِضَمِّ ٱلْبَاءِ ٱلْمُوَحَّدَةِ وَٱلرَّاءِ وَسُكُونِ ٱلْوَاوِ وَكَسْرِ ٱلْجِيمِ وَسُكُونِ ٱلرَّاءِ وَبَعْدَهَا دَالٌ مُهْمَلَةٌ ، بَلْدَةٌ عَلَى ثَمَانِيَةَ عَشَرَ فَرْسَخًا مِنْ هَمَذَانَ .

---

(١) بلدة بين همذان والكرج ، بينها وبين همذان ١٨ فرسخا ، وبين الكرج عشرة فراسخ، وكانت مدينة حصينة ذات ثمار وخصب ، تحمل فواكهها الى الكرج وغيرها ، وقال بعضهم يهجو أهلها .

بروجرد فى طيبها جنة   وما عيبها غير سكانها
ولكن يغطى على لؤمهم   وبخلهم جود نسوانها

***

أبو الطاهر
بركات الدمشقي

« أَبُو ٱلطَّاهِرِ بَرَكَاتُ بْنُ ٱلشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ ٱبْنِ ٱلشَّيْخِ أَبِي ٱلْفَضْلِ طَاهِرِ بْنِ بَرَكَاتِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ بْنِ هَاشِمٍ ٱلْخُشُوعِيُّ ٱلدِّمَشْقِيُّ ٱلْجَيْرُونِيُّ ٱلْفَرْشِيُّ ٱلرَّفَّاءُ ٱلْأَنْمَاطِيُّ »

كَانَ لَهُ سَمَاعَاتٌ(١) عَالِيَةٌ ، وَإِجَازَاتٌ(٢) تَفَرَّدَ بِهَا ، وَأَلْحَقَ ٱلْأَصَاغِرَ بِالْأَكَابِرِ ، فَإِنَّهُ ٱنْفَرَدَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ بِالسَّمَاعِ وَٱلْإِجَازَةِ مِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ هِبَةِ ٱللّٰهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ ٱلْأَكْفَانِيِّ(٣) ، وَٱنْفَرَدَ بِالْإِجَازَةِ مِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ ٱلْقَاسِمِ ٱلْحَرِيرِيِّ ٱلْبَصْرِيِّ صَاحِبِ ٱلْمَقَامَاتِ ، أَجَازَهُ فِي سَنَةِ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنَ ٱلْبَصْرَةِ ، وَهُوَ مِنْ بَيْتِ ٱلْحَدِيثِ ، حَدَّثَ هُوَ وَأَبُوهُ وَجَدُّهُ . وَسُئِلَ أَبُوهُ : لِمَ سُمُّوا ٱلْخُشُوعِيِّينَ ؟

---

(١) سماعات : جمع سماعة ، مصدر بمعنى السماع — أى مسموعات

(٢) الاجازات : جمع إجازة : وهى الاذن بالرواية من مشايخه (٣) هو محدث مشهور ، ولقب الأكفانى لأن جده كان يبيع الأكفان ، وهو هبة الله بن أحمد بن محمد الحافظ المحدث توفى سنة ٥٢٣ . « أحمد يوسف نجاتى »

فَقَالَ : كَانَ جَدُّنَا الْأَعْلَى يَؤُمُّ بِالنَّاسِ فَتُوُفِّيَ فِي الْمِحْرَابِ ، فَسُمِّيَ الْخُشُوعِيَّ نِسْبَةً إِلَى الْخُشُوعِ . وَكَانَ مَوْلِدُ أَبِي الطَّاهِرِ الْمَذْكُورِ بِدِمَشْقَ فِي رَجَبٍ [١] سَنَةَ عَشْرٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ لَيْلَةَ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِدِمَشْقَ ، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِبَابِ الْفَرَادِيسِ [٢] عَلَى وَالِدِهِ — رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى — وَهُوَ آخِرُ مَنْ رَوَى بِالْإِجَازَةِ عَنِ الْحَرِيرِيِّ . وَالْفُرْشِيُّ بِضَمِّ الْفَاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَبَعْدَهَا شِينٌ مُثَلَّثَةٌ نِسْبَةً إِلَى بَيْعِ الْفُرُشِ ، وَالْأَنْمَاطِيُّ [٣] الَّذِي يَبِيعُ الْفُرُشَ أَيْضًا . وَالرَّفَّاءُ مَعْرُوفٌ ، وَاجْتَمَعْتُ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي

---

(١) فى الخطية : فى صفر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة (٢) هو باب من أبواب مدينة دمشق ، قال ابن قيس الرقيات :

أقفرت منهم الفراديس والغو — طة ذات القرى وذات الظلال

(٣) النمط ظهارة الفراش ، وضرب من البسط ، وثوب صوف يطرح على الهودج له خمل رقيق ، وضرب من الثياب المصبغة ذو لون أحمر أو أخضر أو أصفر أو غير ذلك مما ليس أبيض ، وجمعه أنماط ، وينسب إليه على لفظه كأنصارى ، وإلى مفرده « نمطى » وأبو الحسين محمد بن طاهر الأنماطى توفى سنة ٤٢٥ وابن الأنماطى اسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن المصرى الفقيه الحافظ البارع الشافعى توفى سنة ٦٨٤ « أحمد يوسف نجاتى »

الطَّاهِرِ الْمَذْكُورِ، وَسَمِعْتُ عَلَيْهِمْ وَأَجَازُونِي، وَلَقِيتُ وَلَدَهُ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَيَّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَأَجَازَنِي جَمِيعَ مَسْمُوعَاتِهِ وَإِجَازَاتِهِ مِنْ أَبِيهِ.

***

أبو الفتوح برجوان

«الْأُسْتَاذُ أَبُو الْفُتُوحِ بَرْجَوَانُ الَّذِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ حَارَةُ بَرْجَوَانَ بِالْقَاهِرَةِ»

كَانَ مِنْ خُدَّامِ الْعَزِيزِ صَاحِبِ مِصْرَ وَمُدَبِّرِي دَوْلَتِهِ، وَكَانَ نَافِذَ الْأَمْرِ مُطَاعًا، نَظَرَ فِي أَيَّامِ الْحَاكِمِ فِي دِيَارِ مِصْرَ وَالْحِجَازِ وَالشَّأْمِ وَالْمَغْرِبِ وَأَعْمَالِ الْحَضْرَةِ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَثِمائَةٍ، وَسَيَأْتِي فِي تَرْجَمَةِ الْعَزِيزِ نِزَارٍ طَرَفٌ مِنْ خَبَرِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَ أَسْوَدَ، وَقُتِلَ عَشِيَّةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ - وَقِيلَ بَلْ قُتِلَ يَوْمَ الْخَمِيسِ مُنْتَصَفَ جُمَادَى الْأُولَى - سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلَثِمائَةٍ

فِي الْقَصْرِ بِالْقَاهِرَةِ بِأَمْرِ الْحَاكِمِ (١)، ضَرَبَهُ أَبُو الْفَضْلِ رَيْدَانُ الصَّقْلَبِيُّ صَاحِبُ الْمِظَلَّةِ فِي جَوْفِهِ بِسِكِّينٍ فَمَاتَ مِنْ ذلِكَ . وَذَكَرَ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ الْكَاتِبُ الْمِصْرِيُّ فِي أَخْبَارِ وُزَرَاءِ مِصْرَ أَنَّ بَرْجَوَانَ نَظَرَ فِي أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ، وَلَمَّا قُتِلَ خَلَّفَ أَلْفَ سَرَاوِيلَ دَبِيقِيٍّ (٢) بِأَلْفِ تِكَّةٍ حَرِيرٍ ، وَمِنَ الْمَلَابِسِ وَالْفُرُشِ وَالْآلَاتِ وَالْكُتُبِ وَالطَّرَائِفِ (٣)

(١) وسبب قتله أنه لما ترقت به الأحوال الى أن بلغ غاية ما كان يطمح اليه بطرت نفسه وأشر، فقصر عن الخدمة وتشاغل بلذاته فلم يكن همه الا سماع شاد يغنى أو مطرب يغرد، ثم اجترأ على مولاه الحاكم وساء أدبه معه، فلم يحتمل الحاكم دالته، فلما كان يوم الخميس ١٦ ربيع الآخر سنة ٣٩٠ أنفذ اليه الحاكم عشية للركوب معه الى المقياس ، فجاء بعد ما تباطأ وقد ضاق الوقت ، فلم يكن بأسرع من خروج الخادم عقيق « وكان عينا لبرجوان بالقصر » صائحا : قتل مولاى :

واذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه

ووجد فى تركته أكثر مما ذكر هنا أشياء كثيرة من الذهب والفضة « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) دبيقى : نسبة الى دبيق ، وهى بلدة كانت بمصر بين الفرما وتنيس منها الثياب الدبيقية وهى من أرق الثياب وأدقها كانت تتخذ بها، وكانت العمامة منها طولها مائة ذراع وفيها رقمات منسوجة بالذهب تبلغ العمامة من الذهب ٥٠٠ دينار سوى الحرير والغزل (٣) الطرائف : جمع طريفة : وهى الطرفة أى الشىء الغريب المستحسن المعجب .

مَالَا يُحْصَى كَثْرَةً — وَاللهُ أَعْلَمُ — وَرَيْدَانُ الْمَذْكُورُ هُوَ الَّذِى تُنْسَبُ إِلَيْهِ الرَّيْدَانِيَّةُ (١) خَارِجَ بَابِ الْفُتُوحِ أَحَدِ أَبْوَابِ الْقَاهِرَةِ ، وَلَمَّا قُتِلَ بَرْجَوَانُ رَدَّ الْحَاكِمُ النَّظَرَ فِي جَمِيعِ مَا كَانَ بِيَدِهِ إِلَى قَائِدِ الْقُوَّادِ أَبِى عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَائِدِ جَوْهَرٍ ، وَسَيَأْتِى ذِكْرُهُ فِي تَرْجَمَةِ أَبِيهِ — إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى — ثُمَّ قَتَلَ الْحَاكِمُ رَيْدَانَ الْمَذْكُورَ فِي أَوَائِلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ، وَكَانَ الْمُبَاشِرَ لِقَتْلِهِ مَسْعُودٌ الصَّقْلَبِيُّ صَاحِبُ السَّيْفِ — رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى — وَبَرْجَوَانُ بِفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الْجِيمِ وَالْوَاوِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ نُونٌ . وَرَيْدَانُ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَفَتْحِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ نُونٌ ، هَكَذَا وَجَدْتُهُ مُقَيَّدًا

---

(١) كانت خارج باب الحسينية ، وكان له هناك بستان أنيق أنشأ بجواره مسجدا زال أثره ، وعلى جزء من تلك الجهة تجد الآن زاوية الشيخ على أبو خودة بشارع أبى خودة بالعباسية القبلية بقسم الوايلى ، وكان ريدان هذا يحمل المظلة على رأس الخليفة اذا خرج فى موكبه « أحمد يوسف نجاتى »

بِخَطِّ بَعْضِ ٱلْفُضَلَاءِ . وَٱلصَّقْلَبِيُّ بِفَتْحِ ٱلصَّادِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ ٱلْقَافِ وَبَعْدَ ٱللَّامِ ٱلْمَفْتُوحَةِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ، هَذِهِ ٱلنِّسْبَةُ إِلَى ٱلصَّقَالِبَةِ وَهُمْ جِنْسٌ مِنَ ٱلنَّاسِ يُجْلَبُ مِنْهُمُ ٱلْخُدَّامُ .

***

« أَبُو مُعَاذٍ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ* بْنِ يَرْجُوخَ ٱلْعُقَيْلِيُّ بِٱلْوَلَاءِ ٱلضَّرِيرُ ٱلشَّاعِرُ ٱلْمَشْهُورُ »

بشار بن برد

---

* ترجم له فى كتاب الشعر والشعراء « ص ٢٧٩ » قال :

هو مولى لبنى عقيل ، و يقال مولى لبنى سدوس ، و يكنى أبا معاذ ، و يلقب بالمرعث ، والمرعث الذى جعل فى أذنيه الرعاث وهى القرطة ، و يرمى بالزندقة وهو مع ذلك يقول :

كيف يبكى لمحبس فى طلول ... من سيقصى ليوم حبس طويل

إن فى البعث والحساب لشغلا ... عن وقوف برسم دار محيل

و بشار أحد المطبوعين الذين كانوا لا يتكلفون الشعر ولا يتعبون فيه وهو من أشعر المحدثين ، وحضر يوما عند عقبة بن سلم — وعقبة بن رؤبة ابن العجاج ينشده رجزا يمتدحه فيه — فاستحسن بشار الأرجوزة ، فقال عقبة بن رؤبة : هذا طراز لاتحسنه أنت يا أبا معاذ ، فقال بشار : ألمثلى يقال هذا ؟ أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك ، ثم غدا على عقبة بن سلم بأرجوزته التى أولها :

ياطلل الحى بذات الصمد ... بالله خبر كيف كنت بعدى

وهى ترجمة طويلة نكتفى منها بما أوردناه

ذَكَرَ لَهُ أَبُو ٱلْفَرَجِ ٱلْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِ ٱلْأَغَانِي سِتَّةً وَعِشْرِينَ جَداًّ أَسْمَاؤُهُمْ أَعْجَمِيَّةٌ ، فَأَضْرَبْتُ عَنْ ذِكْرِهَا لِطُولِهَا وَٱسْتِعْجَامِهَا ، وَرُبَّمَا يَقَعُ فِيهَا ٱلتَّصْحِيفُ وَٱلتَّحْرِيفُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَضْبِطْ شَيْئًا مِنْهَا ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى ٱلْإِطَالَةِ فِيهَا بِلَا فَائِدَةٍ ، وَذَكَرَ مِنْ أَحْوَالِهِ وَأُمُورِهِ فُصُولًا كَثِيرَةً ، وَهُوَ بَصْرِيٌّ قَدِمَ بَغْدَادَ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالْمُرَعَّثِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ طَخَارِسْتَانَ (١) مِنْ سَبْيِ ٱلْمُهَلَّبِ ٱبْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، وَيُقَالُ إِنَّ بَشَّارًا وُلِدَ عَلَى ٱلرِّقِّ أَيْضًا وَأَعْتَقَتْهُ ٱمْرَأَةٌ عُقَيْلِيَّةٌ فَنُسِبَ إِلَيْهَا ، وَكَانَ أَكْمَهَ (٢) وُلِدَ أَعْمَى جَاحِظَ (٣) ٱلْحَدَقَتَيْنِ ، قَدْ تَغَشَّاهُمَا (٤) لَحْمٌ أَحْمَرُ ،

---

(١) طخارستان ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد ، وهى من نواحى خراسان غربى نهر جيحون ، ومن مدنها طالقان بلد الصاحب بن عباد ، وهى الآن اقليم من أقسام تركستان الجنوبية ، وهى منسوبة الى أمة الطخارية من التتر أصلها من بلاد بلخ ، وقد افتتحت سنة ٢٢ (٢) يفسره مابعده ، فالكمه العمى الذى يولد به الانسان ، أو هو عام فى العمى العارض ، وفعله كفرح (٣) جاحظ الحدقتين : ناتئهما و بارزهما ، وجحظت عينه « كمنع » جحوظا اذا خرجت مقلتها وظهرت . أو عظمت وتنأت (٤) تغشاهما : غطاهما وحجبهما « أحمد يوسف نجاتى »

وَكَانَ ضَخْمًا عَظِيمَ الْخَلْقِ وَالْوَجْهِ مُجَدَّرًا طَوِيلًا ، وَهُوَ فِي أَوَّلِ مَرْتَبَةِ الْمُحْدَثِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ الْمُجِيدِينَ فِيهِ ، فَمِنْ شِعْرِهِ فِي الْمَشْوَرَةِ - وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ قِيلَ فِي ذَلِكَ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنْ
بِحَزْمِ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ (١) حَازِمِ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً (٢)
فَرِيشُ الْخَوَافِي (٣) تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ

---

(١) النصاحة : مصدر كالنصح ، أى الوعظ واخلاص المودة وعدم الغش ، أو النصح . والنصيحة أن يريد المرء الخير لغيره والارشاد له . والحازم الذى يضبط أمره ويأخذ فيه بالثقة

(٢) الغضاضة : المذلة والمنقصة والانكسار (٣) الخوافى : الريش الصغار التى فى جناح الطائر بعد القوادم اذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، أو هى الريشات الأربع اللواتى بعد المناكب ،أو مادون الريشات العشر من مقدم الجناح ، والقوادم عشر ريشات فى مقدم جناحه، واللواتى بعدهن الى أسفل الجناح تسمى المناكب ، والخوافى مابعد المناكب ، والأباهر من بعد الخوافى ، ومن أمثالهم: ماجعل القوادم كالخوافى - ويروى: «فريش الخوافى قوة للقوادم »

وَمَا خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ ٱلْغُلُّ[1] أُخْتَهَا ؟

وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيَّدْ بِقَائِمِ[2]

وَلَهُ ٱلْبَيْتُ ٱلسَّائِرُ ٱلْمَشْهُورُ ، وَهُوَ :

هَلْ تَعْلَمِينَ وَرَاءَ ٱلْحُبِّ مَنْزِلَةً

تُدْنِي إِلَيْكِ ؟ فَإِنَّ ٱلْحُبَّ أَقْصَانِي

وَمِنْ شِعْرِهِ - وَهُوَ أَغْزَلُ بَيْتٍ قَالَهُ ٱلْمُوَلَّدُونَ :

أَنَا وَٱللهِ أَشْتَهِي سِحْرَ عَيْنَيْكِ وَأَخْشَى مَصَارِعَ ٱلْعُشَّاقِ[3]

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا :

يَا قَوْمُ أُذْنِي لِبَعْضِ ٱلْحَيِّ عَاشِقَةٌ

وَٱلْأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ ٱلْعَيْنِ أَحْيَانَا

قَالُوا : بِمَنْ لَا تَرَى تَهْذِي ! فَقُلْتُ لَهُمْ :

ٱلْأُذْنُ كَٱلْعَيْنِ تُوفِي ٱلْقَلْبَ مَا كَانَا

أَخَذَ مَعْنَى ٱلْبَيْتِ ٱلْأَوَّلِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ ٱلْمَعْرُوفُ بِابْنِ ٱلشِّحْنَةِ[4] ٱلْمَوْصِلِيُّ مِنْ جُمْلَةِ قَصِيدَةٍ عَدَدُ أَبْيَاتِهَا

---

(١) الغل : القيد . وهو طوق من حديد يجعل فى اليد أو العنق (٢) قائم السيف : مقبضه (٣) قبله :

زودينا ياعبد قبل الفراق   بتلاق وكيف لى بالتلاقى

(٤) هو المهذب عمر بن محمد بن على بن أبى نصر ، ومطلع قصيدته :

مِائَةٌ وَثَلاثَةَ عَشَرَ بَيْتاً يَمْدَحُ بِهَا ٱلسُّلْطَانَ صَلاحَ ٱلدِّينِ، ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ فَقَالَ :

وَإِنِّى امْرُؤٌ أَحْبَبْتُكُمْ لِمَكَارِمٍ
سَمِعْتُ بِهَا، وَٱلْأُذْنُ كَالْعَيْنِ تَعْشَقُ

وَشِعْرُ بَشَّارٍ كَثِيرٌ سَائِرٌ فَنَقْتَصِرُ مِنْهُ عَلَى هَذَا ٱلْقَدْرِ (١)،

سلام مشوق قد براه التشوق   على جيرة الحى الذين تفرقوا

ومنها :

وقالت لى الآمال ان كنت لاحقا   بأبناء أيوب فأنت الموفق

قلت وفى معنى بيت بشار أيضا قول عبد الله بن سليمان بن المنذر بن عبد الله بن سالم الأندلسى القرطبى الملقب بدرود المتوفى سنة ٣٢٥ :

تقول من للعمى بالحسن؟ قلت لها   كفى عن الله فى تصديقه الخبر
القلب يدرك مالا عين تدركه   والحسن ما استحسنته العين لا البصر
وما العيون التى تعمى اذا نظرت   بل القلوب التى يعمى بها النظر

ومنه أيضا قول الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الاربلى عز الدين الضرير المتوفى سنة ٦٦٠ :

هل تعشق العينان مالا ترى   فقلت والدمع بعينى غزير
ان كان طرفى لايرى شخصها   فانها قد صورت فى الضمير

وهو كثير عرضنا له فى بعض مقالاتنا الأدبية النقدية، ولبشار فضل السبق « أحمد يوسف نجاتى »

(١) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

قال الأصمعى : ولد بشار أعمى، فما نظر الى الدنيا قط، وكان يشبه

الأشياء فى شعره بعضها ببعض، فيأتى بما لا يقدر البصراء على أن يأتوا بمثله فقيل له يوما — وقد أنشد قوله :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه (١)

---

(١) البيت من قصيدة له يمدح بها ابن هبيرة مطلعها :

جفا وده فازور أو مل صاحبه   وأزرى به ألا يزال يعاتبه

خليلى لا تستكثرا لوعة الهوى   ولا سلوة المحزون شطت حبائبه

ومنها :

وكنا اذا دب العدو لسخطنا   وراقبنا فى ظاهر لا نراقبه

ركبنا له جهرا بكل مثقف   وأبيض تستسقى الدماء مضاربه

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصا   وبالشوك والخطى حمر ثعالبه

غدونا له والشمس فى خدر أمها   تطالعها والطل لم يجر ذائبه

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه   وتدرك من نجى الفرار مثالبه   الخ

ازور : أعرض وصد ، شطت : بعدت ، والمثقف الرمح ، والأبيض السيف ، والحصا العدد الكثير ، والشوك السلاح ، وثعالبه أطرافه احمرت بالدماء : ومثالبه، عاره وعيوبه . والنقع الغبار ، وتهاوى أى يتساقط بعضها فى أثر بعض طائفة بعد طائفة. وقد ألم كثير من الشعراء بمعنى بيت بشار ورسموا صورته فى أشعارهم ، ولكنهم لم يلحقوا شأوه مع أنه من قبيل المركب الحسى الذى لا يدركه الا البصر ، قال كلثوم بن عمرو العتابى المتوفى سنة ٢٠٨ :

تبنى سنابكها من فوق أرؤسهم   سقفا كواكبه البيض المباتير

وقال مسلم بن الوليد الأنصارى :

فى عسكر تشرق الأرض الفضاء به   كالليل أنجمه القضبان والأسل

وقال أبو الطيب المتنبي :

ما قيل أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط
ولا شيئا فيها ؟ فقال : إن عدم النظر يقوى ذكاء القلب ، ويقطع عنه

فكأنما كسى النهار بها دجا   ليل وأطلعت الرماح كواكبا

وقد نقله الى مثال آخر فقال :

يزور الأعادى فى سماء عجاجة   أسنته فى جانبيها الكواكب

وقال بعضهم :

نسجت حوافرها سماء فوقنا   جعلت أسنتها نجوم سمائها

وقال عبد الرحيم العباسى :

والنقع ليل سماء لانجوم له   الا الأسنة والهندية البتر

وأعاده فقال :

يعقد النقع فوقها سحبا كالليـ   ـل فيه السيوف أضحت نجوما

وقال آخر :

كأن سمو النقع والبيض حوله   سماوة ليل أسفرت عن كواكب

وللسرى الرفاء :

فى معرك طاف الردى بكماته   عند اختلاف الطعن أى مطاف
فاذا السنابك أنشأت ليلا به   بعث الصباح لها سنا الأسياف

فتلك صور مختلفة لمنظر واحد رسمها شعراء كثيرون كلهم استمد من بيت بشار ، ولكن تخلفت صورته عما صوره هذا الكفيف ، فان كل واحد منهم وان شبه لمعان السيوف والأسنة فى أثناء العجاجة بالكواكب فى الليل فاته من الدقة والتفصيل مالم يفت بشارا ، لأنه راعى مالم يراعه غيره ، فجعل الكواكب « تهاوى » فأتم الشبه ورسم الصورة كاملة واضحة ، ولم يقتصر على أن يريك توهج السيوف ولمعانها فى الغبار والنقع المثار كالكواكب فى الليل فحسب كما فعل غيره ، بل عبر عن هيئة السيوف وقد سلت من أغمادها وهى تعلو وترسب وتجىء وتذهب ، وأفادك منظرها وحالها فى حركاتها السريعة واضطرابها الشديد واختلاف أحوالها وجهات ذهابها وتصادم بعضها فى بعض وتدخلها وتقابلها ، ورسم لك أشكال

الشغل بما ينظر اليه من الأشياء، فيتوفر حسه وتذكو قريحته (١) وقال أبو العواذل زكريا بن هارون : قال لى بشار : لى اثنتا عشرة ألف قصيدة أفما فى كل قصيدة بيت جيد ؟ وحكى عنه أنه قال : هجوت جريرا فأعرض عنى واستصغرنى ، ولو هجانى لكنت أشعر الناس . وكان بشار يدين بالرجعة (٢) ويكفر جميع الأمم، ويصوب رأى ابليس فى تقديم النار على الطين ، وقد ذكر ذلك فى شعره حيث يقول : الأرض مظلمة . البيت .

السيوف المستطيلة وحركاتها المتخيلة وخطوط الشعاع التى ترسمها فى الفضاء لامعة بسرعة عظيمة ، فقد نظم هذه الدقائق كلها فى نفسه، واستحضرها فى حسه مع طمسه، ثم عرض عليك صورها، وجلى لك منظرها، بكلمة واحدة كان لها كل هذه المزايا ، وهى قوله «تهاوى» التى أغفلها كثيرون فجاءت صورهم ناقصة . بل ان بشارا نفسه كرر هذا المعنى فى قصيدة أخرى فلم يدرك غاية بيته السابق هذا ، وذلك حيث يقول :

خلقنا سماء فوقنا بنجومها   سيوفا ونقعا يقبض الطرف أقتما

ولا غرو أن أعجب ابن هبيرة بهذه القصيدة الطويلة فوصل بشارا بعشرة آلاف درهم ، وكانت أول عطية سنية منحها بشار بالشعر كانت سببا فى رفع ذكره، وظهور أمره « أحمد يوسف نجاتى »

(١) ويروى أنه أنشد عقب ذلك قوله :

عميت جنينا والذكاء من العمى   فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعقل رافدا   بقلب اذا ماضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه   بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

(٢) الرجعة الايمان بالرجوع بعد الموت الى الدنيا ، وقد كانت الرجعة مذهب طائفة من العرب فى الجاهلية معروفا عندهم ، وهى أيضا كانت مذهب طائفة من المسلمين من أهل الأهواء والبدع، يقولون ان الميت يرجع الى الدنيا ويكون فيها حيا كما كان ، ومن جملة هؤلاء طائفة السبائية يقولون ان على بن أبى طالب كرم الله وجهه مستتر فى السحاب فلا يخرج

رأيت فى بعض الكتب أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من الأولاد المجوس شاب متطير يدعى تحقيق الكلام (١) ، فأظهر مسألة

مع من خرج من ولده حتى ينادى مناد من السماء أخرج مع فلان ، وفى ذلك يقول الفقيه اسحق بن سويد العدوى :

برئت من الخوارج لست منهم   من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا   أشاروا بالسلام على السحاب

والغزال هو واصل بن عطاء ، وستأتى ترجمته ، وابن باب هو عمرو بن عبيد ، وستأتى ترجمته أيضا . والسبائية هم أصحاب عبد الله بن سبأ الذى قال لعلى رضى الله عنه : أنت الاله حقا ، فنفاه الى المدائن «أحمد يوسف نجاتى»

(١) قال الجاحظ : ان الزنادقة أصحاب ألفاظ فى كتبهم وأصحاب تهويل لأنهم حين عدموا المعانى ولم يكن عندهم فيها طائل مالوا الى تكلف ماهو أخصر وأيسر وأوجز كثيرا ، ولكل أقوام ألفاظ حظيت عندهم فصار حظ الزنادقة من الألفاظ التى سبقت الى قلوبهم واتصلت بطبائعهم وجرت على ألسنتهم : التناكح والنتائج والمزاج والنور والظلمة والدفاع والبقاع والساتر والغامر والمنحل والبطلان والوجدان والأثير والصداق وعمود الصبح وأشكالا من هذا الكلام ، فصار وان كان عربيا مرفوضا مهجورا عند أهل ملتنا ودعوتنا ، وكذلك عند عوامنا وجمهورنا ، ولا يستعمله الا الخاص والا المتكلمون ، ثم قال : والمجوسى لايتغوط فى الآبار والبلاليع لأنه بزعمه يكرم بطن الأرض عندذلك ، ويزعم أن الأرض أحد الأركان التى تنبت عليها عوالم الخير والشر بزعمهم ، ولذلك لايدفنون موتاهم ولا يحفرون لهم القبور ويضعونهم فى النواويس وضعا ، وقالوا ولو استطعنا أن نخرج تلك الجيف من ظهور الأرض كما أخرجناها من بطونها لفعلنا ، قالوا وعلى هذا أعظمنا النور والماء وليسا بأحق بالتعظيم من الأرض . . . وزرادشت هو الذى عظم النار وأمر باحيائها ونهى عن اطفائها ، وحرم على الحائض مسها والدنو منها ، وزعم أن العقاب فى

تحقيق النفث بالنار ، وكان يزعم أن الجسد كثيف منتن فى حال الحياة ، فاذا مات فلا حكمة فى دفنه والتسبب فى زيادة نتنه ، وأن الواجب احراقه واذراء رماده ، فقيل لبعض الفقهاء : ان الناس قد افتتنوا بمقالة المجوسى ، فكتب الفقيه الى عبد الله بن طاهر ، فلما تكلم المجوسى بمقالته تلك قال له الفقيه : أخبرنا عن صبى تداعته أمه وحاضنته أيهما أولى به ؟ فقال الامام : ان هذه الأرض هى الأم ، وهى أولى بأولادها أن ترد اليها وأنشد لأمية بن أبى الصلت :

والأرض معقلنا وكانت أمنا — فيها مقابرنا ومنها نولد(١)

الآخرة انما هو بالبرد والزمهرير — ولله در الحكم بن عبدل — أو غيره اذ يقول فى مدح مجوسى ساق عنه صداقا :

شهدت عليك بطيب المشاش — وأنك بحر جواد خضم
وأنك سيد أهل الجحيم — اذا ماترديت فيمن ظلم
نظير لهامان فى قعرها — وفرعون والمكتنى بالحكم

فمدحه بأن جعله يعذب بالنار لا بالبرد ، ولكن نظمه فى سلك واحد مع صناديد أهل الجحيم الذين كانوا ذوى رياسة وشهرة فى الدنيا ، والحكم هو أبو جهل بن هشام . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) قبله :

والأرض نوخها الاله طروقة — للماء حتى كل زبد مسفد

وهما من قصيدة طويلة ذكر فيها الله تعالى والملائكة والسماء والأرض ونحو ذلك مما هو معروف فى شعره . وقال أيضا صفوان الأنصارى يرد على بشار فى عذره ابليس وتفضيله النار على الأرض :

زعمت بأن النار أكرم عنصرا — وفى الأرض تحيا بالحجارة والزند
ويخلق فى أرحامها وأرومها — أعاجيب لاتحصى بخط ولا عقد
وفى القعر من لج البحار منافع — من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد
كذلك سر الأرض فى البحر كله — وفى الغيضة الغناء والجبل الصلد

وهى قصيدة طويلة ذكر فيها خواص الأرض ومزاياها وما أودع فيها من

فأفحم المجوسى وقطعه . وكان الأصمى يقول : بشار خاتمة الشعراء ، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم . ولقى أبو عمرو بن العلاء بعض الرواة ، فقال له : ياأبا عمرو من أبدع الناس بيتا ؟ فقال : الذى يقول :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيف ألم (١)

كنوز ومنافع . وقال بعد ذلك سليمان الأعمى أخو مسلم بن الوليد الأنصارى الشاعر فى اعتذار بشار لابليس ويخبر عن كرم خصال الأرض :

لابد للأرض ان طابت وان خبثت من أن تحيل اليها كل مغروس

وتربة الأرض ان جيدت وان قحطت فحملها أبدا فى أثر منفوس

وبطنها بفلز الأرض ذو خبر بكل جوهرة فى الأرض مرموس

وكل آنيــة عمت مرافقهــا وكل منتقــد فيهــا وملبــوس

وكل ماعونهــا كالملح مرفقــة وكلها مضحك من قول ابليس

وقال صفوان أيضا من قصيدة أخرى :

وفى جوفها للعبــد أستر منزل وفى ظهرها يقضى فرائضه العبد

تمج لفاظ الملح مجا وتصطــفى سبائك لاتصدا وان قدم العهد

وليس بمحص كنه مافى بطونها حساب ولا خط وان بلغ الجهد

وخير مماتقدم كله قوله تعالى : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » ، صدق الله العظيم .

فمسوا تراب الأرض منه خلقتم وفيــه المعــاد والمصير الى الحشر

(١) أقول من اختلاف الأذواق فى النظر الى الشعر أنه بينما ترى أبا عمرو ابن العلاء يؤثر بشارا لهذه الأبيات ويروقه منها حسن معنى وجودة صوغ ترى القاضى الجرجانى يقول فى كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه مانصه : ومن النقض الظاهر قول بشار :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيف ألم

فقال لم أنم ، ثم زعم أن الطيف ألم به ، وهو لايلم الا بنائم . اه ونحن

روحى عنى قليلا واعلمى أننى ياعبد من لحم ودم

قال : فمن أمدح الناس ؟ قال : الذى يقول :

نرى أن لبشار من هذه المؤاخذة مخلصا ، فان خيال المحبوب يتمثل للمحب فى حالى نومه ويقظته ، وسكونه وحركته ، وكما يراه بعين بصره يراه بعين بصيرته

ماسرت الا وطيف منك يصحبنى سرى أمامى وتأويبا على أثرى

بل انه ليرى قد حبيبه فى الغصن اذا تثنى ، ويشم أرجه فى الورد اذا تضوع ويسمع حديثه فى البلبل اذا غرد ، ويحس شمائله فى النسيم اذا رق ولطف

يدنى مزارك حين شط به النوى وهم أكاد به أقبل فاك

وما الذكريات والأمانى الا أحلام اليقظة ، واشتغال فكر العاشق بهواه يجعله دائما نصب عينه :

زار الخيال لها لا بل أزاركه فكر اذا نام فكر الخلق لم ينم

وكما يخيل القلب للعين فى كراها مالا حقيقة له تمثل عين الخيال للقلب فى حال اليقظة مايجسمه الوهم حقيقة :

يمثلك الشوق الشديد لناظرى فأطرق اجلالا كأنك حاضر

فان أبى القاضى الفاضل الا أن يكون الطيف زائرا فى المنام قلنا ان الشاعر أوى الى مضجعه وفكره فيمن يحبه قد ملك عليه نفسه ، فرنقت فى عينه سنة ، فزاره طيف الخيال ممن يهوى ، فأراد أن يستمتع به حرمته مناه اليقظة ، فهب مذعورا وفى نفسه المعنى الذى عبر عنه البحترى بقوله :

اذا ما الكرى أهدى الى خياله شفى قربه التبريح أو نقع الصدى

اذا اختلسته من يدى انتباهة حسبت حبيبا راح منى أو غدا

ثم حاول أن يستجمع شارد النوم ، ويتألف نافر الكرى ، فأعياه ذلك ، فأنشد قول ابن القطان البغدادى « وان تأخر زمانه عن عصر بشار »

زار الخيال بخيلا مثل مرسله فما شفانى منه الضم والقبل

مازارنى قط الا كى يوافينى على الرقاد فينفيه ويرتحل

لمست بكفى كفه أبتغى الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعدانى فأنفقت ما عندى(١)

قال فمن أهجى الناس ؟ قال : الذى يقول :

فها هو ذا الشاعر قد جعل طيف الخيال نافيا لرقاده ، كما جعله بشار نافيا لكراه ، وقد قال أبو عبادة البحترى – وله فى وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر :

وانى وان ضنت على بودها لأرتاح منها للخيال المؤرق

فجعل الخيال مؤرقا، وما الأرق الا أن ينتفى الكرى ، كذلك بشار أرقه الخيال فطار عنه منامه ، ونفى كراه الطيف والمامه ، فتضاعف وجده ، وأرق سهده ، فطال ليله ، وزاد ويله . ثم كم للشعراء بعد فى اقتناص طيف الخيال ، ومحاولة التمتع منه بزور الوصال ، من لطف تخيل ، وحسن تخيل «أحمد يوسف نجاتى»

(١) ينسب كثير من الرواة المحققين هذين البيتين لابن الخياط المدنى فى مدح الخليفة المهدى ، وكذلك رأى الشريف المرتضى فى أماليه ، ثم قال فى نقدهما : وقد قيل ان هذا الشاعر مصرح بالهجاء ،لأنه زعم أن الذى لمس كفه لم يفده شيئا، بل أعداه جوده فأتلف ماله ،ولم يرد الشاعر الا المدح ولقوله وجه؛ وهو أن ذوى الغنى هم الذين تستقر الأموال فى أيديهم وتلبث تحت أيمانهم ، ومن أخرج مايملكه حالا بحال لا يوصف بأنه ذو غنى . فأراد الشاعر أننى لم أفد منه ما بقى فى يدى واستقر تحت ملكى، فلهذا قال : لم يفد ما أفاد ذو والغنى اه ومثل البيتين فى المعنى قول مروان بن أبى حفصة :

الى ملك تندى اذا يبس الثرى بنائل كفيه الأكف الجوامد

وقول أبى حنش النميرى فى يحي بن خالد البرمكى :

لاترانى مصافحا كف يحي اننى ان فعلت أتلفت مالى
لو تمس البخيل راحة يحي لسخت نفسه ببذل النوال

رأيت السهيلين استوى الجود فيهما على بعد ذا من ذاك فى حكم حاكم

وانظر الى حسن استعمال « لو » هنا كأنه يقول ان يحيى ينزه كفه أن تصافح بخيلا، ومن هذا المعنى قول مسلم بن الوليد :

الى ملك لو صافح الناس كلهم لما كان حى فى البرية يبخل

ومثله قول العكوك « على بن جبلة » :

لو يلمس الناس راحتيه ما بخل الناس بالعطاء

قال الشريف المرتضى : وأحسن من هذا كله وأشبه بالمدح وأدخل فى طريقته قول البحترى :

من شاكر عنى الخليفة بالذى أولاه من طول ومن احسان
ملأت يداه يدى، وشرد جوده بخلى ، فأفقرنى كما أغنانى
حتى لقد أفضلت من افضاله ورأيت نهج الجود حيث أرانى
ووثقت بالخلف الجميل معجلا منه فأعطيت الذى أعطانى

ويشبه هذا المعنى قول ابن الرومى :

يجود البخيل اذا مارآك ويسطو الجبان اذا عاينك

وقول آخر :

رأيت الندى فى آل عوف خليقة اذا كان فى قوم سواهم تخلقا
ولو جزت فى أبياتهم لتعلمت يداك الندى منهم فأصبحت مملقا

وابن الخياط هو ابن يونس، وهو القائل فى مدح الامام مالك رضى الله عنه :

يأبى الجواب فما يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
هدى التقى وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

وفيه أيضا يقول :

فتى لم يجالس مالكا منذ أن نشا ولم يقتبس من علمه فهو جاهل

وابن الخياط هو عبد الله بن محمد بن سالم بن يونس ، وقيل يونس بن سالم - شاعر ظريف ماجن خليع هجاء خبيث ،وفد على المهدى فأحسن مديحه، فأجزل المهدى صلته ، وكان مولى لقريش أو لهذيل ، فهو يشترك مع بشار فى كثير من أحواله وصفاته ، وكان معاصراله فكلاهما من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . « أحمد يوسف نجاتى » .

سهيـل بن عثمان يجـود بمـاله   كما جاد بالوجعا سهيل بن سالم (١)

قال : ويحك ، هذه الأبيات كلها لبشار ، وقال محمد بن صالح بن الحجاج قلت لبشار : انى أنشدت فلانا قولك :

اذا كنت فى كل الأمور معاتبا   صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحدا أوصـل أخاك فانه   مقـارف ذنب مرة ومجانبـه
اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى   ظمئت، وأى الناس تصفو مشاربه

فقال : ما كنت أظنه الا رجلا كبيرا ، فقال لى بشار : ويلك ! أفلا قلت له : هو والله أكبر الانس والجن !

حدث الأصمعى قال : قلت لبشار : يا أبا معاذ ، الناس يعجبون من أبياتك فى المشورة ، قال : يا أبا سعيد ، ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته

---

(١) الوجعاء فى البيت الثانى هى السافلة (الدبر) وجمعه وجعاوات — قلت ومثل بيتى بشار — الا أن الهجو فيه أعف وأبعد عن الاقذاع والفحش — قول أبى أسامة ربيعة بن ثابت بن أسد الرقى وكان قد قصد يزيد بن أسيد السلمى والى أرمينية « لأبى جعفر المنصور ثم لولده المهدى » ومدحه بشعر أجاد فيه فقصر عن حقه ، ومدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى «ولاه المنصور مصر سنة ١٤٣ وعزله عنها سنة ١٥٢» فبالغ فى الاحسان اليه ، فقال ربيعة قصيدة يوازن بين اليزيدين « كما وازن بشار بين السهيلين » ويفضل يزيد بن حاتم على يزيد بن أسيد، منها :

لشتان مابين اليزيدين فى الندى   يزيد سليم والأغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المـال ، والفتى   أخو الأزد للأموال غير مسالم
فهم الفتى الأزدى اتلاف ماله   وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

غير أن موازنة بشار أعجب ، فقد حكم أولا بالمساواة بين المتضادين فى الجود — وهذا غريب — ثم خرج عما قال بأن جعل أحدهما يجود بماله والآخر يجود بعرضه ، أما ربيعة الرقى فقد بين أولا أنهما مفترقان ، ثم بين جهة الافتراق بينهما ، فلعل بشارا أحسن تصرفا وألطف مدخلا ، مع الفاشه ، ولا غرو فرأيى فى بشار أنه رجل مازال يقبح حتى حسن وما زال يثقل حتى خف « أحمد يوسف نجاتى »

أو خطأ يشارك فى مكروهه ، قلت له : أنت والله فى قولك هذا أشعر منك فى شعرك - وكان بشار جالسا فى دار المهدى والناس ينتظرون الاذن ، فقال بعض موالى المهدى لمن حضر : ماعندكم فى قول الله عز وجل « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر » فقال له بشار : النحل التى تعرفها الناس ، فقال : هيهات يا أبا معاذ ، النحل بنو هاشم ، وقوله « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » يعنى العلم ، فقال له بشار : أرانى الله طعامك وشرابك وشفاءك يخرج من بطون بنى هاشم فقد أوسعتنا غثاثة ، فغضب وشتم بشارا ، وبلغ المهدى الخبر فدعا بهما وسألهما عن القصة ، فحدثه بشار بها ، فضحك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : أجل ! فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم ، فانك بارد غث . قال : دخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدى و بشار بين يديه ينشد قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور - وكان فيه غفلة . فقال: ياشيخ ، ماصناعتك ؟ قال : أثقب اللؤلؤ ، فضحك المهدى ثم قال لبشار ويلك أتتنادر (١) على خالى ؟ فقال : وما أصنع به ! يرى شيخا أعمى ينشد الخليفة شعرا فيسأله عن صناعته ! . ووقف على بشار بعض المجان وهو ينشد شعرا ، فقال له : استر شعرك كما تستر عورتك ، فصفق بشار بيديه وغضب وقال له : ويلك من أنت ؟ فقال : أنا - أعزك الله - رجل من باهلة (٢) ،

---

(١) أى أتهزأ به وتسخر منه - وأم محمد المهدى بن المنصور هى أروى بنت منصور أخت يزيد بن منصور الحميرى هذا ، وكانت تكنى أم موسى وكان يزيد بن منصور واليا على البصرة لأبى جعفر المنصور ولاه اياها سنة ١٥٢ ونقل منها سنة ١٥٤ ثم كان عاملا على اليمن ، وعزله عنها المهدى سنة ١٥٩ وولاه سواد الكوفة سنة ١٦١ « وكان ابنه منصور بن يزيد ابن منصور واليا على اليمن سنة ١٦٤ وعزل عنها سنة ١٦٥ ثم ولاه الرشيد خراسان سنة ١٧٩ واستمر بها الى وفاة الرشيد سنة ١٩٣ » « أحمد يوسف نجاتى » (٢) باهلة قبيلة من قيس عيلان « وباهلة اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان

وأخوالى من سلول (١) ، وأصهارى عكل (٢) ، واسمى كلب ، ومولدى بأضاخ (٣) . ومنزلى بنهر بلال (٤) ، قال : فضحك بشار وقال : اذهب ويلك ، فأنت عتيق لؤمك ، قد علم الله أنك استترت منى بحصون من حديد – ومر بشار برجل قد رمحته (٥) بغلة وهو يقول الحمد لله شكرا ، فقال له : استزده يزدك – ومر به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشى بها ، فقال : مالهم مسرعين !؟ أتراهم سرقوها فهم يخافون أن يلحقوا فتؤخذ منهم ! وحدث رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوج النهاريات قال : تزوجت امرأة منهن فاجتمعت معها فى علو بيت وبشار تحتنا – أو كنا فى أسفل البيت وبشار فى علوه – فنهق حمار فى الطريق فأجابه حمار فى الجيران وحمار فى الدار ، فارتجت الناحية بنهيقها ، وضرب الحمار الذى فى الدار الأرض برجله ضربا شديدا ، فسمعت بشارا يقول للمرأة : نفخ – يعلم الله – فى الصور ، وقامت القيامة

فنسب ولده اليها » وهى لدى العرب أدنأ قبيلة حتى قيل :

ولو قيل للكلب ياباهلى　　عوى الكلب من شؤم ذاك النسب

(١) سلول قبيلة من هوازن ، وهم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وسلول أمهم نسبوا اليها ، وفيهم قيل :

وانا أناس لانرى القتل سبة　　اذا مارأته عامر وسلول

وسلول هى ابنة ذهل بن شيبان بن ثعلبة (٢) عكل قبيلة تنسب الى عكل واسمه عوف بن عبد مناة من الرباب ، حضنته أمة تسمى بعكل فلقب به ، وقال ابن الكلبى ولد عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة الحرث وجشما وقيسا وسعدا وعلباء ، وأمهم بنت ذى اللحية من حمير ، حضنتهم عكل أمة لهم فغلبت عليهم . وعكل قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك قيل لكل من فيه غفلة ولمن يستحمق عكلى (٣) أضاخ قرية من قرى اليمامة كانت لبنى نمير ، أو موضع بالبادية ، وقيل جبل ، وقيل قرية من أعمال المدينة ، وحسبك من خمولها عدم الاتفاق على حقيقتها أو موضعها (٤) نهر بالبصرة احتفره بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى قاضى البصرة ، وجعل على جنبيه حوانيت ونقل اليها السوق (٥) أى رفسته

أما تسمعين كيف يدق على أهل القبور حتى يخرجوا منها ! قال : ولم نلبث أن فزعت شاة كانت فى السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقا وغضارة (١) الى الدار فانكسرا ، وتطاير حمام ودجاج كان فى الدار لصوت الغضارة ، وبكى صبى صغير فى الدار ، فقال بشار : صح الخبر - يعلم الله - أزفت الآزفة (٢) ، ونشر أهل القبور من قبورهم ، وزلزلت الأرض زلزالها ، فعجبت من كلامه وغاظنى ذلك ، فسألت من المتكلم ؟ فقيل بشار فقلت : قد علمت أنه لا يتكلم بهذا غيره - وتوفى ابن لبشار فجزع عليه فقيل له : أجر قدمته ، وفرط افترطته (٣) وذخر أحرزته ، فقال : ولد دفنته ، وثكل (٤) تعجلته ، وغيب وعدته فانتظرته ، والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرح بالمزيد . وقال يرثيه من أبيات :

أجارتنا لا تجزعى وأنيبى (٥) أتانى من الموت المطل نصيبى
بنيي على رغمي وسخطي رزئته وبدل أحجارا وجال قليب (٦)

---

(١) إناء من خزف ، قال ابن دريد : لا أحسبها عربية محضة فان كانت عربية فاشتقاقها من غضارة العيش ، أى من خصبه وسعته (٢) أزف : دنا وحان ، والآزفة القيامة ، سميت بذلك لقربها وان استبعد الناس مداها قال تعالى : « أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة » (٣) الفرط ماتقدم الانسان من أجر وعمل ، ومالم يدرك من الولد ولم يبلغ الحلم ، من فرط الرجل « كقعد » اذا سبق وتقدم ، وفرط الرجل ولدا اذا ماتوا له صغارا فكأنهم سبقوه الى الجنة ، وفى الحديث « أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع » ، وكان الحسن البصرى اذا صلى على الصبى يقول : اللهم اجعله لنا سلفا وأجرا وفرطا (٤) الثكل : الموت والهلاك وفقدان الولد أو الحبيب ، وفى المثل : العقوق ثكل من لم يثكل (٥) أناب الى الله وناب أى أقبل وتاب ورجع الى الطاعة ، وفى القرآن الكريم « منيبين اليه » أى راجعين اليه بالتوبة ، عائدين الى ما أمر به ، غير خارجين عن شىء من أمره ولا متعدين حدوده (٦) الجال الجانب وناحية القبر « والبئر والبحر والجبل » كالجول . والقليب فى الأصل البئر لأن ترابها قلب ، ولذلك أطلق

وكان كريحان الغروس تخاله ذوى (١) بعد اشراق يسر وطيب
أصيب بني حين أورق غصنه وألقى على الهم كل قريب
عجبت لاسراع المنية نحوه وما كان لو مليته (٢) بعجيب

قيل : رفع غلام بشار اليه فى حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم فصاح بشار وقال : والله ماسمع بأعجب من هذا ، جلاء مرآة أعمى عشرة دراهم ! والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم فى ظلمة مابلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم — وحضر بشار باب محمد بن سليمان (٣) فقال له الحاجب : اصبر قال : الصبر لايكون الا عن ثلاثة ، فقال الحاجب : انى أظن وراء قولك هذا شرا، ولن أتعرض اليك ، قم فادخل ، وقال هلال (٤) ابن عطية لبشار — وكان صديقا له — يمازحه : ان الله عز وجل لم يذهب بصر أحد الا عوضه شيئا ، فما عوضك ؟ قال : الطويل العريض ، قال : وماهو ؟ قال : ألا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ، ثم قال له ياهلال : أتطيعنى

---

(١) ذوى : ذبل ويبس وجف « أحمد يوسف نجاتى » (٢) أى متعت به ملاأى دهرا طويلا (٣) هو الأمير محمد ابن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ابن عم المنصور ، كان أمير البصرة وفارس وتوفى سنة ١٧٣ وكان الرشيد يبالغ فى تعظيمه واكرامه (٤) لا أعرف معاصرا لبشار يسمى هلالا الا أبا العلاء هلال بن خباب العبدى البصرى المتوفى سنة ١٤٤ — وفى بعض النسخ وكذا فى الأغانى : هلال الرأى — وأنا فى ريبة من ذلك ان كان تاريخ وفاته سنة ٢٤٥ كما تقول كتب التراجم — وهو هلال بن يحيى بن مسلم البصرى ، أخذ الفقه عن صاحبى أبى حنيفة أبى يوسف المتوفى سنة ١٨٢ وزفر المتوفى سنة ١٥٨ ولا أكاد أصدق أن من يأخذ عن زفر يتوفى سنة ٢٤٥ الا اذا عمر طويلا ؛ وقال ابن حجر فى لسان الميزان انه توفى سنة ٢٤٥ ثم قال : وفى الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى « هلال الرأى هو هلال بن عطية » وذكر له قصة مع بشار بن برد ، فهذا يدل على أنه متقدم جدا لأن بشارا قتل فى زمن المهدى . « أحمد يوسف نجاتى »

على القبر قليب لقلب ترابه كذلك ، وجمعه أقلبة وقلب

فى نصيحة أخصك بها ؟ قال : نعم ، قال : انك كنت تسرق الحمير زمانا ثم تبت وصرت رافضيا ، فعد الى سرقة الحمير فهى والله خير لك من الرفض ، وكان هلال يستثقل وفيه يقول بشار :

وكيف يخف لى بصرى وسمعى   وحولى عسكران من الثقال

قعودا عند دسكرتى(١) وعندى   كأن لهم على فضول مال

اذا ما شئت صبحنى هلال   وأى الناس أثقل من هلال ؟

وقد قيل : إن الذى خاطب بشارا بهذه المخاطبة هو ابن سيابة (٢) قال: يابن سيابة : لو نكح الأسد مافترس ، قال : وكان يتهم بالأبنة . وقالت امرأة لبشار : ماأدرى لم يهابك الناس مع قبح وجهك ؟ فقال بشار : أليس من قبحه يهاب الأسد ؟ وقال محمود الوراق (٣) : أتينا بشارا فأذن لنا ، فدخلنا والمائدة موضوعة بين يديه ولم يدعنا إلى طعامه ، فلما أكل

---

(١) الدسكرة بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهى ، قال يزيد بن معاوية ، وقيل الأخطل :

فى قباب عند دسكرة   حولها الزيتون قد ينعا

والدسكرة أيضا بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم والحشم «العزبة» وهو لفظ فارسى معرب عن : دست كره ، بمعنى الشىء الذى مع أفراده التامة ، وكره : بيت الخان والمدرسة (٢) ابراهيم بن سيابة من موالى بنى هاشم كان شاعرا من متوسطى شعراء عصره غير نابه الذكر ولا شريف الشعر ، وانما اختص بمودته ومدائحه ابراهيم الموصلى وابنه اسحق فكانا يتغنيان بشعره ويشيدان بذكره ويذكرانه للخلفاء والوزراء والأمراء ، فيكون ذلك سببا لنيله الصلات والمنافع ، وكان ماجنا خليعا مستهترا حسن الفكاهة مليح النادرة (٣) الذى فى الأغانى أن محمودا الوراق يروى عن داود بن رزين ، فداود هوالذى زار بشارا لامحمود، وهو

دعا بطشت فكشف عن سوءته وبال ، ثم حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم يصل ، فدنونا منه وقلنا له : أنت أستاذنا وقد رأينا منك أشياء أنكرناها ، قال : وماهى ؟ قلنا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا اليه ، قال : إنما أذنت لكم (١) لتأكلوا ، ولو لم أرد ذلك لما أذنت لكم ، قال . ثم ماذا ؟ قلنا : ودعوت بالطشت ونحن حضور فبلت ونحن نراك ، قال : أنا مكفوف وأنتم بصراء ، وأنتم المأمورون بغض الأبصار دونى ، قال ثم ماذا ؟ قلنا حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم تصل ، قال : إن الذى يقبلها تفاريق يقبلها جملة . وقال أبو أيوب الجرمى (٢) : قعد الى جنب بشار رجل فاستثقله فضرط ضرطة ، فظن الرجل أنها أفلتت منه ، ثم ضرط أخرى فقال : أفلتت ، ثم ضرط ثالثة ، فقال : ياأبا معاذ ماهذا ؟ قال : مه ! أرأيت أم سمعت ؟ قال : بل سمعت ، قال : فلا تصدق حتى ترى . وقيل : إن امرأة قالت لبشار : أى رجل أنت لو كنت أسود الرأس واللحية ! فقال بشار : ألم تعلمى أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان (٣) ؟ قالت له : أما قولك فحسن فى السمع ، فمن لك بأن يحسن شيبك فى العين كما حسن فى السمع ! فكان بشار يقول : ما أفحمنى قط إلا هذه المرأة .

الظاهر فان محمودا الوراق توفى سنة ٢٣٠ ويظهر أنه كان فى عصر بشار طفلا أو حدثا صغيرا لأن بشارا قتل سنة ١٦٨ — هذا وأكثر شعر محمود الوراق فى الزهد والمواعظ والحكم — أما داود بن رزين ، فأظنه داود بن رزين بن سليمان الخزاعى عم دعبل وأخا أبى الشيص محمد بن رزين بن سليمان المتوفى سنة ١٩٦ (١) أى بدخول البيت (٢) فى الأغانى . أخبرنا أبو أيوب عن الحرمازى ، ولعل الأصل كذلك فان هذه النسخة الخطية كثيرة الزلل والسقط جمة التصحيف والتحريف أقاسى جهدا فى علاجها واصلاحها (٣) منه أخذ البحترى قوله فى تحسين الشيب من قصيدة جيدة :

و بياض البازى أصدق حسنا   ان تأملت من سواد الغراب

وَكَانَ يَمْدَحُ الْمَهْدِيَّ بْنَ الْمَنْصُورِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرُمِيَ عِنْدَهُ بِالزَّنْدَقَةِ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ ، فَضُرِبَ سَبْعِينَ سَوْطًا ، فَمَاتَ

وقال بعض الشعراء : أتيت بشارا وبين يديه مائتا دينار (١) ، فقال لى : خذ منها ماشئت ، أو تدرى ما سببها ؟ قلت لا ، قال : جاءنى فتى فقال . أأنت بشار ؟ قلت نعم ، فقال لى : كنت آليت أن أدفع اليك مائة دينار ، وذلك أنى عشقت امرأة ، وجئت اليها وكلمتها فلم تلتفت الى ، فهممت بأن أتركها ، ثم ذكرت قولك (٢) :

لا يؤنسنك من مخبأة قول تغلظه وإن جرحا

عسر النساء الى مياسرة والصعب يمكن بعدما جمحا

فعدت اليها ولازمتها فلم أرجع حتى بلغت حاجتى . ولما بلغ المهدى هذه الأبيات استدعاه ، فلما قدم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إياه — وكان المهدى غيورا — فغضب وقال : تلك أمك ياعاض كذا وكذا من أمه (٣) ، أتحض الناس على الفجور وتقذف المحصنات المخبآت ! والله لئن قلت بعد هذا بيتا واحدا فيه تشبيب لآتين على نفسك ، ولم يحظ بشىء منه .

---

(١) فى بعض المراجع «مائتا درهم» ولعله أظهر ، فحسب بشار أن يكافأ على أبياته المغرية بمائتى درهم ، ولم يكن بشار من الجود بحيث يبيح لأحد الناس أن ينهب مايشاء من مائتى دينار (٢) من قطعة أولها :

قاس الهموم تنل بها نجحا والليل ان وراءه صبحا

(٣) كنى عما صرح به المهدى فى سب بشار وتحقيره — والبظر هنة تقطعها الخافضة من عضو التأنيث للمرأة عند الختان — والعرب تطلق هذا اللفظ فى معرض الذم « أحمد يوسف نجاتى »

مِنْ ذَلِكَ فِي الْبَطِيحَةِ(١) بِالْقُرْبِ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَجَاءَ بَعْضُ أَهْلِهِ فَحَمَلَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَدَفَنَهُ بِهَا ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَقِيلَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ ، وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى تِسْعِينَ سَنَةً ، - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَيُرْوَى عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُفَضِّلُ النَّارَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيُصَوِّبُ رَأْىَ إِبْلِيسَ فِي امْتِنَاعِهِ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ(٢) وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الشِّعْرِ فِي تَفْضِيلِ النَّارِ عَلَى الْأَرْضِ قَوْلُهُ :

الْأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مُشْرِقَةٌ
وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ

وَقَدْ رُوِىَ أَنَّهُ فُتِّشَتْ كُتُبُهُ فَلَمْ يُصَبْ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا كَانَ يُرْمَى بِهِ ، وَأُصِيبَ لَهُ كِتَابٌ فِيهِ : إِنِّي أَرَدْتُ

---

(١) البطيحة أرض واسعة بين واسط والبصرة كان الماء ينبطح فيها ويعمها، وقد كان فى المواضع العالية التى لا يصل اليها الماء منها قوم من العمال والصيادين والملاحين بنوا فيها قرى وزرعوها أرزا (٢) وفى ذلك يقول :

إبليس خير من أبيكم آدم فتنبهوا يامعشر الفجار
إبليس من نار ، وآدم طينة والأرض لا تسمو سمو النار

ومازاد على أن تمسك بنظرية إبليس الفاسدة ، وهى ماحكاه تعالى عنه بقوله « قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » وقد تقدم

هِجَاءَ آلِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ — رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ — (١) ، فَذَكَرْتُ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمْسَكْتُ عَنْهُمْ ، وَٱللهُ أَعْلَمُ بِحَالِهِ .

وَقَالَ ٱلطَّبَرِيُّ فِي تَارِيخِهِ : كَانَ سَبَبَ قَتْلِ ٱلْمَهْدِيِّ لِبَشَّارٍ أَنَّ ٱلْمَهْدِيَّ وَلَّى صَالِحَ بْنَ دَاوُدَ أَخَا يَعْقُوبَ بْنِ دَاوُدَ وَزِيرِ ٱلْمَهْدِيِّ وِلَايَةً (٢) فَهَجَاهُ بَشَّارٌ بِقَوْلِهِ لِيَعْقُوبَ :

هُمُو حَمَلُوا فَوْقَ ٱلْمَنَابِرِ صَالِحًا
أَخَاكَ ، فَضَجَّتْ مِنْ أَخِيكَ ٱلْمَنَابِرُ

فَبَلَغَ يَعْقُوبَ هِجَاؤُهُ ، فَدَخَلَ عَلَى ٱلْمَهْدِيِّ وَقَالَ لَهُ

---

(١) هو عم المنصور والسفاح ، وكان أميرا جوادا ممدحا ، وولى امرة البصرة من قبل السفاح سنة ١٣٣ ولاه البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان ، وحج بالناس سنة ١٣٥ ، وولى الموصل أيضا سنة ١٣٧ وحج بالناس فيها ، وفى سنة ١٣٩ ولى المنصور ما كان الى عمه سليمان بن علي من عمل البصرة سفيان ابن معاوية ، وتوفى سليمان بالبصرة سنة ١٤٢ عن ٥٩ سنة ومن أولاد سليمان محمد ولاه المنصور البصرة سنة ١٤٦ وجعفر وكان واليا على المدينة سنة ١٤٦ أيضا ، وولى محمد الكوفة وأعمالها سنة ١٤٧ وعزل جعفر عن المدينة سنة ١٥٠ ، وعزل أخوه محمد عن الكوفة سنة ١٥٢ (٢) ولاه البصرة وأعمالها — وستأتى ترجمة يعقوب وأخباره « أحمد يوسف نجاتى »

رد هذا الرأى القائل وهدم الشعراء هذه النظرية الداحضة

إِنَّ بَشَّارًا هَجَاكَ ، قَالَ : وَيْلَكَ ! مَاذَا قَالَ ؟ قَالَ : يُعْفِينِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذٰلِكَ ، فَقَالَ : لَا بُدَّ ، فَأَنْشَدَهُ :

خَلِيفَـــةٌ يَزْنِي بِعَمَّاتِهِ
يَلْعَبُ بِالدَّبُّوقِ(١) وَالصَّوْلَجَانْ

(١) الدبوق: لعبة كانت للصبيان ، والصولجان : المحجن ، وهى عصا يعطف طرفها تضرب بها الكرة على الدواب منعطفة الرأس ـ ومنه صولجان الملك وهو لفظ فارسى معرب عن « چوكان » وموسى يريد به الهادى وهو ابن المهدى ، وأمه الخيزران توفيت سنة ١٧٣ وقد كانت أمة أم ولد ثم أعتقها المهدى وتزوجها سنة ١٥٩ وقد كانت ـ و بخاصة فى عصر ابنها الرشيد ـ مالكة زمام التصرف وهى الناظرة فى الأمور ، وكان الوزير يحيي ابن خالد البرمكى يعرض عليها و يصدر عن رأيها . وقد يصح ـ وان كان بعيدا ـ أن يراد بموسى الأداة المعروفة. وأقول قاتل الله بشارا هلا هجا المهدى بغير ذلك الكذب المفحش والبهتان المقذع ، ولكن لا لوم عليه فقد خرب مكان الحياء من وجهه ، وكل اناء بالذى فيه ينضح ، فبشار انما يغرف من ماعونه ، ومابهت المهدى به انما هو دأب الزنادقة فى عصره و بشار منهم ـ أباحوا نكاح العمات ، بل الأمهات والبنات ، وكم كانت لهم مخاز سطرها التاريخ بما سود صفحاتهم ، ولولا أمير المؤمنين المهدى وابنه موسى الهادى لطغى شرهم فأفسدوا الأخلاق ونشروا الفوضى ودنسوا الأعراض ووسموا وجه التاريخ بميسم خزى لا يزول عاره ولا يمحى شناره ـ ولو كان لهم رأى معقول أو عقيدة اعتنقوها بعد تمحيص ودقة نظر واعمال فكر وتحكيم عقل لقلنا انها الآراء يجب أن تكون حرة مطلقة من عقالها ، وان اثم كتمانها والحجر عليها أكبر من نفعه ، ولكنها كانت ثورة هوجاء جامحة على الدين والأخلاق قام بها جماعة من الفرس

أَبْدَلَنَا اللهُ بِهِ غَيْرَهُ
وَدَسَّ مُوسَى فِي حِرِ الْخَيْزُرَانْ

الذين يبطنون الكفر و يظهرون الاسلام حقنا لدمائهم وسترا لخبثهم، يريدون أن يثأروا بها لمجوسيتهم التى طهر دين الله الدنيا منها ، وقلدهم فيها تقليدا أرعن طائشا فئة ضالة جاهلة يرجعون ـ مع الأسف ـ الى أصل عربى . وجدوا فيها ارضاء لشهواتهم ، واطلاقا لعنان لذاتهم ، واباحة متهتكة يشبعون بها نهمات أنفسهم، فكانوا يرسلون أنفسهم كالحيوان الأعجم ترتع ماتشاء فى حمى غير مباح ، وكلأ وخيم المرتع، وبىء المرتبع، لايردعهم وازع من دين ، ولايزجرهم ناه من عقل ، ولا يصدهم عن أدناسهم صوت ضمير حى يستجيبون لندائه ، ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، بل ظلوا يعمهون فى ضلالهم، ويجرون فى غيهم أرسانهم وسيوف خليفة الله تتلمظ لهم، وتصدى للنهل من دمائهم، فجردها فيهم وتقرب الى الله بالقضاء عليهم ، حتى أخذهم ربك أخذ عزيز مقتدر ، فتنفست الأخلاق الفاضلة الصعداء وقد استراحت من رؤسائهم وهم قرون الفتنة الناجمة وجرثومتها المعدية ، ولكن أراد تمحيص الله وابتلاؤه أن يبقى للأفعى رأس لم يعن فى شدخه كان خفيا فظهر أثره سيئا فيما بعد، فلم تخل الأرض من هذه الثلة الضالة يحاولون أن ينالوا من دين الفطرة، فلم يضره أن تعاووا ينبحون منه القمر ، و يقذفون بحره الزاخر بحجر ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ـ ونرجو أن نصدر رسالة وافية نتكلم فيها عن الزندقة والزنادقة وتاريخهم وحوادثهم منذ ظهور سخفهم فى الدولة العربية الى اليوم و بيان آثار ذلك فى اللغة وآدابها ان شاء الله « أحمد يوسف نجاتى »

فَطَلَبَهُ ٱلْمَهْدِيُّ(١) ، فَخَافَ يعقُوبُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ

(١) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

وأنشدها فى حلقة يونس النحوى (١) ، فسعى به الى يعقوب بن داود — وكان بشار قدهجاه ، فقال — :

بنى أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا خليفة الله بين الناى والعود (٢)

فدخل يعقوب على المهدى فقال : ياأمير المؤمنين : إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجاك ، قال : بأى شىء ؟ قال : بما لاينطق به لسانى ولايتوهمه فكرى ، قال بحياتى أنشدنى إياه ، فقال : والله لو خيرتنى بين إنشادى إياه وضرب عنقى لآثرت ضرب عنقى ، فحلف عليه المهدى بالايمان المغلظة التى لافسحة له فيها أن يخبره ، قال : أما لفظا فلا ، ولكنى أكتب ذلك (٣) ، فكتبه ودفعه اليه ، فكاد ينشق غيظا ، وعمل على الانحدار إلى البصرة للنظر فى أمرها ، وما وكده (٤) غير بشار ، فانحدر ، فلما بلغ البطيحة سمع أذانا فى ضحى النهار ، فقال : انظروا ماهذا الأذان ، فاذا بشار يؤذن سكران ، فقال له : يازنديق ياعاض بظر أمه عجبت أن يكون هذا غيرك ، أتلهو بالأذان فى غير وقت الصلاة وأنت سكران؟

(١) ستأتى ترجمته (٢) يقولون ان يعقوب زين للمهدى اللهو واستأثر هو بالملك وشؤونه يأمر فيه وينهى والدنيا كلها فى يديه حتى لقد أرسل الى الزيدية وكان يميل اليهم فأتى بهم من كل أوب وولاهم من أمور الخلافة فى المشرق والمغرب كل جليل وعمل نفيس ، ولذلك قال بشار هذين البيتين « أحمد يوسف نجاتى » (٣) انظر الى عمل يعقوب وكيف استثار رغبة المهدى الشديدة فى وقوفه على ماهجى به ، وأظهر له فظاعة جرم المقدم عليه لتكون النكاية به أشد (٤) أى قصده وهمه « أحمد يوسف نجاتى »

ثم دعا بأبى نهيك (١) وأمره بضربه بالسوط ، فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطا أتلفه فيها ، فكان اذا أصابه السوط وأوجعه يقول : حس حس — وهى كلمة تقولها العرب للشىء اذا أوجع (٢) ، فقال بعضهم : انظر الى زندقته ياأمير المؤمنين ، يقول حس ولايقول باسم الله ، فقال : ويلك ! أطعام هو فأسمى عليه ؟ فقال له آخر : أفلا قلت الحمد لله ؟ قال : أو نعمة هى فأحمد الله عليها ؟ ! انما هى بلية أتوجع منها ، فلما ضربه سبعين سوطا بان الموت فيه ، فألقى فى سفينة فقال : ليت عين أبى الشمقمق (٣) ترانى حيث يقول :

إن بشار بن برد تيس اعمى فى سفينه (٤)

---

(١) لعله عثمان بن نهيك وكان يتولى الشرطة وأصيب بالهاشمية فى واقعة الراوندية سنة ١٤١ فولى المنصور مكانه على الحرس أخاه عيسى « أحمد يوسف نجاتى » (٢) كلمة يقولونها عندالألم ، وقال الجوهرى : قولهم ضربه فما قال حس ، هذه يقولها الانسان اذا أصابه عفلة ما أمنه وأحرقه كالجمرة والحزة اهـ — قلت ومنه قولهم : حسحس له : اذا توجع وتشكى ،وحس البرد النبات أى أحرقه (٣) اسمه مروان بن محمد مولى مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية وهو شاعر خليع هجاء ، ومن قوله فى الممزق يهجوه :

كنت الممـزق مرة فاليوم قد صرت الممزق

لما جريت مع الضـلا ل غرقت فى بحر الشمقمق

والشمقمق فى اللغة هو الطويل أو النشيط (٤) العرب تضرب المثل فى النتن والغباوة بالتيس و تقول ان جميع بدنه منتن كالأبط وريح حسمه اليها ينتهى المثل . وقال شاعرهم :

لا أبالى أنب بالحزن تيس أم هجانى بظهر غيب لئيم

فاذا أرادوا المبالغة فى الوصف بالغباوة والبلادة قالوا : هو تيس فى سفينة، وزاد بشار عـلى ذلك أنه أعمى ، فقد جمع أسباب الغفلة كلها، وكانت العرب اذا مدحت قالت هو كبش القوم ، واذا هجوا قالوا : انما هو تيس

ولما مات ألقيت جثته فى البطيحة فى موضع يعرف بالخرارة (١) فحمله الماء فأخرجه الى دجلة البصرة، فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة لدفنه قال النوفلى (٢) : فأخرجت جنازته فما تبعه إلا أمة سوداء سندية عجماء رأيتها خلف جنازته تصيح: واسيداه !ماتفصح. ولما نعى لأهل البصرة تباشر عامتهم وهنأ بعضهم بعضا ، وحمدوا الله وتصدقوا لما كانوا قد بلوا به من لسانه (٣)

يريدون أنه نتن غبى ، وقال عمرو بن العاص للشيخ الجهنى المعترض عليه فى شأن الحكمين : وماأنت والحكمين ياتيس جهينة ؟! وقال بعضهم : مما فضل الله به عز وجل الكبش أن جعله مستور العورة من قبل ومن دبر ، ومما أهان الله به التيس أن جعله مهتوك الستر مكشوف الدبر والقبل ، وقال الشاعر :

وما العى الا التيس يعبر بوله   عليه و يهذى فى لبان وفى نحر

فالتيس كالكلب يفرح ببوله فيردحاق خيشومه، قال الجاحظ :وذكورة كل جنس أتم حسنا من اناثها، وربما لم يكن للاناث شىء من الحسن وتكون الذكورة فى غاية الحسن كالطواويس والتداريج واناثها، وربما كن دون الذكورة ولهن من الحسن مقدار كانات الداريج والقبج والدجاج والحمام والوراشين وأشباه ذلك ، والتيوس قبيحة جدا ، وزاد فى قبحها حسن الصفايا «أى الأناث» اه والخلاصة أن بشار بن برد لما كان تيسا أعمى فى سفينة كان الغاية فى الغفلة والغباوة والنتن والقبح، وأنت تعرف أثر سب المرء الآن بأنه تيس ومقدار غضبه من ذلك والمعانى التى تفهم منه ، «أحمد يوسف نجاتى» (١) الخرارة موضع قرب السيلحون «والسيلحون» قرب الحيرة ضاربة فى البر قرب القادسية بينها و بين الكوفة — و بذلك ختمت حياة بشار وكانت نهايتها أن ألقى فى « الخرارة » (٢) النوفلى هو على بن محمد (٣) قال أبو هشام الباهلى الشاعر البصرى فى قتل بشار:

يابؤس ميت لم يبكه أحد   أجل ولم يفتقده مفتقد

وقال محمد بن الحجاج (١) : كنا مع بشار فأتاه رجل فسأله عن رجل ذكره له ، فجعل بشار يفهمه ولا يفهم ، فأخذه بيده وقام يقوده الى منزل الرجل وهو يقول :

أعمى يقود بصيرا لا أبا لكم قدضل من كانت العميان تهديه

حتى صار به الى منزل الرجل ثم قال له : هذا هو منزله ياأعمى . ولما سمع بشار قول العباس بن الأحنف :

لما رأيت الليل سد طريقه عنى وعذبنى الظلام الراكد
والنجم فى كبد السماء كأنه أعمى تحير ماله قائد

قال : قاتل الله هذا الغلام ! مارضى أن جعله أعمى حتى جعله بلا قائد(٢).
ومن شعره أيضا (٣) :

لا أم أولاده بكته ولم يبك عليه لفرقة ولد
ولا ابن أخت بكى ولا ابن أخ ولا حميم رقت له كبد
بل زعموا أن أهله فرحا لما أتاهم نعيه سجدوا

(١) فى الأغانى محمد بن الحجاج السوارانى ، ولعله منسوب الى سوارية وهى محلة بالكوفة ، وفى بعض المراجع « السوادى »

(٢) و بعد بيتى العباس بن الأحنف :

ناديت من طرد الرقاد بنومه عما أكابد وهو خلو هاجد
ياذا الذى صدع الفؤاد بصده أنت البلاء طريفه والتالد
ألفت بين جفون عينى فرقة فالى متى أنا ساهر ياراقد

وهى من قصيدة عدتها عشرون بيتا تفيض رقةوسلاسة شأن شعر العباس ابن الأحنف (٣) أول هذه القطعة :

كأن فؤاده كرة تنزى حذار البين ان نفع الحذار
يروعه السرار بكل أمر مخافة أن يكون به السرار
كأن جفونه سملت بشوك فليس لنومه فيها قرار

وتنزى أى تتوثب وتضطرب ، والسرار المسارة والمناجاة ، وسملت أى كحلت أو فقئت « أحمد يوسف نجاتى »

فَيَمْدَحَهُ فَيَعْفُو عَنْهُ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَنْ أَلْقَاهُ فِي الْبَطِيحَةِ .
وَيَرْجُوخُ بِفَتْحِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَسُكُونِ الرَّاءِ
وَضَمِّ الْجِيمِ وَبَعْدَ الْوَاوِ السَّاكِنَةِ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ . وَالْعُقَيْلِيُّ
بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ
تَحْتِهَا وَبَعْدَهَا لَامٌ ، هٰذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ (١) ،

أقول وليلتي تزداد طولا ... أما والليل بعدهم نهار
جفت عيني عن التغميض حتى ... كأن جفونها عنها قصار

وكان النساء المتظرفات يدخلن الى بشار فى كل جمعة يومين ويجتمعن عنده ويسمعن شعره ، فسمع كلام امرأة منهن فعلقها قلبه ، وراسلها يسألها أن تواصله ، فقالت المرأة لرسوله : قل له أى معنى فيك لى أو فى لك وأنت أعمى لاترانى فتعرف حسنى ومقداره ؟ وأنت قبيح الوجه فلاحظ لى فيك ؟ فليت شعرى لأى شىء تطلب وصالى ؟! وجعلت تهزأ به فى المخاطبة ، فلما أدى الرسول الرسالة قال بشار :

وكاعب قالت لأترابها ... ياقوم ماأعجب هذا الضرير (١)
هل يعشق الانسان مالايرى ؟! ... فقلت — والدمع بجفنى غزير —
إن كان طرفى لايرى شخصها ... فانها قد صورت فى الضمير

(١) وكان بشار وأمه لرجل من الأزد ، فتزوج امرأة من بنى عقيل فساق اليها بشارا وأمه فى صداقها ، ثم أعتقته العقيلية ، وقيل فيه غير ذلك — وله يفتخر بولاء بنى عقيل :

انى من بنى عقيل بن كعب ... موضع السيف من طلى الأعناق

الطلية الأصل كالطلاة وجمعها طلى « بضم الطاء فى الجميع »

---

(١) الكاعب الفتاة التى بدا ثديها للنهود ، والأتراب جمع ترب وهى من ولدت معها وكانت فى سنها ، وهن لدات أيضا . « أحمد يوسف نجاتى »

وَهِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ . وَالْمُرَعَّثُ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ الْمَفْتُوحَةِ وَبَعْدَهَا ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ ، وَهُوَ الَّذِي فِي أُذُنِهِ رِعَاثٌ ، وَالرِّعَاثُ الْقِرَطَةُ(١) وَاحِدُهَا رَعْثَةٌ ، وَهِيَ الْقُرْطُ(٢) ، لُقِّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ مُرَعَّثًا فِي صِغَرِهِ ، وَرَعَثَاتُ الدِّيكِ : اللَّحْمُ الْمُتَدَلِّي أَسْفَلَ حَنَكِهِ(٣) وَالرَّعْثُ الِاسْتِرْسَالُ وَالتَّسَاقُطُ ، وَكَأَنَّ اسْمَ الْقِرَطَةِ اشْتُقَّ مِنْهُ ، وَقِيلَ فِي تَلْقِيبِهِ بِذَلِكَ غَيْرُ هَٰذَا(٤) ، وَهَٰذَا أَصَحُّ ،

---

(١) جمع قرط وهو الحلق يعلق فى شحمة الأذن ، وجمعه أقراط وقراط وقروط ، وقرطة « كقردة » (٢) ويجمع أيضا على رعثة كقرطة — وقال النمر :

وكل خليل عليه الرعا ث والحبلات كذوب ملق

(٣) رعثة الديك العثنون الناتئ تحت منقاره وهو لحيته ، يقال صاح ذو الرعثات ، وديك مرعث ، قال الأخطل يصف ديكا :

ماذا يؤرقنى والنوم يعجبنى من صوت ذى رعثات ساكن الدار
كأن حماضة فى رأسه نبتت من آخر الليل قد همت بإثمار

وقال آخر :

سقيت أبا المصرع اذ أتانى وذو الرعثات منتصب يصيح
شراب يهرب الذبان منه ويلثغ حين يشربه الفصيح

(٤) فقيل سمى المرعث لقوله :

قال ريم مرعث ساحر الطرف والنظر
لست والله نائلى قلت أو يغلب القدر

وَطُخَارُسْتَانُ بِضَمِّ الطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ رَاءٌ مَضْمُومَةٌ وَبَعْدَهَا سِينٌ سَاكِنَةٌ مُهْمَلَةٌ ثُمَّ تَاءٌ مُثَنَّاةٌ مِنْ فَوْقِهَا وَبَعْدَ الْأَلِفِ نُونٌ ، وَهِيَ نَاحِيَةٌ كَبِيرَةٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى بُلْدَانٍ وَرَاءَ نَهْرِ بَلْخٍ عَلَى جَيْحُونَ ، خَرَجَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ .

***

بشر بن الحارث «المعروف بالحافى»

« أَبُو نَصْرٍ بِشْرُ بْنُ الْحَرِثِ* بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَطَاءِ ابْنِ هِلَالِ بْنِ مَاهَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، وَكَانَ اسْمُ عَبْدِ اللهِ

أنت ان رمت وصلنا فانج، هل تدرك القمر!؟

وقيل سمى المرعث لأنه كان لقميصه جيبان جيب عن يمينه وجيب عن شماله ، فاذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه ، واذا أراد نزعه حل أزراره وخرج منه، فشبهت تلك الجيوب بالرعاث لاسترسالها وتدنيها وتساقطها « أحمد يوسف نجاتى »

* ترجم له فى كتاب الأعلام « ج ١ ص ١٤٦ » قال .

هو من كبار الصالحين ، ومن ثقات رجال الحديث ، له فى الزهد والورع أخبار . وأصله من مرو، وسكن بغداد الى أن توفى فيها . قال المأمون : لم يبق فى هذه الكورة أحد يستحيا منه غير هذا الشيخ « بشر بن الحارث »

وله ترجمة أخرى فى كتاب روضات الجنات « ج ١ ص ١٣٢ »

وله ترجمة أخرى فى كتاب طبقات الصوفية مخطوط

بعبور ، وأسلم على يد علىّ بن أبى طالب – رضى الله عنه – المروزىّ المعروف بالحافى ، أحد رجال الطريقة ، رضى الله عنهم » .

كان من كبار الصالحين ، وأعيان الأتقياء المتورعين ، أصله من مرو من قرية من قراها ، يقال لها مابرسام(١) ، وسكن بغداد ، وكان من أولاد الرؤساء والكتاب ، وسبب توبته أنه أصاب فى الطريق ورقة وفيها اسم الله تعالى مكتوب وقد وطئتها الأقدام ، فأخذها واشترى بدراهم كانت معه غالية(٢) فطيب بها

(١) مابرسام « بفتح الباء » كما فى ياقوت، وفى الأصل « ماترسام » بالتاء وكذلك قال ابن الجوزى، ولكن ياقوت أخبر بذلك – ويقال لها أيضا ميم سام ، وبينها وبين مرو أربعة فراسخ (٢) الغالية : طيب مركب من أخلاط ، والجمع غوال، سميت غالية لأنها أخلاط من الطيب تغلى على النار بعضها مع بعض ، وأول من سماها بذلك عبد الملك بن مروان ، وقيل بل معاوية بن أبى سفيان، وذلك أن عبد الله بن جعفر دخل عليه ورائحة الطيب تفوح منه ، فقال له ماطيبك ياعبد الله ؟ فقال مسك وعنبر جمع بينهما دهن بان ، فقال معاوية : غالية ،أى ذات ثمن غال – وقالت حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصارى من قصيدة :

نكحت المدينى اذ جاءنى ... فيالك من نكحة غاليه

له ذفر كصنان التيو ... س أعيا على المسك والغاليه

ٱلْوَرَقَة ، وَجعلَهَا فِي شَقٍّ حَائِطٍ ، فرَأى فِي ٱلنَّوْم كَأَنَّ قَائلًا يقُولُ لَهُ : يا بِشْرُ طَيبتَ ٱسْمِي ، لَأُطَيِّبَنَّ ٱسْمكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ؛ فلمَّا تنَبَّهَ مِنْ نوْمِهِ تاب . وَيُحكَى أَنَّهُ أَتَى بَابَ ٱلْمُعَافَى بْنِ عِمْرَانَ[1] ، فَدَقَّ عَلَيْهِ ٱلْحَلْقَة ، فَقِيلَ : مَنْ ؟ فَقَالَ : بِشْرٌ ٱلْحافِي ، فَقَالَتْ بِنْتٌ مِنْ دَاخِلِ ٱلدَّارِ : لَو ٱشْتَرَيْتَ نَعْلًا بِدَانِقَينَ[2] لَذَهَبَ عَنْكَ ٱسْمُ ٱلْحافِي . وَإِنَّمَا لُقِّبَ بِٱلْحافِي لِأَنَّهُ جَاءَ إِلَى إِسْكَافٍ يَطْلُبُ مِنْهُ شِسْعًا[3] لِإِحْدَى نَعْلَيْهِ ـ وَكَانَ قَدِ ٱنْقَطَعَ ـ فقَالَ لَهُ ٱلْإِسْكَافُ : مَا أَكْثَرَ كُلفَتَكُمْ عَلَى ٱلنَّاسِ ! فَأَلْقَى ٱلنَّعْلَ مِنْ يَدِهِ وَٱلْأُخْرَى مِنْ

قلت أضف هذين البيتين الى ماتقدم فى ترجمة بشار عند هجاء أبى الشمقمق له بقوله « تيس اعمى فى سفينة » وقد قدمنا شيئا مما قيل فى التيس ونتنه (١) هو المعافى بن عمران بن محمد بن عمران أبو مسعود الأزدى الموصلى ، أحد الأعلام وعالم أهل الموصل وزاهدهم ، رحل وطاف البلاد فى طلب العلم والحديث ، وفيه يقول سفيان الثورى : هو ياقوتة العلماء ، فصار ذلك لقبا عرف به ، وقال فيه بشر الحافى : كان محشوا بالعلم والفهم والخير . توفى سنة ١٨٥ (٢) دانقين : مثنى دانق : عيار يساوى سدس دينار أو سدس الدرهم « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) الشسع : أحد سيور النعل الذى يشد الى زمامها ويدخل بين الأصبعين ويدخل طرفه فى الثقب الذى فى صدر النعل المشدود فى الزمام و يسمى قبال

رِجْلِهِ وَحَلَفَ لَا يَلْبَسُ نَعْلًا بَعْدَهَا[١] ، وَقِيلَ لِبِشْرٍ : بِأَيِّ شَيْءٍ تَأْكُلُ الْخُبْزَ ؟ فَقَالَ : أَذْكُرُ الْعَافِيَةَ فَأَجْعَلُهَا إِدَامًا[٢] وَمِنْ دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ شَهَرْتَنِي فِي الدُّنْيَا لِتَفْضَحَنِي فِي الْآخِرَةِ فَاسْلُبْهُ عَنِّي ، وَمِنْ كَلَامِهِ : عُقُوبَةُ الْعَالِمِ فِي الدُّنْيَا أَنْ يَعْمَى بَصَرُ قَلْبِهِ[٣] . وَقَالَ : مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا فَلْيَتَهَيَّأْ

النعل ، وجمعه شسوع وأشساع (١) وقيل بل سمى الحافى لأنه كان فى حداثته يطلب العلم و يمشى فى طلبه خالعا نعله حافيا ،فاشتهر بذلك الاسم ، ور بما كان هذا القول أظهر ،فقد كان بعض الزهاد من العلماء يرى أن طلب العلم « الحديث » أجل أن يمشى اليه الانسان ناعلا ، قال مسعر بن كدام المتوفى سنة ١٥٣ : من طلب الحديث فليتقشف وليمش حافيا ، ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمهما الله على النار » ومن سبيل الله طلب العلم والحديث والتفقه فى الدين ، فرأى بشر أن طالب العلم انما يمشى فى سبيل الله، فأحب أن يغبر قدميه ليحرمهما الله على النار ،تصديقا لوعده صلى الله عليه وسلم اذا اطمأن القلب وحسنت الثقة وخلصت النية ، وقد كان زمانهم يساعد على ذلك لقرب العهد بزمن النبوة وعدم الانغماس فى الترف ، وأصبحنا بخلاف ذلك نجل العلم بطلبه وقد أخذنا لهزينتنا، وظهرنا فى أحسن أزيائنا . « أحمد يوسف نجاتى »(٢) أخذ بعض الزهاد الراضين معنى هذا الكلام فقال:

خبز وماء وظل هذا النعيم الأجل
جحدت نعمة ربى ان قلت انى مقل

ولكن لكل طائفة حال ، ولكل زمان رجال « أحمد يوسف نجاتى »
(٣) فلا يعمل بما يعلم ولا ينتفع بثمرته « أحمد يوسف نجاتى » .

لِلذُّلِّ(١) ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : سَمِعْتُ بِشْرًا يَقُولُ لِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ : أَدُّوا زَكَاةَ هٰذَا الْحَدِيثِ ، قَالُوا : وَمَا زَكَاتُهُ ؟ قَالَ : أَعْمَلُوا مِنْ كُلِّ مِائَتَيْ حَدِيثٍ بِخَمْسَةِ أَحَادِيثَ . وَرَوَى عَنْهُ سَرِيٌّ السَّقَطِيُّ(٢) وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّالِحِينَ — رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ — وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ — وَقِيلَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ — وَمِائَتَيْنِ ، وَقِيلَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ عَاشِرَ الْمُحَرَّمِ وَقِيلَ فِي رَمَضَانَ — بِمَدِينَةِ بَغْدَادَ ، وَقِيلَ بِمَرْوٍ — رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى . وَكَانَ لِبِشْرٍ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ ؛ وَهُنَّ : مُضْغَةُ(٣) ، وَمُخَّةُ ، وَزُبْدَةُ ، وَكُنَّ زَاهِدَاتٍ عَابِدَاتٍ وَرِعَاتٍ ، وَأَكْبَرُهُنَّ مُضْغَةُ مَاتَتْ قَبْلَ مَوْتِ أَخِيهَا بِشْرٍ ، فَحَزِنَ عَلَيْهَا بِشْرٌ حُزْنًا شَدِيدًا ، وَبَكَى بُكَاءً كَثِيرًا ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ ، فَقَالَ : قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَصَّرَ فِي خِدْمَةِ رَبِّهِ

---

(١) لأن من جعلها همه لايسلم أن يريق فى طلبها ماء وجهه (٢) ستأتى ترجمته فى حرف السين، وهناك نبين نسبته الى السقط . «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) المضغة فى اللغة قطعة من لحم أو غيره ، ومنه قيل فى الانسان مضغتان اذا صلحتا صلح البدن: القلب واللسان — والمخ خالص كل شىء وصافيه . والمخة قطعة من المخ وهو نقى العظم « أحمد يوسف نجاتى »

سَلَبَهُ أَنِيسَهُ ، وَهَذِهِ أُخْتِي مُضْغَةُ كَانَتْ أَنِيسَتِي فِي الدُّنْيَا .

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ (١) بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : دَخَلَتِ امْرَأَةٌ عَلَى أَبِي فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنِّي امْرَأَةٌ أَغْزِلُ فِي اللَّيْلِ عَلَى ضَوْءِ السِّرَاجِ ، وَرُبَّمَا طَفِئَ السِّرَاجُ فَأَغْزِلُ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ ، فَهَلْ عَلَيَّ أَنْ أُبَيِّنَ غَزْلَ السِّرَاجِ مِنْ غَزْلِ الْقَمَرِ ؟ فَقَالَ لَهَا أَبِي : إِنْ كَانَ عِنْدَكِ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ فَعَلَيْكِ أَنْ تُبَيِّنِي ذَلِكِ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَنِينُ الْمَرِيضِ هَلْ هُوَ شَكْوَى؟ فَقَالَ لَهَا : إِنِّي أَرْجُو أَلَّا يَكُونَ شَكْوَى ، وَلَكِنْ هُوَ اشْتِكَاءٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، ثُمَّ انْصَرَفَتْ ، قَالَ عَبْدُ اللهِ : فَقَالَ لِي أَبِي : يَا بُنَيَّ مَا سَمِعْتُ إِنْسَانًا قَطُّ يَسْأَلُ عَنْ مِثْلِ مَا سَأَلَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ ، اتْبَعْهَا ، قَالَ عَبْدُ اللهِ فَتَبِعْتُهَا إِلَى أَنْ دَخَلَتْ دَارَ بِشْرٍ الْحَافِي ، فَعَرَفْتُ أَنَّهَا أُخْتُ بِشْرٍ ، فَأَتَيْتُ أَبِي فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الْمَرْأَةَ أُخْتُ بِشْرٍ الْحَافِي ، فَقَالَ أَبِي : هَذَا وَاللهِ هُوَ الصَّحِيحُ ، مُحَالٌ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ إِلَّا أُخْتَ بِشْرٍ الْحَافِي . وَقَالَ عَبْدُ اللهِ أَيْضًا : جَاءَتْ مُخَّةُ أُخْتُ بِشْرٍ

---

(١) تقدم ذكره في ترجمة والده، وفيها أيضا حديث عن بشر الحافي رضي الله عنهم

الْحَافِي إِلَى أَبِي فَقَالَتْ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ رَأْسُ مَالِي دَانِقَانِ أَشْتَرِي بِهِمَا قُطْنًا فَأَغْزِلُهُ وَأَبِيعُهُ بِنِصْفِ دِرْهَمٍ ، فَأُنْفِقُ دَانِقًا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَقَدْ مَرَّ الطَّائِفُ(١) لَيْلَةً وَمَعَهُ مَشْعَلٌ(٢) فَاغْتَنَمْتُ ضَوْءَ الْمَشْعَلِ وَغَزَلْتُ طَاقَيْنِ فِي ضَوْئِهِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ لِلهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيَّ مُطَالَبَةً ، فَخَلِّصْنِي مِنْ هٰذَا خَلَّصَكَ اللهُ تَعَالَى ، فَقَالَ أَبِي : تُخْرِجِينَ الدَّانِقَيْنِ ثُمَّ تَبْقَيْنَ بِلَا رَأْسِ مَالٍ حَتَّى يُعَوِّضَكِ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ ، قَالَ عَبْدُ اللهِ فَقُلْتُ لِأَبِي : لَوْ قُلْتَ لَهَا حَتَّى تُخْرِجَ رَأْسَ مَالِهَا ؟ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ سُؤَالُهَا لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ ، فَمَنْ هٰذِهِ الْمَرْأَةُ ؟ فَقُلْتُ : هِيَ مُخَّةُ أُخْتُ بِشْرٍ الْحَافِي ، فَقَالَ أَبِي : مِنْ هٰهُنَا أُتِيتُ(٣) . وَقَالَ بِشْرٌ الْحَافِي : تَعَلَّمْتُ الْوَرَعَ مِنْ أُخْتِي ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَجْتَهِدُ أَلَّا تَأْكُلَ مَا لِمَخْلُوقٍ فِيهِ صُنْعٌ .

---

(١) الطائف : العسس الذين يدورون حول البيوت ويطوفون بها ليلا لحراستها وحفظها (٢) المشعل : المصباح والقنديل (٣) أى أصبت ، كأنه رضى الله عنه ــ وجد نفسه بالقياس الى بشر وأخواته غير شىء :

***

بشر بن غياث المريسى

« أَبُو عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ بِشْرُ بْنُ غِيَاثِ بْنِ أَبِى كَرِيمَةَ ٱلْمَرِيسِىُّ ٱلفَقِيهُ ٱلْحَنَفِىُّ ٱلْمُتَكَلِّمُ » هُوَ مِنْ مَوَالِى زَيْدِ ٱبْنِ ٱلْخَطَّابِ (١) رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ

أَخَذَ ٱلْفِقْهَ عَنِ ٱلْقَاضِى أَبِى يُوسُفَ ٱلْحَنَفِىِّ (٢) إِلَّا أَنَّهُ ٱشْتَغَلَ بِالْكَلَامِ ، وَجَرَّدَ ٱلْقَوْلَ بِخَلْقِ ٱلْقُرْآنِ (٣) ، وَحُكِىَ عَنْهُ فِى ذَلِكَ أَقْوَالٌ شَنِيعَةٌ ، وَكَانَ مُرْجِئًا (٤) ،

---

(١) هو زيد بن الخطاب العدوى أخو عمر ، أسلم قبله وشهد بدرا والمشاهد كلها مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت معه راية المسلمين يوم اليمامة فقاتل حتى قتل — رضى الله عنه ، ولما جاء نعيه الى عمر بكى وقال : أسلم قبلى واستشهد قبلى (٢) تأتى ترجمته فى حرف الياء (٣) مسألة أثارها المأمون ونالت محنتها كثيرا من العلماء ، وهى مبسوطة فى كتب الملل والنحل والتاريخ والكلام ، ولا طائل تحتها فى الحقيقة . وكان بشر هذا داعية للقول بخلق القرآن — كالمأمون — (٤) المرجئة طائفة من المسلمين يقولون الايمان قول بلا عمل ، كأنهم قدموا القول وأرجأوا العمل أى أخروه لأنهم يرون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا لنجاهم ايمانهم . ويقولون لا تضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، ولهذا يجوز أن يكون الارجاء بمعنى اعطاء الرجاء ، وقيل الأرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة الى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار ، وقيل الارجاء تأخير على رضى الله عنه عن الدرجة الأولى الى

وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ ٱلطَّائِفَةُ ٱلْمَرِيسِيَّةُ مِنَ ٱلْمُرْجِئَةِ ، وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ ٱلسُّجُودَ لِلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ لَيْسَ بِكُفْرٍ وَلَـٰكِنَّهُ عَلَامَةُ ٱلْكُفْرِ ، وَكَانَ يُنَاظِرُ ٱلْإِمَامَ ٱلشَّافِعِيَّ - رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ - وَكَانَ لَا يَعْرِفُ ٱلنَّحْوَ وَيَلْحَنُ لَحْنًا فَاحِشًا ، وَرَوَى ٱلْحَدِيثَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، وَأَبِي يُوسُفَ ٱلْقَاضِي ، وَغَيْرِهِمْ - رَحِمَهُمُ ٱللهُ تَعَالَى - وَيُقَالُ إِنَّ أَبَاهُ كَانَ يَهُودِيًّا صَبَّاغًا بِالْكُوفَةِ(١) ، وَتُوُفِّيَ فِي ذِي ٱلْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ ، وَقِيلَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ بِبَغْدَادَ . وَٱلْمَرِيسِيُّ بِفَتْحِ ٱلْمِيمِ وَكَسْرِ ٱلرَّاءِ وَسُكُونِ

الرابعة ، فعلى هذا تكون المرجئة والشيعة فرقتين متقابلتين – والمرجئة أصناف أربعة ارجع اليها فى الملل والنحل « أحمد يوسف نجاتى »

(١) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

وكان صحب مجوسيا فى سفر ، فقال له بشر : أسلم ، فقال المجوسى : حتى يريد الله ، فقال : قد أراد الله لك وشاءه ، وكأن الشيطان ليس يدعك ، قال : فأنا المجوسى مع أقواهما ، فقطعه وأفحمه . وذكر ابن عوف الكاتب فى كتاب « الأجوبة المسكتة » أن أم بشر المريسى شهدت عند بعض القضاة ، فجعلت تلقن امرأة معها الشهادة ، فقال الخصم للقاضى : ماتراها تلقنها ؟ فقال : ياجاهل ، ان الله يقول : « أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » الآية .

الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَبَعْدَهَا سِينٌ مُهْمَلَةٌ ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى مَرِيسَةَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ بِمِصْرَ[1] ، هَكَذَا ذَكَرَهُ الْوَزِيرُ أَبُو سَعْدٍ[2] فِي كِتَابِ النُّتَفِ وَالطُّرَفِ . وَسَمِعْتُ أَهْلَ مِصْرَ يَقُولُونَ : إِنَّ الْمَرِيسَ جِنْسٌ مِنَ السُّودَانِ[3] بَيْنَ بِلَادِ النُّوبَةِ وَأُسْوَانَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ ، وَكَأَنَّهُمْ جِنْسٌ مِنَ النُّوبَةِ ، وَبِلَادُهُمْ مُتَاخِمَةٌ لِبِلَادِ أُسْوَانَ ، وَتَأْتِيهِمْ فِي الشِّتَاءِ رِيحٌ بَارِدَةٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ يُسَمُّونَهَا الْمَرِيسِيَّ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا تَأْتِي مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ - وَاللهُ أَعْلَمُ - ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ بِخَطِّ مَنْ يَعْتَنِي بِهَذَا الْفَنِّ أَنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ فِي بَغْدَادَ بِدَرْبِ الْمَرِيسِ فَنُسِبَ إِلَيْهِ[4] ، قَالَ : وَهُوَ بَيْنَ نَهْرِ الدَّجَاجِ[5]

---

(١) في ياقوت : مريسة قرية بمصر وولاية من ناحية الصعيد ، اليها ينسب الحمر المريسية وهي من أجود الحمير وأمشاها ، ينسب اليها بشر بن غياث المريسي الخ — وفي التاج قال « مريس » ضبطه غير الصاغاني بالتخفيف « كأمير » من بلدان الصعيد . (٢) أظنه الوزير أبا سعد ابراهيم بن سهل التستري (٣) في تاج العروس : قال أبو حنيفة « الدينوري » مريس أدنى بلاد النوبة التي تلي أرض أسوان ، وهي التي منها بشر بن غياث على الصحيح فتأمل . اهـ (٤) قال ياقوت : وببغداد درب يعرف بدرب المريسي ينسب اليه « أي الى بشر » (٥) نهر الدجاج محلة ببغداد على نهر كان يأخذ من نهر كرخايا قرب الكرخ من الجانب الغربي « ونهر كرخايا كان

وَنَهْرِ ٱلْبَزَّازِينَ ، قُلْتُ : وَٱلْمَرِيسُ[١] فِي بَغْدَادَ هُوَ ٱلْخُبْزُ ٱلرُّقَاقُ يُمْرَسُ بِالسَّمْنِ وَٱلتَّمْرِ ، كَمَا يَصْنَعُهُ أَهْلُ مِصْرَ بِالْعَسَلِ بَدَلَ ٱلتَّمْرِ ، وَهُوَ ٱلَّذِي يُسَمُّونَهُ ٱلْبَسِيسَةَ[٢]

***

بكار بن قتيبة الثقفي

« ٱلْقَاضِي أَبُو بَكْرَةَ بَكَّارُ بْنُ قُتَيْبَةَ بْنِ أَبِي بَرْذَعَةَ ٱبْنِ عُبَيْدِ ٱللّٰهِ بْنِ بِشْرِ بْنِ عُبَيْدِ ٱللّٰهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ نُفَيْعِ ٱبْنِ ٱلْحَرْثِ بْنِ كَلَدَةَ[٣] ٱلثَّقَفِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »

ببغداد يأخذ من نهر عيسى ، و تتفرع منه أنهار كانت تدخل بغداد وتتفرع منه أنهار الكرخ كلها ومنها نهر الدجاج ، وقد زالت أكثر هذه الأنهار

(١) والمريس أيضا التمر الممروس فى الماء أو اللبن ، ومرسه أى نقعه ودلكه

(٢) البسيسة طعام يصنع بأن يلت السويق أو الدقيق بالسمن أو الزيت ثم يؤكل ولا يطبخ - والبسيسة أيضا الخبز يجفف ويدق ويشرب كما يشرب السويق (٣) الحرث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبى سلمة بن عبد العزى ابن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفى مولى أبى بكرة الثقفى طبيب العرب ، مختلف فى صحبته ، وكان مشهورا بالطب لأنه سافر الى فارس وتعلم هناك الطب واشتهر فيه ونال به مالا - وابنه أبو بكرة نفيع بن الحرث صحابى مشهور « وقيل هو نفيع بن مسروح ، والحرث بن كلدة مولاه » تدلى يوم الطائف من الحصن فكناه النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكرة ، روى عنه أولاده عبد الرحمن وعبيد الله ومسلم وعبد العزيز وجماعة غيرهم ، اعتزل يوم

كَانَ حَنَفِيَّ الْمَذْهَبِ ، وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ بِمِصْرَ سَنَةَ
ثَمَانٍ أَوْ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمَائَتَيْنِ ، وَقِيلَ قَدِمَهَا مُتَوَلِّيًا
قَضَاءَهَا مِنْ قِبَلِ الْمُتَوَكِّلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ
جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ[1] ، وَظَهَرَ
مِنْ حُسْنِ سِيرَتِهِ وَجَمِيلِ طَرِيقَتِهِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ ، وَلَهُ
مَعَ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ صَاحِبِ مِصْرَ وَقَائِعُ مَذْكُورَةٌ ،
وَكَانَ يَدْفَعُ لَهُ كُلَّ سَنَةٍ أَلْفَ دِينَارٍ خَارِجًا عَنِ الْمُقَرَّرِ
لَهُ ، فَيَتْرُكُهَا بِخَتْمِهَا وَلَا يَتَصَرَّفُ فِيهَا ، فَلَمَّا دَعَاهُ إِلَى خَلْعِ
الْمُوَفَّقِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ - وَهُوَ وَالِدُ الْمُعْتَضِدِ - مِنْ وِلَايَةِ
الْعَهْدِ امْتَنَعَ الْقَاضِي بَكَّارٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَالْقَضِيَّةُ مَشْهُورَةٌ[2]

الجمل وصفين ، وتوفى سنة ٥٢ - وعبد الله بن أبى بكرة كان أميرا على سجستان من قبل الحجاج ، وتوفى سنة ٧٩ . « أحمد يوسف نجاتى »

(١) وكان القاضى بمصر قبله أبو عمرو الحرث بن مسكين بن محمد بن يوسف المصرى المالكى المتوفى سنة ٢٥٠ . « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

وذلك أن المعتمد على الله بن جعفر المتوكل لما ولى الخلافة سنة ٢٥٦

عقد لأخيه أبى أحمد ولقبه الموفق (١) وأقبل المعتمد على لذاته ، واشتغل عن الرعية ، فغلب على الأمر وقام به أحسن قيام وأتمه . ثم سار المعتمد فى جمادى الآخرة سنة تسع وستين ومائتين يريد مصر بمكاتبة جرت بينه و بين أحمد بن طولون لما كان ابن طولون بدمشق ، فلما بلغ الموفق ذلك وهو فى قتال صاحب الزنج أنفذ عسكرا عليه إسحاق بن كنداج (٢) فرد المعتمد وسلمه الى صاعد بن مخلد (٣) وحجر عليه ، فكتب ابن طولون من دمشق الى أهل الشام أن الموفق نكث بيعة أخيه المعتمد ، وأمر بجمع القضاة والفقهاء والأشراف وسيرهم الى دمشق فاجتمعوا بها ، وخلع الموفق . فان الفقهاء أفتوا بخلعه الا بكار بن قتيبة ، فقال له : أنت أوردت على كتابا من المعتمد أن الموفق ولى عهده ، فأورد على كتابا منه بخلعه ، فقال : هو الآن مقهور مغلوب ، وأنا أحبسك حتى يرد كتابه بالخلع ،

---

(١) فى سنة ٢٥٧ عقد المعتمد لأخيه أبى أحمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن ، ثم على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والأهواز وفارس ، وفى سنة ٢٥٨ عقد له على ديار مصر وقنسرين والعواصم فكان هو المتصرف فى أمور الدولة كلها ، وكان له فيها وبخاصة فى حرب صاحب الزنج بلاء عظيم وأثر يذكر . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) من قواد المعتمد والموفق ، وكان شجاعا مظفرا ، ولى العمل على الموصل وعامة الجزيرة (٣) كان كاتب الموفق ووزيره ، استكتبه سنة ٢٦٥ وقلده جليل الأعمال ، وفى سنة ٢٧٠ سمى صاعد ذا الوزارتين ، وارتفعت منزلته ، ولكن لم يلبث أن لحقه داء وزراء بنى العباس ، ففى سنة ٢٧٢ قبض الموفق على صاعد بمدينة واسط وعلى أسبابه وأهله وانتهب منازلهم وقبض على ابنيه أبى عيسى وأبى صالح ببغداد وعلى أخيه عبدون بسامرا وسلب نعمتهم ، ولابن الرومى فى صاعد مدائح غراء ، وفيه يقول :

كأن أباه حين سماه صاعدا ... درى كيف يرقى للمعالى ويصعد

ثم دار مع الزمان أيضا فهجاه ونال منه . « أحمد يوسف نجاتى » .

فَاعْتَقَلَهُ أَحْمَدُ ، ثُمَّ طَالَبَهُ بِجُمْلَةِ الْمَبْلَغِ الَّذِى كَانَ يَأْخُذُهُ كُلَّ سَنَةٍ ، فَحَمَلَهُ إِلَيْهِ بِخَتْمِهِ — وَكَانَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ كِيسًا — فَاسْتَحْيَا أَحْمَدُ مِنْهُ ، وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ أَخْرَجَهَا ، وَأَنَّهُ يَعْجِزُ عَنِ الْقِيَامِ بِهَا ، فَلِهَذَا طَالَبَهُ . وَلَمَّا اعْتَقَلَهُ أَمَرَهُ أَنْ يُسَلِّمَ

فقيده وحبسه ، واسترجع منه ما كان قد دفعه اليه من جوائزه ، فوجدها فى منزله مختومة ستة عشر كيسا ذهبا ، وولى أحمد بن طولون محمد بن شادان الجوهرى ، ولم يزل بكار محبوسا الى أن اعتل أحمد بن طولون ، فأنفذ اليه رسولا يقول له: أنا أردك الى منزلتك وأحسن منها، فقال بكار للرسول : قل له : شيخ فان وعليل مدنف ، والملتقى عن قريب بين يدى الله والقاضى الله عز وجل (١) ثم مات أحمد بن طولون سنة سبعين ومائتين ، ومات ابنه العباس بعده باثنتى عشرة ليلة ، ومات بكار بعده بأربعين يوما وسنه تسع وثمانون سنة ، وصلى عليه ابن أخيه محمد بن الحسين بن قتيبة وعاش بعد عمه عشر سنين ، ودفن عند مصلى بنى مسكين ، رحمه الله تعالى. ويقال ان قبره معروف باجابة الدعاء . ولما مات أحمد بن طولون قيل لبكار انصرف الى منزلك ، فقال : الدار بأجرة ، وقد حصلت له ، فأقام بها. وجاء أصحاب الدار يطلبون أجرة ما مضى ، فقال بكار على مذهبه: المغصوب لا أجرة عليه ، ولكن أدفع لكم فى المستقبل وليس على فيما مضى أجرة ، لأنى كنت مغصوبا على نفسى .

---

(١) ولما أبلغ الرسول ابن طولون ذلك أطرق ساعة ، ثم أقبل يقول : شيخ فان ، وعليل مدنف ، والملتقى قريب والقاضى الله !! وكرر ذلك الى أن غشى عليه ، ثم أمر بنقله من السجن الى دار اكتريت له .

« أحمد يوسف نجاتى »

الْقَضَاءَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ شَاذَانَ الْجَوْهَرِيِّ ، فَفَعَلَ ، وَجَعَلَهُ كَالْخَلِيفَةِ لَهُ ، وَبَقِيَ مَسْجُونًا مُدَّةَ سِنِينَ ، وَوَقَفَهُ لِلنَّاسِ مِرَارًا كَثِيرَةً ، وَكَانَ يُحَدِّثُ فِي السِّجْنِ مِنْ طَاقٍ فِيهِ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ شَكَوْا إِلَى ابْنِ طُولُونَ انْقِطَاعَ إِسْمَاعِ الْحَدِيثِ مِنْ بَكَّارٍ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ ، فَفَعَلَ ، وَكَانَ يُحَدِّثُ عَلَى مَاذَكَرْنَاهُ . وَكَانَ الْقَاضِي بَكَّارٌ أَحَدَ الْبَكَّائِينَ(١) التَّالِينَ لِكِتَابِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَكَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الْحُكْمِ خَلَا بِنَفْسِهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهَا قِصَصَ جَمِيعِ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَمَا حَكَمَ بِهِ وَبَكَى ، وَكَانَ يُخَاطِبُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ : يَابَكَّارُ ، تَقَدَّمَ إِلَيْكَ رَجُلَانِ فِي كَذَا ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْكَ خَصْمَانِ فِي كَذَا ، وَحَكَمْتَ بِكَذَا ، فَمَا يَكُونُ جَوَابُكَ غَدًا ؛ وَكَانَ يُكْثِرُ الْوَعْظَ لِلْخُصُومِ إِذَا أَرَادَ الْيَمِينَ ، وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى « إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا » إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، وَكَانَ يُحَاسِبُ أُمَنَاءَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَيَسْأَلُ

(١) أى كثيرى البكاء خشية من الله تعالى وخوفا من عذابه .
« أحمد يوسف نجاتى »

عَنِ الشُّهُودِ فى كُلِّ وَقْتٍ(١) . وَ كَانَتْ وِلَادَتُهُ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ ، وَتُوُفِّىَ وَهُوَ بَاقٍ عَلَى الْقَضَاءِ مَسْجُونًا يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ ذِى الْحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ بِمِصْرَ ، وَبَقِيَتْ مِصْرُ بَعْدَهُ بِلَا قَاضٍ ثَلَاثَ سِنِينَ ، وَقَبْرُهُ بِالْقُرْبِ مِنْ قَبْرِ الشَّرِيفِ ابْنِ طَبَاطَبَا(٢) مَشْهُورٌ هُنَاكَ عِنْدَ مُصَلَّى بَنِى مِسْكِينٍ عَلَى الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكُوم بَيْنَهُ وَبَيْنَ الطَّرِيقِ الْمَذْكُورِ مَعْرُوفٌ بِاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ عِنْدَهُ ، وَقِيلَ : كَانَتْ وِلَايَتُهُ الْقَضَاءَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَهُوَ الْأَصَحُّ ، وَقِيلَ : سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ

---

(١) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

قال أبو حاتم بن أخى بكار : قدم على عمى رجل من البصرة له علم و زهادة ونسك ، فأكرمه وقربه وأدناه وذكر أنه كان معه فى المكتب ، ومضت له أيام ، فجاء الرجل فى شهادة ومعه شاهد من شهود مصر ، فما قبل شهادته فقلت لعمى : هذا رجل زاهد وأنت تعرفه ! فقال : يابن أخى ماردت شهادته الا أنه كنا صغارا وكنا على مائدة عليها أرز وفيها حلو ، فنقبت الأرز بأصبعى ، فقال لى : « أخرقتها لتغرق أهلها » فقلت له : أتهزأ بكتاب الله على الطعام ؟ ثم أمسكت عن كلامه مدة ، وما أقدر على قبول قوله وأنا أذكر ذلك منه ، ولم يزل على القضاء الى أن جرى بينه و بين أحمد ماجرى مما سبق ذكره (٢) تقدمت ترجمته . « أحمد يوسف نجاتى »

* * *

أبو بكر بن عبد الرحمن القرشي

« أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحرثِ بْنِ هِشَامِ ابْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ »

أَحَدُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ بِالْمَدِينَةِ ، وَكُنْيَتُهُ اسْمُهُ ، وَعَادَةُ الْمُؤَرِّخِينَ أَنْ يَذْكُرُوا مَنْ كُنْيَتُهُ اسْمُهُ فِي الْحَرْفِ الْمُوَافِقِ لِأَوَّلِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ ، وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ هَهُنَا بَكْرٌ ، فَلِهَذَا ذَكَرْتُهُ فِي الْبَاءِ ، وَمِنَ الْمُؤَرِّخِينَ مَنْ يُفْرِدُ لِلْكُنَى بَابًا . وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الْمَذْكُورُ مِنْ سَادَاتِ التَّابِعِينَ ، وَكَانَ يُسَمَّى رَاهِبَ قُرَيْشٍ ، وَأَبُوهُ الْحرثُ أَخُو أَبِي جَهْلِ ابْنِ هِشَامٍ مِنْ جِلَّةِ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ[1] - وَمَوْلِدُهُ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَتُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ لِلْهِجْرَةِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَهَذِهِ السَّنَةُ تُسَمَّى سَنَةَ الْفُقَهَاءِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَاتَ فِيهَا

(١) وتوفى رضى الله عنه سنة ١٨ فى طاعون عمواس « بناحية الأردن »

جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ ، وَهَؤُلَاءِ ٱلْفُقَهَاءُ ٱلسَّبْعَةُ كَانُوا بِالْمَدِينَةِ فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ ، وَعَنْهُمُ ٱنْتَشَرَ ٱلْعِلْمُ وَٱلْفُتْيَا فِي ٱلدُّنْيَا ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي حَرْفِهِ ، وَنُنَبِّهُ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ - إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى - وَقَدْ جَمَعَهُمْ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ فِي بَيْتَيْنِ فَقَالَ :

أَلَا كُلُّ مَنْ لَا يَقْتَدِي بِأَئِمَّةٍ
فَقِسْمَتُهُ ضِيزَى[1] عَنِ ٱلْحَقِّ خَارِجَهْ
فَخُذْهُمْ ؛ عُبَيْدُ ٱللهِ ، عُرْوَةُ ، قَاسِمٌ
سَعِيدٌ ، أَبُو بَكْرٍ ، سُلَيْمَانُ ، خَارِجَهْ

وَلَوْلَا كَثْرَةُ حَاجَةِ فُقَهَاءِ زَمَانِنَا إِلَى مَعْرِفَتِهِمْ لَمَا ذَكَرْتُهُمْ ، لِأَنَّ فِي شُهْرَتِهِمْ غُنْيَةً عَنْ ذِكْرِهِمْ فِي هَـذَا ٱلْمُخْتَصَرِ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُمُ ٱلْفُقَهَاءُ ٱلسَّبْعَةُ وَخُصُّوا بِهَذِهِ ٱلتَّسْمِيَةِ لِأَنَّ ٱلْفَتْوَى بَعْدَ ٱلصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ -

---

(١) قسمة ضيزى : أى جائرة ناقصة ، وهو « فعلى » « بضم الفاء » من ضازه حقه يضوزه و يضيزه إذا نقصه و بخسه ومنعه ، وضاز فى الحكم إذا جار ، وقد يهمز فعله « ضأز » و يقال ضؤزى وضئزى - وأصل ضيزى بالكسر « ضيزى » بالضم قلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء ، مثل بيض ، وعين « جمع أبيض ، وعيناء » ومثل « الضيق » مؤنث « الأضيق » . « أحمد يوسف نجاتى »

صَارَتْ إِلَيْهِمْ وَشُهِرُوا بِهَا ، وَقَدْ كَانَ فِي عَصْرِهِمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ التَّابِعِينَ ، مِثْلُ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - وَأَمْثَالِهِ ، وَلَكِنِ الْفَتْوَى لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِهَؤُلَاءِ السَّبْعَةِ ، هَكَذَا قَالَهُ الْحَافِظُ السِّلَفِيُّ .

***

بكر بن محمد المازنى

« أَبُو عُثْمَانَ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ - وَقِيلَ بَقِيَّةُ وَقِيلَ عَدِيٌّ - بْنِ حَبِيبٍ الْمَازِنِيُّ الْبَصْرِيُّ النَّحْوِيُّ »

كَانَ إِمَامَ عَصْرِهِ فِي النَّحْوِ وَالْأَدَبِ ، أَخَذَ الْأَدَبَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ (١) وَالْأَصْمَعِيِّ (٢) وَأَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ (٣) وَغَيْرِهِمْ ، وَأَخَذَ عَنْهُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ (٤) ، وَبِهِ انْتَفَعَ ، وَلَهُ عَنْهُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ مَا تَلْحَنُ فِيهِ الْعَامَّةُ ، وَكِتَابُ الْأَلِفِ وَاللَّامِ ، وَكِتَابُ التَّصْرِيفِ ، وَكِتَابُ الْعَرُوضِ ، وَكِتَابُ الْقَوَافِي ، وَكِتَابُ الدِّيبَاجِ عَلَى خِلَافِ كِتَابِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، قَالَ

---

(١) اسمه معمر ، وستأتى ترجمته (٢) عبد الملك ، وتأتى ترجمته (٣) سعيد ابن أوس ، وستأتى ترجمته (٤) تأتى ترجمته فى حرف الميم « أحمد يوسف نجاتى »

أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِىُّ الْحَنَفِىُّ الْمِصْرِىُّ[١] : سَمِعْتُ الْقَاضِىَ بَكَّارَ بْنَ قُتَيْبَةَ قَاضِىَ مِصْرَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ نَحْوِيًّا قَطُّ يُشْبِهُ الْفُقَهَاءَ إِلَّا حِبَّانَ بْنَ هِلَالٍ وَالْمَازِنِىَّ[٢] - يَعْنِى أَبَا عُثْمَانَ الْمَذْكُورَ - وَكَانَ فِى غَايَةِ الْوَرَعِ ، وَمِمَّا رَوَاهُ الْمُبَرِّدُ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الذِّمَّةِ قَصَدَهُ لِيَقْرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ ، وَبَذَلَ لَهُ مِائَةَ دِينَارٍ فِى تَدْرِيسِهِ إِيَّاهُ ، فَامْتَنَعَ أَبُو عُثْمَانَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : - جُعِلْتُ فِدَاكَ - أَتَرُدُّ هَذِهِ الْمَنْفَعَةَ مَعَ فَاقَتِكَ وَشِدَّةِ إِضَاقَتِكَ[٣] ؟ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَثِمِائَةٍ وَكَذَا وَكَذَا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَسْتُ أَرَى أَنْ أُمَكِّنَ مِنْهَا ذِمِّيًّا

---

(١) تقدمت ترجمته فى الهمزة «أحمد يوسف نجاتى» (٢) كانت هذه العبارة فى الأصل ذات سقط وتحريف وفساد ، فقد كانت هكذا « . . . الاحيان ابن هرمة المازنى » وقد أصلحناها بما نعرفه ونحققه ، أما حبان فهو أبو حبيب حبان بن هلال البصرى الحافظ الثقة النحوى الأديب ، روى عن شعبة وطبقته ، وكان إليه المنتهى فى التثبت بالبصرة ، توفى فى شهر رمضان سنة ٢٢٦ « أحمد يوسف نجاتى » . (٣) أضاق الرجل إضاقة إذا ضاق عليه معاشه ، أو ذهب ماله وافتقر «أحمد يوسف نجاتى»

غَيْرَةً عَلَى كِتَابِ اللهِ وَحَمِيَّة[١] لَهُ . قَالَ : فَاتَّفَقَ أَنْ غَنَّتْ جَارِيَةٌ بِحَضْرَةِ الْوَاثِقِ بِقَوْلِ الْعَرْجِيِّ[٢] :

(١) حمى من الشيء «كرضى» وعنه حمية ومحمية إذا أنف منه وداخله عار وأنفة وغيرة أن يفعله، ويصح «حمية» مخففة (٢) العرجى هو ذلك الشاعر الغزل الرقيق عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ولقب العرجى لأنه كان يسكن «العرج» قرية جامعة فى واد من نواحى الطائف، وهى أول تهامة، وبينها وبين المدينة ٧٨ ميلا، وهى فى بلاد هذيل - كان ينحو فى غزله منحى عمر بن أبى ربيعة، فأحسن وأجاد، وكان ذا شغف باللهو والصيد شأن شبان مدن الجزيرة فى عصر بنى أمية الذين وجدوا مالا وشبابا وفراغا، وفتنهم من فتيات العرب السافرات جمال رائق يزينه ظرف حجازى، ونطق عذب بدوى، فجروا فى عنان الصبا شوطا بعيدا، ولكن مع أدب وحياء ورقة وإن كانوا يتفاوتون فى ذلك - وكان العرجى مع هذا فارسا مغوارا وبطلا شجاعا، وله مع مسلمة بن عبد الملك - ذلك القائد المظفر - وقائع حسن فيها بلاؤه، وكفى المهم غناؤه. ثم أقول ليس البيت للعرجى، وإنما هو من قصيدة للحرث ابن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومى، أولها :

أقوى من ال ظليمة الحرم ... فالعيرتان، فأوحش الحطم
فجنوب أبيرة، فملحدها ... فالسدرتان، فما حوى رسم
وبما أرى شخصا به حسنا ... فى القوم اذ تخييله نعم
اذ ودها صاف، ورؤيتها ... أمنية، وكلامها غنم
لفاء ممكور مخلخلها ... عجزاء، ليس لعظمها حجم
خمصانة، قلق موشحها ... رود الشباب، علابها عظم
وكأن غالية تباشرها ... تحت الثياب إذا صغا النجم

أظليم الخ :

أقصيته وأراد سلمكم ... فليهنه إذ جاءك السلم

أَظَلُومُ إِنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلًا   أَهْدَى ٱلسَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

فَاخْتَلَفَ مَنْ كَانَ بِالْحَضْرَةِ فِي إِعْرَابِ « رَجُلًا » فَمِنْهُمْ مَنْ نَصَبَهُ وَجَعَلَهُ اسْمَ إِنَّ ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَفَعَهُ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُهَا ، وَالْجَارِيَةُ مُصِرَّةٌ عَلَى أَنَّ شَيْخَهَا أَبَا عُثْمَانَ الْمَازِنِيَّ لَقَّنَهَا إِيَّاهُ بِالنَّصْبِ ، فَأَمَرَ الْوَاثِقُ بِإِشْخَاصِهِ ، قَالَ أَبُو عُثْمَانَ : فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قُلْتُ : مِنْ بَنِي مَازِنٍ ، قَالَ : أَيُّ الْمَوَازِنِ ؟ أَمَازِنُ تَمِيمٍ ، أَمْ مَازِنُ قَيْسٍ ، أَمْ مَازِنُ رَبِيعَةَ ؟ قُلْتُ : مِنْ مَازِنِ رَبِيعَةَ ، فَكَلَّمَنِي بِكَلَامِ قَوْمِي ، وَقَالَ : بَا اسْمُكَ ؟ لِأَنَّهُمْ يَقْلِبُونَ الْمِيمَ بَاءً وَالْبَاءَ مِيمًا قَالَ : فَكَرِهْتُ أَنْ أُجِيبَهُ عَلَى لُغَةِ قَوْمِي - كَيْلَا أُوَاجِهَهُ بِالْمَكْرِ ، فَقُلْتُ : بَكْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَفَطِنَ لِمَا قَصَدْتُهُ وَأُعْجِبَ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ :

فصواب إنشاد البيت: أظليم الخ بخلاف ما اشتهر خطأ ، وهذه ظليمة التي كان يشبب بها الحرث هي ظليمة أم عمران زوج عبد الله بن مطيع ، مات عنها فتزوجها الحرث بعده ، وسنوفي كلا الشاعرين العرجي والحرث حقه من البحث ، ونترجم لكليهما ترجمة أدبية ضافية في كتابنا الجامع في الأدب العربي الذي نعني بوضعه ، وقد تم منه جزء كبير ، نرجو الله أن يعين على إتمامه « أحمد يوسف نجاتي » .

* أَظُلَيْمُ إِنَّ مُصابَكُمْ رَجُلًا * أَتَرْفَعُ رَجُلًا أَمْ تَنْصِبُهُ ؟
فَقُلْتُ : بَلِ الْوَجْهُ النَّصْبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : وَلِمَ
ذٰلِكَ ؟ فَقُلْتُ : إِنَّ مُصابَكُمْ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى إِصَابَتِكُمْ ،
فَأَخَذَ الْيَزِيدِيُّ(١) فِي مُعَارَضَتِي ، فَقُلْتُ : هُوَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ
إِنَّ ضَرْبَكَ زَيْدًا ظُلْمٌ ، فَالرَّجُلُ مَفْعُولُ مُصَابِكُمْ وَهُوَ
مَنْصُوبٌ بِهِ ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ الْكَلَامَ مُعَلَّقٌ إِلَى أَنْ تَقُولَ
ظُلْمٌ فَيَتِمُّ ، فَاسْتَحْسَنَهُ الْوَاثِقُ ، وَقَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ وَلَدٍ ؟
قُلْتُ : نَعَمْ ؛ بُنَيَّةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : مَا قَالَتْ لَكَ
عِنْدَ مَسِيرِكَ ؟ فَقُلْتُ : أَنْشَدَتْ قَوْلَ الْأَعْشَى(٢) :

أَيَا أَبَتَا لَا تَرِمْ(٣) عِنْدَنَا فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ

---

(١) ستأتى ترجمته فى حرف الياء « يحيى »
(٢) زاد فى النسخة الخطية قبل هذين البيتين بيتا نصه :
تقول ابنتى حين جد الرحيل أرانا سواء ومن قد يتم الخ
(٣) هذه الرواية غير مختارة ، فان ظاهرها ضد المعنى المراد ، والرواية الراجحة التى جاءت فى شعر الأعشى حقا : أبانا فلا رمت من عندنا ، والريم البراح والانتقال ، تقول مارمت المكان ، ومارمت منه ، أى مابرحت وما فارقته وأكثر مايستعمل فى النفى ، ومنه قول قيس بن زهير يرثى حمل بن بدر :
تعلم أن خير الناس ميتا على جفر الهباءة لايريم

أَرَانَا إِذَا أَضْمَرَتْكَ ٱلْبِلَا دُ نُجْفَى وَتُقطَعُ مِنَّا ٱلرَّحِمْ

قَالَ : فَمَا قُلْتَ لَهَا ؟ قَالَ : قُلْتُ قَوْلَ جَرِيرٍ :

ثِقِي بِاللهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَمِنْ عِنْدَ ٱلْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

قَالَ : عَلَيَّ ٱلنَّجَاحُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى ، ثُمَّ أَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَرَدَّنِي مُكَرَّمًا . قَالَ ٱلْمُبَرِّدُ : فَلَمَّا عَادَ إِلَى ٱلْبَصْرَةِ قَالَ لِي : كَيْفَ رَأَيْتَ يَا أَبَا ٱلْعَبَّاسِ ؟ ! رَدَدْنَا لِلهِ مِائَةً فَعَوَّضَنَا أَلْفًا . وَرَوَى ٱلْمُبَرِّدُ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ : قَرَأَ عَلَيَّ رَجُلٌ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ فِي مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ آخِرَهُ قَالَ لِي : أَمَّا أَنْتَ فَجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا ، وَأَمَّا أَنَا فَمَا فَهِمْتُ مِنْهُ حَرْفًا(١) .

تُوُفِّيَ أَبُو عُثْمَانَ ٱلْمَازِنِيُّ ٱلْمَذْكُورُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقِيلَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ ، وَقِيلَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ بِالْبَصْرَةِ ، رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى .

يتمنى بنات الأعشى على أبيهن ألا يفارقهن، فأنه إذا غيبته البلاد وأضمرته «أخفته وحجبته» عنهن فى أسفاره جفاهن الحميم، ولم يصلهن بالبر القريب فيكن كأنهن يتيمات ذليلات، يقاسين جفاء الأخ وفظاظة العم ، فهن بعده مهيضات الجناح ضعاف ، لا يشر بن الارنقا غير صاف «أحمد يوسف نجاتى»

(١) لولا أنشده قول عمرو بن معد يكرب :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ماتستطيع

***

بلكين بن زيرى الصنهاجى

« أَبُو ٱلْفُتُوحِ بُلُكِّينُ* بْنُ زِيرِى بْنِ مَنَادَ ٱلْحِمْيَرِىُّ ٱلصِّنْهَاجِىُّ »

وَهُوَ جَدُّ بَادِيسَ ٱلْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ ، وَيُسَمَّى أَيْضًا يُوسُفَ لٰكِنَّ بُلُكِّينَ أَشْهَرُ ، وَهُوَ ٱلَّذِى ٱسْتَخْلَفَهُ ٱلْمُعِزُّ بْنُ ٱلْمَنْصُورِ ٱلْعُبَيْدِىُّ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ عِنْدَ تَوَجُّهِهِ إِلَى ٱلدِّيَارِ ٱلْمِصْرِيَّةِ ، وَكَانَ ٱسْتِخْلَافُهُ إِيَّاهُ يَوْمَ ٱلْأَرْبِعَاءِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ ذِى ٱلْحِجَّةِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَثَلٰثِمِائَةٍ ، وَأَمَرَ ٱلنَّاسَ بِالسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ لَهُ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ ٱلْبِلَادَ ، وَخَرَجَتِ ٱلْعُمَّالُ

---

* ترجم له فى كتاب الأعلام « ج ١ ص ١٥٧ » قال :

يرفع نسبه إلى حمير مؤسس الأمارة الصنهاجية بتونس ، كان فى بدء أمره من قواد المعز الفاطمى ، وأبلى فى إخضاع « زناتة » بالمغرب البلاء الحسن ، فلما استولى الفاطميون على مصر ، وأراد المعز الانتقال من المهدية الى الديار المصرية سنة إحدى وستين وثلاثمائة ولاه إفريقية ماعدا صقلية وطرابلس الغرب ، ودخل مدينة فاس عنوة ، واستولى على سجلماسة ، وأخرج عمال بنى أمية ، وأعاد الخطبة للفاطميين ، توفى فى موضع بين سجلماسة وتلمسان .

ترجم له أيضا فى كتاب إعجام الأعلام « ص ٨٠ »

وَجُبَاةُ ٱلْأَمْوَالِ بِاسْمِهِ ، وَأَوْصَاهُ ٱلْمُعِزُّ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، وَأَكَّدَ عَلَيْهِ فِي فِعْلِهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ نَسِيتَ مَا أَوْصَيْتُكَ بِهِ فَلَا تَنْسَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ : إِيَّاكَ أَنْ تَرْفَعَ ٱلْجِبَايَةَ عَنْ أَهْلِ ٱلْبَادِيَةِ ، وَٱلسَّيْفَ عَنِ ٱلْبَرْبَرِ ، وَلَا تُوَلِّ أَحَدًا مِنْ إِخْوَتِكَ وَبَنِي عَمِّكَ ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهَذَا ٱلْأَمْرِ مِنْكَ ، وَٱفْعَلْ مَعَ أَهْلِ ٱلْحَاضِرَةِ خَيْرًا . وَفَارَقَهُ عَلَى ذٰلِكَ ، وَعَادَ مِنْ وَدَاعِهِ ، وَتَصَرَّفَ فِي ٱلْوِلَايَةِ ، وَلَمْ يَزَلْ حَسَنَ ٱلسِّيرَةِ تَامَّ ٱلنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ دَوْلَتِهِ وَرَعِيَّتِهِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ يَوْمَ ٱلْأَحَدِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي ٱلْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ، بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ وَارَكْلَانُ مُجَاوِرَ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَانَتْ عِلَّتُهُ ٱلْقُولَنْجَ[1] وَقِيلَ خَرَجَتْ فِي يَدِهِ بَثْرَةٌ[2] ، فَمَاتَ مِنْهَا — رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى ، وَكَانَ لَهُ أَرْبَعُمِائَةِ حَظِيَّةٍ ، حَتَّى قِيلَ إِنَّ ٱلْبَشَائِرَ وَفَدَتْ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ بِوِلَادَةِ سَبْعَةَ عَشَرَ وَلَدًا .

وَبُلُكِّينُ بِضَمِّ ٱلْبَاءِ ٱلْمُوَحَّدَةِ وَٱللَّامِ وَتَشْدِيدِ ٱلْكَافِ

---

(١) القولنج : مرض معوى ، واللفظ مما عربه المولدون (٢) بثرة : خراج صغير ، أو دمل

الْمَكْسُورَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَبَعْدَهَا نُونٌ.
وَزِيرِى بِكَسْرِ الزَّاىِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا
وَكَسْرِ الرَّاءِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ ، وَبَقِيَّةُ نَسَبِهِ وَضَبْطُ نِسْبَتِهِ
وَأَلْفَاظِهِ مَذْكُورٌ فِي حَرْفِ التَّاءِ عِنْدَ ذِكْرِ حَفِيدِهِ الْأَمِيرِ
تَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ — رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى — . وَأَمَّا
وَارَكْلَانُ فَهُوَ بِفَتْحِ الْوَاوِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ رَاءٌ مَفْتُوحَةٌ أَيْضًا
ثُمَّ كَافٌ سَاكِنَةٌ وَبَعْدَ اللَّامِ أَلِفٌ وَنُونٌ .

***

بوران بنت الحسن بن سهل

« بُورَانُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ* ، وَسَيَأْتِى خَبَرُ أَبِيهَا
إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى »

وَيُقَالُ إِنَّ اسْمَهَا خَدِيجَةُ ، وَبُورَانُ لَقَبٌ ، وَالْأَوَّلُ
أَشْهَرُ ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ تَزَوَّجَهَا لِمَكَانِ أَبِيهَا مِنْهُ ،
وَاحْتَفَلَ أَبُوهَا بِأَمْرِهَا ، وَعَمِلَ مِنَ الْوَلَائِمِ وَالْأَفْرَاحِ

---

* ترجم لها فى كتاب الأعلام « ج ١ ص ١٥٩ » قال :
هى زوجة المأمون العباسى ، من أكمل النساء أدبا وأخلاقا ، وليس فى تاريخ العرب زفاف أنفق فيه ماأنفق فى زفافها على المأمون ، وفى القاموس : البورانية بضم الباء : طعام ينسب الى بوران بنت الحسن .

مَا لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ فِي عَصْرٍ مِنَ الْأَعْصَارِ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِفَمِ الصِّلْحِ (١) ، وَانْتَهَى أَمْرُهُ إِلَى أَنْ نَثَرَ عَلَى الْهَاشِمِيِّينَ وَالْقُوَّادِ وَالْكُتَّابِ وَالْوُجُوهِ بَنَادِقَ مِسْكٍ فِيهَا رِقَاعٌ بِأَسْمَاءِ ضِيَاعٍ وَأَسْمَاءِ جَوَارٍ وَصِفَاتِ دَوَابَّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَكَانَتِ الْبُنْدُقَةُ إِذَا وَقَعَتْ فِي يَدِ الرَّجُلِ فَتَحَهَا فَيَقْرَأُ مَا فِي الرُّقْعَةِ ، فَإِذَا عَلِمَ مَا فِيهَا مَضَى إِلَى الْوَكِيلِ الْمُرْصَدِ لِذَلِكَ فَيَدْفَعُهَا إِلَيْهِ وَيَتَسَلَّمُ مَا فِيهَا سَوَاءٌ كَانَ ضَيْعَةً أَوْ مِلْكًا آخَرَ أَوْ فَرَسًا أَوْ جَارِيَةً أَوْ مَمْلُوكًا ، ثُمَّ نَثَرَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمَ وَنَوَافِجَ (٢) الْمِسْكِ وَبَيْضَ الْعَنْبَرِ ، وَأَنْفَقَ عَلَى الْمَأْمُونِ وَقُوَّادِهِ وَجَمِيعِ أَصْحَابِهِ وَسَائِرِ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَجْنَادِهِ وَأَتْبَاعِهِ — وَكَانُوا خَلْقًا لَا يُحْصَى — حَتَّى عَلَى الْجَمَّالِينَ وَالْمُكَارِيَةِ (٣) وَالْمَلَّاحِينَ وَكُلِّ مَنْ

---

(١) فم الصلح : نهر كبير كان فوق مدينة واسط بينها و بين جبل عليه عدة قرى ، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون ، وفيه بنى المأمون ببوران (٢) نوافج المسك : جمع نافجة — الجلدة يجتمع فيها المسك فى الحيوان. والنافجة وعاء المسك لفظ معرب فارسيته « نافه » «أحمد يوسف نجاتى »

(٣) المكارية المكارون : جمع مكار : وهو من يكريك دابته ، أى يؤجرها لك من كاراه مكاراة وكراء : إذا استأجرت دابته أو غيرها

ضمَّهُ عَسْكَرُهُ ، فلَمْ يَكُنْ فِي الْعَسْكَرِ مَنْ يَشْتَرِي شَيْئاً لِنَفْسِهِ وَلَا لِدَوابِّهِ . وَذَكَرَ الطَّبَرِيُّ فِي تَارِيخِهِ أَنَّ الْمَأْمُونَ أَقَامَ عِنْدَ الْحَسَنِ تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا يُعَدُّ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلِجَمِيعِ مَنْ مَعَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ مَبْلَغُ النَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَمَرَ لَهُ الْمَأْمُونُ عِنْدَ مُنْصَرَفِهِ بِعَشَرَةِ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَقْطَعَهُ فَمَ الصِّلْحِ ، فَجَلَسَ الْحَسَنُ وَفَرَّقَ الْمَالَ عَلَى قُوَّادِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحَشَمِهِ وَخَدَمِهِ ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ هَذَا : خَرَجَ الْمَأْمُونُ نَحْوَ الْحَسَنِ ابْنِ وَهْبٍ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَرَحَلَ مِنْ فَمِ الصِّلْحِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَتَيْنِ ، وَهَلَكَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ[1] يَوْمَ الْفِطْرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ

---

(١) هو أبو غانم الأمير حميد بن عبد الحميد الطوسي ، كان من أكبر قواد المأمون وأعظم عماله ، وكان بطلا صنديدا ذا قوة وبطش واقدام جبارا لا يصطلى بناره وقائدا مظفرا ، وكان مع هذا رقيق العاطفة جوادا سمحا ممدحا قد كثر عفاته ، وعاش كثير من الناس فى كنفه ، وكان المأمون يندبه فى المهمات فتظهر فيها كفايته وحسن بلائه ، وفيه يقول العكوك «على بن جبلة الشاعر المشهور» .

تكفل ساكنى الدنيا حميد فقد أضحوا له فيها عيالا

وَقَالَ غَيْرُهُ : وَفُرِشَ لِلْمَأْمُونِ حَصِيرٌ مَنْسُوجٌ بِالذَّهَبِ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ نُثِرَتْ عَلَى قَدَمَيْهِ لَآلِئُ كَثِيرَةٌ ، فَلَمَّا رَأَى تَسَاقُطَ اللَّآلِئِ الْمُخْتَلِفَةِ عَلَى الْحَصِيرِ الْمَنْسُوجِ بِالذَّهَبِ قَالَ : قَاتَلَ اللهُ أَبَا نُوَاسٍ ، كَأَنَّهُ شَاهَدَ هَذِهِ الْحَالَ حِينَ قَالَ فِي صِفَةِ الْخَمْرِ وَالْحَبَابِ (١) الَّذِي يَعْلُوهَا عِنْدَ الْمِزَاجِ :

كأن أباه آدم كان أوصى إليـه أن يعولهم فعالا

ويقول فيه أيضا :

دجـلة تسقى ، وأبو غانم يطعم من تسقى من الناس

فالناس جسم ، و إمام الهدى رأس ، وأنت العين فى الراس

وفيه يقول أيضا :

إنمـا الدنيا حميـد وأياديه الجسـام

فاذا ولى حميـد فعلى الدنيا السلام

فلما ولى حميد وودع الدنيا فى عيد الفطر سنة ٢١٠ رثاه بقصيدة مؤثرة منها :

فأدبنا ماأدب الناس قبلنا ولـكنه لم يبق للصبر موضع

ورثاه أبو العتاهية بقوله :

أبا غانم أما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم

ومايـنفع المقبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه يتهدم

ورثته جارية له اسمها عذل بقولها :

من كان أصبح يوم الفطر مغتبطا فمـا غبطنا به ، والله محمود

أو كان منتظرا فى الفطر سيده فان سيدنا فى الترب ملحود

وابنه محمد بن حميد قتل فى حرب بابك الخرمى سنة ٢١٤ وهو الذى رثاه أبو تمام بقصيدته البليغة المشهورة « أحمد يوسف نجاتى »

(١) الحباب : فقاقيع الخمر التى تعلوها .

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا

حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وَقَدْ غَلَّطُوا أَبَا نُوَاسٍ فِي هَذَا الْبَيْتِ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ إِبَانَةِ الْغَلَطِ(١) . وَأَطْلَقَ لَهُ الْمَأْمُونُ خَرَاجَ فَارِسَ

---

(١) ان شاقك النحو فأصغ : اعلم أن أفعل التفضيل اذا كان مجردا من أل والاضافة « كما فى البيت » وجب أن يكون على صيغة « أفعل » فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، فكان مقتضى ذلك أن يقول أبو نواس : كأن أصغر وأكبر ، فان كان محلى بأل تصرف وطابق موصوفه ، وحينئذ كان يقول كأن الصغرى والكبرى، ولكنه جاء بالوصفين مجردين من أل والاضافة وأنثهما، فهذا هو الخطأ — وأجيب عن ابن هانىء بأن صغرى وكبرى فى بيته لم يرد منهما معنى التفضيل، بل هما وصفان مجردان عن المقارنة والمفاضلة بمعنى أنهما مؤنثا أصغر وأكبر بمعنى صغير وكبير لا بمعنى التفضيل، فكأنه قال كأن الصغيرة والكبيرة من هذه الفقاقع الخ ، والمبرد يرى أن استعمال اسم التفضيل كذلك قياس وان كانوا قد رجحوا كونه سماعيا — مع كثرة الوارد منه — والصفات المشبهة التى هى مثل صغير وكبيرة يجب أن تطابق موصوفها فى تأنيثه وتذكيره وتثنيته وجمعه ، فعلى رأى المبرد ومن وافقه لا يكون ابن هانىء مخطئا باستعماله صغرى وكبرى نكرتين مع أن هذا الضرب من الصفات لا يستعمل الا معرفا لما تقدم من مذهب المبرد ، أو لأن صغرى وكبرى وان كانا فى الأصل وصفين قد غلبت عليها الأسمية نحو الدنيا لكثرة مايجىء من مثل ذلك بغير موصوف نحو صغيرة وكبيرة ، فاستعمله نكرة لذلك — وأجيب عنه أيضا بأن « من » فى قوله « من فقاقعها » زائدة « وان قل زيادتها فى غير النفى » فالوصفان مضافان الى فقاقعها والمضاف الى معرفة يجوز فيه الأمران ان نويت المفاضلة، فان لم تنو وجبت

وَ كُورَ الْأَهْوَازِ مُدَّةَ سَنَةٍ ، وَقَالَتِ الشُّعَرَاءِ وَالْخُطَبَاءُ فِي ذَلِكَ فَأَطْنَبُوا ، وَمِمَّا يُسْتَظْرَفُ فِيهِ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ حَازِمٍ الْبَاهِلِيِّ(١) :

المطابقة كما فى البيت ـ هذا والبيت فى وصف الخمر ،والفقاقع جمع فقاعة ، ويروى من فواقعها جمع فاقعة، ومعناها النفاخات التى تكون على وجه الماء وصف الخمر وما يعلوها من الحباب، فشبه الحباب بالدر وهو اللؤلؤ الكبير والخمر التى تحته بأرض من ذهب ، وهو خيال بديع يصور لك منظرا لاتراه الا بعين الوهم ، ويحضر صورة متخيلة لو تحققت لم يكن لقيمتها ثمن ـ وهو من أبيات أولها :

ساع بكاس الى ناس على طرب ... كلاهما عجب فى منظر عجب

قامت تريني وستر الليل منسدل ... صبحا تولد بين الماء والعنب

كأن صغرى الخ :

فى كف ساقية ناهيك ساقيـة ... فى حسن قد وفى ظرف وفى أدب

ألا يغفر هذا الشعر الرقيق لأبى نواس مازعمه النحويون ذنبا لغويا شنوا عليه غاراتهم وقامت بينهم المعارك على قدم وساق ـ واسمع مايقول البحترى فى وصف هذه الفواقع :

وفواقع مثل النجوم تحدرت ... فى صحن خد الكاعب الحسناء

ويقول فيها ابن المعتز :

معتقة صاغ المزاج لرأسها ... أكاليل در مالمنظومها سلك

ويقول يزيد بن معاوية :

اذا ماطفا فيها الحباب حسبتها ... كواكب در فى سماء عقيق

لعل هذه الأبيات ـ وأبدع صورها عندى مارسمه أبو نواس ـ يزيل الأثر الناشىء من الايغال فى قواعد النحو ؟ ! « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) هو أبو جعفر محمد بن حازم بن عمرو الباهلى، كان من ساكنى بغداد

بَارَكَ ٱللهُ لِلْحَسَنْ وَلِبُورَانَ فِي ٱلْخَتَنْ(١)

يَابْنَ هَارُونَ قَدْ ظَفِرْ تَ ، وَلَكِنْ بِبِنْتِ مَنْ ؟

فَلَمَّا نُمِيَ هَذَا ٱلشِّعْرُ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ قَالَ : وَٱللهِ مَا نَدْرِي خَيْرًا أَرَادَ أَمْ شَرًّا(٢) ؟ وَقَالَ ٱلطَّبَرِيُّ أَيْضًا : دَخَلَ

ومولده ومنشأه البصرة، وهو شاعر مطبوع، الا أنه كان كثير الهجاء للناس فاطرح وخمل ذكره، ولم يمدح من الخلفاء الا المأمون ، ولم يعن بأن يكون نابه الشأن رفيع الذكر ، بل كان ساقط الهمة متقللا راضيا باليسير، لايتعرض لمدح ولاطلب ، وكاد يقصر شعره على ثلب الأعراض ، وأكثر شعره مقطعات ، فليس له قصائد يطول نفسه فيها (١) الختن الصهر ، وهو فى الأصل زوج بنت الرجل أو زوج أخته ، ويطلق على كل من كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها « كما أن الأحماء من جهة الزوج » فتقول على بن أبى طالب ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأنه زوج ابنته » وأبو بكر وعمر ختناه أيضا « لأنهما أبوان لزوجيه صلى الله عليه وسلم والشاعر هنا أطلق الختن على الزوج وأهله لأنه يهنئ بوران وأباها ، واللغة تسمى من كان من قبل الزوج الرجل « حما ، وجمعه أحماء» فهو يريد معنى الصهر الذى هو أعم من الختن والحما . على أن بعضهم قد يطلق كلا اللفظين « ختن ، حما » على أقارب كلا الزوجين (٢) هذا النوع من الشعر يسمى فى البديع « التوجيه » وهو ايراد الكلام محتملا لوجهين متباينين من مدح أو ذم أو نحوهما، ومثله ماينسب الى بشار بن برد — وقد فصل قباء عند خياط أعور اسمه عمرو ، فقال له الخياط عابثا: سآتيك به لاتدرى أهو قباء أم دراج ، فقال له : لئن فعلت ذلك لأنظمن فيك بيتا لايعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك أم دعوت عليك ، ففعل الخياط فقال بشار :

ٱلْمَأْمُونُ عَلَى بُورَانَ ٱللَّيْلَةَ ٱلثَّالِثَةَ مِنْ وُصُولِهِ إِلَى فَمِ ٱلصِّلْحِ ، فَلَمَّا جَلَسَ مَعَهَا نَثَرَتْ عَلَيْهِمَا جَدَّتُهَا أَلْفَ دُرَّةٍ كَانَتْ فِي صِينِيَّةِ ذَهَبٍ ، فَأَمَرَ ٱلْمَأْمُونُ أَنْ تُجْمَعَ ، وَسَأَلَهَا عَنْ عَدَدِ ٱلدُّرِّ كَمْ هُوَ ؟ فَقَالَتْ : أَلْفُ حَبَّةٍ ، فَوَضَعَهَا فِي حِجْرِهَا وَقَالَ لَهَا : هَذِهِ نِحْلَتُكِ⁽¹⁾ ، وَسَلِي حَوَائِجَكِ ، فَقَالَتْ لَهَا جَدَّتُهَا : كَلِّمِي سَيِّدَكِ ، فَسَأَلَتْهُ ٱلرِّضَا عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ ٱلْمَهْدِيِّ ـ قُلْتُ : وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ـ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ. وَأَوْقَدُوا فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ شَمْعَةَ عَنْبَرٍ وَزْنُهَا أَرْبَعُونَ

خاط لى عمرو قباء ليت عينيه سواء

فلا يدرى أتمنى استواء عينيه فى العور فيكون أعمى ، أواستواءها فى الصحة فيكون بصيرا. و بيتا محمد بن حازم كذلك فلا يعلم منهما ماأراد بقوله « بنت من » أفى الرفعة أم فى الحقارة ـ و يسمى هذا النوع البديعى « الأيهام » أيضا ، وهو أولى من تسميته توجيها، ومثله قول المتنبى فى كافور الأخشيدى :

ولله سر فى علاك ، وانما كلام العدا ضرب من الهذيان

وأبو الطيب يستعمل هذا الأسلوب كثيرا فى مدحه كافورا .

« أحمد يوسف نجاتى » .

(١) النحلة اسم لمهر المرأة ـ يقال نحل زوجه مهرها عن طيب نفس اذا أعطاها النحلة ، ومنه قوله تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » .

مَنًّا فِي تَوْرٍ[1] مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَنْكَرَ الْمَأْمُونُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ : هَذَا سَرَفٌ . وَقَالَ غَيْرُ الطَّبَرِيِّ : لَمَّا طَلَبَ الْمَأْمُونُ الدُّخُولَ عَلَيْهَا دَافَعُوهُ لِعُذْرٍ بِهَا ، فَلَمْ يَنْدَفِعْ ، فَلَمَّا زُفَّتْ إِلَيْهِ وَجَدَهَا حَائِضًا فَتَرَكَهَا ، فَلَمَّا قَعَدَ لِلنَّاسِ مِنَ الْغَدِ دَخَلَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الْكَاتِبُ[2] وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَنَّأَكَ اللهُ بِمَا أَخَذْتَ مِنَ الْأَمْرِ بِالْيُمْنِ وَالْبَرَكَةِ ، وَشِدَّةِ الْحَرَكَةِ ، وَالظَّفَرِ بِالْمَعْرَكَةِ ، فَأَنْشَدَهُ الْمَأْمُونُ :

فَارِسٌ مَاضٍ بِحَرْبَتِهِ　　صَادِقٌ بِالطَّعْنِ فِي الظُّلَمِ

رَامَ أَنْ يُدْمِي فَرِيسَتَهُ　　فَاتَّقَتْهُ مِنْ دَمٍ بِدَمِ

يُعَرِّضُ بِحَيْضِهَا ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الْكِنَايَاتِ[3] ،

---

(١) المن وزن يساوى رطلين ، والتور اناء صغير كانوا يشربون فيه ، وقد يتوضأ منه ، وهو كالاجانة التى قد تغسل فيها الثياب ونحوها « أو الأصيص أو ما يسمى « زهرية » (٢) تقدمت ترجمته (٣) مثل ذلك قول أبى عامر ابن شهيد « ولكنه قد فض الخاتم » صبيحة عرسه :

قد فضضنا ختام ذاك السوار　　واصطبغنا من النجيع الجارى

وصبرنا على دفاع وحرب　　فلعبنا بالدر أو بالدرارى

وقضى الشيخ ماقضى بحسام　　ذى مضاء عضب الظبا بتار

وكتب ابن العميد الى أبى الحسن بن هند و يسأله صبيحة عرسه :

أنعم أبا حسن صباحا　　وازدد بزوجتك ارتياحا

حَكى ذَلِكَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ فِي كِتَابِ الْكِنَايَاتِ ، وَقَدْ رُوِيَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ . وَجَرَى هَذَا كُلُّهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَتَيْنِ ، وَعَقَدَ عَلَيْهَا فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَمِائَتَيْنِ ، وَتُوُفِّيَ الْمَأْمُونُ وَهِيَ فِي صُحْبَتِهِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، وَبَقِيَتْ بَعْدَهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَتْ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَعُمْرُهَا ثَمَانُونَ سَنَةً - لِأَنَّ مَوْلِدَهَا لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ لِلَيْلَتَيْنِ

قد رضت طرفك خاليا   فهل استلذت له جماحا ؟
وقدحت زندك جاهدا   فهل استبنت له انقداحا ؟
وطرقت منغلقا ، فهل   سن الاله له انفتاحا ؟

وللصاحب بن عباد يسأل أبا العلاء الأسدى عن مثل ذلك ، ولكنه أقرب الى التصريح :

قلبي على الجمرة يا أبا العلا   فهل فتحت الموضع المقفلا ؟
وهل فككت الختم عن كيسه   وهل كحلت الناظر الأكحلا ؟

وحسبك ذلك خوف اثارة اللوعة في بعض النفوس والنهم فى أخرى .
« أحمد يوسف نجاتى » .

خلتا من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وكانت وفاتها ببغداد ، ويقال : إنها دفنت في قبة مقابلة مقصورة جامع السلطان ، وإنها باقية إلى الآن — رحمها الله تعالى — .

وفم الصلح بفتح الفاء وبعدها ميم وكسر الصاد المهملة وبعد اللام الساكنة حاء مهملة ، وهي بلدة على دجلة قريبة من واسط ، كذا ذكره السمعاني . وقال العماد الكاتب في الخريدة : الصلح نهر كبير يأخذ من دجلة بأعلى واسط ، عليه نواح كثيرة ، وقد علا النهر ، وآل أمر تلك المواضع إلى الخراب . قلت : والعماد بذلك أخبر من السمعاني لأنه أقام بواسط زمانا طويلا متولى الديوان بها .

***

بورى بن أيوب

« تَاجُ ٱلْمُلُوكِ أَبُو سَعِيدٍ بُورِى* بْنُ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِى ابْنِ مَرْوَانَ ٱلْمُلَقَّبُ مَجْدَ ٱلدِّينِ »

تَقَدَّمَ ذِكْرُ أَبِيهِ ، وَهُوَ أَخُو ٱلسُّلْطَانِ صَلَاحِ ٱلدِّينِ - رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى - ، وَكَانَ أَصْغَرَ أَوْلَادِ أَبِيهِ ، وَكَانَتْ فِيهِ فَضِيلَةٌ ، وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ فِيهِ ٱلْغَثُّ (١) وَٱلسَّمِينُ ، لَكِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مِثْلِهِ جَيِّدٌ ، نَقَلْتُ مِنْ دِيوَانِهِ فِي أَحَدِ مَمَالِيكِهِ وَقَدْ أَقْبَلَ مِنْ جِهَةِ ٱلْمَغْرِبِ رَاكِبًا فَرَسًا أَشْهَبَ قَوْلَهُ :

أَقْبَلَ مَنْ أَعْشَقُهُ رَاكِبًا

مِنْ جَانِبِ ٱلْغَرْبِ عَلَى أَشْهَبِ

فَقُلْتُ : سُبْحَانَكَ يَاذَا ٱلْعُلَا!

أَشْرَقَتِ ٱلشَّمْسُ مِنَ ٱلْمَغْرِبِ !

---

(١) الغث من الحديث ما كان فاسدا رديئا، وهو مجاز من اللحم الغث أى المهزول ضد السمين ، وفعله من بابى « فرح وضرب » غثاثة و عثوثة

وَأَوْرَدَ[1] لَهُ ٱلعِمَادُ ٱلْكَاتِبُ فِي كِتَابِ ٱلْخَرِيدَةِ :

يَا حَيَاتِي حِينَ يَرْضَى   وَمَمَاتِي حِينَ يَسْخَطْ

آهِ مِنْ وَرْدٍ عَلَى خَدْ   دَيْكَ بِالْمِسْكِ مُنَقَّطْ !

بَيْنَ أَجْفَانِكَ سُلْطَا   نٌ عَلَى ضَعْفِي مُسَلَّطْ

قَدْ تَصَبَّرْتُ وَإِنْ بَرْ   رَحَ[2] بِي ٱلشَّوْقُ وَأَفْرَطْ

فَلَعَلَّ ٱلدَّهْـرَ يَوْمًا   بِالتَّلَاقِي مِنْكَ يَغْلَطْ

وَأَوْرَدَ لَهُ أَيْضًا :

أَيَا حَامِلَ ٱلرُّمْحِ ٱلشَّبِيهِ بِقَدِّهِ

وَيَاشَاهِرًا سَيْفًا حَكَى لَحْظُهُ عَضْبًا[3]

ضَعِ ٱلرُّمْحَ، وَأُغْمِدْ مَاسَلَلْتَ ، فَرُبَّمَا

قَتَلْتَ وَمَا حَاوَلْتَ طَعْنًا وَلَا ضَرْبَا

---

(١) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

ولابن صلحة الصقلى :

أيتها النفس اليـه اذهبى   فحبه المشهور من مذهبى

مفضض الثغر ، له شامة   مسكية فى خده المذهب

ولأحمد بن عثمان الأندلسى :

لما رأيت شعاع وجهك قد بدا   متهللا كتهلل البرق

سميت من عجب، وقلت: متى   للشمس مطلع سوى الشرق؟!

(٢) آذاه أذى شديدا وأجهده وأوقعه فى عناء ومشقة (٣) سيف عضب

وَذَكَرَ لَهُ غَيْرَ ذَلِكَ أَيْضًا ، وَلَهُ أَشْيَاءُ حَسَنَةٌ .

وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْخَمِيسِ الثَّالِثَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ[1] عَلَى مَدِينَةِ حَلَبَ مِنْ جِرَاحَةٍ أَصَابَتْهُ عَلَيْهَا لَمَّا حَاصَرَهَا أَخُوهُ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ ، وَأَصَابَتْهُ الْجِرَاحَةُ يَوْمَ نُزُولِهِمْ عَلَيْهَا وَهُوَ السَّادِسَ عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَكَانَتِ الْجِرَاحَةُ طَعْنَةً فِي رُكْبَتِهِ[2] . قَالَ الْعِمَادُ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْبَرْقِ الشَّامِيِّ : إِنَّ صَلَاحَ الدِّينِ كَانَ قَدْ أَعَدَّ لِعِمَادِ الدِّينِ صَاحِبِ حَلَبَ ضِيَافَةً فِي الْمُخَيَّمِ بَعْدَ الصُّلْحِ وَقَبْلَ

أى قاطع ماض « وفعله من باب ضرب » (١) فى هذه السنة حاصر السلطان صلاح الدين مدينة حلب حتى أخذها من عماد الدين زنكى ابن أخى نور الدين الشهيد، و بذل له عوضها مدينة سنجار ، فقال الشعراء فى ذلك أشعارا كثيرة ، منها :

و بعت بسنجار خير القلاع ثكلتك من بائع مشترى

وخرج عماد الدين من حلب وسار الى سنجار ـ وكان بورى بن أيوب كريم الأخلاق لطيف الطباع ذا شجاعة وفضل وفصاحة «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) المشهور أنه أصابه سهم فى عينه . « أحمد يوسف نجاتى »

دُخُولِهِ ٱلْبَلَدَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى ٱلسِّمَاطِ[١] - وَعِمَادُ ٱلدِّينِ إِلَى جَانِبِهِ وَنَحْنُ فِي أَغْبَطِ عَيْشٍ وَأَتَمِّ سُرُورٍ - إِذْ جَاءَ ٱلْحَاجِبُ إِلَى صَلَاحِ ٱلدِّينِ وَأَسَرَّ إِلَيْهِ بِمَوْتِ أَخِيهِ ، فَلَمْ يَتَغَيَّرْ عَنْ حَالَتِهِ ، وَأَمَرَ بِتَجْهِيزِهِ وَدَفْنِهِ سِرًّا ، وَأَعْطَى ٱلضِّيَافَةَ حَقَّهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَيُقَالُ : إِنَّ صَلَاحَ ٱلدِّينِ كَانَ يَقُولُ : مَا أَخَذْنَا حَلَبَ رَخِيصَةً بِقَتْلِ تَاجِ ٱلْمُلُوكِ[٢] . وَبُورِى بِضَمِّ ٱلْبَاءِ ٱلْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ ٱلْوَاوِ وَكَسْرِ ٱلرَّاءِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ مُثَنَّاةٌ مِنْ تَحْتِهَا ، وَهُوَ لَفْظٌ تُرْكِيٌّ مَعْنَاهُ بِالْعَرَبِيَّةِ ذِئْبٌ . ٱنْتَهَى . وَٱللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

---

(١) السماط ما يمد عليه الطعام وجمعه أسمطة وسماطات (٢) وكان يقول : ماوفت حلب بشعرة من أخى تاج الملوك بورى ، و بكى السلطان صلاح الدين على أخيه وحزن حزنا شديدا . ومن شعر تاج الملوك بورى فى شهر رمضان

رمضان ، بل مرضان ، الا أنهم   غلطوا اذا فى قولهم وأساءوا
مرضان فيه تحالفا ، فنهاره   سل ، ولكن ليله استسقاء

وله العذر أنه كان شابا يؤدى حق الصوم وكان فى شهور الصيف ، فهو وان تبرم به لم ينتهك حرمته مثل بعض شباننا ، بل مثل أشباه الرجال من بعض معاصرينا . « أحمد يوسف نجاتى » .

﴿ حَرْفُ ٱلتَّاءِ ﴾

***

تتش بن ألب ارسلان

« تَاجُ ٱلدَّوْلَةِ أَبُو سَعِيدٍ تُتُشُ* بْنُ أَلْبَ أَرْسِلَانَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقِ بْنِ دُقْمَاقَ(١) ٱلسَّلْجُوقِيُّ »

كَانَ صَاحِبَ ٱلْبِلَادِ ٱلشَّرْقِيَّةِ ، فَلَمَّا حَاصَرَ أَمِيرُ ٱلْجُيُوشِ بَدْرٌ ٱلْجَمَالِيُّ مَدِينَةَ دِمَشْقَ مِنْ جِهَةِ صَاحِبِ مِصْرَ - وَكَانَ صَاحِبُ دِمَشْقَ يَوْمَئِذٍ أَتْسِزَ بْنَ أَوْقَ ٱلْخُوَارَزْمِيِّ

---

* ترجم له فى كتاب شذرات الذهب « ج ٣ ص ٣٨٤ » قال :
كان شهما شجاعا مقداما واسع الممالك ، كاد أن يستولى على ممالك أخيه ملك شاه ، قتل بنواحى الرى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وتملك بعده ابناه بحلب ودمشق .

(١) فى الأصل فى غير موضع « دقاق » والميم ذاهبة فى كتب كثير من المؤرخين الذين ينقلون غير محققين . واسم دقماق مألوف لدى السلجوقيين والتاريخ لايعرف من يدعى باسم « دقاق » - هذا وتاج الدولة تتش هو أخو السلطان جلال الدولة أبى الفتح ملكشاه الآتية ترجمته ان شاء الله وفى سنة ٤٧٤ سار تتش صاحب دمشق فافتتح « أنطرطوس » وهى بلد من سواحل بحر الشام، وكانت آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص مطلة على البحر . وفى سنة ٤٧٦ عزم تتش على مصاهرة أمير الجيوشى بدر الجمالى « وزير مصر ومن كان صاحب الحل والعقد فيها » على ابنته ،فأشار فخر الملك بن عمار قاضى طرابلس وصاحبها على تتش ألا يفعل وألا يقبل على هذا الاصهار ، فثنى عزمه عنه «أحمد يوسف نجاتى»

ٱلتُّرْكِيُّ[١] ، سَيَّرَ أَتسِزُ ٱلْمَذْكُورُ إِلَى تُتُش فَاسْتَنْجَدَ بِهِ ، فَأَنْجَدَهُ وَسَارَ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ خَرَجَ إِلَيْهِ أَتْسِزُ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ تُتُشُ وَقَتَلَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَى مَمْلَكَتِهِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ ٱلْآخِرِ ، وَكَانَ قَدْ مَلَكَ دِمَشْقَ فِي ذِي ٱلْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ ٱلتَّوَارِيخِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ ٱثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، وَٱللهُ أَعْلَمُ . ثُمَّ مَلَكَ حَلَبَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ — كَمَا تَقَدَّمَ فِي تَرْجَمَةِ آقْ سُنْقُرَ — وَاسْتَوْلَى عَلَى ٱلْبِلَادِ ٱلشَّامِيَّةِ ، ثُمَّ جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱبْنِ أَخِيهِ بَرْكِيَارُوقَ ٱلْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ مُنَافَرَاتٌ وَمُشَاجَرَاتٌ أَدَّتْ إِلَى ٱلْمُحَارَبَةِ ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، وَتَصَافَّا[٢] بِالْقُرْبِ مِنْ

---

(١) أتسز بن أوق الخوارزمى التركمانى صاحب الشام ومقدم الأتراك، ظهر سنة ٤٦٣ وفتح مدينة الرملة و بيت المقدس، وضايق دمشق، وأخرب الشام وفى سنة ٤٦٨ استولى على دمشق وخطب بها للمقتدر الخليفة العباسى وكتب للمقتدر يذكر له تسليمها اليه وغلو الأسعار بها وموت أهلها . أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) تصاف الجيشان اذا اصطفوا للقتال ، وتصافوا على الماء ونحوه: اجتمعوا

مَدِينَةِ ٱلرَّىِّ فِى يَوْمِ ٱلْأَحَدِ سَابِعَ عَشَرَ صَفَرٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَانْكَسَرَ تُتُشُ ٱلْمَذْكُورُ ، وَقُتِلَ فِى ٱلْمَعْرَكَةِ ذَلِكَ ٱلنَّهَارَ . وَمَوْلِدُهُ فِى شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَخَلَّفَ وَلَدَيْنِ : أَحَدُهُمَا فَخْرُ ٱلْمُلُوكِ رِضْوَانُ ، وَٱلْآخَرُ شَمْسُ ٱلْمُلُوكِ أَبُو نَصْرٍ دُقْمَاقُ[1] فَاسْتَقَلَّ رِضْوَانُ بِمَمْلَكَةِ حَلَبَ[2] وَدُقْمَاقُ بِمَمْلَكَةِ دِمَشْقَ ، وَتُوُفِّىَ رِضْوَانُ فِى سَلْخِ جُمَادَى ٱلْأُولَى سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمِنْ نُوَّابِهِ أَخَذَ ٱلْفَرَنْجُ أَنْطَاكِيَةَ فِى سَنَةِ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّىَ دُقْمَاقُ فِى ثَامِنَ عَشَرَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ

---

(١) فى الأصل « دقاق » وقد عرفت رأينا فى اسم جده (٢) وفى سنة ٤٧٩ ورد كتاب المستعلى صاحب مصر وكتاب وزيره الأفضل أمير الجيوش الى رضوان بن تتش بالدخول فى الطاعة ، فأجاب وخطب للمستعلى هذا . وقد كان فخر الملك تتش غير محمود السيرة ، بل كان فاتكا سفاكا للدماء ، حتى قتل أخويه أبا طالب وبهرام ، وفتك بخواص أبيه ، وهو أول من بنى بحلب دار الدعوه ، ومع هذا كان بخيلا شحيحا فظا غليظ القلب وكان الفرنج فى أيامه تغاور وتسبى وتأخذ من باب حلب ولا يخرج اليهم وسلطت عليه الأمراض المزمنة ، ورأى العبر فى نفسه ، والتاريخ لا يحابى وان ربك لبالمرصاد . « أحمد يوسف نجاتى » .

فِي مَسْجِدٍ بِحِكْرِ ٱلْفَهَّادِينِ بِظَاهِرِ دِمَشْقَ ٱلَّذِى عَلَى نَهْرِ بَرَدَى ، وَكَانَ قَدْ حَصَلَ لَهُ مَرَضٌ مُتَطَاوِلٌ . وَقِيلَ إِنَّ أُمَّهُ سَمَّتْهُ فِي عُنْقُودِ عِنَبٍ ، فَلَمَّا مَاتَ قَامَ بِٱلْمُلْكِ ظَهِيرُ ٱلدِّينِ أَبُو مَنْصُورٍ طُغْتِكِينُ - وَكَانَ أَتَابَكَهُ - وَتَزَوَّجَ أُمَّهُ فِي حَيَاةِ[1] أَبِيهِ ، زَوَّجَهُ إِيَّاهَا وَهُوَ عَتِيقُ تُتُشَ - رَحِمَهُمُ ٱللهُ تَعَالَى - وَأَوْلَادُ ٱلْمَلِكِ رِضْوَانَ ٱلْمُقِيمُونَ بِظَاهِرِ حَلَبَ هُمْ أَوْلَادُ رِضْوَانَ ٱلْمَذْكُورِ ، وَلَمْ يَزَلْ ظَهِيرُ ٱلدِّينِ طُغْتِكِينُ مَالِكَ دِمَشْقَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَتَوَلَّى ٱلْأَمْرَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ تَاجُ ٱلْمُلُوكِ أَبُو سَعِيدٍ بُورِى إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ ٱلْحَادِي وَٱلْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ

---

(١) يعنى أن الأتابك أبا منصور ظهير الدين طغتكين بن عبد الله تزوج والدة الأمير دقاق مع أنه كان مملوك أبيه تاج الدولة تتش ، فان طغتكين كان مقدما عند أستاذه تتش المذكور ، ولقد قام طغتكين بالأمر خير قيام ، وغزا الفرنج غير مرة ، وله فى الجهاد السعى المشكور واليد البيضاء وكان عدلا فى الرعية ذاهمة وشجاعة . وكذلك سار ابنه بورى من بعده « أحمد يوسف نجاتى » .

سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنْ جِرَاحَةٍ أَصَابَتْهُ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ [١]،
وَتَوَلَّى بَعْدَهُ وَلَدُهُ شَمْسُ الْمُلُوكِ إِسْمَاعِيلُ إِلَى أَنْ قُتِلَ
يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ رَابِعَ عَشَرَ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ
وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ [٢] قَتَلَتْهُ أُمُّهُ خَاتُونُ [٣] زُمُرُّذُ بِنْتُ

---

(١) تقدمت كلمة وافية فى الباطنية ، وكان تاج الملوك بورى بن ظهير الدين طغتكين قد قتل جماعة كثيرة من الاسماعيلية منهم، فبعث اليه الاسماعيلية برجلين فضرباه بالسكاكين وهو خارج من الحمام، فأثر فيه ذلك بعض الأثر، و بقى ينغر عليه الجرح مرة و يندمل أخرى حتى قضى نحبه مأسوفا عليه رحمه الله . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) وكانت سيرته قد ساءت وصادر الناس وأخذ أموالهم ، وسفك الدماء، وظهر منه شح زائد و بخل عظيم وفتك بمماليك أبيه وجده ، فاضطغنت عليه القلوب فقد خرج فى سنة ٥٢٨ يتصيد، وانفرد عن عسكره، فوثب عليه أحد مماليك جده طغتكين واسمه «ايلبا» وضربه بالسيف ضربة قوية، فانقلب السيف من يده، فألقى بنفسه الى الأرض، وضربه أخرى، فأصابت عنق فرسه، وحال الفرس بينهما، فهرب ايلبا ، وعاد شمس الملوك الى دمشق سالما، و بث غلمانه فى طلب ايلبا حتى ظفروا به ، فسأله عما حمله على فعلته، فقال: انما أقدمت على ذلك لأتقرب الى الله تعالى بدمك ، فقد ظلمت الناس وسفكت دماءهم ، ثم قرره فأقر على جماعة، فجمعهم شمس الملوك وقتلهم كلهم صبرا بين يديه ، ولم يكفه ذلك حتى اتهم أخاه بالائتمار به ، فجعله فى بيت وأغلقه عليه حتى مات ، و بعد هذا شره الى الدماء فبالغ فى سفكها ، واشتد ظلمه وساءت أفعاله ، حتى أخذه ربك أخذ عزيز مقتدر ، وان أخذه لأليم شديد . « أحمد يوسف نجاتى »
(٣) « خاتون » كلمة أعجمية يلقب بها الفرس والترك السيدة الشريفة المصونة وليست علما « أحمد يوسف نجاتى »

جاوَلِي(١) ، وَأَجْلَسَتْ أَخَاهُ شِهَابَ ٱلدِّينِ أَبَا ٱلْقَاسِمِ مَحْمُودَ ٱبْنَ بُورِي ، فَتَوَلَّى ٱلْأَمْرَ بَعْدَهُ بِدِمَشْقَ إِلَى أَنْ قُتِلَ لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ ٱلثَّالِثَ وَٱلْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، قَتَلَهُ غِلَاْنُهُ ٱلتُّغُشُ(٢) ، وَيُوسُفُ ٱلْخَادِمُ ، وَٱلْفَرَّاشُ ٱلْخَرْكَاوِيُّ ، وَصَبِيحَةَ قَتْلِهِ وَصَلَ أَخُوهُ جَمَالُ ٱلدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ بُورِي مِنْ بَعْلَبَكَّ(٣) وَكَانَ صَاحِبَهَا فَمَلَكَ دِمَشْقَ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ ثَامِنَ شَعْبَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَتَوَلَّى بَعْدَهُ مَمْلَكَةَ دِمَشْقَ وَلَدُهُ مُجِيرُ ٱلدِّينِ آبَقُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بُورِي ٱبْنِ طُغْتِكِينَ ، إِلَى أَنْ نَزَلَ عَلَيْهَا نُورُ ٱلدِّينِ مَحْمُودُ

---

(١) كان « جاولى » مملوك السلطان محمد شاه بن ملكشاه (٢) لما ولى دمشق الأمير محمود بن بورى بعد أخيه اسماعيل ساءت سيرته ، فاستوحش منه جماعة من أمرائه ، واتفقوا على قتله مع يوسف الخادم والنغش الأرمنى « وفى بعض المراجع البقش . وفى بعضها البغش » وكانا ينامان حول سريره ، وساعدهما عنبر الفراش الخركاوى على ذلك ، وفى ليلة مقتله وثبوا عليه وذبحوه على فراشه وفروا هاربين ، فظفر وابهم وصلب يوسف الخادم وعنبر الخركاوى ، وهرب التغش الأرمنى ، وكانت تلك الحوادث سببا فى ضعف أمر هذا البيت . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٣) لما قتل الأمير محمود كما تقدم كتب الأمراء الى أخيه محمد بن بورى

ٱبْنُ زَنْكِى فِى ٱلتَّارِيخِ ٱلْآتِى ذِكْرُهُ فِى تَرْجَمَتِهِ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ تَعَالَى(١) . وَأَخَذَهَا مِنْهُ ، وَعَوَّضَهُ عَنْهَا حِمْصَ ، فَأَقَامَ بِهَا يَسِيرًا ، ثُمَّ ٱنْتَقَلَ إِلَى بَالِسَ(٢) ٱلَّتِى عَلَى ٱلْفُرَاتِ بِأَمْرِ نُورِ ٱلدِّينِ ، وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ٱلْإِمَامُ ٱلْمُقْتَفِى ، وَلَا أَعْلَمُ مَتَى مَاتَ ؟ وَلَمَّا كَانَ بِدِمَشْقَ

وكان بمدينة بعلبك ، وكان صبيا لم يبلغ الحلم ، فجاء مسرعا ودخل مدينة دمشق ، فملكوه ولقبوه « جمال الدين » وانتهى الخبر الى خاتون صفوة الملك والدة الأمير محمود المقتول ، فأرسلت الى الأمير عماد الدين زنكى « والد السلطان نور الدين محمود بن زنكى » بن آق سنقر وأخبرته بالأمر ، واستنجدته أن يأخذ بثار ابنها ففعل (١) فى سنة ٥٤٥ نزل الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام على دمشق وحاصرها فراسله صاحبها مجير الدين آبق ، وخرج اليه هو والرئيس أبو الفوارس المسيب بن على بن الحسين بن الصوفى ، و بذلاله الطاعة ، وأن يخطب له مجير الدين بعد الخليفة والسلطان ، وأن ينقش اسمه على نقوده ، فرضى نور الدين بذلك ، وخلع عليه و رحل عنه ، ثم عاد سنة ٥٤٦ الى حصار مدينة دمشق وحاصرها ، فاستنجد مجير الدين آبق بالفرنج ، فرحل عنها نور الدين ثم نازلها على يد الفقيه برهان الدين على بن محمد البلخى وأسد الدين شيركوه وأخيه نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين ، فعقد نور الدين مع آبق حلف القوى مع الضعيف بشروط أملتها القوة ، ثم رحل عنه ، وزاد مجير آبق ضعفا ظلمه — وما أقبح قدرة الضعفاء — فى سنة ٥٤٩ ملك نور الدين دمشق ، وساعده على ذلك بعض أهلها لنفورهم من آبق الذى عاملهم بالعسف وصادر أموالهم ، وتوفى آبق سنة ٥٦٤ . « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هى بلدة بالشام بين حلب والرقة ، كانت على ضفة الفرات الغربية ، ثم

كَانَ مُدَبِّرَ دَوْلَتِهِ مُعِينُ ٱلدِّينِ أُنُرُ[١] بْنُ عَبْدِ ٱللهِ مَمْلُوكُ
جَدِّهِ طُغْتِكِينَ ، وَهُوَ ٱلَّذِى يُنْسَبُ إِلَيْهِ قَصْرُ مُعِينِ ٱلدِّينِ
بِبِلَادِ ٱلْغَوْرِ[٢] مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ ، وَتُوُفِّىَ مُعِينُ ٱلدِّينِ
ٱلْمَذْكُورُ فِى لَيْلَةِ ٱلثَّالِثِ وَٱلْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ
ٱلْآخِرِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَهُوَ ٱلَّذِى
تَزَوَّجَ نُورُ ٱلدِّينِ مَحْمُودٌ ٱبْنَتَهُ ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا مِنْ بَعْدِهِ
ٱلسُّلْطَانُ صَلَاحُ ٱلدِّينِ - رَحِمَهُمُ ٱللهُ أَجْمَعِينَ ، وَلَهُ بِدِمَشْقَ
مَدْرَسَةٌ . ثُمَّ وَجَدْتُ تَارِيخَ وَفَاةِ مُجِيرِ ٱلدِّينِ آبَقَ فَذَكَرْتُهَا
فِى تَرْجَمَةِ نُورِ ٱلدِّينِ مَحْمُودٍ ٱلْآتِى ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى .

لم يزل النهر يشرق عنها شيئا فشيئا حتى صارت بينهما مسافة غير قليلة (١) يسمى
فى بعض المراجع «أنر» بضم الهمزة والنون و بعدها راء، وفى بعضها «أنز»
بضم ففتح أو ضم وفى بعضها «أنر» كما هنا. وكان مدبرا جليل القدر عالى الهمة
وفى الأصل «نز» وهو تصحيف (٢) هو غور الأردن بالشام بين البيت المقدس
ودمشق وهو منخفض عنهما ، ولذلك سمى الغور ، وفيه نهر الأردن و بلاد
وقرى كثيرة ، وعلى طرفه مدينة طبرية و بحيرتها ومنها مأخذ مياهها ، وكان
من أشهر بلاده بعد طبرية بيسان ، ومنها القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى ،
ومن قراه أريحا مدينة الجبارين القوم المذكورين فى القرآن الكريم .
« أحمد يوسف نجاتى »

***

تقية بنت أبى الفرج

« أُمُّ عَلِيٍّ تَقِيَّةُ[١] بِنْتُ أَبِى ٱلْفَرَجِ غَيْثِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ ٱلسَّلَامِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جعفرٍ ٱلسُّلَمِيِّ ٱلْأَرْمَنَازِيِّ ٱلصُّورِيِّ وَهِيَ أُمُّ تَاجِ ٱلدِّينِ أَبِى ٱلْحسَنِ عَلِيِّ بْنِ فَاضِلِ بْنِ سَعْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْحسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ٱبْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صَمْدُونَ ٱلصُّورِيِّ ٱلْأَصْلِ »

كَانَتْ فَاضِلَةً ، وَلَهَا شِعْرٌ جَيِّدٌ قَصَائِدُ وَمَقَاطِيعُ ، وَصَحِبَتِ ٱلْحَافِظَ أَبَا ٱلطَّاهِرِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ ٱلسِّلَفِيَّ ٱلْأَصْبَهَانِيَّ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ زَمَانًا بِثَغْرِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ٱلْمَحْرُوسِ ، وَذَكَرَهَا فِى بَعْضِ تَعَالِيقِهِ وَأَثْنَى عَلَيْهَا ، وَكَتَبَ بِخَطِّهِ : عَثَرْتُ فِى مَنْزِلِ سُكْنَاىَ ، فَانْجَرَحَ أَخْمَصِى[٢] ، فَشَقَّتْ وَلِيدَةٌ فِى ٱلدَّارِ خِرْقَةً مِنْ خِمَارِهَا وَعَصَبَتْهُ ، فَأَنْشَدَتْ تَقِيَّةُ ٱلْمَذْكُورَةُ فِى ٱلْحَالِ لِنَفْسِهَا تَقُولُ[٣] :

---

(١) لها ترجمة فى شذرات الذهب بالجزء الرابع (٢) الأخمص : هو ما لا يصيب الأرض من باطن القدم ، أو هو مارق من أسفلها وتجافى عن الأرض
(٣) مثله قول الآخر :

لو علمنا قدومكم لفرشنا ... مهج القلب أو سواد العيون

لَوْ وَجَدْتُ ٱلسَّبِيلَ جُدْتُ بِخَدِّى
عِوَضًا عَنْ خِمَارِ تِلْكَ ٱلْوَلِيدَهْ
كَيْفَ لِى أَنْ أُقَبِّلَ ٱلْيَوْمَ رِجْلًا
سَلَكَتْ دَهْرَهَا ٱلطَّرِيقَ ٱلْحَمِيدَهْ؟

نَظَرْتُ فِى هَـذَا ٱلْمَعْنَى إِلَى قَوْلِ هَارُونَ(١) بْنِ يَحْيَى ٱلْمُنَجِّمِ :

كَيْفَ نَالَ ٱلْعِثَارُ مَنْ لَمْ يَزَلْ مِنْـ
ـهُ مُقِيلًا(٢) فِى كُلِّ خَطْبٍ جَسِيمِ ؟!
أَوْ تَرَقَّى ٱلْأَذَى إِلَى قَدَمٍ لَمْ
تَخْطُ إِلَّا إِلَى مَقَامٍ كَرِيمِ ؟!

وفرشنا خدودنا ومشيتم ليكون المسير فوق الجفون
ومثل البيت الثانى قول الشاعر يشكر لمحبوبه زيارته اياه :
رجل سعت بك نحوى حقوقها لاتؤدى

(١) ستأتى ترجمته فى حرف الهاء (٢) كانت فى كل الأصول التى بأيدينا « مقيما » ورأيت المعنى يقتضى « مقيلا » فان الشاعر يعجب أن ينال العثار من يقيل العثرات ، وينقذ من الملمات ، ومثله قول أبى الطيب :
وكيف تعلك الدنيا بشىء وأنت بعلة الدنيا طبيب
وكيف تنوبك الشكوى بداء وأنت المستغاث لما ينوب ؟
فان راق القارىء هذا التغيير شكرناله حسن الظن ، والا فهو ومايختار، وعهدنا بالكريم « مقيلا » من كل « عثار » « أحمد يوسف نجاتى »

وَلَهَا غَيْرُ ذَلِكَ أَشْيَاءُ حَسَنَةٌ (١) . وَحَكَى لِيَ الْحَافِظُ

(١) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

ولها من قصيدة :

أعوامنا قد أشرقت أيامها — وعلا على ظهر السماك خيامها

والروض مبتسم بنور أقاحه — لما بكى فرحا عليه غمامها

والنرجس الغض الذى أحداقه — ترنو فيفهم مايقول خزامها (١)

وشقائق النعمان فى وجنانه — خالات مسك حا كها رقامها (٢)

وبنفسج لبس الحداد لحزنه — أسفا على مهج يزيد غرامها

والجلنار على الغصون كأكؤس (٣) — خرطت عقيقا ، والنضار مدامها

وغصون آس شبهته عيوننا — غيدا تثنى قدها وقوامها (٤)

وكأنما زهر الرياض عساكر — فى موكب منشورة أعلامها

(١) تريد الخزامى وهو نبت طيب الريح، بل لعل زهره أذكى الأزهار نفحة

(٢) شقائق النعمان هو ذلك الزهر الأحمر ، قيل انما أضيف الى النعمان « ابن المنذر » لأنه حمى أرضا كثر فيها نبته ، وقيل النعمان اسم للدم وشقائقه قطعه، فشبهت قطعه بقطع الدم — ويشبه أبيات السيدة تقية فى وصف هذه الأزهار قول ابن الساعاتى من أبيات فى وصف روضة :

سفرت شقائقها، فهم الأقحوا — ن بلثمها ،فرنا اليه النرجس

فكأن ذا خد، وذا ثغر يحا — وله ،وذا أبدا عيون تحرس

(٣) الجلنار هو زهر الرمان « معرب كلنار » وقيل :

غدت فى لباس لها أخضر — كما يلبس الورق الجلناره

(٤) مما قيل فى وصف الآس « وقد يسمى المرسين » :

خليلى ماللآس يعبق نشره — اذاهب أنفاس الرياح العواطر؟!

حكى لونه أصداغ ريم معذر — وصورته آذان خيل نوافر

زَكِيُّ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْعَظِيمِ الْمُنْذِرِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -
أَنَّ تَقِيَّةَ الْمَذْكُورَةَ نَظَمَتْ قَصِيدَةً تَمْدَحُ بِهَا الْمَلِكَ الْمُظَفَّرَ
تَقِيَّ الدِّينِ عُمَرَ(١) بْنَ أَخِي السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ - رَحِمَهُمَا
اللهُ تَعَالَى - ، وَكَانَتِ الْقَصِيدَةُ خَمْرِيَّةً ، وَوَصَفَتْ آلَةَ
الْمَجْلِسِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْخَمْرِ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا قَالَ :
الشَّيْخَةُ تَعْرِفُ هَذِهِ الْأَحْوَالَ مِنْ زَمَنِ صِبَاهَا ! فَبَلَغَهَا ذَلِكَ
فَنَظَمَتْ قَصِيدَةً أُخْرَى حَرْبِيَّةً ، وَوَصَفَتِ الْحَرْبَ وَمَا
يَتَعَلَّقُ بِهَا أَحْسَنَ وَصْفٍ ، ثُمَّ سَيَّرَتْ إِلَيْهِ تَقُولُ : عِلْمِي بِهَذَا
كَعِلْمِي بِهَذَا ، وَكَانَ قَصْدُهَا بَرَاءَةَ سَاحَتِهَا مِمَّا نَسَبَهَا إِلَيْهِ .
وَكَانَتْ وِلَادَتُهَا فِي صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِمِائَةٍ بِدِمَشْقَ ،

يبدى نسيم الصبح سر عبيرها — فينم من طيب به نمامها (١)
ياصاح قم لسعادة قد أقبلت — وتنبهت بعد الكرى نوامها
واجمع خواطرنا لنجلوفكرها — لما تجرد للقريض حسامها
مدح الامام على الأنام فريضة — فخر الأئمة شيخها وإمامها

(١) ستأتى ترجمته فى العين .

(١) سمى النمام لطيب رائحته وسطوعها حتى تنم على حامله ، وقد قيل :
واكتم أحاديث الهوى بيننا — ففى خلال الروض نمام

وَرَأَيْتُ بِخَطِّ ٱلْحَافِظِ ٱلسِّلَفِيِّ أَنَّهَا وُلِدَتْ فِي ٱلْمُحَرَّمِ مِنَ ٱلسَّنَةِ ٱلْمَذْكُورَةِ ، وَتُوُفِّيَتْ فِي أَوَائِلِ شَوَّالٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ـ رَحِمَهُمَا ٱللهُ تَعَالَى ـ وَتُوُفِّيَ وَالِدُهَا أَبُو ٱلْفَرَجِ ٱلْمَذْكُورُ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ[1] ، وَقِيلَ فِي صَفَرٍ ، وَكَانَ ثِقَةً ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ ، وَتُوُفِّيَ جَدُّهَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ ٱلسَّلَامِ ضُحَى يَوْمِ ٱلْأَحَدِ تَاسِعِ رَبِيعٍ ٱلْآخِرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِصُورَ[2] ، وَتُوُفِّيَ وَلَدُهَا أَبُو ٱلْحَسَنِ عَلِيٌّ ٱلْمَذْكُورُ فِي ٱلْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّمِائَةٍ بِثَغْرِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ عَنْ سِنٍّ

---

(١) قلت : وكان مولده سنة ٤٤٣ وكان خطيب مدينة صور ومحدثها ثقة ثبتا . وروى عن أبى بكر الخطيب وغيره، ورحل الى دمشق ومصر وكان كاتبا ذا خط حسن ، وجمع تاريخا لمدينة صور الا أنه لم يتمه ، وكان يقول الشعر أيضا،ومن شعره :

عجبت وقد حان توديعنا   وحادى الركائب فى إثرها
ونار توقد فى أضلعى   ودمع تصعد من قعرها
فلا النار تطفئها أدمعى   ولا الدمع ينشف من حرها

فقد جمع بين العلم والأدب والكتابة والخطابة والشعر «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) وكان أيضا من الفضلاء المشهورين والشعراء المطبوعين وكان مولده سنة ٣٩٦ « أحمد يوسف نجاتى »

عَالِيَةٍ ، وَهُوَ صُورِىٌّ الْأَصْلِ مِصْرِىُّ الدَّارِ ، وَكَانَ فَاضِلًا فِى النَّحْوِ وَالْقِرَاءَاتِ ، حَسَنَ الْخَطِّ وَالضَّبْطِ لِمَا يَكْتُبُهُ ، وَكَانَ مَوْلِدُ أَبِيهِ فَاضِلٍ الْمَذْكُورِ فِى شَوَّالٍ سَنَةَ تِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِدِمَشْقَ - هَكَذَا نَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّ الْحَافِظِ السِّلَفِىِّ - وَتُوُفِّىَ فِى أَوَّلِ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ ، نَقَلْتُ وَفَاتَهُ مِنْ خَطِّ وَلَدِهِ أَبِى الْحَسَنِ عَلِىٍّ الْمَذْكُورِ .

وَالْأَرْمَنَازِىُّ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الْمِيمِ وَالنُّونِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ زَاىٌ ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى أَرْمَنَازَ ؛ وَهِىَ قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ ، وَقِيلَ مِنْ أَعْمَالِ أَنْطَاكِيَةَ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ ، وَذَكَرَ ابْنُ السَّمْعَانِىِّ أَنَّهَا مِنْ أَعْمَالِ حَلَبَ[١] وَقَالَ لِى مَنْ رَأَى أَرْمَنَازَ : إِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَزَازَ[٢] مِنْ أَعْمَالِ حَلَبَ أَقَلَّ مِنْ مِيلٍ مِنْ جَانِبِهَا الْغَرْبِىِّ . وَالصُّورِىُّ

(١) كان هناك بليدة قديمة من نواحى حلب تسمى أرمناز بينهما نحو خمسة فراسخ ، والمترجم منها - وهناك قرية أخرى بصور تسمى أرمناز أيضا

(٢) عزاز بليدة شمالى حلب طيبة الهواء عذبة الماء « أحمد يوسف نجاتى »

بِضَمِّ ٱلصَّادِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ ٱلْوَاوِ وَبَعْدَهَا رَاءٌ ، هَـذِهِ ٱلنِّسْبَةُ إِلَى مَدِينَةِ صُورَ ، وَهِيَ مِنْ سَاحِلِ ٱلشَّامِ ، وَهِيَ ٱلْآنَ بِيَدِ ٱلْفِرَنْجِ -خَذَلَهُمُ ٱللهُ تَعَالَى ، ٱسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا فِي سَنَةِ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ (١) ، يَسَّرَ ٱللهُ فَتْحَهَا عَلَى أَيْدِي ٱلْمُسْلِمِينَ - آمِينَ.

***

تمام بن غالب التيانى

« أَبُو غَالِبٍ تَمَّامُ بْنُ غَالِبٍ * بْنِ عُمَرَ ٱللُّغَوِيُّ ٱلْمَعْرُوفُ بِالتَّيَّانِيِّ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ ، سَكَنَ مُرْسِيَةَ »

---

(١) فى سنة ٥١٨ نزل الفرنج على مدينة صور وحاصروها وضايقوها حتى نفدت أزواد حاميتها، وكان صاحب مصر الخليفة الآمر بأحكام الله قد بعث اليها أزوادا ، فعصفت الريح بالأسطول فردته الى مصر ، وعاقه القضاء عن الوصول اليها فسلموها بالأمان، ولم يلبث الأسطول بعد ذلك أن وفد اليها بعد بضعة أيام وقد فات الأمر

دنت وحياض الموت بينى وبينها وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

* ترجم له فى كتاب بغية الوعاة « ص ٢٠٩ » قال :

يعرف بابن التيان بفتح المثناة من فوق وتشديد التحتية اللغوى القرطبي. وقال ابن بشكوال فى الصلة :

كان بقية شيوخ اللغة الضابطين لحروفها، الحاذقين بمقاييسها ، مات سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة

وترجم له فى كتاب معجم الأدباء « ج ٢ ص ٣٩٤ »

وترجم له فى كتاب شذرات الذهب « ج ٣ ص ٢٥٦ »

كَانَ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ وَثِقَةً فِي إِيرَادِهَا، مَذْكُورًا بِالدِّيَانَةِ وَالْفِقْهِ وَالْوَرَعِ، وَلَهُ كِتَابٌ مَشْهُورٌ (١) جَمَعَهُ فِي اللُّغَةِ لَمْ يُؤَلَّفْ مِثْلُهُ اخْتِصَارًا وَإِكْثَارًا، وَلَهُ قِصَّةٌ تَدُلُّ عَلَى دِينِهِ مَعَ عِلْمِهِ؛ حَكَى ابْنُ الْفَرَضِيِّ أَنَّ الْأَمِيرَ أَبَا الْجَيْشِ مُجَاهِدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْعَامِرِيَّ (٢) وَجَّهَ إِلَى أَبِي غَالِبٍ الْمَذْكُورِ أَيَّامَ غَلَبَتِهِ عَلَى مُرْسِيَةَ - وَأَبُو غَالِبٍ سَاكِنٌ بِهَا - أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ يَزِيدَ فِي تَرْجَمَةِ هَذَا الْكِتَابِ: مِمَّا أَلَّفَهُ أَبُو غَالِبٍ لِأَبِي الْجَيْشِ مُجَاهِدٍ. فَرَدَّ الدَّنَانِيرَ وَقَالَ: وَاللهِ لَوْ بُذِلَتْ لِيَ الدُّنْيَا عَلَى ذَلِكَ لَمْ أَفْعَلْهُ، وَلَا اسْتَجَزْتُ

(١) اسم هذا الكتاب « الموعب » وله أيضا كتاب شرح الفصيح

(٢) هو الموفق أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامرى مولى عبد الرحمن الناصر بن المنصور محمد بن أبي عامر، كان من أهل الشجاعة والسياسة والأدب والرغبة فى العلوم والمعارف ومحبة أهلها، نشأ بقرطبة، وكان ذا همة وجلد وجراءة، فلما جاءت أيام الفتنة بالأندلس، وتغلبت العساكر على النواحى بذهاب دولة ابن أبي عامر قصد مجاهد فيمن تبعه الجزائر التى فى شرق الأندلس - وهى جزائر ذات سعة وخصب - فغلب عليها وحماها، ثم غلب على أكثر جزيرة سردانية بالبحر الأبيض، ولكن عاجله الفرنج عنها وغلبت على أسطوله وفتكوا بالمسلمين، فعاد الى جزائره بالأندلس وتغلب على مدينة دانية وما يليها، وألقى عصا تسياره بها حتى توفى سنة ٤٣٦ « أحمد يوسف نجاتى »

الْكَذِبِ ، فَإِنِّي لَمْ أُؤَلِّفْهُ لَكَ خَاصَّةً ، وَلَكِنْ لِلنَّاسِ عَامَّةً .

فَاعْجَبْ لِهِمَّةِ هَذَا الرَّئِيسِ وَعُلُوِّهَا ، وَاعْجَبْ لِنَفْسِ هَذَا الْعَالِمِ وَنَزَاهَتِهَا . وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ : كَانَ أَبُو غَالِبٍ هَذَا مُقَدَّمًا فِي عِلْمِ اللِّسَانِ أَجْمَعِهِ ، مُسَلَّمَةً لَهُ اللُّغَةُ ، شَارِعًا مَعَ ذَلِكَ فِي أَفَانِينَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، وَلَهُ كِتَابٌ جَامِعٌ فِي اللُّغَةِ سَمَّاهُ « تَلْقِيحَ الْعَيْنِ » جَمُّ الْإِفَادَةِ . وَتُوُفِّيَ بِالْمَرِيَّةِ فِي إِحْدَى الْجُمَادَيَيْنِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – وَأَخَذَ اللُّغَةَ عَنْ أَبِيهِ ، وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الزُّبَيْدِيِّ[(١)] وَغَيْرِهِمَا وَالتَّيَّانِيُّ : أَظُنُّهُ مَنْسُوبًا إِلَى التِّينِ وَبَيْعِهِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

***

تميم بن المعز ابن المنصور

« أَبُو عَلِيٍّ تَمِيمُ بْنُ الْمُعِزِّ بْنِ الْمَنْصُورِ بْنِ الْقَائِمِ بْنِ الْمَهْدِيِّ »

كَانَ أَبُوهُ صَاحِبَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْقَاهِرَةَ الْمُعِزِّيَّةَ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي حَرْفِ الْمِيمِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ،

(١) ستأتي ترجمته في حرف الميم « محمد بن الحسن » توفي سنة ٣٧٩

وَسَيَأْتِي ذِكْرُ ٱلْبَاقِينَ - إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى - وَكَانَ تَمِيمٌ ٱلْمَذْكُورُ فَاضِلاً شَاعِرًا مَاهِرًا لَطِيفاً ظَرِيفاً ، وَلَمْ يَلِ ٱلْمَمْلَكَةَ ، لِأَنَّ وِلَايَةَ ٱلْعَهْدِ كَانَتْ لِأَخِيهِ ٱلْعَزِيزِ ، فَوَلِيَهَا بَعْدَ أَبِيهِ ، وَلِلْعَزِيزِ أَيْضًا أَشْعَارٌ جَيِّدَةٌ(١) . وَقَدْ ذَكَرَهُمَا أَبُو مَنْصُورٍ ٱلثَّعَالِبِيُّ فِي ٱلْيَتِيمَةِ ، وَأَوْرَدَ لَهُمَا كَثِيرًا مِنَ ٱلْمَقَاطِيعِ ، فَمِنْ شِعْرِ تَمِيمٍ ٱلْمَذْكُورِ :

مَا بَانَ عُذْرِي فِيهِ حَتَّى عَذَّرَا(٢)
وَمَشَى ٱلدُّجَى فِي خَدِّهِ فَتَحَيَّرَا

هَمَّتْ تُقَبِّلُهُ عَقَارِبُ صُدْغِهِ(٣)
فَٱسْتَلَّ نَاظِرُهُ عَلَيْهَا خَنْجَرَا

وَٱللهِ لَوْ لَا أَنْ يُقَالَ تَغَيَّرَا
وَصَبَا - وَإِنْ كَانَ ٱلتَّصَابِي أَجْدَرَا

---

(١) تأتى ترجمته فى حرف النون « نزار » (٢) عذر الغلام : نبت شعر عـذاره أى خده ـ أو العذار استواء شعره يقال : ماأحسن عذاره! أى خط لحيته . والعذاران جانبا اللحية ، وعذار الرجل شعره النابت فى موضع العذار (٣) الصدغ فى الأصل ما بين العين والأذن ، و يطلق على الشعر المتدلى على هذا الموضع ، وقد يلتوى فيشبه بالواو أو بالعقرب ، فيقال : صدغ معقرب

لَأَعَدْتُ تُفَّاحَ ٱلْخُدُودِ بَنَفْسَجًا

لَثْماً ، وَكَافُورَ ٱلتَّرَائِبِ(١) عَنْبَرَا

وَلَهُ أَيْضًا :

أَمَا وَٱلَّذِى لَا يَمْلِكُ ٱلْأَمْرَ غَيْرُهُ

وَمَنْ هُوَ بِالسِّرِّ ٱلْمُكَتَّمِ أَعْلَمُ

لَئِنْ كَانَ كِتْمَانُ ٱلْمَصَائِبِ مُؤْلِماً

لَإِعْلَانُهَا عِنْدِى أَشَدُّ وَآلَمُ

---

(١) الترائب : عظام الصدر ـ جمع تريبة « أو تريب » أو موضع القلادة من الصدر ، قال :

ومن ذهب يلوح على تريب كلون العاج ليس له غضون

يريد الأمير تميم أنه لولا خشية أن يتهم بالتصابى ـ وان كان التصابى فى مثل حبيبه أجدر من التوقر ـ لأشبع خده تقبيلا حتى يعيد حمرته زرقه ، وجلل ترائبه لثما حتى يصير بياضه عنبريا ـ وهو على أى حال من المحبوب فى أزهار ناضرة وعرف شذى ، فلا عليه أن استبدل بالتفاح والورد بنفسجا ، ومن طيب الكافور نفح العنبر . هذا وينسب بعضهم هذه الأبيات ، والأبيات الميمية التى بعدها لتميم بن المعز بن باديس الصنهاجى الآتى بعد هذا ، ولكن أبيات الغزل هذه أشبه بمذهب تميم الفاطمى وطريقه فى الشعر معنى وأسلوبا وغزلا ، وسنعنى جد العناية بالفرق بين « تميمين » الفاطمى والصنهاجى ، وبيان منزلة كليهما فى الأدب وآثاره فيه فى كتابنا الأدب وتاريخه بمصر « وقد ترجمنا فيه للأمير تميم هذا » ان شاء الله تعالى « أحمد يوسف نجاتى »

وَبِى كلّ مَا يُبْكِى الْعُيُونَ أَقَلُّهُ
وَإِنْ كُنْتُ مِنْهُ دَائِمًا أَتَبَسَّمُ[1]

وَأَوْرَدَ لَهُ صَاحِبُ الْيَتِيمَةِ :

وَمَا أُمُّ خِشْفٍ ظَلَّ يَوْمًا وَلَيْلَةً
بِبَلْقَعَةٍ بَيْدَاءَ ظَمْآنَ صَادِيًا[2]

تَهِيمُ فَلَا تَدْرِى إِلَى أَيْنَ تَنْتَهِى
مُوَلَّهَةً[3] حَيْرَى تَجُوبُ الْفَيَافِيَا

أَضَرَّ بِهَا حَرُّ الْهَجِيرِ فَلَمْ تَجِدْ
لِغُلَّتِهَا[4] مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ شَافِيَا

(١) من هذا المعنى لبعض الأدباء :

ان بين الضلوع منى وجدا — لست يوما تجلدا أبديه
واذا ما العليل لم يشك سقما — نطقت حاله بما يخفيه
يبسم الثغر غير أن فؤادى — يعلم الله كل ماهو فيه
وأرانى من بعد أقوى من الدهـ — ـر ومن أهله وكل بنيه
فلى الله عالم السر والنجـ — ـوى معين فى كل أمر كريه
فهو نعم المولى ونعم نصيرا — عز من كان ربه يحميه

(٢) الخشف : بتثليث الخاء ، ولد الظبى أول مايولد . والبلقعة : الأرض القفر . والصادى : العطشان (٣) المولهة : المشتركة الخواطر من شدة الحزن (٤) الغلة : شدة العطش . والهجير شدة حرارة الظهيرة «أحمد يوسف نجاتى»

فَلَمَّا دَنَتْ مِنْ خَشْفِهَا انْعَطَفَتْ لَهُ

فَأَلْفَتْهُ مَلْهُوفَ الْجَوَانِحِ طَاوِيَا(١)

بِأَوْجَعَ مِنِّى يَوْمَ شُدَّتْ حُمُولُهُمْ

وَنَادَى مُنَادِى الْحَيِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

وَمِنَ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ أَيْضًا :

وَكَمَا يَمَلُّ الدَّهْرُ مِنْ إِعْطَائِهِ

فَكَذَا مَلَالَتُهُ مِنَ الْحِرْمَانِ

---

(١) الطاوى : الجائع ، وفعله طوى « كرضى » طوى — وفى هذه الأبيات نوع لطيف من المحسنات البديعية يسمى « التفريع » وهو أن يصدر الشاعر كلامه باسم منفى بما خاصة ، ثم يصف ذلك الاسم المنفى بأحسن أوصافه وأبلغ أحواله ونعوته المناسبة للمقام ، ثم يجعله أصلا يفرع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو غزل أو غير ذلك من الأغراض ثم يخبر عن ذلك الاسم بأفعل التفضيل ، ثم يدخل على المقصود من الأخبار بالمدح أو الذم أو غيرهما و يعلق المجرور بأفعل التفضيل ، فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بمن والاسم الداخل عليه ما النافية ، لأن حرف النفى قد نفى الأفضلية فتبقى المساواة . نحو أن تقول : ما الزهر اذا بكى الغمام فضحك بأحسن من أخلاق الوزير ، فالمساواة بين الزهر فى هذه الحال والأخلاق هنا ثابتة بالشروط المذكوره — ومن أقدم أمثلته الشعرية قول الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن معشبة   غناء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الزهر منها كوكب شرق   مؤزر بعميم النبت مكتهل

وَأَشْعَارُهُ كُلُّهَا حَسَنَةٌ(١) . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ

يوما بأطيب منها طيب رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

ومنه قول ابراهيم بن سهل الأندلسى :

وما وجد أعرابية بان دارها وحنت الى بان الحجاز ورنده

اذا آنست ركبا تكفل شوقها بنار قراه والدموع بوقده

وان أوقدوا المصباح ظنوه بارقا يحيي فهشت للسلام ورده

بأعظم من وجدى بموسى ، وانما يرى أننى أذنبت ذنبا لوده

وتأتى أمثلة بديعة من هذا النوع اللطيف سنشير اليها «أحمد يوسف نجاتى»

(١) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

وأورد له أبو الصلت أمية بن عبد العزيز فى الحديقة :

يوم لنا فى النيل مختصر ولكل يوم مسرة قصر

والسفن تصعد كالخيول بنا فيه ، وجيش الماء ينحدر

فكأنما أمواجه عكن وكأنما داراته سرر (١)

وكان قد وصل الى عبد بن محمد الكاتب بيتان قيلا فى وصف النيل ، فجمع شعراء إفريقية وأمرهم أن يقولوا فى معناهما وقافيتهما ، فلم يأتوا بطائل ، وهما هذان البيتان :

شربنا على الموج لما بدا بموج يزيد ولا ينقص

كأن تكاثف أمواجه معاطف جارية ترقص

وأحسبه للأمير تميم أو لبعض شعراء مصر — وذلك أن تميما ركب فى النيل

---

(١) العكن جمع عكنة وهى ماانطوى وتثنى من لحم البطن سمنا — ومثل هذا التشبيه قول ابن سارة الأندلسى :

النهر قد رقت غلالة صفوه وعليه من صبغ الأصيل طراز

تترقرق الأمواج فيه كأنها عكن الخصور تهزها الأعجاز

وقد سبقت كلمتنا فى هذه العكن والخلاف فيها بين غادات العصر الرشيقات وجداتهن العبلات « أحمد يوسف نجاتى »

سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ بِمِصْرَ - رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى - هَـكَذَا قَالَ صَاحِبُ ٱلدُّوَلِ ٱلْمُنْقَطِعَةِ . وَزَادَ ٱلْعُتَقِيُّ(١) فِي تَارِيخِهِ أَنَّهُ تُوُفِّيَ يَوْمَ ٱلثُّلَاثَاءِ مَعَ زَوَالِ ٱلشَّمْسِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنَ ٱلشَّهْرِ ٱلْمَذْكُورِ ، وَأَنَّ أَخَاهُ ٱلْعَزِيزَ نِزَارَ بْنَ ٱلْمُعِزِّ حَضَرَ ٱلصَّلَاةَ عَلَيْهِ فِي بُسْتَانِهِ ، وَغَسَّلَهُ ٱلْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ ٱلنُّعْمَانِ(٢) ، وَكَفَّنَهُ فِي سِتِّينَ ثَوْبًا ،

ليلة متنزها، فمر ببعض الطاقات المشرفة على النيل وجارية تغنى هذا الصوت:

نبهت ندمانى بدجلة موهنا ... والبدر فى أفق السماء معلق
والبدر يضحك وجهه فى وجهها ... والماء يرقص حولها و يصفق

فاستحسنه وطرب عليه ، ومازال يستعيدها و يشرب عليه حتى انصرف وهو لايعقل سكرا ، فلما أصبح عارضه بالبيتين الأولين . وأورد له على ابن سعيد فى المرقص :

أطلع الحسن من جبينك شعرا ... فوق ورد من وجنتيك أطلا
فكأن العذار خاف على الور ... د جفافا فمد بالشعر ظلا

وأورد له أيضا :

كأن بقايا الليل والصبح طالع ... بقية لطخ الكحل فى الأعين الزرق

(١) هو أبو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، له كتاب اسمه « تاريخ المغاربة » كتب عنه عبد الغنى بن سعيد المغربى ، وهو منسوب الى «العتقاء» وهم جماع فيهم من حجر حمير ومن سعد العشيرة ومن كنانة مضر وغيرهم، فمن حجر حمير أبو عبد الرحمن هذا «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) قاضى الدولة الفاطمية وفقيه الشيعة وعالمها ومصنف الكتب فى مذهبها أستاذ جليل - وان سخط عليه بعض المتعصبين من أهل السنة - وهو

وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْبُسْتَانِ مَعَ الْمَغْرِبِ ،وَصَلَّى عَلَيْهِ بِالْقَرَافَةِ ، وَحَمَلَهُ إِلَى الْقَصْرِ ، فَدَفَنَهُ بِالْحُجْرَةِ الَّتِي فِيهَا قَبْرُ أَبِيهِ الْمُعِزِّ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَمْدَانِيُّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ « الْمَعَارِفَ الْمُتَأَخِّرَةَ » إِنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ، وَاللهُ أَعْلَمُ ، وَقَالَ غَيْرُهُمَا : إِنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ :

* * *

تميم بن المعز ابن باديس

« أَبُو يَحْيَى تَمِيمُ بْنُ الْمُعِزِّ * بْنِ بَادِيسَ بْنِ الْمَنْصُورِ ابْنِ بُلُكِّينَ بْنِ زِيرِى بْنِ مُنَادَ بْنِ مَنْقُوشِ بْنِ زَنَاكَ ابْنِ زَيْدٍ الْأَصْغَرِ بْنِ وَاشِفَالَ بْنِ وَزْغَفِي بْنِ سَرِيِّ بْنِ

أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ، كان ذا منزلة عند بنى بويه ومكانة فى الدولة الفاطمية ، وقد ترجمنا له ترجمة وافية و بينا أثره فى الأدب بمصر « فى كتابنا تاريخ الأدب العام الذى خصصنا منه جزءا ضخما للأدب وتاريخه بمصر » وتوفى سنة ٤١٣ ورثاه الشريف المرتضى بقصيدة غراء « أحمد يوسف نجاتى »

* ترجم له فى كتاب الأعلام « ج ١ ص ١٦٦ » فقال :

ولى الملك بعد وفاة أبيه ـ وكانت الدولة فى اختلال واضطراب ـ فجدد معالمها ، واسترد مدائن سوسة وغيرها ، وكان شجاعا تقيا ، له عناية بالأدب ، ينظم الشعر الحسن ، طالت أيام ملكه ، فأقام ستا وأربعين سنة وعشرة شهور الى أن توفى .

وَتِلْكِي بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحرثِ بْنِ عَدِيٍّ الْأَصْغَرِ «وَهُوَ الْمُثَنَّى» بْنُ الْمُسَوَّرِ بْنِ يَحْصُبَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْغَوْثِ الْأَصْغَرِ بْنِ سَعْدٍ ـ وَهُوَ عَبْدُ اللهِ ـ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سُدَدِ بْنِ زُرْعَةَ ـ وَهُوَ حِمْيَرُ الْأَصْغَرُ ـ ابْنِ سَبَإٍ الْأَصْغَرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ جُشَمَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ وَائِلِ بْنِ الْغَوْثِ ابْنِ حَيْدَانَ بْنِ قَطَنِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَرِيبِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَيْمَنَ بْنِ الْهَمَيْسَعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حِمْيَرٍ ـ وَهُوَ الْعَرَنْجَجُ ـ بْنِ سَبَإٍ الْأَكْبَرِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ بْنِ عَابِرَ «وَهُوَ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ» بْنُ شَالَخَ بْنِ أَرْفَخْشَذِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ[1] ـ هَكَذَا قَالَهُ الْعِمَادُ فِي الْخَرِيدَةِ الْحِمْيَرِيُّ الصِّنْهَاجِيُّ »

---

(١) أقلني من العناية بضبط بعض هذه الأعلام، فانى أرى مالا يراه العماد وابن خلكان هنا. وقد تقدم رأينا «عند ترجمة بلكين بن زيرى جد الأمير تميم» فى نسب صنهاجة وحققنا أنها من صميم البربر الذين هم من نسل حام بن نوح، وأتينا بكلمة مجملة فى تاريخ هذه الأسرة الصنهاجية فارجع اليها. «أحمد يوسف نجاتى»

مَلَكَ إِفْرِيقِيَّةَ وَمَا وَالاهَا بَعْدَ أَبِيهِ الْمُعِزِّ ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ ، مَحْمُودَ الْآثَارِ ، مُحِبًّا لِلْعُلَمَاءِ ، مُعَظِّمًا لِأَرْبَابِ الْفَضَائِلِ حَتَّى قَصَدَتْهُ الشُّعَرَاءُ مِنَ الْآفَاقِ عَلَى بُعْدِ الدَّارِ ؛ كَابْنِ السَّرَّاجِ الصُّورِيِّ وَأَنْظَارِهِ (١) ، وَجَدُّهُ الْمُثَنَّى بْنُ الْمُسَوَّرِ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ مِنْهُمْ إِلَى إِفْرِيقِيَةَ . وَلِأَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ رَشِيقٍ الْقَيْرَوَانِيِّ (٢) فِيهِ مَدَائِحُ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ (٣) :

---

(١) أنظاره : نظرائه وأمثاله وهو جمع « نظر » أى نظير (٢) ستأتى ترجمته فى حرف الحاء .

(٣) زاد فى النسخة الخطية بعد هذين البيتين مانصه :

وقال بعض أهل العصر فى المعنى :

بعلى استعلى على الكفر الهدى (١)	وأنا روجه الدين وهو بهيم
ملك اذا افتخر الملوك ففخره	شرف الى الشرف الجديد قديم
يروى مناقبه عن المنصور با	ديس - أجل - وعن المعز تميم
درجوا ، فأما مجدهم وعلاهم	فلديك موجود وفيك مقيم

---

(١) أظن أن هذه الأبيات فى مدح الأمير على بن يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس، تم له الأمر بافريقية بعد وفاة أبيه يحيى سنة ٥٠٩ وكان ملكا شهما، فتح جزيرة جربة بعد ابائها على من قبله ، وكان بينه و بين الملك « روجار » صاحب صقلية وحشة ، ثم كان بينهما صلح على دخن ، وتوفى الأمير على سنة ٥١٥ - وتوفى الملك روجار سنة ٥٤٨ ﻫ «أحمد يوسف نجاتى »

أَصَحُّ وَأَعْلَى مَا سَمِعْنَاهُ فِى ٱلنَّدَى
مِنَ ٱلْخَبَرِ ٱلْمَأْثُورِ مُنْــذُ قَدِيمِ
أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا ٱلسُّيُولُ عَنِ ٱلْحَيَا(١)
عَنِ ٱلْبَحْرِ عَنْ كَفِّ ٱلْأَمِيرِ تَمِيمِ(٢)

وَلِلأَمِيرِ تَمِيمٍ ٱلْمَذْكُورِ أَشْعَارٌ حَسَنَةٌ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

إِنْ نَظَرَتْ مُقْلَتِى لِمُقْلَتِهَا ... تَعْلَمُ مِمَّا أُرِيدُ فَحْوَاهُ
كَأَنَّهَا فِى ٱلْفُؤَادِ نَاظِرَةٌ ... تَكْشِفُ أَسْرَارَهُ وَنَجْوَاهُ(٣)

وَلَهُ أَيْضًا :

سَلِ ٱلْمَطَرَ ٱلْعَامَ ٱلَّذِى عَمَّ أَرْضَكُمْ
أَجَاءَ بِمِقْدَارِ ٱلَّذِى فَاضَ مِنْ دَمْعِى ؟!

---

(١) والبيتان من أحسن مراعاة النظير فى البديع فانه ناسب بين الصحة والقوة والسماع والخبر المأثور والأحاديث والرواية ، ثم بين السيل والحيا والبحر وكف الأمير تميم التى جعلها ادعاء أصلا للبحر يستمد منه، ففى البيت الثانى صحة الترتيب فى العنعنة اذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع فى سند الأحاديث، فان السيول أصلها الحيا ،والغيث أصله البحر، ولهذا جعل كف الممدوح أصلا للبحر على ما ادعاه الشاعر مبالغة فى المدح الرائق

(٢) الحيا : الغيث (٣) يروقنى فى هذا المعنى قول بعض الأدباء :

يكاد يفهم عنك الوحى ناظره ... كأن عينيه تفتران عن أذن

إِذَا كُنْتَ مَطْبُوعًا عَلَى ٱلصَّدِّ وَٱلْجَفَا

فَمِنْ أَيْنَ لِي صَبْرٌ فَأَجْعَلَهُ طَبْعِي ؟

وَلَهُ أَيْضًا :

وَخَمْرٍ قَدْ شَرِبْتُ عَلَى وُجُوهٍ

إِذَا وُصِفَتْ تَجِلُّ عَنِ ٱلْقِيَاسِ

خُدُودٌ مِثْلُ وَرْدٍ ، فِي ثُغُورٍ

كَدُرٍّ ، فِي شُعُورٍ مِثْلِ آسِ

وَذَكَرَهُ ٱلْعِمَادُ ٱلْكَاتِبُ فِي كِتَابِ ٱلسَّيْلِ ، وَأَوْرَدَ لَهُ :

فَكَّرْتُ فِي نَارِ ٱلْجَحِيمِ وَحَرِّهَا

يَا وَيْلَتَاهُ ـ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصِ (١)

فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنَّ خَيْرَ وَسِيلَتِي

يَوْمَ ٱلْمَعَادِ شَهَادَةُ ٱلْإِخْلَاصِ

وَأَشْعَارُهُ وَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ ، وَكَانَ يُجِيزُ ٱلْجَوَائِزَ ٱلسَّنِيَّةَ وَيُعْطِي ٱلْعَطَاءَ ٱلْجَزِيلَ . وَفِي أَيَّامِ وِلَايَتِهِ ٱجْتَازَ ٱلْمَهْدِيُّ

---

(١) أى ليس الحين حين تأخر وفرار ، أو تحرك وذهاب ، من ناص ينوص اذا حاد عن الشيء أو بعد عنه ـ أى لابد منه ولافرار عنه .

مُحَمَّدُ بْنُ تُومَرْتَ ٱلْآتِي ذِكْرُهُ ـ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى ـ بِإِفْرِيقِيَةَ عِنْدَ عَوْدِهِ مِنْ بِلَادِ ٱلْمَشْرِقِ ، وَأَظْهَرَ بِهَا ٱلْإِنْكَارَ عَلَى مَنْ رَآهُ خَارِجًا عَنْ سَنَنِ ٱلشَّرِيعَةِ ، وَمِنْ هُنَاكَ تَوَجَّهَ إِلَى مَرَّاكُشَ ، وَكَانَ مِنْهُ مَا ٱشْتَهَرَ . وَكَانَتْ وِلَادَةُ ٱلْأَمِيرِ تَمِيمٍ ٱلْمَذْكُورِ بِالْمَنْصُورِيَّةِ ٱلَّتِي تُسَمَّى صَبْرَةَ[1] مِنْ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ ، يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ ثَالِثَ عَشَرَ رَجَبٍ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ أَبُوهُ وِلَايَةَ ٱلْمَهْدِيَّةِ[2] فِي صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ وَالِدُهُ فِي رَابِعِ شَعْبَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ـ كَمَا سَيَأْتِي فِي

---

(١) بلد قرب القيروان من بناء مناد بن بلكين ، سميت باسم المنصور ابن يوسف بن زيرى بن مناد ، واسم يوسف بلكين الصنهاجى ، وتوفى المنصور سنة ٣٨٦ ـ وقال أبو عبيد البكرى : صبرة متصلة بالقيروان بناها اسماعيل المنصور بن القاسم بن عبيد الله المهدى سنة ٣٣٧ وهى المنصورية ، وفى صبرة يقول الحسن بن رشيق القيروانى :

بنفسى من سكان صبرة واحد ... هو الناس والباقون بعد فضول
عزيز له نصفان ؛ ذا فى ازاره ... سمين ، وهذا فى الوشاح نحيل
مدار كؤوس اللحظ منه مكحل ... ومقطف ورد الخد منه أسيل

وقد خربت مدينة صبرة من قديم ، خربتها العرب لما دخلوا افريقية وخربت بلادها فى منتصف القرن الخامس . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) مدينة بينها و بين القيروان مرحلتان ، وهى الى الشمال منها ، منسوبة

تَرْجَمَتِهِ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى ــ فَاسْتَبَدَّ بِالْمُلْكِ، وَلَمْ يَزَلْ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ لَيْـلَةَ ٱلسَّبْتِ مُنْتَصَفَ رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِمِائَةٍ، وَدُفِنَ فِي قَصْرِهِ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى قَصْرِ ٱلسَّيِّدَةِ بِالْمُنَسْتِيرِ ــ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى ــ وَخَلَّفَ مِنَ ٱلْبَنِينَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ، وَمِنَ ٱلْبَنَاتِ سِتِّينَ ــ عَلَى مَا ذَكَرَ حَفِيدُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ بْنُ شَدَّادِ ابْنِ ٱلْأَمِيرِ تَمِيمٍ ٱلْمَذْكُورِ فِي كِتَابِ أَخْبَارِ ٱلْقَيْرَوَانِ ــ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى. وَقَدْ تَقَدَّمَ ضَبْطُ بَعْضِ أَجْدَادِهِ، وَٱلْبَاقِي يَطُولُ ضَبْطُهُ، وَقَدْ قَيَّدْتُهُ بِخَطِّي، فَمَنْ أَرَادَ نَقْلَهُ فَلْيَنْقُلْهُ عَلَى هَذِهِ ٱلصُّورَةِ، فَإِنِّي نَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّ بَعْضِ ٱلْفُضَلَاءِ[1].

للمهدى العبيدى الذى اختطها سنة ٣٠٣ وانتقل اليها سنة ٣٠٨، ولم تزل دار مملكة لهم الى أن ولى الأمر اسمعيل بن أبى القاسم سنة ٣٤٤ فسار الى القيروان محاربا لأبى يزيد الخارجى، واتخذ مدينة صبرة واستوطنها بعد أبيه معد، ثم استولى عليها الملك روجار صاحب صقلية سنة ٥٤٣ حتى استردها عبد المؤمن ابن على سنة ٥٥٥ (١) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

وله وقد وقع بين طائفتين من العرب حرب، وهم عدى ورباح فقتل رجل رجلا من رباح، ثم اصطلحوا وأهدروا دمه، وكان صلحهم مما يضر به وببلاده، فقال فى ذلك أبياتا يحرض على الطلب بدمه :

اذا كانت دماؤكم تطل — أما فيكم بثار مستقل

أغانم ثم سالم ان قتلتم — فما كانت أوائلكم تذل

ونمتم عن طلاب الثار حتى — كأن العز فيكم مضمحل

وَالصِّنْهَاجِيُّ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِيهِ ، وَالْمُنَسْتِيرُ(١) يَأْتِي ذِكْرُهَا فِي حَرْفِ الْهَاءِ — إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى — فِي تَرْجَمَةِ الْبُوصِيرِيِّ .

***

توران شاه ابن شاذى

« الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ شَمْسُ الدَّوْلَةِ * تُورَانُ شَاهْ بْنُ أَيُّوبَ ابْنِ شَاذِي بْنِ مَرْوَانَ الْمُلَقَّبُ فَخْرَ الدِّينِ »

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ أَبِيهِ وَأَخِيهِ تَاجِ الْمُلُوكِ ، وَهُوَ أَخُو السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ — رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى — وَكَانَ أَكْبَرَ مِنْهُ — وَكَانَ السُّلْطَانُ يُكْثِرُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَيُرَجِّحُهُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَبَلَغَهُ أَنَّ بِالْيَمَنِ إِنْسَانًا يُسَمَّى عَبْدَ النَّبِيِّ

---

(١) هى بليدة بافريقية بناها هرثمة بن أعين الهاشمى سنة ١٨٠ وكان هرون الرشيد قد ولاه افريقية، فقدم اليها سنة ١٧٩ . وهى بين المهدية وسوسة .

* ترجم له فى كتاب الأعلام « ج ١ ص ١٦٧ » قال :

هو أمير من الأيوبيين ، أخو السلطان صلاح الدين ، نشأ فى دمشق ثم سير الى اليمن ومعه الأمراء بنو رسول سنة تسع وستين وخمسمائة ، فأخضع عصاتها، وعاد منها والسلطان صلاح الدين محاصرا لحلب، فوصل الى دمشق سنة احدى وسبعين وخمسمائة فاستخلفه صلاح الدين فيها ، فأقام مدة وانتقل الى مصر فمات فيها، وكان شجاعا ذا كرم وحزم .

وله ترجمة أخرى فى كتاب اعجام الأعلام « ص ٨٦ » .

أَبْنَ مَهْدِيٍّ(١) يَزْعُمُ أَنَّهُ يَنْتَشِرُ مُلْكُهُ حَتَّى يَمْلِكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا ـ وَكَانَ قَدْ مَلَكَ كَثِيرًا مِنْ بِلَادِهَا ، وَاسْتَوْلَى عَلَى حُصُونِهَا ، وَخَطَبَ لِنَفْسِهِ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ ثَبَتَتْ

---

(١) هو أبو الحسن على بن مهدى المعروف بعبد النبى صاحب زبيد ومن شيعة الفاطميين. كان رجلا قاسى القلب فظا غليظا ظالما فاتكا ، كان قطع الخطبة العباسية وعاث فى زبيد ، فاستأذن صلاح الدين نور الدين الشهيد فى أن يسير اليه فأذن له ـ ووجد صلاح الدين أيضا من هذه الحادثة فرصة يبعد بها أخاه الأكبر عن مقر الملك الذى كان يرنو اليه ، فقد كان شمس الدولة توران شاه يرى نفسه أحق بالملك منه ، وبلغ السلطان صلاح الدين عن أخيه كلمات كان لسانه يطلقها اذا أفشت الراح سر صدره ودب دبيبها الى موضع الكتمان منه ـ فسير أخاه الى اليمن سنة ٥٦٩ فأسر ذلك الخارج الدعى بعد أن حصره شمس الدولة فى قصره ، حتى طلب الأمان فأمنه ، فلما نزل اليه قيده ووكل به ، ثم قتله وملك زبيد وفتح صنعاء وحصون اليمن والمدائن ، واستولى على أموالها وذخائرها ، وأقام فى زبيد الخطبة العباسية وولى عليها سيف الدولة مبارك بن منقذ ، وولى على باقى البلاد عز الدين عثمان ابن الزنجبيلى ، وعاد توران شاه من اليمن سنة ٥٧١ فاستخلفه أخوه صلاح الدين بدمشق والشام وأعطاه بعلبك ، ثم بلغه عنه أشياء فأبعده الى الأسكندرية ، فأقام بها معتكفا على لهوه ، ولم يحضر حروب أخيه صلاح الدين ولا غزواته حتى توفى بالثغر سنة ٥٧٦ كما هنا الخ. وكان توران شاه مع هذا جوادا ممدحا لا يخلو من لطف وظرف ـ وان كان أسوأ بنى أيوب سيرة وأقبحهم طريقة :

أبوك أبى وأنت أخى ولكن تباينت الطبائع والظروف

ولا غرو ولا عجب ، فحمزة والعباس ابنا عبد المطلب ، أخوهما عبد العزى أبو لهب . « أحمد يوسف نجاتى » .

قَوَاعِدُهُ وَقَوِىَ عَسْكَرُهُ. فَجَهَّزَ أَخَاهُ شَمْسَ الدَّوْلَةِ الْمَذْكُورَ بِجَيْشٍ، اخْتَارَهُ، وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِى أَثْنَاءِ رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، فَمَضَى إِلَيْهَا، وَفَتَحَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، وَقَتَلَ الْخَارِجِىَّ الَّذِى كَانَ فِيهَا وَمَلَكَ مُعْظَمَهَا. وَأَعْطَى وَأَغْنَى خَلْقًا كَثِيرًا، وَكَانَ كَرِيمًا أَرْيَحِيًّا، ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ مِنَ الْيَمَنِ وَالسُّلْطَانُ عَلَى حِصَارِ حَلَبَ، فَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ فِى ذِى الْحِجَّةِ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ. وَلَمَّا رَجَعَ السُّلْطَانُ مِنَ الْحِصَارِ وَتَوَجَّهَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ اسْتَخْلَفَهُ بِدِمَشْقَ، فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ.

وَذَكَرَ ابْنُ شَدَّادٍ فِى سِيرَةِ صَلَاحِ الدِّينِ أَنَّهُ تُوُفِّىَ يَوْمَ الْخَمِيسِ مُسْتَهَلَّ صَفَرٍ، وَقَالَ فِى مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ السِّيرَةِ أَيْضًا — خَامِسَ صَفَرٍ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِثَغْرِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ الْمَحْرُوسِ، وَنَقَلَتْهُ أُخْتُهُ شَقِيقَتُهُ سِتُّ الشَّامِ بِنْتُ أَيُّوبَ(١) إِلَى دِمَشْقَ، وَدَفَنَتْهُ فِى مَدْرَسَتِهَا

(١) كانت سيدة الخواتين « السيدات » فى عصرها ، وكانت كثيرة البر

أَلَّتِي أَنْشَأَتْهَا بِظَاهِرِ دِمَشْقَ ، فَهُنَاكَ قَبْرُهُ وَقَبْرُهَا وَقَبْرُ وَلَدِهَا حُسَامِ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ لَاجِينَ(١) وَقَبْرُ زَوْجِهَا نَاصِرِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرِكُوهَ صَاحِبِ حِمْصٍ وَكَانَتْ تَزَوَّجَتْهُ بَعْدَ لَاجِينَ - رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ - وَكَانَتْ وَفَاةُ حُسَامِ الدِّينِ الْمَذْكُورِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ تَاسِعَ عَشَرَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَهَذَا حُسَامُ الدِّينِ الْمَذْكُورُ هُوَ سَيِّدُ شِبْلِ الدَّوْلَةِ كَافُورِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْحُسَامِيِّ الْخَادِمِ صَاحِبِ الْمَدْرَسَةِ(٢) وَالْخَانِقَاهْ الشِّبْلِيَّةِ اللَّتَيْنِ فِي ظَاهِرِ دِمَشْقَ عَلَى طَرِيقِ جَبَلِ قَاسِيُونَ - وَلَهُمَا شُهْرَةٌ فِي مَكَانِهِمَا - وَلَهُ أَوْقَافٌ كَثِيرَةٌ وَمَعْرُوفٌ نَافِعٌ فِي

والاحسان والصدقات، وكانت تعمل كل عام فى دارها كثيرا من الأشربة والأدوية والعقاقير بألوف الدنانير وتفرقها على المحتاجين اليها، وكان بابها كعبة القاصدين، وملجأ المعوزين ، وزوجها هو ابن عمها الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص، وكان لها أوقاف وحبوس جمة وصدقات جارية بدمشق وغيرها، وتوفيت سنة ٦١٦ رحمها الله تعالى . « أحمد يوسف نجاتى »

(١) الذى فى ابن الأثير أنه محمد بن عمر بن لاجين

(٢) بنى هذه المدرسة لأصحاب أبى حنيفة على نهر ثورى بدمشق والخانقاه الى جانبها، وكان رجلا صالحا عاقلا ذا خير ودين « أحمد يوسف نجاتى »

الدُّنيا وَالآخِرَةِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رجَبٍ سَنَةَ ثَلاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمائةٍ ، وَدُفِنَ فِي تُرْبَتِهِ الْمُجَاوِرَةِ لِمَدْرَسَتِهِ الْمَذْكُورَةِ . وَسَيَأْتِي ذِكْرُ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ شِيرِكُوهَ فِي تَرْجَمَةِ أَبِيهِ فِي حَرْفِ الشِّينِ - إِنْ شَاءَ اللهُ تعالى - وَتُوُفِّيَتْ سِتُّ الشَّامِ الْمَذْكُورَةِ فِي سَادِسَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَسِتِّمائةٍ . وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ وَجَدْتُ بِخَطِّ بَعْضِ الْفُضَلاءِ مِمَّنْ لَهُ عِنَايَةٌ بِهَذَا الْفَنِّ زِيَادَةً عَلَى مَا ذَكَرْتُهُ هٰهُنَا ، فَتَرَكْتُ مَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي هَذَا الْمَكَانِ وَأَتَيْتُ بِتِلْكَ الزِّيَادَةِ ، فَقَالَ : لَمَّا تَمَهَّدَتْ بِلادُ الْيَمَنِ لِشَمْسِ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَقَامَتْ لَهُ أُمُورُهَا كَرِهَ الْمُقَامَ بِهَا لِكَوْنِهِ تَرْبِيَةَ بِلادِ الشَّامِ - وَهِيَ كَثِيرَةُ الْخَيْرِ ، وَالْيَمَنُ بِلادٌ مُجْدِبَةٌ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ - فَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ صَلاحِ الدِّينِ يَسْتَقِيلُ مِنْهَا ، وَيَسْأَلُهُ الإِذْنَ لَهُ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى الشَّامِ ، وَيَشْكُو حَالَهُ وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ عَدَمِ الْمَرَافِقِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ صَلاحُ الدِّينِ

رَسُولاً مضمُونُ رِسَالَتِهِ تَرْغِيبُهُ فِي الْإِقَامَةِ وَأَنَّهَا كَثِيرَةُ الْأَمْوَالِ وَمَمْلَكَةٌ كَبِيرَةٌ، فَلَمَّا سَمِعَ الرِّسَالَةَ قَالَ لِمُتَوَلِّي خِزَانَتِهِ: أَحْضِرْ لَنَا أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَحْضَرَهَا، فَقَالَ لِأُسْتَاذِ دَارِهِ وَالرَّسُولُ حَاضِرٌ عِنْدَهُ: أَرْسِلْ هَذَا الْكِيسَ إِلَى السُّوقِ يَشْتَرُونَ لَنَا بِمَا فِيهِ قِطْعَةَ ثَلْجٍ، فَقَالَ أُسْتَاذُ الدَّارِ: يَا مَوْلَانَا هَذِهِ بِلَادُ الْيَمَنِ! مِنْ أَيْنَ يَكُونُ فِيهَا الثَّلْجُ؟ فَقَالَ: دَعْهُمْ يَشْتَرُونَ بِهَا طَبَقَ مِشْمِشٍ لَوْزِيٍّ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ يُوجَدُ هَذَا النَّوْعُ هَهُنَا؟! فَجَعَلَ يُعَدِّدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ أَنْوَاعِ فَوَاكِهِ دِمَشْقَ، وَأُسْتَاذُ الدَّارِ يُظْهِرُ التَّعَجُّبَ مِنْ كَلَامِهِ وَكُلَّمَا قَالَ لَهُ عَنْ نَوْعٍ قَالَ لَهُ: يَا مَوْلَانَا مِنْ أَيْنَ يُوجَدُ هَذَا هَهُنَا؟. فَلَمَّا اسْتَوْفَى الْكَلَامَ إِلَى آخِرِهِ قَالَ لِلرَّسُولِ: لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا أَصْنَعُ بِهَذِهِ الْأَمْوَالِ إِذَا لَمْ أَنْتَفِعْ بِهَا فِي مَلَاذِّي وَشَهَوَاتِي؟! فَإِنَّ الْمَالَ لَا يُؤْكَلُ بِعَيْنِهِ، بَلِ الْفَائِدَةُ فِيهِ أَنَّهُ يَتَوَصَّلُ بِهِ الْإِنْسَانُ إِلَى بُلُوغِ أَغْرَاضِهِ.

فَعَادَ الرَّسُولُ إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا جَرَى، فَأَذِنَ

لَهُ فِي ٱلْمَجِيءِ . وَكَانَ ٱلْقَاضِي ٱلْفَاضِلُ يَكْتُبُ إِلَيْهِ ٱلرَّسَائِلَ ٱلْفَائِقَةَ وَيُودِعُهَا شَرْحَ ٱلْأَشْوَاقِ ، فَمِنْ ذٰلِكَ أَبْيَاتٌ مَشْهُورَةٌ ذَكَرَهَا فِي ضِمْنِ كِتَابٍ وَهِيَ :

لَا تَضْجَرَنْ مِمَّا أَتَيْتُ فَإِنَّهُ
صَدْرٌ لِأَسْرَارِ ٱلصَّبَابَةِ يَنْفُثُ[1]

أَمَّا فِرَاقُكَ وَٱللِّقَاءُ فَإِنَّ ذَا
مِنْهُ أَمُوتُ ، وَذَاكَ مِنْهُ أُبْعَثُ

حَلَفَ ٱلزَّمَانُ عَلَى تَفَرُّقِ شَمْلِنَا
فَمَتَى يَرِقُّ لَنَا ٱلزَّمَانُ وَيَحْنَثُ ؟!

كَمْ يَلْبَثُ ٱلْجِسْمُ ٱلَّذِي مَا نَفْسُهُ
فِيهِ وَلَا أَنْفَاسُهُ ؟! كَمْ يَلْبَثُ ؟ ؟

حَوْلَ ٱلْمَضَاجِعِ كُتْبُكُمْ ، فَكَأَنَّنِي
مَلْسُوعُكُمْ ، وَهِيَ ٱلرُّقَاةُ ٱلنُّفَّثُ[2]

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ فِي ٱلتَّارِيخِ ٱلْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ

---

(١) من قولهم : لابد للمصدور أن ينفث ، أى يفرج عن نفسه بكلمة يجيش بها صدره فينطلق بها لسانه (٢) النفث : جمع نافث : الراقى ينفث و يعوذ بقصد الشفاء «أحمد يوسف نجاتى»

نَابَ عَنْ أَخِيهِ صَلاحِ الدِّينِ بِهَا لَمَّا عَادَ صَلاحُ الدِّينِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ أَخُوهُ صَلاحُ الدِّينِ قَدْ سَيَّرَهُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ إِلَى بِلادِ النُّوبَةِ لِيَفْتَحَهَا قَبْلَ سَفَرِهِ إِلَى الْيَمَنِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا وَجَدَهَا لَا تُسَاوِي الْمَشَقَّةَ ، فَتَرَكَهَا وَرَجَعَ وَقَدْ غَنِمَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الرَّقِيقِ ، وَكَانَتْ لَهُ مِنْ أَخِيهِ إِقْطَاعَاتٌ ، وَنُوَّابُهُ بِالْيَمَنِ يَجْبُونَ (١) لَهُ الْأَمْوَالَ ، وَمَاتَ وَعَلَيْهِ مِنَ الدُّيُونِ مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ فَقَضَاهَا عَنْهُ صَلاحُ الدِّينِ . وَحَكَى صَاحِبُنَا الشَّيْخُ مُهَذَّبُ الدِّينِ أَبُو طَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْخِيمِيِّ الْحِلِّيُّ نَزِيلُ مِصْرَ الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ قَالَ : رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ شَمْسَ الدَّوْلَةِ « تُورَانَ شَاهْ » بْنَ أَيُّوبَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَمَدَحْتُهُ بِأَبْيَاتٍ وَهُوَ فِي الْقَبْرِ ، فَلَفَّ كَفَنَهُ وَرَمَاهُ إِلَيَّ ، وَأَنْشَدَنِي :

---

(١) يجبون له الأموال : يجمعونها .

لَا تَسْتَقِلَنَّ مَعْرُوفاً سَمَحْتُ بِهِ
مَيْتاً فَأَمْسَيْتُ مِنْهُ عَارِيًا بَدَنِى
وَلَا تَظُنَّنَّ جُودِى شَابَهُ بَخَلٌ
مِنْ بَعْدِ بَذْلِى مُلْكَ الشَّامِ وَالْيَمَنِ
إِنِّى خَرَجْتُ مِنَ الدُّنيَا وَلَيْسَ مَعِى
مِنْ كُلِّ مَامَلَكَتْ كَفِّى سِوَى كَفَنِى

وَلَمَّا كَانَ فِى الْيَمَنِ اسْتَنَابَ فِى زَبِيدَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ أَبَا الْمَيْمُونِ الْمُبَارَكَ بْنَ مُنْقِذٍ الْآتِى ذِكْرُهُ فِى حَرْفِ الْمِيمِ - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . وَتُورَانُ بِضَمِّ التَّاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقِهَا وَسُكُونِ الْوَاوِ وَبَعْدَهَا رَاءٌ ثُمَّ بَعْدَ الْأَلِفِ نُونٌ ، وَهُوَ لَفْظٌ أَعْجَمِيٌّ . وَشَاهْ بِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ هُوَ الْمَلِكُ بِاللُّغَةِ الْعَجَمِيَّةِ ، وَمَعْنَاهُ مَلِكُ الْمَشْرِقِ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْمَشْرِقِ تُورَانُ لِأَنَّهُ بِلَادُ التُّرْكِ ، وَالْعَجَمُ يُسَمُّونَ التُّرْكَ تُرْكَانَ ، ثُمَّ حَرَّفُوهُ فَقَالُوا تُورَانُ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

حَرْفُ الثَّاء

***

ثابت بن قرة

« أَبُو الْحَسَنِ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ* بْنِ هَارُونَ « وَيُقَالُ زَهْرُونُ »

ابْنِ ثَابِتِ بْنِ كَرَايَا بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَرَايَا بْنِ مَارِينُوس

ابْنِ مَالَاجْرِيُوس(١) الْحَاسِبُ الْحَكِيمُ الْحَرَّانِيُّ »

كَانَ فِي مَبْدَإِ أَمْرِهِ صَيْرَفِيًّا بِحَرَّانَ(٢) ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَاشْتَغَلَ بِعُلُومِ الْأَوَائِلِ فَمَهَرَ فِيهَا ، وَبَرَعَ فِي عِلْمِ الطِّبِّ ، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْفَلْسَفَةَ ، وَلَهُ تَآلِيفُ كَثِيرَةٌ فِي فُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ مِقْدَارُ عِشْرِينَ تَأْلِيفاً ، وَأَخَذَ كِتَابَ

---

* ترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم « ص ٣٨٠ » قال :

كان مولده سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وتوفى سنة ثمان وثمانين ومائتين ،وله سبع وسبعون سنة شمسية ، وكان صيرفيا بحران ،استصحبه محمد بن موسى لما انصرف من بلد الروم لأنه رآه فصيحا ، وقيل إنه قرأ على محمد بن موسى فتعلم فى داره ، فوجب حقه عليه فوصله بالمعتضد وأدخله فى جملة المنجمين .

وأصل رياسة الصابئة فى هذه البلاد وبحضرة الخلفاء ثابت بن قرة

(١) فى بعض المراجع «سلامانس» وفى بعضها «سالايونوس» (٢) حران مدينة عظيمة مشهورة كانت قصبه ديار مضر ،وهى على طريق الموصل والشام ، وبها توفى ابراهيم بن الامام محمد بن على بن عبد الله بن العباس سنة ٢٣٢ « أحمد يوسف نجاتى »

إِقْلِيدِس(١) الَّذِى عَرَّبَهُ حُنَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ(٢) الْعِبَادِىُّ فَهَذَّبَهُ وَنَقَّحَهُ وَأَوْضَحَ مَا كَانَ مُسْتَعْجِماً(٣) ، وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ عَصْرِهِ فِى الْفَضَائِلِ ، وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ مَذْهَبِهِ أَشْيَاءَ أَنْكَرُوهَا عَلَيْهِ فِى الْمَذْهَبِ فَرَافَعُوهُ إِلَى رَئِيسِهِمْ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ مَقَالَتَهُ ، وَمَنَعَهُ مِنْ دُخُولِ الْهَيْكَلِ(٤) فَتَابَ وَرَجَعَ عَنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى تِلْكَ الْمَقَالَةِ فَمَنَعُوهُ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى الْمَجْمَعِ ، فَخَرَجَ مِنْ حَرَّانَ وَنَزَلَ كَفَرْتُوثَا وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً إِلَى أَنْ قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى(٥) مِنْ بِلَادِ الرُّومِ رَاجِعاً إِلَى بَغْدَادَ فَاجْتَمَعَ بِهِ فَرَآهُ فَاضِلًا فَصِيحًا ، فَاسْتَصْحَبَهُ إِلَى بَغْدَادَ ، وَأَنْزَلَهُ فِى دَارِهِ ، وَوَصَلَهُ بِالْخَلِيفَةِ(٦) فَأَدْخَلَهُ فِى جُمْلَةِ الْمُنَجِّمِينَ ، فَسَكَنَ بَغْدَادَ ، وَأَوْلَدَ الْأَوْلَادَ ،

---

(١) هو ذلك العالم الرياضى المشهور المبرز فى الهندسة ، حكيم قديم العهد يونانى الجنس شامى الدار من مدينة صور ، وكان كتابه فى الهندسة محل عناية الرياضيين من اليونان والروم والعرب - ونقله الى العربية الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفى واسحق بن حنين وشرحه كثيرون (٢) ستأتى ترجمته (٣) أى مبهما غامض المعنى خفيه (٤) الهيكل الدير ، وأصله البناء المشرف العظيم (٥) تأتى ترجمته . (٦) هو الخليفة المعتضد العباسى « أحمد يوسف نجاتى »

وَعَقِبُهُ بِهَا إِلَى الْآنَ . وَكَفْرَ تُوثَا بِفَتْحِ الْكَافِ وَسُكُونِ الْفَاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَضَمِّ التَّاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقِهَا وَسُكُونِ الْوَاوِ وَبَعْدَهَا ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ بِالْجَزِيرَةِ الْفُرَاتِيَّةِ بِالْقُرْبِ مِنْ دَارَا(١) . وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ(٢) ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْخَمِيسِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ(٣) ، وَكَانَ صَابِئَ النِّحْلَةِ ، وَلَهُ وَلَدٌ يُسَمَّى إِبْرَاهِيمَ بَلَغَ رُتْبَةَ أَبِيهِ فِي الْفَضْلِ ، وَكَانَ مِنْ حُذَّاقِ الْأَطِبَّاءِ وَمُقَدَّمِي أَهْلِ زَمَانِهِ فِي

---

(١) دارا بلدة بين نصيبين وماردين ، بينها و بين كفر توثا خمسة فراسخ ، وعندها كان معسكر دارا بن دار ملك الفرس (٢) فى بعض المراجع سنة ٢١١ وهى عندى أرجح (٣) ولما مات رثاه صديقه أبو أحمد يحي ابن على بن يحي المنجم النديم بقصيدة تبلغ عشرين بيتا أولها :

ألا كل شيء ماخلا الله مائت ... ومن يغترب يؤمل ومن مات فائت

ومنها :

نعينا العلوم الفلسفيات كلها ... خبا نورها اذ قيل قد مات ثابت
وأصبح أهلوها حيارى لفقده ... وزال به ركن من العلم ثابت
وكانوا اذا ضلوا هداهم لنهجها ... خبير بفضل الحكم للحق ناكت
ولما أتاه الموت لم يغن طبه ... ولا ناطق مما حواه وصامت
أبا حسن لاتبعدن وكلنا ... لموتك مفجوع له الحزن كابت
أآمل أن تجلى عن الحق شبهة ... وشخصك مقبور وصوتك خافت؟!

صِناعَةِ الطِّبِّ ، وَعَالَجَ مَرَّةً السَّرِىَّ الرَّفَّاءَ الشَّاعِرَ[١] فَأَصَابَ الْعَافِيَةَ فَعمِلَ فِيهِ ـ وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِى طَبِيبٍ :

هَلْ لِلْعَلِيلِ سِوَى ابْنِ قُرَّةَ شَافِى
بَعْدَ الْإِلٰهِ ؟ وَهَلْ لَهُ مِنْ كَافِى ؟؟

أَحْيَا لَنَا رَسْمَ الْفَلَاسِفَةِ الَّذِى
أَوْدَى ، وَأَوْضَحَ رَسْمَ طِبٍّ عَافِى

فَكَأَنَّهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ نَاطِقاً
يَهَبُ الْحَيَاةَ بِأَيْسَرِ الْأَوْصَافِ

مَثَلَتْ لَهُ قَارُورَتِى مَرْأًى بِهَا
مَا اُكْتِنَّ بَيْنَ جَوَانِحِى وَشَغَافِى[٢]

تهذبت حتى لم يكن لك مبغض ولا لك لما اغتالك الموت شامت
مضى علم العلم الذى كان مقنعا فلم يبق الا مخطىء متهافت

وثابت بن قرة هو أصل ما كان للصابئة من رياسة ومنزلة ببغداد و بحضرة الخلفاء ، وكانت له مكانة سامية عند الخليفة المعتضد يعامله معاملة الصديق بل الأستاذ ، وأنجب سلالة كلهم بلغوا الغاية فى علوم الطب والرياضة وماإليها « أحمد يوسف نجاتى » (١) تأتى ترجمته فى حرف السين

(٢) الشغاف : غلاف القلب ـ وهو جلدة دونه كالحجاب . وا كتن استتر واختفى وتسمى القارورة « الزجاجة » التى فيها بول المريض « تفسرة »

يَبْدُو لَهُ الدَّاءُ الْخَفِيُّ كَمَا بَدَا

لِلْعَيْنِ رَضْرَاضُ(١) الْغَدِيرِ الصَّافِي

وَلَهُ أَيْضًا :

بَرَّزَ إِبْرَاهِيمُ فِي عِلْمِهِ فَرَاحَ يُدْعَى وَارِثَ الْعِلْمِ

أَوْضَحَ نَهْجَ الطِّبِّ فِي مَعْشَرٍ

مَا زَالَ فِيهِمْ دَارِسَ(٢) الرَّسْمِ

كَأَنَّهُ مِنْ لُطْفِ أَفْكَارِهِ يَجُولُ بَيْنَ الدَّمِ وَاللَّحْمِ

إِنْ غَضِبَتْ رُوحٌ عَلَى جِسْمِهَا أَصْلَحَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجِسْمِ

وَمِنْ حَفَدَةِ ثَابِتٍ الْمَذْكُورِ أَبُو الْحَسَنِ ثَابِتُ بْنُ سِنَانِ

ابْنِ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ(٣) ، وَكَانَ صَابِئَ النِّحْلَةِ أَيْضًا ، وَكَانَ

و يطلق هذا الاسم أيضا على البول الذى يستدل به على المرض و ينظر فيه الأطباء ، وعلى نظر الطبيب اليه و بحثه فيه « أحمد يوسف نجاتى »

(١) الرضراض : مادق من الحصى يجرى عليه الماء (٢) درس الرسم ، وعفا : محى وزال أثره (٣) أقول : وهو خال هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابىء الكاتب البليغ المشهور ، وابن أخته هلال هذا هو الذى عمل ذيلا لتاريخ خاله ثابت الى سنة ٤٤٧ ولولا كتاباهما لجهل شىء كثير من تاريخ هاتين المدتين ، اذ لم يتعرض أحد فى مدة هلال بن المحسن الى ماتعرض له من أحكام الأمور والاطلاع على أسرار الدول، فقد أخذ ذلك عن جده أبى اسحق كاتب الانشاء والعارف بالوقائع والخبير بأسرار الدولة ، وتولى

بِبَغْدَادَ فِي أَيَّامِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ، وَكَانَ طَبِيباً عَالِماً نَبِيلاً يُقْرَأُ عَلَيْهِ كُتُبُ بُقْرَاطَ وَجَالِينُوسَ، وَكَانَ فَكَّاكاً لِلْمَعَانِي، وَكَانَ قَدْ سَلَكَ مَسْلَكَ جَدِّهِ ثَابِتٍ فِي نَظَرِهِ فِي الطِّبِّ وَالْفَلْسَفَةِ وَالْهَنْدَسَةِ وَجَمِيعِ الصِّنَاعَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ لِلْقُدَمَاءِ، وَلَهُ تَصْنِيفٌ فِي التَّارِيخِ أَحْسَنَ فِيهِ(١) وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْأَبْيَاتَ الْمَذْكُورَةَ أَوَّلاً مِنْ نَظْمِ السَّرِيِّ الرَّفَّاءِ إِنَّمَا عَمِلَهَا فِيهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ(٢). وَالْحَرَّانِيُّ نِسْبَةٌ إِلَى

هو كتابة الانشاء أيضا فانتفع بذلك فى تاريخه نفعا جليلا، وجاء ولده غرس النعمة محمد بن هلال فوصل بالتاريخ بعد سنة ٤٧٠ بقليل فأحسن وأجاد، وقد طبع بعض هذه التواريخ بأوربة التى تعرف قيمتها ودرجتها العلمية والتاريخية «أحمد يوسف نجاتى»

(١) ذكر فى هذا التاريخ الوقائع والحوادث التى جرت فى زمانه وذلك من أيام الخليفة المقتدر بالله الى أيام الطائع لله. وفى سنة ٣١٣ قلد الوزير الخاقانى ثابت بن سنان هذا رياسة البيمارستان الذى اتخذه ابن الفرات ببغداد، وتوفى سنة ٣٦٣ «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) أقول ان السرى الرفاء توفى سنة ٣٦٦ فكان معاصرا لثابت بن سنان المتوفى سنة ٣٦٣ أو سنة ٣٦٥ بل هو من لداته وأقرانه، غير أنى ربما رجحت ان الأبيات قيلت فى أخيه ابراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة، لأن السرى يقول: برز ابراهيم فى علمه الخ فسماه ابراهيم، وقد كان كأخيه وأبيه وجده وكثير من أفراد أسرته طبيبا حاذقا وكاملا فى العلوم الحكمية متقدما فى زمانه حسن الكتابة وافر الذكاء ولد سنة ٢٩٦

حَرَّانَ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالْجَزِيرَةِ ، ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ — رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى — فِي تَارِيخِهِ أَنَّ هَارَانَ عَمَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَمَّرَهَا فَسُمِّيَتْ بِاسْمِهِ ، فَقِيلَ هَارَانُ ، ثُمَّ إِنَّهَا عُرِّبَتْ فَقِيلَ حَرَّانُ ، وَهَارَانُ الْمَذْكُورُ أَبُو سَارَّةَ زَوْجَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَكَانَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخٌ يُسَمَّى هَارَانَ أَيْضًا ، وَهُوَ أَبُو لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي كِتَابِ الصِّحَاحِ : وَحَرَّانُ اسْمُ بَلَدٍ ، وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِ حَرْنَانِيٌّ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، وَالْقِيَاسُ حَرَّانِيٌّ عَلَى مَا عَلَيْهِ الْعَامَّةُ .

وتوفى سنة ٣٣٥ ببغـداد ، أما عمه ابراهيم بن ثابت بن قرة فيبعد أن يكون السرى الرفاء فى عصره شاعرا مجيدا قادرا على مثل هذا المديح اذ كان صغير السن ، والمشهور من أولاد ثابت بن قرة هو ابنه أبو سعيد سنان ابن ثابت ، فهو الذى كان يلحق بأبيه فى معرفته بالعـلوم واشتغاله بها ومهارته فى صناعة الطب وعلوم الرياضة ، وكان فى خدمة الخليفة المقتدر بالله والقاهر والراضى وتوفى سنة ٣٣١ وكان مدير المستشفى المقتـدرى ببغداد تولى رياسته سنة ٣٠٦ . ولنا عودة الى هذا الموضوع ان شاء الله تعالى « أحمد يوسف نجاتى »

***

ثوبان بن ابراهيم المصرى «ذوالنون»

« أَبُو ٱلْفَيْضِ ثَوْبَانُ* بْنُ إِبْرَاهِيمَ – وَقِيلَ ٱلْفَيْضُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ – ٱلْمِصْرِيُّ ٱلْمَعْرُوفُ بِذِى ٱلنُّونِ ٱلصَّالِحُ ٱلْمَشْهُورُ أَحَدُ رِجَالِ ٱلطَّرِيقَةِ »

كَانَ أَوْحَدَ وَقْتِهِ عِلْماً وَوَرَعًا وَحَالًا وَأَدَبًا ، وَهُوَ مَعْدُودٌ فِى جُمْلَةِ مَنْ رَوَى ٱلْمُوَطَّأَ عَنِ ٱلْإِمَامِ مَالِكٍ – رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ – وَذَكَرَ ٱبْنُ يُونُسَ عَنْهُ فِى تَارِيخِهِ أَنَّهُ كَانَ حَكِيماً فَصِيحًا وَكَانَ أَبُوهُ نُوبِيًّا – وَقِيلَ مِنْ أَهْلِ إِخْمِيمَ – مَوْلًى لِقُرَيْشٍ وَسُئِلَ عَنْ سَبَبِ تَوْبَتِهِ فَقَالَ : خَرَجْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَى بَعْضِ ٱلْقُرَى ، فَنِمْتُ فِى ٱلطَّرِيقِ فِى بَعْضِ ٱلصَّحَارَى فَفَتَحْتُ عَيْنَيَّ فَإِذَا أَنَا بِقُنْبُرَةٍ(١) عَمْيَاءَ سَقَطَتْ مِنْ وَكْرِهَا عَلَى

* ترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم « ص ٥٠٣ » قال : كان متصوفا ، وله أثر فى الصنعة وكتب مصنفة، فمن كتبه : كتاب الركن الأكبر ، وكتاب الثقة فى الصنعة

وترجم له فى كتاب تهذيب التهذيب « ج ٢ ص ٣٦ »

وترجم له فى كتاب الاستيعاب « ج ١ ص ٢٠٩ »

(١) القنبرة معروفة والكثير فى لفظها «قبرة» كسكرة «أحمد يوسف نجاتى»

الْأَرْضِ ، فَانْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَخَرَجَ مِنْهَا سُكُرُّجَتَانِ(١) إِحْدَاهُمَا ذَهَبٌ وَالْأُخْرَى فِضَّةٌ ، وَفِي إِحْدَاهُمَا سِمْسِمٌ وَفِي الْأُخْرَى مَاءٌ ، فَجَعَلَتْ تَأْكُلُ مِنْ هٰذَا وَتَشْرَبُ مِنْ هٰذَا ، فَقُلْتُ : حَسْبِي قَدْ تُبْتُ ، وَلَزِمْتُ الْبَابَ إِلَى أَنْ قَبِلَنِي(٢) .

---

(١) سكرجة : لفظ معرب عن الفارسية «أسكرجة» ومعناها «مقرب الخل» وهى اناء صغير توضع فيه الكوامخ وأشباهها من الجوارش على الموائد حول الأطعمة للتشهى والهضم - وتسمى أيضا « فيخة » وقد استعمل قديما ومنه قول أنس : لا آكل فى سكرجة « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

قال جعفر الرازى : سمعت يوسف بن الحسين (١) يقول : قيل لى - إن ذا النون يعرف اسم الله الأعظم ، فدخلت مصر وخدمته سنة ثم قلت : ياأستاذ انى خدمتك وقد وجب حقى عليك ، وقد قيل لى إنك تعرف اسم الله الأعظم ، وقد عرفتنى ولا تجد له موضعا مثلى ، وأحب أن تعلمنى إياه ، قال : فسكت عنى ولم يجبنى - وكأنه أومأ الى أنه يختبرنى - قال : فتركنى بعد ذلك ستة أشهر ، ثم أخرج الى من بيته طبقا ومكبا

---

(١) هو الشيخ الكبير أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازى شيخ الرى والجبال فى التصوف ، كان نسيج وحده فى الاخلاص واسقاط التصنع والرياء ، وكان يقول : لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحب الى من أن ألقاه بذرة من التصنع ، واذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لايجىء منه شىء ، وكان يقول : اللهم انك تعلم أنى نصحت للناس قولا وخنت نفسى فعلا فهب لى خيانة نفسى بنصيحتى للناس . وروى عن أحمد ابن حنبل ودحيم وغيرهما وصحب ذا النون المصرى ، واتصل بأبى القاسم الجنيد رضى الله عنهم - وتوفى سنة ٣٠٤ رحمه الله تعالى «أحمد يوسف نجاتى»

وَكَانَ قَدْ سَعَوْا(١) بِهِ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، فَاسْتَحْضَرَهُ مِنْ مِصْرَ

مشدودا فى منديل ، وكان ذو النون يسكن الجيزة ، (*) فقال : تعرف فلانا صديقنا من الفسطاط ؟ قلت نعم ، قال : فأحب أن تؤدى هذا اليه ، قال : فأخذت الطبق وهو مشدود ، وجعلت أمشى طول الطريق وأنا مفكر فيه : مثل ذى النون يوجه الى فلان بهدية ! ترى أى شىء هى ؟ فلم أصبر الى أن بلغت الجسر ، فحللت المنديل ورفعت المكبة واذا فأرة قفزت من الطبق وفرت ، فاغتظت غيظا شديدا وقلت : ذو النون يسخر منى ويوجه مثلى بفأرة ! فرجعت على ذلك الغيظ ، فلما رآنى عرف ما فى وجهى وقال : يا أحمق انما جربناك ، ائتمنتك على فأرة فخنتنى ، أفأأتمنك على اسم الله الأعظم ؟ ! مر عنى فلا أراك .

(١) كان ذو النون من أقدم من تكلم ببلده فى ترتيب أحوال القوم ومقامات أهل الولاية ، فأنكر عليه أهل مصر ذلك ونسبوه الى الزندقة ، واستراب الامام عبد الله بن عبد الحكم فى أمره ، فسعوا به الى الخليفة المتوكل ، ووقعت لذى النون بسبب تلك التهمة أمور — وهى تهمة طالما رفعت عصاها على كثيرين من المصلحين وأحرار الفكر ، كما أن حرية الفكر طالما ظلمها أناس من المغرورين وتستروا وراءها يخفون الحادا جاهلا ، ورأيا فائلا ، والله يتولى السرائر ، فهو عليم بما تتناجى به الضمائر ، ولو كنت من ذى النون لأنشدت أبا جعفر المتوكل :

سعى اليك بى الواشى فلم ترنى أهلا لتكذيب ماألقى من الخبر
ولو سعى بك عندى فى ألذكرى طيف الخيال تركت النوم للسهر

ولعل ذا النون لم ير المتوكل أهلا لتلك المنزلة عنده « أحمد يوسف نجاتى »

(*) فى الأصل « الجيرة » وهو تحريف ، فنحن نعرف أن ذا النون سكن الجيزة وبها توفى وحمل فى مركب عبر به خوفا من ازدحام الناس عليه على الجسر « أحمد يوسف نجاتى »

فلمَّا دخلَ عليهِ وَعظَهُ ، فبكى المتوكِّلُ وردَّهُ مُكرَّمًا.

وَكانَ الْمُتوَكِّلُ إذ ذُكرَ أهلُ الورعِ بينَ يديهِ يبكي

ويقولُ : إذا ذُكرَ أهلُ الورعِ فحيَّ هلا[1] بذي النُّونِ .

وكانَ رجُلًا نحيفًا تعلوهُ حُمرةٌ ، ليسَ بأبيضِ اللِّحيةِ ،

وَشيخُهُ في الطَّريقةِ شُقرانُ العابدُ ، ومِنْ كلامِهِ : إذا

صحَّتْ المُناجاةُ بالقلوبِ استراحتِ الجوارحُ ، وقالَ إسحاقُ

ابنُ إبراهيمَ السَّرخسيُّ بمكَّةَ : سمعتُ ذا النُّونِ - وفي يدِهِ

الغُلُّ ، وفي رجليهِ القيدُ ، وهو يُساقُ إلى المُطبقِ[2] والنَّاسُ

يبكونَ حولَهُ - وهو يقولُ : هذا مِنْ مواهِبِ اللهِ تعالى

ومِنْ عطاياهُ ، وكلُّ فعالهِ عذبٌ حسنٌ طيِّبٌ[3] ثمَّ أنشدَ :

لكَ مِنْ قلبي المكانُ المصُونُ

كُلُّ لومٍ عليَّ فيكَ يهُونُ

---

(١) فى الأصل « حس هلا » يقال : حى هلا بكذا ، وعلى كذا ، أى أعجل به وأسرع بذكره ، أو عليك به فابدأ باسمه وادعه وعجل بذكره ، وهما كلمتان جعلتا كلمة واحدة ، ومعنى حى : أعجل ، وهلا حث واستعجال ، وهما كلمتان ركبتا وجعلتا كلمة واحدة - وفى حديث ابن مسعود « اذا ذكر الصالحون فحى هلا بعمر » (٢) المطبق سجن تحت الأرض ، من أطبق الشىء اذا غطاه (٣) كأنه يقول :

مر ما مر بى لأجلك حلو وعذابى من أجل حبك عذب

لكَ عزمٌ بِأَنْ أكونَ قتيلًا
فِيكَ ، وَالصَّبْرُ عنكَ ما لا يكونُ

ووقفتُ فِي بعضِ المجاميعِ عَلَى شيءٍ مِنْ أخبارِ ذِي النُّونِ المِصْرِيِّ - رحمهُ اللهُ تعالَى - فقالَ : إنَّ بعضَ الفقراءِ مِنْ تلامذتِهِ فارقهُ مِنْ مِصْرَ ، وقدِمَ بغدادَ فحضرَ بِهَا سماعًا ، فلمَّا طابَ القومُ وتواجدُوا[١] قامَ ذلكَ الفقيرُ ودارَ واستمعَ ، ثُمَّ صرخَ ووقعَ ، فحرَّكُوهُ فوجدُوهُ ميتًا ، فوصلَ خبرُهُ إِلَى شيخِهِ ذِي النُّونِ ، فقالَ لِأصحابِهِ : تجهَّزُوا حتَّى نمشِيَ إِلَى بغدادَ ، فلمَّا فرغُوا مِنْ أشغالِهِمْ خرجُوا إِلَيْهَا فقدِمُوا عليْهَا ، وساعةَ قدُومِهِمُ البلدَ قالَ الشَّيْخُ : إيتُونِي بذلِكَ المُغنِّي ، فأحضرُوهُ إِلَيْهِ ، فسألهُ عَنْ قضيَّةِ ذلكَ

(١) يفرق القوم بين الوجد والتواجد ، فالوجد مايصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف ولا تصنع ، وقيل : هو بروق تلمع ثم تخمد سريعا ، والتواجد استدعاء الوجد تكلفا بضرب اختيار ، وليس لصاحبه كمال الوجد « لأن باب التفاعل أكثره لاظهار صفة ليست موجودة كالتغافل والتجاهل » وقد أنكره قوم لما فيه من التكلف والتصنع ، وأجازه قوم لمن يقصد به تحصيل الوجد ، والأصل فيه مايروونه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله : « ان لم تبكوا فتباكوا » ، أراد به التباكى ممن هو مستعد للبكاء ، لاتباكى الغافل اللاهى أو المرائى « أحمد يوسف نجاتى »

ٱلْفَقِيرِ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ ، فَقَالَ : مُبَارَكٌ ، ثُمَّ شَرَعَ هُوَ
وَجَمَاعَتُهُ فِى ٱلْغِنَاءِ ، فَعِنْدَ ٱبْتِدَائِهِ فِيهِ صَرَخَ ٱلشَّيْخُ عَلَى ذَلِكَ
ٱلْمُغَنِّى فَوَقَعَ مَيِّتًا ، فَقَالَ ٱلشَّيْخُ : قَتِيلٌ بِقَتِيلٍ ، أَخَذْنَا
ثَأْرَ صَاحِبِنَا ، ثُمَّ أَخَذَ فِى ٱلتَّجْهِيزِ وَٱلرُّجُوعِ إِلَى ٱلدِّيَارِ
ٱلْمِصْرِيَّةِ ، وَلَمْ يَلْبَثْ بِبَغْدَادَ بَلْ عَادَ مِنْ فَوْرِهِ . قُلْتُ :
وَقَدْ جَرَى فِى زَمَنِى شَىْءٌ مِنْ هَذَا يَلِيقُ أَنْ أَحْكِيَهُ هٰهُنَا
وَذَاكَ : أَنَّهُ كَانَ عِنْدَنَا بِمَدِينَةِ إِرْبِلَ مُغَنٍّ مَوْصُوفٌ بِالْحِذْقِ
وَٱلْإِجَادَةِ فِى صَنْعَةِ ٱلْغِنَاءِ ، يُقَالُ لَهُ ٱلشُّجَاعُ جِبْرِيلُ بْنُ
ٱلْأَوَانِى ، فَحَضَرَ سَمَاعًا قَبْلَ سَنَةِ عِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ - فَإِنِّى
أَذْكُرُ ٱلْوَاقِعَةَ وَأَنَا صَغِيرٌ ، وَأَهْلِى وَغَيْرُهُمْ يَتَحَدَّثُونَ بِهَا فِى
وَقْتِهَا - فَغَنَّى ٱلشُّجَاعُ ٱلْمَذْكُورُ ٱلْقَصِيدَةَ ٱلطَّنَّانَةَ ٱلْبَدِيعَةَ
ٱلَّتِى لِسِبْطِ ٱبْنِ ٱلتَّعَاوِيذِىِّ ٱلْآتِى ذِكْرُهُ فِى حَرْفِ ٱلْمِيمِ
إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى وَأَوَّلُهَا :

سَقَاكِ سَارٍ مِنَ ٱلْوَسْمِىِّ هَتَّانُ
وَلَا رَقَتْ لِلْغَوَادِى فِيكِ أَجْفَانُ(١)

---

(١) الوسمى : مطر أول الربيع الذى يسم الأرض . والهتان : المنصب

إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ مِنْهَا :

وَلِي إِلَى ٱلْبَانِ مِنْ رَمْلِ ٱلْحِمَى وَطَرٌ
فَٱلْيَوْمَ لَا ٱلرَّمْلُ يُصْبِينِي وَلَا ٱلْبَانُ

وَمَا عَسَى يُدْرِكُ ٱلْمُشْتَاقُ مِنْ وَطَرٍ
إِذَا بَكَى ٱلرَّبْعَ وَٱلْأَحْبَابُ قَدْ بَانُوا ؟

كَانُوا مَعَانِي ٱلْمَغَانِي ، وَٱلْمَنَازِلُ أَمْ
وَاتٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِنَّ سُكَّانُ

لِلّٰهِ كَمْ قَمَرَتْ قَلْبِي (١) بِجَوِّكَ أَقْ
مَارٌ ، وَكَمْ غَازَلَتْنِي فِيكَ غِزْلَانُ

الدائم التسكاب ، و « رقت » مخفف من رقأت أى سكنت . والغوادى : مطر الغداة جمع غادية . يدعو للديار بالسقيا والخصب ورغد العيش و بعد بيت المطلع :

يادار لهوى واطرابى وملعب أتـ ... رابى ، وللهو والأطراب أوطان
أعائد لى ماض من جديد هوى ... أبليته وشباب فيك فينان ؟!
اذ الرقيب لنا عين مساعدة ... والكاشحون لنافى الحب أعوان
واذ جميلة تولينى الجميل ، وعنـ ... ـد الغانيات وراء الحسن احسان

(١) قمرت ، من المقامرة أى استولت عليه وغلبته وظفرت به .

« أحمد يوسف نجاتى »

وَلَيْلَةٍ بَاتَ يَجْلُو الرَّاحَ مِنْ يَدِهِ

فِيهَا أَغَنُّ خَفِيفُ الرُّوحِ جَذْلَانُ

خَالٍ مِنَ الْهَمِّ فِي خَلْخَالِهِ حَرَجٌ

فَقَلْبُهُ فَارِغٌ، وَالْقُلْبُ مَلْآنُ (١)

يُذْكِي الْجَوَى بَارِدٌ مِنْ ثَغْرِهِ شَبِمٌ

وَيُوقِظُ الْوَجْدَ طَرْفٌ مِنْهُ وَسْنَانُ (٢)

إِنْ يُمْسِ رَيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ فَلِي

قَلْبٌ إِلَى رِيقِهِ الْمَعْسُولِ ظَمْآنُ

بَيْنَ السُّيُوفِ وَعَيْنَيْهِ مُشَارَكَةٌ

مِنْ أَجْلِهَا قِيلَ لِلْأَغْمَادِ أَجْفَانُ (٣)

---

(١) الحرج: الضيق. والقلب: سوار المرأة يكون من عاج أو فضة. يقول: إن محبوبته خالية القلب من الهم والحب والشواغل وأنها مغتبطة رخية البال، ويصف امتلاء ساقها وأطرافها، وأنها عبلة منعمة، هذا اذا ضممت قاف «القلب» ليكون بينه وبين «قلبه» جناس من شأنه أن يقصده ذلك الشاعر، فان فتحت قاف «القلب» أراد به قلبه المملوء بالشواغل «ضد الفارغ» (٢) الشبم: الماء البارد العذب (٣) بعده:

فكيف أصحو غراما أو أفيق هوى ... وقده ثمل الأعطاف نشوان

أفديه من غادر بالعهد غادرني ... صدوده ودموعي فيه غدران

في خده وثناياه ومقلته ... وفي عذاريه للمشتاق بستان

فَلَمَّا أُنتهى إِلَى هَذَا ٱلْبَيْتِ قَامَ بَعْضُ ٱلْحَاضِرِينَ وَقَالَ لَهُ : يَاشُجَاعُ أَعِدْ مَا قُلْتَهُ ، فَأَعَادَهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ، - وَذَلِكَ ٱلشَّيْخُ مُتَوَاجِدٌ - ثُمَّ صَرَخَ صَرْخَةً هَائِلَةً وَوَقَعَ فَظَنُّوهُ قَدْ أُغْمِىَ عَلَيْهِ ، فَافْتَقَدُوهُ بَعْدَ أَنِ ٱنقَطَعَ حِسُّهُ فَوَجَدُوهُ قَدْ مَاتَ ، فَقَالَ ٱلشُّجَاعُ : هَكَذَا جَرَى فِي سَمَاعِي مَرَّةً أُخْرَى ، فَإِنَّهُ مَاتَ فِيهِ شَخْصٌ آخَرُ . وَهَذِهِ ٱلْقَصِيدَةُ مِنْ غُرَرِ ٱلْقَصَائِدِ ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ (١) مَدَحَ بِهَا ٱلْإِمَامَ ٱلنَّاصِرَ لِدِينِ ٱللهِ أَبَا ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ ٱلْمُسْتَضِيءِ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْعَبَّاسِيَّ فِي يَوْمِ عِيدِ ٱلْفِطْرِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَٱللهُ أَعْلَمُ .

وَمَحَاسِنُ ٱلشَّيْخِ ذِي ٱلنُّونِ كَثِيرَةٌ . وَتُوُفِّيَ فِي

شقائق وأقاح نبته خضل ونرجس عبق غض وريحان
مازال يمزج كأسى من مراشفه بقهوة أنا منها الدهر سكران
والليل ترمقنى شزرا كواكبه كأنه من دنوى منه غيران

(١) يبلغ عدد هذه القصيدة نحو ثمانين بيتا ، لايخلو أكثرها من المحسنات البديعية وبخاصة الجناس والطباق ، ولكن أحكام الأسر واتقان الصناعة وجودة الصياغة جعلت هذه المحسنات بديعة رائقة ولطيفة عذبة فى أكثر أبيات القصيدة ، وقد أتينا بما نحفظه منها « أحمد يوسف نجاتى »

ذِى ٱلْقَعْدَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ ـ وَقِيلَ سِتٍّ وَأَرْبَعِين ،
وَقِيلَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ـ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُ ـ بِمِصْرَ ،
وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ ٱلصُّغْرَى ، وَعَلَى قَبْرِهِ مَشْهَدٌ مَبْنِىٌّ ، وَفِى
ٱلْمَشْهَدِ أَيْضًا قُبُورُ جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ ـ رَضِىَ ٱللهُ عَنْهُمْ ـ
وَزُرْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ . وَثَوْبَانُ بِفَتْحِ ٱلثَّاءِ ٱلْمُثَلَّثَةِ وَسُكُونِ
ٱلْوَاوِ وَفَتْحِ ٱلْبَاءِ ٱلْمُوَحَّدَةِ وَبَعْدَ ٱلْأَلِفِ نُونٌ .

﴿ حَرْفُ الْجِيمِ ﴾

***

« أَبُو حَزْرَةَ جَرِيرُ* بْنُ عَطِيَّةَ بْنِ الْخَطَفَى (١) - وَاسْمُهُ

---

* ترجم له فى كتاب الشعر والشعراء « ص ٢٨٣ » قال :

كان عطية أبو جرير مضعوفا ، وأم جرير أم قيس بنت معبد من بنى كليب بن يربوع ، وكان له أخوان عمرو بن عطية وأبو الورد بن عطية ، وولدت جريرا لسبعة أشهر ، وعمر نيفا وثمانين سنة ، ومات باليمامة ، وكان له عشرة من الولد فيهم ثمانية ذكور ، منهم بلال بن جرير ، وكان أفضلهم وأشعرهم ، ويكنى أبا زافر ، ورأى فى المنام أنه قطعت له أربع أصابع من أصابعه ، فقاتل بنى ضبة فقتلوا له أربعة بنين ، ولبلال عقب منهم عمارة بن عقيل بن بلال ، وهو القائل فى دينار ويحيي ابنى عبدالله :

مازال عصياننا لله يسلمنا ... حتى دفعنا الى يحيي ودينار

الى عليجين لم تقطع ثمارهما ... قدطال ماسجدا للشمس والنار

(١) كان الخطفى شاعرا ، ومن مليح شعره قوله :

عجبت لإزراء العيى بنفسه ... وصمت الذى قد كان بالقول أعلما

وفى الصمت ستر للعيى ، وانما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما

ولقب بالخطفى لقوله فى وصف إبل من أرجوزة :

كلفنى قلبى وماذا كلفا ... هوا زنيات حللن غريفا

أقمن شهرا بعد ماتصيفا ... حتى اذاماطرد الهيف السفا

قربن شولا ودليلا مخشفا ... اذا جنى الرمل له تعسفا

يرفعن بالليل اذا ماأسدفا ... أعناق جنان وهاما رجفا

وأعينا بعد الكلال ذرفا ... وعنقا بعد الكلال خطفى

ويروى « خيطفى » وخيطفا « غريف جبل لبنى نمير » والهيف : ريح حارة تأتى

حُذَيْفَةَ وَالْخَطَفَى لَقَبُهُ ـ ابْنِ بَدْرِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ كُلَيْبِ بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ ابْنِ تَمِيمِ بْنِ مُرٍّ التَّمِيمِيُّ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ »

كَانَ مِنْ فُحُولِ شُعَرَاءِ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَرَزْدَقِ مُهَاجَاةٌ وَنَقَائِضُ (١) ، وَهُوَ أَشْعَرُ مِنَ الْفَرَزْدَقِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَذَا الشَّأْنِ ، وَأَجْمَعَتِ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي شُعَرَاءِ الْإِسْلَامِ مِثْلُ ثَلَاثَةٍ : جَرِيرٍ ، وَالْفَرَزْدَقِ ، وَالْأَخْطَلِ ، وَيُقَالُ : إِنَّ بُيُوتَ الشِّعْرِ أَرْبَعَةٌ : فَخْرٌ وَمَدِيحٌ وَهِجَاءٌ وَنَسِيبٌ ، وَفِي الْأَرْبَعَةِ فَاقَ جَرِيرٌ غَيْرَهُ ، فَالْفَخْرُ قَوْلُهُ :

من نحو اليمن وهى نكباء بين الجنوب والدبور تو بس النبات وتعطش الحيوان وتجفف المياه . والسفا : التراب وكل شجر له شوك « يريد اذا اشتد الحر » . وأسدف الليل : أظلم ، والجنان ضرب من الحيات اذا مشت رفعت رءوسها واحدها جان . والهام الرءوس ، ورجف : مضطربة كثيرة الحركة فى السير ، جمع راجف ، والعنق : السير المنبسط ، والخيطف والخيطفى : سرعة انجذاب السير كأنه يختطف فى سيره عنقه أى يجتذبه ، وجمل خيطف أى سريع السير مأخوذ من الخطف وهو الخلس ـ ويروى : وعنقا بعد الرسيم خيطفا ـ والرسيم ضرب من السير سريع يرسم الأرض أى يؤثر فيها « أحمد يوسف نجاتى » (١) النقائض جمع نقيضة : وهو أن يقول شاعر شعرا فينقض عليه شاعر آخر حتى يجئ بغير ما قال . « أحمد يوسف نجاتى »

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ
حَسِبْتَ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا (١)

وَٱلْمَدِيحُ قَوْلُهُ :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ ٱلْمَطَايَا
وَأَنْدَى ٱلْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ (٢) ؟

وَٱلْهِجَاءُ قَوْلُهُ :

فَغُضَّ ٱلطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ
فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا (٣)

---

(١) فى هذا البيت يقول الفرزدق وقد ذكر جريرا : قاتله الله ماأخشن ناحيته وأشرد قافيته ، والله لو تركوه لأبكى العجوزعلى شبابها، والشابة على أحبابها ، ولكنهم هروه فوجدوه عند الفراش نابحا ، وعند الجراء قارحا ، وقد قال بيتا لأن أكون قلته أحب الى مما طلعت عليه الشمس : اذا غضبت الخ (٢) الراح جمع راحة يريد اليد ، وندى الكف أو الراحة أى كريم واسع العطاء . « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) هذا البيت من قصيدته البائية البليغة يهجو فيها الراعى النميرى «عبيد ابن حصين بن معاوية بن جندل » وهو شاعر فحل غلب عليه لقب الراعى لكثرة وصفه الابل وجودة نعته اياها » ومطلعها :

أقلى اللوم عاذل والعتابا وقولى ان أصبت لقد أصابا

و بعد البيت :

أتعدل دمنة خبثت وقلت الى فرعين قد كثرا وطابا؟!
ألسنا أكثر الثقلين رجلا ببطن منى وأعظمه قبابا؟!

وَالنَّسِيبُ(١) قَوْلُهُ :

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ(٢)
قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَا

يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لَا حَرَاكَ بِهِ
وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ أَرْكَانَا(٣)

وَحَكَى(٤) أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى الآتِي ذِكْرُهُ — إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى — قَالَ : خَرَجَ جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ مُرْتَدِفَيْنِ عَلَى نَاقَةٍ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأُمَوِيِّ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ

اذا غضبت عليك بنو تميم الخ والدمنة أراد بها بنى نمير ، وأراد بالفرعين كعبا وكلابا (١) قال أبو عبد الله محمد بن سلام . و بيت النسيب عندى :

فلما التقى الحيان ألقيت العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

(٢) الحور : شدة سواد سواد العين فى شدة بياض بياضها مع استدارة حدقتها و رقة جفونها و بياض ماحواليها (٣) بعده :

أتبعتهم مقـلة انسانها غرق هل ماترى تارك للعين انسانا؟!

(٤) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

ودخل جرير على الوليد بن عبد الملك وعنده عدى بن الرقاع العاملى فقال الوليد لجرير : أتعرف هذا ؟ قال لا ، قال : هو ابن الرقاع ، قال : شر الثياب ما كانت فيه الرقاع ، قال : انه من عاملة ، قال : عاملة ناصبة تصلى نارا حامية ، قال : ماتريد من رجل يمدح أحياء بنى أمية ويرثى موتاها ؟! والله لئن هجوته لأركبنه عنقك ، فخرج جرير وابن الرقاع وراءه فقال : أيها الناس كدت أخرج اليـكم وهذا القرد على عنق .

وحكى عقال بن شبة (١) قال : كنت رديفا لأبى فلقيه جرير على بغل ، فحياه أبى وألطفه ، فقلت له : بعدما قال لنا : ماقال ! (٢) قال يابنى أفأوسع جرحى ؟ وقال أبو عبيدة : التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير :

فانك لاق بالمنازل من منى فخارا، فأخبرنى بما أنت فاخر

فقال جرير : بلبيك اللهم لبيك ، قال : فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ، ويعجبون به . وحدث أبو الخطاب (٣) عن أبيه عن حجناء بن جرير ، قال : قلت لأبى : ياأبت ماهجوت قوما قط الا أفسدتهم سوى التيم ، قال : انى لم أجد حسبا فأضعه ، ولا بناء فأهدمه. حكى حماد عن أبيه عن اسحاق (٤) بن يحيى بن طلحة قال : قدم علينا جرير المدينة فحشدنا له ، فبينا نحن عنده ذات يوم اذ قام لحاجته ، وجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ قلنا قام آنفا ، ماتريد منه ؟ قال : أخزيه والله ان الفرزدق لأشعر منه وأشرف ، قلناله : لاترد ذلك ، فلم نكد نلبث أن جاء جرير ، فقال له الأحوص : السلام عليك ، قال : وعليك السلام

---

(١) عقال بن شبة التميمى من سادات بنى تميم وخطبائها البلغاء (٢) قال فيه جرير مالم يقل مالك فى الخمر ، فقد كان شبة بن عقال من خطباء العرب فزعموا أنه كان يوما يخطب وقد تمادى فى خطبته وفتحت له مغاليق القول فيها وجهد فى التفكير حتى ضرط ـ زعموا ـ فضرب بيده على جاعرته وقال : ياهذه كفيناك السكوت فاكفينا الكلام، ففضحه جرير ـ وكان أسبق الى ضرب المثل بفعلة شبة من ضرب المثل بعد بفعلة وهب ـ فقال :

فضح السرية يوم يخطب قائما ساح النعامة شبة بن عقال

فان صح ذلك « وبيت جرير صحيح من قصيدة معروفة » فقد جاء شبة بأنتن سبة «أحمد يوسف نجاتى» (٣) أبو الخطاب الأخفش (٤) اسحق بن يحيى بن طلحة ابن عبيد الله التيمى أبو محمد المدنى أخبارى محدث توفى سنة ١٦٤ وجده طلحة ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة أحد العشرة والستة الشورى ومن أجلاء الصحابة توفى سنة ٣٦ . « أحمد يوسف نجاتى »

قال : يابن الخطفى الفرزدق أشعر منك ، فأقبل جرير علينا ، فقال : من الرجل ؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح الأنصارى ، قال : هذا الخبيث ابن الطيب ، ثم أقبل عليه فقال : قد قلت

يقر بعيني مايقر بعينها　　وأحسن شىء مابه العين قرت

فانه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أفيقر ذلك بعينك ؟! قال — وكان الأحوص يرمى بالأبنة — فانصرف وأرسل اليه بتمر وفاكهة وأقبلنا نسأل جريرا وهو فى مؤخر البيت وأشعب عند الباب فأقبل أشعب يسأله ، فقال له جرير : والله انك لأقبحهم وجها ، ولكنى أراك أطولهم حسبا ، وقد أبرمتنى ، قال : وأنا والله أنفعهم لك ، فانتبه جرير وقال : وكيف ؟ قال لأنى أملح شعرك — واندفع يغنيه قوله :

ياأخت ناجية السلام عليكم　　قبل الرحيل وقبل لوم العذل

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم　　يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

قال : فأدناه جرير حتى ألصق ركبته بركبته وجعله قريبا منه ، ثم قال أجل ! والله انك أنفعهم لى وأحسنهم تزيينا لشعرى ، أعد ، فأعاده عليه وجرير يبكى حتى اخضلت لحيته بالدموع ، ثم وهب له دراهم كانت معه وكساه حلة من حلل الملوك ، وكان يرسل اليه طول مقامه بالمدينة فيغنيه أشعب ويعطيه جرير شعره فيغنى فيه ، وكان أشعب من أحسن الناس صوتا . قيل : جاء جرير الى باب سكينة (١) بنت الحسين عليهما السلام

(١) هى تلك السيدة النبيلة ، والأديبة الناقدة الظريفة ، ربة الطهر والصون وصاحبة العصمة والجلال ، وعقيلة الشرف والكمال ، السيدة سكينة بنت الحسين ابن على بن أبى طالب — أمها الرباب بنت امرىء القيس بن عدى التى يقول فيها زوجها السبط المطهر الحسين :

لعمرك اننى لأحب دارا　　تقيم بها سكينة والرباب

تزوج السيدة سكينة مصعب بن الزبير ، ثم عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام ، ثم زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان — وكانت

يستأذن عليها ، فلم تأذن له ، وخرجت اليه جارية لها، فقالت له : تقول لك سيدتى : أنت القائل :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعى بسلام

قال نعم ، قالت : فهلا أخذت بيدها و رحبت بها وأدنيت مجلسها وقلت لها مايقال لمثلها ؟! أنت عفيف وفيك ضعف ، خذ هذه الألفى الدرهم واذهب فالحق بأهلك . وقيل : لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وفد الشعراء اليه ، وأقاموا ببابه أياما لايؤذن لهم ، فبيناهم كذلك وقد عزموا على الرحيل اذ مر بهم رجاء بن حيوة (١) وكان من خطباء أهل الشام – فلما رآه جرير داخلا على عمر قال:

يأيها الرجل المرخى عمامته هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

قال : فدخل ولم يذكر من أمرهم شيئا ، ثم مر بهم عدى بن أرطاة (٢) فقال جرير :

مع جمالها المصون بالجلال، وحسنها المحجب بالكمال، معروفة بالأدب وحسن الخصال ، ولها نوادر تدل على قوة مكانتها فى النقد وحسن ذوقها الأدبى وكان لها أثر حميد فى ترقية الأدب والنهوض به فى عصرها، فهى قد سبقت سيدات فرنسة اللاتى كانت لأبهائهن « صالات » الأدبية أعظم الأثر فى حسن الأدب الفرنسى والسير به الى جهة الارتقاء والنقاء، وتوفيت رضى الله عنها سنة ١١٧ بالمدينة . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) هو أبو المقدام رجاء بن حيوة الكندى الفقيه الشامى ، كان خطيبا شريفا نبيلا كامل السؤدد، بل كان فى عصره سيد أهل الشام فى أنفسهم جمع بين الفقه والحديث والعلم والأدب والفصاحة والبلاغة وقوة العارضة وحسن البيان ، وكان أحد أعلام الأمة ثقة فاضلا ، توفى سنة ١١٢ . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) سبق التعريف به – والمشهور أن الذى خاطبه جرير بهذه الأبيات هو عوان بن عبد الله بن عتبة بن مسعود « تابعى جليل توفى سنة ١١٠ » وكان قد أقبل وعليه عمامة قد أرخى طرفيها ، فقال له جرير : يأيها القارىء المرخى عمامته ...... الأبيات « أحمد يوسف نجاتى » .

يأيها الرجـل المزجى مطيتـه هذا زمانك انى قد مضى زمنى(١)
أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيـه أنى لدى الباب كالمصفود فى قرن (٢)
لاتنس حاجتنا ـ لقيت مغفرة ـ قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى

قال : فدخل عدى على عمر ، فقال : ياأمير المؤمنين الشعراء ببابك ، وسهامهم نافذة مسمومة ، وأقوالهم منكية ، قال : ويحك ياعدى ! مالى وللشعراء ؟ قال : أعز الله أمير المؤمنين ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح وأعطى ، ولك فى رسول الله أسوة ، قال : كيف ؟ قال امتدحه العباس بن مرداس السلمى فأعطاه حلة قطع بها لسانه (٣) قال : أوتروى من قوله شيئا ؟ قلت نعم ، وأنشدته :

---

(١) قال ذلك لأنه يعلم أن عمر بن عبد العزيز ممن يقدم القراء والعلماء ولا يبيح مال المسلمين للمداح من الشعراء (٢) المصفود المقيد. والقرن الحبل يقرن به الأسير أو نحوه الى غيره . « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) يعنى أنه أرضاه فكف لسانه عن الشكوى مثلا، والعباس بن مرداس السلمى رضى الله عنه كان من مسلمة الفتح ، وكان أول أمره من المؤلفة قلوبهم، وكان شريفا مطاعا، وهو ممن حرموا الخمر على أنفسهم فى الجاهلية ـ ولما أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المؤلفة قلوبهم « وهم عيينة ابن حصن والأقرع بن حابس وغيرهما » من غنائم حنين مائة من الابل ونقص طائفة عن المائة كان هو منهم قال :

أتجعـل نهبى ونهب العبيـد بين عيينة والأقرع ؟!
فما كان حصن ولاحابس يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرىء منهم ومن تضع اليوم لايرفع

من أبيات « والعبيد بصيغة التصغير اسم فرسه » فقال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فاقطعوا لسانه عنى، فأعطوه حتى رضى ـ وله فى هذه الغزوة قصيدة يذكر فيها اقدامه و بلاءه مع قومه « وكان شجاعا مغوارا » فى تلك الغزوة وغيرها ـ منها :

رأيتك ياخير البرية كلها نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا عن الحق لما أصبح الحق مظلما
ونورت بالبرهان أمرا مدنسا وأطفأت بالقرآن نارا تضرما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه وكان قديما ركنه قد تهدما
تعالى علوا فوق عرش الاهنا وكان مكان الله أعلى وأعظما

قال : ويحك ياعدى ، من بالباب منهم ؟ قلت : عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة، قال : أليس الذى يقول ؟ :

ثم نبهتها فهبت كعابا طفلة ماتبين رجع الكلام
ساعة ثم انها بعد قالت: ويلنا قد عجلت يابن الكرام
أعلى غير موعد جئت تسعى تتخطى الى رءوس النيام ؟!
ماتجشمت ماتريب من الأمر ولا جئت طارقا بخصام

فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه ! لايدخل على والله أبدا ، فمن بالباب سواه ؟ قلت همام بن غالب ـ أعنى الفرزدق ـ قال : أوليس هو الذى يقول ؟ :

هما دلتانى من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم الريش كاسره(١)
فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا أحى يرجى أم قتيل نحاذره ؟

لايطأ والله بساطى ، فمن سواه بالباب ؟ قال : الأخطل ، قال : ياعدى

يأيها الرجل الذى تهوى به وجناء مجمرة المناسم عرمس
اذ ما أتيت الى النبى فقل له حقا عليك اذا اطمأن المجلس
ياخير من ركب المطى ومن مشى فوق التراب اذا تعد الأنفس
انا وفينا بالذى عاهدتنا والخيل تقدع بالكماة وتضرس

« ناقة مجمرة المناسم أى نكبت مناسمها يعنى أخفافها الجمار أى الحجارة من سرعة السير ـ والعرمس الصلبة الشديدة ـ وتقدع أى تضرب وتكف. وتضرس أى تجرح أو تضرب أضراسها باللجم .. « أحمد يوسف نجاتى »

(١) من قصيدة له طويلة، وأشار جرير الى البيت الأول بقوله للفرزدق من قصيدة :

أليس هو الذى يقول؟ :

ولست بصائم رمضان طوعا ولست بآكل لحم الأضاحى
ولست بزاجر عيسا بكورا الى بطحاء مكة بالنجاح
ولست بزائر بيتا حراما بمكة أبتغى فيها صلاحى
ولست بقائم كالعير أدعو قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا وأسجد حين منبلج الصباح

والله لايدخل على وهو كافر أبدا ، فمن بالباب سوى من ذكرت ؟ قلت الأحوص بن محمد الأنصارى ، قال : أوليس الذى يقول ؟ :

الله بينى و بين سيدها يفر منى بها وأتبعه

عزب عليه فما هو بدون من ذكرت ، فمن سواه أيضا ؟ قلت : جميل بن معمر العذرى ، قال ياعدى هو الذى يقول :

ألا ليتنا نحيا جميعا ، و إن أمت يواف لدى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا فى طول الحياة براغب اذا قيل قد سوى على صفيحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا ليعمل صالحا ! والله لايدخل على أبدا ، فهل سوى من ذكرت أحد ؟ قلت : نعم ، جرير بن عطية ، قال أما انه الذى يقول (١):

تدليت تزنى من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلا والمكارم
هو الرجس ياأهل المدينة فاحذروا مداخل رجس بالخبيثات عالم
لقد كان اخراج الفرزدق عنكم طهورا لمابين المصلى وواقم
يواصل حبليه اذا جن ليله ليرقى الى جاراته والسلالم

و بعده :

فقلت ارفعوا الأسباب لايشعروا بنا وأقبلت فى أعجاز ليل أبادره
أحاذر بوابين قد وكلابنا وأسود من ساج تصر مسامره

(١) البيت من قصيدته السائرة التى مطلعها :

سرت الهموم فبتن غير نيام وأخو الهموم يروم كل مرام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد فهو، قال: فأذن لجرير، فدخل وهو يقول:

ان الذى بعث النبى محمدا جعل الخلافة للامام العادل

وسع الخلائق عدله و وقاره حتى ارعوى وأقام ميل المائل

انى لأرجو منك خيرا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل

قال: فلما وصل بين يديه قال: ياجرير ويحك، اتق الله ولا تقل الاحقا فأنشأ يقول:

أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت أم قد كفانى مابلغت من خبرى ؟

كم باليمامة من شعثاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والبصر

ممن يعدك تكفى فقد والده كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر

يدعوك دعوة ملهوف كأن به خبلا من الجن أومسا من النشر (١)

لاينفع الحاضر المجهود بادينا ولا يجود لنا باد على حضر

مازلت بعدك فى هم يؤرقنى قد طال فى الحى اصعادى ومنحدرى

انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة مانرجو من المطر

نال الخلافة اذ كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر

هذى الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر ؟

الخير مادمت حيا لايفارقنا بوركت ياعمر الخيرات من عمر

و بعد البيت الذى هنا:

تجرى السواك على أغر كأنه برد تحدر من متون غمام

لولا مراقبة العيون أريننا حدق المها وسوالف الآرام

متن الغمامة: أعلاها وما أقبل عليك منها، والسالفة صفحة العنق. «أحمد يوسف نجاتى».

(١) فى الأصل الخطى «البشر» وهو تصحيف — وكم كان فى هذا المزيد فيها من أخبار جرير وشعره من تصحيف وتحريف وسقط وزلل أصلحناه — والنشر جمع نشرة «بضم النون فيهما» وهى رقية كانوا يرقون بها المجنون والمريض والمصروع ونحوهم ويعالجونهم بها على زعمهم «أحمد يوسف نجاتى».

فقال : ياجرير ماأرى لك فىماهينا حقا ، قال : بلى ياأمير المؤمنين ، قال أنا ابن سبيل ومنقطع بى ، فأعطاه من صلب ماله مائة درهم ، قال وذكر أنه قال له ويحك ياجرير ، لقد ولينا هذا الأمر وما نملك الاثلثمائة درهم فمائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ، ياغلام أعطه المائة الباقية قال فأخذها وقال : هى والله أحب مال اكتسبته الى ، قال ثم خرج فقال له الشعراء : ماوراءك ؟ قال : مايسوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطى الفقراء ويمنع الشعراء ، وانى عنه لراض وأنشد :

رأيت رقى الشيطان لاتستفزه وقدكان شيطانى من الجن راقيا (١)

وقد كتبت هذا الخبر من طرق ، والقصص فيه مختلفة .

ولما قدم الفرزدق الشام قال له جرير : ما كنت أظن أنك تقدم بلدا أنا فيه ، فقال له الفرزدق : انى طالما خالفت العجزة .

---

(١) يريد برقى الشيطان الشعر والمديح الذى استفزغير سيدنا عمر بن عبد العزيز من الخلفاء والأمراء ، فأسبغوا العطاء من بيوت الأموال لهؤلاء الشعراء ، فنهض الأدب بذلك من جهة ، ولكنهم أساءوا اليه من حيث لايقصدون من جهة أخرى ، فقد انصرف الشعراء الى تلك المدائح يتملقون فيها من يمدحونهم ويكيلون لهم الثناء جزافا ، فانصبغ الأدب العربى بهذه الصبغة التى ان نفعت اللغة والأساليب والجهة اللغوية فربما أساءت الى الأخلاق ، وعاقت الشعراء أن يوجهوا مجهودهم الى جهة عامة نافعة ، فيصورون حياة عصرهم ويعبرون عن آلامه وآماله ، ويصفون شعور أهله ويشاركونهم فيما يجيش بأنفسهم من عواطف — ولكن كذا أراد التاريخ وحياة الخلفاء والملوك السياسية ، وقد يكون لهم عذرهم — وقد وفينا هذا الموضوع حقه من البحث والاستقصاء فى كتابنا الجامع فى آداب اللغة وتاريخها ، ونرجو أن نخرجه للقراء قريبا فى أجزاء متتالية ان شاء الله تعالى .

« أحمد يوسف نجاتى » .

بِالرُّصَافَةِ ، فَنَزَلَ جَرِيرٌ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ ، فَجَعَلَتِ النَّاقَةُ تَتَلَفَّتُ ، فَضَرَبَهَا الفَرَزْدَقُ وَقَالَ :

إِلَامَ تَلَفَّتِينَ وَأَنْتِ تَحْتِي ... وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمُ أَمَامِي ؟

مَتَى تَرِدِي الرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي ... مِنَ التَّهْجِيرِ وَالدَّبَرِ الدَّوَامِي (١)

ثُمَّ قَالَ : الْآنَ يَجِيئُنِي جَرِيرٌ فَأُنْشِدُهُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَيَقُولُ :

تَلَفَّتُ أَنَّهَا تَحْتَ ابْنِ قَيْنٍ

إِلَى الْكِيرَيْنِ وَالْفَأْسِ الْكَهَامِ (٢)

---

(١) التهجير السير فى الهاجرة « وهى نصف النهار مع زوال الشمس عند الظهر » الدبر : جروح فى الدابة جمع دبرة ، والدوامى : التى تدمى ولا تسيل جمع دامية (٢) القين : الحداد ، ويذهب به الى معنى العبد لأنه فى العمل والصنعة بمنزلة العبد ، وذلك مما كانت العرب تعير به ، والكور : موقد الحداد ، والكير : منفاخه أو زق ينفخ فيه — وهما الكيران فى البيت ، والفأس الكهام : أى الكليل غير الحاد — وقد هجا جرير الفرزدق بمثل ذلك أيضا ، فقال من قصيدة يفخر فيها بجده الخطفى :

بنى الخطفى حتى رضينا بناءه ... فهل أنت ان لم يرضك القين قاتله ؟!

وقال له من قصيدة أخرى :

لما بنى الخطفى رضيت بناءه ... وأبو الفرزدق نافخ الأكيار

ولكن من الحق أن الفرزدق أشرف أبا ، وأعلى حسبا ونسبا .

« أحمد يوسف نجاتى » .

مَتَى تَرِدِ الرُّصَافَةَ تَخْزَ فِيهَا

كَخِزْيِكَ فِي الْمَوَاسِمِ كُلَّ عَامٍ

قَالَ : فَجَاءَ جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ يَضْحَكُ ، فَقَالَ : مَا يُضْحِكُكَ يَا أَبَا فِرَاسٍ ؟ فَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ ، فَأَنْشَدَهُ جَرِيرٌ الْبَيْتَيْنِ الْآخَرَيْنِ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : وَاللهِ لَقَدْ قُلْتُ هَذَا ، فَقَالَ جَرِيرٌ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ شَيْطَانَنَا وَاحِدٌ ؟ وَذَكَرَ الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ أَنَّ الْفَرَزْدَقَ أَنْشَدَ قَوْلَ جَرِيرٍ :

تَرَى بَرَصًا بِأَسْفَلِ إِسْكَتَيْهَا

كَعَنْفَقَةِ الْفَرَزْدَقِ حِينَ شَابَا (١)

فَلَمَّا أَنْشَدَ النِّصْفَ الْأَوَّلَ مِنَ الْبَيْتِ ضَرَبَ الْفَرَزْدَقُ يَدَهُ عَلَى عَنْفَقَتِهِ تَوَقُّعًا لِعَجُزِ الْبَيْتِ

« وَحَكَى » أَبُو عُبَيْدَةَ أَيْضًا قَالَ : رَأَتْ أُمُّ جَرِيرٍ فِي نَوْمِهَا وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ كَأَنَّهَا وَلَدَتْ حَبْلًا مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ ،

(١) الاسكتان. جانبا موضع العفة من المرأة « بفتح الهمزة وكسرها وسكون السين » ويجمع أيضا على اسك « كعنب » والعنفقة شعيرات بين الشفة السفلى والذقن « أحمد يوسف نجاتى »

فَلمَّا وَقعَ مِنهَا جعَلَ يَنزُو[١] فيَقعُ فِي عُنُقِ هَذا فيَخنُقهُ ، حتَّى فعلَ ذَلِكَ بِرِجَالٍ كَثِيرٍ ، فَانْتَبهتْ فزِعَةً مرْعُوبَةً فَأَوَّلَتِ الرُّؤْيَا ، فَقِيلَ لهَا : تَلِدِينَ غُلامًا شَاعِرًا ذَا شرٍّ وَشِدَّةِ شَكِيمَةٍ[٢] وَبَلاءٍ عَلى النَّاسِ ، فلمَّا وَلَدَتْهُ سمَّتْهُ جَرِيرًا بِاسْمِ الْحبْلِ الَّذِي رَأتْ أَنَّهُ خرَجَ مِنْهَا - وَالْجرِيرُ الْحَبْلُ - وَذَكرَ أَبُو الْفرَجِ الْأَصْبهَانِيُّ فِي كِتَابِ الْأَغانِي فِي تَرْجَمَةِ جَرِيرٍ الْمذْكُورِ أَنَّ رَجُلًا قالَ لِجَرِيرٍ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قالَ لَهُ قُمْ حتَّى أُعَرِّفكَ الْجَوابَ ، فَأَخذَ بِيَدِهِ وَجَاءَ بِهِ إِلَى أَبِيهِ عَطِيَّةَ[٣] وَقدْ أَخذَ عَنْزًا لَهُ فَاعْتَقلَهَا وَجَعلَ يَمصُّ ضَرْعَهَا ، فَصَاحَ بِهِ : اُخْرُجْ يَا أَبَتِ ، فَخرَجَ شَيْخٌ دَمِيمٌ رَثُّ الْهيْئَةِ وَقدْ سَالَ لَبَنُ الْعَنْزِ عَلَى لِحْيَتِهِ

(١) ينزو : يثب (٢) يقال فلان شديد الشكيمة أى شديد النفس قوى العارضة ذو أنفة و إباء لاينقاد ، والشكيمة الأنفة والشمم والانتصار من الظلم ، وأصله من الشكيمة التى هى الحديدة التى فى اللجام معترضة فى فم الفرس وفيها الفأس ، وفأس اللجام هى الحديدة القائمة فى الشكيمة (٣) هو الذى قيل فيه :

قنا فذهدا جون حول بيوتهم ... بما كان إياهم عطية عودا

وكان عطية شاعرا أيضا ، وله يتوعد تميم بن علاثة « من بنى سليط من يربوع »

فَقَالَ : أَتَرَى هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ أَوَ تَعْرِفُهُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : هَذَا أَبِى ، أَفَتَدْرِى لِمَ كَانَ يَشْرَبُ مِنْ ضَرْعِ الْعَنْزِ ؟ قلتُ : لَا ، قَالَ : مَخَافَةَ أَنْ يُسْمَعَ صَوْتُ الْحَلْبِ فَيُطْلَبَ مِنْهُ لَبَنٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْعَرُ النَّاسِ مَنْ فَاخَرَ بِمِثْلِ هَذَا الْأَبِ ثَمَانِينَ شَاعِرًا وَقَارَعَهُمْ (١) بِهِ فَقَلَّهُمْ (٢) جَمِيعًا

« وَحَكَى » صَاحِبُ الْجَلِيسِ وَالْأَنِيسِ فِي كِتَابِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبَ (٣) عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُقَيْلِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ (٤) أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : مَا كَانَ أَبُوكَ صَانِعًا حَيْثُ يَقُولُ :

تلبث فقد داينت من أنت واثق بليانه أو قابل ماتيسرا

من المفلس الغاوى الذى ان نأيته زمانا وأجررت الذى لك أعسرا

اذا ماجد عنا منكم أنف مسمع أقر ومناه الصعاصع أبكرا

الليان المطل ، والصعاصع جمع صعصعة ، يريد هلال بن صعصعة ومن يليه ، وأبكر جمع بكر « أحمد يوسف نجاتى »

(١) أصل المقارعة المضاربة أى أن يقرع الأبطال بعضهم بعضا بالسيوف فى الحرب ، يراد به هنا أنه فاخرهم وغالبهم (٢) فلهم : هزمهم — وفى الأغانى « فغلبهم » (٣) محمد بن حبيب « وحبيب اسم أمه أو جدته » مولى بنى هاشم ، كان عالما بالأنساب وأيام العرب حافظا متقنا ثقة ، توفى بمدينة سامرا سنة ٢٤٥ ولأن حبيب اسم أمه منعنا « حبيب » من الصرف للعلمية والتأنيث « أحمد يوسف نجاتى »

(٤) كان عمارة شاعرا رقيقا خلا فى صدر العصر العباسى ، وأذكر له حادثه

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِهِمْ

يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ (١)

فَقَالَ : كَانَ يَقْلَعُ عَيْنَيْهِ وَلَا يَرَى مَظْعَنَ أَحْبَابِهِ .

وَقَالَ فِي الْأَغَانِي أَيْضًا : قَالَ مَسْعُودُ بْنُ بِشْرٍ لِابْنِ مُنَاذِرٍ (٢)

مع فتاة نقادة كحادثة جده مع السيدة سكينة ، روى عنه أنه قال كانت مولاة لبنى الحجاج تحفظ الشعر وترويه وتنشد فتيات بنى الحجاج ، فأنشدتهن ذات ليلة كلمتى فى حمادة — وفيهن واحدة هى عقيلتهن — فلما انتهت الى قولى :

فان تصبح الأيام شيبن مفرقى وأذهبن أشجانى وفللن من غربى

فيارب يوم قد شربت بمشرب شفيت به عيم الصدى بارد عذب

وكم ليلة قد بتها غير آثم بساجية الحجلين ريانة القلب

ضحكت ثم أعرضت وضربت بكمها على وجهها وقالت : فهلا أثم حرمه الله ! ! قلت ومن مثل هذا تعرف ناحية كانت من نواحى الحياة الأدبية والاجتماعية فى ذلك العصر ، وكيف كانت منزلة الفتاة والجنس اللطيف من الرقة والظرف والنقد الأدبى ، تلك الحياة التى يمثل جهة منها أمثال هؤلاء ثم أمثال أبى نواس وأضرابه ، ويمثل ناحية روحية منها أمثال من لا يحصون كثرة من الأئمة والعلماء ورؤساء المذاهب الدينية وغيرهم من الوعاظ والزهاد وأولى العلم والدين والتقوى « أحمد يوسف نجاتى »

(١) بعده :

أو كنت أرهب وشك بين عاجل لقنعت أو لسألت مالم أسأل

(٢) محمد بن مناذر « تضم ميمه فينون ، وتفتح فيمنع من الصرف لصيغة مفاعل » شاعر بصرى مشهور ، قيل سمى ابن مناذر لأنه محمد بن المنذر ابن المنذر بن المنذر ، وروى المبرد أن محمد بن مناذر الشاعر كان إذا قيل له ابن مناذر « بفتح الميم » يغضب ويقول : أمناذر الصغرى أو مناذر

بِمَكَّةَ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ إِذَا شِئْتَ لَعِبَ ، وَمَنْ إِذَا شِئْتَ جَدَّ ، فَإِذَا لَعِبَ أَطْمَعَكَ لَعِبُهُ فِيهِ ، وَإِذَا رُمْتَهُ بَعُدَ عَلَيْكَ ، وَإِذَا جَدَّ فِيمَا قَصَدَ لَهُ أَيْأَسَكَ مِنْ نَفْسِهِ ، قَالَ : مِثْلُ مَنْ ؟ قَالَ : مِثْلُ جَرِيرٍ حَيْثُ يَقُولُ إِذَا لَعِبَ :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلُبِّكَ غَادَرُوا

وَشَلًا بِعَيْنِكَ لَايَزَالُ مَعِينَا [1]

غَيَّضْنَ [2] مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي :

مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا ؟!

ثُمَّ قَالَ حِينَ جَدَّ :

إِنَّ الَّذِي حَرَمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِبًا

جَعَلَ النُّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ فِينَا

الكبرى ؟ « هما كورتان من كور الأهواز افتتحتاسنة ١٨ » فالأرجح أن يقال مناذر بالضم ، وقد ترجمنا لمحمد بن مناذر فى كتابنا فى الأدب « أحمد يوسف نجاتى » (١) الوشل : الماء القليل ، و يطلق أيضا على الماء الكثير ، وعلى القليل من الدمع والكثير منه ، وبالكثير فسرقول جرير ، والمعين : السائل الجارى الغزير (٢) التغييض أن يأخذ العبرة من عينه و يقذف بها ، فمعنى غيضن من عبراتهن أنهن أسلن دموعهن حتى نزفنها فلم يبق بعيونهن مدامع « أحمد يوسف نجاتى »

مُضَرٌ أَبِي وَأَبُو الْمُلُوكِ ، فَهَلْ لَكُمْ

يَا خُزْرَ (١) تَغْلِبَ مِنْ أَبٍ كَأَبِينَا ؟

هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةٌ

لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمُ إِلَيَّ قَطِينَا (٢)

قَالَ : فَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ قَوْلُهُ قَالَ : مَا زَادَ ابْنُ الْمَرَاغَةِ عَلَى أَنْ جَعَلَنِي شُرْطِيًّا لَهُ ، أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَالَ : « لَوْ شَاءَ سَاقَكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا » لَسُقْتُهُمْ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ (٣) . قُلْتُ وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ هَجَا بِهَا جَرِيرٌ الْأَخْطَلَ

---

(١) خزر جمع أخزر ، من الخزر وهو كسر العين بصرها خلقة ، أو ضيقها وصغرها ، أو هو حول إحدى العينين « وفعله كفرح » والخزرة انقلاب الحدقة نحو اللحاظ. وهو أقبح الحول. ومثله :

لاتفخرن فان الله أنزلكم ... ياخزر تغلب دار الذل والهون

(٢) القطين : الاماء والخدم والحشم (٣) قات ومثل هذا حدث له مع الأمير بشر بن مروان ، فانه لما هجا جريرا سراقة بن مرداس البارقى رد عليه بقوله من أبيات :

يابشر حق لوجهك التبشير ... هلا غضبت لنا وأنت أمير !

بشر أبو مروان إن عاسرته ... عسر ، وعند يساره ميسور

إن الكريمة ينصر الكرم ابنها ... وابن اللئيمة للئام نصير

قد كان حقك أن تقول لبارق : ... يا آل بارق فيم سب جرير ؟!

فلما بلغ بشرا قوله قال : هلا وجد رسولا غيرى « أحمد يوسف نجاتى »

اَلتَّغْلِبِيَّ اَلشَّاعِرَ اَلْمَشْهُورَ . وَقَوْلُهُ فِيهَا : جَعَلَ اَلنُّبُوَّةَ وَاَلْخِلَافَةَ فِينَا ، إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ جَرِيرًا تَمِيمِيُّ اَلنَّسَبِ ، وَتَمِيمُ تَرْجِعُ إِلَى مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ جَدِّ رَسُولِ اَللَّهِ ـ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَالنُّبُوَّةُ وَاَلْخِلَافَةُ وَبَنُو تَمِيمٍ يَرْجِعُونَ إِلَى مُضَرَ . وَقَوْلُهُ : يَاخُزْرَ تَغْلِبَ ؛ خُزْرُ بِضَمِّ اَلْخَاءِ اَلْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ اَلزَّاىِ وَبَعْدَهَا رَاءٌ وَهُوَ جَمْعُ أَخْزَرَ ، مِثْلُ أَحْمَرَ وَحُمْرٍ ، وَأَصْفَرَ وَصُفْرٍ ، وَأَسْوَدَ وَسُودٍ ، وَكُلِّ مَا كَانَ مِنْ هَذَا اَلْبَابِ . وَاَلْأَخْزَرُ اَلَّذِى فِي عَيْنَيْهِ ضِيقٌ وَصِغَرٌ ، وَهَذَا وَصْفُ اَلْعَجَمِ ، فَكَأَنَّهُ نَسَبَهُ إِلَى اَلْعَجَمِ وَأَخْرَجَهُ عَنِ اَلْعَرَبِ ، وَهَذَا عِنْدَ اَلْعَرَبِ مِنَ اَلنَّقَائِصِ اَلشَّنِيعَةِ . وَقَوْلُهُ : هَذَا اُبْنُ عَمِّى فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً . يُرِيدُ بِهِ عَبْدَ اَلْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ اَلْأُمَوِىَّ ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي عَصْرِهِ . وَاَلْقَطِينُ بِفَتْحِ اَلْقَافِ اَلْخَدَمُ وَاَلْأَتْبَاعُ . وَقَوْلُ عَبْدِ اَلْمَلِكِ « مَا زَادَ اُبْنُ اَلْمَرَاغَةِ[1] » هُوَ بِفَتْحِ اَلْمِيمِ

---

(١) المراغة والمراغ متمرغ الدواب أى موضع تمرغها ، والمراغة أيضا الأتان لاتمتنع من الفحول ، وقيل إن الذى لقبه بذلك الفرزدق . وقيل

وَبَعْدَهَا رَاءٌ وَبَعْدَ الْأَلِفِ غَيْنٌ مُعْجَمَةٌ وَهَاءٌ ، وَهَذَا لَقَبٌ لِأُمِّ جَرِيرٍ هَجَاهُ بِهِ الْأَخْطَلُ الْمَذْكُورُ ، وَنَسَبَهَا إِلَى أَنَّ الرِّجَالَ يَتَمَرَّغُونَ عَلَيْهَا ، وَنَسْتَغْفِرُ اللهَ تَعَالَى مِنْ ذِكْرِ مِثْلِ هَذَا ، لَكِنَّ شَرْحَ الْوَاقِعَةِ أَحْوَجَ إِلَى ذَلِكَ . وَمِنْ أَخْبَارِ جَرِيرٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً أَوَّلُهَا :

إنه أراد بالمراغة أن أمه ولدت فى مراغة الأبل ، وقيل إنه يعيره ببنى كليب لأنهم أصحاب حمير ، وقيل هى شرب الناقة التى أرسلها جرير فجعل لها قسما من الماء ولأهل الماء قسمين. وقد أكثر الفرزدق من نبز جرير بهذا اللقب ؛ قال من قصيدة :

يابن المراغة أين خالك ؟ ! إننى خالى حبيش ذو الفعال الأفضل

وقال فى أخرى :

ونام ابن المراغة عن كليب فجللها المخازى والشنارا

وقال من أخرى :

كسعت ابن المراغة حين ولى إلى شر القبائل والديار

وله من أخرى :

يابن المراغة انما جاريتنى بمسبقين لدى الفعال قصار

ويقال إن الذى لقبه بذلك هو الأخطل إذ يقول :

وابن المراغة حابس أعياره قذف الغريبة ماتذوق ملالا

ومراغة « فعالة » من مرغ ، وزعم بعضهم أنها « مفعلة » من راغ يروغ

« أحمد يوسف نجاتى »

أَتَصْحُو ؟ أَمْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحِى

عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَاحِ ؟

تَقُولُ الْعَاذِلَاتُ : عَلَاكَ شَيْبٌ !

أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِى مُزَاحِى (١) ؟

تَعَزَّتْ أُمُّ حَـــزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ :

رَأَيْتُ الْمُورِدِينَ ذَوِى لِقَاحِ ! (٢)

ثِقِى بِاللهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ

وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

سَأَشْكُرُ أَنْ رَدَدْتَ إِلَىَّ رِيشِى

وَأَنْبَتَّ الْقَوَادِمَ فِى جَنَاحِى (٣)

---

(١) المزاح « بالضم مصدر مزح ، وبالكسر مصدر مازح أو مزح » وهو المداعبة ونقيض الجد ، وأن يباسط المرء غيره على جهة التلطف والاستعطاف دون أذية ـ والاكثار منه والخروج عن الحد فيه مخل بالمروءة والوقار ، والتنزه عنه بالمرة والانقباض مخل بالأنس منفر للناس ، وخير الأمور أوساطها ، والمزح من الرجال الخارجون من طبع الثقلاء ، المتميزون من ثقل البغضاء (٢) أورد الابل ذهب بها إلى الماء وأحضرها إليه ، واللقاح جمع لقوح وهى الناقة الحلوب الغزيرة اللبن (٣) الريش فى الأصل للطائر ، ويستعار للخصب والمعاش والمال المستفاد ـ ويقال راش فلانا إذا قواه وأعانه على معاشه وأصلح حاله ونفعه ، قال سويد الأنصارى :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ ٱلْمَطَايَا؟!

وَأَنْدَى ٱلْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ ؟

قَالَ جَرِيرٌ : فَلَمَّا ٱنْتَهَيْتُ إِلَى هَـذَا ٱلْبَيْتِ كَانَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ مُتَّـكِئًا ، فَاسْتَوَى جَالِسًا وَقَالَ : مَنْ مَدَحَنَا مِنْـكُمْ فَلْيَمْدَحْنَا بِمِثْلِ هَذَا أَوْ فَلْيَسْكُتْ ، ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : يَاجَرِيرُ أَتُرَى أُمَّ حَزْرَةَ (١) يُرْوِيهَا مِائَةُ نَاقَةٍ

فرشنى بخير ، طالما قد بريتنى   وخير الموالى من يريش ولايبرى

وقال آخر :

يريش قوما ويبرى آخرين بهم   لله من رائش عمرو ومن بارى

وقال :

أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى   فلم أستطع من أرضهم طيرانا

جعل جرير نفسه بمنزلة الطائر كان مهيض الجناح غير قادر على النهوض والاستقلال ، فرد عليه عبد الملك ريشه فقوى ، أوأعان ريشه بالقوادم فنهض قادرا — وقال الأخطل :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ   زغب الحواصل لاماء ولاشجر ؟!

فجعل الأطفال فراخا غير قادرة على الاستقلال بنفسها، لأنها لم يكمل ريشها، ولم تنبت القوادم فى أجنحتها — والقوادم الريشات فى مقدم الجناح « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) كان جرير يحب زوجه أم حزرة وفيها يقول :

أباحت أم حزرة من فؤادى   شعاب الحب إن له شعابا

وحزرة منقول عن الحزرة ، وهو اسم لخيار المال الذى يضن به ، يقال هى حزرة ماله وحزرة قلبه، قال الشاعر :

نداقع عنهم كل يوم كريهة   ونبذل حزرات النفوس ونصبر

مِنْ نَعَمِ (١) بَنِي كَلْبٍ ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ لَمْ تُرْوِهَا فَلَا أَرْوَاهَا اللهُ تعالَى ، قَالَ : فَأَمَرَ لِي بِهَا كُلِّهَا سُودَ الْحَدَقِ (٢) ، قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ مَشَايِخُ ، وَلَيْسَ بِأَحَدِنَا فَضْلٌ عَنْ رَاحِلَتِهِ ، وَالْإِبِلُ أُبَّاقٌ (٣) ، فَلَوْ أَمَرْتَ لِي بِالرِّعَاءِ ! فَأَمَرَ لِي بِثَمَانِيَةٍ - وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ صِحَافٌ مِنَ الذَّهَبِ وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ - فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمِحْلَبُ - وَأَشَرْتُ إِلَى إِحْدَى الصِّحَافِ - فَنَبَذَهَا إِلَيَّ بِالْقَضِيبِ وَقَالَ : خُذْهَا لَا نَفَعَتْكَ . وَإِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ أَشَارَ جَرِيرٌ بِقَوْلِهِ :

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ تَحْدُوهَا ثَمَانِيَةٌ

مَا فِي عَطَائِهِمُ مَنٌّ وَلَا سَرَفُ

قُلْتُ : هُنَيْدَةُ بِضَمِّ الْهَاءِ عَلَى صُورَةِ التَّصْغِيرِ اسْمٌ

وقد كانت أم حزرة حزرة قلب جرير ، وأشهد أن تلك عاطفة شريفة « أحمد يوسف نجاتى » (١) النعم : المال الراعى ، يقع على ذوات الخف والظلف ، وغلب فى الابل لأنها عندهم أعظم نعمة (٢) يعنى أنها من أكرم الابل وأحسنها (٣) أباق : جمع آبقة أى شاردة ، وأبق العبد « كسمع وضرب ونصر فهو آبق وأبوق » « أحمد يوسف نجاتى »

عَلَمٌ عَلَى ٱلْمِائَةِ(١) ، وَأَكْثَرُ عُلَمَاءِ ٱلْأَدَبِ يَقُولُونَ لَا يَجُوزُ إِدْخَالُ ٱلْأَلِفِ وَٱللَّامِ عَلَيْهَا ، وَبَعْضُهُمْ يُجِيزُ ذَلِكَ ، قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ بْنُ أَبِي حُصَيْنَةَ(٢) ٱلسُّلَمِيُّ ٱلْحَلَبِيُّ ٱلشَّاعِرُ ٱلْمَشْهُورُ مِنْ جُمْلَةِ قَصِيدَةٍ :

أَيُّهَا ٱلْقَلْبُ لَمْ يَدَعْ لَكَ فِي وَصْـ

لِ ٱلْعَذَارَى نِصْفُ ٱلْهُنَيْدَةِ عُذْرَا

يَعْنِي خَمْسِينَ سَنَةً ٱلَّتِي هِيَ نِصْفُ ٱلْمِائَةِ ـ وَٱللهُ أَعْلَمُ ـ

---

(١) جعلها بعضهم خاصة بالمائة من الابل ، وقال غيره إنها اسم لكل مائة من الابل وغيرها ، قال سلمة بن الخرشب الأنمارى :

ونصر بن دهمان الهنيدة عاشها وخمسين عاما ثم قوّم فانصاتا

وقد أدخل عليها الألف واللام ، ومنع بعضهم ذلك وقال إنها معرفة « علم جنس » لاتنصرف ، ولا تدخلها الألف واللام ، ولا تجمع ، ولا واحد لها من جنسها

(٢) هو أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن أبى حصينة المعرى الحلبى ، كان أديبا فاضلا وشاعرا بليغا وشجاعا بطلا ، وكان يخاطب بالأمير وتوفى سنة ٤٥٦ ومن شعره فى وصفه أماكن بالشام والتشوق إليها :

يا صاحبى سقى منازل جلق غيث يروى محلات طساسها
فرواق جامعها ، فباب بريدها فمشارب القنوات من باناسها
من لى برد شبيبة قضيتها فيها وفى حمص وفى عرناسها؟!
وزمان لهـو بالمعرة مونق بسياثها وبجانبى هرماسها
أيام قلت لذى المودة : سقنى من خندريس حنا كها أوحاسها

وَلَمَّا مَاتَ ٱلْفَرَزْدَقُ وَبَلَغَ خَبَرُهُ جَرِيرًا بَكَى(١) وَقَالَ : أَمَا وَٱللهِ إِنِّى لَأَعْلَمُ أَنِّى قَلِيلُ ٱلْبَقَاءِ بَعْدَهُ ، وَلَقَدْ كَانَ

طساس : أماكن « معربة » باناس من أنهار دمشق ، والعرناس موضع بحمص ، وسياث بليدة بظاهر معرة النعمان ، والهرماس موضع بالمعرة ، وكذا حناك وحاس. وقال يصف « الأحص » من نواحى حلب :

لج برق الأحص فى لمعـانه ... فتـذكرت من وراء رعانه

فسقى الغيث حيث ينقطع الأو ... عس من رنده ومنبت بانه

أو ترى النور مثل ماانشر البر ... د حوالى هضـابه وقنـانه

تجلب الريح منه أذكى من المس ... ك اذا مرت الصبا بمكانه

رعان الجبل ماتقدم منه، جمع رعن. ومكان أوعس سهل لين — ومن رقيق شعره :

ولما التقينا للوداع ودمعهـا ... ودمعى يفيضان الصبابة والوجدا

بكت لؤلؤا رطبا ففاضت مدامعى ... عقيقا فصار الـكل فى نحرها عقدا

وليعذرنى القارىء الـكريم فى التطويل هنا، فقد جهدت فى البحث عن حياة هذا الشاعر وعن شىء من شعره، فجئت ببعض ماعثرت عليه، وعزمت أن أضع له ترجمة وافية، وأتتبع شعره حسب الطاقة « أحمد يوسف نجاتى »

(١) نعى الفرزدق الى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده فقال :

مات الفرزدق بعد ماجدعته ... ليت الفرزدق كان عاش قليلا !

فقال له المهاجر : بئس لعمر الله ماقلت فى ابن عمك ! أتهجو ميتا ! ؟ أما والله لو رثيته لـكنت أكرم العرب وأشعرها ، فقال : ان رأى الأمير أن يكتمها على فانها سوءة ؛ ثم أنشأ يقول :

فلا وضعت بعد الفرزدق حامل ... ولا ذات بعل من نفاس تعلت

هو الوافد الميمون، والراتق الثأى ... إذا النعل يوما بالعشيرة زلت

« تعلت المرأة من نفاسها إذا برئت منه وخرجت ناهضة ، والثأى الفتق والفساد، ورتقه أصلحه » ثم بكى بعد ذلك وقال ماهنا «أحمد يوسف نجاتى»

نَجْمُنَا وَاحِدًا ، وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا مَشْغُولٌ بِصَاحِبِهِ ، وَقَلَّمَا مَاتَ ضِدٌّ أَوْ صَدِيقٌ إِلَّا وَتَبِعَهُ صَاحِبُهُ . وَكَذَلِكَ كَانَ . وَتُوُفِّيَ فِي سَنَةِ عَشْرٍ وَمِائَةٍ ، وَفِيهَا مَاتَ ٱلْفَرَزْدَقُ كَمَا سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ ـ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى ـ وَقَالَ أَبُو ٱلْفَرَجِ ابْنُ ٱلْجَوْزِيِّ : كَانَتْ وَفَاةُ جَرِيرٍ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ، وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِ ٱلْمَعَارِفِ : إِنَّ أُمَّهُ حَمَلَتْ بِهِ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ . وَفِي تَرْجَمَةِ ٱلْفَرَزْدَقِ طَرَفٌ مِنْ خَبَرِ مَوْتِهِ ، فَلْيُنْظَرْ هُنَاكَ ـ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى ـ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْيَمَامَةِ ، وَعُمِّرَ نَيِّفًا وَثَمَانِينَ سَنَةً . وَحَزْرَةُ بِفَتْحِ ٱلْحَاءِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ ٱلزَّايِ وَفَتْحِ ٱلرَّاءِ وَبَعْدَهَا هَاءٌ سَاكِنَةٌ . وَٱلْخَطَفَى بِفَتْحِ ٱلْخَاءِ ٱلْمُعْجَمَةِ وَٱلطَّاءِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَٱلْفَاءِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ٱلْكَلَامُ فِي أَنَّهُ لَقَبٌ عَلَيْهِ ، وَٱللهُ أَعْلَمُ .

***

جعفر الصادق

« أَبُو عَبْدِ ٱللهِ جَعْفَرٌ* ٱلصَّادِقُ بْنُ مُحَمَّدٍ ٱلْبَاقِرِ بْنِ عَلِيٍّ

* ترجم له في كتاب شذرات الذهب « ج ١ ص ٢٢٠ » قال : هو الامام ـ سلالة النبوة ـ أبو عبدالله جعفر الصادق بن محمدالباقر بن

زين العابدين بن على بن الحسين الهاشمى العلوى ، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر ، فهو علوى الأب بكرى الأم . روى عن أبيه وجده القاسم وطبقتهما ، وكان سيد بنى هاشم فى زمنه ، عاش ثمانيا وستين سنة وأشهرا ، وولد سنة ثمانين بالمدينة ، ودفن بالبقيع فى قبة أبيه وجده وعم جده الحسن ، وقد ألف تلميذه جابر بن حيان الصوفى كتابا فى ألف ورقة يتضمن رسائله ـ وهى خمسمائة ـ وهو عند الامامية من الاثنى عشر بزعمهم . قيل إنه سأل أبا حنيفة عن محرم كسر رباعية ظبى ، فقال لا أعرف جوابها ، فقال أما تعلم أن الظبى لا يكون له رباعية؟ وقال فى المغنى : جعفر ابن محمد بن على ثقة لم يخرج له البخارى ، وقد وثقه ابن معين وابن عدى وأما القطان فقال : مجالد أحب إلى منه (١)

---

(١) أقول : للقطان دينه ولى دين ، فما كان مجالد أحب إليه من الصادق سلالة النبوة إلا لأنه يثق بمجالد أكثر من ثقته بجعفر « الصادق » وليت شعرى من مجالد هذا ؟ لا أعرف معاصرا للامام جعفر يسمى مجالدا حتى يصح أن يوازن بينهما إلا أبا عمرو مجالد بن سعيد بن عمير الهمدانى الكوفى أحد الأعيان ، يروى عن الشعبى وغيره ، وقد ضعفه إمام أهل الجرح والتعديل عندى وهو ابن معين ، وقال ابن عدى : عامة ما يرويه غير محفوظ ، وقال النسائى فيه مرة : إنه ليس بالقوى « وتوفى مجالد سنة ١٤٤ » والامام جعفر وثقه ابن معين وابن عدى ، وتأبى محبة الامام القطان إلا أن تؤثر بالتفضيل من ضعفه هذان الامامان ـ هذا والقطان هو الامام أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ الأحول من بنى تيم الحافظ البصرى أحد الأعلام أثنى عليه الامام أحمد وابن معين ، كان صالحا ذا دين وورع دائم العبادة كثير الصلاح ، وقد تكلم فى الرجال ، وأمعن فى البحث عنهم ، وتوفى سنة ١٩٨ وابن معين هو أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد الغطفانى المرى الحافظ البغدادى إمام المحدثين وأحد الأعلام وحجة

زَيْنِ ٱلْعَابِدِينَ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ »

أَحَدُ ٱلْأَئِمَّةِ ٱلِاثْنَيْ عَشَرَ عَلَى مَذْهَبِ ٱلْإِمَامِيَّةِ(١) ، وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ أَهْلِ ٱلْبَيْتِ ، وَلُقِّبَ بِالصَّادِقِ لِصِدْقِهِ فِي مَقَالَتِهِ ، وَفَضْلُهُ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ ، وَلَهُ كَلَامٌ فِي صَنْعَةِ ٱلْكِيمِيَاءِ وَٱلزَّجْرِ وَٱلْفَأْلِ ، وَكَانَ تِلْمِيذُهُ

---

(١) الامامية هم القائلون بامامة سيدنا على عليه السلام بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - نصا ظاهرا و يقينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين ، قالوا وقد عين النبي صلى الله عليه وسلم عليا عليه السلام فى مواضع تعريضا ، وفى مواضع تصريحا ، وساقوا على ذلك أدلة من أفعاله وأقواله صلى الله عليه وسلم - ومنهم من طعن فى كبار الصحابة وتجنوا عليهم - والامامية لم يتفقوا فى تعيين الأئمة بعد الحسن والحسين وعلى زين العابدين رضى الله عنهم، ولكنهم متفقون فى سوق الامامة إلى جعفر بن محمد الصادق، مختلفون فى المنصوص عليه بعده من أولاده « محمد واسحق وعبد الله وموسى واسمعيل وعلى » ومن هؤلاء البنين من مات وأعقب، ومنهم من مات ولم يعقب - هذا والسادة الامامية الآن كثيرون بالعراق

الاسلام، حدث عنه الامام أحمد والشيخان ، حتى قال أحمد بن حنبل : كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس بحديث، ولد سنة ١٥٨ وتوفى سنة ٢٣٣ بالمدينة . وابن عدى هو أبو يحيى زكريا بن عدى بن الصلت التيمى مولاهم الكوفى الحافظ ، كان محدثا ثقة و إماما جليلا ورعا، توفى سنة ٢١٢ « أحمد يوسف نجاتى » .

أَبُو مُوسَى جَابِرُ بْنُ حَيَّانَ الصُّوفِيُّ الطَّرَسُوسِيُّ(١) قَدْ أَلَّفَ
كِتَابًا يَشْتَمِلُ عَلَى أَلْفِ وَرَقَةٍ تَتَضَمَّنُ رَسَائِلَ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ
وَهِيَ خَمْسُمِائَةِ رِسَالَةٍ . وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ سَنَةَ ثَمَانِينَ
لِلْهِجْرَةِ ، وَهِيَ سَنَةُ سَيْلِ الْجُحَافِ(٢) ، وَقِيلَ : بَلْ وُلِدَ
يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ثَامِنَ شَهْرِ رَمَضَانَ
سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ ، وَتُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ

وفارس، وفيهم أئمة مجتهدون ، ومنهم علماء فحول أرباب معقول ومنقول ، ولا زلت أرجو أن تضيق دائرة الخلف بين جميع الفرق الاسلامية الذين تؤلف بينهم جامعة الدين والتوحيد والقرآن الكريم والأحاديث الشريفة الصحيحة، وما ذلك على أكابر السادات الامامية والشيعة وأكابر أهل السنة والجماعة بعزيز . « أحمد يوسف نجاتي » (١) كان جابر هذا متقدما فى العلوم الطبيعية بارعا منها فى علوم الكيمياء، وله فيها تآليف كثيرة، وكان مع هذا له المام عظيم بعلوم الفلسفة ومذهب الصوفية، وذكر محمد بن سعيد السرقسطى المعروف بابن المشاط الأسطرلابى الأندلسى أنه رأى لجابر ابن حيان بمدينة مصر تأليفا فى عمل الأسطرلاب يتضمن ألف مسألة لانظير له ، وطرسوس مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب، وبها قبر الخليفة المأمون (٢) فى سنة ٨٠ فاض سيل عظيم بمكة ذهب بالحجاج فغرقت بيوت مكة، فسمى ذلك العام عام الجحاف، لأن ذلك السيل جحف كل شيء مر به أى أزاله وأذهبه ، وكان الماء قد بلغ الركن وجاوزه وكانت لهذا السيل الجارف ضحايا عظيمة من الناس والأنعام والأموال « أحمد يوسف نجاتي »

وَمِائَةٍ بِالْمَدِينَةِ ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ (١) فِي قَبْرٍ فِيهِ أَبُوهُ مُحَمَّدٌ الْبَاقِرُ ، وَجَدُّهُ عَلِيٌّ زَيْنُ الْعَابِدِينَ ، وَعَمُّ جَدِّهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - فَلِلَّهِ دَرُّهُ مِنْ قَبْرٍ مَا أَكْرَمَهُ وَأَشْرَفَهُ ! وَأُمُّهُ أُمُّ فَرْوَةَ بِنْتُ الْقَاسِمِ (٢) بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٣) - وَسَيَأْتِي ذِكْرُ

---

(١) هى مقبرة أهل المدينة، ويسمى بقيع الغرقد « والغرقد كبار العوسج شجر » (٢) ستأتى ترجمة القاسم فى القاف

(٣) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

أسند عن أبيه وعطاء وعكرمة (١) قال محمد بن أبى القاسم عن يحيى ابن الفرات قال قال جعفر بن محمد لسفيان الثورى : لايتم المعروف الا بثلاثة : تعجيله وتصغيره وستره (٢) وقال الهيثم (٣) حدثنى بعض أصحاب جعفر الصادق قال : دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية ، فكان مما حفظت منها أن قال : يابنى اقبل وصيتى واحفظ مقالتى ، فانك ان حفظتها تعش سعيدا وتمت حميدا ، يابنى انه من قنع بما قسم له استغنى ، ومن مد عينيه الى مافى يد غيره مات فقيرا ، ومن لم يرض بما قسم الله اتهم الله فى قضائه ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ، يابنى ، من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته (٤)

---

(١) ستأتى تراجم الثلاثة (٢) نظم الشاعر ذلك فقال :

زاد معروفك عندى عظما ... أنه عندك مستور حقير
وتناسيه كأن لم تأته ... وهو عند الناس مشهور كبير

(٣) لعله الهيثم بن عدى الطائى الكوفى الأخبارى المؤرخ ، روى عن مجالد وجماعة ، وليس بثقة ، توفى سنه ٢٠٧ - وهناك أبو سهل الهيثم بن جميل البغدادى الحافظ الثقة ، توفى سنة ٢١٣ (٤) وقيل :

لاتهتكن من عيوب الناس ماستروا ... فيهتك الله سترا من مساويكا

ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن احتفر لأخيه بئرا سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم (١) يابنى قل الحق لك وعليك ، و إياك والنميمة فانها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال ، يابنى اذا طلبت الجود فعليك بمعادنه . حدث الزبير عن محمد بن يحيي الربعى قال ابن شبرمة : دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر ابن محمد فسلمت عليه — وكنت له صديقا — ثم أقبلت على جعفر فقلت : اسمع أسمع الله بك ، هذا رجل من أهل العراق له فقه وعلم ، فقال لى جعفر : لعله الذى يقيس الدين برأيه ! ثم أقبل على فقال : هو النعمان ابن ثابت — قال : ولم أعرف اسمه الا ذلك اليوم — قال : فقال له أبو حنيفة : نعم — أصلحك الله — فقال له جعفر . اتق الله ولا تقس الدين برأيك ، فان أول من قاس إبليس اذ أمره الله بالسجود لآدم فقال : « أنا خير منه » الآية ، ثم قال : تحسن أن تقيس رأسك من جسدك ؟ قال : لا ، قال : فأخبرنى عن الملوحة فى العينين ، وعن المرارة فى الأذنين وعن الماء فى المنخرين ، وعن العذوبة فى الشفتين ، لأى شيء جعل ذلك ؟ قال : لاأدرى . قال جعفر : ان الله تبارك وتعالى خلق العينين فجعلهما شحمتين ، وجعل الملوحة فيهما منة منه على ابن آدم ، ولولا ذلك لذابتا فذهبتا ، وجعل المرارة فى الأذنين منة منه عليه ، ولولا ذلك لهجمت الدواب فأكلت دماغه ، وجعل الماء فى المنخرين ليصعد منه وينزل ويجد منه الريح الطيبة من الريح الرديئة ، وجعل العذوبة فى الشفتين ليجد لذة المطعم والمشرب . ثم قال لأبى حنيفة : أخبرنى عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان ماهى ؟ قال : لاأدرى ، قال : قول الرجل لا اله الا الله ؛ فلو قال لا اله ثم أمسك كان مشركا ، هذه كلمة أولها شرك وآخرها إيمان. ثم قال له : ويحك أيهما أعظم عند الله أقتل النفس التى حرم الله أو الزنا ؟ قال بل قتل النفس ، فقال له جعفر : ان الله قد رضى وقبل

---

(١) وقال الامام على : من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن « أحمد يوسف نجاتى » .

فى قتل النفس شاهدين ، ولم يقبل فى الزنا الا أربعا ، فكيف يقوم لك قياس ؟ ثم قال : أيهما أعظم عند الله الصوم أم الصلاة ؟ قال : الصلاة ، قال : فما بال المرأة اذا حاضت تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ؟ اتق الله ياعبد الله ولاتقس ، فانا نحن نقف غدا ومن خالفنا بين يدى الله عز وجل فنقول : قال الله تعالى ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقول أنت وأصحابك : سمعنا ورأينا ، فيفعل الله بنا وبكم مايشاء (١) وقال أبو حسن المدائنى : بعث أبو جعفر المنصور الى جعفر بن محمد ، فأتاه ، فقال : انى أريد أن أستشيرك فى أمر ، قد رأيت اطباق أهل المدينة على حربى ، وقد تأنيت بهم مرة أخرى فلا أراهم ينتهون ، وقد رأيت أن أبعث اليهم من يجمر نخلتها ويغور عيونها ، فما ترى ؟ فسكت جعفر رضى الله عنه ، فقال له أبو جعفر : مابالك لاتتكلم ؟ قال ياأمير المؤمنين ان سليمان بن داود أعطى فشكر ، وان أيوب ابتلى فصبر ، وان يوسف قدر فغفر ، وقد جعلك الله من نسل الذين يغفرون ويصفحون ، قال فطفىء غضبه . قيل : أخذ سليمان بن على عم (٢) المنصور غلاما لجعفر رضى الله عنه ، فكتب اليه جعفر : أيها الأمير ان الانسان ينام على الثكل (٣) ولا ينام على

(١) قد ترتاب معى فى صحة هذا الحديث كله بين الامامين جعفر وأبى حنيفة ، وما أظن أن الامام الأعظم أباحنيفة يجهل كل ماسأله عنه جعفر الصادق ، ويعجز عن الاجابة على أسئلة هذا الامتحان السهل الا اذا تداهى ، ولعلك توافقنى على أن بعضه من تزيد القصاص أو من وضع من ينقم على أهل الرأى من نحو الظاهرية وغيرهم ، والا فالقياس أنت تعرف قيمته . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) فى الأصل « عن منصور » وسليمان : هو سليمان بن على بن عبد الله بن العباس عم الخليفة المنصور ، كان واليا له على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان ، وكان كريما جوادا ممدحا توفى سنة ١٤٢ (٣) فى الأصل « التوكل » يريد أن الرجل يصبر على فقد أولاده لأنه قضاء الله تعالى ولاحيلة فيه ، ولكنه لايصبر أن يستهين به انسان مثله فينتهك حرمته ، فان الحر الكريم لايطيق ذلك ولا يتحمل أذاه ، أو يغضى عينه على قذاه . « أحمد يوسف نجاتى » .

اَلْأَئِمَّةِ اَلِاثْنَىْ عَشَرَ - رَضِىَ اَللهُ عَنْهُمْ - كُلٌّ وَاحِدٍ فِى مَوْضِعِهِ - إِنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالَى - وَحَكَى كُشَاجِمُ(١) فِى كِتَابِ

الحرم ، فأما ان رددت غلامى والا عرضت أمرك على الله خمس مرات فى كل يوم وليلة ، قال فرده عليه . وكان يقول : اذا بلغك عن أحد شىء يسوءك فلا تغتم ، فانه ان كان كما تقول كانت عقوبة عجلت ، وان كان على غير ماتقول كانت حسنة لم تعملها .

واشتكى ابن لجعفر رضى الله عنه فاشتد جزعه عليه ، ثم أخبر بموته فتسلى عنه ، فسئل عن ذلك فقال : انا ندعو الله فيما نحب ، فاذا وقع مانكره لم نخالف فيما أحب ، وقيل له : مابلغ من حبك له ؟ قال : كان يسرنى ألا يكون لى ولد غيره فيشركه فى حبى له . وقيل لجعفر رضى الله عنه : لم صار الناس يكلبون فى أيام الغلاء ويزيد جوعهم، خلافا عن العادة فى الرخص ؟ قال : لأنهم بنو الأرض فاذا أقحطت أقحطوا ، واذا أخصبت أخصبوا . وكان يقول : سعادة المرء سعة داره وحسن محله ونظافة متوضئه وفضله أشهر من أن يذكر .

(١) هو الشاعر الأديب محمود بن الحسين من ولد السندى بن شاهك صاحب الحرس عند خلفاء بنى العباس، وكان من شعراء سيف الدولة بن حمدان ،وأقام بمصر مدة ثم فارقها ثم عاد اليها فقال :

قد كان شوقى الى مصر يؤرقنى　　فاليوم عدت وعادت مصر لى دارا

ومن شعره :

والدهر حرب للحيى　　وسلم ذى الوجه الوقاح

وعلى أن أسعى وليس　　على ادراك النجاح

وكشاجم لفظ مركب من حروف هى أوائل كلمات اتصف بمعناها فلقب به لأنه كان كاتبا شاعرا أديبا جوادا مغنيا، وتوفى سنة ٣٥٠ وله ديوان شعر صغير لطيف مطبوع . « أحمد يوسف نجاتى » .

الْمَصَايِدِ وَالْمَطَارِدِ أَنَّ جَعْفَرًا الْمَذْكُورَ سَأَلَ أَبَا حَنِيفَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي مُحْرِمٍ كَسَرَ رَبَاعِيَةَ[١] ظَبْيٍ؟ فَقَالَ: يَابْنَ رَسُولِ اللهِ مَا أَعْلَمُ مَا فِيهِ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ تَتَدَاهَى[٢] أَوَ لَا تَعْلَمُ أَنَّ الظَّبْيَ لَا يَكُونُ لَهُ رَبَاعِيَةٌ وَهُوَ ثَنِيٌّ[٣] أَبَدًا؟!

***

جعفر بن يحي البرمكي

« أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ[٤] بْنُ يَحْيَي بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ

(١) الرباعية: السن التى بين الثنية والناب من الانسان والدواب، وهى احدى الأسنان الأربع التى تلى الثنايا، وللانسان من فوق ثنيتان ورباعيتان بعدهما ونابان وضاحكان وستة أرحاء من كل جانب، وناجذان وكذلك من أسفل (٢) أى تتكلف الدهاء، وهو فى الأصل جودة الرأى والفكر ورجل داهية أى مفكر بصير بالأمور، وتدهى اذا فعل فعل الدهاة (٣) أى ذو ثنايا ولا رباعية له، والثنى الذى يلقى ثنيته، ويكون ذلك فى الظلف والحافر فى السنة الثالثة وفى الخف فى السنة السادسة - والظبى ثنى بعد الاجذاع « يكون جذعا فى السنة الثانية » ثم ثنيا فى السنة الثالثة، وغيره يكون رباعا فى الرابعة، أما الظبى فيبقى ثنيا أبدا. « أحمد يوسف نجاتى »
(٤) زاد فى النسخة الخطية ما نصه:

قال أبو جعفر عمر بن الأزرق الكرمانى فى كتابه « أخبار البرامكة » جعفر بن أبى على يحي بن خالد بن برمك الأكبر، كان صاحب النوبهار ببلخ، وهو بيت بنته العجم وجعلت حوله أصناما، فكانت تعظمه وتحج اليه من الآفاق كما تحج العرب الى الكعبة، فسموا متولى هذا البيت

أُبْنِ جَامَاسَ بْنِ يَشْتَاسِفَ الْبَرْمَكِيُّ وَزِيرُ هَرُونَ الرَّشِيدِ »

وسادنه الأكبر برمك ، لأنهم شبهوا بيتهم بمكة يسمون سادنه ابن مكة فقالوا برمكا ، تفسيره « والى مكة » فصار كل من يتولاه يسمى برمكا ، وكانت ملوك الهند والصين والفرس والسند والأكاسرة تدين بهذا الدين، والى هذا البيت تحج ، فاذا وصلوا اليه سجدوا للصنم الأكبر ، وعظموا ذلك البيت وقبلوا يد برمك ، وجعلوا لبرمك ماحول النوبهار من الأرضين سبع فراسخ فى مثلها وغير ذلك ، ولم تبرح سدانة هذا الموضع لبرمك بعد برمك ، كما تسمى النصارى رئيسها « الجاثليق » واليهود « الجالوت » والمجوس « الموبذان » ولم يزالوا على هذا الى أن فتحت خراسان فى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه — وصارت البرمكة الى برمك أبى خالد بن برمك، فورد المدينة وسار الى عثمان مع رهائن — وكانوا ضمنوا مالا عن البلد — ثم ان برمك رغب فى الاسلام فأسلم وتسمى عبد الله ،ورجع الى أهله وولده و بلده ،فأنكروا اسلامه وجعلوا بعض ولده مكانه برمكا ، ولما بلغ نيزك طرخان ملك خراسان إسلامه عز عليه، وخاف أن ينتقض أمر العجم ، فكتب يعظم عليه ماأتاه من الاسلام، ويدعوه الى الرجوع فى دين آبائه ، فأبى ذلك برمك، وكتب اليه : أنى انما دخلت فى هذا الدين اختيارا له وعلما بفضله من غير رهبة ، ولم أكن لأرجع الى دين بادى العوار ، مهتك الأستار ،فغضب نيزك طرخان، وزحف الى برمك فى جمع كثير ، فبلغ ذلك برمك، فكتب اليه : انك قد علمت إيثارى السلامة وطاعة الملوك ، فانى إن استنجدتهم أنجدونى عليك ، فاصرف عنى أعنة خيلك والا حملتنى على لقائك . فكتب اليه نيزك طرخان بالتعظيم له وأن مراده بذلك إعزاز العجم ، فقبل ذلك منه ، ثم استغره (١) فوافاه بياتا فقتله وعشرة بنين له، فلم يبق له سوى طفل وهو برمك أبو خالد — فان أمه

---

(١) انتهز غرة منه وغفلة عنه وعدم استعداد له — و بيت القوم والعدو:

هربت به وكان صغيرا ـ فوقعت الى بلاد القشمير من بلاد الهند، فنشأ هناك وتعلم علم الطب والنجوم وأنواعا من الحكمة ، ونشأ هناك على أحسن حال ببلد شرك وهو على دين أهله وآبائه ، ثم ان أهل بلده أصابهم طاعون ووباء فتشاءموا بمفارقة دينهم ودخولهم فى الاسلام ، فكتبوا الى برمك حتى قدم عليهم ، فأجلسوه فى مكان آبائه وتولى النوبهار ، ثم تزوج برمك بنت ملك الصغانيان فولدت له الحسن ـ وبه كان يكنى ـ وخالدا وعمرا وأختا لهم يقال لها أم خالد ، وسليمان بن برمك ـ أمه امرأة من بخارى (١) ولم يزل أمر برمك مستقيما مستوثقا الى أن ولى أسد بن عبد الله البجلى خراسان ، فتحرم به رجل من الدهاقين ، وسعى ببرمك اليه ، فتحامل

أوقع بهم ليلا ، والاسم البيات ، وأتاهم الأمر بياتا أى فى جوف الليل وهم غارون فأخذهم بغتة (١) وفتحت خراسان سنة ٣٣ فى زمن عثمان بن عفان بامارة عبد الله بن عامر بن كريز ، أنفذ قيس بن الهيثم حتى قدم مدينة بلخ ، وقدم بين يديه عطاء بن السائب ، فدخل بلخ وخرب النوبهار وقال أبو الهول الحميرى يمدح الفضل بن الربيع ويهجو الفضل بن يحيى ابن خالد البرمكى ويذكره بالنوبهار :

فضلان ضمها اسم	وشتت الأخبار
آثار فضل الربيع	مساجد ومنار
وفضل يحيى ببلخ	آثاره النوبهار
وما سواه اذا ما	أثيرت الآثار
بيت يوحد فيه	ويعبد الجبار
وبيت شرك وكفر	به تعظم نار

وقال بعض الشعراء بعد قتل جعفر يذكر النوبهار :

أوحش النوبهار من بعد جعفر	ولقد كان بالبرامك يعمر
قل ليحيى : أين الكهانة والسحـ	ـر وأين النجوم عن قتل جعفر ؟!
أنسيت المقدار ؟ أم زاغت الشمـ	ـس عن الوقت حين قمت تقدر ؟!

أسد عليه وضعف أمره ، ثم ان أسدا عزل عن خراسان، ووليها جندب ابن عبدالرحمن الضبي (١) فأكرمه وقدمه وقوى أمره ، ولم يزل الى أن عزل الضبي وعاد أسد ، فلما علم برمك بذلك خرج يريد هشام بن عبد الملك فلقيه أسد فى طريقه، فأظهر أنه خرج للقائه، واعتذر اليه مما فرط منه ، ولم يثق بقوله لعلمه بمكان الدهقان منه ، واستأذنه أن يتأخر أياما ليستريح فتأخر وسار الى أن وصل الى الرصافة ، فسر هشام بذلك، ثم استأذنه فى الرجوع الى أهله ليجدد عهدا بهم ، فكتب له عهدا بتمليكه على بلاده وكتابا الى أسد ، فتوجه الى خراسان، فمات فى جرجان ، وأقام بها ولده خالد مع أمه. وأما أبو العباس خالد فانه ولى وزارة السفاح — واسمه عبد الله بن محمد ابن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وهو أول خلفاء بنى العباس ، وكان السفاح فى أول ولايته للخلافة بالكوفة ، وقد ولى أبو

وسيأتى بعض ماقيل فى رثاء جعفر ، و بيان من شمت فيه ومن حزن عليه « أحمد يوسف نجاتى » (١) كان عبد الله بن عامر واليا على خراسان منذ فتحها ، ثم عزله معاوية وولى أعمال البصرة والمشرق كله والعراقين زيادا ، وفى سنة ٤٧ وجه زياد الحكم بن عمرو الغفارى الى خراسان أميرا ، فذهب وغزا جهات هناك، وتوفى الحكم سنة ٥٠ فولى أمر خراسان الربيع بن زياد الحارثى ، فلما قدمها فتح مدينة بلخ صلحا — وكانوا قد أغلقوها بعد ماصالحهم الأحنف بن قيس — وفتح غيرها من المدن « وتوفى زياد سنة ٥٣ » وتوفى الربيع بن زياد سنة ٥٣ واستخلف ابنه عبد الرحمن بن الربيع، فتوفى بعد شهرين، واستخلف على خراسان خليد بن عبد الله الحنفى ، وفى سنة ٥٤ ولى معاوية عبيد الله بن زياد خراسان وأعمال أبيه ، فعهد بخراسان الى أسلم بن زرعة الكلابى ، وفى سنة ٥٩ ولى معاوية عبد الرحمن بن زياد بن سمية خراسان معينا لأخيه عبيدالله وفى سنة ٦١ ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد خراسان ، وولى مروان بن الحكم عبدالله بن حازم السلمى خراسان سنة ٦٤ ، وتولى بعده بكير بن وشاح سنة ٧٣ فأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد « فى مدة عبدالملك

سلمة حفص بن سليمان المعروف بابن الخلال و زارته . وخالد أول من سمى المستميحين زوارا — وكانوا يسمون سؤالا .

ابن مروان » ثم ضمت خراسان الى الحجاج بن يوسف سنة ٧٨ فولى على خراسان من قبله المهلب بن أبى صفرة ،وتوفى سنة ٨٢ فولى مكانه ابنه يزيد بن المهلب ، فأخاه المفضل بن المهلب سنة ٨٥ ثم ولى خراسان قتيبة بن مسلم سنة ٨٦ « وفى ولايته قتل نيزك طرخان» سنة ٩١ وتوفى الحجاج سنة ٩٥ وقتل قتيبه سنة ٩٦ فتولى خراسان يزيد بن المهلب فى عهدسليمان بن عبد الملك، وعزله عن العراق عمر بن عبدالعزيز سنة ٩٩ و ولى خراسان الجراح بن عبد الله ثم عزله سنة ١٠٠ وولاها عبدالرحمن ابن نعيم القشيرى ، وفى سنة ١٠٢ تولى خراسان سعيد بن عبد العزيز ابن الحرث ابن الحكم بن أبى العاص « من قبل مسلمة بن عبد الملك و بعده سعيد بن عمرو الحرشى « من قبل عمر بن هبيرة » ثم عزل عنها سنة ١٠٤ وولى مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابى ، وفى سنة ١٠٥ عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هبيرة عن عمل المشرق و ولى مكانه خالد بن عبد الله القسرى، فعزل خالد مسلم بن سعيد عن خراسان وولى عليها أخاه أسد بن عبد الله سنة ١٠٦ فوكل الى برمك أبى خالد بناء مدينة بلخ ، وفى سنة ١٠٩ عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن خراسان ،وصرف أخاه أسدا عنها، و ولى أشرس بن عبد الله السلمى وولى بعده سنة ١١١ الجنيد بن عبد الرحمن المزنى حتى توفى سنة ١١٦ و ولى بعده عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى ، ثم أعيد اليها أسد بن عبد الله سنة ١١٧ حتى توفى سنة ١٢٠ ها قد سقنا ولاة خراسان منذ فتحها الى سنة ١٢٠ وبان لك بذلك اتصال برمك بأسد بن عبد الله وليس من الولاة من يسمى جندب بن عبدالرحمن الضبى،فلا بد أن هذا الاسم مصحف عن « الجنيد بن عبد الرحمن المزنى.وقد كان هذا الزائد بالنسخة الخطية غاصا بالتحريف والتصحيف والسقط فبذلنا الجهد فى اصلاحه . « أحمد يوسف نجاتى »

كَانَ مِنْ عُلُوِّ ٱلْقَدْرِ وَنَفَاذِ ٱلْأَمْرِ وَبُعْدِ ٱلْهِمَّةِ وَعِظَمِ ٱلْمَحَلِّ وَجَلَالَةِ ٱلْمَنْزِلَةِ عِنْدَ هَرُونَ ٱلرَّشِيدِ بِحَالَةٍ ٱنْفَرَدَ بِهَا وَلَمْ يُشَارَكْ فِيهَا، وَكَانَ سَمْحَ ٱلْأَخْلَاقِ طَلْقَ ٱلْوَجْهِ ظَاهِرَ ٱلْبِشْرِ، وَأَمَّا جُودُهُ وَسَخَاؤُهُ، وَبَذْلُهُ وَعَطَاؤُهُ فَكَانَ أَشْهَرَ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ، وَكَانَ مِنْ ذَوِي ٱلْفَصَاحَةِ وَٱلْمَشْهُورِينَ بِاللَّسَنِ وَٱلْبَلَاغَةِ، وَيُقَالُ إِنَّهُ وَقَّعَ لَيْلَةً بِحَضْرَةِ هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ زِيَادَةً عَلَى أَلْفِ تَوْقِيعٍ وَلَمْ يَخْرُجْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا عَنْ مُوجَبِ ٱلْفِقْهِ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ ضَمَّهُ إِلَى ٱلْقَاضِي[1] يُوسُفَ ٱلْحَنَفِيِّ حَتَّى عَلَّمَهُ وَفَقَّهَهُ. ذَكَرَهُ ٱبْنُ ٱلْقَادِسِيِّ فِي كِتَابِ أَخْبَارِ ٱلْوُزَرَاءِ. وَٱعْتَذَرَ رَجُلٌ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: قَدْ أَغْنَاكَ ٱللهُ بِالْعُذْرِ مِنَّا عَنِ ٱلِاعْتِذَارِ إِلَيْنَا، وَأَغْنَانَا بِالْمَوَدَّةِ لَكَ عَنْ سُوءِ ٱلظَّنِّ بِكَ. وَوَقَّعَ إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ ـ وَقَدْ شُكِيَ مِنْهُ: قَدْ كَثُرَ شَاكُوكَ وَقَلَّ شَاكِرُوكَ، فَإِمَّا ٱعْتَدَلْتَ، وَإِمَّا ٱعْتَزَلْتَ. وَمِمَّا يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْفِطْنَةِ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ ٱلرَّشِيدَ مَغْمُومٌ لِأَنَّ مُنَجِّماً

(١) كذا بالأصل وأظنه يريد القاضي أبا يوسف «يعقوب» وستأتي ترجمته

يَهُودِيًّا زَعَمَ أَنَّهُ يَمُوتُ فِي تِلْكَ ٱلسَّنَةِ - يَعْنِي ٱلرَّشِيدَ - وَأَنَّ ٱلْيَهُودِيَّ فِي يَدِهِ ، فَرَكِبَ جعفرٌ إِلَى ٱلرَّشِيدِ فَرَآهُ شَدِيدَ ٱلْغَمِّ ، فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ : أَنتَ تَزْعُمُ أَنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَمُوتُ إِلَى كَذَا وَكَذَا يَوْمًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : وَأَنْتَ كَمْ عُمُرُكَ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا - أَمَدًا طَوِيلًا ، فَقَالَ لِلرَّشِيدِ : اقْتُلْهُ حَتَّى تَعلَمَ أَنهُ كَذَبَ فِي أَمَدِكَ كَمَا كَذَبَ فِي أَمَدِهِ ، فَقَتَلَهُ وَذَهَبَ مَا كَانَ بِالرَّشِيدِ مِنَ ٱلْغَمِّ ، وَشَكَرَهُ عَلَى ذَلِكَ وَأَمَرَ بِصَلْبِ ٱلْيَهُودِيِّ ، فَقَالَ أَشْجَعُ ٱلسُّلَمِيُّ فِي ذَلِكَ :

سَلِ ٱلرَّاكِبَ ٱلْمُوفِي عَلَى ٱلْجِذْعِ هَلْ رَأَى
لِرَاكِبِهِ نَجْمًا بَدَا غَيْرَ أَعْوَرِ [1] ؟

وَلَوْ كَانَ نَجْمٌ مُخْبِرًا عَنْ مَنِيَّةٍ
لَأَخْبَرَهُ عَنْ رَأْسِهِ ٱلْمُتَحَيِّرِ

يُعَرِّفُنَا مَوْتَ ٱلْإِمَامِ كَأَنَّهُ
يُعَرِّفُنَا أَنْبَاءَ كِسْرَى وَقَيْصَرِ

(١) يتهكم بالمصلوب الكاذب ، والجذع الذى أوفى عليه هو ساق النخلة التى صلب فيها . وركوب الجذع كناية عن الصلب ، والنجم الأعور النحس الذى يتشاءم به . وقد تكون «أغور» من غار يغور «أحمد يوسف نجاتى»

أَتُخْبِرُ عَنْ نَحْسٍ لِغَيْرِكَ شُؤْمُهُ

وَنَجْمُكَ بَادِى ٱلشَّرِّ يَاشَرَّ مُخْبِرِ ؟

وَمَضَى دَمُ ٱلْمُنَجِّمِ هَدَرًا بِحُمْقِهِ . وَكَانَ جَعْفَرٌ مِنَ ٱلْكَرَمِ وَسَعَةِ ٱلْعَطَايَا كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمَّا حَجَّ ٱجْتَازَ فِى طَرِيقِهِ بِالْعَقِيقِ (١) - وَكَانَتْ سَنَةً مُجْدِبَةً - فَاعْتَرَضَتْهُ ٱمْرَأَةٌ مِنْ بَنِى كِلَابٍ وَأَنْشَدَتْهُ :

إِنِّى مَرَرْتُ عَلَى ٱلْعَقِيقِ وَأَهْلُهُ

يَشْكُونَ مِنْ مَطَرِ ٱلرَّبِيعِ نَزُورَا

مَا ضَرَّهُمْ إِذْ جَعْفَرٌ جَارٌ لَهُمْ

أَلَّا يَكُونَ رَبِيعُهُمْ مَمْطُورَا

فَأَجْزَلَ لَهَا ٱلْعَطَاءَ . قُلْتُ : وَٱلْبَيْتُ ٱلثَّانِى مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ ٱلضَّحَّاكِ بْنِ عُقَيْلٍ ٱلْخَفَاجِىِّ مِنْ جُمْلَةِ أَبْيَاتٍ :

(١) هو عقيق المدينة وفيه عيون ونخل ، وهو ناحية مشهورة يذكرها الشعراء كثيرا ، ومن أرق ماقيل فيه قول أعرابية ممن كان يسكن عقيق المدينة فتزوجت بنجد :

إذا الريح من نحو العقيق تنسمت ... تجدد لى شوق يضاعف من وجدى

اذا رحلوا بى نحو نجد وأهله ... فحسبى من الدنيا رجوعى الى نجدى

وَلَوْ جَاوَرَتْنَا ٱلْعَامَ سَمْرَاءُ لَمْ نُبَلْ
عَلَى جَدْبِنَا ـ أَلَّا يَصُوبَ رَبِيعُ (١)

لِلّٰهِ دَرُّهُ ! فَمَا أَحْلَى هٰذِهِ ٱلْحُشْوَةَ ـ وَهِيَ قَوْلُهُ: عَلَى جَدْبِنَا ! وَأَهْلُ ٱلْبَيَانِ يُسَمُّونَ هَذَا ٱلنَّوْعَ حَشْوَ ٱللَّوْزِينَجِ (٢) وَحَكَى

(١) سمراء اسم محبوبته ـ ولم نبل مخفف من لم نبال حذفوا الألف تخفيفا لكثرة الاستعمال « وهذا مما شذ ولا يقاس عليه » وحذفوا لام الكلمة للجازم، ولكنهم أغفلوه فسكنوا اللام اجراء للمعتل الآخر مجرى الصحيح، أو لما أسكنوا اللام حذفوا الألف لالتقاء الساكنين ، وقد يقولون لم أبل « بحذف الألف فقط وجزم الفعل بحذف حرف العلة مكسورا ماقبله » « أحمد يوسف نجاتى » (٢) اللوزينج : من الحلويات شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز ـ معرب لوزينه بالفارسية و « حشو اللوزينج » اصطلاح أدبى يطلق على العبارة التى تعترض الكلام لتزيده حسنا أو تدفع وهما، والاسم الاصطلاحى العلمى لذلك النوع «الاعتراض» أو « التتميم » فالاعتراض أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لامحل لها من الاعراب لنكتة غير دفع الايهام ، نحو قوله تعالى: و يجعلون لله البنات ـ سبحانه ـ ولهم مايشتهون . توسطت « سبحانه » بين أجزاء الكلام لتنزيه الله تعالى أن يتخذ ولدا أو بنتا ، ومثل قول أبى الطيب :

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب ... يرى كل مافيها ـ وحاشاك ـ فانيا

وأما التتميم فهو أن يؤتى فى كلام لايوهم خلاف المقصود بفضلة «ولو كان معنى الكلام لايتم الا بها » لنكتة ، كالمبالغة فى قوله تعالى : «و يطعمون الطعام ـ على حبه ـ مسكينا و يتيما وأسيرا » ونحو قول أبى الطيب :

وخفوق قلبى لو رأيت لهيبه ... « ياجنتى » لرأيت فيه جهنما

أَبْنُ ٱلصَّابِئِ فِي كِتَابِ ٱلْأَمَاثِلِ وَٱلْأَعْيَانِ عَنْ إِسْحَاقَ ٱلنَّدِيمِ ٱلْمَوْصِلِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ ٱلْمَهْدِيِّ قَالَ : خَلَا جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى يَوْمًا فِي دَارِهِ، وَحَضَرَ نُدَمَاؤُهُ وَكُنْتُ فِيهِمْ ، فَلَبِسَ ٱلْحَرِيرَ ، وَتَضَمَّخَ بِالْخَلُوقِ[1]، وَفَعَلَ بِنَا مِثْلَهُ ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُحْجَبَ عَنْهُ كُلُّ أَحَدٍ إِلَّا عَبْدَ ٱلْمَلِكِ بْنَ بَحْرَانَ قَهْرَمَانَهُ[2] فَسَمِعَ ٱلْحَاجِبُ « عَبْدَ ٱلْمَلِكِ » دُونَ « ٱبْنَ بَحْرَانَ » وَعَرَفَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ[3] ٱلْهَاشِمِيُّ مُقَامَ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فِي دَارِهِ فَرَكِبَ إِلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ ٱلْحَاجِبُ : أَنْ قَدْ حَضَرَ

فقوله يا جنتى تتميم معترض قصد به الاستعطاف وتهيؤ الطباق مع قوله « جهنم » ونحو قول الشاعر :

انى – على ماترين من كبرى – أعرف من أين تؤكل الكتف

وقول زهير بن أبى سلمى :

من يلق يوما – على علاته – هرما يلق السماحة فيه والندى خلقا

وأمثلة ذلك كثيرة ، وليس هذا موضع بسط الكلام فيه « أحمد يوسف نجاتى »

(١) الخلوق : ضرب من الطيب مائع فيه حمرة وصفرة ، لأن أعظم أجزائه من الزعفران . وتضمخ به اذا جعله يشمل كل جسمه و يعمه .

(٢) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج – لفظة أعجمية استعملها العرب بهذا المعنى (٣) هو الخطيب البليغ أبو عبد الرحمن عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، كان من أظرف بنى هاشم ملاحة وفصاحة وحلما وعلما وجلالة قدر ونخامة ذكر وديانة وصيانة

عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : أَدْخِلْهُ - وَعِنْدَهُ أَنَّهُ ابْنُ بَحْرَانَ - فَمَا

رَاعَنَا إِلَّا دُخُولُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ فِي سَوَادِهِ (١)

وَرُصَافِيَّتِهِ ، فَارْبَدَّ (٢) وَجْهُ جَعْفَرٍ - وَكَانَ ابْنُ صَالِحٍ لَا يَشْرَبُ

النَّبِيذَ ، وَكَانَ الرَّشِيدُ دَعَاهُ إِلَيْهِ فَامْتَنَعَ - فَلَمَّا رَأَى

عَبْدُ الْمَلِكِ حَالَةَ جَعْفَرٍ دَعَا غُلَامَهُ فَنَاوَلَهُ سَوَادَهُ وَقَلَنْسُوَتَهُ

وَوَافَى بَابَ الْمَجْلِسِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : أَشْرِكُونَا

فِي أَمْرِكُمْ ، وَافْعَلُوا بِنَا فِعْلَكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ . فَجَاءَهُ خَادِمٌ

فَأَلْبَسَهُ حَرِيرَةً ، وَاسْتَدْعَى بِطَعَامٍ فَأَكَلَ ، وَبِنَبِيذٍ فَأُتِيَ

بِرِطْلٍ مِنْهُ فَشَرِبَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِجَعْفَرٍ : وَاللهِ مَا شَرِبْتُهُ قَبْلَ

وعفة وأمانة ، ولاه الرشيد امرة مصر بعد هرثمة بن أعين ، فاستخلف عليها من قبله عبد الله بن المسيب بن زهير بن عمرو بن جميل الضبى سنة ٧٨ ثم صرف عبد الملك عن مصر فى هذا العام نفسه ، فصرف نائبه عبد الله ابن المسيب - وكان عبد الملك ابن صالح شريفا نبيلا ، وأمه أم ولد كانت لمروان بن محمد فاشتراها أبوه صالح ، وكانت له أولا مكانة سامية لدى الرشيد ، حتى وشى به أنه يريد الخلافة لنفسه فتغير الرشيد عليه ، وقسا فى معاملته - وتوفى عبد الملك بالرقة سنة ١٩٦ « أحمد يوسف نجاتى »

(١) السواد شعار العباسيين ولباسهم ، والرصافية قلنسوة منسوبة الى مدينة الرصافة (٢) اربد : تغير وتعبس وقطب « أحمد يوسف نجاتى »

الْيَوْمِ ، فَلْيُخَفَّفْ عَنِّى ، فَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ بَاطِيَةٌ[١]
يَشْرَبُ مِنْهَا مَايَشَاءُ ،وَتَضَمَّخَ بِالْخَلُوقِ ،وَنَادَمَنَا أَحْسَنَ مُنَادَمَةٍ
وَكَانَ كُلَّمَا فَعَلَ شَيْئًا مِنْ هَذَا سُرِّىَ[٢] عَنْ جَعْفَرٍ ، فَلَمَّا
أَرَادَ الِانْصِرَافَ قَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : اُذْكُرْ حَوَائِجَكَ فَإِنِّى
مَا أَسْتَطِيعُ مُقَابَلَةَ مَا كَانَ مِنْكَ ، قَالَ : إِنَّ فِى قَلْبِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ مَوْجِدَةً[٣] عَلَىَّ ، فَتُخْرِجُهَا مِنْ قَلْبِهِ وَتُعِيدُ إِلَىَّ جَمِيلَ
رَأْيِهِ فِىَّ ، قَالَ : قَدْ رَضِىَ عَنْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَزَالَ مَا عِنْدَهُ
مِنْكَ ، فَقَالَ : وَعَلَىَّ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ دَيْنًا ، قَالَ : تُقْضَى
عَنْكَ - وَإِنَّهَا لَحَاضِرَةٌ ، وَلٰكِنْ كَوْنُهَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
أَشْرَفُ بِكَ وَأَدَلُّ عَلَى حُسْنِ مَا عِنْدَهُ لَكَ - قَالَ : وَإِبْرَاهِيمُ
ابْنِى أُحِبُّ أَنْ أَرْفَعَ قَدْرَهُ بِصِهْرٍ مِنْ وَلَدِ الْخِلَافَةِ ، قَالَ : قَدْ

(١) الباطية : إناء كبير من الزجاج يملأ من الشراب يوضع بين الشرب يغترفون منه (٢) زال ما كان يشعر به من الوحشة والانقباض ، وإنما طلب عبدالملك أن يشركوه معهم لأنه أراد أن يرفع خجله وخجلهم ، ويزيل ماشعروا به من الاحتشام ونقص درجة السرور بوجود من لايشاكلهم فى اللهو ولا يشاركهم فى شرب الراح ، وهذه مروءة من عبد الملك وحسن تصرف ، يدل على لطفه ومعرفته بآداب المجالس ، ومراعاته حق الجليس والعمل على مايدخل السرور عليه ، ويزيل الوحشة عنه ، والا فقد عرفت خلقه وتعففه عن الشراب والتبذل « أحمد يوسف نجاتى » . (٣) غيظا وغضبا

زَوَّجَهُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْعَالِيَةَ ٱبْنَتَهُ ، قَالَ : وَأُوثِرُ ٱلتَّنْبِيهَ عَلَى مَوْضِعِهِ بِرَفْعِ لِوَاءٍ (١) عَلَى رَأْسِهِ ، قَالَ : قَدْ وَلَّاهُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِصْرَ (٢) وَخَرَجَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ - وَنَحْنُ مُتَعَجِّبُونَ مِنْ قَوْلِ جَعْفَرٍ وَإِقْدَامِهِ عَلَى مِثْلِهِ مِنْ غَيْرِ ٱسْتِئْذَانٍ فِيهِ - وَرَكِبْنَا مِنَ ٱلْغَدِ إِلَى بَابِ ٱلرَّشِيدِ، وَدَخَلَ جَعْفَرٌ وَوَقَفْنَا ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ دُعِيَ بِأَبِي يُوسُفَ ٱلْقَاضِي وَمُحَمَّدِ بْنِ ٱلْحَسَنِ (٣) وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ خُرُوجِ إِبْرَاهِيمَ وَٱلْخِلَعُ عَلَيْهِ ، وَٱللِّوَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَدْ عُقِدَ لَهُ عَلَى ٱلْعَالِيَةِ بِنْتِ ٱلرَّشِيدِ ، وَحُمِلَتْ إِلَيْهِ وَمَعَهَا ٱلْمَالُ إِلَى مَنْزِلِ

---

(١) كناية عن توليته ولاية (٢) لا أعرف أن ابراهيم بن عبدالملك تولى مصر ، وانما الذى تولى على مصر هو ابراهيم بن صالح أخو عبد الملك بن صالح لا ابنه ، وتولى ابراهيم بن صالح امارة مصر مرتين الأولى سنة ١٦٥ من قبل ابن عمه المهدى، ثم عزله عنها فى أواخر سنة ١٦٧ ثم أعيد الى ولاية مصر سنة ١٧٦ أعاده اليها الرشيد بعد عزل موسى بن عيسى بن على بن عبد الله بن العباس ، ولم تطل أيام ابراهيم وتوفى فى ٣ شعبان سنة ١٧٦ وقام بأمر مصر بعد موته ابنه صالح بن ابراهيم بن صالح ، فمكث أقل من ثلاثة أشهر ، وكان ابراهيم بن صالح من وجوه بنى العباس خيرا دينا جوادا ممدحا ، ولى الأعمال الجليلة — وستأتى ترجمة صالح بن على عم المنصور « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) ستأتى ترجمته .

عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ ، وَخَرَجَ جعفرٌ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْنَا بِاتِّبَاعِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَصِرْنَا مَعَهُ ، فَقَالَ : أَظُنُّ قُلُوبَكُمْ تَعَلَّقَتْ بِأَوَّلِ أَمْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَحْبَبْتُمْ عِلْمَ آخِرِهِ ، قُلْنَا : هُوَ كَذَلِكَ ، قَالَ : وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَىْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَرَّفْتُهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنِ ابْتِدَائِهِ إِلَى انْتِهَائِهِ ـ وَهُوَ يَقُولُ : أَحْسَنْتَ أَحْسَنْتَ ـ ثُمَّ قَالَ : فَمَاذَا صَنَعْتَ مَعَهُ ؟ فَعَرَّفْتُهُ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِى لَهُ ، فَاسْتَصْوَبَهُ وَأَمْضَاهُ ، وَكَانَ مَا رَأَيْتُمْ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِىِّ : فَوَاللهِ مَا أَدْرِى أَيُّهُمْ أَعْجَبُ فِعْلًا ؛ أَعَبْدُ الْمَلِكِ فِى شُرْبِهِ النَّبِيذَ وَلِبَاسِهِ مَا لَيْسَ مِنْ لُبْسِهِ ـ وَكَانَ رَجُلًا ذَا جِدٍّ وَتَعَفُّفٍ وَوَقَارٍ وَنَامُوسٍ(١) ، أَوْ إِقْدَامُ جعفرٍ عَلَى الرَّشِيدِ بِمَا أَقْدَمَ ، أَوْ إِمْضَاءُ الرَّشِيدِ مَا حَكَمَ بِهِ جعفرٌ عَلَيْهِ ؟ وَحُكِىَ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ أَبُو عُبَيْدٍ الثَّقَفِىُّ ، فَقَصَدَتْهُ خُنْفُسَاءُ ، فَأَمَرَ جعفرٌ بِإِزَالَتِهَا ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ دَعُوهَا عَسَى يَأْتِينِى بِقَصْدِهَا لِى خَيْرٌ ؛ فَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ ذَلِكَ ،

---

(١) الناموس : الحاذق ومن يلطف مدخله فى الأمور بلطف احتياله ـ والناموس المكر والخداع وحسن السياسة أيضا . « أحمد يوسف نجاتى »

فَأَمَرَ لَهُ جعفرٌ بِأَلْف دِينَار وَقَالَ : تَحَقَّقَ زَعْمُهُمْ - وَأَمَرَ بِتَنْحِيَتِهَا - ثُمَّ قصدَتهُ ثَانِياً فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ أُخْرَى (١)

(١) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

ورفع اليه رجل رقعة يسأله الاستعانة - وكان يعرفه ويخبره - فوقع على ظهر رقعته .

قد رأيناك فما أعجبتنا ... وبلوناك فما نرضى الخبر

ثم زاد مايأتى :

ولما ولى الرشيد جعفر خراسان دخل إليه أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمى فأنشده - وذكر خروجه إلى أن بلغ فيها :

أتصبر ياقلب أم تجزع ... فان الديار غدا بلقع ؟
غدا يتفرق أهل الهوى ... ويكثر باك ومسترجع
تريد الملوك مدى جعفر ... ولا يصنعون كما يصنع
وكيف ينالون علياءه ... وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم فى الغنى ... ولكن معروفه أوسع (١)

(١) ومنها :

الى جعفر نزعت رغبة ... وأى فتى نحوه ينزع
فما دونه لامرئ مطمع ... ولا لامرئ غيره مقنع
ولا يرفع الناس من حطه ... ولا يضعون الذى يرفع
تلوذ الملوك بآرائه ... اذا نابها الحدث الأفظع
بديهته مثل تدبيره ... متى رمته فهو مستجمع
وكم قائل اذ رأى ثروتى ... وما فى فضول الغنى أصنع
غدا فى ظلال ندى جعفر ... يجر ذيول الغنى أشجع
فقل لخراسان تحيا فقد ... أتاها ابن يحي الفتى الأروع

هذا وكان أشجع شاعرا مجيدا ، ومدح البرامكة وانقطع الى جعفر خاصة

وَحَكَى ابْنُ الْقَادِسِيِّ فِي أَخْبَارِ الْوُزَرَاءِ أَنَّ جَعْفَرًا اشْتَرَى جَارِيَةً بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَالَتْ لِبَائِعِهَا : اذْكُرْ مَاعَاهَدْتَنِي عَلَيْهِ أَنَّكَ لا تَأْكُلُ لِي ثَمَنًا ، فَبَكَى مَوْلَاهَا وَقَالَ : اشْهَدُوا أَنَّهَا حُرَّةٌ ، وَقَدْ تَزَوَّجْتُهَا ، فَوَهَبَ لَهُ جَعْفَرٌ الْمَالَ وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا . وَأَخْبَارُ كَرَمِهِ كَثِيرَةٌ ، وَكَانَ أَبْلَغَ أَهْلِ بَيْتِهِ . وَأَوَّلُ مَنْ وُزِّرَ مِنْ آلِ بَرْمَكَ خَالِدُ بْنُ بَرْمَكَ ، وُزِّرَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللهِ السَّفَّاحِ بَعْدَ قَتْلِ

ورأى جعفر رجلا فى الشمس فقال : أفى الشمس ؟ قال : أطلب الظل (١) قال : لأولينك ولاية يطول فيها ظلك . وفى جعفر يقول أبو نواس :

لقد غرنى من جعفر حسن مابه ... ولم أدر أن اللؤم حشو إهابه

ولست وان أخطأت فى وصف جعفر ... بأول إنسان خرى فى ثيابه

وأصفاه مدحه فوصله بالرشيد ومدحه فأعجب به ، وأثرى وحسنت حاله فى أيامه ، وتقدم عنده « أحمد يوسف نجاتى » (١) مثل هذا قول الشاعر :

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا ! ... ولم تدر أنى للمقام أطوف

وقول أبى تمام :

آ آلفة النحيب كم افتراق ... أظل فكان داعية اجتماع

وليست فرحة الأوبات الا ... لموقوف على ترح الوداع

وقول العباس بن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا ... وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

ومنه قول الربيع بن خيثم وقد صلى طول ليلته حتى أصبح وقال له رجل أتعبت نفسك ، فقال : راحتها أطلب « أحمد يوسف نجاتى »

أَبِى سَلَمَةَ حفص ٍ اُلْخَلَّالِ ـ كما سيأْتِى فِى تَرْجَمَتِهِ فِى حَرْفِ اُلْحَاءِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ـ وَلَمْ يَزَلْ خَالِدٌ عَلَى وِزَارَتِهِ حَتَّى تُوُفِّيَ اُلسَّفَّاحُ يَوْمَ اُلْأَحَدِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ ذِى اُلْحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَتَوَلَّى أَخُوهُ أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدُ اللهِ اُلْمَنْصُورُ اُلْخِلَافَةَ فِى اُلْيَوْمِ اُلْمَذْكُورِ فَأَقَرَّ خَالِدًا عَلَى وِزَارَتِهِ ، فَبَقِيَ سَنَةً وَشُهُورًا ، وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ اُلْمُورِيَانِيُّ(١) قَدْ غَلَبَ عَلَى اُلْمَنْصُورِ ، فَاحْتَالَ عَلَى خَالِدٍ بِأَنْ ذَكَرَ لِلْمَنْصُورِ تَغَلُّبَ اُلْأَكْرَادِ عَلَى فَارِسَ ، وَأَلَّا يَكْفِيهُ أَمْرَهَا سِوَى خَالِدٍ ، فَنَدَبَهُ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا بَعُدَ خَالِدٌ عَنِ اُلْحَضْرَةِ اُسْتَبَدَّ أَبُو أَيُّوبَ بِالْأَمْرِ . وَكَانَتْ وَفَاةُ خَالِدٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ ، ذَكَرَهُ اُبْنُ اُلْقَادِسِيِّ ، وَقَالَ اُبْنُ عَسَاكِرَ فِى تَارِيخِ دِمَشْقَ : وُلِدَ خَالِدٌ سَنَةَ تِسْعِينَ لِلْهِجْرَةِ ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ ، وَاللهُ أَعْلَمُ

وَكَانَ جَعْفَرٌ مُتَمَكِّنًا عِنْدَ اُلرَّشِيدِ غَالِبًا عَلَى أَمْرِهِ وَاصِلًا مِنْهُ ، وَبَلَغَ مِنْ عُلُوِّ اُلْمَرْتَبَةِ عِنْدَهُ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ سِوَاهُ

---

(١) تأتى ترجمته فى حرف السين « سليمان » « أحمد يوسف نجاتى »

حَتَّى إِنَّ ٱلرَّشِيدَ ٱتَّخَذَ ثَوْبًا لَهُ زِيقَانِ[١] فَكَانَ يَلْبَسُهُ هُوَ وَجَعْفَرٌ جُمْلَةً ، وَلَمْ يَكُنْ لِلرَّشِيدِ صَبْرٌ عَنْهُ ، وَكَانَ ٱلرَّشِيدُ أَيْضًا شَدِيدَ ٱلْمَحَبَّةِ لِأُخْتِهِ ٱلْعَبَّاسَةِ ٱبْنَةِ ٱلْمَهْدِيِّ ، وَهِيَ مِنْ أَعَزِّ ٱلنِّسَاءِ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مُفَارَقَتِهَا ، فَكَانَ مَتَى غَابَ أَحَدٌ مِنْ جَعْفَرٍ وَٱلْعَبَّاسَةِ لَا يَتِمُّ لَهُ سُرُورٌ ، فَقَالَ يَا جَعْفَرُ : إِنَّهُ لَا يَتِمُّ لِي سُرُورٌ إِلَّا بِكَ وَبِالْعَبَّاسَةِ ، وَإِنِّي سَأُزَوِّجُهَا مِنْكَ لِيَحِلَّ لَكُمَا أَنْ تَجْتَمِعَا ، وَلٰكِنْ إِيَّاكُمَا أَنْ تَجْتَمِعَا وَأَنَا دُونَكُمَا ، فَتَزَوَّجَهَا عَلَى هٰذَا ٱلشَّرْطِ . ثُمَّ تَغَيَّرَ ٱلرَّشِيدُ عَلَيْهِ وَعَلَى ٱلْبَرَامِكَةِ كُلِّهِمْ آخِرَ ٱلْأَمْرِ ، وَنَكَبَهُمْ ، وَقَتَلَ جَعْفَرًا وَٱعْتَقَلَ أَخَاهُ ٱلْفَضْلَ وَأَبَاهُ يَحْيَى إِلَى أَنْ مَاتَا - كَمَا سَيَأْتِي فِي تَرْجَمَتِهِمَا إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى . وَقَدِ ٱخْتَلَفَ أَهْلُ ٱلتَّارِيخِ فِي سَبَبِ تَغَيُّرِ ٱلرَّشِيدِ عَلَيْهِمْ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ ٱلرَّشِيدَ لَمَّا زَوَّجَ أُخْتَهُ ٱلْعَبَّاسَةَ مِنْ جَعْفَرٍ عَلَى ٱلشَّرْطِ ٱلْمَذْكُورِ بَقِيَا مُدَّةً عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ ، ثُمَّ ٱتَّفَقَ أَنْ أَحَبَّتِ ٱلْعَبَّاسَةُ جَعْفَرًا وَرَاوَدَتْهُ ، فَأَبَى وَخَافَ ، فَلَمَّا أَعْيَتْهَا ٱلْحِيلَةُ عَدَلَتْ إِلَى ٱلْخَدِيعَةِ

---

(١) زيقان : مثنى زيق : ما أحاط بعنق القميص «أحمد يوسف نجاتي»

فَبَعَثَتْ إِلَى عَتَّابَةَ أُمِّ جعفرٍ أَنْ أَرْسِلِينِى إِلَى جعفرٍ كَأَنِّى جَارِيَةٌ مِنْ جَوَارِيكِ اللَّاتِى تُرْسِلِينَ إِلَيْهِ ـ وَكَانَتْ أُمُّهُ تُرْسِلُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ جَارِيَةً بِكْرًا عَذْرَاءَ ، وَكَانَ لَا يَطَأُ الْجَارِيَةَ حَتَّى يَأْخُذَ شَيْئًا مِنَ النَّبِيذِ ـ فَأَبَتْ عَلَيْهَا أُمُّ جعفرٍ فَقَالَتْ : لَئِنْ لَمْ تَفْعَلِي لَأَذْكُرَنَّ لِأَخِي أَنَّكِ خَاطَبْتِنِي بِكَيْتَ وَكَيْتَ ، وَلَئِنِ اشْتَمَلْتُ مِنِ ابْنِكِ عَلَى وَلَدٍ لَيَكُونَنَّ لَكُمُ الشَّرَفُ ، وَمَا عَسَى أَخِي يَفْعَلُ لَوْ عَلِمَ أَمْرَنَا ؟ فَأَجَابَتْهَا أُمُّ جعفرٍ ، وَجَعَلَتْ تَعِدُ ابْنَهَا أَنْ سَتَهْدِي إِلَيْهِ جَارِيَةً عِنْدَهَا حَسْنَاءَ مِنْ هَيْئَتِهَا وَمِنْ صِفَتِهَا كَيْتَ وَكَيْتَ ـ وَهُوَ يُطَالِبُهَا بِالْعِدَةِ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ ـ فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُ قَدِ اشْتَاقَ إِلَيْهَا أَرْسَلَتْ إِلَى الْعَبَّاسَةِ أَنْ تَهَيَّئِي اللَّيْلَةَ ، فَفَعَلَتِ الْعَبَّاسَةُ ، وَأُدْخِلَتْ عَلَى جعفرٍ ـ وَكَانَ لَمْ يَتَثَبَّتْ صُورَتَهَا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا إِلَّا عِنْدَ الرَّشِيدِ ، وَكَانَ لَا يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَيْهَا مَخَافَةً ـ فَلَمَّا قَضَى مِنْهَا وَطَرَهُ قَالَتْ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ خَدِيعَةَ بَنَاتِ الْمُلُوكِ ؟ فَقَالَ : وَأَيُّ بِنْتِ مَلِكٍ أَنْتِ ؟

فقالت : أنا مولاتك العباسة ، فطار السكر من رأسه وذهب إلى أمه ، فقال : يا أماه بعتني والله رخيصا . واشتملت العباسة منه على ولد ، ولما ولدته وكلت به غلاما اسمه رياش ، وحاضنة يقال لها برة ، ولما خافت ظهور الأمر بعثتهم إلى مكة ، وكان يحيى بن خالد ينظر إلى قصر الرشيد وحرمه ويغلق أبواب القصر وينصرف بالمفاتيح معه حتى ضيق على حرم الرشيد ، فشكته زبيدة[1] إلى الرشيد ، فقال له : يا أبت – وكان يدعوه بذلك : مالزبيدة تشكوك ؟ فقال : أمتهم أنا في حرمك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، قال : فلا تقبل قولها في ، وازداد يحيى عليها غلظة وتشديدا ، فقالت زبيدة للرشيد مرة أخرى في شكوى يحيى ، فقال الرشيد لها : يحيى عندي غير متهم في حرمي فقالت : فلم لم يحفظ ابنه مما ارتكبه ؟ قال : وما هو ؟ فخبرته بخبر العباسة ، قال : وهل على ذلك دليل ؟ قالت : وأى دليل أدل من الولد ؟ قال : وأين هو ؟ قالت :

---

(١) ستأتى ترجمتها فى حرف الزاى « أحمد يوسف نجاتى »

كَانَ هُنَا ، فلمَّا خافَتْ ظُهُورَهُ وَجَّهتْ بِهِ إِلَى مَكَّةَ ، قَالَ : وَعَلِمَ بِذا سِوَاكِ ؟ قَالَتْ : لَيْسَ بِالْقَصْرِ جَارِيَةٌ إِلَّا وَعَلِمَتْ بِهِ ، فَسَكَتَ عَنْهَا ، وَأَظْهَرَ إِرَادَةَ الْحَجِّ ، فَخَرَجَ ، لَهُ وَمَعَهُ جعفرٌ ، فَكَتَبَتِ الْعَبَّاسَةُ إِلَى الْخَادِمِ وَالدَّايَةِ بِالْخُرُوجِ بِالصَّبِيِّ إِلَى الْيَمَنِ ، وَوَصَلَ الرَّشِيدُ مَكَّةَ ، فَوَكَّلَ مَنْ يَثِقُ بِهِ بِالْبَحْثِ عَنْ أَمْرِ الصَّبِيِّ حَتَّى وَجَدَهُ صَحِيحًا ، فَأَضْمَرَ السُّوءَ لِلْبَرَامِكَةِ[1] ، ذَكَرَهُ ابْنُ بَدْرُونَ فِي شَرْحِ قَصِيدَةِ ابْنِ عَبْدُونَ[2] الَّتِي رَثَى بِهَا بَنِي الْأَفْطَسِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

---

(١) أظن القارئ الكريم لايحتاج الى تنبيهه أن هذه القصة موضع ريب ، وأنها تحمل معها أدلة بطلانها من جهات كثيرة لاتخفى على فطنة المنصف وقد ذكر العلامة ابن خلدون فى أوائل المقدمة شيئا منها ، وذكر السبب المعقول فى فتك الرشيد بالبرامكة ، وسيذكره ابن خلدون هنا أيضا ، فلا تكن أسير الوهم والتقليد لمن دأبهم تشويه التاريخ العربى والقصد الى الحط من شأن أعيانه ، ونحن لانبرئهم ، ولاننزلهم منزلة المعصومين ، ولكن للبيئة والعادة أثرهما ، وللواقع قوته ، وللعقل الذى يفكر ويقيس الحكم الأرجح والرأى الأعلى « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهرى الوزير الكاتب السامى الذؤابة فى الآداب والمراتب ، من أهل يابرة بالأندلس ، كان أديبا مقدما شاعرا عالما بالخبر والأثر ومعانى الحديث ، توفى سنة ٥٢٩ وقد يلتبس عند بعض الناس بابن عمه أو عمه محمد بن عبيد الله بن عبدون

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالأَثَرِ
فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ؟!

أَوْرَدَهُ عِنْدَ شَرْحِهِ لِقَوْلِ ابْنِ عَبْدُونَ مِنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

وَأَشْرَقَتْ جَعْفَرًا - وَالْفَضْلُ يَرْمُقُهُ (١)
وَالشَّيْخُ يَحْيَى - بِرِيقِ الصَّارِمِ الذَّكَرِ

العالم المحدث، ولذا نبهنا . اليهما والشارح هو العلامة الأديب أبو القاسم عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمى من أهل شلب، كان كاتبا أديبا بليغا وخطيبا مصقعا حسن الخط جيد الضبط ، توفى بعدسنة ٦٠٠ — والقصيدة يرثى بها ناظمها عمر بن محمد بن الأفطس صاحب بطليوس من ملوك الطوائف بالأندلس، وكان يوسف بن تاشفين قد قبض عليه فقتله وابنيه يوم الأضحى سنة ٤٨٩ بما صح عنده من مداخلتهم العدو طاغية الأندلس، واتفاقهم معه أن يملكوه مدينة بطليوس اذا ساعدهم على اخوانهم، وإنما سقطت الأندلس بأمثال هذا الخلاف والشقاق «أحمد يوسف نجاتى»

(١) قال شارح القصيدة : فى هذا البيت تقديم وتأخير ، والأصل : وأشرقت جعفرا بريق الصارم الذكر والفضل ينظره والشيخ يحيى ، والمعنى أن كل واحد منهما « أخاه وأباه » كان ينظر اليه ولا تأتيه منيته بسرعة ما أتته ، فانه شرق بها وهو فى عزه الأعز ، وأخذته فى وقت كان لا ينتظرها فيه ، اذ كان فى عنفوان عمره و بهجة أيامه وعلو رفعته فى دهره ، والأيام تخدمه ، فما كان الا كلا ولا حتى محت أثره ، وأبقته عبرة للمعتبرين خبره . اه وخلاصة المعنى : أن الليالى أشرقت جعفرا أى أغصته

وَلِأَبِى نُوَاسٍ أَبْيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى طَرَفٍ مِنَ الْوَاقِعَةِ(١) الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ بَدْرُونَ ، وَالْأَبْيَاتُ :

بريق الصارم القاطع، أى بالموت العاجل، مع أن أباه وأخاه ينظران اليه وقد دب الرعب اليهما، واستولى الذعر عليهما ، فكان عذابهما أشد من عذابه ونكبتهما أنكى وآلم ، على حين كانوا فى عزهم، فأخذتهم الأيام بغتة. هذا وقد سمعت بعضهم يقرأ البيت فيجعل « بريق » كلمة واحدة منصوبة وأرى أنهما كلمتان الباء الجارة و « ريق » بفتح الراء أو كسرها ، أما الريق فهو الرضاب أو ماء الفم ولعابه، استعاره لماء السيف وفرنده مثلا فيكون هذا من قولهم: غص فلان أو شرق بريقه ، ولكن هنا أشرقه بريق السيف لا بريق فيه، وريق السيف « بفتح الراء » لمعانه وتوهجه وكأنه يرجع الى الأول ، والريق أيضا الماء يشرب على الريق غدوة ، ومن سجعات أساس البلاغة : كأن وعده ريق السراب ، وبرق السحاب، وكلمة « الصارم الذكر أى السيف » قد تخدع السامع فيظن أن «بريق» كلمة واحدة أى لمعان ، وقد يكون لها وجه غير متكلف، ثم هو مع ما يكون فيه من الضرورة يرجع الى المعنى الأول ، ومثل هذا مقصود للناظم وهو ضرب من البديع. والذكر أيبس الحديد وأجوده وأشده ، وسيف ذكر أو مذكر أى حاد الشفرة ماض ذو ماء ورونق ، قال :

لو كان غيرى سليمى الدهر غيره   مر الحوادث الا الصارم الذكر

والصارم السيف القاطع لا ينثنى فى قطعه « أحمد يوسف نجاتى »

(١) أقول لا دلالة فى الأبيات على هذه الواقعة التى تفترى بين عباسة وجعفر ، ولكن الذى أعرفه وأثق به أن السيدة المصونة عباسة هذه « أخت الرشيد وبنت المهدى بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله ابن العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم » كان قد تزوجها محمد بن سليمان ابن على بن عبد الله بن العباس أمير البصرة وفارس، فمات عنها سنة ١٧٣

أَلَا قُلْ لِأَمِينِ اللَّـــهِ وَابْنِ الْقَادَةِ السَّاسَهْ

إِذَا مَا نَاكِثٌ سَرَّ كَ أَنْ تُفْقِدَهُ رَاسَـــهْ

فَلَا تَقْتُلْهُ بِالسَّيْفِ وَزَوِّجْهُ بِعَبَّاسَـــهْ

وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّ الرَّشِيدَ سَلَّمَ إِلَيْهِ أَبَا جَعْفَرٍ يَحْيَ ابْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحُسَيْنِ (١) الْخَارِجَ عَلَيْهِ، وَحَبَسَهُ عِنْدَهُ

ثم تزوجها ابراهيم بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس أمير مصر فمات عنها سنة ١٧٦ ثم تزوجها محمد بن على بن داود بن على بن عبد الله ابن العباس، فمات عنها بعدزمن. ثم أراد أن يخطبها عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور « توفى عيسى بن جعفر سنة ١٩٢ » وكان أبو نواس قد قال بعد وفاة زوجها الثالث أبياته هذه وسارت فبدا له، وعدل عن خطبتها، وتحامى الرجال تزوجها حتى ماتت. فلم تخرج فى تزوجها عما كان مألوفا فى بيتها بيت الملك والخلافة، ولم تقترن الا ببنى قومها، وقد كانت مراعاة الكفاءة فى النسب مما يعتد به جدا فى تلك الأيام، وبخاصة فى بيت بنى العباس، فكيف يخطر فى بال أمير المؤمنين الرشيد أن يزوج أخته من مولى له أعجمى مهما علت منزلته وشرف قدره لا يتجاوز أن يكون من خدمها فى تلك العصور « الارستقراطية » هذه حقيقة الأمر، ومنها ترى أن العباسة لم تكن عانسا فى قصر أخيها، ولم يتحام الرجال الاقتران بها الا بعد وفاة محمد بن على بن داود، وكانت قد تزوجت ثلاثة رجال وبعد عهدها بالشباب (١) فى هذا الاسم وفى سياق الحديث عنه سقط وتحريف وتغيير، والصواب أن الخارج على الرشيد هو يحيى بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب، صار الى الديلم وتحرك بها مغاضبا الرشيد سنة ١٧٦ خارجا عليه أو متهما بذلك، وبعد أن ظفر الرشيد

فَدعَا بِهِ يَحْيَى إِلَيْهِ ،وَقَالَ لَهُ : اُتَّقِ اللهَ يَا جَعْفَرُ فِي أَمْرِي ، وَلَا تَتَعَرَّضْ أَنْ يَكُونَ خَصْمَكَ جَدِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَاللهِ مَا أَحْدَثْتُ حَدَثًا (١) فَرَّقَ لَهُ جَعْفَرٌ ، وَقَالَ اُذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْبِلَادِ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ أُوخَذَ فَأُرَدَّ ، فَبَعَثَ مَعَهُ مَنْ أَوْصَلَهُ إِلَى مَأْمَنِهِ ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ الرَّشِيدَ (٢) فَدَعَا بِهِ ، وَطَاوَلَهُ الْحَدِيثَ وَقَالَ : يَا جَعْفَرُ مَا فَعَلَ يَحْيَى ؟ قَالَ بِحَالِهِ (٣) ، قَالَ بِحَيَاتِي ؟ ! فَوَجَمَ (٤) وَأَحْجَمَ وَقَالَ : لَا ، وَحَيَاتِكَ أَطْلَقْتُهُ حَيْثُ عَلِمْتُ أَنْ لَا سُوءَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : نِعْمَ الْفِعْلُ ، وَمَا عَدَوْتَ مَا فِي نَفْسِي ،

به دفعه الى جعفر بن يحي البرمكى فحبسه، ثم دعا جعفر البرمكى يحي ابن عبد الله العلوى فى ليلة من الليالى، فسأله عن شيء من أمره فأجابه الى أن قال له : اتق الله فى أمرى الخ فلعله سقط من النسخة « جعفر بن » وأصل التركيب فدعا به « جعفر بن » يحي اليه « فسأله فأجابه » وقال له الخ أو فدعا بيحيي اليه فقال له الخ وقد كنا نود تغيير العبارة فى الأصل بما يطابق الواقع وحقائق التاريخ لو لا كثرة التصرف فيها، وقد نبهنا القارىء إليها (١) الرواية ما أحدثت حدثا ولا آويت محدثا (٢) بلغ الخبر الى الرشيد من الفضل بن الربيع، وكان قد عرفه من عين كانت له على جعفر من خاص خدمه (٣) أى لايزال فى الحبس (٤) وجم « كوعد » وجما، ووجوما اذا أطرق ساكتا لشدة ما ناله من الخوف « أو الهم والحزن » وعلته كآبة « أحمد يوسف نجاتى »

فَلَمَّا نَهَضَ جَعْفَرٌ أَتْبَعَهُ بَصَرَهُ وَقَالَ : قَتَلَنِي ٱللهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ . وَقِيلَ : سُئِلَ سَعِيدُ(١) بْنُ سَالِمٍ عَنْ جِنَايَةِ ٱلْبَرَامِكَةِ ٱلْمُوجِبَةِ لِغَضَبِ ٱلرَّشِيدِ ، فَقَالَ : وَٱللهِ مَا كَانَ مِنْهُمْ مَا يُوجِبُ بَعْضَ عَمَلِ ٱلرَّشِيدِ بِهِمْ ، لَـكِنْ طَالَتْ أَيَّامُهُمْ ، وَكُلُّ طَوِيلٍ مَمْلُولٌ ، وَٱللهِ لَقَدِ ٱسْتَطَالَ ٱلنَّاسُ ٱلَّذِينَ هُمْ خَيْرُ ٱلنَّاسِ أَيَّامَ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَمَا رَأَوْا مِثْلَهَا عَدْلًا وَأَمْنًا وَسَعَةَ أَمْوَالٍ وَفُتُوحٍ ، وَأَيَّامَ عُثْمَانَ - رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ - حَتَّى قَتَلُوهُمَا ، وَرَأَى ٱلرَّشِيدُ مَعَ ذٰلِكَ أُنْسَ ٱلنِّعْمَةِ بِهِمْ ، وَكَثْرَةَ حَمْدِ ٱلنَّاسِ لَهُمْ ، وَرَمْيَهُمْ بِآمَالِهِمْ دُونَهُ - وَٱلْمُلُوكُ تَتَنَافَسُ بِأَقَلَّ مِنْ هٰذَا - فَتَعَنَّتَ عَلَيْهِمْ(٢) وَتَجَنَّى ، وَطَلَبَ مَسَاوِيَهُمْ ، وَوَقَعَ مِنْهُمْ بَعْضُ ٱلْإِدْلَالِ - خَاصَّةً جَعْفَرًا وَٱلْفَضْلَ ، دُونَ يَحْيَى ، فَإِنَّهُ كَانَ أَحْكَمَ خِبْرَةً ، وَأَكْثَرَ مُمَارَسَةً لِلْأُمُورِ(٣) - وَلَاذَ مِنْ

---

(١) سعيد بن سالم القداح أبو عثمان الخراسانى ثم المكى ، روى عن ابن جريج وابن أبي ليلى ، وروى عنه الشافعى و يحيى بن آدم ، وكان ربما اتهم بالارجاء

(٢) تعنت عليه : تشدد وألزمه مايصعب عليه أداؤه - وتجنى عليه ذنبا اذا ادعى ذنبا لم يفعله ، ورماه به وهو برىء منه (٣) قلت ولهذا كان ينصح

أَعْدَائِهِمْ بِالرَّشِيدِ كَالْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ وَغَيْرِهِ، فَسَتَرُوا الْمَحَاسِنَ، وَأَظْهَرُوا الْقَبَائِحَ، حَتَّى كَانَ مَا كَانَ. وَكَانَ الرَّشِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا ذُكِرُوا عِنْدَهُ بِسُوءٍ أَنْشَدَ يَقُولُ:

أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَبِيكُمُ
مِنَ اللَّوْمِ، أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا[1]

لابنه جعفر ألا يداخل الرشيد هذه المداخلة التى خلطه فيها بنفسه، بل قد كان ينهاه عن منادمته، و يأمره بترك الأنس به، فيترك أمر أبيه و يدخل معه فيما يدعوه اليه، ولقد كتب اليه حين أعيته حيلته فيه يقول: انما أهملتك ليعثر الزمان بك عثرة تعرف بها أمرك، وان كنت لا أخشى أن تكون التى لاشوى لها. ولقد قال يحي للرشيد يوما: ياأمير المؤمنين أنا والله لا أحب مداخلة جعفر معك، ولست آمن أن ترجع العاقبة فى ذلك على منك، فلو أعفيته واقتصرت به على مايتولاه من جسيم أعمالك كان ذلك واقعا بموافقتى، وآمن لك على، فقال الرشيد له: ياأبت ليس بك هذا، ولكنك انما تريد أن تقدم عليه الفضل. ومن هذا تعرف خبرة يحي وسداد رأيه، وعلمه أن أخوف الناس من الأسد أكثرهم اختلاطا به واقترابا منه «أحمد يوسف نجاتى».

(١) البيت من قصيدة للحطيئة يمدح بغيض بن عامر بن شماس بن لؤى من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم أولها:

ألا طرقتنا بعد ماهجعت هند   وقد سرن خمسا واتلأب بنا نجد

و بعد البيت:

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا   وان عاهدوا أوفوا، وان عقدوا شدوا

وآخرها:

أو تعذلنى فناء سعد عليهم!   وما قلت الا بالذى علمت سعد

وَقِيلَ ٱلسَّبَبُ أَنَّهُ رُفِعَتْ إِلَى ٱلرَّشِيدِ قِصَّةٌ لَمْ يُعْرَفْ رَافِعُهَا ، فِيهَا :

قُلْ لِأَمِينِ ٱللهِ فِى أَرْضِهِ وَمَنْ إِلَيْهِ ٱلْحَلُّ وَٱلعَقْدُ
هَذَا ٱبْنُ يَحْيَي قَدْ غَدَا مَالِكاً مِثْلَكَ ، مَا بَيْنَكُمَا حَدُّ
أَمْرُكَ مَرْدُودٌ إِلَى أَمْرِهِ وَأَمْرُهُ لَيْسَ لَهُ رَدُّ
وَقَدْ بَنَى ٱلدَّارَ ٱلَّتِي مَا بَنَى ٱلْـفُرْسُ لَهَا مِثْلًا ، وَلَا ٱلْهِنْدُ (١)
الدُّرُّ وَٱلْيَاقُوتُ حَصْبَاؤُهَا وَتُرْبُهَا ٱلْعَنْبَرُ وَٱلنِّدُّ (٢)

(١) يقال انه أنفق على هـذه الدار عشرين ألف ألف درهم ، قال ابراهيم بن المهدى: زرت جعفر بن يحيي فى داره التى ابتناها ، فقال لى أما تعجب من منصور بن زياد ؟ قلت فيماذا ؟ قال سألته :هـل ترى فى دارى عيبا ؟ قال: نعم ليس فيها لبنة ولا صنوبرة ، قال ابراهيم فقلت: الذى يعيبها عندى أنك أنفقت عليها نحوا من عشرين ألف ألف درهم وهو شىء لا آمنه عليك غدا بين يدى أمير المؤمنين ، قال: هو يعلم أنه قد وصلنى بأكثر من ذلك وضعف ذلك سوى ماعرضنى له ، قلت : ان العدو انما يأتيه فى هذا من جهة أن يقول: ياأمير المؤمنين اذا أنفق على دار عشرين ألف ألف درهم فأين نفقاته؟! وأين صلاته ؟! وأين النوائب التى تنوبه ؟! وما ظنك يا أمير المؤمنين بما وراء ذلك؟! وهـذه جملة سريعة الى القلب والموقف على الحاصل منها صعب ، قال: ان سمع منى قلت: ان لأمير المؤمنين نعما على قوم قد كفروا بالستر لها أو باظهار القليل من كثيرها ، وأنا رجل نظرت الى نعمته الـكبيرة عنـدى فوضعتها فى رأس جبل ثم قلت للناس تعالوا فانظروا (٢) الند « بالفتح وقد يكسر » ضرب من الطيب يتبخر

وَنَحْنُ نَخْشَى أَنَّهُ وَارِثٌ مُلْكَكَ إِنْ غَيَّبَكَ اللَّحْدُ
وَلَنْ يُبَاهِي الْعَبْدُ أَرْبَابَهُ إِلَّا إِذَا مَا بَطِرَ الْعَبْدُ

فَلَمَّا وَقَفَ الرَّشِيدُ عَلَيْهَا أَضْمَرَ لَهُ السُّوءَ . وَحَكَى ابْنُ بَدْرُونَ أَنَّ عُلَيَّةَ بِنْتَ الْمَهْدِيِّ (١) قَالَتْ لِلرَّشِيدِ بَعْدَ إِيقَاعِهِ بِالْبَرَامِكَةِ : يَا سَيِّدِي مَا رَأَيْتُ لَكَ يَوْمَ سُرُورٍ تَامٍّ مُنْذُ قَتَلْتَ جَعْفَرًا ، فَلِأَيِّ شَيْءٍ قَتَلْتَهُ ؟ فَقَالَ لَهَا : يَا حَيَاتِي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ قَمِيصِي يَعْلَمُ السَّبَبَ فِي ذٰلِكَ لَمَزَّقْتُهُ .

وَكَانَ قَتْلُ الرَّشِيدِ لِجَعْفَرٍ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْعُمْرُ مِنْ أَعْمَالِ الْأَنْبَارِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ سَلْخَ الْمُحَرَّمِ – وَقِيلَ مُسْتَهَلَّ صَفَرٍ – سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ . وَذَكَرَ الطَّبَرِيُّ فِي تَارِيخِهِ أَنَّ الرَّشِيدَ لَمَّا حَجَّ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَمَعَهُ الْبَرَامِكَةُ وَقَفَلَ رَاجِعًا مِنْ مَكَّةَ وَافَقَ الْحِيرَةَ فِي

به ، وقال الزمخشرى الند مصنوع وهو العود المطرى بالمسك والعنبر والبان – وقال العرجى :

تشب متون الجمر بالندتارة وبالعنبر الهندى، فالعرف ساطع

(١) السيدة الجليلة علية بنت المهدى أخت الرشيد كانت أديبة ذات لطف وصيانة رقيقة الشعر لطيفة المعنى حسنة مجارى الكلام، ولها ألحان حسان وشهرة فى الأدب ذائعة، توفيت سنة ٢١٠ « أحمد يوسف نجاتى » .

الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ ، فَأَقَامَ فِي قَصْرِ عَوْنٍ الْعِبَادِيِّ أَيَّامًا ، ثُمَّ شَخَصَ فِي السُّفُنِ حَتَّى نَزَلَ الْعُمْرَ الَّذِي بِنَاحِيَةِ الْأَنْبَارِ ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ السَّبْتِ سَلْخَ الْمُحَرَّمِ أَرْسَلَ أَبَا هَاشِمٍ مَسْرُورًا الْخَادِمَ وَمَعَهُ أَبُو عِصْمَةَ[1] حَمَّادُ ابْنُ سَالِمٍ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْجُنْدِ ، فَأَطَافُوا بِجَعْفَرٍ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ مَسْرُورٌ - وَعِنْدَهُ ابْنُ بَخْتَيْشُوعَ[2] الطَّبِيبُ وَأَبُو زَكَّارٍ

---

(١) أبو عصمة السبيعى صاحب حرس الرشيد والأمين (٢) جبريل بن بختيشوع بن جورجيس بن جبرائيل، كان طبيبا حاذقا مشهورا بالفضل وعلو الهمة سعيد الجد حظيا لدى الخلفاء رفيع المنزلة عندهم، ونال منهم جاها عريضا ودنيا واسعة، وكان من خواص الرشيد والبرامكة ،وزادت منزلته رفعة لدى محمد الأمين بن الرشيد ، ثم كان بينه و بين المأمون شىء ، حتى أنقذه من مرض شديد فردت اليه منزلته ، وتوفى سنة ٢١٣ وأبوه بختيشوع « عبد المسيح » خدم الرشيد وتميز فى أيامه ، ولحق أبا جعفر المنصور وكان له مكرما ، وكذا أبوه جورجيس كانت له خبرة بصناعة الطب ،وخدم المنصور ، اتصل به سنة ١٤٨ ونال منه ثروة طائلة ،ونقل كتبا كثيرة من اليونانية الى العربية - وهذه الأسرة سريانية الأصل اشتهر أفرادها بالطب وخدموا بنى العباس، واستفادوا منهم وأفادوا، وجبرائيل ابن بختيشوع هو الذى يعنيه أبو نواس بقوله :

سألت أخى أبا عيسى وجبريل له عقل
فقلت : الراح تعجبنى فقال : كثيرها قتل
فقلت له : فقدر لى فقال - وقوله فصل

الْمُغَنِّي (١) الْأَعْمَى الْكَلْوَذَانِيُّ وَهُوَ فِي لَهْوِهِ ـ فَأَخْرَجَهُ إِخْرَاجًا عَنِيفًا يَقُودُهُ حَتَّى أَتَى بِهِ مَنْزِلَ الرَّشِيدِ ، فَحَبَسَهُ وَقَيَّدَهُ بِقَيْدِ حِمَارٍ ، وَأَخْبَرَ الرَّشِيدَ بِمَجِيئِهِ ، فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، وَاسْتَوْفَى حَدِيثَهُ هُنَاكَ . وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : نَزَلَ الرَّشِيدُ الْعُمْرَ بِنَاحِيَةِ الْأَنْبَارِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ مُنْصَرِفًا

وجدت طبائع الانسا	ن أربعة هي الأصل
فأربعـــة لأربعــة	لـكل طبيعة رطـل

وفيه يقول المأمون « على ماقيل » وهو ساخط عليه :

ألا قل للذى ليس	على الاسلام والملة
لجبريل أبي عيسى	أخى الأنذال والسفله
أفي طبك ياجـبري	ل مايشفي ذوى العـله؟
غزال قد سبى عقلى	بـلا جـرم ولا زله

وأخشى أن يكون ابن هانىء قد ادعى عـلى الطبيب مالم يقله احتجاجا وتظرفا « أحمد يوسف نجاتى » (١) أبو زكار رجل من أهل بغداد من قدماء المغنين، وكان منقطعا الى آل برمك، وكانوا يؤثرونه ويسبغون عليه صلاتهم ، وكان لهم وفيا، حتى ان مسرورا «سياف الرشيد» وأوثق خدمه لما قتل جعفرا ناشده الله أن يلحقه به،وقال انه أغنانى عمن سواه بأحسانه فما أحب أن أبقى بعده ، فأخبر مسرور الرشيد بذلك، فقال له : هذا رجل فيه مصطنع، فاضممه اليك،وانظر ما كان يجريه عليه جعفر فأتممه له . وهو منسوب الى كلواذى ناحية قرب بغداد كانت من أعمالها، وقد خربت منذ زمان ، وكانت مألفا للخلعاء من الشعراء ،ولهم فيها شعر ، وقد أكثر أبو نواس من ذكرها . « أحمد يوسف نجاتى »

مِنْ مَكَّةَ ، وَغَضِبَ عَلَى ٱلْبَرامِكَةِ وَقَتَلَ جَعْفَرًا فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ صَفَرٍ ، وَصَلَبَهُ عَلَى ٱلْجِسْرِ بِبَغْدَادَ ، وَجَعَلَ رَأْسَهُ عَلَى ٱلْجِسْرِ ، وَفِي ٱلْجَانِبِ ٱلْآخَرِ جَسَدَهُ . وَقَالَ غَيْرُهُ : صَلَبَهُ عَلَى ٱلْجِسْرِ مُسْتَقْبِلَ ٱلصَّرَاةِ(١) - رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى - وَقَالَ ٱلسِّنْدِيُّ ٱبْنُ شَاهَكَ(٢) : كُنْتُ لَيْلَةً نَائِمًا فِي غُرْفَةِ ٱلشُّرْطَةِ بِالْجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ ، فَرَأَيْتُ فِي مَنَامِي جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى وَاقِفًا بِإِزَائِي وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ مَصْبُوغٌ بِالْعُصْفُرِ وَهُوَ يُنْشِدُ(٣) :

---

(١) الصراة كان اسم نهر ببغداد يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة يقال لها المحول بينها و بين بغداد فرسخ ، و يتفرع منه أنهار الى أن يصل الى بغداد ثم يصب فى دجلة ، وفيه قيل :

وقفت على الصراة وليس تجرى ... مغانيها لنقصان الصراة

فلما أن ذكرتك فاض دمعى ... فأجراهن جرى العاصفات

(٢) السندى بن شاهك السندى كان صاحب حرس الرشيد واتصل بالمأمون بعده ، وكانت تنسب اليه قرية ببغداد على الفرات تسمى السندية بين بغداد والأنبار (٣) هما من أبيات يقولها مضاض بن عمرو الجرهمى يتشوق مكة لما أجلتهم عنها خزاعة ، و بعدهما :

فأخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك يا للناس تجرى المقادر

فصرنا أحاديثا وكنا بغبطة ... كذلك عضتنا السنون الغوابر

و بدلنا كعب بها دار غربة ... بها الذئب يعوى والعدو المكاشر

فسحت دموع العين تجرى لبلدة ... بها حرم أمن وفيها المشاعر

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ[١] إِلَى الصَّفَا
أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
بَلَى ، نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا ، فَأَبَادَنَا
صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ[٢]

فَانْتَبَهْتُ فَزِعًا، وَقَصَصْتُهَا عَلَى أَحَدِ خَوَاصِّي فَقَالَ : أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ[٣] وَلَيْسَ كُلُّ مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ يَجِبُ أَنْ يُفَسَّرَ ، وَعَاوَدْتُ مَضْجَعِي ، فَلَمْ تَنَلْ عَيْنِي غُمْضًا ، حَتَّى سَمِعْتُ صَيْحَةَ الرَّابِطَةِ وَالشُّرْطَةِ وَقَعْقَعَةَ لُجُمِ الْبَرِيدِ ، وَدَقَّ بَابُ الْغُرْفَةِ فَأَمَرْتُ بِفَتْحِهَا ، فَصَعِدَ سَلَّامٌ الْأَبْرَشُ الْخَادِمُ ـ وَكَانَ الرَّشِيدُ يُوَجِّهُهُ فِي الْمُهِمَّاتِ ـ فَانْزَعَجْتُ وَأُرْعِدَتْ مَفَاصِلِي ، وَظَنَنْتُ

---

(١) الحجون : جبل بأعلى مكة، وكانت عنده مدافن أهلها ـ والصفا مكان مرتفع من جبل أبي قبيس ، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود والمشعر الحرام بين الصفا والمروة (٢) صروف الدهر حوادثه المتقلبة. والجدود: الحظوظ ، وعثر جده اذا ساء حظه وولت الدنيا عنه (٣) الضغث من الخبر والأمر ما كان مختلطا لاحقيقة له «من ضغث الحديث اذا خلطه» وكلام ضغث لاخير فيه، وفى القرآن الكريم «قالوا أضغاث أحلام ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين» أضغاث الأحلام هى الرؤيا التى لايصح تأويلها لاختلاطها والتباسها ، سميت أضغاثا لأنها مختلطة فتداخل بعضها فى بعض ولم تتميز مخارجها ولم يستقم تأويلها . « أحمد يوسف نجاتى »

أَنَّهُ أُمِرَ فِيَّ بِأَمْرٍ ، فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِي وَأَعْطَانِي كِتَابًا فَفَضَضْتُهُ وَإِذَا فِيهِ : يَاسِنْدِيُّ هَـذَا كِتَابُنَا بِخَطِّنَا ، مَخْتُومٌ بِالْخَاتَمِ الَّذِي فِي يَدِنَا ، وَمُوَصِّلُهُ سَلَّامٌ الْأَبْرَشُ ، فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَقَبْـلَ أَنْ تَضَعَهُ مِنْ يَدِكَ فَامْضِ إِلَى دَارِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ - لَا حَاطَهُ اللهُ - وَسَلَّامٌ مَعَكَ ، حَتَّى تَقْبِضَ عَلَيْهِ وَتُوقِرَهُ(١) حَدِيدًا ، وَتَحْمِلَهُ إِلَى الْحَبْسِ فِي مَدِينَةِ الْمَنْصُورِ الْمَعْرُوفِ بِحَبْسِ الزَّنَادِقَةِ ، وَتَقَدَّمْ إِلَى بَادَامَ عَبْدِ اللهِ خَلِيفَتِكَ بِالْمَصِيرِ إِلَى الْفَضْلِ ابْنِهِ ، مَعَ رُكُوبِكَ إِلَى دَارِ ابْنِ يَحْيَى ، وَقَبْلَ انْتِشَارِ الْخَبَرِ ، وَأَنْ تَفْعَلَ بِهِ مِثْلَ مَا تُقُدِّمَ بِهِ إِلَيْكَ فِي يَحْيَى وَأَنْ تَحْمِلَهُ أَيْضًا إِلَى حَبْسِ الزَّنَادِقَةِ ، ثُمَّ بُثَّ - بَعْدَ فَرَاغِكَ مِنْ أَمْرِ هٰذَيْنِ - أَصْحَابَكَ فِي الْقَبْضِ عَلَى أَوْلَادِ يَحْيَى وَأَوْلَادِ إِخْوَتِهِ وَقَرَابَاتِهِ . وَسَرَدَ صُورَةَ الْإِيقَاعِ بِهِمْ ابْنُ بَدْرُونَ أَيْضًا سَرْدًا فِيهِ فَوَائِدُ زَائِدَةٌ عَلَى هٰذَا الْمَذْكُورِ فَأَحْبَبْتُ إِيرَادَهُ مُخْتَصَرًا هٰهُنَا ؛ قَالَ عَقِيبَ كَلَامِهِ الْمُتَقَدِّمِ :

---

(١) توقره : تثقله ، والوقر : هو الحمل الثقيل ، وأوقر الدابة : حملها وقرا ثقيلا . « أحمد يوسف نجاتي »

ثُمَّ دَعَا ٱلسِّنْدِىَّ بْنَ شَاهَكَ، فَأَمَرَهُ بِالْمُضِىِّ إِلَى بَغْدَادَ وَٱلتَّوَكُّلِ بِالْبَرَامِكَةِ وَكُتَّابِهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ، وَأَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ سِرًّا، فَفَعَلَ ٱلسِّنْدِىُّ ذٰلِكَ، وَكَانَ ٱلرَّشِيدُ بِالْأَنْبَارِ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ ٱلْعُمْرُ وَمَعَهُ جَعْفَرٌ، وَكَانَ جَعْفَرٌ بِمَنْزِلِهِ وَقَدْ دَعَا أَبَا زَكَّارٍ وَجَوَارِيَهُ، وَنَصَبَ ٱلسَّتَائِرَ، وَأَبُو زَكَّارٍ يُغَنِّيهِ:

مَا يُرِيدُ ٱلنَّاسُ مِنَّا؟! ... مَا يَنَامُ ٱلنَّاسُ عَنَّا؟!

إِنَّمَا هَمُّهُمُ أَنْ ... يُظْهِرُوا مَا قَدْ دَفَنَّا

وَدَعَا ٱلرَّشِيدُ يَاسِرًا غُلَامَهُ وَقَالَ: قَدِ ٱنْتَخَبْتُكَ لِأَمْرٍ لَمْ أَرَ لَهُ مُحَمَّدًا وَلَا عَبْدَ ٱللهِ وَلَا ٱلْقَاسِمَ(١) فَحَقِّقْ ظَنِّى

(١) هؤلاء الثلاثة من أبناء هرون الرشيد: أما محمد فهو ابنه محمد الأمين ابن السيدة زبيدة التى توفيت سنة ٢١٦، وأما عبد الله فهو المأمون أمه أم ولد تسمى مراجل، وابنه القاسم - وكان يلقب المؤتمن - أمه أيضا أم ولد يقال لها قصف، وكان أبوه قد ولاه عمل الشام وقنسرين والعواصم والثغور، ثم عزله عنها أخوه الأمين سنة ١٩٤ «وكان الرشيد قبل وفاته قد ولى الأمين العراق والشام الى آخر المغرب، وولى المأمون من همذان الى آخر المشرق، ثم بايع الرشيد سنة ١٨٦ ابنه القاسم بولاية العهد بعد الأخوين الأمين والمأمون، ولقبه المؤتمن، وولاه الجزيرة والثغور

وَاحْذَرْ أَنْ تُخَالِفَ فَتهْلِكَ ، فَقَالَ : لَوْ أَمَرْتَنِي بِقَتْلِ نَفْسِي لَفَعَلْتُ ، فَقَالَ : اذْهَبْ إِلَى جعفَرِ بْنِ يَحْيَى ، وَجِئْنِي بِرَأْسِهِ السَّاعَةَ ، فَوَجَمَ لَا يُحِيرُ[1] جوَابًا ، فَقَالَ لَهُ : مَالَكَ وَيْلَكَ؟ ! قَالَ : الْأَمْرُعَظِيمٌ ! وَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ وَقْتِي هَذَا ، فَقَالَ امْضِ لِأَمْرِي ، فَمَضَى حَتَّى دَخَلَ عَلَى جعفَرٍ - وَأَبُو زَكَّارٍ يُغَنِّيهِ :

فَلَا تَبْعَدْ[2] فَكُلُّ فَتًى سَيَأْتِي
عَلَيْهِ الْمَوْتُ يَطْرُقُ أَوْ يُغَادِي[3]
وَكُلُّ ذَخِيرَةٍ لَا بُدَّ يَوْمًا
وَإِنْ بَقِيَتْ[4] تَصِيرُ إِلَى نَفَادِ
وَلَوْ فُودِيتَ مِنْ حَدَثِ اللَّيَالِي
فَدَيْتُكَ بِالطَّرِيفِ وَبِالتِّلَادِ

والعواصم ، وفى سنة ١٩٧ لحق القاسم بأخيه المأمون من العراق فوجهه المأمون الى جرجان ، وكان القاسم شجاعا وقائدا ماهرا (١) أى لايرد

(٢) بعد« كفرح » أى هلك، قال مالك بن الريب المازنى :

يقولون لاتبعد وهم يدفونني   وأين مكان البعد الا مكانيا

(٣) أى يزوره ليلا أو نهارا (٤) ويروى : وان كرمت

« أحمد يوسف نجاتى »

فَقَالَ لَهُ : يا يَاسِرُ سَرَرْتَنِي بِإِقْبَالِكَ، وَسُؤْتَنِي بِدُخُولِكَ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ ، فَقَالَ : الْأَمْرُ أَكْبَرُ مِنْ ذَٰلِكَ ؛ قَدْ أَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَذَا وَكَذَا ، فَأَقْبَلَ جَعْفَرٌ يُقَبِّلُ قَدَمَيْ يَاسِر، وَقَالَ : دَعْنِي أَدْخُلُ وَأُوصِي ، قَالَ: لَا سَبِيلَ إِلَى الدُّخُولِ وَلَٰكِنْ أَوْصِ بِمَا شِئْتَ ، قَالَ : لِي عَلَيْكَ حَقٌّ ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى مُكَافَأَتِي إِلَّا السَّاعَةَ ، قَالَ: تَجِدُنِي سَرِيعًا إِلَّا فِيمَا يُخَالِفُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ: فَارْجِعْ وَأَعْلِمْهُ بِقَتْلِي، فَإِنْ نَدِمَ كَانَتْ حَيَاتِي عَلَى يَدِكَ ، وَإِلَّا أَنْفَذْتَ أَمْرَهُ فِيَّ ، قَالَ : لَا أَقْدِرُ ، قَالَ فَأَسِيرُ مَعَكَ إِلَى مَضْرِبِهِ ، وَأَسْمَعُ كَلَامَهُ وَمُرَاجَعَتَكَ ، فَإِنْ أَصَرَّ فَعَلْتَ ، قَالَ: أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ - وَسَارَ إِلَى مَضْرِبِ الرَّشِيدِ - فَلَمَّا سَمِعَ حِسَّهُ قَالَ لَهُ : مَا وَرَاءَكَ ؟ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ جَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ : يَا مَاصَّ هَنِ أُمِّهِ ! وَاللهِ لَئِنْ رَاجَعْتَنِي لَأُقَدِّمَنَّكَ قَبْلَهُ فَرَجَعَ فَقَتَلَهُ ، وَجَاءَ بِرَأْسِهِ ، فَلَمَّا وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ مَلِيًّا[1] ثُمَّ قَالَ : يَا يَاسِرُ جِئْنِي بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ ، فَلَمَّا أَتَاهُ

---

(١) أى مدة من الزمن «أحمد يوسف نجاتى»

بِهِمَا قالَ لهُمَا : أُضْرِبا عُنُقَ ياسِرٍ، فَلا أَقْدِرُ أرى قاتِلَ جعفرٍ

انْتهى كَلامُهُ فِي هَذا الْفصْلِ .

وذكرَ فِي كِتابِهِ قالَ : لمَّا فَهِمَ جعفرٌ مِنَ الرَّشِيدِ

الْإِعْرَاضَ عِنْدَ حَجِّهِ مَعَهُ وَوَصَلَ إِلَى الْحِيرَةِ رَكِبَ جَعْفَرٌ

إِلَى كَنِيسَةٍ بِهَا لِأَمْرٍ ، فَوَجَدَ فِيهَا حَجَرًا عَلَيْهِ كِتَابَةٌ

لَا تُفْهَمُ ، فَأَحْضَرَ تَرَاجِمَةَ الْخَطِّ - وَجَعَلَهُ فِي نَفْسِهِ فَأْلًا مِنَ

الرَّشِيدِ لِمَا يَخَافُهُ وَيَرْجُوهُ - فَقُرِئَ ، فَإِذَا فِيهِ :

إِنَّ بَنِي الْمُنْذِرِ عَامَ انْقَضَوْا

بِحَيْثُ شَادَ الْبِيعَةَ الرَّاهِبُ(١)

أَضْحَوْا وَلَا يَرْجُوهُمُ رَاغِبٌ

يَوْمًا ، وَلَا يَرْهَبُهُمْ رَاهِبُ

تَنْفَحُ بِالْمِسْكِ ذَفَارِيهِمُ

وَالْعَنْبَرُ الْوَرْدُ لَهُ قَاطِبُ(٢)

---

(١) البيعة : الكنيسة (٢) الذفارى « كصحارى » جمع ذفرى وهو العظم الشاخص خلف الأذن ، أو هو عظم فى أعلى العنق عن يمين النقرة وشمالها ، ونفح الطيب « كمنع » اذا أرج وتضوعت رائحته ، والورد الأحمر « حمرة تضرب الى صفرة حسنة يسيرة » وهو أجود أنواع العنبر ، وقطب الشراب أو الطيب وقطبه وأقطبه اذا مزجه وخلطه بغيره ، قال

فَأَصْبَحُوا أُكْلًا لِدُودِ الثَّرَى

وَانْقَطَعَ الْمَطْلُوبُ وَالطَّالِبُ(١)

فَحَزِنَ جعفرٌ وقَالَ : ذَهَبَ وَاللهِ أَمْرُنَا . قَالَ الْأَصْمَعِىُّ وَجَّهَ إِلَىَّ الرَّشِيدُ بَعْدَ قَتْلِهِ جعفرًا ، فَجِئْتُ ، فَقَالَ : أَبْيَاتٌ أَرَدْتُ أَنْ تَسْمَعَهَا ، فَقُلْتُ : إِذَا شَاءَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَنْشَدَنِى :

لَوْ أَنَّ جعفرَ خَافَ أَسْبَابَ الرَّدَى

لَنَجَا بِهِ مِنْهَا طِمِرٌّ مُلْجَمُ(٢)

وَلَكَانَ مِنْ حَذَرِ الْمَنِيَّةِ حَيْثُ لَا

يَرْجُو اللَّحَاقَ بِهِ الْعُقَابُ الْقَشْعَمُ(٣)

لٰكِنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ يَوْمُهُ

لَمْ يَدْفَعِ الْحِدْثَانَ عَنْهُ مُنَجِّمُ(٤)

فَعَلِمْتُ أَنَّهَا لَهُ ، فَقُلْتُ : إِنَّهَا أَحْسَنُ أَبْيَاتٍ فِى مَعْنَاهَا ،

أبى بن مقبل :

أناة كأن المسك تحت ثيابها يقطبه بالعنبر الورد مقطب

(١) الأكل اسم لما يؤكل (٢) الطمر الفرس الجواد السريع العدو (٣) قشعم : مسن أو ضخم قوى ، والعقاب من عتاق الجوارح، واذا كان قشعما كان أمنع وأكثر تحليقا فى الجو (٤) حدثان الدهر : نوائبه وأحداثه

فَقَالَ: الحقَ الآنَ بِأَهْلِكَ يا بْنَ قُرَيْبٍ[١] إِنْ شِئْتَ. وَحُكِيَ أَنَّ جعفرًا فِي آخِرِ أَيَّامِهِ أَرَادَ الرُّكُوبَ إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ فَدَعَا بِالأَصْطُرْلَابِ[٢] لِيَخْتَارَ وَقتاً وَهُوَ فِي دَارِهِ عَلَى دِجْلَةَ، فَمَرَّ رَجُلٌ فِي سَفِينَةٍ وَهُوَ لَا يَرَاهُ وَلَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ وَالرَّجُلُ يُنْشِدُ:

يُدَبِّرُ بِالنُّجُومِ وَلَيْسَ يَدْرِي
وَرَبُّ النَّجْمِ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

فَضَرَبَ بِالأَصْطُرْلَابِ الأَرْضَ وَرَكِبَ. وَيُحْكَى أَنَّهُ رُئِيَ عَلَى بَابِ قَصْرِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ[٣] بِخُرَاسَانَ صَبِيحَةَ اللَّيْلَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا جَعْفَرٌ كِتَابٌ بِقَلَمٍ جَلِيلٍ:

---

(١) الأصمعى عبد الملك بن قريب توفى سنة ٢١٦ وستأتى ترجمته

(٢) سبق القول فى الأصطرلاب «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) كان من أعظم القواد والعمال للرشيد، وكان بخراسان سنة ١٨٣ لحرب من بها من الخوارج والثائرين، ثم استقر فيها عاملا عليها، وفى سنة ١٩١ عزل عن امرة خراسان وولى مكانه هرثمة بن أعين، وفى سنة ١٩٤ بايع الأمين بولاية العهد لابنه موسى ولقبه الناطق بالحق وجعل على بن عيسى وزيره، وهو الذى كان يقود جيش الأمين لحرب المأمون ووقع له مع جيش المأمون الذى كان يقوده طاهر بن الحسين أمور معروفة

إِنَّ ٱلْمسَا كِينَ بَنِى بَرْمَكٍ صُبَّتْ عَلَيْهِمْ غِيَرُ(١) ٱلدَّهْرِ

إِنَّ لَنَا فِي أَمْرِهِمْ عِبْرَةً فَلْيَعْتَبِرْ سَاكِنُ ذَا ٱلْقَصْرِ

وَلَمَّا بَلَغَ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ(٢) خَبَرُ جعفرٍ وَقَتْلُهُ وَمَا نَزَلَ بِالْبَرَامِكَةِ حَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى ٱلْقِبْلَةِ وَقَالَ: ٱللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ قَدْ كَفَانِى مُؤْنَةَ ٱلدُّنْيَا، فَاكْفِهِ مُؤْنَةَ ٱلْآخِرَةِ. وَلَمَّا قُتِلَ أَكْثَرَ ٱلشُّعَرَاءُ فِى رِثَائِهِ وَرِثَاءِ آلِهِ، فَقَالَ ٱلرَّقَاشِىُّ(٣) مِنْ أَبْيَاتٍ:

هَدَا ٱلْخَالُونَ مِنْ شَجْوِى فَنَامُوا

وَعَيْنِى لَا يُلَائِمُهَا مَنَامُ(٤)

فى التاريخ يطول شرحها (١) غير الدهر: حوادثه ومصائبه المتغيرة (٢) ستأتى ترجمته (٣) الفضل بن عبد الصمد الرقاشى «مولى رقاش» كان شاعرا مجيدا مطبوعا سهل الشعر نقى الكلام، وكان بينه وبين أبى نواس مناقضة ومهاجاة، ومدح الرشيد، وانقطع الى البرامكة فأغنوه عمن سواهم، وكانوا يصولون به على الشعراء، ويروون أولادهم شعره تعصبا له وحفظا لخدمته، وتنويها باسمه، وتحريكا لنشاطه، فحفظ ذلك لهم، فلما نكبوا صار اليهم فى حبسهم فأقام معهم مدة أيامهم ينشدهم ويسامرهم حتى لاقوا حتفهم فرثاهم مراثى جيدة تمثل عاطفة الوفاء، وبكاهم بكاء يثير اللوعة، وتوفى سنة ٢٠٠ هـ هذا وتنسب هذه الأبيات لأبى عبد الرحمن العطوى، وتقدم التعريف به «أحمد يوسف نجاتى» (٤) «هدأ» أى سكن ونام. والخالون جمع خال: فارغ القلب من دواعى الحزن والهم

وَمَا سَهِرَتْ لِأَنّى مُسْتهَامٌ ‏ إِذَا أَرِقَ ٱلْمُحِبُّ ٱلْمُسْتَهَامُ

وَلٰـكِنَّ ٱلْحَوَادِثَ أَرَّقَتْنِي ‏ فَلِي سَهَرٌ إِذَا هَجَدَ ٱلنِّيَامُ(١)

أُصِبْتُ بِسَادَةٍ كَانُوا نُجُومًا ‏ بِهِمْ نُسْقَى إِذَا ٱنْقَطَعَ ٱلْغَمَامُ

عَلَى ٱلْمَعْرُوفِ وَٱلدُّنْيَا جَمِيعًا

وَدَوْلَةِ آلِ بَرْمَكٍ ٱلسَّلَامُ

فَلَمْ أَرَ قَبْـلَ قَتْلِكَ يَاابْنَ يَحْـيَ

حُسَامًا فَلَّهُ ٱلسَّيْفُ ٱلْحُسَامُ(٢)

أَمَا وَٱللهِ لَوْلَا خَوْفُ وَاشٍ

وَعَـيْنٌ لِلْخَلِيفَـةِ لَا تَنَامُ

لَطُفْنَا حَوْلَ جِذْعِكَ وَٱسْتَلَمْنَا

كَمَا لِلنَّاسِ بِٱلْحَجَرِ ٱسْتِلَامُ(٣)

---

(١) الأرق السهر ، وقيده بعضهم بأنه ذهاب النوم لما يكرهه الساهد ، وهجد : سكن ونام — والمستهام الهائم ، من الهيام وهو كالجنون من العشق

(٢) الحسام السيف القاطع ، وفله أى ثلمه أو كسره (٣) استلم الحجر « الأسود » لمسه بقبلة أو تناوله بيـده تبركا أو مسحه بالـكف

« أحمد يوسف نجاتى »

وَقَالَ أَيْضًا يَرْثِيهِ وَأَخَاهُ الْفَضْلَ(١) :

أَلَا إِنَّ سَيْفًا بَرْمَكِيًّا مُهَنَّدًا
أُصِيبَ بِسَيْفٍ هَاشِمِيٍّ مُهَنَّدِ

(١) زاد فى النسخة الخطية ما نصه :

ألان استرحنا واستراحت ركابنا
وأمسك من يجدى ومن كان يجتدى(١)

فقل للمطايا قد أمنت من السرى
وطى الفيافى فدفدا بعد فدفد(٢)

وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر
ولن تظفرى من بعده بمسود(٣)

وزاد فيها بعد قوله : ولما رأيت السيف إلى آخر البيتين ما نصه :

وما هى إلا دولة بعد دولة
تخول ذا نعمى وتعقب ذا بلوى(٤)

إذا أنزلت هذا منازل رفعة
من الملك حطت ذا إلى الغاية السفلى

(١) يجدى أى يعطى ويمنح الجدوى وهى الصلة (٢) السرى السير والسفر ليلا ، والفيافى جمع فيفى أو فيفاء أو فيفاة ، وهى المفازة التى لا ماء فيها مع الاستواء والسعة ـ والفدفد : الفلاة التى لا شىء بها ، والأرض المستوية (٣) سوده : جعله سيدا وارتضاه (٤) خوله : أعطاه وملكه . وأعقبه هما وندما أورثه اياه « أحمد يوسف نجاتى »

فَقُلْ لِلعطَايَا بَعْـدَ فَضْلٍ تعطَّلِي

وَقُلْ لِلرَّزَايَا كُلَّ يوْمٍ تجَدَّدِي

وَقَالَ دِعْبلُ بْنُ عَلِيٍّ اُلْخزَاعِيُّ :

وَلمَّا رَأَيْتُ اُلسَّيْفَ صَبَّحَ جعفَرًا

وَنَادَى مُنَادٍ لِلْخَلِيفَةِ فِي يحْيَى

بَـكَيْتُ عَلَى اُلدُّنيَا ، وَأَيْقَنْتُ أَنَّمَا

قُصَارَى[1] اُلْفَتَى فِيهَامُفَارَقَةُاُلدُّنيَا

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ طَرِيفٍ فِيهِمْ :

يَا بَنِي بَرْمَكَ وَاهًا لَـكُمُ وَلِأَيَّامِكُمُ اُلْمُقْتَبَلَه[2]

كَانَتِ اُلدُّنْيَـا عَرُوسًا بِكُمُ

وَهِيَ اُلْيَوْمَ ثَـكُولٌ[3] أَرْمَلَهْ

وَلَوْ لَا خوْفُ اُلْإِطَالَةِ لَأَوْرَدْتُ طرَفًا كَبِيرًا مِنْ أَقوَالِ

(١) قصارى الفتى أى غايته ونهايته وآخر أمره ، قال الشاعر :

انمـا أنفسنـا عارية والعوارى قصاراها ترد

(٢) اقتبل أمره : اذا استأنفه (٣) ثـكول : فقدت أولادها ومن يعز عليها، والأرملة من فقدت زوجها ، ولا يكون الامع الحاجة «أحمد يوسف نجاتى»

اُلشُّعَرَاءِ فِيهِمْ مَدِيحاً ورِثَاءً(١) . وَقَدْ طَالَتْ هٰـذِهِ اُلتَّرْجَمَةُ وَلٰـكِنْ شَرْحُ اُلْحَالِ وَتَوَالِى اُلْـكَلَامِ أَحْوَجَ إِلَيْـهِ . وَمِنْ أَعْجَبِ مَا يُؤَرَّخُ مِنْ تَقَلُّبَاتِ اُلدُّنْيَا بِأَهْلِهَا مَا حَكَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ غَسَّانَ بْنِ عَبْـدِ اُلرَّحْمٰنِ اُلْهَاشِمِىُّ صَاحِبُ صَلَاةِ اُلْـكُوفَةِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى وَالِدَتِى فِى يَوْمِ نَحْرٍ فَوَجَدْتُ عِنْدَهَا اُمْرَأَةً بَرْزَةً(٢) فِى ثِيَابٍ رَثَّةٍ ، فَقَالَتْ لِى وَالِدَتِى :

---

(١) ومن مراثى الرقاشى أيضا فيهم من قصيدة طويلة :

ان يغدر الزمن الخؤون بنا فقد غـدر الزمان بجعفر ومحمـد
حتى اذا وضح النهار تـكشفت عن قتل أكرم هالك لم يلحد
والبيض لولا أنها مأمورة مافل حـــد مهند بمهند
يا آل برمك كم لـكم من نائل وندى كعد الرمل غير مصرد
ان الخليفة ـ لايشك ـ أخوكم لـكنه فى برمك لم يولد
نازعتموه رضاع أكرم حرة مخلوقة من جوهر وزبرجد
ملك له كانت يد فياضة أبدا تجود بطارف وبمتلد
كانت يدا للجود حتى غلها قدر، فأضحى الجود مغلول اليد

وفيهم يقول سيف بن ابراهيم :

هوت أنجم الجدوى، وشلت يد الندى وغارت بحور الجود بعد البرامك
هوت أنجم كانت لأبناء برمك بها يعرف الحادى طريق المسالك

ويقول ابن أبى كريمة :

كل معير أعير مرتبة بعد فتى برمك على غرر
صالت عليه من الزمان يد كان بها صائلا على البشر

(١) امرأة برزة : أى بارزة المحاسن ظاهرتها ـ أو كهلة لا تحتجب

أتَعرِفُ هَذهِ ؟ قلتُ: لا، قالَتْ: هَذهِ أمُّ جعفرٍ ٱلْبَرْمَكِيِّ ؛ فَأَقبلتُ عليها بِوَجْهِي وَأكرَمْتُها، وتحادَثْنا زمانًا، ثُمَّ قُلْتُ: يا أُمَّهْ ما أعجبَ ما رأيتِ ؟ فقالَتْ: لَقَدْ أتى عَلَيَّ يا بُنَيَّ عيدٌ مِثلُ هذا وعلى رأسِي أربَعمِائةِ وَصِيفةٍ، وإِنِّي لأَعُدُّ ٱبْنِي عاقًّا لِي - ولَقَدْ أتى عَلَيَّ يا بُنَيَّ هذا ٱلعيدُ وما مُناي إلَّا جِلْدُ شاتَيْنِ أفترِشُ أحدَهُما وألتحِفُ ٱلآخَرَ، قالَ فَدَفَعْتُ إليها خمسَمِائةِ دِرهمٍ فكادَتْ تَمُوتُ فَرَحًا بِها، ولَمْ تَزَلْ تختلِفُ إلينا حتَّى فرَّقَ ٱلْمَوْتُ بَيْنَنا. وٱلْعُمْرُ بِضَمِّ ٱلْعَيْنِ ٱلْمُهمَلةِ وسُكُونِ ٱلمِيمِ وبَعدَها راءٌ، هكذا وجدْتُهُ مَضْبُوطًا فِي نُسخةٍ مَقْرُوءةٍ مَضْبُوطةٍ، وقالَ أبُو عُبَيْدةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبدِ ٱلْعزيزِ بن مُحَمَّدٍ ٱلبَكرِيُّ فِي كتابِ مُعْجَمِ ما ٱستَعْجَمَ: قَلَّابَةُ ٱلْعُمْرِ، وٱلْعُمْرُ عِندَهُمُ ٱلدَّيْرُ[1]، وٱللهُ أعْلَمُ.

احتجاب الشواب مع عفة وصيانة، أو البرزة هي الجليلة تبرز للقوم يجلسون اليها و يتحدثون عنها مع عفة وعقل «أحمد يوسف نجاتي»

(١) والعمر يطلق أيضا على البيعة والكنيسة والمسجد لأنه يعمر فيها أى يعبد

***

جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابة

« أَبُو ٱلْفَضْلِ جَعْفَرُ* بْنُ ٱلْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ
ٱبْنِ مُوسَى بْنِ ٱلْحَسَنِ بْنِ ٱلْفُرَاتِ ٱلْمَعْرُوفُ بِابْنِ حِنْزَابَةَ »
كَانَ وَزِيرَ بَنِي ٱلْإِخْشِيدِ بِمِصْرَ مُدَّةَ إِمَارَةِ(١) كَافُورٍ

---

*ترجم له فى كتاب تاريخ بغداد « ج ٧ ص ٢٣٤ » قال :
نزل مصر وتقلد الوزارة لأميرها كافور ، وكان أبوه وزير المقتدر بالله ، حدث أبو الفضل عن محمد بن هارون الحضرمى وطبقته من البغداديين، وعن محمد بن سعيد البرجمى الحمصى ، ومحمد بن جعفر الخرائطى، والحسين بن أحمد بن بسطام، ومحمد بن زهير الأيليين ، والحسن بن محمد الداركى ، ومحمد بن عمارة بن حمزة الأصبهانى . وكان يذكر أنه سمع من عبد الله بن محمد البغوى مجلسا ولم يكن عنده ، فكان يقول : من جاءنى به أغنيته . وكان يملى الحديث بمصر . و بسببه خرج أبو الحسن الدار قطنى الى هناك فانه كان يريد أن يصنف مسندا فخرج أبو الحسن إليه وأقام عنده مدة يصنف له المسند ، وحصل له من جهته مال كثير وروى عنه الدار قطنى فى كتاب المديح وغيره أحاديث. وهى طويلة جدا نكتفى منها بما أوردناه .

(١) كان أبوه أبو الفضل وزيرا للخليفة المقتدر العباسى سنة خلع ، وسافر هو الى مصر ، وكان وزيرا لأنوجور بن أبى بكر الأخشيد محمد بن جف الذى ولى مصر بعد وفاة أبيه الأخشيد فى ذى الحجة سنة ٣٣٤ ولاه الخليفة المطيع لله على مصر والشام وعلى كل ما كان لأبيه من الولاية « وكان كافور مدبر دولته ثم وقعت بينهما وحشة سنة ٣٤٣ ثم اصطلحا ، وتوفى أنوجور فى ذى القعدة سنة ٣٤٩ » واستمر أبو الفضل وزيرا

ثُمَّ اُسْتَقَلَّ كَافُورٌ بِمُلْكِ مِصْرَ وَاُسْتَمَرَّ عَلَى وِزَارَتِهِ ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ كَافُورٌ اُسْتَقَلَّ بِالْوِزَارَةِ وَتَدْبِيرِ الْمَمْلَكَةِ لِأَحْمَدَ اُبْنِ عَلِيِّ بْنِ الْإِخْشِيدِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ (١) ، وَقَبَضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ بَعْدَ مَوْتِ كَافُورٍ وَصَادَرَهُمْ ، وَقَبَضَ عَلَى يَعْقُوبَ بْنِ كِلِّسَ وَزِيرِ الْعَزِيزِ الْعُبَيْدِيِّ الْآتِي ذِكْرُهُ ، وَصَادَرَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَخَمْسِمِائَةٍ وَأَخَذَهَا مِنْهُ ، ثُمَّ أَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ أَبُو جَعْفَرٍ مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الشَّرِيفُ الْحُسَيْنِيُّ (٢) وَاُسْتَتَرَ عِنْدَهُ ،

له ، ووزر كذلك للأمير أبي الحسن على بن الأخشيد أخى أنوجور «وبقى كافور كما كان هو المتصرف فى الدولة والقائم بأمورها، بل قويت شوكته وعلا أمره» حتى توفى على سنة ٣٥٥ وبقيت مصر من بعده أياما بغير أمير وكافور يدبر أمرها ومعه أبو الفضل جعفر بن الفرات ، ثم ولى كافور امرة مصر باتفاق أعيان الديار المصرية وجندها، وبقى ابن الفرات على وزارته له حتى توفى كافور سنة ٣٥٧ « أحمد يوسف نجاتى »

(١) ولما توفى كافور سنة ٣٥٧ اجتمع الأولياء وتعاقدوا وتعاهدوا ألايختلفوا، وكتبوا بذلك كتابا ساعة توفى كافور، وعقدوا الولاية لأحمد ابن على بن الأخشيد محمد بن طغج بن جف وكان اذ ذاك صبيا ابن ١١ سنة وجعل التدبير بمصر فيما يتعلق بالأموال والتدبير الى أبى الفضل جعفر ابن الفرات « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هو أبو جعفر مسلم بن عبيد الله ابن طاهر العلوى الشريف النسابة ، كان عظيم المنزلة وجيها لدى كافور الأخشيدى، وكان نبيلا ذا عفة وأدب وخير وصلاح ، نفع الناس كثيرا

ثُمَّ هَرَبَ مُسْتَتِرًا إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ . وَلَمْ يَقْدِرِ ابْنُ الْفُرَاتِ عَلَى رِضَا الْكَافُورِيَّةِ وَالْإِخْشِيدِيَّةِ وَالْأَتْرَاكِ وَالْعَسَاكِرِ وَلَمْ تُحْمَلْ إِلَيْهِ أَمْوَالُ الضَّمَانَاتِ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَاضْطَرَبَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ ، فَاسْتَتَرَ مَرَّتَيْنِ ، وَنُهِبَتْ دُورُهُ وَدُورُ بَعْضِ أَصْحَابِهِ . ثُمَّ قَدِمَ إِلَى مِصْرَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ (١) بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ طُغْجٍ صَاحِبُ الرَّمْلَةِ ؛ فَقَبَضَ عَلَى الْوَزِيرِ الْمَذْكُورِ وَصَادَرَهُ وَعَذَّبَهُ ، وَاسْتَوْزَرَ عِوَضَهُ كَاتِبَهُ الْحَسَنَ بْنَ جَابِرٍ الرِّيَاحِيَّ ، ثُمَّ أُطْلِقَ الْوَزِيرُ جَعْفَرٌ بِوَسَاطَةِ الشَّرِيفِ أَبِي جَعْفَرٍ الْحُسَيْنِيِّ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ أَمْرَ مِصْرَ ، وَسَارَ عَنْهَا إِلَى الشَّامِ مُسْتَهَلَّ رَبِيعٍ الْآخِرِ

---

(١) كذا بالأصل، والذى أعرفه أن اسمه « الحسن » لا الحسين ، وكانت الولاية له بعد أحمد بن على وعقد له على ابنة عمه فاطمة بنت الأخشيد وكان مقيما بالشام وصاحب الرملة من بلادها. وهو الذى مدحه المتنبي بقصيدته التى أولها :

أنا لائمى ان كنت وقت اللوائم   علمت بما بى بين تلك المعالم

وكان قدم من الشام منهزما من القرامطة لما استولوا على الشام ، ثم سار الى الشام فى ربيع الآخر سنة ٣٥٨ ثم كان بعد دخول المعز الى مصر مع المعتقلين من بنى الأخشيد حتى خضع للمعز لدين الله «أحمد يوسف نجاتى» بجاهه ونفوذ كلمته واجلال الحكام له

سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ . وَكَانَ عَالِماً مُحِبًّا لِلْعُلَمَاءِ ، وَحَدَّثَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الْحَضْرَمِيِّ [١] وَطَبَقَتِهِ مِنَ الْبَغْدَادِيِّينَ ، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ الْبُرْجُمِيِّ الْحِمْصِيِّ ، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْخَرَائِطِيِّ [٢] وَالْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بَسْطَامٍ ، وَالْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الدَّارِكِيِّ [٣] وَمُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ بْنِ حَمْزَةَ الْأَصْبَهَانِيِّ ، وَكَانَ يَذْكُرُ أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيِّ [٤] مَجْلِسًا وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ ، فَكَانَ يَقُولُ : مَنْ جَاءَنِي بِهِ أَغْنَيْتُهُ . وَكَانَ يُمْلِي الْحَدِيثَ بِمِصْرَ وَهُوَ وَزِيرٌ ، وَقَصَدَهُ الْأَفَاضِلُ مِنَ الْبُلْدَانِ الشَّاسِعَةِ ، وَبِسَبَبِهِ سَارَ الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ الْمَعْرُوفُ بِالدَّارَقُطْنِيِّ [٥] مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ـ وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يُصَنِّفَ مُسْنَدًا ـ فَلَمْ يَزَلِ الدَّارَقُطْنِيُّ عِنْدَهُ حَتَّى فَرَغَ مِنْ تَأْلِيفِهِ .

(١) هو أبو حامد محمد بن هرون الحضرمي محدث بغداد في وقته، توفي سنة ٣٢١ (٢) أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي السامري، توفي بفلسطين سنة ٣٢٧ (٣) هو أبو علي الحسن بن محمد الداركي «وفي الأصل أحمد» محدث أصبهان توفي سنة ٣١٧ (٤) هو أبو القاسم عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز الحافظ المحدث الثقة، توفي سنة ٣٢٧ (٥) ستأتي ترجمته

وَلَهُ تَآلِيفُ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَالأَنْسَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَذَكَرَ الخَطِيبُ أَبُو زَكَرِيَّا التِّبْرِيزِيُّ فِي شَرْحِهِ دِيوَانَ المُتَنَبِّي أَنَّ المُتَنَبِّيَ لَمَّا قَصَدَ مِصْرَ وَمَدَحَ كَافُورًا مَدَحَ الوَزِيرَ أَبَا الفَضْلِ (١) المَذْكُورَ بِقَصِيدَتِهِ الرَّائِيَّةِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

(١) وكان الوزير أبو الفضل أحد الحفاظ محدثا جليلا كثير السماع حسن العقل راغبا فى الخير وأهله مائلا الى أهل العلم والفضل — ولكن أخذ عليه أنه لما تولى الوزارة عامل كثيرا من الناس بالشدة حتى اختلف عليه الجند واضطربت أمور الديار المصرية — ومع هذا كان جوادا يقصده الشعراء ويمدحونه فيثيبهم، وكان له بستان بالمقس، وخرج اليه يوما وكان بمصر أبو الفتح كشاجم فكتب اليه على تفاحة بماء الذهب وأنفذها اليه :

اذا الوزير تجلى   للنيل فى الأوقات
فقد أتاه سميا   ه جعفر بن الفرات

وقد كان بنو الفرات أسرة نبل ووزارة بالعراق ومصر . وقد ترجمنا لكثير من أفرادهم، وأعيانهم وتكلمنا على أثرهم فى الأدب ومنزلتهم فيه وأطلنا القول فى ذلك فى كتابنا « الجامع فى أدب اللغة » ولصالح بن مؤنس المصرى فى الوزير المذكور :

قد مر عيد وعيد   ما اخضر لى فيه عود
وكيف يخضر عود   والماء منه بعيد ؟ !
يامن له عدد المجـ   ـد كلها والعديد
آل الفرات نداهم   على الفرات يزيد
وأنت فضلك فيهم   عليك منه شهود
وكل يوم لغيرى   من راحتيك مديد
هل لى الى الرزق ذنب   فكان منه صدود ؟ !

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَوْ لَمْ تَصْبِرَا
وَبُكَاكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى

وَجَعَلَهَا مَوْسُومَةً بِاسْمِهِ فَتَكُونُ إِحْدَى الْقَوَافِي «جَعْفَرًا» وَكَانَ قَدْ نَظَمَ قَوْلَهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

صُغْتُ السِّوَارَ لِأَيِّ كَفٍّ بَشَّرَتْ
بِابْنِ الْعَمِيدِ وَأَيِّ عَبْدٍ كَبَّرَا[1]

«بَشَّرَتْ بِابْنِ الْفُرَاتِ» فَلَمَّا لَمْ يُرْضِهِ صَرَفَهَا عَنْهُ

ما الناس الا شقى في دهرنا وسعيد

وقد كان الأديب الكاتب الشاعر أحمد بن المدبر من أعيان كتاب آبائه ودولته . ولما دخل المعز لدين الله الفاطمى مصر عرض له أن يستوزره فأبى ، فقال له : أما اذ لم تل لنا عملا فيجب ألا تخرج عن بلادنا فانا لا نستغنى أن يكون فى دولتنا مثلك ، فأقام بمصر حتى توفى بها ولم يرجع الى بغداد ، وفى سنة ٣٩٩ قتل الحاكم ابنه أبا الحسين على بن جعفر ، وفى سنة ٤٠٥ ولى وزارة الحاكم أبو العباس الفضل بن جعفر ابنه الآخر «وكان قد تزوج ابنة الوزير أبى الفرج يعقوب بن كلس» ولكنه لم يلبث بعد أن وزر طويلا فقد ضمن ما لم يعرفه فقتل بعد خمسة أيام من ولايته فى سنة ٤٠٥ رحمه الله تعالى «أحمد يوسف نجاتى»

(١) يقول أى كف أشارت الى ابن العميد فبشرتنى به فلها عندى حلية السوار جزاء البشرى ، وكذلك لكل عبد كبر عند رؤية بلده ووصولنا اليه وذلك لفخرى ببر قسمى وسرورى به «أحمد يوسف نجاتى»

وَلَمْ يُنْشِدْهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى عَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ قَصَدَ أَرَّجَانَ وَبِهَا أَبُو ٱلْفَضْلِ بْنُ ٱلْعَمِيدِ وَزِيرُ رُكْنِ ٱلدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ وَالِدِ عَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ ـ وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى ـ فَحَوَّلَ ٱلْقَصِيدَةَ إِلَيْهِ ، وَمَدَحَهُ بِهَا وَبِغَيْرِهَا ، وَهِيَ مِنْ غُرَرِ ٱلْقَصَائِدِ . وَذَكَرَ ٱلْخَطِيبُ أَيْضًا فِي ٱلشَّرْحِ أَنَّ قَوْلَ ٱلْمُتَنَبِّي فِي ٱلْقَصِيدَةِ ٱلْمَقْصُورَةِ ٱلَّتِي يَذْكُرُ فِيهَا مَسِيرَهُ إِلَى ٱلْكُوفَةِ وَيَصِفُ مَنْزِلًا مَنْزِلًا وَيَهْجُو كَافُورًا[1] :

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ ٱلْمُضْحِكَاتِ! ... وَلَـكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَا

بِهَا نَبَطِيٌّ مِنَ أَهْلِ ٱلسَّوَادِ ... يُدَرِّسُ أَنْسَابَ أَهْلِ ٱلْفَلَا[2]

وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ ... يُقَالُ لَهُ : أَنْتَ بَدْرُ ٱلدُّجَا[3]

---

(١) قالها يذكر خروجه من مصر وأولها :

ألا كل ماشية الخيزلى ... فدا كل ماشية الهيدبى

الخيزلى مشية فيها استرخاء من مشية النساء ، والهيدبى مشية فيها سرعة من مشى الابل ، يريد أنه ليس من أهل الغزل ولا يميل الى التشبيب بالنساء وانما هو من أهل السفر وتحمل مشاقه يحب مسير الابل ويجعل شعره فى ذلك

(٢) ويروى : أنساب أهل العلا ، وقيل بل أراد بالنبطى أبا بكر الماذرائى النسابة ، يتعجب منه ويقول : انه ليس من العرب حتى يعرف أنسابها وهو مع هذا يعلم الناس أنساب العرب (٣) يعنى أنهم يثنون عليه ثناء كاذبا ملقا ونفاقا ، ويصفونه بالجمال فيقولون له أنت بدر الدجا والبدر

وَشِعْرٍ مَدَحْتُ بِهِ الْكَرْكَدَنْ
نَ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّقَى (١)

فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَهُ   وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوَ الْوَرَى (٢)

أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّبَطِيِّ أَبُو الْفَضْلِ الْمَذْكُورُ ، وَالْأَسْوَدُ كَافُورٌ ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا الْقَدْرُ مَا غَضَّ (٣) مِنْهُ ، فَمَا زَالَتِ

مثال النور والجمال ، وهذا الأسود القبيح الخلقة المتدلى الشفة الكبيرة كيف يشبه بالبدر وان كان فى محاقه — وانما جعل له مشافر وهى لغير الانسان بل لذوات الخف لغلاظ شفته، وهم اذا وصفوا الرجل بالغلاظ والجفاء جعلوا له مشافر كما قال الفرزدق :

ولو كنت ضبيا عرفت قرابتى   ولكن زنجيا غليظا مشافره

(١) الكركدن هو الحمار الهندى ، أودابة عظيمة الخلق تسمى الكركد وسماه الجاحظ الكركدن ، وهو هائل الجثة مشوه الخلق دون الجاموس — يقول ان الشعر الذى مدحه به هو شعر من وجه ورقية من وجه آخر لأنى كنت أرقيه به لآخذ ماله ، فانه ممن لا يستخرج ماعنده الا بضرب من الرقية ونوع من الحيلة (٢) يقول لم يكن هذا الشعر مدحا له ولكنه كان فى الحقيقة هجاء للناس جميعا اذ أحوجونى الى مثله. وقال ابن جنى: اذا كانت طباعه تنافى طباع الناس كلهم سفالا ثم مدح فذلك أرغام لهم وهجو لأن مدح من ينافى طباعهم هجو لهم « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) أى لايحط من قدره ولا يخفض من قيمته ولا ينقص منها

ٱلْأَشْرَافُ تُهْجَى وَتُمْدَحُ (١) . وَذَكَرَ ٱلْوَزِيرُ أَبُو ٱلْقَاسِمِ (٢)

(١) عجز بيت صدره : هجوت زهيرا ثم انى مدحته

(٢) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

فأنشد أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله النجيرمى (١) لنفسه وقد دعا له داع فلحن فى قوله : أدام الله أيامك ـ بخفض أيامك المنصوبة :

لاغرو أن لحن الداعى لسيدنا ... أوغص من دهش بالريق والبهر

فمثـل هيبته حالت جـلالتها ... بين البليغ وبين النطق بالحصر

فان يكن خفض الأيام عن دهش ... فى موضع النصب لامن قلة البصر (٢)

فقـد تفاءلت فى هـذا لسيدنا ... والفال مأثورة عن سيد البشر

(١) فى الأصل « البجيرى » وهو تحريف ـ وهو أبو اسحق ابراهيم ابن عبد الله بن محمد النجيرمى النحوى صاحب الزجاج ، وهو منسوب الى نجيرم محلة بالبصرة ، وكان فى خـدمة كافور الأخشيدى « اذ كان لكافور نظر فى العربية والأدب والعلم » وتولى النجيرمى الكتابة لكافور وقد كانت الكتابة يومئذ من المناصب السياسية ذات الخطر والشأن، وله مؤلفات ممتعة فى اللغة والأدب، منها كتاب « أيمان العرب فى الجاهلية » وهو صغير مفيد طبع بمصر سنة ١٣٤٣ هـ . هذا وقد حدث أنه فى سنة ٣٥٦ قام رجل يسمى « أبا الفضل بن عياش » أو « الفضل بن عباس » بين يدى كافور ـ والمجلس غاص بالناس ـ فدعا له وقال فى دعائه : أدام الله أيام مولانا « بكسر الميم من أيام » فتبسم كافور والتفت الى أبى اسحق النجيرمى فأنشـد الأبيات المذكورة، فأمر له كافور بثلثمائة دينار ولابن عياش الداعى بمثلها ، وكانت بديهة النجيرمى وحسن اعتـذاره عن لحن الداعى موضع اعجاب كافور ومن حضر بمجلسه « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) ويروى : من شدة الخوف لامن قلة البصر ـ والبهر : الكرب يعترى الانسان اذا كلف فوق الجهد أو استولت عليه الدهشة ـ والحصر العى فى النطق لسبب من خجل ونحوه وفعله « كفرح » « أحمد يوسف نجاتى »

بأن أيامه خفض بـلا نصب   وأن دولته صفو بلا كدر .

ومما يناسب هذه الواقعة أن قتيبة بن مسلم (١) لما ولى خراسان صعد المنبر فسقط القضيب من يده، فتشاءم به ، فقام اليه رجل من أصحابه : فقال له : ليس كما ذهب الأمير ، ولـكن كما قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى   كما قر عينا بالاياب المسافر

و يقرب من هـذا ماحدث الصولى قال : خرج طاهر بن الحسين (٢) لقتال عيسى بن ماهان وفى كمه دراهم يفرقها على الضعفاء ،ثم سها فأسبل كمه فتبددت فتطير ، فقال له شاعر :

هـذا تبدد جمعهم لاغيره   وذهابه منا ذهاب الهـم

شىء يكون الهم نصف حروفه   لاخير فى امساكه فى الـكم (٣)

---

(١) ستأتى ترجمته (٢) تأتى ترجمته (٣) لا أجد مناسبة لهذه الزيادة التى فى النسخة الخطية، فليس فيها شىء يتصل بالمترجم «أبى جعفر بن الفرات» وان كانت قصة أبى اسحق النجيرمى حصلت لـكافور الأخشيدى الذى كان ابن الفرات وزيره ، وليس ذلك داعيا الى سوق كل مايتصل بكافور ان لم يكن لابن الفرات شأن فيه، وقد يكون فى الأصل سقط يربط هذه الحوادث بعضها ببعض ، ويجعل بينها و بين ابن الفرات سببا قويا وصلة غير واهية وان كانت المناسبة المعنوية تستدعيها هذا وفى معنى البيتين قول ابن شرف :

ألا رب شىء فيه من أحرف اسمه   نواه لنا عنه وزجر وانذار

فتنـا بدينـار وهمنـا بدرهم   وآخر ذا هم وآخر ذا نار

وقول الآخر :

النار آخر دينار نطقت به   والهم آخر هذا الدرهم الجارى

والمرء مالم يفد من غيره ورعا   مقسم القلب بين الهم والنار

وهذه أخيلة شعرية لاتسلب المال قيمته . « أحمد يوسف نجاتى »

الْمَغْرِبِىُّ(١) فِى كِتَابِ أَدَبِ الْخَوَاصِّ : كُنْتُ أُحَادِثُ الْوَزِيرَ أَبَا الْفَضْلِ جَعْفَرًا الْمَذْكُورَ وَأُجَارِيهِ شِعْرَ الْمُتَنَبِّى فَيُظْهِرُ مِنْ تَفْضِيلِهِ زِيَادَةً تُنَبِّهُ عَلَى مَا فِى نَفْسِهِ خَوْفًا أَنْ يُرَى بِصُورَةِ مَنْ ثَنَاهُ(٢) الْغَضَبُ الْخَاصُّ عَنْ قَوْلِ الصِّدْقِ فِى الْحُكْمِ الْعَامِّ ، وَذَلِكَ لِأَجْلِ الْهِجَاءِ الَّذِى عَرَّضَ لَهُ بِهِ الْمُتَنَبِّى . وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِى الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّىَ يَوْمَ الْأَحَدِ ثَالِثَ عَشَرَ صَفَرٍ وَقِيلَ فِى شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ بِمِصْرَ — رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى — ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْقَاضِى حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ(٣) ، وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ الصُّغْرَى ، وَتُرْبَتُهُ

---

(١) تأتى ترجمته فى الحاء « الحسين بن على » (٢) ثناه : صرفه ومنعه

(٣) أبو حنيفة النعمان بن أبى عبدالله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون المغربى القاضى أحد الائمة الفضلاء من أهل العلم والفقه والدين والنبل والأدب ، قدم مع المعز لدين الله الفاطمى مصر من افريقية ، وتوفى سنة ٣٦٣ ، وابنه أبو الحسن على بن النعمان تولى أيضا قضاء مصر ، وكان عالما فقيها أديبا مفتنا فى جملة علوم شاعرا مجيدا ، وتوفى سنة ٣٧٤ ، وأخوه أبو عبد الله محمد بن النعمان كان يستخلفه أخوه على بن النعمان فى الحكم بين الناس ، وفوض اليه الحكم بدمياط وتنس والفرما ، وتولى القضاء بعد أخيه ، وفى سنة ٣٧٤ استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان على القضاء

بِهَا مَشْهُورَةٌ . وَحِنزَابَةُ بِكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ النُّونِ وَفَتْحِ الزَّاىِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ هَاءٌ سَاكِنَةٌ ، وَهِىَ أُمُّ أَبِيهِ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرٍ(١)، هَكَذَا ذَكَرَهُ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ فِي تَارِيخِهِ . وَالْحِنْزَابَةُ فِى اللُّغَةِ الْمَرْأَةُ الْقَصِيرَةُ الْغَلِيظَةُ . وَذَكَرَهُ الْحَافِظُ بْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ، وَأَوْرَدَ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلَهُ :

مَنْ أَخْمَلَ النَّفْسَ أَحْيَاهَا وَرَوَّحَهَا
وَلَمْ يَبِتْ طَاوِيًا مِنْهَا عَلَى ضَجَرِ

بالاسكندرية بأمر الخليفة العزيز الفاطمى، وتزوج أبو القاسم هذا ابنة القائد جوهر الصقلى سنة ٣٧٥ وكان محمد بن النعمان أديبا شاعرا نبيلا عدلا نزيها رفيع المنزلة لدى المعز والعزيز والحاكم، وتوفى سنة ٣٨٩ فتولى القضاء بعده أبو عبد الله الحسين بن على بن النعمان « ابن أخى محمد » وكان ينوب عن عمه القاضى محمد ، واستمر فى الحكم الى سنة ٣٩٤ فصرف بابن عمه أبى القاسم عبد العزيز بن محمد ، وتوفى الحسين بن على بن النعمان سنة ٣٩٥ وعلت رتبة أبى القاسم عبد العزيز لدى الحاكم الفاطمى، ثم صرف عن القضاء سنة ٣٩٨ وتوفى سنة ٤٠١ ومن هذه الخلاصة يظهر أن الذى صلى على ابن الفرات هو القاضى الحسين بن على «لا ابن محمد» كما فى الأصل . وقد تكلمنا طويلا على النعمان وأهل بيته وآثارهم فى الأدب فى كتابنا الجامع فى الأدب العربى «أحمد يوسف نجاتى»

(١) كانت جارية وكانت حماة الحسن بن الفرات بمصر . « أحمد يوسف نجاتى »

إِنَّ ٱلرِّيَاحَ إِذَا ٱشْتَدَّتْ عَوَاصِفُهَا

فَلَيْسَ تَرْمِى سِوَى ٱلْعَالِى مِنَ ٱلشَّجَرِ (١)

وَقَالَ: كَانَ كَثِيرَ ٱلإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِ ٱلْحَرَمَيْنِ، وَٱشْتَرَى بِٱلْمَدِينَةِ دَارًا بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلْمَسْجِدِ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلضَّرِيحِ ٱلنَّبَوِىِّ — عَلَى سَاكِنِهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلَاةِ وَٱلسَّلَامِ — سِوَى جِدَارٍ وَاحِدٍ، وَأَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ فِيهَا، وَقَرَّرَ مَعَ ٱلأَشْرَافِ ذَلِكَ. وَلَمَّا مَاتَ حُمِلَ تَابُوتُهُ مِنْ مِصْرَ إِلَى ٱلْحَرَمَيْنِ، وَخَرَجَتِ ٱلأَشْرَافُ إِلَى لِقَائِهِ وَفَاءً بِمَا أَحْسَنَ

---

(١) يغبط ذوى الخمول على راحتهم وسلامتهم مما ينال أولى النباهة من حسد الناس وغضب الحكام، وضرب لذلك مثلا فى البيت الثانى، وهو مذهب طائفة من الناس يقول قائلهم:

ان مدحت الخمول نبهت قوما ... أغفلوه فسابقونى اليه

هو قد دلنى على لذة العيـ ... ـش، فما لى أدل غيرى عليه ؟!

ولا أرى ذلك، فما الخمول الا موت أدبى، اللهم الا اذا فسد الزمان فارتفعت أراذله وساءت أخلاق بنيه:

متى أرت الدنيا نباهة خامل ... فلا ترتقب الا خمول نبيه

وكم من خامل فى زماننا هذا آثر العمل الهادىء الساكت على ذيوع الشهرة الزائفة بالنفاق والتدليس، فأرضى ضميره، وعلم أن الحق لابد من ظهوره، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض «أحمد يوسف نجاتى»

إِلَيْهِمْ ، فَحَجُّوا بِهِ وَطَافُوا وَوَقَفُوا بِعَرَفَةَ ، ثُمَّ رَدُّوهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَدَفَنُوهُ بِالدَّارِ الْمَذْكُورَةِ . وَهَذَا خِلَافُ مَا ذَكَرْتُهُ أَوَّلًا ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ ، غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ التُّرْبَةَ الْمَذْكُورَةَ بِالْقَرَافَةِ وَعَلَيْهَا مَكْتُوبٌ : هَذِهِ تُرْبَةُ أَبِي الْفَضْلِ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ ، ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ بِخَطِّ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ الصُّوفِيِّ أَنَّهُ دُفِنَ فِي مَجْلِسِ دَارِهِ الْكُبْرَى ثُمَّ نُقِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

***

جعفر السراج القارئ البغدادي

«أَبُو مُحَمَّدٍ جَعْفَرُ * بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ السَّرَّاجُ الْمَعْرُوفُ بِالْقَارِئِ الْبَغْدَادِيِّ»

---

* ترجم له فى كتاب إرشاد الأريب «ج ٢ ص ٤٠١» قال : هو ذو طريقة جميلة ، ومحبة للعلم والأدب ، وله شعر لابأس به ، وخرج له شيخنا الخطيب فوائد ، وتكلم عليها فى خمسة أجزاء ، وكان يسافر الى مصر وغيرها ، وتردد الى صور عدة دفعات ، ثم قطن بها زمانا ، وعاد الى بغداد وأقام بها الى أن توفى

وله ترجمة فى بغية الوعاة للسيوطى لا تخرج عما هنا ، قال فيها نقلا عن ابن عساكر : كان عالى الطبقة فى الحديث والقراءة والنحو واللغة والعروض ، ودخل مكة والشام ومصر ، وذكر من مؤلفاته : زهد السودان ، وغيره . اه ملخصا .

كَانَ حَافِظَ عَصْرِهِ وَعَلَّامَةَ زَمَانِهِ ، وَلَهُ ٱلتَّصَانِيفُ ٱلْعَجِيبَةُ ، مِنْهَا كِتَابُ مَصَارِعِ ٱلْعُشَّاقِ وَغَيْرُهُ ، حَدَّثَ عَنْ أَبِي عَلِيِّ بْنِ شَاذَانَ ، وَأَبِي ٱلْقَاسِمِ بْنِ شَاهِينَ(١) وَٱلْخَلَّالِ وَٱلْبَرْمَكِيِّ(٢) وَٱلْقَزْوِينِيِّ ، وَأَبْنِ غَيْلَانَ(٣) وَغَيْرِهِمْ ، وَأَخَذَ عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَرَوَى عَنْهُ ٱلْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ ٱلسِّلَفِيُّ ـ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى ـ ، وَكَانَ يَفْتَخِرُ بِرِوَايَتِهِ مَعَ أَنَّهُ لَقِيَ أَعْيَانَ ذَلِكَ ٱلزَّمَانِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ ، فَمِنْهُ :

بَانَ ٱلْخَلِيطُ ، فَأَدْمُعِي وَجْدًا عَلَيْهِمْ تَسْتَهِلُّ(٤)
وَحَدَا بِهِمْ حَادِي ٱلْفِرَا قِ عَنِ ٱلْمَنَازِلِ فَٱسْتَقَلُّوا(٥)

---

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن أبى حفص عمر بن شاهين التنوخى كان صدوقا عالى الأسناد ، توفى سنة ٤٤٠ (٢) هو أبو اسحق ابراهيم ابن عمر البغدادى الفقيه الحنبلى المحدث الثقة ، ولد سنة ٣٦١ وتوفى سنة ٤٤٥ . وهناك أيضا أبو العباس أحمد بن عمر بن أحمد بن ابراهيم بن اسمعيل الفقيه الحنبلى ولد سنة ٣٧٢ وتوفى سنة ٤٤١ «أحمد يوسف نجاتى» (٣) هو مسند العراق أبو طالب بن غيلان محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان الهمذانى البغدادى البزاز المحدث الثقة ، كان عالما جليلا صالحا ذا دين وفضل ، توفى سنة ٤٤٠ (٤) الخليط القوم الذين أمرهم واحد ، قال زهير :

ان الخليط أجدوا البين فانجردوا وأخلفوك عد الأمر الذى وعدوا

واستهل الدمع سال ، واستهلت العين سال دمعها (٥) استقل نهض وسار مبتعدا

قَلْ لِلَّذِينَ تَرَحَّلُوا عَنْ نَاظِرِى ، وَالْقَلْبَ حَلُّوا
وَدَمِى بِلَا جُرْمٍ أَتَيْتُ غَدَاةَ بَيْنِهِمُ اسْتَحَلُّوا
مَا ضَرَّهُمْ لَوْ أَنْهَلُوا مِنْ مَاءِ وَصْلِهِمْ وَعَلُّوا ؟! (١)

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى :

وَعَدْتِ بِأَنْ تَزُورِى كُلَّ شَهْرٍ
فَزُورِى ، قَدْ تَقَضَّى الشَّهْرُ ، زُورِى
وَشُقَّةُ (٢) بَيْنِنَا نَهْرُ الْمُعَلَّى
إِلَى الْبَلَدِ الْمُسَمَّى شَهْرَ زُورِ
وَأَشْهُرُ هَجْرِكِ الْمَحْتُومِ حَقٌّ
وَلَكِنْ شَهْرُ وَصْلِكِ شَهْرُزُورِ

(١) النهل أول الشرب ، والثانى العلل ، وقد أنهل الابل اذا سقاها أول الورد ، وأعلها سقاها ثانية ، يريد ماضر أحبابه لو متعوه طويلا بقربهم ، ورووا غليل شوقه اليهم بدوام وصلهم « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) شقة : الشقة السفر البعيد ، والناحية التى يقصدها المسافر ـ ونهر المعلى محلة كانت ببغداد ، وفيها كانت دار الخلافة العباسية ، وكان نهر المعلى يسير تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة و يسمى الفردوس ، ينسب الى المعلى بن طريف مولى المهدى وكان من كبار قوادالرشيد جمع له من الأعمال مالم يجمع لكبير أحد ، وولى البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين . وشهر زور كورة واسعة بين اربل وهمذان ، وكان كل أهلها من الاكراد ، وهى جملة مدائن وقرى ، فيها مدينة كبيرة هى قصبتها

وَأَوْرَدَ لَهُ ٱلْعِمَادُ ٱلْكَاتِبُ ٱلْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِ ٱلْخَرِيدَةِ :

وَمُدَّعٍ شَرْخَ(١) شَبَابٍ وَقَدْ عَمَّمَهُ ٱلشَّيْبُ عَلَى وَفْرَتِهْ
يَخْضِبُ بِالْوَشْمَةِ عُثْنُونَهُ
يَكْفِيهِ أَنْ يَكْذِبَ فِي لِحْيَتِهْ(٢)

وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ نَظْمٌ جَيِّدٌ . وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ إِمَّا فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، أَوْ أَوَائِلِ سَنَةِ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَذَكَرَ ٱلشَّرِيفُ أَبُو ٱلْمُعَمَّرِ ٱلْمُبَارَكُ ٱبْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْأَنْصَارِيُّ(٣) فِي كِتَابِ وَفَيَاتِ ٱلشُّيُوخِ أَنَّ مَوْلِدَهُ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ بِبَغْدَادَ ، وَتُوُفِّيَ بِهَا لَيْلَةَ ٱلْأَحَدِ ٱلْحَادِي وَٱلْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ وَدُفِنَ بِبَابِ أَبْرَزَ(٤) .

---

(١) شرخ الشباب أوله وقوته و زمان نضارته ، وعممه: شمله ، والوفرة الشعر المجتمع على الرأس أو ماسال على الأذنين منه (٢) والوشم هنا الخضاب وصبغ الشعر ، والعثنون اللحية أو مانبت على الذقن وتحته ، أو مافضل من اللحيه بعد العارضين (٣) هو أبو المعمر الأنصارى المبارك ابن أحمدالأزجى الحافظ له معجم فى مجلد، وكان ذاعناية بالرواية والتاريخ توفى سنة ٥٤٩ . «أحمد يوسف نجاتى» (٤) باب أبرز ، ويقال

*
* *

أبو معشر البلخى المنجم

« أَبُو مَعْشَرٍ * جعفرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ ٱلْبَلْخِيُّ ٱلْمُنَجِّمُ ٱلْمَشْهُورُ »

« بيبرز » بكسر ففتح فسكون ففتح ، محلة كانت ببغداد « ثم صارت مقبرة بين عمارات البلد ، بها قبور جماعة من الأئمة ، منهم أبو اسحاق أبراهيم بن على الفيروزابادى الشيرازى الامام الفقيه المتوفى سنة ٤٧٦ » ومن باب أبرز هذا أصل بنى البارزى الذين كانوا كتابا بمصر ، كان جدهم مسلم يسكن فى بغداد بباب أبرز المذكور ، ثم خرج من بغداد فى جفلة التتار واغارتهم وقصد الى حاب فسمى الأبرزى ، ثم خفف فقيل البارزى « أحمد يوسف نجاتى »

* ترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم « ص ٣٨٦ » قال :

كان أولا من أصحاب الحديث ، ومنزله فى الجانب الغربى بباب خراسان وكان يضاغن الكندى (١) و يغرى به العامة ، و يشنع عليه بعلوم الفلاسفة فدس عليه الكندى من حسن له النظر فى علوم الحساب والهندسة ، فدخل فى ذلك فلم يكمل له ، فعدل الى علم أحكام النجوم ، وانقطع شره عن الكندى بنظره فى هذا العلم لأنه من جنس علوم الكندى . و يقال : انه تعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره ، وكان فاضلا حسن الاصابة ، وضرب به المستعين أسواطا لأنه أصاب فى شىء خبره بكونه قبل وقته ، فكان يقول : أصبت فعوقبت .

وله ترجمة فى « أخبار العلماء بأخبار الحكماء » قال فيها : وكان من

---

(١) هو يعقوب بن اسحق بن الصباح بن عمران بن اسمعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندى ، اشتهر بالتبحر فى فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية وأحكام النجوم وسائر العلوم الرياضية ، وكان فى عصره فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها ، فقد كان أبو اسحق بن الصباح أميرا على الكوفة للمهدى والرشيد ، وجدوده من ذوى الرياسة والملك ، وله مصنفات جمة نافعة « أحمد يوسف نجاتى »

كَانَ إِمَامَ وَقْتِهِ فِي فَنِّهِ ، وَلَهُ ٱلتَّصَانِيفُ ٱلْمُفِيدَةُ فِي عِلْمِ ٱلنَّجَامَةِ ؛ مِنْهَا ٱلْمَدْخَلُ وَٱلزِّيجُ وَٱلْأُلُوفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَكَانَتْ لَهُ إِصَابَاتٌ عَجِيبَةٌ ؛ رَأَيْتُ فِي بَعْضِ ٱلْمَجَامِيعِ أَنَّهُ كَانَ مُتَّصِلًا بِخِدْمَةِ بَعْضِ ٱلْمُلُوكِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ ٱلْمَلِكَ طَلَبَ رَجُلًا مِنْ أَتْبَاعِهِ وَأَكَابِرِ دَوْلَتِهِ لِيُعَاقِبَهُ بِسَبَبِ جَرِيمَةٍ صَدَرَتْ مِنْهُ ، فَاسْتَخْفَى ، وَعَلِمَ أَنَّ أَبَا مَعْشَرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ بِالطَّرَائِقِ ٱلَّتِي يَسْتَخْرِجُ بِهَا ٱلْخَبَايَا وَٱلْأَشْيَاءَ ٱلْكَامِنَةَ ، فَأَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ شَيْئًا لَا يَهْتَدِي إِلَيْهِ وَيُبْعِدُ عَنْهُ حِسَّهُ ، فَأَخَذَ طَسْتًا وَجَعَلَ فِيهِ دَمًا ، وَجَعَلَ فِي ٱلدَّمِ هَاوُنَ[1] ذَهَبٍ ، وَقَعَدَ عَلَى ٱلْهَاوُنِ أَيَّامًا ، وَتَطَلَّبَ ٱلْمَلِكُ ذَلِكَ ٱلرَّجُلَ ، وَبَالَغَ فِي ٱلتَّطَلُّبِ ، فَلَمَّا عَجَزَ عَنْهُ أَحْضَرَ أَبَا مَعْشَرٍ وَقَالَ لَهُ : تُعَرِّفُنِي مَوْضِعَهُ بِمَا جَرَتْ عَادَتُكَ بِهِ . فَعَمِلَ

أعلم الناس بسير الفرس وأخبار سائر الأمم ، وذكر له جملة كتب من مؤلفاته ، ثم قال : وكان معاصرا لأبى جعفر محمد بن سنان البنانى «محمد ابن جابر بن سنان الحرانى المتوفى سنة ٣١٧ » وكان منجما للموفق أخى المعتمد، وكان معهفى محاصرته الزنج بالبصرة . « أحمد يوسف نجاتى »

(١) الهاون ، والهاوون : الذى يدق فيه ، فارسى معرب .

اُلْمَسْأَلَةَ اُلَّتِي يَسْتَخْرِجُ بِهَا اُلْخَبَايَا ، وَسَكَتَ زَمَانًا حَائِرًا ، فَقَالَ لَهُ اُلْمَلِكُ : مَا سَبَبُ سُكُوتِكَ وَحَيْرَتِكَ ؟ قَالَ : أَرَى شَيْئًا عَجِيبًا ، فَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : أَرَى اُلرَّجُلَ اُلْمَطْلُوبَ عَلَى جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَاُلْجَبَلُ فِي بَحْرٍ مِنْ دَمٍ ، وَلَا أَعْلَمُ فِي اُلْعَالَمِ مَوْضِعًا مِنَ اُلْبِلَادِ عَلَى هَذِهِ اُلصِّفَةِ . فَقَالَ لَهُ : أَعِدْ نَظَرَكَ ، وَغَيِّرِ اُلْمَسْأَلَةَ ، وَجَدِّدْ أَخْذَ اُلطَّالِعِ ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ قَالَ مَا أَرَاهُ إِلَّا كَمَا ذَكَرْتُ ، وَهَذَا شَيْءٌ مَا وَقَعَ لِي مِثْلُهُ . فَلَمَّا أَيِسَ اُلْمَلِكُ مِنَ اُلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بِهَذَا اُلطَّرِيقِ أَيْضًا نَادَى فِي اُلْبَلَدِ بِالْأَمَانِ لِلرَّجُلِ وَلِمَنْ أَخْفَاهُ ، وَأَظْهَرَ مِنْ ذَلِكَ مَا وُثِقَ بِهِ ، فَلَمَّا اُطْمَأَنَّ اُلرَّجُلُ ظَهَرَ ، وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيِ اُلْمَلِكِ ، فَسَأَلَهُ عَنِ اُلْمَوْضِعِ اُلَّذِي كَانَ فِيهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا اُعْتَمَدَهُ ، فَأَعْجَبَهُ حُسْنُ اُحْتِيَالِهِ فِي إِخْفَاءِ نَفْسِهِ ، وَلَطَافَةُ أَبِي مَعْشَرٍ فِي اُسْتِخْرَاجِهِ . وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ اُلْإِصَابَاتِ[1] .

---

(١) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

ومما يناسب ذلك من فطن المتطببين مارواه الحسن بن ادريس الحلوانى قال: سمعت ابن ادريس الشافعى يقول : ماأفلح سمين قط الا أن يكون

محمد بن الحسن (١) ، قيل له: ولم ؟ قال : لأنه لايعدو العاقل من احدى خصلتين؛ اما أن يهتم لآخرته ومعاده، أو لدنياه فى معاشه ، والشحم مع الهم لاينعقد ، فاذا خلا من المعنيين صار فى حد البهائم فانعقد الشحم ، ثم قال كان ملك فى الزمان الأول، وكان مثقلا كثير الشحم لاينتفع بنفسه، فجمع المتطببين وقال : احتالوا لى بحيلة يخف عنى شحمى هذا قليلا ، قال : فما قدروا له على شىء ، فنعت له رجل عاقل أديب متطبب فاره (٢) فبعث اليه فأشخصه ، فقال له : عالجنى ولك الغنى ، فقال : أصلح الله الملك أنا رجل متطبب ومنجم، دعنى حتى أنظر الليلة فى طالعك أى دواء يوافقك فأسقيك ؟ قال فغدا عليه فقال : أيها الملك الأمان ، قال : لك الأمان ، قال : رأيت طالعك يدل على أنه بقى من عمرك شهر ، فان أحببت عالجتك، وان أردت بيان ذلك فاحبسنى عندك، فان بان القول حقيقة فخل عنى ، والا فاقتص منى ، قال فحبسه ، ثم رفع الملك الملاهى، واحتجب عن الناس، وخلا وحده مغتما ، وكان كلما انسلخ يوم ازداد هما حتى هزل وخف لحمه، ومضى لذلك عشرون يوما ، فبعث اليه رجلا وأخرجه وقال له ماترى ؟ فقال: أعز الله الملك ، أنا أهون على الله أن أعلم الغيب ، والله ماأعرف عمرك أيها الملك ، وانه لم يكن عندى دواء الا الغم ، ولست أقدر أن أجلب اليك الغم الا بهذه الحيلة، وقد رأيت ما كان منه، فقد هزل الجسم وأذاب الشحم (٣) فأجازه الملك وأحسن اليه .

---

(١) ستأتى ترجمته (٢) فره « ككرم » أى حذق ، ودابة فارهة أى نشيطة حادة قوية ، والفارهة الجارية الحسناء ، والفتية المليحة

(٣) قال أبو الطيب المتنبى :

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبى ويهرم

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ ٱثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ - رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى - وَٱلْبَلْخِيُّ بِفَتْحِ ٱلْبَاءِ ٱلْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ ٱللَّامِ وَبَعْدَهَا خَاءٌ مُعْجَمَةٌ ، هَذِهِ ٱلنِّسْبَةُ إِلَى بَلْخَ وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ (١) فَتَحَهَا ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ٱلتَّمِيمِيُّ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ ، وَهَذَا ٱلْأَحْنَفُ هُوَ ٱلَّذِي يُضْرَبُ بِهِ ٱلْمَثَلُ فِي ٱلْحِلْمِ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي حَرْفِ ٱلضَّادِ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى .

***

جعفر بن حمدان الأندلسى

« أَبُو عَلِيٍّ جَعْفَرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدَانَ ٱلْأَنْدَلُسِيُّ صَاحِبُ ٱلْمَسِيلَةِ وَأَمِيرُ ٱلزَّابِ مِنْ أَعْمَالِ إِفْرِيقِيَّةَ »

كَانَ سَمْحًا كَثِيرَ ٱلْعَطَاءِ مُؤْثِرًا لِأَهْلِ ٱلْعِلْمِ ، وَلِأَبِي ٱلْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ هَانِئٍ ٱلْأَنْدَلُسِيِّ فِيهِ مِنَ ٱلْمَدَائِحِ ٱلْفَائِقَةِ

---

(١) هى من أجل مدن خراسان وأكثرها خيرا وأوسعها غلة ، فتحها الأحنف بن قيس من قبل عبد الله بن عامر بن كريز ، وفيها يقول عبيد الله بن عبد الله الحافظ :

أقول — وقد فارقت بغداد مكرها — : سلام على أهل القطيعة والكرخ
هواى و رائى ، والمسير خلافه فقلبى الى كرخ ، و وجهى الى بلخ

مَا يُجَاوِزُ حُسْنُهَا حَدَّ الْوَصْفِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ فِيهِ :

الْمُدْنِفَانِ(١) مِنَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

جِسْمِي وَطَرْفٌ بَابِلِيٌّ أَحْوَرُ

وَالْمُشْرِقَاتُ النَّيِّرَاتُ ثَلَاثَةٌ

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ وَجَعْفَرُ(٢)

وَأَمَّا الْقَصَائِدُ الطِّوَالُ فَلَا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِ شَيْءٍ مِنْهَا(٣) .

وَكَانَ أَبُوهُ عَلِيٌّ قَدْ بَنَى الْمَسِيلَةَ ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ بِهِمْ إِلَى الْآنَ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زِيرِي بْنِ مَنَادَ جَدِّ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ

---

(١) المدنفان : مثنى مدنف وهو المريض الذى ثقل مرضه حتى أشفى على الموت. والدنف المرض الملازم، وقد دنف المريض « كفرح » وأدنف اذا ثقل من المرض ، وأدنفه المرض والهم والحب ونحوها ، يتعدى ويلزم والبابلى منسوب الى بابل ، أى أنه يؤثر فى القلب ويعمل فى النفس مايعمل سحر بابل ، والحور أن يشتد سواد العين فى شدة بياضها وتستدير حدقتها وترق جفونها (٢) هذا مثل :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ... شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

(٣) تراها فى ديوانه ، وهى نحو ٢٥ قصيدة ، من أبدعها وأشهرها قصيدته البائية التى أولها :

أحبب بتياك القباب قبابا ... لا بالحداة ولا الركاب ركابا

فيها قلوب العاشقين تخالها ... عنما بأيدى البيض أو عنابا

وكذلك الفائية التى أبدع فيها ، ومطلعها :

أليلتنا اذ أرسلت واردا وحفا ... وبتنا نرى الجوزاء فى أذنها شنفا

إِحَنٌ (١) وَمُشَاجَرَاتٌ أَفْضَتْ إِلَى الْقِتَالِ ، فَتَوَاقَعَا ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مَعْرَكَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَقُتِلَ زِيرِى فِيهَا (٢) ، ثُمَّ قَامَ وَلَدُهُ بُلُكِّينُ « يُوسُفُ » الْمُقَدَّمُ ذِكْرُهُ فِي حَرْفِ الْبَاءِ مَقَامَ أَبِيهِ ، وَاسْتَظْهَرَ عَلَى جَعْفَرٍ الْمَذْكُورِ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بِهِ طَاقَةٌ ، فَتَرَكَ بِلَادَهُ وَمَمْلَكَتَهُ ، وَهَرَبَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، فَقُتِلَ

---

(١) الأحنة الحقد فى الصدر والغضب والشر الطارئان من الحقد والعداوة

(٢) سبق أن تكلمنا فى زيرى هذا وأصله وسلالته ، وكان قد أطاع بنى عبيد القائمين بالمغرب ، وخدم المنصور اسمعيل بن القائم بأمر الله نزار بن المهدى الذى بويع له بعد وفاة أبيه سنة ٣٣٤ فولاه مدينة أشير ، وولى جعفر بن على مدينة المسيلة وأضاف اليه عمل الزاب ، وكان بينهما ضغائن فى النفوس بسبب الولايات ، ولما عزم المعز لدين الله الفاطمى على التوجه للديار المصرية سنة ٣٦١ شاع بين الناس أنه يريد أن يستخلف يوسف ابن زيرى على جميع بلاد افريقية ، فعظم ذلك على جعفر ، واتفق أن المعز أرسل الى جعفر يأمره بالقدوم اليه وألح فى ذلك ، فأظهر جعفر أنه قاصد له ، فخرج من المسيلة وفر الى زناتة ، فقبلوه وملكوه على أنفسهم ، فخلع طاعة المعز ، فالتقى معه ، وكانت وقعة عظيمة ، فكبا بزيرى فرسه فقتل ، ومات قدامه خلق عظيم ، وذلك فى رمضان سنة ٣٦١ و بعث جعفر أخاه يحيى بن على الى الأندلس - والخليفة الأموى بها الحاكم الأموى - يبشره بقتل زيرى ولما علمت زناتة أن يوسف يطالبهم بدم أبيه أضمرت الغدر لجعفر ، وعزموا على امساكه ، فلما علم بذلك فر الى الاندلس بأهله وأولاده ، فقبله الحكم وأجرى عليه الوظائف السنية . « أحمد يوسف نجاتى » .

بِهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَثِمِائَةٍ[١] ، ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ وَشَرْحُ حَدِيثِهِ يَطُولُ ، وَهَـذَا ٱلْقَدْرُ خُلَاصَتُهُ . وَٱلْمَسِيلَةُ بِفَتْحِ ٱلْمِيمِ وَكَسْرِ ٱلسِّينِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ ٱلْيَاءِ ٱلْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَبَعْدَهَا لَامٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ هَاءٌ سَاكِنَةٌ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ[٢] مِنْ أَعْمَالِ ٱلزَّابِ ، وَٱلزَّابُ بِفَتْحِ ٱلزَّايِ وَبَعْدَ ٱلْأَلِفِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ « كُورَةٌ » بِإِفْرِيقِيَّةَ[٣] ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ إِفْرِيقِيَّةَ .

---

(١) بقى جعفر لدى الخليفة الحكم فى أعز مكان مدة، ثم نقم عليه ونكبه ثم أفرج عنه بعد ذلك وعاد الى رتبته ، ولم يزل هنالك الى أيام الوزير الحاجب المنصور بن أبى عامر ،فقتله سنة ٣٦٧ « لا سنة ٣٦٤ كما هنا، فان المنصور بن أبى عامر انما تولى الحجابة لهشام المؤيد الذى تولى الأمر بعد موت أبيه الحاكم سنة ٣٦٦ و بعث برأسه الى بلكين ، وهذه هى خلاصة حديثه . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) وتسمى المسيلة المحمدية أيضا اختطها أبو القاسم محمد بن المهدى سنة ٣١٥ وهو يومئذ ولى عهد أبيه «وأبو القاسم هذا هو الذى يلقب بالقائم » (٣) الزاب أيضا اسم للكورة العظيمة التى بها هذه المدينة، واسم لنهر جرار هناك كان عليه بلاد واسعة وقرى متواطئة بين تلمسان وسجلماسة، ومن مدائح ابن هانىء فى جعفر بن على صاحب الزاب :

ألا أيها الوادى المقدس بالندى ... وأهل الندى قلبى اليك مشوق
ويأيها القصر المنيف قبابه ... على الزاب لايسدد اليك طريق
ويا ملك الزاب الرفيع عماده ... بقيت لجمع المجد وهو تزيق
على ملك الزاب السلام مرددا ... وريحان مسك بالسلام فتيق

***

جعفر بن فلاح الكتامي

« أَبُو عَلِيٍّ جَعْفَرُ بْنُ فَلَاحٍ الْكُتَامِيُّ(١) »

كَانَ أَحَدَ قُوَّادِ الْمُعِزِّ أَبِي تَمِيمٍ مَعَدِّ بْنِ الْمَنْصُورِ الْعُبَيْدِيِّ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَةَ(٢) ، وَجَهَّزَهُ مَعَ الْقَائِدِ جَوْهَرٍ الْآتِي ذِكْرُهُ لَمَّا تَوَجَّهَ لِفَتْحِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَلَمَّا أَخَذَ

هذا ولجعفر بن على أخ يسمى أبا زكريا يحي بن على، وكان أميرا جوادا وفارسا شجاعا ردءا لأخيه يكفيه شر أعدائه بأصالة رأيه وقوة بأسه ، وقد مدحه ابن هانىء بمدائح سنية، وله ابن يسمى ابراهيم بن جعفر كان ابن هانىء يمدحه أيضا، ثم توفى فى حياة أبيه ، فرثاه ابن هانىء بمراث نائحة ذات حكمة وعزاء ، كما رثى والدة جعفر ويحي كذلك ببضع قصائد غراء « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) نسبة الى كتامة قبيلة عظيمة من قبائل البربر ، وكانت لهم بمصر حارة تسمى حارة كتامة، أنزلهم بها القائد جوهر الصقلى، وكان لما جاء الى مصر سنة ٣٥٨ حضر معه عسكر عظيم من البربر وكتامة وزويلة وغيرهم وكانت حارة كتامة مجاورة حارة الباطلية، ثم اندمجت فيها وصارت من جملتها، وكانت كتامة هى أصل دولة الخلفاء الفاطميين، وكان لهم شأن عظيم بها ، وحارة الباطلية موقعها الآن شارع الباطنية وحارة الباطنية بالجنوب الشرقى من الجامع الأزهر الشريف « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) كان جعفر مقدم عساكر القائد جوهر ومن القواد المظفرين شجاعا جريئا ثبت الجنان ،وقد أبلى مع المعز الفاطمى بلاء حسنا عند دخوله مصر وله فى ذلك آثار تذكر فتشكر . وكان النصر حليفه فى جميع البلاد التى فتحها ، ولما استقر جوهر بمصر وثبت قدمه سير جعفرا الى الشام لتمهيد

مِصْرَ بَعَثَهُ جَوْهَرٌ إِلَى ٱلشَّامِ ، فَغَلَبَ عَلَى ٱلرَّمْلَةِ[١] فِي ذِي ٱلْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى دِمَشْقَ ، فَمَلَكَهَا فِي ٱلْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ بَعْدَ أَنْ

الأمر بها للدولة العبيدية ، فسار فى جمع كثير حتى بلغ الرملة و بها الحسن ابن عبد الله بن طغج بن أخى الأخشيد « وكانت بيده الشام الى الرملة وتقدم التعريف به » فقاتله جعفر وظفر به وأسره مع غيره من القواد وسيرهم الى جوهر ، فبعث بهم الى المعز بأفريقية ، ودخل جعفر البلد عنوة فقتل كثيرا من أهله ، ثم أمن من بقى وجبى الخراج ، ثم سار الى دمشق فقاتله أهلها ، فظفر بهم وملك البلد، وأقام الخطبة للمعز سنة ٣٥٩ وقطعت الخطبة العباسية « وكان الخليفة المطيع لله العباسى » ومازال جعفر يدبر الأمور و يوطئها بالشام بالقوة تارة و بالرأى والحيلة أخرى حتى استقر الأمر به وصلحت أحواله ــ وهو أول من حكم الشام للدولة الفاطمية، وفى صفر سنة ٣٦٠ أعلن المؤذنون بدمشق بأمر القائد جعفر وكان نائبا بها للمعز ، ولم يجسر أحد على مخالفته، فتألم الناس لذلك لأنه رأوه حجرا على عقائدهم السنية وارغاما لهم على اقامة مذهب الشيعة «أحمد يوسف نجاتى»

(١) مدينة عظيمة بفلسطين، بينها و بين بيت القدس ١٨ ميلا، وقد استنقذها صلاح الدين من الفرنج سنة ٥٨٣ ثم خربها خوفا من استيلائهم عليها مرة أخرى فى سنة ٥٨٧ وكان أبو الحسن على بن محمد التهامى الشاعر قد أقام بها وصار خطيبها، وتزوج بها وولد له ولد فمات بها، فقال يرثيه :

أبا الفضل طال الليل أم خاننى صبرى	فخيل لى أن الكواكب لاتسرى
أرى الرملة البيضاء بعدك أظلمت	فدهرى ليل ليس يفضى الى فجر
وما ذاك الا أن فيه وديعة	أبى ربها أن تسترد الى الحشر
بنفسى هلال كنت أرجو تمامه	فعاجله المقدار فى غرة الشهر

قَاتَلَ أَهْلَهَا ، ثُمَّ أَقَامَ بِهَا إِلَى سَنَةِ سِتِّينَ ، وَنَزَلَ إِلَى الدَّكَّةِ[1] فَوْقَ نَهْرِ يَزِيدَ[2] بِظَاهِرِ دِمَشْقَ ، فَقَصَدَهُ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْقَرْمَطِيُّ[3] الْمَعْرُوفُ بِالْأَعْصَمِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ جَعْفَرٌ

---

(١) موضع بظاهر دمشق فى الغوطة (٢) ينسب الى يزيد بن أبى سفيان أخى سيدنا معاوية (٣) القرامطة طائفة معروفة فى التاريخ عاثت فى الأرض فسادا وانتشر فى الأرض مذهبها الموغل فى الاثم والشر ، وأجهدت الدولة العباسية وجيوشها ، وروعت الأمن بالبلاد ردحا طويلا من الزمن – ابتدأ ظهور هذه الطائفة سنة ٢٧٨ وأخذ مذهبهم يستشرى بين ذوى الفساد ومن فى قلوبهم مرض و بين الأغرار والجهلة ، واستفحل خطبه فى كثير من البلاد بالبحرين وفارس والبصرة والكوفة وغيرها ، وظهر كثير من الداعين اليه من نقبائهم ورءوس الشياطين فيهم ، وفى سنة ٢٨٦ ظهر منهم بالبحرين رجل يعرف بأبى سعيد الجنابى « نسبة الى جنابة بلدة بساحل فارس – كان أبو سعيد هذا دقاقا من بلدة جنابة فنفى منها ، فخرج الى البحرين فأقام بها تاجرا وجعل يستميل الأعراب بها و يدعوهم الى نحلته حتى استجاب له أهل البحرين وماوالاها ، واجتمع اليه جماعة من الأعراب والقرامطة ، وقوى أمره واشتدت شوكته وعظم شره ، وكانت الحروب بين جيوشه وجيوش الخليفة المعتضد سجالا ، وقاست البلاد من عيثهم وقسوتهم بلاء عظيما – وقتل أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابى كبير القرامطة سنة ٣٠١ فى عصر الخليفة المقتدر ، فخلفه فى قيادة السوء ابنه أبو طاهر سليمان ، وكان شابا فاتكا وشجاعا جبارا وفظا غليظا ، وتوفى بعد ما كان منه من الفساد والعيث سنة ٣٢٢ فى خلافة المتقى لله ، وكان له من الاخوة أبو القاسم سعيد بن الحسن وهو أكبرهم وأبو العباس الفضل بن الحسن ، وفى سنة ٣٦٠ وصل القرامطة الى دمشق فملكوها – وصاحبهم حينئذ الحسن بن أحمد بن أبى سعيد الحسن ابن بهرام الجنابى المعروف بالأعصم – وقتل جعفر بن فلاح أمير دمشق

الْمَذْكُورُ وَهُوَ عَلِيلٌ ، فَظَفِرَ بِهِ الْقَرْمَطِىُّ فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَذٰلِكَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ ذِى الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَثِمِائَةٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَرَأْتُ عَلَى بَابِ قَصْرِ الْقَائِدِ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ الْمَذْكُورِ بَعْدَ قَتْلِهِ مَكْتُوبًا :

يَا مَنْزِلًا عَبِثَ الزَّمَانُ بِأَهْلِهِ
فَأَبَادَهُمْ بِتَفَرُّقٍ لَا يُجْمَعُ

أَيْنَ الَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ بِكَ مَرَّةً
كَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ ؟!

للفاطميين ، ثم توجه الى مصر لقتال المعز لدين الله، وجرت بينه وبين القائد جوهر حروب الى أن انهزم القرمطى بعين شمس، ومازال يعثو بجموعه مفسدا حتى هلك بالرملة سنة ٣٦٧ ، وكان مولده بالأحساء سنة ٢٧٨ وكان يقول الشعر وله مشاركة فى الأدب ، فمن شعره قوله فى المغاربة أصحاب المعز لدين الله :

زعمت رجال الغرب أنى هبتها   فدمى اذن ما بينهم مطلول
يامصر ان لم أسق أرضك من دم   يروى ثراك فلا سقانى النيل

وتجد أعمال القرامطة وحروبهم مبسوطة فى كتب التواريخ فارجع اليها « أحمد يوسف نجاتى » .

وَكَانَ جعفرٌ الْمذْكورُ رَئيسًا جَليلَ الْقَدْرِ مَمْدُوحًا(١)

وَفيهِ يَقُولُ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِئٍ الأَنْدَلُسِيُّ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ :

كَانَتْ مُسَاءلَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنِي
عَنْ جعفرِ بْنِ فَلَاحٍ أَطْيَبَ الْخَبَرِ
حَتَّى الْتَقَيْنَا ، فَلَا وَاللهِ مَا سَمِعَتْ
أُذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِي(٢)

---

(١) ولجعفر أبناء تولوا بعد أبيهم القيادة والعمل للدولة الفاطمية بعد أبيهم ، منهم أبو محمود ابراهيم بن جعفر ، وقد كان المعز ولاه محاربة القرامطة واتباعهم بعد توليتهم عن مصر ، ولما انهزم القرامطة عن الشام سار أبو محمود ابراهيم الى دمشق يقود عسكرا كثيرا وولى عمل دمشق حينا ، ثم عزل عنها وسار فى جماعة قليلة من العسكر الى الرملة ، ثم عاد الى دمشق واليا عليها من قبل العزيز بالله . وابنه سليمان بن جعفر ولى امارة دمشق أيضا سنة ٣٦٨ وكان هو وأبو محمود يتناوبان امارتها . ومنهم ابنه على بن جعفر بن فلاح ولاه الحاكم على دمشق سنة ٣٩٠ فبقى بها الى سنة ٣٩٩ فتولى امارتها بعده أبو الجيش حامد بن ملهم . وكان جعفر ابن فلاح أديبا شاعرا فصيحا ، ومن شعره :

ولى صديق ماامسنى عدم مذ نظرت عينه الى عدمى
يعطى ويقنى ولا يكلفنى تقبيل كف له ولا قدم

وقد بكى عليه القرمطى نفسه بعد أن قتله ورثاه وان كان عدوه « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هذا مثل قول أبى الطيب المتنبى من قصيدة يمدح بها على بن أحمد بن عامر الأنطاكى :

وَالنَّاسُ يَرْوُونَ هَـذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِأَبِى تَمَّامٍ فِى الْقَاضِى أَحْمَدَ بْنِ أَبِى دُوَادٍ(١) وَهُوَ غَلَطٌ لِأَنَّ الْبَيْتَيْنِ لَيْسَا لِأَبِى تَمَّامٍ، وَهُمْ يَرْوُونَهُمَا: عَنْ أَحْمَدَ بْنِ دُوَادٍ، وَهُوَ لَيْسَ بِابْنِ دُوَادٍ، بَلْ ابْنُ أَبِى دُوَادٍ، وَلَوْ قَالَ ذَلِكَ لَمَا اسْتَقَامَ الْوَزْنُ.

***

جعفر بن شمس الخلافة الأفضلى الشاعر

« أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ شَمْسِ الْخِلَافَةِ أَبِى عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ شَمْسِ الْخِلَافَةِ مُخْتَارٍ الْأَفْضَلِىُّ الْمُلَقَّبُ مَجْدَ الْمُلْكِ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ »

كَانَ فَاضِلًا حَسَنَ الْخَطِّ، وَكَتَبَ كَثِيرًا، وَخَطُّهُ مَرْغُوبٌ فِيهِ لِحُسْنِهِ وَضَبْطِهِ، وَلَهُ تَآلِيفُ جَمَعَ فِيهَا أَشْيَاءَ

وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صدق الخبر الخبر

ولأبى تمام:

لاشىء أحسن من ثنائى سائرا ونداك فى أفق البلاد يسايره

والأصل فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لزيد الخيل الطائى وقد وفد عليه: «ماوصف لى أحد الا رأيته دون الوصف سواك فانك فوق ماوصفت لى» وهنيئا لزيد الخيل رضى الله عنه تلك الشهادة النبوية، فهى فوق الفخر، وأجل من سمو القدر «أحمد يوسف نجاتى» (١) تقدمت ترجمة أحمد بن أبى دواد

لَطِيفَةً دَلَّتْ عَلى جَوْدَةِ أُخْتِيَارِهِ ،وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ أَجَادَ فِيهِ .
نَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ لِنَفْسِهِ :

هِيَ شِدَّةٌ يَأْتِي ٱلرَّخَاءُ عَقِيبَهَا
وَأَسىً يُبَشِّرُ بِالسُّرُورِ ٱلْعَاجِلِ
وَإِذَا نَظَرْتَ فَإِنَّ بُؤْسًا زَائِلًا
لِلْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ نَعِيمٍ زَائِلِ

وَلَهُ أَيْضًا فِي ٱلْوَزِيرِ ٱبْنِ شُكْرٍ - وَهُوَ ٱلصَّفِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عَلِيٍّ عُرِفَ بِابْنِ شُكْرٍ (١) وَزِيرُ ٱلْمَلِكِ ٱلْعَادِلِ وَوَلَدِهِ ٱلْمَلِكِ ٱلْكَامِلِ - رَحِمَهُمَا ٱللهُ (٢) - :

مَدَحَتْكَ أَلْسِنَةُ ٱلْأَنَامِ مَخَافَةً
وَتَشَاهَدَتْ لَكَ بِالثَّنَاءِ ٱلْأَحْسَنِ
أَتُرَى ٱلزَّمَانَ مُؤَخِّرًا فِي مُدَّتِي
حَتَّى أَعِيشَ إِلَى ٱنْطِلَاقِ ٱلْأَلْسُنِ ؟!

---

(١) قد ترجمنا للوزير ابن شكر فيما سبق وتكلمنا فى البيتين وغيرهما .

(٢) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

ومن شعره أيضا :

أعط وان فاتك الثراء، ودع   سبيل من ضن وهو مقتدر

هَـكَذَا أَنْشَدَنِيهِمَا بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ ٱلْمِصْرِيِّينَ ، ثُمَّ وَجَدْتُهُمَا فِي مَجْمُوعٍ عَتِيقٍ وَلَمْ يُسَمِّ قَائِلَهُمَا ، وَطَرِيقَتُهُ فِي ٱلشِّعْرِ حَسَنَةٌ . وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ فِي ٱلْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ فِي ٱلثَّانِي عَشَرَ مِنَ ٱلْمُحَرَّمِ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِالْمَوْضِعِ ٱلْمَعْرُوفِ بِالْكَوْمِ ٱلْأَحْمَرِ ظَاهِرَ مِصْرَ - رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى - وَٱلْأَفْضَلِيُّ بِفَتْحِ ٱلْهَمْزَةِ وَسُكُونِ ٱلْفَاءِ وَفَتْحِ ٱلضَّادِ ٱلْمُعْجَمَةِ وَبَعْدَهَا لَامٌ هَذِهِ ٱلنِّسْبَةُ إِلَى ٱلْأَفْضَلِ أَمِيرِ ٱلْجُيُوشِ [1] بِمِصْرَ . وَتُوُفِّيَ وَالِدُهُ فِي ذِي ٱلْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ عِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

فكم غني والناس عنه غنى   وكم فقير اليه يفتقر ؟

ومن شعره أيضا :

كفى وعرضى اذا ما   سألت عن أخبارى

هذا من الكاس كاس   وذا من العار عارى

(١) ستأتى ترجمته فى حرف الشين « أحمد يوسف نجاتى »

***

جعبر بن سابق القشيرى

« اَلْأَمِيرُ جَعْبَرُ بْنُ سَابِقٍ اَلْقُشَيْرِيُّ اُلْمُلَقَّبُ سَابِقَ اُلدِّينِ اُلَّذِى تُنْسَبُ إِلَيْهِ قَلْعَةُ[١] جَعْبَرٍ »

لَمْ أَقِفْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِ سِوَى أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَسَنَّ وَعَمِىَ وَكَانَ لَهُ وَلَدَانِ يَقْطَعَانِ اُلطَّرِيقَ وَيُخِيفَانِ اُلسَّبِيلَ ، وَلَمْ يَزَلْ

---

(١) قلعة جعبر كانت على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين، وكان صاحبها فى سنة ٤٩٠ الأمير شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك ، وكان صديقا للأمير مرشد بن قسيم الدولة بن على بن مقلد والد الأمير أسامة، وقد تحدث عنه فى كتابه الاعتبار ، ثم قصد هذه القلعة عماد الدين زنكى الأتابك آق سنقر سنة ٥٥٢ فقاتل صاحبها شهاب الدين سالم بن مالك العقيلى ، ولكن لم يتم له ذلك بعد أن كاد يستولى عليها ، فقد اتفق ثلاثة من خدامه على قتله، فذبحوه على فراشه وهربوا الى القلعة وعرفوا من بها، ثم ملكها بعده ابنه نور الدين محمود بن زنكى الشهيد سنة ٥٦٤ من صاحبها شهاب الدين مالك بن على بن مالك العقيلى . وفى سنة ٥٦٩ سار الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود من دمشق الى حلب فوصل الى ظاهرها فى المحرم سنة ٥٧٠ ومعه سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر « وكان بحلب شمس الدين على بن الداية وقد حدثته نفسه بامور ، فسار اليه الملك الصالح ومعه أخوه عثمان » نخرج بدر الدين حسن ابن الداية « صاحب حارم وعين تاب واعزاز » فقبض على سابق الدين ولما دخل الملك الصالح قلعة حلب قبض على شمس الدين على بن الداية وعلى أخيه بدر الدين حسن المذكور وأودع الثلاثة السجن. ثم صارت بعد ذلك قلعة جعبر فيما تملكه الدولة الأيوبية « أحمد يوسف نجاتى »

عَلَى ذَلِكَ وَالْقَلْعَةُ بِيَدِهِ حَتَّى أَخَذَهَا مِنْهُ السُّلْطَانُ مَلِكْ شَاهْ
ابْنُ أَلْب أَرْسَلَانَ السَّلْجُوقِيُّ الْآتِي ذِكْرُهُ . ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ
ذَلِكَ فِي أَوَائِلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ - رَحِمَهُ اللهُ
تَعَالَى - هَكَذَا وَجَدْتُهُ فِي بَعْضِ التَّوَارِيخِ ، وَفِي نَفْسِي
مِنْهُ شَيْءٌ ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ مَلِكْ شَاهْ مَا مَلَكَ إِلَّا بَعْدَ قَتْلِ
أَبِيهِ أَلْب أَرْسَلَانَ ، وَأَبُوهُ قُتِلَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ
وَأَرْبَعِمِائَةٍ - كَمَا سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى - إِلَّا إِنْ
كَانَ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَى الْقَلْعَةِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ وَهُوَ نَائِبُهُ ، أَوْ
يَكُونَ تَارِيخُ وَفَاةِ جَعْبَرٍ غَلَطًا ، وَقَدْ نَبَّهْتُ عَلَيْهِ لِئَلَّا يَتَوَهَّمَ
مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ أَنَّ الْغَلَطَ كَانَ مِنِّي ، أَوْ أَنَّهُ مَرَّ بِي وَلَمْ
أَتَنَبَّهْ لَهُ ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنِّي بَعْدَ هَذَا حَقَّقْتُ هَذَا الْأَمْرَ
فَوَجَدْتُهُ أَنَّ مَلِكَ شَاهْ السَّلْجُوقِيَّ لَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى حَلَبَ
لِيَأْخُذَهَا اجْتَازَ بِهَذِهِ الْقَلْعَةِ ، وَقَتَلَ جَعْبَرًا الْمَذْكُورَ لِمَا
بَلَغَهُ عَنْهُ مِنَ الْفَسَادِ ، وَأَخَذَ الْقَلْعَةَ مِنْهُ وَسَارَ إِلَى حَلَبَ ،
وَذَلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَيُقَالُ لِهَذِهِ الْقَلْعَةِ

الدَّوْسَرِيَّة (١) ، وَهِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى دَوْسَرٍ غُلَامِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ مَلِكِ الْحِيرَةِ (٢) ، وَكَانَ قَدْ تَرَكَهُ عَلَى أَفْوَاهِ الشَّامِ فَبَنَى هَذِهِ الْقَلْعَةَ فَنُسِبَتْ إِلَيْهِ . وَالْجَعْبَرُ فِي اللُّغَةِ الْقَصِيرُ الْغَلِيظُ ، وَهُوَ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَبَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ رَاءٌ (٣) .

***

جقر بن يعقوب الهمذانى

« أَبُو سَعِيدٍ جَقَرُ بْنُ يَعْقُوبَ الْهَمَذَانِيُّ الْمُلَقَّبُ نَصِيرَ الدِّينِ » .

---

(١) قال ياقوت : دوسر قرية قرب صفين على الفرات ، وذكر لى من أعتمد برأيه أنها قلعة جعبر نفسها أو ربضها (٢) دوسر أيضا اسم كتيبة كانت للنعمان بن المنذر ملك العرب ، قال المرار بن منقذ العدوى - أو المثقب العبدى - يمدح عمرو بن هند :

ضربت دوسر فيهم ضربة   أثبتت أوتاد ملك فاستقر

« ودوسر معرب دوسر « بضم الأول » ومعناه ذو رأسين » والدوسر الأسد الصلب الموثق الخلق (٣) جعبر هذا رجل من نمير أو قشير ، وهو الأمير سابق الدين جعبر بن مالك ، نسبت اليه هذه القلعة التى كانت على الفرات لغلبه عليها وتملكه إياها - وممن ينسب الى هذه القلعة البرهان ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن خليل الجعبرى الخليلى المقرى الشافعى ولد بها وتوفى بمدينة الخليل سنة ٧٣٢ « أحمد يوسف نجاتى » .

كَانَ نَائِبَ عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِى صَاحِبِ الْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ وَالشَّامِ ، اسْتَنَابَهُ عَنْهُ بِالْمَوْصِلِ ، وَكَانَ جَبَّارًا عَسُوفًا سَفَّاكًا لِلدِّمَاءِ مُسْتَحِلًّا لِلْأَمْوَالِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا أَحْكَمَ عِمَارَةَ سُورِ الْمَوْصِلِ أَعْجَبَهُ إِحْكَامُهُ، فَنَادَاهُ مَجْنُونٌ نِدَاءَ عَاقِلٍ : هَلْ تَقْدِرُ أَنْ تَعْمَلَ سُورًا يَسُدُّ طَرِيقَ الْقَضَاءِ النَّازِلِ ؟! وَفِى وِلَايَتِهِ قَصَدَ الْإِمَامُ الْمُسْتَرْشِدُ[1] حِصَارَ الْمَوْصِلِ ، فَنَازَلَهَا وَضَايَقَهَا مُدَّةً - وَكَانَ جَقَرُ الْمَذْكُورُ قَدْ حَصَّنَهَا وَحَفَرَ خَنَادِقَهَا - فَقَاتَلَ الْخَلِيفَةَ وَرَجَعَ عَنْهَا وَلَمْ يَنَلْ مِنْهَا مَقْصُودَهُ ، وَذَلِكَ فِى شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ بِالْمَوْصِلِ فَرُّوخ شَاهُ بْنُ السُّلْطَانِ مَحْمُودٍ السَّلْجُوقِيِّ الْمَعْرُوفُ بِالْخَفَاجِيِّ - وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِى تَارِيخِ دَوْلَةِ بَنِى أَتَابَكَ أَنَّ الْخَفَاجِيَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ هُوَ أَلْبَ أَرْسَلَانُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ - لِتَرْبِيَةِ عِمَادِ الدِّينِ

---

(١) هو أمير المؤمنين أبو منصور الفضل بن المستظهر «أحمد بن المقتدى عبد الله بن محمد بن القائم عبد الله بن القادر أحمد بن اسحق بن المقتدر جعفر بن المعتضد أحمد بن الأمير الموفق طلحة بن الخليفة المتوكل» تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٥١٢ « أحمد يوسف نجاتى »

زَنْكِي أَتَابَكَ - وَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَتَابَك ، فَإِنَّهُ ٱلَّذِي يُرَبِّي أَوْلَادَ ٱلْمُلُوكِ ، فَالْأَتَا بِالتُّرْكِيَّةِ هُوَ ٱلْأَبُ ، وَبَكْ هُوَ ٱلْأَمِيرُ ، فَأَتَابَكُ مُرَكَّبٌ مِنْ هَذَيْنِ ٱلْمَعْنَيَيْنِ - وَكَانَ جقَرُ يُعَارِضُهُ وَيُعَانِدُهُ فِي مَقَاصِدِهِ ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ عِمَادُ ٱلدِّينِ زَنْكِي لِمُحَاصَرَةِ قَلْعَةِ ٱلْبِيرَةِ[١] قَرَّرَ ٱلْخَنَاجِيُّ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ أَنْ يَقْتُلُوا جقَرَ ، فَحَضَرَ يَوْمًا إِلَى بَابِ ٱلدَّارِ لِلسَّلَامِ ، فَنَهَضُوا إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، وَذَلِكَ فِي ٱلثَّامِنِ - وَقِيلَ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ ٱلتَّاسِعِ - مِنْ ذِي ٱلْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

وَوَلَّى عِمَادُ ٱلدِّينِ زَنْكِي مَوْضِعَ جقَرَ زَيْنَ ٱلدِّينِ عَلِيَّ بْنَ بُكْتِكِينَ وَالِدَ مُظَفَّرِ ٱلدِّينِ صَاحِبِ إِرْبِلَ ، فَأَحْسَنَ ٱلسِّيرَةَ وَعَدَلَ فِي ٱلرَّعِيَّةِ ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا - رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى[٢] - وَلَمَّا عَادَ زَنْكِي إِلَى ٱلْمَوْصِلِ ٱسْتَصْفَى أَمْوَالَ

---

(١) بلد قرب سميساط كان بين حلب والثغور الرومية، وكانت قلعة حصينة كانت بعد استيلاء الأيوبين عليها لمجير الدين أبي سليمان داود بن الملك الناصر يوسف بن أيوب، أقطعه إياها أخوه الملك الظاهر غازى ، واستمرت بيده طويلا - والبيرة أخرى بين بيت المقدس ونابلس خربها الملك الناصر حين استنقذها من الفرنج «أحمد يوسف نجاتى» (٢) الأمير زين الدين على بن

جَقَرَ وَاُسْتَخْرَجَ ذَخَائِرَهُ، وَصَادَرَ أَهْلَهُ وَأَقَارِبَهُ ، وَكَانَ جَقَرُ قَدْ وَلَّى بِالْمَوْصِلِ رَجُلًا ظَالِمًا يُسَمَّى بِالْقَزْوِينِيِّ ، فَسَارَ سِيرَةً قَبِيحَةً ،وَكَثُرَ شَكْوَى اُلنَّاسِ مِنْهُ ، فَعَزَلَهُ وَجَعَلَ مَكَانَهُ عُمَرَ بْنَ شَكْلَة ، فَأَسَاءَ فِي اُلسِّيرَةِ أَيْضًا ، فَعَمِلَ فِي ذَلِكَ أَبُو عَبْدِ اُللهِ اُلْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شَقَاقَا اُلْمَوْصِلِيُّ اُلْمُتَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ :

يَا نَصِيرَ اُلدِّينِ يَاجَقَرُ أَلْفُ قَزْوِينِي وَلَا عُمَرُ

لَوْ رَمَاهُ اُللهُ فِي سَقَرٍ لَاشْتَكَتْ مِنْ ظُلْمِهِ سَقَرُ

وَجَقَرُ بِفَتْحِ اُلْجِيمِ وَاُلْقَافِ وَبَعْدَهُمَا رَاءٌ ، وَهُوَ اُسْمٌ أَعْجَمِيٌّ : وَأَظُنُّهُ كَانَ مَمْلُوكًا .

بكتكين بن مظفر الدين كوكبورى المعروف كوجك التركى ، كان حاكما على الموصل وغيرها ، وله أعمال حسنة وآثار جليلة، و بنى المدارس والقناطر والجسور ، مكث واليا بالموصل نحو ٢٢ سنة ، ولما كبرت سنه سلم البلاد الى قطب الدين مودود وقال له: انك لاتنتفع بى فقد كبرت وضعفت قوتى وخانني سمعى و بصرى ، وكان الأتابك زنكى قد أعطاه مدينة اربل « من أعمال الموصل » فمضى اليها وأقام بها حتى توفى سنة ٥٦٣ وملك بعده ابنه زين الدين يوسف بن على « أحمد يوسف نجاتى »

***

جميل بن عبد الله ابن معمر الحاف

« أَبُو عَمْرٍو جَمِيلُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَعْمَرِ بْنِ صُبَاحٍ « بِضَمِّ ٱلصَّادِ ٱلْمُهْمَلَةِ » بْنِ ظَبْيَانَ بْنِ حُنٍّ « بِضَمِّ ٱلْحَاءِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ ٱلنُّونِ » بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ حَرَامِ بْنِ ضِنَّةَ(١) ابْنِ عَبْدِ بْنِ كَثِيرِ(٢) بْنِ عُذْرَةَ بْنِ سَعْدِ(٣) بْنِ هُذَيْمِ بْنِ زَيْدِ بْنِ لَيْثِ بْنِ سُودِ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ ٱلْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ(٤) ٱلشَّاعِرُ ٱلْمَشْهُورُ »

---

(١) فى الأصل « ضبة » وهو تصحيف (٢) كذا بالأصل وغيره ، وفى شرح القاموس « كبير » وهو الذى أراه وأعتقده «أحمد يوسف نجاتى» (٣) فى الأغانى : ابن سعد ـ وهو هذيم ، وسمى بذلك اضافة لاسمه الى عبد لأبيه يقال له هذيم كان يحضنه فغلب عليه ، والذى فى شرح القاموس « سعد بن هذيم » وهو ابن زيد لكن حضنه عبد حبشى أسود اسمه هذيم فغلب عليه ونسب اليه (٤) والنسابون مختلفون فى قضاعة فمنهم من يزعم أن قضاعة بن معد وهو أخو نزار بن معد لأبيه وأمه وهى معانة بنت جوسم بن جلهمة بن عامر بن عوف بن عدى بن دب بن جرهم ، وقد رأى جميل ذلك فانتسب معديا فى قوله :

أنا جميل فى السنام من معد   فى الأسرة الحصداء والعيص الأشد

وقال :

وأى معد كان فىء رماحهم   كما قد أفأنا والمفاخر منصف

« الحصداء : القوية ، والعيص الأصل » ومنهم من يزعم أن قضاعة من

صَاحِبُ بُثَيْنَةَ، أَحَدُ عُشَّاقِ الْعَرَبِ، عَشِقَهَا وَهُوَ غُلَامٌ فَلَمَّا كَبِرَ خَطَبَهَا فَرُدَّ عَنْهَا، فَقَالَ الشِّعْرَ فِيهَا، وَكَانَ يَأْتِيهَا سِرًّا - وَمَنْزِلُهُمَا وَادِي الْقُرَى[1]، وَدِيوَانُ شِعْرِهِ مَشْهُورٌ فَلَا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِ شَيْءٍ مِنْهُ. ذَكَرَهُ الْحَافِظُ بْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ وَقَالَ: قِيلَ لَهُ: لَوْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ كَانَ أَعْوَدَ عَلَيْكَ مِنَ الشِّعْرِ! فَقَالَ: هَذَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : أَخْبَرَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً». وَجَمِيلٌ وَبُثَيْنَةُ كِلَاهُمَا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ، وَكَانَتْ بُثَيْنَةُ تُكْنَى أُمَّ عَبْدِ الْمَلِكِ[2]، وَالْجَمَالُ وَالْعِشْقُ فِي بَنِي عُذْرَةَ كَثِيرٌ. قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ مِنَ الْعُذْرِيِّينَ: مَا بَالُ قُلُوبِكُمْ كَأَنَّهَا قُلُوبُ طَيْرٍ تَنْمَاثُ[3] كَمَا يَنْمَاثُ

حمير - ولكن شعراء قضاعة فى الجاهلية والاسلام كلها تنتمى الى معد «أحمد يوسف نجاتى» (١) واد بين المدينة والشام بين تيماء وخيبر - وكان من أعمال المدينة - كثير القرى، و بها سمى وادى القرى، وكان من منازل قضاعة ثم جهينة وعذرة و بلى، وفيه يقول جميل:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بوادى القرى؟! انى اذا لسعيد

وهل أرين جملا به وهى أيم ... ومارث من حبل الوصال جديد؟!

(٢) هى بثينة بنت حبا بن ثعلبة بن الهوذ بن عمرو بن الأحب بن حن بن ربيعة، تلتقى هى وجميل فى حن بن ربيعة فى النسب «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) ماث الشيء يميثه و يموثه: مرسه بيده أو خلطه وأذابه فانماث أى ذاب

الْمِلْحُ فِي الطَّعَامِ ؛ أَمَا تَتَجَلَّدُونَ ؟ فَقَالَ : إِنَّا نَنْظُرُ إِلَى مَحَاجِرِ[(١)] أَعْيُنٍ لَا تَنْظُرُونَ إِلَيْهَا ، وَقِيلَ لِآخَرَ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا أَحَبُّوا مَاتُوا ، فَقَالَتْ جَارِيَةٌ سَمِعَتْهُ : هَذَا عُذْرِيٌّ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ[(٢)] .

---

(١) محجر العين ما دار بها و بدا من البرقع ، أو هو مايظهر من نقاب المرأة ، أو هومادار بالعين من العظم الذى فى أسفل الجفن. وتذكرت بقول الأعرابى العذرى قول الشاعر :

نظر العيون الى العيون هو الذى   جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا
مازالت اللحظات تغزو قلبه   حتى تشحط بينهن قتيلا

وقول الآخر :

واذا رأت عيناك طرفا أسودا   فاعلم بأن هناك موتا أحمرا

وتذكرت قول بعض بنى عذرة وقد قال له بعض العرب : مالأحدكم يموت عشقا فى هوى امرأة يألفها ؟! انما ذلك ضعف نفس ورقة وخور تجدونه فيكم يابنى عذرة ، فقال : أما والله لو رأيتم الحواجب الزج ، فوق النواظر الدعج ، تحتها المباسم الفلج ، لاتخذتموها اللات والعزى «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

حدث عمر بن شبة (١) عن اسحاق قال : لقى جميل بثينة بعد تهاجر كان بينهما طالت مدته ، فتعاتبا ساعة ، فقالت له : ويحك ياجميل ! تزعم أنك تهواني وأنت تقول :

---

(١) هو أبو زيد عمر بن شبة النميرى البصرى الحافظ العلامة الأخبارى الثقة « وشبة لقب أبيه واسمه زيد ، لقب بذلك لأن أمه كانت ترقصه وتقول :

يارب ابنى شبا ☆ وعاش حتى دبا ☆ شيخا كبيرا خبا

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى   وفى الغرمن أنيابها بالقوادح (١)

فأطرق طويلا يبكى، ثم قال : بل أنا القائل :

ألا ليتنى أعمى أصم تقودنى   بثينة لايخفى على كلامها

فقالت له : ويحك ! وماحملك على هذه المنى ؟ أو ليس فى سعة العافية ما كفانا جميعا ؟ قال ولما نزلوا الشام دخل أبو بثينة الى عبد الملك بن مروان فى حاجة — وكان ذاجاه عنده — فشكا اليه جميلا، فتبسم عبد الملك وقال له : أعيا الداء الدواء . فقال : أنشدك الله ياأمير المؤمنين أن تقول هذا فيجترئ علينا ، قال : وأبحتكم دمه ان وجدتموه عندها . فبلغ ذلك جميلا فقال : منع النوم شدة الاشفاق (٢) قال الزبير (٣) حدثنى بعض القرشيين ، قال : مر توبة بن الحمير (٤) بجميل بن معمر وهو

توفى عمر بن شبة سنة ٢٦٣ واسحاق هو ابن ابراهيم الموصلى النديم . « أحمد يوسف نجاتى » (١) القوادح جمع قادح : وهو أكال أو عفن يقع فى الأسنان، والسواد الذى يعلوها — ولعمرى ماأنصف جميل فى هذا الدعاء مهما كان الحامل عليه، فانى أعرف أنه كان صادق الصبابة والعشق ولكن لم يكن أنانيا ذا أثرة ، فقد دعا عليها بتشويه كل المحاسن اذا أصيبت فى عينها وأسنانها وتعرضت بذلك للأمراض القاتلة ، وأرجو أن يغفر الله له ذنبه منه ان كان قد قاله . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) منها :

منع النوم شدة الاشفاق   وادكار الحبيب يوم الفراق

ليت شعرى اذا بثينة بانت   هل لنا بعد بينها من تلاقى؟!

ولقد قلت يوم نادى المنادى   مستحثا برحلة وانطلاق

ليت لى اليوم يابثينة منكم   مجلسا للوداع قبل الفراق !

حيثما كنتم وكنت فانى   غير ناس للعهد والميثاق

وليست هذه الأبيات فى الأصل ولا فى النسخة الخطية ولا فى الأغانى . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) الزبير بن بكار ، وستأتى ترجمته (٤) هو توبة بن الحمير الخفاجى صاحب ليلة الأخيلية ، وحديثه مشهور — والمناضلة المباراة فى الرمى ، ونضله اذا ناضله فى مرماه فغلبه . « أحمد يوسف نجاتى »

يتحدث مع بثينة ، فوقف عليهما ، فقال له جميل : أتصارعنى ؟ قال نعم ، فتصارعا فصرعه جميل ، ثم تناضلا فنضله جميل ، ثم تسابقا فسبقه جميل ، فقال له توبة : بروح هذه غلبتنى ، فانحدر بنا الى الوادى ، فانحدرا وانطلقت بثينة ، فصرعه توبة ونضله وسبقه ، ثم قال له : ياجميل قد أخبرتك أنك لاتقوم لى ، وأنك بروحها غلبتنى . وحدث الزبير عن رجل من العرب قال : دخلت حماما بمصر يقال له حمام العرا واذا برجل لم أر فى خلق الله أحسن منه ، فظننته قرشيا فأعظمته وسألته : من هو ؟ فقال جميل بن عبد الله بن معمر ، قلت : أصاحب بثينة ؟ فضحك وقال : نعم والله انى لأراها ستغلب على نسبى كما غلبت على عقلى ، فقلت له : قد ملأت بلاد الله تنويها بذكرها ووالله انى لأظنها حديدة العرقوب ، دقيقة الظنبوب (١) كثيرة وسخ المرفق ، واذا كات شفرة (٢) الحى ذكوا بعرقوبها ، فضحك حتى استلقى ثم قال : لاتقل ذاك يابن أخى ، لو رأيتها لأحببت أن تلقى الله منها بنيكة (٣) مصرا على الزنا أبدا . وكان لما نذر السلطان دمه ضاقت عليه الأرض بما رحبت فكان يصعد بالليل على قور رمل (٤) يتنسم الريح من نحو حى بثينة

---

(١) الظنبوب حرف الساق من القدم أو حرف عظمها اليابس (٢) فى الأصل « سفرة » مصحفة — والتصحيف فى النسخة الخطية كثير جدا — والشفرة السكين العظيم والنصل العريض ، وكات اذا فلت ولم تقطع ، والتذكية الذبح (٣) ماأظن أن هذه الكلمة خرجت من فم جميل وهو رب الهوى العذرى ، وذو الغيرة العفيفة والعف الغيور ، ولولا الأمانة وأنا ننقل ما كتب لآثرنا اسقاط هذه الكلمة المقذعة ، أو وضعنا بدلها كناية غير مصرحة — مع أنى لست من أنصار المتزمتين الذين يظهرون غيرة على الأقوال ، ولا يعلم الا الله ماذا يقترفون من أفعال ، وأرى أن كتب القدماء ينبغى أن تنشر كما هى حتى لانكذب على التاريخ . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٤) القور الآكام العظيمة واحده قارة ، أو هى الجبل العظيم المنقطع عن الجبال ، أو الصخرة العظيمة المشرفة : قال :

وأشرف بالقور اليفاع لعلنى   أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها

واذا تهور (١) الليل ومل الوقوف أنشد :

أيا ريح الشمال أما تريني ... أذوب وأنني بادى النحول ؟
هبى لى نسمة من ريح بثن ... ومنى بالهبوب على جميل
وقولى يابثينة حسب نفسى ... قليلك أو أقل من القليل

ثم ينصرف مع الفجر ، قال : وكانت بثينة تقول لجوار من الحى عندها : ويحكن ! انى لأسمع أنين جميل من بعض القيران ! (٢) فيقلن لها اتقى الله، فهذا شيء يخيله لك الشيطان ولا حقيقة له - قيل ان عائشة بنت طلحة(٣) أرسلت الى كثير وقالت له: يابن أبى جمعة ماالذى يدعوك أن تقول فى عزة ماقلت وليست من الحسن على ماتصف؟! ولو شئت صرفت ذلك الى غيرها ممن هو أولى منها - أنا ومثلى،فانى أشرف وأجمل وأوصل من عزة ؟ وانما أرادت أن تجربه بذلك - فقال :

اذا ماأرادت خلة أن تزيلها ... أبينا وقلنا : الحاجبية أول(٤)

---

(١) تهور الليل اذا ذهب وأدبر وولى أكثره ، ويقال توهر الليل أيضا

(٢) جمع قارة كالفور (٣) السيدة عائشة بنت طلحة التيمية بنت سيدنا طلحة بن عبيد الله القرشى التيمى « توفى سنة ٣٦ » وكانت عزيزة النفس أبية ، ذات أدب وجمال، يزينه جلال ، ومعارف واسعة ،وثقافة حسنة تزوجها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر -وكان أبا عذرتها- وتوفى عنها فتزوجها مصعب بن الزبير وأصدقها مائة ألف دينار ،ثم قتل عنها ، فتزوجها عمر بن عبيدالله بن معمر - وبنى بها بالحيرة، فلما مات اشتد حزنها عليه وأبت أن تتزوج ،وكان لها شأن فى الأدب وذكر فى التاريخ ، وتوفيت سنة ١٠١ « أحمد يوسف نجاتى » (٤) الخلة الصديقة، والحاجبية أراد بها عزة، نسبها الى حاجب بن غفار أحد جدودها ، فهى عزة بنت جميل بن حفص بن إياس بن عبد العزى بن حاجب بن غفار بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف - وفى معنى بيته الثالث قوله :

أباحت حمى لم يرعه الناس قبلها ... وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

ويشبه قوله :

سنوليك عرفاناً أردت وصالنا ونحن لتلك الحاجبية أوصل
لها مهل لايستطاع ادراكه وسابقة فى القلب لاتتحول

فقالت له عائشة : هيهات هيهات ياأباصخر ، لقد سميتنى خلة وما أنا لك ، وعرضت على وصلك وماأريد ، ولو أردته أنت كرهته أنا ، وانما أردت أن أبلو ماعندك قولا وفعلا فما أفلحت ولا أنجحت ، هلاقلت كما قال سيدك جميل :

ويقلن انك قد رضيت بباطل منها ، فهل لك فى اجتناب الباطل ؟
ولباطل ممن أحب حديثه أشهى الى من البغيض الباذل
ليزلن عنك هواى ثم يصلننى واذا هويت فما هواى بزائل (١)

وقال بعض الرواة : دخلت بثينة وعزة على عبد الملك بن مروان فانحرف إلى عزة وقال : أنت عزة كثير ؟ قالت : لست لكثير بعزة ، ولكنى أم بكر عزة بنت جميل ، قال : أتروين قول كثير :

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها ومن ذا الذى ياعز لا يتغير ؟!
تغير جسمى ، والخليقة كالتى عهدت ، ولم يخبر بسرك مخبر

قالت : لست أروى هذا ، ولكنى أروى قوله :

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشى بها العصم زلت
صفوحا فلا تلقاك إلا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت (٢)

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

هذا وستأتى ترجمة كثير ، وأرى أنه أشعر من جميل ، وجميل أعشق . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) ومنها وهو فى المعنى :

ولرب عارضة علينا وصلها بالجد تخلطه بقول الهازل
فأجبتها فى القول بعد تستر : حبى بثينة عن وصالك شاغلى
لو كان فى صدرى كقدر قلامة فضلا وصلتك أو أتتك رسائلى

(٢) العصم جمع أعصم وعصماء وهو من الظباء أو الوعول مافى ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر ، وهو يأوى الى قمم الجبال وأمنع

وانحرف إلى بثينة فقال : أنت بثينة جميل ؟ فقالت : نعم ، قال : ما الذى رجا فيك جميل حين لهج بذكرك من بين نساء العالمين ؟ قالت: الذى رجا فيك الناس فجعلوك خليفة ، فضحك حتى بدا ضرس له أسود لم ير قبل ذلك اليوم، وفضل بثينة على عزة فى الجائزة ، ثم أمرهما أن تدخلا على عاتكة « بنت يزيد - وفى رواية أخرى أنهما دخلتا على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان(١) » فدخلتا عليها ، فقالت لعزة أخبرينى عن قول كثير :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه ‏ ‏ ‏ وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان دينه ؟ وما كان الذى وعدته ؟ قالت : كنت وعدته قبلة ثم تأثمت منها، فقالت : وددت أنك فعلت وأنى تحملت أثمها عنك. قال: ثم ندمت أم البنين واستغفرت الله تعالى وأعتقت عن هذه الكلمة أربعين رقبة وكانت عند الوليد(٢) بن عبد الملك ، وهى ابنة عمر بن عبد العزيز . قال الحافظ ابن الجوزى : لما عرض عبد الملك بأنه قد كان لها سر مكتوم(٣)

مكان فيها حتى لا يكاد ينال، وكانوا يضربون المثل بالعصم فى بعد المنال وعزته، وفى الامتناع والتوقى. والصفوح فى نعت المرأة هى المعرضة الصادة الهاجرة ، كأنها لا تسمح الا بصفحتها ، أو من صفح أى أعرض وصد وترك

(١) زدنا ما بين القوسين لصحة العبارة وصدق الحديث والرواية ، أما الأصل فقد كان نصه : أن يدخلا على عاتكة أم البنين، وهذا خلط غير سائغ، أما عاتكة بنت يزيد بن معاوية فهى زوج عبد الملك بن مروان وهى أم بنيه يزيد ومروان ومعاوية وابنته أم كلثوم ، وقد درج ابنه معاوية صغيرا ، وأما أم البنين فهى بنت عبد العزيز « أخى عبد الملك ابن مروان» وكانت عند ابن عمها الوليد بن عبد الملك، وله منها عبد العزيز ابن الوليد ومحمد بن الوليد ، وقد كان الأصل الخطى جعل أم البنين عند هشام بن عبد الملك وهو خطأ فاحش « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) فى الأصل « هشام » وهو خطأ (٣) أى فى قول كثير لها « . . ولم

وخبر مجهول ليو بخهابه ويلطخها بمعرته عرفته أنها كانت صماء عن الهزل بخيلة بالقليل من الوصل . وقال الهيثم بن عدى(١) : قال لى صالح بن حسان(٢) : هل تعرف بيتا نصفه أعرابى فى شملة، وآخره مخنث يتفكك من مخنثى العقيق؟ فقلت : لاأدرى، قال : قد أجلتك فيه حولا ، فقلت : لو أجلتنى حولين ما علمت ، قال : قول جميل .

☆ ألا أيها النوام ويحكم هبوا ☆

هذا أعرابى فى شملة ،ثم قال :

☆ نسائلكم هل يقتل الرجل الحب ☆

كأنه والله من مخنثى العقيق . وحدث الزبير بن بكار عن أبى الحارث مولى هشام بن الوليد بن المغيرة(٣) قال : شهدت عمر بن أبى ربيعة وجميل بن عبد الله بن معمر وقد اجتمعا بالأبطح ، فأنشد جميل قصيدته التى يقول فيها :

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى
بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

ومنها :

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ... ولكن طلابيها لما فات من عقلى
خليلى فيما عشتما هل رأيتما ... قتيلا بكى من حب قاتله قبلى ؟
يقولون : مهلا يا جميل ، واننى ... لأقسم مالى عن بثينة من مهل

يخبر بسرك مخبر » وما قاله الحافظ ابن الجوزى تحليل بديع وتعليل حسن وفهم دقيق (١) الهيثم بن عدى الطائى الكوفى الأخبارى المؤرخ لا يوثق كثيرا بما يرويه من الأحاديث، توفى سنة ٢٠٧ (٢) هو أبو الحرث صالح بن حسان النضرى المدنى نزيل البصرة، يروى عن سعيد بن المسيب وعروة ، قال البخارى : انه منكر الحديث « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) هو الذى يقول له عمر بن أبى ربيعة :

يا أبا الحرث قلبى طائر ... فأتمر أمر رشيد مؤتمن

قال : وأنشده عمر بن أبى ربيعة قوله :

جرى ناصح بالود بينى وبينها ... فقربنى يوم الحصاب (١) الى قتلى

فلما تواقفنا عرفت الذى بها ... كمثل الذى بى حذوك النعل بالنعل

فانتهى فيها إلى قوله :

فسلمت واستأنست خيفة أن يرى ... عدو مكانى ، أو يرى كاشح فعلى

فقالت - وأرخت جانب الستر بيننا - ... معى فتحدث غير ذى رقبة أهلى

فقلت لها : مابى لهم من ترقب ... ولكن سرى ليس يحمله مثلى

الى أن قال :

فقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما ... أتين الذى يأتين من ذاك من أجلى

فقال جميل : هيهات ياأبا الخطاب ! لا أقول والله مثل هذا سجيس (٢) الليالى ، وما خاطب النساء مخاطبتك أحد ، ثم قام مشمرا . ويروى أن جميلا لما أنشد عمر قوله : خليلى فيما عشتما - الأبيات المقدم ذكرها - قال جميل : أنشدنى ياأباالخطاب، فأنشد :

ألم تسأل الأطلال والمتربعا ... ببطن حليات دوارس بلقعا

فانتهى فيها الى قوله :

فلما تواقفنا وسلمت أشرقت ... وجوه زهاها (٣) الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما رأيننى ... وقلن : امرؤ باغ أكل وأوضعا (٤)

---

(١) فى الأصل « الخضاب » وهو تصحيف خاطىء . والحصاب موضع رمى الجمار بمنى، وفيه يقول كثير بن كثير بن الصلت :

أسعد انى بعبرة أسراب ... من جفون كثيرة التسكاب

ان أهل الحصاب قدتركونى ... موزعا مولعا بأهل الحصاب

ويذكره عمر بن أبى ربيعة فى شعره كما يذكر غيره من أماكن الحج وهو فى الأصل مصدر حاصبه حصابا اذا راماه بالحصباء أى الحصا الصغار ،

« أحمد يوسف نجاتى »

(٢) أى طول الليالى (٣) زهاه كذا أى حمله واستخفه كازدهاه ، والزهو التيه والكبر والعظمة (٤) أى أظهرن البله وتكلفنه، وتباله إذا أرى من

وقر بن أسباب الهوى لمتيم يقيس (١) ذراعا كلما قسن أصبعا

قال : فصاح جميل واستخذى(٢) وقال : ألا إن النسيب أخذ من هذا ، وما أنشده حرفا ، فقال له عمر : اذهب بنا الى بثينة حتى نسلم عليها ، فقال له جميل: إن السلطان قد أهدر لهم دمى إن وجدونى عندها ، وهاتيك أبياتها . فأتاها عمر حتى وقف على أبياتها ، وتأنس حتى كلم ، وقال : ياجارية أنا عمر بن أبى ربيعة، فأعلمى بثينة مكانى، فخرجت إليه بثينة فى مباذلها (٣) وقالت : والله ياعمر لا أكون من نسائك اللاتى تزعم أن قد قتلهن الوجد بك (٤) فانكسر عمر ، قال : و إذا امرأة أدماء (٥) طوالة

نفسه ذلك وليس به ، والكل: الاعياء ، وأكله :أتعبه وأعياه وأجهده : وأوضع أى أسرع ، وأوضع دابته إذا حملها على العدو ، ومنه :

بماذا تردين امرأ جاء لايرى كودك ودا قد أكل وأوضعا ؟!

يردن أن عمر هو من أكل الركائب وأوضعها فى الغى، وخب وأسرع فى اللهو

(١) يعنى يدنو ، يريد أنه يدنو منهن ويتقرب إليهن كثيرا إذا هن دنون يسيرا ، وتلك عادتهن وعادة مثل عمر معهن «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) خضع وانكسر وذل (٣) جمع مبذلة وهى مالايصان من الثياب ، ويقال : خرج عليه فى مباذله، أى فيما يمتهن به من الثياب ويتبذل فى منزله ، يعنى أنها لم تتجمل له ، ولم تقابله كما تقابل من تعنى به وتهتم له

(٤) ستأتى ترجمة عمر ، ونبين فيها رأينا فى شعره وغزله وما أخذ عليه من معانيه (٥) الأدمة فى الناس هى السمرة ، وقد أدم « كعلم وكرم » فهو آدم وهى أدماء ، وسمع « أدمانة » وجمعهما أدم وأدمان كحمر وحمران ورجل طوال ، وطوال « كغراب ورمان » اذا كان مفرط الطول ، وهى طوالة . تم شرح مازيد فى النسخة الخطية بعد أن أقمنا زيغه وأتممنا ناقصه وأصلحنا فاسده « أحمد يوسف نجاتى »

وَذَكَرَ صَاحِبُ الْأَغَانِي أَنَّ كُثَيِّرَ عَزَّةَ كَانَ رَاوِيَةَ جَمِيلٍ، وَجَمِيلٌ كَانَ رَاوِيَةَ هُدْبَةَ بْنِ خَشْرَمٍ (١)، وَهُدْبَةُ رَاوِيَةُ الْحُطَيْئَةِ، وَالْحُطَيْئَةُ رَاوِيَةُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى وَابْنِهِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ. وَمِنْ شِعْرِ جَمِيلٍ مِنْ جُمْلَةِ أَبْيَاتٍ:

وَخَبَّرْتُمَانِي أَنَّ تَيْمَاءَ (٢) مَنْزِلٌ
لِلَيْلَى إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَاسِيَا (٣)

فَهٰذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدِ انْقَضَتْ
فَمَا لِلنَّوَى (٤) تَرْمِي بِلَيْلَى الْمَرَامِيَا ؟!

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُدْخِلُ هٰذِهِ الْأَبْيَاتَ فِي قَصِيدَةِ مَجْنُونِ لَيْلَى، وَلَيْسَتْ لَهُ، وَتَيْمَاءُ خَاصَّةً مَنْزِلٌ لِبَنِي عُذْرَةَ (وَلَيْسَتْ مِنْ مَنَازِلِ بَنِي عَامِرٍ) وَفِي هٰذِهِ الْقَصِيدَةِ يَقُولُ جَمِيلٌ:

---

(١) هدبة بن خشرم بن كرز العذرى، كان شاعرا غزلا شجاعا، قتله سعيد ابن العاص والى المدينة لأمر جرى بينه وبين زيادة بن زيد الشاعر فكانت بينهما مهاجاة وشر، ثم تقاتلا فقتله (٢) تيماء بليدة فى أطراف الشام كانت بين الشام و وادى القرى على طريق حاج الشام ودمشق (٣) المراسى جمع مرساة وهو ماترسى به السفينة، وألقى مراسيه إذا حل واستقر وأقام وثبت (٤) النوى: البعد والوجه الذى يذهب فيه «أحمد يوسف نجاتى»

وَمَا زِلْتُمُ يَا بَثْنَ حَتَّى لَوَ انَّنِي
مِنَ الشَّوْقِ أَسْتَبْكِي الْحَمامَ بَكَى لِيَا

وَمَا زَادَنِي الْوَاشُونَ إِلَّا صَبَابَةً
وَلَا كَثْرَةُ النَّاهِينَ إِلَّا تَمَادِيَا[١]

وَمَا أَحْدَثَ النَّأْىُ الْمُفَرِّقُ بَيْنَنَا
سُلُوًّا، وَلَا طُولُ اللَّيَالِي تَقَالِيَا[٢]

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَذْبَةَ الرِّيقِ أَنَّنِي
أَظَلُّ إِذَا لَمْ أَلْقَ وَجْهَكِ صَادِيَا[٣]

لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْتَةً
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْكِ كَمَا هِيَا

وَكَانَ كُثَيِّرُ عَزَّةَ يَقُولُ: جَمِيلٌ وَاللهِ أَشْعَرُ الْعَرَبِ[٤] حَيْثُ يَقُولُ:

---

(١) الصبابة الشوق أورقته وحرارته ورقة الهوى، والتمادى فى الأمر اللجاج فيه والاستمرار الى الغاية (٢) التقالى: التباغض والكراهة، والسلو: النسيان وترك الشىء والذهول عن ذكره. ويروى «المفرق بعدكم» (٣) الصدى العطش أو شدته، وصدى «كرضى» فهو صد وصاد وصديان (٤) وكان كثير يقدم جميلا على نفسه، و يتخذه إماما «أحمد يوسف نجاتى»

وَخَبَّرْتُمَانِي أَنَّ تَيْمَاءَ مَنْزِلٌ

لِلَيْلَى إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَاسِيَا

وَمِنْ شِعْرِهِ :

إِنِّي لَأَحْفَظُ سِرَّكُمْ ، وَيَسُرُّنِي

لَوْ تَعْلَمِينَ بِصَالِحٍ أَنْ تَذْكُرِي (١)

وَيَكُونُ يَوْمًا لَا أَرَى لَكِ مُرْسَلًا

أَوْ نَلْتَقِي فِيهِ عَلَيَّ كَأَشْهُرِ

يَالَيْتَنِي أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْتَةً

إِنْ كَانَ يَوْمُ لِقَائِكُمْ لَمْ يُقْدَرِ

أَوْ أَسْتَطِيعُ تَجَلُّدًا عَنْ ذِكْرِكُمْ

فَأُفِيقَ بَعْدَ صَبَابَتِي وَتَفَكُّرِي

وَمِنْهَا :

لَا تَحْسَبِي أَنِّي هَجَرْتُكِ طَائِعًا

حَدَثٌ لَعَمْرُكِ رَائِعٌ أَنْ تُهْجَرِي

(١) ويصح « أن تذكرى » بالبناء للمجهول ، ويروى :

إنى لأحفظ غيبكم ويسرنى اذ تذكرين بصالح أن تذكرى

يقول : إنه ليسره منها إذا ذكرته أن تذكره بخير و بما يسره أن يذكر به

يَهْوَاكِ مَاعِشْتُ الْفُؤَادُ ، وَإِنْ أَمُتْ

يَتْبَعْ صَدَاىَ صَدَاكِ بَيْنَ الْأَقْبُرِ (١)

وَمِنْهَا :

إِنِّى إِلَيْكِ بِمَا وَعَدْتِ لَنَاظِرٌ

نَظَرَ الْفَقِيرِ إِلَى الْغَنِيِّ الْمُكْثِرِ

يَقْضِى الدُّيُونَ وَلَيْسَ يُنْجِزُ مَوْعِدًا

هَـذَا الْغَرِيمُ لَنَا وَلَيْسَ بِمُعْسِرِ

مَا أَنْتِ وَالْوَعْدُ الَّذِى تَعِدِينَنِى

إِلَّا كَبَرْقِ سَحَابَةٍ لَمْ تُمْطِرِ

وَمِنْ شِعْرِهِ مِنْ جُمْلَةِ قَصِيدَةٍ :

إِذَا قُلْتُ : مَا بِى يَا بُثَيْنَةُ قَاتِلِى

مِنَ الْوَجْدِ ، قَالَتْ : ثَابِتٌ وَيَزِيدُ

وَإِنْ قُلْتُ رُدِّى بَعْضَ عَقْلِى أَعِشْ بِهِ

مَعَ النَّاسِ ، قَالَتْ : ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ

---

(١) من معانى الصدى الجسد بعد الموت ، وما كان يزعمه الجاهلية أن عظام الموتى تصير هامة فتطير . «أحمد يوسف نجاتى»

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا :

وَإِنِّى لَأَرْضَى مِنْ بُثَيْنَةَ بِالَّذِى
لَوِ اسْتَيْقَنَ الْوَاشِى لَقَرَّتْ بَلَابِلُهُ (١)

بِلَا ، وَبِأَلَّا أَسْتَطِيعَ ، وَبِالْمُنَى
وَبِالْأَمَلِ الْمَرْجُوِّ قَدْ خَابَ آمِلُهْ

وَبِالنَّظْرَةِ الْعُجْلَى ، وَبِالْحَوْلِ تَنْقَضِى
أَوَاخِرُهُ لَا نَلْتَقِى وَأَوَائِلُهُ

وَلَهُ أَيْضًا :

وَإِنِّى لَأَسْتَحْيِى مِنَ النَّاسِ أَنْ أُرَى
رَدِيفًا لِوَصْلٍ أَوْ عَلَىَّ رَدِيفُ (٢)

وَأَشْرَبَ رَنْقًا (٣) مِنْكِ بَعْدَ مَوَدَّةٍ
وَأَرْضَى بِوَصْلٍ مِنْكِ وَهْوَ ضَعِيفُ

---

(١) البلابل جمع بلبلة أو بلبال ، وهو شدة الهم والوساوس فى الصدر
(٢) أى تابعا متأخرا ، يريد أنه يستحي أن يكون له شريك فى وصل من يحب يتقدمه أو يتأخر عنه ، ومن معانى الرديف عندهم الذى يجىء بقدحه بعدما اقتسموا الجزور فى الميسر ، فلا يردونه خائبا ، ولكن يجعلون له حظا فيما صار لهم من أنصبائهم (٣) فى الأصل وغيره « وأشرب ريقا » وقد رأيت أنه مصحف عن « رنقا » كما يريده المعنى ويدل عليه البيت

وَإِنِّى لِلْمَاءِ الْمُخَالِطِ لِلْقَذَى
إِذَا كَثُرَتْ وُرَّادُهُ لَعَيُوفُ(١)

وَلَهُ مِنْ أَبْيَاتٍ أَيْضًا :

بَعِيدٌ عَلَى مَنْ لَيْسَ يَطْلُبُ حَاجَةً
وَأَمَّا عَلَى ذِى حَاجَةٍ فَقَرِيبُ

بُثَيْنَةُ قَالَتْ : يَا جَمِيلُ أَرَبْتَنِى(٢)
فَقُلْتُ : كِلَانَا يَا بُثَيْنُ مُرِيبُ

الثالث ، وماء رنق أى كدر ، وفعله « كفرح » قال مرداس بن أدية :

مخافة أن يذقن البؤس بعدى   وأن يشربن رنقا بعد صافى

والرنق تراب فى الماء من القذى ونحوه (١) يقال : عاف الطعام أو الشراب أوغيرهما يعيفه: كرهه فلم يذقه فهو عائف وعيوف ، والعيوف من الابل الذى يشم الماء فيدعه وهو عطشان — وفى معنى أبيات جميل قول الشاعر :

سأترك حبكم من غير بغض   وذاك لكثرة الشركاء فيه
إذا وقع الذباب على طعام   رفعت يدى ونفسى تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماء   إذا كان الكلاب ولغن فيه

أما أبياته الثلاثة قبل هذه فهى من خير ماقيل فى معناه، تمثل رضا العاشق وقناعته بكل مايصل إليه من محبوبه و إن كان امتناعا ، والأمانى حلم اليقظة وسلوة الهائم وقد يكون فيها راحة القلب وتنفيس الكرب «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) أربتنى: أى أوقعتنى منك فى ظنة و ريبة وشك وتهمة، وأراد به: ظن به الريبة ، أو أوهمه إياها « أحمد يوسف نجاتى »

وَأَرِينَا مَنْ لَا يُؤَدِّى أَمَانَةً
وَلَا يَحْفَظُ الْأَسْرَارَ حِينَ يَغِيبُ

وَقَالَ كُثَيِّرُ عَزَّةَ : لَقِيَنِى مَرَّةً جَمِيلُ بُثَيْنَةَ فَقَالَ لِى : مِنْ أَيْنَ أَقبلتَ ؟ فَقُلْتُ : مِنْ عِنْدِ أَبِى الْحَبِيبَةِ - أَعْنِى بُثَيْنَةَ - فَقَالَ : وَإِلَى أَيْنَ تَمْضِى ؟ قُلْتُ : إِلَى الْحَبِيبَةِ - أَعْنِى عَزَّةَ - فَقَالَ : لَا بُدَّ أَنْ تَرْجِعَ عَوْدَكَ[1] عَلَى بَدْئِكَ فَتَسْتَجِدَّ لِى[2] مَوْعِدًا مِنْ بُثَيْنَةَ ، فَقُلْتُ : عَهْدِى بِهَا السَّاعَةَ ، وَأَنَا أَسْتَحْيِي أَنْ أَرْجِعَ ، فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ لَهُ : فَمَتَى عَهْدُكَ بِبُثَيْنَةَ ؟ فَقَالَ : مِنْ أَوَّلِ الصَّيْفِ وَقَعَتْ سَحَابَةٌ بِأَسْفَلِ وَادِى الدَّوْمِ[3] ، فَخَرَجَتْ وَمَعَهَا جَارِيَةٌ لَهَا تَغْسِلُ ثِيَابًا ، فَلَمَّا أَبْصَرَتْنِى أَنْكَرَتْنِى ، فَضَرَبَتْ بِيَدِهَا إِلَى ثَوْبٍ فِى الْمَاءِ فَالْتَحَفَتْ بِهِ ، وَعَرَفَتْنِى الْجَارِيَةُ فَأَعَادَتِ الثَّوْبَ إِلَى الْمَاءِ ، وَتَحَدَّثْنَا سَاعَةً حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ

(١) يقال : رجع عوده على بدئه « بنصب عودو رفعه » فالنصب على أنه مفعول رجع اذا لوحظ أنه متعد . أى رجع فى الطريق الذى جاء منه

(٢) فى الأصل « فتتخذ » وهو تحريف (٣) وادى الدوم واد معترض من شمالى خيبر الى قبليها، وهو يفصل بين خيبر والعوارض « جبل ببلاد طىء » شمال المدينة بينها و بين الشام . «أحمد يوسف نجاتى»

فَسَأَلْتُهَا ٱلْمَوْعِدَ ، فَقَالَتْ : أَهْلِي سَائِرُونَ ؛ وَلَا لَقِيتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلَا وَجَدْتُ أَحَدًا آمَنُهُ فَأُرْسِلُهُ إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَهُ كُثَيِّرٌ : فَهَلْ لَكَ أَنْ آتِيَ ٱلْحَيَّ فَأَتَعَرَّضَ (١) بِأَبْيَاتِ شِعْرٍ أَذْكُرُ فِيهَا هَذِهِ ٱلْعَلَامَةَ إِنْ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى ٱلْخَلْوَةِ بِهَا ؟ قَالَ : وَذَلِكَ ٱلصَّوَابُ . فَخَرَجَ كُثَيِّرٌ حَتَّى أَنَاخَ بِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهَا : مَارَدَّكَ يَابْنَ أَخِي ؟ قَالَ : قُلْتُ أَبْيَاتًا عَرَضَتْ لِي ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْرِضَهَا عَلَيْكَ ، قَالَ هَاتِهَا ، فَأَنْشَدْتُهُ وَبُثَيْنَةُ تَسْمَعُ :

فَقُلْتُ لَهَا : يَا عَزُّ أَرْسَلَ صَاحِبِي
إِلَيْكِ رَسُولًا وَٱلرَّسُولُ مُوَكَّلُ (٢)
بِأَنْ تَجْعَلِي بَيْنِي وَبَيْنَكِ مَوْعِدًا
وَأَنْ تَأْمُرِينِي بِالَّذِي فِيهِ أَفْعَلُ
وَآخِرُ عَهْدِي مِنْكِ يَوْمَ لَقِيتِنِي
بِأَسْفَلِ وَادِي ٱلدَّوْمِ وَٱلثَّوْبُ يُغْسَلُ

قَالَتْ فَضَرَبَتْ بُثَيْنَةُ جَانِبَ خِدْرِهَا وَقَالَتْ : إِخْسَأْ (٣)

---

(١) وفى بعض الروايات : فأنزع بأبيات من شعر الخ. ونزع الشعر إذا تمثل به (٢) رواية الأغانى : والموكل مرسل ، ورواية الأمالى : على نأى دار والرسول موكل (٣) اخسأ : ابعد وكن مطرودا مبعدا، وهو تباعد سخط

إِخْسَأْ ، فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا : مَهْيَمْ[1] يَا بُثَيْنَةُ ؟ ! فَقَالَتْ : كَلْبٌ يَأْتِينَا إِذَا نَوَّمَ النَّاسُ مِنْ وَرَاءِ الرَّابِيَةِ ، ثُمَّ قَالَتْ لِلْجَارِيَةِ : ابْغِينَا مِنَ الدَّوْمَاتِ حَطَباً لِنَذْبَحَ لِكُثَيِّرٍ شَاةً وَنَشْوِيَهَا لَهُ ، فَقَالَ كُثَيِّرٌ : أَنَا أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَاحَ إِلَى جَمِيلٍ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ جَمِيلٌ : الْمَوْعِدُ الدَّوْمَاتُ ، وَخَرَجَتْ بُثَيْنَةُ وَصَوَاحِبُهَا إِلَى الدَّوْمَاتِ ، وَجَاءَ جَمِيلٌ وَكُثَيِّرٌ إِلَيْهِنَّ ، فَمَا بَرِحُوا حَتَّى بَرَقَ الصُّبْحُ . فَكَانَ كُثَيِّرٌ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ مَجْلِسًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، وَلَا مِثْلَ عِلْمِ أَحَدِهِمَا بِضَمِيرِ الْآخَرِ ، مَا أَدْرِي أَيُّهُمَا كَانَ أَفْهَمَ . وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ[2] : أَنْشَدَنِي أَبِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِجَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ — قَالَ : وَتُرْوَى لِغَيْرِهِ أَيْضًا[3] — وَهِيَ :

---

(١) مهيم : كلمة يمانية تستعمل فى الاستفهام ، معناها : ماأمرك ، وماشأنك ؟ أو ماحدث لك ، أو ماالذى أرى بك ؟ ونحو هذا .

(٢) تأتى ترجمته توفى سنة ٣٢٨ وتوفى والده القاسم سنة ٣٠٤ (٣) رويت لعروة بن أذينة ، ولعمر بن أبى ربيعة ، وعزاها بعضهم لعبيد بن أوس الطائى يقولها فى أخت عدى بن أوس الطائى «أحمد يوسف نجاتى»

مَا زِلتُ أَبْغِي الْحَيَّ أَتبَعُ فَلَّهُمْ

حَتَّى دُفِعتُ إِلَى رَبِيبَةِ هَوْدَجِ (١)

فَدَنَوْتُ مُخْتَفِياً أُلِمُّ بِبَيْتِهَا

حَتَّى وَلَجْتُ إِلَى خَفِيِّ الْمَوْلِجِ (٢)

فَتَنَاوَلَتْ رَأْسِي لِتَعْرِفَ مَسَّهُ

بِمُخَضَّبِ الأَطْرَافِ غَيْرِ مُشَنَّجِ (٣)

قَالَتْ: وَعَيْشِ أَخِي وَنِعْمَةِ وَالِدِي

لَأُنَبِّهَنَّ الْقَوْمَ إِنْ لَمْ تَخْرُجِ (٤)

فَخَرَجْتُ خِيفَةَ قَوْلِهَا فَتَبَسَّمَتْ

فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَلْجَجِ (٥)

---

(١) ويروى أتبع ظلهم ، « والفل » الجماعة ، وأكثر ما يستعمل فى القوم المنهزمين ، وربيبة الهودج كناية عن الفتاة المخدرة والمصونة المحجبة (٢) ألم به : نزل ، وحقيقة الألمام أن يأتى فى وقت ماولايقيم ، والألمام أيضا الزيارة غبا ، وولج البيت إذا دخله ، والمولج المدخل (٣) يصف كفها - والتشنج: تقبض الجلد أوالأصابع وغيرهما وتقلصه (٤) ويروى :

☆ قالت وعيش أبى وأكبر إخوتى ☆

لأنبهن الحى الخ وهذا القسم ينم على خطر شأن الأب و رفعة قدره ، وعلى أنها فى نعمة وصيانة بين قومها (٥) ويروى : لم تحرج ، ولج يلج « كفرح وضرب » اذا تمادى فى الأمر وأبى أن ينصرف عنه - و « لم تحرج »

فَلَثِمتُ فاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا

شُرْبَ ٱلنَّزِيفِ، بِبَرْدِ مَاءِ ٱلْحَشْرَجِ (١)

قَالَ هارُون بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْقَاضِى (٢) : قَدِمَ جَمِيلُ بْن مَعْمَرٍ مِصْرَ عَلَى عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ (٣) مُمْتَدِحًا لَهُ ،

أى لم تضق بل كان لها مخرج منها ومخلص، فلم تكن جادة فى حلفها ، فلا إثم عليها إذا لم تبر فيها وحنثت ، والحرج : الأثم والحرمة ، وأحرجه اذا أوقعه فى الأثم وضيق عليه (١) لثم « كفرح » وقد يكون « كضرب » إذاقبل . والقرن: ذؤابة المرأة وضفيرتها، والخصلة من الشعر ، وحد الرأس وجانبه ، والنزيف من عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه ، أو هو المحموم الذى منع الماء ، والنزيف السكران الثمل ، فيراد به هنا شارب الخمر فيصح أن يكون قد شبه رضابها بالخمر يشربها ممزوجة بماء الحشرج البرد والحشرج :النقرة فى الجبل يجتمع فيها الماء فيصفو ، ولعل هذا المعنى أبلغ وأقرب الى المعانى الشعرية، فيكون كقول كعب بن زهير :

شجت بذى شبم من ماء محنية صاف بأبطح أضحى وهو مشمول

وتشبيه الثغر أو الرضاب بالراح ممزوجة ببرد الماء الصافى سائغ عذب . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) هو أبو يحيى هرون بن عبد الله الزهرى العوفى المكى المالكى الأصم الامام القاضى نزيل بغداد ، عالم جليل له مصنفات مفيدة، ولى قضاء العسكر ثم قضاء مصر فى عصر المأمون، وعزل عنها سنة ٢٢٦ وولى مكانه على قضاء مصر محمد بن أبى الليث بن شداد الأيادى الجهمى ، وتوفى سنة ٢٣٢ . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) ولى عبد العزيز إمارة مصر من قبل أبيه مروان بن الحكم سنة ٦٥ « ولما أقام عبد العزيز بمصر ووقع الطاعون فيها سنة ٧٠ خرج بمصر ونزل بحلوان فأعجبته فاتخذها سكنا وجعل بها

فَأَذِنَ لَهُ ، وَسَمِعَ مَدَائِحَهُ ، وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ حُبِّهِ بُثَيْنَةَ ، فَذَكَرَ وَجْدًا كَثِيرًا ، فَوَعَدَهُ فِي أَمْرِهَا ، وَأَمَرَهُ بِالْمُقَامِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَنْزِلٍ وَمَا يُصْلِحُهُ . فَمَا أَقَامَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَاتَ هُنَاكَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ . وَذَكَرَ الزُّبَيْرُ ابْنُ بَكَّارٍ عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ السَّاعِدِيِّ [١] قَالَ :

بَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ إِذْ لَقِيَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي ، فَقَالَ : هَلْ

الحرس والأعوان ، و بنى بها الدور والمساجد ، وعمرها أحسن عمارة ، وغرس نخلها وكرمها ، فكانت فى عصره مدينة زاهية زاهرة ، ولذلك يقول عبدالله ابن قيس الرقيات :

سقيا لحلوان ذى الكروم وما　　صنف من تينه ومن عنبه

نخل مواقير بالقناء من الـ　　ـبرنى يهتز ثم فى سربه

أسود سكانه الحمام فما　　تنفك غربانه على رطبه

وكان عبد العزيز جوادا ممدحاذا مروءة وكرم ، كان له كل يوم ألف جفنة للناس حول داره ، وفى ذلك يقول الشاعر :

كل يوم كأنه عيد أضحى　　عند عبد العزيز أو يوم فطر

وله ألف جفنة مترعات　　كل يوم يمدها ألف قدر

وتوفى الأمير عبدالعزيز سنة ٨٦ وتولى مصر بعده عبدالله بن عبدالملك بن مروان « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو عباس بن سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الأنصارى الساعدى راوية محدث توفى حوالى سنة ١١٥ ، وأبوه سهل صحابى جليل توفى سنة ٩١ عن مائة سنة ، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة . « أحمد يوسف نجاتى » .

لكَ فِي جميلٍ ـ فإنّهُ يعتَلُّ ـ نعُودُهُ ؟ فدخلنا عليهِ وهُوَ يجُودُ بنفسهِ ، فنظرَ إليَّ وقالَ : يابْنَ سهلٍ ما تقولُ فِي رجُلٍ لمْ يشربِ الْخمرَ قطُّ ، ولمْ يزْنِ ، ولمْ يقتلِ النَّفسَ ، ولمْ يسرقْ يشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ ؟ قلتُ : أظُنُّهُ قدْ نجا ، وأرجُو لهُ الْجنَّةَ ، فمنْ هذا الرَّجُلُ ؟ قالَ : أنا : قلتُ لهُ : واللهِ ما أحسبُكَ سلمتَ وأنتَ تُشبِّبُ مُنذُ عشرينَ سنةً ببُثينةَ ، قالَ : لا نالتني شفاعةُ مُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ وإنِّي لفِي أوَّلِ يومٍ منْ أيَّامِ الآخرةِ وآخرِ يومٍ منْ أيَّامِ الدُّنيا ـ إنْ كُنتُ وضعتُ يدِي عليها لرِيبةٍ ، فما برحنا حتَّى ماتَ

وقالَ مُحمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ جعفرٍ الأهوازيُّ : مرضَ جميلٌ بمصرَ مرضهُ الَّذي ماتَ فيهِ ـ رحمهُ اللهُ تعالَى ـ فدخلَ عليهِ العبَّاسُ بنُ سهلٍ السَّاعِديُّ ـ وذكرَ هذهِ الحكايةَ ـ واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ . وذكرَ فِي الأغانِي عنِ الأصمعيِّ قالَ : حدَّثني رجُلٌ شهدَ جميلاً لمَّا حضرتْهُ الوفاةُ بمصرَ أنَّهُ دعا بهِ فقالَ لهُ : هلْ لكَ أنْ أُعطيكَ

كُلَّ مَا أُخَلِّفُهُ عَلَى أَنْ تَفْعَلَ شَيْئاً أَعْهَدُهُ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ اللَّهُمَّ نَعَمْ ، فَقَالَ إِذَا أَنَا مُتُّ فَخُذْ حُلَّتِي هَذِهِ الَّتِي فِي عَيْبَتِي وَاعْزِلْهَا جَانِباً ـ وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهَا لَكَ ـ وَارْحَلْ إِلَى رَهْطِ بُثَيْنَةَ ، فَإِذَا صِرْتَ إِلَيْهِمْ فَارْتَحِلْ نَاقَتِي هَذِهِ وَارْكَبْهَا ، ثُمَّ الْبَسْ حُلَّتِي هَذِهِ وَاشْقُقْهَا ، ثُمَّ اعْلُ عَلَى شَرَفٍ(١) وَصِحْ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ ـ وَخَلَاكَ ذَمٌّ :

صَرَخَ النَّعِيُّ وَمَا كَنَى بِجَمِيلِ
وَثَوَى بِمِصْرَ ثَوَاءَ غَيْرِ قُفُولِ(٢)
وَلَقَدْ أَجُرُّ الْبُرْدَ فِي وَادِي الْقُرَى
نَشْوَانَ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَنَخِيلِ
قُومِي بُثَيْنَةُ فَانْدُبِي بِعَوِيلِ
وَابْكِي خَلِيلَكِ دُونَ كُلِّ خَلِيلِ

قَالَ : فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ جَمِيلٌ ، فَمَا اسْتَتْمَمْتُ

---

(١) مكان عال مرتفع (٢) قفول : رجوع ، وثوى: أقام ويروى «صدع» بدل صرخ ، أى جهر وصرح ، ويخيل لى أنها «صرح» بقرينة مقابلته بكنى ، والصرح والتصريح خلاف الكناية ، وهو تبيين الأمر واظهاره وكشفه . «أحمد يوسف نجاتى» .

الأَبْيَاتَ حَتَّى بَرَزَتْ بُثَيْنَةُ كَأَنَّهَا بَدْرٌ قَدْ بَدَا فِي دُجُنَّةٍ[(١)] وَهِيَ تَتَثَنَّى فِي مِرْطِهَا[(٢)] حَتَّى أَتَتْنِي وَقَالَتْ : يَا هَذَا وَاللهِ لَئِنْ كُنْتَ صَادِقاً لَقَدْ قَتَلْتَنِي ، وَلَئِنْ كُنْتَ كَاذِباً لَقَدْ فَضَحْتَنِي، قُلْتُ : وَاللهِ مَا أَنَا إِلَّا صَادِقٌ ـ وَأَخْرَجْتُ حُلَّتَهُ ـ فَلَمَّا رَأَتْهَا صَاحَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا ، وَصَكَّتْ[(٣)] وَجْهَهَا ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ الْحَيِّ يَبْكِينَ مَعَهَا وَيَنْدُبْنَهُ حَتَّى صَعِقَتْ فَمَكَثَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا سَاعَةً ، ثُمَّ قَامَتْ وَهِيَ تَقُولُ :

وَإِنَّ سُلُوِّى عَنْ جَمِيلٍ لَسَاعَةٌ
مِنَ الدَّهْرِ مَا حَانَتْ وَلَا حَانَ حِينُهَا
سَوَاءٌ عَلَيْنَا يَا جَمِيلُ بْنَ مَعْمَرٍ
إِذَا مُتَّ بَأْسَاءُ الْحَيَاةِ وَلِينُهَا

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي تَرْجَمَةِ الْحَافِظِ أَبِي طَاهِرٍ أَحْمَدَ السِّلَفِيِّ . قَالَ الرَّجُلُ : فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا أَكْثَرَ بَاكِياً وَلَا بَاكِيَةً مِنْ يَوْمِئِذٍ .

---

(١) الدجنة : الظلمة (٢) المرط كساء من الصوف ونحوه يؤتزر به ، أوهو كل ثوب غير مخيط (٣) صكت : ضربت وجهها أو لطمته شديدا .

***

جنادة بن محمد اللغوى الهروى

« أَبُو أُسَامَةَ جُنَادَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ اللُّغَوِىُّ الْأَزْدِىُّ الْهَرَوِىُّ »

كَانَ مُكْثِرًا مِنْ حِفْظِ اللُّغَةِ وَنَقْلِهَا ، عَارِفًا بِوَحْشِيِّهَا[1] وَمُسْتَعْمَلِهَا ، لَمْ يَكُنْ فِي زَمَنِهِ مِثْلُهُ فِي فَنِّهِ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ سَعِيدٍ الْمِصْرِيِّ[2] وَأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمُقْرِئِ النَّحْوِيِّ الْأَنْطَاكِيِّ مُؤَانَسَةٌ وَاتِّحَادٌ كَثِيرٌ ، وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِي دَارِ الْعِلْمِ[3] وَتَجْرِي

---

(١) وحشيها : الوحشى لفظ غير ظاهر المعنى ولا مأنوس الاستعمال

(٢) ستأتى ترجمته (٣) يريد بها دار الكتب ، فقد كان مما عظمت عناية خلفاء مصر به دور الكتب العظيمة الحافلة بالأسفار الممتعة والكتب القيمة فى كل علم وفن، فكانت كنوزا نفيسة جليلة المقدار ، وذخائر ثمينة عديمة المثل فى سائر الأمصار ، بدأ بذلك منهم العزيز بالله ثانى خلفائهم فقد جمع عددا عظيما من الكتب خص لها قاعة فى قصره سماها «خزانة الكتب» و بذل الأموال الجمة فى الاستكثار من المؤلفات الثمينة فى التاريخ والأدب والفقه وغيرها، واقتدى به جماعة من أهله فأنشأوا مكاتب عظيمة فى قصورهم ، وكان للعزيز عناية كبيرة بخزانة كتبه ، يتعهدها بنفسه، ورتب لها قيما يتولى أمورها و يجالسه و يقرأ له مايشاء من تلك الأسفار « وممن تولى ذلك أبو الحسن الشابستى الكاتب المتوفى سنة ٣٩٠ بمصر ، وكان أديبا فاضلا حلو المحاورة لطيف المحاضرة ، وله مصنفات حسنة » ثم أنشأ الخليفة الحاكم بأمر الله بن العزيز سنة ٣٩٥ دارا أخرى سماها دار الحكمة أو « دار العلم » وحمل اليها الكتب من خزائن القصور

بَيْنَهُمْ مُذَاكَرَاتٌ وَمُفَاوَضَاتٌ فِى ٱلْآدَابِ ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبُهُمْ حَتَّى قَتَلَ ٱلْحَاكِمُ صَاحِبُ مِصْرَ أَبَا أُسَامَةَ جُنَادَةَ ، وَأَبَا ٱلْحَسَنِ ٱلْمُقْرِئَ ٱلْأَنْطَاكِيَّ ٱلْمَذْكُورَيْنِ فِى يَوْمٍ وَاحِدٍ - وَهُوَ مِنْ ذِى ٱلْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ - رَحِمَهُمَا ٱللهُ تَعَالَى - وَٱسْتَتَرَ بِسَبَبِ قَتْلِهِمَا ٱلْحَافِظُ عَبْدُ ٱلْغَنِيِّ ٱلْمَذْكُورُ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ . حَكَى ذَلِكَ

ووقف عليها أماكن ينفق من ريعها عليها ، وأمر بحسن نظامها وجودة تنسيقها ، وأن تفرش وتزخرف وتعلق الستور على أبوابها وممارها ، ورتب لها القوام والمشرفين ، وسهل على الناس الانتفاع بها فى المطالعة والدرس والتأليف ، وقد عد بعضهم دار العلم هذه مدرسة ، لأن الحاكم أقام بها القراء والمنجمين والأطباء وأصحاب النحو واللغة والفقه والأدب ، وأجرى عليهم الأرزاق ، وأباح الدخول اليها لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم من محبى القراءة ليغذوا عقولهم ، وينسخوا منها ماشاءوا ، وجعل فيها كل مايحتاجون اليه من الأوراق والأقلام والمحابر . وقد كان أسكن بها من شيوخ السنة شيخين يعرف أحدهما بأبى بكر الأنطاكى ، وخلع عليهما وقربهما ، ورسم لهما بحضور مجالسه وملازمته ، وجمع الفقهاء والمحدثين اليها وأمر أن يقرأ بها فضائل الصحابة ، ورفع عنهم الاعتراض فى ذلك ، وكان يدعو بعض علماء تلك الدار بين يديه و يأمرهم بالمناظرة - كما كان يفعل الخليفة المأمون - ثم يهب لهم الخلع النفيسة ، وأباح المناظرة للمترددين الى دار الحكمة ، فكانوا يعقدون المجتمعات بها وتقوم المناظرة بينهم ، وتطلق فيها حرية الأفكار والآراء فى غير زيغ ولا فساد « أحمد يوسف نجاتى »

الْأَمِيرُ الْمُخْتَارُ الْمَعْرُوفُ بِالْمُسَبِّحِىِّ (١) فِى تَارِيخِهِ .

وَالْهَرَوِىُّ بِفَتْحِ الْهَاءِ وَالرَّاءِ وَبَعْدَهَا وَاوٌ وَيَاءٌ ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى هَرَاةَ ، وَهِىَ مِنْ أَعْظَمِ مُدُنِ خُرَاسَانَ . وَجُنَادَةُ بِضَمِّ الْجِيمِ وَفَتْحِ النُّونِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ دَالٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ هَاءٌ سَاكِنَةٌ .

***

الجنيد بن الخزاز القواريرى

« أَبُو الْقَاسِمِ الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْجُنَيْدِ الْخَزَّازُ الْقَوَارِيرِىُّ الزَّاهِدُ الْمَشْهُورُ »

أَصْلُهُ مِنْ نَهَاوَنْدَ ، وَمَوْلِدُهُ وَمَنْشَؤُهُ الْعِرَاقُ ، وَكَانَ شَيْخَ وَقْتِهِ وَفَرِيدَ عَصْرِهِ ، وَكَلَامُهُ فِى الْحَقِيقَةِ مَشْهُورٌ مُدَوَّنٌ ، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِى ثَوْرٍ (٢) صَاحِبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِىِّ

(١) هو الأستاذ الأمير عز الملك المختار محمد بن أبى القاسم عبد الله بن أحمد بن اسماعيل بن عبد العزيز الكاتب الحرانى الأصل المصرى المولد والمنشأ، توفى سنة ٤٢٠ وستأتى ترجمته . « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو ابراهيم بن خالد الكلبى البغدادى الفقيه الامام المجتهد الثقة أحد الأعلام ، برع فى العلم والفقه ولم يقلد أحدا ، واستعمل أولا مذهب أهل الرأى من الحنفية حتى قدم الشافعى العراق فصحبه واتبعه وهو غير مقلد لأحد ، وقال له الامام محمد بن الحسن الفقيه الحنفى : غلبنا عليك هذا الحجازى- يعنى الشافعى- توفى أبو ثور سنة ٢٤٠ « أحمد يوسف نجاتى »

- رَضِىَ ٱللّٰهُ عَنْهُمَا - وَقِيلَ بَلْ كَانَ فَقِيهاً عَلَى مَذْهَبِ سُفْيَانَ ٱلثَّوْرِىِّ (١) - رَضِىَ ٱللّٰهُ عَنْهُ - ، وَصَحِبَ خَالَهُ ٱلسَّرِىَّ ٱلسَّقَطِىَّ (٢) ، وَٱلْحَارِثَ ٱلْمُحَاسِبِىَّ (٣) وَغَيْرَهُمَا مِنْ جِلَّةِ ٱلْمَشَايِخِ - رَضِىَ ٱللّٰهُ عَنْهُمْ ، وَصَحِبَهُ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ بْنُ سُرَيْجٍ ٱلْفَقِيهُ ٱلشَّافِعِىُّ (٤) ، وَكَانَ إِذَا تَكَلَّمَ فِى ٱلْأُصُولِ وَٱلْفُرُوعِ بِكَلَامٍ أَعْجَبَ ٱلْحَاضِرِينَ ، فَيَقُولُ لَهُمْ : أَتَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ لِى هَذَا ؟ ؟ هَذَا مِنْ بَرَكَةِ مُجَالَسَتِى أَبَا ٱلْقَاسِمِ ٱلْجُنَيْدَ . وَسُئِلَ ٱلْجُنَيْدُ عَنِ ٱلْعَارِفِ ، فَقَالَ : مَنْ نَطَقَ عَنْ سِرِّكَ وَأَنْتَ سَاكِتٌ (٥) ، وَكَانَ يَقُولُ : مَذْهَبُنَا هَذَا

---

(١) ستأتى ترجمته (٢) تأتى ترجمته فى حرف السين (٣) تأتى ترجمته فى حرف الحاء (٤) تقدمت ترجمته فى الألف « أحمد يوسف نجاتى » .

(٥) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

سئل الجنيد عن قوله تعالى « سنقرئك فلا تنسى » قال : سنقرئك التلاوة فلا تنسى العمل ، وعن قوله تعالى « ودرسوا مافيه » قال : تركوا العمل بما فيه . وقيل للجنيد : ما القناعة ؟ قال : ألا تجاوز إرادتك ماهولك فى وقتك . وحضر الجنيد موضعا فيه قوم يتواجدون على سماع يسمعونه وهو مطرق ، فقيل له : ياأبا القاسم مانراك تتحرك ؟ فقال « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب »

قال محمد بن ابراهيم : رأيت الجنيد فى النوم فقلت له : مافعل الله بك ؟

مُقَيَّدٌ بِالْأُصُولِ « الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ (١) » وَرُئِيَ يَوْمًا فِي يَدِهِ سُبْحَةٌ ، فَقِيلَ لَهُ : أَنْتَ مَعَ شَرَفِكَ تَأْخُذُ فِي يَدِكَ سُبْحَةً ! فَقَالَ : طَرِيقٌ وَصَلْتُ بِهِ إِلَى رَبِّي لَا أُفَارِقُهُ .

وَقَالَ الْجُنَيْدُ : قَالَ لِي خَالِي سَرِيٌّ السَّقَطِيُّ : تَكَلَّمْ عَلَى النَّاسِ (٢) - وَكَانَ فِي قَلْبِي حِشْمَةٌ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى النَّاسِ ، فَإِنِّي كُنْتُ أَتَّهِمُ نَفْسِي فِي اسْتِحْقَاقِي ذَلِكَ ، فَرَأَيْتُ لَيْلَةً فِي الْمَنَامِ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانَتْ

قال : طاحت تلك الاشارات ، وغابت تلك العبارات ، وفنيت تلك العلوم ونفدت تلك الرسوم ، ومانفعنا الا ركعات كنا نركعها فى الأسحار .

(١) لله در القائل :

تمسك بحبل الشرع واضرب بسيفه رقاب الأعادى واتخذ منه جوشنا
وليست بارخاء الشعور ولاية اذا كان منك القلب أسود عاطنا

أما هؤلاء الجهلة المدعون فليسوا بشهادة الجنيد على شىء من التصوف «أحمد يوسف نجاتى» (٢) يريد أن يأمره بوعظ الناس والتحدث اليهم ليفيد بذلك ويستفيد، وليحمله هذا على أن يعظ نفسه قبل أن يعظ الناس، فكان رضى الله عنه كما قال عن نفسه متحدثا بنعمة ربه : ما أخرج الله الى الناس علما وجعل لهم اليه سبيلا الا وقد جعل لى فيه حظا ونصيبا وقال بعض شيوخ المعتزلة لبعض الصوفية : رأيت لكم ببغداد شيخا يقال له الجنيد مارأت عينى مثله؛ كان الكتبة يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة لدقة كلامه، والشعراء لفصاحته، والمتكلمون لمعانيه، وكلامه ناء عن فهمهم

لَيْلَةَ جُمُعَةٍ ، فَقَالَ لِي تَـكَلَّمْ عَلَى ٱلنَّاسِ ، فَانْتَبَهْتُ وَأَتَيْتُ بَابَ ٱلسَّرِيِّ قَبْلَ أَنْ أُصْبِـحَ ، فَدَقَقْتُ ٱلْبَابَ ، فَقَالَ لِي: لَمْ تُصَدِّقْنَا حَتَّى قِيلَ لَكَ ! ، فَقَعَدْتُ فِي غَدٍ لِلنَّاسِ بِالْجَامِعِ ، وَٱنْتَشَرَ فِي ٱلنَّاسِ أَنَّ ٱلْجُنَيْدَ قَعَدَ يَتَـكَلَّمُ عَلَى ٱلنَّاسِ ، فَوَقَفَ عَلَيَّ غُلَامٌ نَصْرَانِيٌّ مُتَنَـكِّرًا ، وَقَالَ : أَيُّهَا ٱلشَّيْخُ : مَا مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ « ٱتَّقُوا فِرَاسَةَ ٱلْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ ٱللهِ » ؟ فَأَطْرَقْتُ ، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي وَقُلْتُ : أَسْلِمْ فَقَدْ حَانَ وَقْتُ إِسْلَامِكَ ، فَأَسْلَمَ ٱلْغُـلَامُ (١) .

وَقَالَ ٱلشَّـيْخُ ٱلْجُنَيْدُ : مَا ٱنْتَفَعْتُ بِشَيْءٍ ٱنْتِفَاعِي بِأَبْيَاتٍ سَمِعْتُهَا ، قِيلَ لَهُ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : مَرَرْتُ بِدَرْبِ ٱلْقَـرَاطِيسِ (٢) فَسَمِعْتُ جَارِيَةً تُغَـنِّي مِنْ دَارٍ ، فَأَنْصَتُّ لَهَا فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ :

---

(١) شرح الامام الجنيد الحديث عملا لاقولا ، وصدق الحديث الشريف فهدى الله به من كان مستعدا للهداية « أحمد يوسف نجاتى » (٢) كان من دروب بغداد « أحمد يوسف نجاتى »

إِذَا قلتُ: أَهْدَى الْهجْرُ لِى حُلَلَ الْبِلَى

تقُولِين: لَوْلَا الْهجْرُ لَمْ يَطِبِ الْحُبُّ

وَإِنْ قُلْتُ :هَذَا الْقَلْبُ أَحْرَقَهُ الْهَوَى

تقُولِى: بِنِيرَانِ الْهوَى شَرُفَ الْقَلْبُ

وَإِنْ قُلْتُ :مَا أَذْنَبْتُ ، قُلْتِ مُجِيبَةً :

حَيَاتُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبُ (١)

فَصَعِقْتُ وَصِحْتُ ، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ بِصَاحِبِ الدَّارِ قَدْ خرَجَ فقَالَ : مَا هَذَا يَا سَيِّدِى ؟ فَقُلْتُ لَهُ : مِمَّا سَمِعْتُ . فَقَالَ : أُشْهِدُكَ أَنَّهَا هِبَةٌ مِنِّى لَكَ ، فَقُلْتُ :قَدْ قَبِلْتُهَا، وَهِيَ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى . ثُمَّ زَوَّجْتُهَا لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا بِالرِّبَاطِ فَوَلَدَتْ لَهُ وَلَدًا نَبِيلًا ، وَنَشَأَ أَحْسَنَ نُشُوءٍ ، وَحَجَّ عَلَى قَدَمَيْهِ ثَلَاثِينَ حِجَّةً عَلَى الْوَحْدَةِ . وَآثَارُهُ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ وَتُوُفِّيَ يَوْمَ السَّبْتِ - وَكَانَ نَيْرُوزَ الْخَلِيفَةِ (٢) - سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ - وَقِيلَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ - آخِرَ سَاعَةٍ

(١) ويروى :

وان قلت ماذنبى اليك؟أجبتنى وجودك ذنب لايقاس به ذنب

(٢) هوالخليفة المقتدر، والنيروز كان من أعيادهم المعروفة «أحمد يوسف نجاتى»

مِنْ نَهَارِ ٱلْجُمُعَةِ بِبَغْدَادَ ، وَدُفِنَ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ بِالشُّونِيزِيَّةِ (١) عِنْدَ خَالِهِ سَرِيٍّ ٱلسَّقَطِيِّ ـ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمَا ـ وَكَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ ـ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى ـ قَدْ خَتَمَ ٱلْقُرْآنَ ٱلْكَرِيمَ ، ثُمَّ ٱبْتَدَأَ فِي ٱلْبَقَرَةِ فَقَرَأَ سَبْعِينَ آيَةً ، ثُمَّ مَاتَ . وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ ٱلْخَزَّازُ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْمَلُ ٱلْخَزَّ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ ٱلْقَوَارِيرِيُّ لِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ قَوَارِيرِيًّا (٢) ، وَٱلْخَزَّازُ بِفَتْحِ ٱلْخَاءِ ٱلْمُعْجَمَةِ وَتَشْدِيدِ ٱلزَّايِ وَبَعْدَ ٱلْأَلِفِ زَايٌ ثَانِيَةٌ ، وَٱلْقَوَارِيرِيُّ بِفَتْحِ ٱلْقَافِ وَٱلْوَاوِ وَبَعْدَ ٱلْأَلِفِ رَاءٌ مَكْسُورَةٌ ثُمَّ يَاءٌ مُثَنَّاةٌ مِنْ تَحْتِهَا سَاكِنَةٌ وَبَعْدَهَا رَاءٌ ثَانِيَةٌ . وَنَهَاوَنْدُ بِفَتْحِ ٱلنُّونِ ـ وَقَالَ ٱلسَّمْعَانِيُّ بِضَمِّ ٱلنُّونِ (٣) ـ وَفَتْحِ ٱلْهَاءِ وَبَعْدَ ٱلْأَلِفِ وَاوٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ نُونٌ سَاكِنَةٌ وَبَعْدَهَا دَالٌ مُهْمَلَةٌ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ مِنْ بِلَادِ ٱلْجَبَلِ ، قِيلَ إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

---

(١) مقبرة كانت ببغداد بالجانب الغربي بالقرب من نهر عيسى بن على الهاشمي ، دفن بها جماعة كثيرة من الصالحين والعلماء والأدباء ، وكان بها خانقاه للصوفية ، تنسب الى بعض من دفن فيها وكان يلقب بالشونيزي (٢) أي يبيع الزجاج (٣) وقال ياقوت بفتح النون وتكسر : مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ١٤ فرسخا « أحمد يوسف نجاتي »

بِنَاهَا ، وَكَانَ اُسْمُهَا نُوحَ أَوَنْد - وَمَعْنَى أَوَنْدَ بَنَى - فَعَرَّبُوهَا فَقَالُوا نَهَاوَنْدُ . وَالشُّونِيزِيَّةُ بِضَمِّ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ الْوَاوِ وَكَسْرِ النُّونِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَفِي آخِرِهَا زَايٌ ، وَهِيَ مَقْبَرَةٌ مَشْهُورَةٌ بِبَغْدَادَ ، بِهَا قُبُورُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَشَايِخِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ .

***

جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومى

« الْقَائِدُ أَبُو الْحُسَيْنِ جَوْهَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَعْرُوفُ بِالْكَاتِبِ الرُّومِيُّ »

كَانَ مِنْ مَوَالِي الْمُعِزِّ بْنِ الْمَنْصُورِ بْنِ الْقَائِمِ بْنِ الْمَهْدِيِّ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَجَهَّزَهُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ لِيَأْخُذَهَا بَعْدَ مَوْتِ الْأُسْتَاذِ كَافُورٍ الْإِخْشِيدِيِّ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ الْعَسَاكِرَ وَهُوَ الْمُقَدَّمُ ، وَكَانَ رَحِيلُهُ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ يَوْمَ السَّبْتِ رَابِعَ عَشَرَ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَمَانٍ

---

* ترجم له فى كتاب شذرات الذهب « ج ٣ ص ٩٨ » قال :

هو مولى المعز بالله ، ومقدم جيشه وظهيره ، ومؤيد دولته ، وموطد الممالك له ، وكان عاقلا سائسا حسن السيرة فى الرعية على دين مواليه ، ولم يزل عالى الرتبة نافذ الكلمة الى أن مات ، وجرت له فصول فى أخذ مصر يطول ذكرها .

وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَتَسَلَّمَ مِصْرَ يَوْمَ ٱلثُّلَاثَاءِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ
لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ شَعْبَانَ مِنَ ٱلسَّنَةِ ٱلْمَذْكُورَةِ ، وَصَعِدَ
ٱلْمِنْبَرَ خَطِيباً بِهَا يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ ، وَدَعَا
لِمَوْلَاهُ ٱلْمُعِزِّ ، وَوَصَلَتِ ٱلْبِشَارَةُ إِلَى مَوْلَاهُ ٱلْمُعِزِّ بِأَخْذِ
ٱلْبِلَادِ وَهُوَ بِإِفْرِيقِيَّةَ فِي نِصْفِ شَهْرِ رَمَضَانَ ٱلْمُعَظَّمِ مِنَ
ٱلسَّنَةِ ٱلْمَذْكُورَةِ ، وَأَقَامَ بِهَا حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ مَوْلَاهُ ٱلْمُعِزُّ
وَهُوَ نَافِذُ ٱلْأَمْرِ ، وَٱسْتَمَرَّ عَلَى عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ وَٱرْتِفَاعِ دَرَجَتِهِ
مُتَوَلِّيًا لِلْأُمُورِ إِلَى يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ سَابِعَ عَشَرَ ٱلْمُحَرَّمِ سَنَةَ
أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ، فَعَزَلَهُ ٱلْمُعِزُّ عَنْ دَوَاوِينِ مِصْرَ وَجِبَايَةِ
أَمْوَالِهَا وَٱلنَّظَرِ فِي أَحْوَالِهَا - وَكَانَ مُحْسِنًا إِلَى ٱلنَّاسِ - إِلَى
أَنْ تُوُفِّيَ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ ذِي ٱلْقَعْدَةِ سَنَةَ
إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ - رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى - وَكَانَتْ
وَفَاتُهُ بِمِصْرَ ، وَلَمْ يَبْقَ بِهَا شَاعِرٌ إِلَّا رَثَاهُ وَذَكَرَ مَآثِرَهُ .
وَكَانَ سَبَبُ إِنْفَاذِ مَوْلَاهُ ٱلْمُعِزِّ لَهُ إِلَى مِصْرَ أَنَّ كَافُورًا
ٱلْإِخْشِيدِيَّ ٱلْخَادِمَ - ٱلْآتِي ذِكْرُهُ فِي حَرْفِ ٱلْكَافِ - لَمَّا

تُوُفِّيَ اسْتَقَرَّ الرَّأْيُ بَيْنَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ أَنْ تَكُونَ الْوِلَايَةُ لِأَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْإِخْشِيدِ - وَكَانَ صَغِيرَ السِّنِّ - عَلَى أَنْ يَخْلُفَهُ ابْنُ عَمِّ أَبِيهِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ طُغْجٍ وَعَلَى أَنَّ تَدْبِيرَ الرِّجَالِ وَالْجَيْشِ إِلَى شَمُولَ[1] الْإِخْشِيدِيِّ ، وَتَدْبِيرَ الْأَمْوَالِ إِلَى أَبِي الْفَضْلِ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ الْوَزِيرِ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَدُعِيَ لِأَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْإِخْشِيدِ عَلَى الْمَنَابِرِ بِمِصْرَ وَأَعْمَالِهَا وَالشَّامَاتِ وَالْحَرَمَيْنِ ، وَبَعْدَهُ لِلْحُسَيْنِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ ، ثُمَّ إِنَّ الْجُنْدَ اضْطَرَبُوا لِقِلَّةِ الْأَمْوَالِ وَعَدَمِ الْإِنْفَاقِ فِيهِمْ - كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي تَرْجَمَةِ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ - فَكَتَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ وُجُوهِهِمْ إِلَى الْمُعِزِّ بِإِفْرِيقِيَّةَ يَطْلُبُونَ مِنْهُ إِنْفَاذَ الْعَسَاكِرِ لِيُسَلِّمُوا لَهُ مِصْرَ ،

---

(١) المشهور أن اسمه «سمول» بالسين المهملة ، وهو سمول الأخشيدى الكافورى صاحب الحمام بمصر ، وكان فى سنة ٣٥٨ قد ولى امرة دمشق الحسن بن عبيد الله بن طغج فأقام بها شهورا ، ثم رحل فى شعبان واستناب بها سمول الكافورى هذا ، ثم سار الحسن الى الرملة فالتقى مع جعفر بن فلاح مقدمة جوهر القائد فى ذى الحجة بالرملة ، فانهزم جيشه وأخذ أسيرا وحمل الى المغرب كما تقدم « أحمد يوسف نجاتى » .

فَأَمَرَ ٱلْقَائِدَ جَوْهَرًا ٱلْمَذْكُورَ بِالتَّجَهُّزِ إِلَى ٱلدِّيَارِ ٱلْمِصْرِيَّةِ وَٱتَّفَقَ أَنَّ جَوْهَرًا مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا أُيِسَ مِنْهُ فِيهِ، وَعَادَهُ مَوْلَاهُ ٱلْمُعِزُّ فَقَالَ: هٰذَا لَا يَمُوتُ، وَسَتُفْتَحُ مِصْرُ عَلَى يَدَيْهِ وَٱتَّفَقَ إِبْلَالُهُ[1] مِنَ ٱلْمَرَضِ وَقَدْ جُهِّزَ لَهُ كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْمَالِ وَٱلسِّلَاحِ وَٱلرِّجَالِ، فَبَرَزَ بِالْعَسَاكِرِ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ ٱلرَّقَّادَةُ[2] وَمَعَهُ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ فَارِسٍ

---

(١) أبل من مرضه اذا برأ ونال الشفاء (٢) رقادة بلدة كانت بافريقية بينها و بين القيروان أربعة أميال، ولم يكن بافريقية أطيب هواء ولاأعدل نسيما وأرق تربة منها، بناها ابراهيم بن أحمد بن الأغلب التميمي عامل افريقية الذي وليها سنة ٢٦١ «وكان حسن السيرة شهما» وانتقل اليها من مدينة القصر القديم «المسماة قصر قيروان، كانت مدينة عظيمة في قبلي القيروان بينهما ٤ أميال، أول من أسسها ابراهيم بن الأغلب بن سالم سنة ١٨٤ وصارت دار امراء بني الأغلب، وكانت تجاورها مدينة يقال لها الرصافة خربتا معا بعمارة رقادة» و بنى ابراهيم بمدينة رقادة قصورا عجيبة ومسجدا جامعا، ولم تزل بعد ذلك دار ملك لبني الأغلب الى أن هرب عنها زيادة الله بن أبي عبد الله الشيعي وسكنها عبيد الله المهدي سنة ٢٩٧ الى أن انتقل الى المهدية سنة ٣٠٨ وكان ابتداء تأسيس ابراهيم بن أحمد لها سنة ٢٦٣، فلما انتقل عبيد الله عنها الى المهدية دخلها الوهن وترحل عنها ساكنوها، ولم تزل معاول الخراب تتناولها شيئا فشيئا حتى ولي الأمر المعز لدين الله الفاطمي فخرب ما بقي من آثارها، ولم يبق منها شيء غير بساتينها. ثم أنحت عليها الأيام، فانطوت رقادة في بطن الثرى «أحمد يوسف نجاتي».

وَمَعَهُ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ صُنْدُوقٍ مِنَ الْمَالِ ، وَكَانَ الْمُعِزُّ يَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ وَيَخْلُو بِهِ وَيُوصِيهِ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِالْمَسِيرِ ، وَخَرَجَ لِوَدَاعِهِ ، فَوَقَفَ جَوْهَرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْمُعِزُّ مُتَّكِئًا عَلَى فَرَسِهِ يُحَدِّثُهُ سِرًّا زَمَانًا ، ثُمَّ قَالَ لِأَوْلَادِهِ أَنْزِلُوا لِوَدَاعِهِ ، فَنَزَلُوا عَنْ خُيُولِهِمْ ، وَنَزَلَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ لِنُزُولِهِمْ ، ثُمَّ قَبَّلَ جَوْهَرٌ يَدَ الْمُعِزِّ وَحَافِرَ فَرَسِهِ ، فَقَالَ لَهُ : ارْكَبْ ، فَرَكِبَ وَسَارَ بِالْعَسَاكِرِ ، وَلَمَّا رَجَعَ الْمُعِزُّ إِلَى قَصْرِهِ أَنْفَذَ لِجَوْهَرٍ مَلْبُوسَهُ وَكُلَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ سِوَى خَاتَمِهِ وَسَرَاوِيلِهِ . وَكَتَبَ الْمُعِزُّ إِلَى عَبْدِهِ أَفْلَحَ صَاحِبِ بَرْقَةَ أَنْ يَتَرَجَّلَ لِلْقَائِدِ جَوْهَرٍ وَيُقَبِّلَ يَدَهُ عِنْدَ لِقَائِهِ ، فَبَذَلَ أَفْلَحُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ عَلَى أَنْ يُعْفَى مِنْ ذٰلِكَ فَلَمْ يُعْفَ ، وَفَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ عِنْدَ لِقَائِهِ لِجَوْهَرٍ . وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى مِصْرَ بِوُصُولِهِمْ فَاضْطَرَبَ أَهْلُهَا ، وَاتَّفَقُوا مَعَ الْوَزِيرِ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ عَلَى الْمُرَاسَلَةِ فِي الصُّلْحِ وَطَلَبِ الْأَمَانِ وَتَقْرِيرِ أَمْلَاكِ أَهْلِ الْبَلَدِ عَلَيْهِمْ ، وَسَأَلُوا أَبَا جَعْفَرٍ

مُسلِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِيَّ أَنْ يَكُونَ سَفِيرَهُمْ ، فَأَجَابَهُمْ وَشَرَطَ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ ، وَكَتَبَ الْوَزِيرُ مَعَهُمْ أَيْضًا بِمَا يُرِيدُ ، وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ الْقَائِدِ جَوْهَرٍ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ، وَكَانَ جَوْهَرٌ قَدْ نَزَلَ فِي تَرُوجَةَ[1] - وَهِيَ قَرْيَةٌ بِالْقُرْبِ مِنَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ - فَوَصَلَ إِلَيْهِ الشَّرِيفُ بِمَنْ مَعَهُ وَأَدَّى الرِّسَالَةَ ، فَأَجَابَهُ إِلَى مَا الْتَمَسُوهُ ، وَكَتَبَ لَهُ جَوْهَرٌ عَهْدًا بِمَا طَلَبُوهُ . وَاضْطَرَبَ الْبَلَدُ اضْطِرَابًا شَدِيدًا ، وَأَخَذَتِ الْإِخْشِيدِيَّةُ وَالْكَافُورِيَّةُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْعَسْكَرِ الْأُهْبَةَ لِلْقِتَالِ ، وَسَتَرُوا مَا فِي دُورِهِمْ ، وَأَخْرَجُوا مَضَارِبَهُمْ ، وَرَجَعُوا عَنِ الصُّلْحِ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ جَوْهَرًا فَرَحَلَ إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ الشَّرِيفُ قَدْ وَصَلَ بِالْعَهْدِ وَالْأَمَانِ فِي سَابِعِ شَعْبَانَ ، فَرَكِبَ إِلَيْهِ الْوَزِيرُ وَالنَّاسُ ، وَاجْتَمَعَ

---

(١) وكانت تعد من كور البحيرة من أعمال الاسكندرية ، و بقيت هذه القرية قائمة حتى القرن التاسع الهجرى، ثم درست مساكنها وذهب بها العفاء ،وموضعهاالآن الأراضى التى بناحية زاوية صقر بمركز أبى المطامير من مديرية البحيرة . « أحمد يوسف نجاتى »

عِنْدَهُ ٱلْجُنْدُ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ ٱلْعَهْدَ ، وَأَوْصَلَ إِلَى كُلٍّ وَاحِدٍ جَوَابَ كِتَابِهِ بِمَا أَرَادَ مِنَ ٱلْإِقْطَاعِ وَٱلْمَالِ وَٱلْوِلَايَةِ ، وَأَوْصَلَ إِلَى ٱلْوَزِيرِ جَوَابَ كِتَابِهِ وَقَدْ خُوطِبَ فِيهِ بِالْوَزِيرِ، فَجَرَى فَصْلٌ طَوِيلٌ فِي ٱلْمُشَاجَرَةِ وَٱلِامْتِنَاعِ ، وَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ رِضًا ، وَقَدَّمُوا عَلَيْهِمْ نِحْرِيرَ ٱلشُّوَيْزَانِيِّ[1] وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بِالْإِمَارَةِ ، وَتَهَيَّئُوا لِلْقِتَالِ ، وَسَارُوا بِالْعَسَاكِرِ نَحْوَ ٱلْجِيزَةِ وَنَزَلُوا بِهَا ، وَحَفِظُوا ٱلْجُسُورَ ، وَوَصَلَ ٱلْقَائِدُ جَوْهَرٌ إِلَى ٱلْجِيزَةِ ، وَٱبْتُدِئَ بِالْقِتَالِ فِي ٱلْحَادِيَ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ ، وَأُسِرَتْ رِجَالٌ ، وَأُخِذَتْ خَيْلٌ ، وَمَضَى جَوْهَرٌ إِلَى مُنْيَةِ ٱلصَّيَّادِينَ[2] ، وَأَخَذَ ٱلْمَخَاضَةَ بِمُنْيَةِ شَلْقَانَ[3] ، وَٱسْتَأْمَنَ إِلَى جَوْهَرٍ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْعَسْكَرِ فِي ٱلْمَرَاكِبِ ، وَجَعَلَ أَهْلُ مِصْرَ عَلَى ٱلْمَخَاضَةِ مَنْ يَحْفَظُهَا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ جَوْهَرٌ

---

(١) فى بعض المراجع « ابن الشويزانى » (٢) قال ابن الجيعان فى كتابه التحفة السنية : انها من صفقة بشتيل « التى هى اليوم احدى قرى مركز امبابة ، وتسمى الآن « ميت النصارى » وهى مشتركة فى السكن مع ناحيتى أمبابة ووراق الحضر بمركز امبابة (٣) هى القرية المسماة « شلقان » الى الشرق من القناطر الخيرية من مراكز قليوب بمديرية القليوبية « أحمد يوسف نجاتى »

قَالَ لِجَعفَرِ بْنِ فَلاحٍ : لِهٰذَا الْيَوْمِ أَرَادَكَ الْمُعِزُّ ، فَعبَرَ عُرْيَانًا فِي سَرَاوِيلَ وَهُوَ فِي مَرْكَبٍ، وَمَعَهُ الرِّجَالُ خَوْضًا حَتَّى خَرَجُوا إِلَيْهِمْ ، وَوَقَعَ الْقِتَالُ ، فَقُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْإِخْشِيدِيَّةِ وَأَتْبَاعِهِمْ ، وَانْهَزَمَتِ الْجَمَاعَةُ فِي اللَّيْلِ ، وَدَخَلُوا مِصْرَ ، وَأَخَذُوا مِنْ دُورِهِمْ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ وَانْهَزَمُوا ، وَخَرَجَ حَرَمُهُمْ مُشَاةً وَدَخَلْنَ عَلَى الشَّرِيفِ أَبِي جَعْفَرٍ[1] فِي مُكَاتَبَةِ الْقَائِدِ بِإِعَادَةِ الْأَمَانِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُهَنِّئُهُ بِالْفَتْحِ وَيَسْأَلُهُ إِعَادَةَ الْأَمَانِ ، وَجَلَسَ النَّاسُ عِنْدَهُ يَنْتَظِرُونَ الْجَوَابَ ، فَعَادَ إِلَيْهِ بِأَمَانِهِمْ ، وَحَضَرَ رَسُولُهُ وَمَعَهُ بَنْدٌ[2] أَبْيَضُ ، وَطَافَ عَلَى النَّاسِ يُؤَمِّنُهُمْ وَيَمْنَعُ مِنَ النَّهْبِ ، فَهَدَأَ الْبَلَدُ ، وَفُتِحَتِ الْأَسْوَاقُ ، وَسَكَنَ النَّاسُ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ . فَلَمَّا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ وَرَدَ رَسُولُهُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ بِأَنْ تَعْمَلَ عَلَى لِقَائِي يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً تَخْلُو مِنْ شَعْبَانَ بِجَمَاعَةِ الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ وَوُجُوهِ الْبَلَدِ ، فَانْصَرَفُوا مُتَأَهِّبِينَ لِذَلِكَ ،

(١) هو أبو جعفر مسلم بن عبيد الله بن طاهر العلوى النسابة المتقدم .

(٢) البند : الراية أو العلم الكبير فارسى معرب، تكلمت به العرب قديما

ثُمَّ خَرَجُوا وَمَعَهُمُ الْوَزِيرُ جَعْفَرٌ وَجَمَاعَةُ الْأَعْيَانِ إِلَى الْجِيزَةِ وَالْتَقَوْا بِالْقَائِدِ ، وَنَادَى مُنَادٍ : يَنْزِلُ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَّا الشَّرِيفَ وَالْوَزِيرَ ، فَنَزَلُوا وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَاحِدًا وَاحِدًا — وَالْوَزِيرُ عَنْ شِمَالِهِ وَالشَّرِيفُ عَنْ يَمِينِهِ — وَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ السَّلَامِ ابْتَدَأُوا فِي دُخُولِ الْبَلَدِ ، فَدَخَلُوا مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ وَعَلَيْهِمُ السِّلَاحُ وَالْعُدَدُ ، وَدَخَلَ جَوْهَرٌ بَعْدَ الْعَصْرِ وَطُبُولُهُ وَبُنُودُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَلَيْهِ ثَوْبُ دِيبَاجٍ مُثْقَلٌ(١) وَتَحْتَهُ فَرَسٌ أَصْفَرُ، وَشَقَّ مِصْرَ ، وَنَزَلَ فِي مُنَاخِهِ : مَوْضِعِ الْقَاهِرَةِ الْيَوْمَ ، وَاخْتَطَّ مَوْضِعَ الْقَاهِرَةِ . وَلَمَّا أَصْبَحَ الْمِصْرِيُّونَ حَضَرُوا إِلَى الْقَائِدِ لِلْهَنَاءِ فَوَجَدُوهُ قَدْ حَفَرَ أَسَاسَ الْقَصْرِ فِي اللَّيْلِ ، وَكَانَ فِيهِ زَوْرَاتٌ(٢) جَاءَتْ غَيْرَ مُعْتَدِلَةٍ فَلَمْ تُعْجِبْهُ ، ثُمَّ قَالَ : حُفِرَتْ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ وَفِي سَاعَةٍ سَعِيدَةٍ فَلَا أُغَيِّرُهَا . وَأَقَامَ عَسْكَرُهُ يَدْخُلُ إِلَى الْبَلَدِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ أَوَّلُهَا الثُّلَاثَاءُ الْمَذْكُورُ . وَبَادَرَ جَوْهَرٌ بِالْكِتَابِ

(١) أى مثقل بالحلى أو بالجواهر « وفى بعض المراجع » « مذهب » .

(٢) أى مواضع انحراف واعوجاج ، وفى بعض المراجع « ازورارات »

إِلَى مَوْلَاهُ الْمُعِزِّ يُبَشِّرُهُ بِالْفَتْحِ ، وَأَنفذَ إِلَيْهِ رُءوسَ الْقَتْلَى فِي الْوَقْعَةِ ، وَقَطَعَ خُطْبَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ عَنْ مَنَابِرِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَكَذَلِكَ اسْمَهُمْ مِنْ عَلَى السِّكَّةِ[1] ، وَعَوَّضَ عَنْ ذَٰلِكَ بِاسْمِ مَوْلَاهُ الْمُعِزِّ ، وَأَزَالَ الشِّعَارَ الْأَسْوَدَ[2] ، وَأَلْبَسَ الْخُطَبَاءَ الثِّيَابَ الْبِيضَ . وَجَعَلَ يَجْلِسُ بِنَفْسِهِ فِي كُلِّ يَوْمِ سَبْتٍ لِلْمَظَالِمِ بِحَضْرَةِ الْوَزِيرِ وَالْقَاضِي وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَكَابِرِ الْفُقَهَاءِ . وَفِي يَوْمِ الْجُمْعَةِ الثَّامِنِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ أَمَرَ جَوْهَرٌ بِالزِّيَادَةِ عَقِبَ الْخُطْبَةِ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى ، وَعَلَى عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى ، وَعَلَى فَاطِمَةَ الْبَتُولِ[3] ، وَعَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سِبْطَيِ الرَّسُولِ ، الَّذِينَ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ[4] وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا ، اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى الْأَئِمَّةِ

---

(١) السكة : حديدة منقوشة كتب عليها تضرب عليها الدراهم ، وقد تطلق على الدراهم والدنانير المضروبين فيسمى كلاهما سكة لأنه طبع بالحديدة المعلمة له (٢) هو شعار بنى العباس وكانوا يسمون المسودة (٣) البتول من بتله اذا قطعه أو ميزه عن غيره وأبانه منه ، لقبت فاطمة البتول لانقطاعها عن نساء زمانها وعن نساء الأمة فضلا ودينا وحسبا وعفافا ، وتشبيها فى المنزلة بالسيدة مريم العذراء عليها السلام ، وهى بتول لانقطاعها من الأزواج أو لانقطاعها عن الدنيا الى الله تعالى (٤) الرجس كل ما استقذر من العمل

الطَّاهِرِينَ آبَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ(١) . وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَامِنَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ صَلَّى الْقَائِدُ فِي جَامِعِ ابْنِ طُولُونَ بِعَسْكَرٍ كَثِيرٍ ، وَخَطَبَ عَبْدُ السَّمِيعِ بْنُ عُمَرَ الْعَبَّاسِيُّ الْخَطِيبُ ، وَذَكَرَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَفَضَائِلَهُمْ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - وَدَعَا لِلْقَائِدِ ، وَجَهَرَ الْقِرَاءَةَ « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » وَقَرَأَ سُورَةَ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي الصَّلَاةِ ، وَأُذِّنَ بِحَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ - وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَذَّنَ بِهِ بِمِصْرَ(٢)-

وفسر فى الآية الكريمة بمعنى الشك والريب أيضا (١) فى بعض المراجع زيادة « المعز لدين الله » . « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) كان الأذان أولا بمصر كأذان أهل المدينة « كما هو اليوم » فلم يزل الأمر بمصر على ذلك فى جامع عمرو بالفسطاط وفى جامع العسكر وفى جامع أحمد بن طولون و بقية المساجد الى أن قدم القائد جوهر و بنى القاهرة. فلما كان يوم الجمعة ٨ من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ صلى القائد جوهر الجمعة فى مسجد ابن طولون وخطب به عبد السميع بن عمر العباسى وأذن المؤذنون « حى على خير العمل » وهو أول ما أذن به بمصر ، وصلى به عبد السميع الجمعة فقرأ سورة الجمعة واذا جاءك المنافقون ، وقنت فى الركعة الثانية وانحط الى السجود ونسى الركوع ، فصاح به على بن الوليد قاضى عسكر جوهر : بطلت الصلاة أعد ظهرا أربع ركعات ، وأنكر جوهر على عبد السميع أنه لم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فى كل سورة ولا قرأها فى الخطبة ومنعه من ذلك - وفى ٢٦ جمادى الأولى أذن فى الجامع العتيق بقولهم « حى على خير العمل » وجهروا فى الجامع بالبسملة فى الصلاة ، ولم يزل الأذان بمصر على مذهب

ثُمَّ أُذِّنَ بِهِ فِي سَائِرِ الْمَسَاجِدِ. وَقَنَتَ الْخَطِيبُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَفِي جُمَادَى الأُولَى مِنَ السَّنَةِ أَذَّنُوا فِي جَامِعِ مِصْرَ الْعَتِيقِ بِحَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ، وَسُرَّ الْقَائِدُ جَوْهَرٌ بِذَلِكَ وَكَتَبَ إِلَى الْمُعِزِّ وَبَشَّرَهُ بِذَلِكَ(١)، وَلَمَّا دَعَا الْخَطِيبُ عَلَى الْمِنْبَرِ لِلْقَائِدِ جَوْهَرٍ أَنْكَرَ عَلَيْهِ وَقَالَ: لَيْسَ هَذَا رَسْمُ مَوَالِينَا. وَشَرَعَ فِي عِمَارَةِ الْجَامِعِ بِالْقَاهِرَةِ، وَفَرَغَ مِنْ بِنَائِهِ فِي السَّابِعِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ، وَجَمَعَ فِيهِ الْجُمُعَةَ. قُلْتُ: وَأَظُنُّ هَذَا الْجَامِعَ هُوَ الْمَعْرُوفُ

الشيعة الفاطمية حتى استقل بمصر السلطان صلاح الدين وأزال الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ وكان شافعى المذهب فأبطل من الأذان «حى على خير العمل» وعاد الناس الى آذان مكة وفيه تربيع التكبير وترجيع الشهادتين، ثم أحدث محتسب القاهرة صلاح الدين عبد الله بن عبد الله البرلسى بعد سنة ٧٦٠ التسليم على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الأذان ليلة الجمعة. «أحمد يوسف نجاتى».

(١) زاد فى النسخة الخطية مانصه:

وفرح المعز فرحا شديدا ومدحه الشعراء ـ فمن ذلك قول محمد بن هانىء الأندلسى من أبيات:

يقول بنو العباس: هل فتحت مصر؟ فقل لبنى العباس: قد قضى الأمر
ومذ جاوز الأسكندرية جوهر تطالعه البشرى ويقدمه النصر

بِالْأَزْهَرِ بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِ الْبَرْقِيَّةِ[١] بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَابِ النَّصْرِ فَإِنَّ الْجَامِعَ الْآخَرَ بِالْقَاهِرَةِ الْمُجَاوِرَ لِبَابِ النَّصْرِ مَشْهُورٌ بِالْحَاكِمِ الْآتِي ذِكْرُهُ . وَأَقَامَ جَوْهَرٌ مُسْتَقِلًّا بِتَدْبِيرِ مَمْلَكَةِ مِصْرَ قَبْلَ وُصُولِ مَوْلَاهُ الْمُعِزِّ إِلَيْهَا أَرْبَعَ سِنِينَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا . وَلَمَّا وَصَلَ الْمُعِزُّ إِلَى الْقَاهِرَةِ - كَمَا هُوَ فِي تَرْجَمَتِهِ - خَرَجَ جَوْهَرٌ مِنَ الْقَصْرِ إِلَى لِقَائِهِ ، وَلَمْ يُخْرِجْ مَعَهُ شَيْئًا مِنْ آلَتِهِ سِوَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ ، ثُمَّ لَمْ يَعُدْ إِلَيْهِ ، وَنَزَلَ فِي دَارِهِ بِالْقَاهِرَةِ . وَسَيَأْتِي أَيْضًا طَرَفٌ مِنْ خَبَرِهِ فِي تَرْجَمَةِ مَوْلَاهُ الْمُعِزِّ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . وَكَانَ وَلَدُهُ الْحُسَيْنُ قَائِدَ الْقُوَّادِ لِلْحَاكِمِ صَاحِبِ مِصْرَ ، وَكَانَ قَدْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْحَاكِمِ ، فَهَرَبَ هُوَ وَوَلَدُهُ وَصِهْرُهُ الْقَاضِي عَبْدُ الْعَزِيزِ[٢] بْنُ النُّعْمَانِ - وَكَانَ زَوْجَ أُخْتِهِ - فَأَرْسَلَ

(١) كانت حارة البرقية كبيرة « نزلها جماعة كثيرون من أهل برقة واستوطنوها فعرفت بهم، وكانوا قد حضروا صحبة المعز لدين الله لما قدم من بلاد المغرب، وموضعها اليوم المنطقة التي يخترقها شارع الدراسة، وتشمل المساحة الواسعة التي بين كفر الطماعين وشارع الملوة وشارع الكفر وشارع الغريب وجهة المجاورين وبرج الظفر وهذه النواحي» «أحمد يوسف نجاتي»

(٢) هو القاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان بن محمد بن منصور بن

ٱلْحَاكِمُ مَنْ رَدَّهُمْ وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ ، وَآنَسَهُمْ مُدَّةً مَدِيدَةً ، ثُمَّ حَضَرُوا إِلَى ٱلْقَصْرِ بِالْقَاهِرَةِ لِلْخِدْمَةِ ، فَتَقَدَّمَ ٱلْحَاكِمُ إِلَى رَاشِدٍ ٱلْحَقِيقِيِّ[1] — وَكَانَ سَيْفَ ٱلنِّقْمَةِ — فَاسْتَصْحَبَ عَشَرَةً مِنَ ٱلْغِلْمَانِ ٱلْأَتْرَاكِ وَقَتَلُوا ٱلْحُسَيْنَ وَصِهْرَهُ ٱلْقَاضِيَ وَأَحْضَرُوا رَأْسَيْهِمَا إِلَى بَيْنِ يَدَىِ ٱلْحَاكِمِ ، وَكَانَ قَتْلُهُمْ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِمِائَةٍ — رَحِمَهُمُ ٱللّٰهُ تَعَالَى — وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبَرُ ٱلْحُسَيْنِ فِي تَرْجَمَةِ بَرْجَوَانَ .

حيون، تزوج ابنة القائدجوهر سنة ٣٧٥ وكان يتولى قضاء الاسكندرية ثم قضاء القاهرة ومصر ،ثم صرفه الحاكم عن القضاء سنة ٣٩٨ حتى قتل سنة ٤٠١ وكان مولده سنة ٣٥٤ وقد تقدم التعريف بالقاضى النعمان وبنيه،وستأتى فى حرف النون ترجمته . « أحمد يوسف نجاتى » (١)هذه الكلمة « الحقيقى » غير موجودة فيما بين يدىمن المراجع ، وقدتكون مصحفة عن « الخفيفى » نسبة الى « خفيف الصقلبى الذى كان من موالى المعز ،وراشد هذا كان خادم الحاكم ، ويسمى براشد العزيزى» « أحمد يوسف نجاتى » ،

***

« أَبُو ٱلْمَنْصُورِ جِهَارَكَسُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلنَّاصِرِيُّ ٱلصَّلَاحِيُّ ٱلْمُلَقَّبُ فَخْرَ ٱلدِّينِ »

جهاركس بن عبد الله الناصرى

كَانَ مِنْ كُبَرَاءِ أُمَرَاءِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلصَّلَاحِيَّةِ ، وَكَانَ كَرِيمًا نَبِيلَ ٱلْقَدْرِ عَالِىَ ٱلْهِمَّةِ ، بَنَى بِٱلْقَاهِرَةِ ٱلْقَيْسَارِيَّةَ ٱلْكُبْرَى (١) ٱلْمَنْسُوبَةَ إِلَيْهِ ، رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ ٱلتُّجَّارِ ٱلَّذِينَ طَافُوا ٱلْبِلَادَ يَقُولُونَ : لَمْ نَرَ فِى شَىْءٍ مِنَ ٱلْبِلَادِ مِثْلَهَا فِى حُسْنِهَا وَعِظَمِهَا وَإِحْكَامِ بِنَائِهَا ، وَبَنَى بِأَعْلَاهَا

(١) بناها فى سنة ٥٩٢ ولم تزل فى يد ورثته حتى اشتريت فى سنة ٦٥٥ لوالدة خليل المسماة بشجرة الدر ، ثم آلت بعد الى وقف الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة بعد سلار على ورثته ـ هذا وقد كان الأمير فخر الدين جهاركس مقدم الطائفة الناصرية « أو الصلاحية » والحاكم بديار مصر فى أيام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب الى أن مات العزيز فمال الأمير فخر الدين الى ولاية ابن الملك العزيز ، ثم جرت الأمور بعد ذلك على غير ما كان يشتدحبه له ، فسار الى القدس مع بعض الأمراء وغلبوا عليه ، ثم لما تولى الملك العادل أبو بكر بن أيوب أمر مصر استولى فخر الدين جهاركس على بانياس بأمر العادل ، ثم انحرف عنه ، وكانت له أنباء الى أن مات فانقضى أمر الطائفة الصلاحية بموته « وبانياس اسم بلدة صغيرة ذات أشجار وأنهار تقرب من دمشق بينهما

مَسْجِدًا كَبِيرًا وَرَبْعًا مُعَلَّقًا . وَتُوُفِّيَ فِي بَعْضِ شُهُورِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّمِائَةٍ بِدِمَشْقَ ، وَدُفِنَ فِي جَبَلِ الصَّالِحِيَّةِ[1] ، وَتُرْبَتُهُ مَشْهُورَةٌ هُنَاكَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَجِهَارَكَسُ بِكَسْرِ الْجِيمِ وَفَتْحِ الْهَاءِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ رَاءٌ ثُمَّ كَافٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ سِينٌ مُهْمَلَةٌ ، وَمَعْنَاهُ بِالْعَرَبِيِّ أَرْبَعَةُ أَنْفُسٍ ، وَهُوَ لَفْظٌ عَجَمِيٌّ مُعَرَّبُهُ إِسْتَارٌ ، وَالْإِسْتَارُ[2] أَرْبَعُ أَوَاقٍ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِهِ .

نحو مرحلة ونصف » وكان فخر الدين جهاركس كريما آبيا شجاعا . « أحمد يوسف نجاتى » (١) الصالحية قرية كبيرة فى لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق ، وفيها قبور جماعة من الصالحين ، وكان أكثر أهلها من الوافدين اليها من بيت المقدس على مذهب الامام أحمد بن حنبل (٢) هو معرب « جهار » بالفارسية أى أربعة ، ورد فى الشعر القديم ، قال جرير :

ان الفرزدق والبعيث وأمه   وأبا البعيث لشر ما إستار

أى شر أربعة ، وإستار القوم رابعهم ، وقيل هو فى كلامهم كل أربعة من جنس واحد ، وهو فى كلام أهل التفسير والقراء يراد به أربعة نفر هم . عاصم ، وحمزة ، والكسائى ، والأعمش ، ثم اتسعوا فيه فاستعملوه فى كل أربع « والاستار فى الزنة أربعة مثاقيل ونصف ، وهو معرب أيضا » « أحمد يوسف نجاتى » .

﴿ انتهى الجزء الثالث من كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ﴾
ويليه الجزء الرابع إن شاء الله وأوله

﴿ حرف الحاء ﴾

فى التعريف بأبى تمام حبيب بن أوس بن الحرث الشاعر المشهور

فهرست

الجزء الثالث من كتاب وفيات الأعيان وأبناء الزمان

مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب — الدكتور أحمد فريد رفاعي بك

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية — مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

وفيات الأعيان

وأبناء الزمان

للقاضي أحمد الشهير بابن خلكان

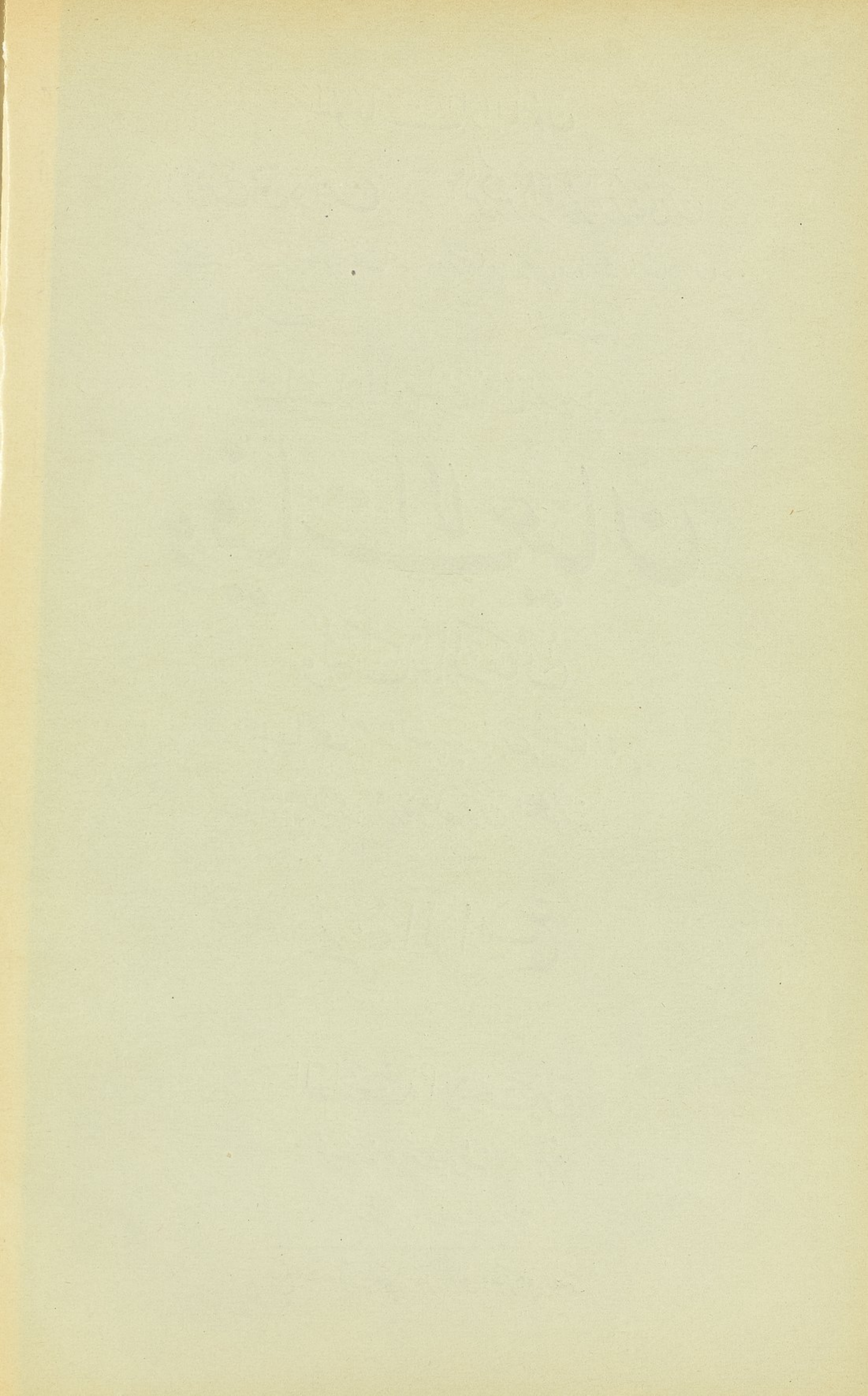
راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء الرابع

الطبعة الأخيرة

مهذبة ، مضبوطة ، مزيدة

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر



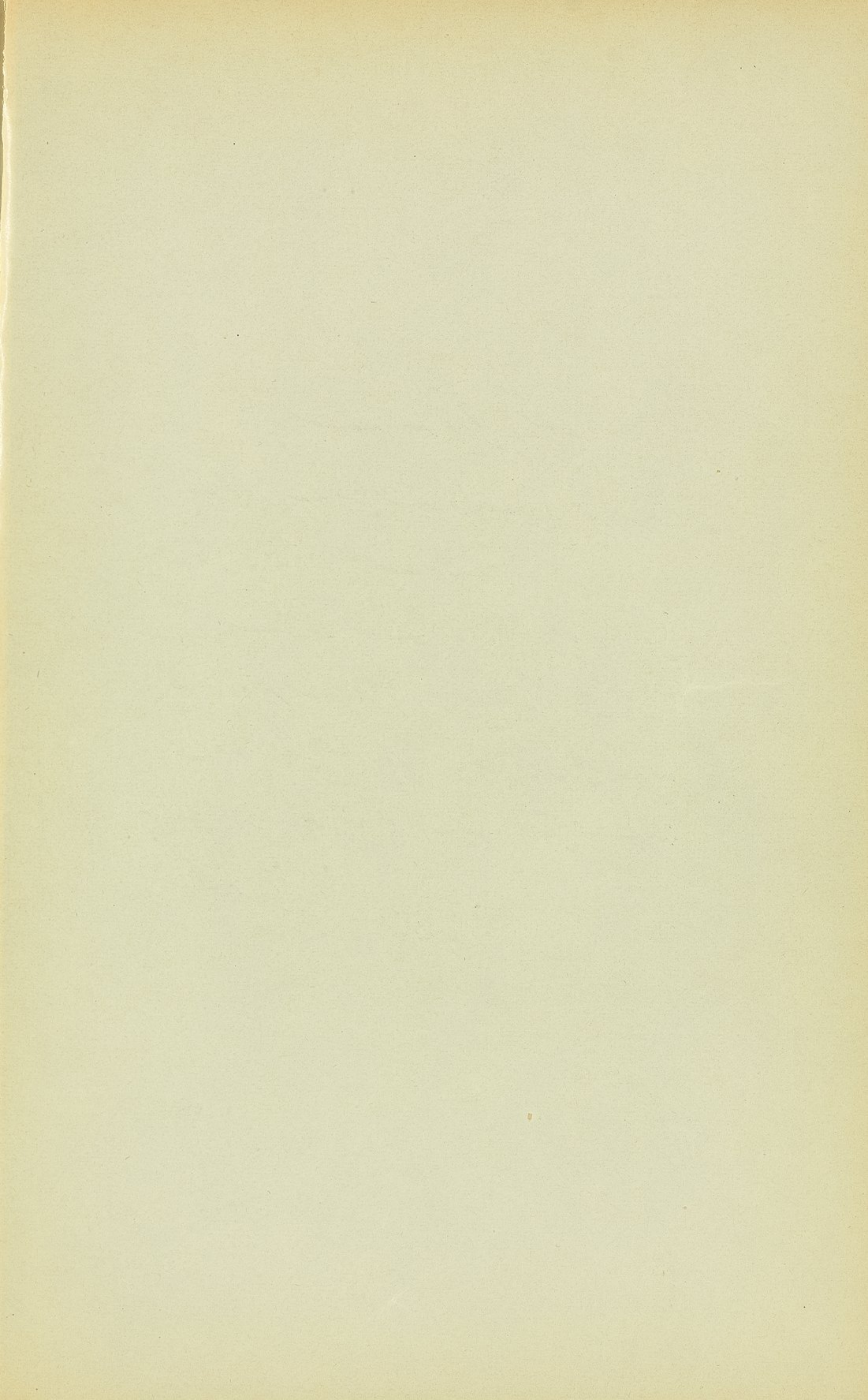
بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعد

فقد قال العماد الأصفهاني

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

العماد الأصفهاني



بسم الله الرحمن الرحيم

حَرْفُ الْحَاءِ

***

حبيب بن أوس الشهير بجلهمة

« أَبُو تَمَّامٍ حَبِيبُ بْنُ أَوْسِ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ قَيْسِ ابْنِ الْأَشَجِّ بْنِ يَحْيَ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ مُرٍّ بْنِ سَعْدِ بْنِ كَاهِلِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْغَوْثِ بْنِ طَيٍّءٍ « وَاسْمُهُ جُلْهُمَةُ » بْنُ أُدَدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ »

وَذَكَرَ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ بِشْرِ بْنِ يَحْيَ الْآمِدِىُّ[1]

---

(١) هو الأديب المشهور صاحب كتاب الموازنة وكتاب المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء وغيرهما من التصانيف المشهورة فى الأدب وكان بالبصرة يكتب بين يدى القضاة بها، وتوفى سنة ٣٧٠ وهو منسوب الى مدينة آمد التى كانت أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا وأشهرها ذكرا، وعلى نشزها دجلة تحيط بأكثرها وتلتف حولها كالهلال، وينسب اليها خلق من أهل العلم فى كل علم وفن . « أحمد يوسف نجاتى »

فِي كِتَابِ ٱلْمُوَازَنَةِ بَيْنَ ٱلطَّائِيَّيْنِ مَا صُورَتَهُ : وَٱلَّذِي عِنْدَ أَكْثَرِ ٱلنَّاسِ فِي نَسَبِ أَبِي تَمَّامٍ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ نَصْرَانِيًّا مِنْ أَهْلِ جَاسِمَ - قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى دِمَشْقَ - يُقَالُ لَهُ[1] تَدُوسُ ٱلْعَطَّارُ، فَجَعَلُوهُ أَوْسًا، وَقَدْ لُفِّقَتْ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى طَيِّءٍ ، وَلَيْسَ فِيمَنْ ذُكِرَ فِيهَا مِنَ ٱلْآبَاءِ مَنِ ٱسْمُهُ مَسْعُودٌ[2] ، وَهَذَا بَاطِلٌ مِمَّنْ عَمِلَهُ ، وَلَوْ كَانَ نَسَبُهُ صَحِيحًا

(١) في الأصل «لها» وهو سهو (٢) أقول اني مع اكباري لأبي القاسم الآمدي آخذ عليه هذه الهفوة التي أوقعه فيها تحامله على أبي تمام وتعصبه للبحتري تعصبا كاد يغمط به حق حبيب ، ولم يدع أبو تمام ولا غيره أن من جدوده من يسمى مسعودا ، وأصل ذلك قصيدة أبي تمام التي يمدح فيها القاضي أحمد ابن أبي دواد و يعتذر اليه « وكان قد بلغ القاضي أن أبا تمام مدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى الغز والى الصامتى الطائى صاحب حميد الطوسى بقصيدة يفضل فيها اليمن على مضر ، و ينسب الى اليمنيين كل مكرمة و يعرض بغير ممدوحه » وابن أبي دواد كان من نزار بن معد بن عدنان - وكان معروفا بالعصبية - فقال معتذرا ومتنصلا بقصيدته الدالية التي مطلعها :

سقى عهد الحمى سيل العهاد   وروض حاضر منه ببادى

يقول فيها :

أتاني عاير الأنباء تسرى   عقاربه بداهيـة نآد
بأنى نلت من مضر، وخبت   اليك شكيتي خبب الجواد

ولما أنشد أبو تمام هذه القصيدة لابن أبي دواد ولم يقبل عذره عمل قصيدة دالية أخرى يعتذر اليه و يستشفع بخالد بن يزيد بن مزيد الشيباني المتوفى سنة ٢٣٠ وأول القصيدة :

لَمَا جَازَ أَنْ يَلْحَق طَيِّئاً بِعَشَرَةِ آبَاءٍ . قُلْتُ وَذَكَرَ الْآمِدِيُّ هَذَا فِي قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

أرأيت أى سوالف وخدود عنت لنا بين اللوى فزرود

يقول فيها :

مالى بربع منهم معهود الا الأسى وعزيمة المجلود
ان كان مسعود سقى أطلالهم سيل الشؤون فلست من مسعود
ظعنوا فكان بكاى حولا كاملا ثم ارعويت ، وذاك حكم لبيد
أجدر بجمرة لوعة اطفاؤها بالدمع أن تزداد طول وقود

« ومسعود هنا هو مسعود أخو ذى الرمة ، وهو الذى أشار اليه ذو الرمة بقوله :

عشية مسعود يقول ـ وقد جرى على لحيتى من واكف الدمع قاطر
أفى الدار تبكى اذ بكيت صبابة وأنت امرؤ قد أجلتك العشائر ؟!

فكان مسعود يلوم أخاه ذا الرمة على ملازمته البكاء ، فأبو تمام يقول : ان كان مسعود قد رجع عن مذهبه وصار يندب فى شعره الأطلال و يبكيها ويستذرف لها العبرات ويسقيها فلست منه ، وهذا أبلغ فى التبرؤ منه مما اذا كان هذا شأنه ، كقول القائل : ان كان حاتم قد بخل فلست منه ، وأشار بقوله : وذاك حكم لبيد ، الى قول لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وهذا ما يؤيده كلام أبى تمام ، فقد بين أسباب ما ذهب اليه بقوله : ظعنوا الخ والأبيات بعده ـ وان كانوا قد عابوا عليه ذلك وقالوا انه خلاف ما عليه العرب وضد ما يعرف من معانيها ، لأن من شأن الدمع أن يطفىء نار الغليل ، و يبرد حرارة الحزن ، ويزيل شدة الوجد ، و يعقب الراحة ، وذلك فى أشعارهم كثير فمن ذلك قول امرىء القيس :

وان شفائى عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول ؟ !

وقول ذى الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفى نجى البلابل

إِنْ كَانَ مَسْعُودٌ سَقَى أَطْلَالَهُمْ

سَيْلَ الشُّئُونِ فَلَسْتُ مِنْ مَسْعُودِ

وَقَدْ سَقَطَ فِي النَّسَبِ بَيْنَ قَيْسٍ (١) وَدَفَافَهُ سِتَّةٌ

وقول الخنساء :

ان البكاء هو الشفا ءمن الجوى بين الجوانح

وقول الفرزدق :

فقلت لها : ان البكاء لراحة به يشتفى من ظن أن لا تلاقيا

وذلك كثير جدا فى أشعارهم — وأرى أن أبا تمام لم ينفرد بهذا الرأى وأن له مذهبا احتج له ، ولاسيما أنه جعل أبياته هذه وسيلة للدخول على مدح القاضى وحسن التخلص اليه ، كما يظهر من الاطلاع على القصيدة فى ديوانه ولم ينفرد أبو تمام بهذا المذهب ، بل له فيه أنصار ، وهذا البحترى يقول :

فعلام فيض مدامع تدنى الجوى وعذاب قلب فى اجتناب معذب ؟!

ويقول أبو الطيب :

بأبى الوحيد وجيشه متكاثر يبكى ، ومن شر السلاح الأدمع

واذا حصلت من السلاح على البكى فحشاك رعت به ، وخدك تقرع

على أن أبا تمام لم يخرج دائما الى هذا المذهب ، ولكنه يسير فى المذهبين بحسب المناسبات والأغراض التى يساق اليها الكلام شأن غيره من الشعراء فقد قال :

نثرت فريد مدامع لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المغرم

وقال أيضا :

فلعل عبرة ساعة أذريتها تشفيك من أرباب وجد محول

وقد أطلنا القول هنا لبيان اللبس وايضاح المبهم . « أحمد يوسف نجاتى »

(١) فى العبارة شىء من الغموض ؛ وكان من حق الكتاب أن يأتى بنسبه

آباءٍ ، وقَوْلُ أَبِي تمَّامٍ : « فَلَسْتُ مِنْ مَسْعُودٍ » لا يَدُلُّ على أَنَّ مَسْعُودًا مِنْ آبائِهِ ، بَلْ هـذا كمَا يُقالُ : ما أنا مِنْ فُلانٍ وَلا فلانٌ مِنِّى ، يُرِيدُونَ بهِ الْبُعْدَ مِنْهُ وَالْأَنَفَةَ ، وَمِنْ هذا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَلَدُ الزِّنَا لَيْسَ مِنَّا » ، « وَعَلِىٌّ مِنِّى وَأَنا مِنْهُ » وَقَدْ ساقَ الْخَطِيبُ أبُو بَكْرٍ فِي تاريخِ بَغْدادَ نَسَبَهُ وَفِيهِ تَغْيِيرٌ يَسِيرٌ . وَقالَ الصُّولِيُّ : قالَ قَوْمٌ إِنَّ أَبا تَمَّامٍ هُوَ حَبِيبُ بْنُ تَدُوسَ النَّصْرانِىُّ (١)

كاملا و يسوق الآباء الستة التى سقطت ، والذى فى تاريخ بغداد أن الأشج بن يحيى « بن مزينا بن سهم بن ملحان بن مروان بن دفافة » بن مر بن سعد الخ

(١) هذا رأى لا نتعرض الآن لنفيه ولا اثباته، فلذلك موضع آخر من كتابنا الجامع فى الأدب ، ولكنى أنصح بمراجعة كتاب الموازنة ، وقراءة ديوان أبى تمام ،فقد تقف من ذلك على ترجيح أحد الرأيين على الآخر ومن الحق أن فى تاريخ أولية أبى تمام شيئا من الغموض غير قليل،فان الرواة كما اختلفوا فى نسبه أعربى طائى هو أم نصرانى شامى رومى اختلفوا فى سنة ميلاده من سنة ١٨٠ الى سنة ١٩٢ وكذلك لم يتفقوا على سنة موته مع أنه توفى بعد أن خلف وراءه ذلك الاسم السائر والصيت الذائع، فهم يختلفون فى تاريخ وفاته من سنة ٢٢٨ الى سنة ٢٣٢ ومما عنينا به أنه قل من هجاه بنفيه عن العرب وعيره بأنه ليس منهم — وقد كان صدر العصر العباسى لايزال ولا سيما لدى الرواة والأدباء زمان يشرف فيه من ينتمى الى العرب وبخاصة الى جذم عظيم منهم كقبيلة طيء التى كان يلهج أبو تمام كثيرا بالانتساب اليها، و يعتز بالانتماء الى مشهور يهاجى

فَغُيِّرَ فَصَارَ أَوْسًا . وَكَانَ وَاحِدَ عَصْرِهِ فِي دِيبَاجَةِ لَفْظِهِ (١) ،
وَنَصَاعَةِ شِعْرِهِ (٢) وَحُسْنِ أُسْلُوبِهِ . وَلَهُ كِتَابُ الْحَمَاسَةِ
الَّتِي دَلَّتْ عَلَى غَزَارَةِ فَضْلِهِ وَإِتْقَانِ مَعْرِفَتِهِ بِحُسْنِ اخْتِيَارِهِ (٣) ،
وَلَهُ مَجْمُوعٌ آخَرُ سَمَّاهُ (فُحُولَ الشُّعَرَاءِ) جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ
طَائِفَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمُخَضْرَمِينَ وَالْإِسْلَامِيِّينَ ،
وَلَهُ كِتَابُ (الِاخْتِيَارَاتِ مِنْ شِعْرِ الشُّعَرَاءِ) وَكَانَ لَهُ مِنَ
الْمَحْفُوظَاتِ مَا لَا يَلْحَقُهُ فِيهِ غَيْرُهُ ، وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ

لقد سامى فى ذلك عظماء عصره ورؤساء الدولة فى أيامه — ومما هجى به قول بعض الشعراء :

لو أن عبد مناف فى أرومتهم ... تقبلوك لما ضروا ولا نفعوا

مرباع قومك ناقوس وشمعلة ... فاذكر مرابيعكم فيها اذا ارتبعوا

« شمعلة اليهود قراءتهم اذا اجتمعوا فى فهرهم أى مدارسهم يجتمعون بها فى الأعياد للصلاة والعبادة واظهار مايناسب العيد ، وكذلك النصارى « أحمد يوسف نجاتى » (١) الديباج « لفظ معرب » ضرب من الثياب موشى ، ومنه قالوا دبج اذا نقش وزين ، ودبج المطر الأرض اذا زانها بالرياض ، وتوسعوا فى استعمال الديباجة فقالوا : لهذه القصيدة ديباجة حسنة اذا كانت محبرة منقحة ذات رونق وصفاء عبارة (٢) نصع نصاعة أى خلص ووضح وبان ، وفى بعض المراجع « وفصاحة شعره » وفى الأصل « وبضاعة » وهو تصحيف (٣) قالوا :

قد عرفناك باختيارك اذ كا ... ن دليلا على اللبيب اختياره

يَحفَظُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ أُرْجُوزَةٍ لِلعَرَبِ غَيْرَ الْقَصَائِدِ وَالْمقَاطِيعِ (١) . وَمَدَحَ الْخُلَفَاءَ وَأخذ جَوائِزَهُمْ ، وَجَابَ الْبِلَادَ ، وَقَصَدَ الْبَصْرَةَ وَبِهَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمُعَذَّلِ (٢) الشَّاعِرُ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِوُصُولِهِ ـ وَكَانَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ غِلْمَانِهِ وَأَتْبَاعِهِ ـ خَافَ مِنْ قُدُومِهِ أَنْ يَمِيلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَيُعْرِضُوا عَنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ قَبلَ دُخُولِهِ الْبَلَدَ :

---

(١) المقطوعة ماقصر من الشعر أن يكون قصيدة ، ولا تستبعد كثرة هذا المحفوظ ، وسيأتى فى ترجمة أبى بكر الخوارزمى مايشبه هذا ، مع العلم بأن أبا تمام كان مشغوفا بالشعر مشغولا به مدة عمره فى تخيره ودراسته ، والاطلاع على شعر العصور التى سبقت عصره ، والشعراء الذين أدركهم «أحمد يوسف نجاتى» وقالوا : اختيار المرء رائد عقله ودليل فضله

(٢) هو أبو القاسم عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم ، ينتهى نسبه الى أسد بن ربيعة بن نزار ، وأم عبد الصمد أم ولد يقال لها الزرقاء وهو شاعر بصرى فصيح من شعراء صدر العصر العباسى ، وكان هجاء خبيث اللسان شديد العارضة رقيق الشعر ذا خلاعة ومجون وميل الى اللهو ، وتوفى سنة ٢٤٠ وأخوه أحمد بن المعذل كان أيضا شاعرا الا أنه كان ذا عفاف ودين ومروءة ، وكان له جاه واسع فى بلده وعند سلطانه لايقار به عبد الصمد فيه ـ وهو أشعر منه ـ فكان يهجوه ويحسده فيحلم أحمد عنه ، وهو معدود من فقهاء المالكية ومتكلميهم ومن متقدمى المعتزلة ، وتوفى أحمد أيضا سنة ٢٤٠ وكان أبوهما المعذل بن غيلان شاعرا أديبا كذلك ذا مروءة وفضل وهو القائل :

أَنْتَ بَيْنَ اُثْنَتَيْنِ تَبْرُزُ لِلنَّا
سِ ، وَكِلْتَاهُمَا بِوَجْهٍ مُـــذَالِ (١)
لَسْتَ تَنْفَكُّ رَاجِياً لِوِصَالٍ
مِنْ حَبِيبٍ ، أَوْ طَالِباً لِنَـوَالِ
أَىُّ مَاءٍ يَبْـقَى لِوَجْهِكَ هَـذَا (٢)
بَيْنَ ذُلِّ اُلْهَوَى وَذُلِّ اُلسُّـؤَالِ ؟!

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى اُلْأَبْيَاتِ أَضْرَبَ عَنْ مَقْصِدِهِ وَرَجَعَ ، وَقَالَ : قَدْ شَغَلَ هَذَا مَا يَلِيهِ ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ . وَقَدْ

ولست بميال الى جانب الغنى اذا كانت العلياء فى جانب الفقر
وانى لصبـار عـلى ماينوبنى وحسبك أن الله أثنى على الصبر

وروى عنه عمر بن شبة ، ويكنى المعذل أبا عمرو ، وكان له أحـد عشر ولدا كلهم أديب شاعر ، وكان من أهل الـكوفة ، وقدم البصرة مع عيسى ابن جعفر بن المنصور وأقام بها هو وولده ، وله فى جعفر بن سليمان مدائح وكذا كان جدهما غيـلان بن الحـكم بن أعين شاعرا ، وروى عنه وعن ابنه المعذل شىء من اللغة والأخبار والحديث ليس بكثير . وذيوع شهرة أبى تمام والبحترى فى عصرهما غطت على شهرة بنى المعذل ، وقد غمر حبيب ابن أوس ذكر عبـد الصمد مع أنه كان من فحول المحدثين وصدورهم المعدودين « أحمد يوسف نجاتى »

(١) من أذال الشىء اذا أهانه ولم يصنه ولم يحسن القيام عليه (٢) ويروى : أى ماء لحر وجهك يبقى . وحر الوجه مابدا من الوجنة أو ماأقبل عليك منه

ذَكَرْتُ نَظِيرَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ(١) فِي تَرْجَمَةِ الْمُتَنَبِّي فِي حَرْفِ الْهَمْزَةِ(٢). وَلَمَّا قَالَ ابْنُ الْمُعَذَّلِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فِي أَبِي تَمَّامٍ

(١) هما البيتان :

أى فضل لشاعر يطلب الفضـ ل من الناس بكرة وعشيا ؟!

عاش حينا يبيع بالكوفة الما ء، وحينا يبيع ماء المحيا

(٢) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

ورأيت الناس مطبقين على أنه مدح الخليفة بقصيدته السينية التى أولها :

مافى وقوفك ساعة من باس نقضى ذمام الأربع الأدراس

فلعل عينك أن تعين بمائها والدمع منه خاذل ومواسى (١)

ثم قال : ولأبى تمام المذكور :

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه لخر يلثم منه موطئ القدم

وللبحترى أيضا فى هذا المعنى (٢) :

ولو ان مشتاقا تكلف فوق ما فى وسعه لسعى إليك المنبر

ولما سار المأمون الى بلاد الشام يريد غزو الروم مدحه أبو تمام بقصيدتين

(١) الذمام : العهد والحقوق ،والأربع: الديار ، والأدراس الممحوة الأثر والخاذل: تارك الاعانة ، والمؤاسى: المسعد المعين (٢) من قصيدة غراء يمدح بها الخليفة المتوكل ، وهذا المعنى قد طرقه الشعراء كثيرا : قال الفرزدق

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم

وقال كثير :

لو كان حيا قبلهن ظعائنا حيا الحطيم وجوههن وزمزم

وقال أبو الطيب المتنبى :

لو تعقل الشجر التى قابلتها مدت محيية اليك الأغصنا

ولأبى تمام أيضا فى هذا المعنى :

تكاد مغانيه تهش عراصها فتركب من شوق الى كل راكب

فلم يجد من يوصلهما إليه ـ وذلك قبل قدوم أبى تمام العراق ، ثم صار الى العراق فى خلافة المعتصم ـ فمن ذلك قوله فى المأمون قصيدة (١) قال فيها :

أعوام وصل كاد ينسى طولها ذكر النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أردفت نحوى أسى فكأنها أعوام (٢)
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

حتى بلغ فيها :

أتحدرت عبرات عينك أن دعت ورقاء حين تضعضع الاظلام
لاتشجين لها ، فان بكاءها ضحك ، وان بكاءك استغرام
هن الحمام ، فان كسرت عيافة من حائهن فانهن حمام

حكى عن يموت بن المزرع (٣) قال : كان أحمد بن المدبر (٤) اذا مدحه شاعر ولم يرض شعره أمر غلمانه أن يمضوا به الى المسجد فلا يفارقوه حتى يصلى مائة ركعة ، وكان هذا دأبه ، قال : فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدين ، فأتاه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصرى المعروف بالجمل (٥) ، فاستأذنه فى النشيد ، فقال له : عرفت الشرط ؟ قال : نعم ، فأنشده :

---

(١) مطلع هذه القصيدة :

دمن ألم بها فقال سلام كم حل عقدة صبره الالمام

(٢) انبرت : اعترضت . والأسى : الحزن كالشجو ، ولأبى تمام أيضا :

لو سعت بقعة لأعظام نعمى لسعى نحوها المكان الجديب

(٣) تأتى ترجمته فى حرف الياء (٤) هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن المدبر ، كان كاتبا أديبا ، وممن تولوا الأعمال الجليلة ، وكان يتولى خراج مصر ودمشق والأردن وفلسطين ، وفى سنة ٢٦٧ وثب عليه أحمد ابن طولون وحبسه وأخذ أمواله ، ثم صالحه على ستمائة ألف دينار ، ثم حبس بعد ذلك وتوفى سنة ٢٧٠ فى سجنه « أحمد يوسف نجاتى »

(٥) كان من نابغى الشعراء فى الدولة الطولونية ، وله بديهة حاضرة وأجوبة

أردنا فى أبى حسن مديحا   كما بالمدح تنتجع الولاة
فقلنا : أكرم الثقلين طرا   ومن كفيه دجلة والفرات
فقالوا: يقبل المدحات، لكن   جوائزه عليهن الصلاة
فقلت لهم : وما يغنى عيالى   صلاتى؟! إنما الشأن الزكاة
فيأمر لى بكسر الصاد منها   فتصبح لى الصلاة هى الصلات

فضحك ابن المدبر ، وقال : من أين أخذت هذا ؟ وممن وقع لك ؟ قال أخذته من قول أبى تمام :

* هن الحمام فان كسرت عيافة *

قال فأعجبه صدقه ، ووصله . ومن قصيدته الأخرى التى يمتدح بها المأمون التى أولها :

كشف الغطاء فأوقدى أو أخمدى   لم تكمدى فظننت أن لم تكمدى

ويقول منها :

أولى أمة أحمد ما أحمد   بمضيع ما أوليت أمة أحمد
أما الهدى فقد اقتدحت بزنده   للعالمين ، فويل من لا يهتدى

حدث الصولى (١) محمد بن يحيى ، قال : حدثنى يحيى بن على (٢) قال كان محمد بن القاسم بن مهرويه يقدم دعبلا على أبى تمام ، فقلت له : بأى شىء قدمته ؟ فلم يأت بمقنع ، فجعلت أنشده محاسنهما، فاذا محاسن

لطيفة ، كان يصحب الامام الشافعى رضى الله عنه وتوفى سنة ٢٥٩ . « أحمد يوسف نجاتى » (١) محمد بن يحيى ، وستأتى ترجمته ، توفى سنة ٣٣٥
(٢) يحيى بن على بن يحيى بن أبى منصور أبو أحمد المنجم ، حدث عن أبيه وعن الزبير بن بكار واسحق الموصلى ، وروى عنه ابنه يوسف وابن أخيه على بن هرون بن على وأبو بكر محمد بن يحيى الصولى وغيرهم ، وكان أديبا شاعرا مطبوعا ذا افتنان فى علوم العرب والعجم ، ونادم غير واحد من الخلفاء ، وجالس المعتصم واختص به وبالمكتفى من بعده ، وجالس الموفق ، وهو من شجرة الأدب الناضرة ، وأنجمه الزاهرة ، فاضل الآباء والأجداد ، منجب الأهل والأولاد ، ولد سنة ٢٤١ ، وتوفى سنة ٣٠٠

أبى تمام أكثر وأظهر ،وإذا عيوب دعبل أخش ، وأقام على رأيه وتعصبه لدعبل ، فقلت (١) :

يا أبا جعفر أتحكم فى الشعـر وما فيك آلة الحكام ؟
إن نقد الدينار إلا على الصيرف صعب فكيف نقد الكلام؟
قد رأيناك ليس تفرق فى الأشعار بين الأرواح والأجسام
إنما يعرف العتيق من المحدث قين فى وقت عرض الحسام
لا تقيسن دعبلا بحبيب ليس خف البعير مثل السنام

قال عبد الله بن المعتز : جاءنى محمد بن يزيد النحوى (٢) فجرى ذكر أبى تمام ، فلم يوفه حقه ، فقال له رجل من الكتاب كان فى المجلس ما رأيت أحدا أحفظ لشعر أبى تمام منه : يا أبا العباس ضع يدك على من شئت من الشعراء ثم انظر أيحسن أن يقول مثل هذا ، قال أبو تمام لأبى المغيث موسى بن ابراهيم الرافقى يعتذر إليه :

لعمرى لقد أقوت مغانيكم بعدى ومحت كما محت وشائع من برد(٣)

---

(١) هذه الأبيات لابن الرومى (٢) هو أبو العباس المبرد، وتأتى ترجمته
(٣) الرواية : شهدت لقد أقوت الخ وأقوت الدار اذا خلت وأقفرت ، والمغانى جمع مغنى وهو المنزل كان يغنى به أهله أى يقيمون ، ومح الأثر ذهب ومحى ، والوشائع :أعلام الثوب وخطوطه جمع وشيعة ،والبرد:الثوب الموشى ذو النقش والخطوط ـ وكان أبو تمام قد مدح أبا المغيث ومكث ينتظر معروفه ، فلم يدرك منه سولا، ولم يبلغ مأمولا، و بلغ أبا المغيث أن أبا تمام هجاه، بل وصل اليه شىء من الشعر الذى هجى به ، فقال أبو تمام هذه القصيدة الدالية البديعة يعتذر اليه ـ ثم كان أن هجا أبو تمام أبا المغيث هجاء مرا بغير قصيدة،منها التى مطلعها :

فاض اللئام وغاضت الأحساب واجتثت العلياء والآداب

ومنها البيت السابق فى تعليقنا وهو : هب من له شىء يريد حجابه الخ .
« أحمد يوسف نجاتى » .

وأنجدتم من بعد إتهام داركم　　فيادمع أنجدنى على ساكنى نجد

ثم مر فيها حتى بلغ الى قوله فى الاعتذار :

أتانى مع الركبان ظن ظننته　　لففت له رأسى حياء من المجد

لقد نكب الغدر الوفاء بساحتى　　اذن، وسرحت الذم فى مسرح الحمد

وهتكت بالقول الخنا حرمة العلا　　وأسلكت حر الشعر فى مسلك العبد

الى أن قال :

أألبس هجر القول من لو هجوته　　اذن لهجانى عنه معروفه عندى ؟!

كريم متى أمدحه أمدحه والورى　　معى ، واذا مالمته لمته وحدى

ثم قال : ومن باب الجود قول أبى تمام من قصيدة يمدح الخليفة المعتصم أولها :

أجل أيها الربع الذى خف آهله　　لقد أدركت فيك النوى ماتحاوله

بيمن أبى اسحاق طالت يد الهوى　　وقامت قناة الدين واشتد كاهله

هو البحر من أى النواحى أتيته　　فلجته المعروف والجود ساحله

تعود بسط الكف حتى لو انه　　دعاها لقبض لم تجبه أنامله

وللبحترى فى هذا المعنى :

لايتعب النائل المبذول همته　　وكيف يتعب عين الناظر النظر ؟

وهذان المعنيان لاغاية وراءهما . وقال ابن أبى داود لأبى تمام : إن لك أبياتا أنشدتها ، فلو قلتها زاهدا أو معتبرا أو حاثا على طاعة الله لكنت أحسنت وبالغت ، فأنشدنيها ، قال : وما هى ؟ قال : التى قافيتها « فأدخلها » فأنشد :

مالى أرى الحجرة الفيحاء مقفلة　　عنى ، وقد طال مااستفتحت مقفلها ؟!

كأنها جنة الفردوس معرضة　　وليس لى عمل زاك فأدخلها

حدث الصولى : دخل أبو تمام على أحمد بن أبى دواد — وقد كان عتب عليه فى شىء — فاعتذر اليه وقال : أنت الناس كلهم ، ولا طاقة لى بغضب جميع الناس، فقال له ابن أبى دواد : ماأحسن هذا ! فمن أين أخذته ؟ قال من قول الحاذق «يعنى الحسن بن هانىء أبا نواس» فى الفضل بن الربيع (١)

---

(١) السابق الى هذا المعنى جرير بقوله :

ليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم فى واحد

وحدث الصولى عن الحسن بن وهب (١) قال: لما دخل مازيار (٢) على المعتصم — وكان عليه شديد الغيظ — قيل له لا تعجل عليه فان عنده أموالا ، فأنشد بيت أبى تمام :

إن الأسود أسود الغاب همتها   يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب (٣)

اذا غضبت عليك بنو تميم   حسبت الناس كلهم غضابا

وتقدم فى ترجمة جرير هذا البيت والقول فيه. وستأتى ترجمة الفضل ابن الربيع . « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو وأخوه سليمان بن وهب كانا من أعيان عصرهما فضلا ونبلا ونباهة وأدبا و بلاغة وظرفا ، وكان الحسن يكتب لمحمد عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، وولى ديوان الرسائل وكان شاعرا بليغا ومترسلا فصيحا . وقد مدح هذين الأخوين وأسرتهما جماعة كثيرة من أعيان الشعراء كأبى تمام والبحترى ومن فى طبقتهما ، وفى بنى وهب يقول أبو تمام من قصيدة :

كل شعب كنتم به آل وهب   فهو شعبى وشعب كل أديب

ان قلبى لكم لكالكبد الحر   رى وقلبى لغيركم كالقلوب

ولنا مع هذه الأسرة حديث طويل ممتع . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) مازيار بن قارن خالف عن أمر المعتصم سنة ٢٢٤ بطبرستان ، وظلم وعسف وصادر وخرب ، وعاث فى البلاد فسادا ، فوجه المعتصم الجيوش لمحاربته حتى ظفر به ، واختلف عليه جنده ، وقصته هو وبابك الخرمى مبسوطة فى كتب التاريخ ، وقتل سنة ٢٢٥ وفى ذلك يقول أبو تمام فى قصيدته الفائقة :

ألحق أبلج والسيوف عوارى   فحذار من أسد العرين حذار

ولقد شفى الأحشاء من برحائها   أن صار بابك جار مازيار

(٣) من قصيدته الآتية ، والسلب ما على القتيل وما معه من ثياب وسلاح ودابة « أحمد يوسف نجاتى »

قال قلت له : هذا يتمثل به العلماء فى كل المقتولين ، فقال : أبلغ الناس بأنه كان يحفظ قصيدة أبى تمام ، ثم قتله . وحدث على بن يحيى بن على ابن مهدى ، قال : كان المنجمون حكموا لما خرج المعتصم الى الروم بأنه لا يرجع من وجهه ، فلما فتح مافتح وخرب عمورية (١) ، وانصرف سالما قال أبو تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب　　فى حده الحد بين الجد واللعب (٢)
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى　　متونهن جلاء الشك والريب (٣)
والعلم فى شهب الأرماح لامعة　　بين الخميسين لا فى السبعة الشهب (٤)

قال الحسن بن وهب : دخل أبو تمام على محمد بن عبد الملك الزيات فأنشده قصيدته التى أولها :

لهان علينا أن نقول وتفعلا　　ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا

فلما بلغ الى قوله :

ووالله لا آتيك الا فريضة　　وآتى جميع العالمين تنفلا
وليس امرؤ فى الناس كنت سلاحه　　عشية يلقى الحادثات بأعزلا (٥)

قال : أنا والله ما أحب بمدحك مدح غيرك لتجويدك وابداعك، ولكن تنغص مدحك ببذلك له لغير مستحقه ، فقال : لسان العذر معقول وان كان فصيحا — ومر فى القصيدة — فأمر له بخمسة آلاف درهم، وكتب اليه بعد ذلك :

رأيتك سهل البيع سمحا ، وانما　　يغالى اذا ماضن بالشىء بائعه (٦)

---

(١) مدينة فى بلاد الروم غزاها المعتصم سنة ٢٢٣ . «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) الحد الثانى بمعنى القضاء والفصل (٣) الصفائح جمع صفيحة وهو السيف العريض (٤) الخميسان : الجيشان المتحاربان (٥) الأعزل من لاسلاح له (٦) غالى بالشىء اذا رفع قيمته و بذل فيه الثمن الغالى — و بعد البيتين ثالث هو :

هو الماء ان أجممته طاب ورده　　وتفسد منه ماتباح شرائعه

فأما الذى هانت بضائع بيعه فيوشك أن تبقى عليه بضائعه

فأجابه أبو تمام :

أبا جعفر إن كنت أصبحت تاجرا أساهل فى بيعى له من أبايعه
فقد كنت قبلى شاعرا تاجرا به تساهل من عادت عليه منافعه (١)

قال الصولى . لما كلم خالد بن يزيد (٢) أحمد بن أبى دواد فى أمر أبى تمام قال أبو تمام يشكره :

لأشكرنك إن لم أرث من أجلى شكرا يوافيك عنى آخر الأبد
و إن توردت من بحر البحور ندى فلم أنل منه إلا غرفة بيدى

قال محمد بن يزيد النحوى : خرج أبو تمام الى خالد بن يزيد الى أرمينية ، فامتدحه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم ركب يزيد ليتصيد فرآه تحت شجرة وقدامه ركوة فيها نبيذ وغلام بيده طنبور ، فقال : حبيب ؟ ! قال : خادمك وعبدك ، فقال له : ما فعل المال ؟ فقال :

علمنى جودك السماح فما أبقيت شيئا لدى من صلتك
ما مر شهر حتى سمحت به كأن لى قدرة كمقدرتك
ينفق فى يومه الهبات وفى الـ ساعة ما تجتبيه فى سنتك
فلست أدرى من أين ينفق لو لا أن ربى يمد فى هبتك

فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى ، فأخذها وانصرف . ولأبى تمام — وقد

---

(١) و بعدهما :

وصرت وزيرا والوزارة مشرب يغص به بعد اللذاذة كارعه
وكم من وزير قد رأينا مسلطا رأيناه قد سدت عليه مطالعه
ولله قوس لا تطيش سهامها ولله سيف لا تفل مقاطعه

وكرع فى الماء اذا تناوله بفيه من موضعه « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى من أعاظم القواد والولاة فى العصر العباسى ، ولى أعمال الموصل وغيرها ، ولما انتقض أمر أرمينية فى أيام الخليفة الواثق جهز اليها خالد بن يزيد فاعتل فى الطريق ، ومات سنة ٢٣٠ ورثاه أبو تمام بعدة قصائد ، وله فيه مدائح غراء « أحمد يوسف نجاتى » .

اعتل إلياس(١) صاحب عبد الله بن طاهر ـ:

فان يكن وصبٍ قاسيت سورته فالورد حلف لليث الغابة الأضم (٢)

إن الرياح إذا ماأعصفت قصفت عيدان نجد ، ولم يعبأن بالرتم (٣)

بنـات نعش ونعش لا كسوف لهـا

والشمس والبدر منها الدهر فى الرقم (٤)

فليهنك الأجر والنعمى التى سبغت حتى جلت صدأ الصمصامة الخذم (٥)

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم (٦)

قال محمد بن عرفة النحوى : حجب أبو تمام عن اسحاق بن ابراهيم المصعبى (٧) فقال :

---

(١) هو الياس بن أسد من القواد ، وأول الأبيات :

الياس كن فى ضمان الله والذمم ذا مهجة عن ملمات الردى حرم

وحرم أى محرمة ممنوعة (٢) الوصب: المرض والألم، والسورة: الحدة ، والورد نوع من الحمى ، والأضم الغضبان ـ ومثله للبحترى :

وما الليث محموما وان طال عمره الا انما الحمى على الأسد الورد

ولست ترى شوك القتادة خائفا سموم الرياح الآخذات من الرند

والورد الجرىء . وهـذا من المعانى التى أخذها البحترى من أبى تمام « أحمد يوسف نجاتى » (٣) الرتم: نبات من دق الشجر زهره كالخيرى وبزره كالعـدس : وهو نبات دقيق ـ والنجد شجر قوى ذو شوك ، ومثل البيت :

ان الرياح اذا اشتدت عواصفها فليس ترمى سوى العالى من الشجر

(٤) الرقم، الداهية، ومالا يطاق له ولا يقام به من النوازل . وفى معناه :

وفى السماء نجوم لاعـداد لها وليس يكسف الا الشمس والقمر

(٥) سبغت : طالت وكملت ، والصمصامة: السيف ، والخذم : القاطع الماضى

(٦) أخذه من قول أبى العتاهية :

كم نعمة لاتستقل بشـكرها لله فى طى المـكاره كامنه

وقد أحسن أبو تمام الأخذ لأنه جاء بزيادة هى عكس الأول « أحمد يوسف نجاتى » (٧) هو الأمير اسحق بن ابراهيم بن مصعب الخزاعى

يأيهـا الملك المرجو نائـله وجوده لمراعى جوده كثب
ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا إن السماء ترجى حين تحتجب

قيل لأبى تمام : قد هجاك مخلد الموصلى ، قال : الهجاء يرفع منه ، وليس هو شاعرا ، ولو كان شاعرا ما كان من الموصل — يعنى أن الموصل لا تخرج شاعرا ، وكان مخلد قد هجاه بقوله :

يانبى الله فى الشـعـ ـر ويا عيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق الـ ـله مالم تتـكلم (١)

وكان فى أبى تمام حبسة اذا تـكلم — قرأت فى كتاب المستنير أن أبا تمام والخثعمى اجتمعا فى مجلس أنس ، فقام أبو تمام الى الخـلاء ، فقال له الخثعمى : ندخلك ، قال : نعم وأخرجك ، فتعجب الحاضرون من هذا الابتداء البديع والجواب العجيب . وكان لأبى تمام صديق قليل البضاعة فى الشرب يسكر من قدحين ، فـكتب اليه يوما يدعوه : إن رأيت أن تنام عندنا فافعل . ودخل حبيب على جعفر بن سليمان (٢) يعزيه بأخيه محمد بن سليمان — وقد كان جزع عليه جزعا عظيما — فقال جعفر حين

ابن عم طاهر بن الحسين بن مصعب ، ولى بغداد أكثر من عشرين سنة ، وكان يسمى صاحب جسر ، وكان صارما سائسا حازما ، وهو الذى كان يطلب العلماء و يمتحنهم بأمر المأمون . توفى سنة ٢٣٥ . ثم المشهور أن أبيات أبى تمام قيلت عتابا لأبى دلف — وقيل عبد الله بن طاهر — وأولها :

صبرا على المطل مالم يتله الـكذب فللخطوب اذا سامحتها عقب
على المقادير لوم ان منيت به من عاذل ، وعلى السعى والطلب
يأيها الملك النائى بعزته الخ ☆

والـكذب القريب « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) هـذا من باب الهجاء فى معرض المدح ، والنبى لا يليق به الشعر ، قال تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » وقد كان أبو تمام ذا تمتمة يسيرة وفى لسانه حبسة ، وهـذا ما أراده الشاعر بالبيت الثانى « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هو جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ،

كَتَبَهَا وَدَفَعَهَا إِلَى وَرَّاقٍ كَانَ هُوَ وَأَبُو تَمَّامٍ يَجْلِسَانِ إِلَيْهِ وَلَا يَعْرِفُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ، وَأَمَرَ أَنْ تُدْفَعَ إِلَى أَبِي تَمَّامٍ فَلَمَّا وَافَى أَبُو تَمَّامٍ وَقَرَأَهَا قَلَبَهَا وَكَتَبَ :

أَفِيَّ تَنْظِمُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْفَنَدِ (١)

وَأَنْتَ أَنْقَصُ مِنْ لَا شَيْءَ فِي الْعَدَدِ ؟!

رآه : إن يكن عند أحد فرج فعند حبيب ، فلما سلم قال : أيها الأمير التمس ثواب الله بحسن الجزاء والتسليم لأمر الله ، واذكر مصيبتك فى نفسك تنسك مصيبتك فى غيرك ، والسلام . ومحاسن حبيب كثيرة (*)

(١) الفند الكذب والخطأ فى القول والرأى ، والخرف وانكار العقل لكبر أو هم أو مرض أو غير ذلك . هذا وقد روى أن هذه الأبيات انما هجا بها أبو تمام أباجعفر محمد بن يزيد الأموى البشرى «من الشعراء المغمورين فى عصره ، وكان يمدح عيسى بن فرخان شاه » وله مراث فى الخليفة المتوكل ، وهو من ولد بشر بن مروان بن الحكم ، وأصله جزرى من أهل ميافارقين ، ثم قدم سر من رأى ، وأقام بها ، وكان قد هجا أباتمام وهو ليس بكفء له ، فقال فيه أبو تمام هذه الأبيات ، وهى :

أفى تنظم قول الزور والحسد ... وأنت أنزر من لا شىء فى العدد ؟!

أسرجت قلبك من غيظ على حرق ... أضر من حرقات الهجر للجسد

أنحفت جسمك حتى لو هممت بأن ... ألهو بصفعك يوما لم تجدك يدى

لا تنتسب ، قد حويت الفخر مجتمعا ... والذكر اذ صرت منسوبا الى حسدى

أطلت روعك حتى صرت لى غرضا ... قد يقدم العير من ذعر على الأسد

(*) ومما قيل فى شعره :

أصون أديم وجهى عن أناس ... لقاء الموت عندهم الأديب

وقول الشعر عندهم بغيض ... ولو وافى به لهم حبيب

ولا تخفى التورية فى لفظ « حبيب » « أحمد يوسف نجاتى » .

أَشْرَجْتَ قَلْبَكَ مِنْ غَيْظٍ عَلَى حَنَقٍ

كَأَنَّهَا حَرَكَاتُ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ[١]

أَقْدَمْتَ وَيْلَكَ مِنْ هَجْوِى عَلَى خَطَرٍ

كَالعَيْرِ يُقْدِمُ مِنْ خَوْفٍ عَلَى الْأَسَدِ

وَحَضَرَ عَبْدُ الصَّمَدِ فَلَمَّا قَرَأَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ قَالَ مَا

أَحْسَنَ عِلْمَهُ بِالْجَدَلِ أَوْجَبَ زِيَادَةً وَنُقْصَانًا عَلَى مَعْدُومٍ[٢]

---

(١) كذا بالأصل، وقد أتينا بالبيت صحيحا خاليا من التصحيف والتحريف «أحمد يوسف نجاتى» (٢) هذا نقد أدبى وجيه، فان المعهود لدى الشعراء أن ينزلوا الوجود منزلة العدم اذا أريد المبالغة فى حط الشىء والوضع منه وخروجه عن أن يعتد به ، كقولهم: هو والعدم سواء ، وأن وجوده كلا وجود، لأنه لما لم يحصل من ذلك الموجود فائدة مطلوبة كان مشاركا للمعدوم فى عدم الفائدة ، فيستعار له لفظه لأنه أولى بذلك ، ومثله قول الشاعر :

خلقوا وما خلقوا لمكرمة فكأنهم خلقوا وما خلقوا

رزقوا وما رزقوا سماح يد فكأنهم رزقوا وما رزقوا

وكقوله :

وصل الخيال ووصل الخودان بخلت سيان، ما أشبه الموجود بالعدم

هذا هو المعروف المتمكن فى العادات . ولكن قد يدعوهم الايغال وحب السرف فى القول أن يطلبوا بعد العدم منزلة هى أخس منه، ودرجة أدنى فى السلب من نفيه ـ وذلك محال ـ فيقعوا فى ضرب من الاختلاط والفساد ونوع يكاد يكون فيه طرف من هوس ، كقول أبى تمام

* وأنت أنزر من لاشىء فى العدد *

أما قوله من أبيات يهجو بها أبا المغيث موسى بن ابراهيم الرافقى :

وَلَمَّا نَظَرَ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلثَّانِى قَالَ : ٱلْإِشْرَاجُ [١] مِنْ عَمَلِ ٱلْفَرَّاشِينَ ، وَلَا مَدْخَلَ لَهُ هَهُنَا ، فَلَمَّا قَرَأَ ٱلْبَيْتَ ٱلثَّالِثَ عَضَّ عَلَى شَفَتِهِ . وَقَالَ ٱلصُّولِىُّ قَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو ٱلْفَتْحِ مَحْمُودُ بْنُ ٱلْحُسَيْنِ ٱلْمَعْرُوفُ بِكُشَاجِمَ فِى كِتَابِ ٱلْمَصَايِدِ وَٱلْمَطَارِدِ عِنْدَ قَوْلِهِ : وَأَغْفَلَ ٱلْجَاحِظُ فِى « بَابِ ذِكْرِ ٱنْقِيَادِ بَعْضِ ٱلْمَأْكُولَاتِ لِبَعْضِ ٱلْآكِلَاتِ » ذِكْرَ ٱلْحِمَارِ ٱلَّذِى يَرْمِى بِنَفْسِهِ عَلَى ٱلْأَسَدِ إِذَا شَمَّ رِيحَهُ . وَلَمَّا أَنْشَدَ أَبُو تَمَّامٍ أَبَا دُلَفٍ ٱلْعِجْلِىَّ [٢] قَصِيدَتَهُ ٱلْبَائِيَّةَ ٱلْمَشْهُورَةَ ٱلَّتِى أَوَّلُهَا :

هب من له شيء يريد حجابه   مابال لاشيء عليه حجاب؟!

فمن الضرب الممكن الأول، ومثل ذلك فى الاحالة قول عبد العزيز بن نباتة السعدى :

مازلت أعطف أيامى فتمنحنى   نيلا أدق من المعدوم فى العدم

هذا شرح وجه النقد، وهو ظاهر . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) شرج الخريطة وأشرجها وشرجها اذا شدها ، وأراد عبد الصمد أن هذه استعارة مستكرهة ولفظة غير شعرية نابية، ومجاز غير مألوف لدى الأدباء ، وهو نقد وجيه . ولأبى تمام من مثل ذلك غير قليل . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هو القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل العجلى أحد قواد المأمون ثم المعتصم من بعده ، كان سمحا كريما شجاعا مقداما ذا صنائع مأثورة، و وقائع مشهورة ، وكان له صنعة فى الغناء ومؤلفات، منها كتاب سياسة الملوك ، وكتاب النزهة ، وكتاب النجاة والصيد والسلاح

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلَاعِبِ
أُذِيلَتْ مَصُونَاتُ ٱلدُّمُوعِ ٱلسَّوَاكِبِ (١)

اسْتَحْسَنَهَا ، وَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ لَهُ : وَٱللهِ إِنَّهَا لَدُونَ شِعْرِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَٱللهِ مَا مِثْلُ هَذَا ٱلْقَوْلِ فِي ٱلْحُسْنِ إِلَّا مَا رَثَيْتَ بِهِ مُحَمَّدَ بْنَ حُمَيْدٍ ٱلطُّوسِيَّ (٢) ، فَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ : وَأَيَّ ذَلِكَ أَرَادَ ٱلْأَمِيرُ ؟ قَالَ : قَصِيدَتَكَ ٱلرَّائِيَةَ ٱلَّتِي أَوَّلُهَا :

كَذَا فَلْيَجِلَّ ٱلْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ ٱلدَّهْرُ
فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ

وكان شاعرا مجيدا ، وولى امرة دمشق للمعتصم ــ وكان أبوه قد شرع فى عمارة مدينة الكرخ ، ثم أتمها هو ، وكان بها أولاده وعشيرته ، وتوفى سنة ٢١٥ ولأبى تمام وغيره فيه مدائح غراء . « أحمد يوسف نجاتى »

(١) هذه القصيدة من عيون شعر أبى تمام ، أذال الشىء : أهانه ولم يصنه ولم يرع حقه ، والأربع جمع ربع بمعنى المنزل وكذا الملعب « وأصله مكان اللعب » وقد أنكر عليه قوله « مصونات الدموع السواكب » وقال كيف يكون من السواكب ماهو مصون ؟! وانما أراد ماهو مصون من الدموع التى هى الآن سواكب . والحق أن البيت جيد لفظا ومعنى ونظما

(٢) تقدم ذكره وكانت وفاته سنة ٢١٠ ومرثية أبى تمام هذه من أجود المراثى ، والرثاء من الأغراض التى برز فيها أبو تمام وفاق فيها سواه . والرواية : وليفدح الأمر. فليجل : فليعظم. والخطب : الشأن والمصيبة ، وفدح

وَدِدْتُ وَاللهِ أنَّهَا لكَ فِيَّ ، فقَالَ : بَلْ أَفْدِي الْأَمِيرَ بِنَفْسِي وَأَهْلِي وَأَكُونُ الْمُقَدَّمَ قَبْلَهُ ، فقَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ مَنْ رُثِيَ بِهَذَا الشِّعْرِ . وَقَالَ الْعُلَمَاءُ : خَرَجَ مِنْ قَبِيلَةِ طَيِّءٍ ثَلَاثَةٌ كُلٌّ وَاحِدٍ مُجِيدٌ فِي بَابِهِ ؛ حَاتِمُ الطَّائِيُّ فِي جُودِهِ : وَدَاوُدُ بْنُ نُصَيْرٍ الطَّائِيُّ (١) فِي زُهْدِهِ ، وَأَبُو تَمَّامٍ حَبِيبُ ابْنُ أَوْسٍ الطَّائِيُّ فِي شِعْرِهِ . وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ . وَرَأَيْتُ النَّاسَ يُطْبِقُونَ عَلَى أَنَّهُ مَدَحَ الْخَلِيفَةَ بِقَصِيدَتِهِ السِّينِيَّةِ ، فَلَمَّا

اذا ثقل وأبهظ ، ودين فادح اذا كان باهظا ، وحمل فادح يثقل الأعناق ويوهي الكاهل ـ ولم تسلم هذه القصيدة البارعة من النقد ، حتى أن بعض المتحاملين على أبي تمام هجنوا مطلعها ، وقالوا لا يقال « كذا فليكن » الا في السرور والمديح ، بل غلا بعضهم فادعى دعبل بن على الخزاعي أن كثيرا من أبيات هذه القصيدة لأبي سلمى المزني من ولد زهير واسمه مكنف وكان يهجو بني القعقاع آل ذفافة العبسي ، فلما مات ذفافة رثاه أبو سلمى فقال :

أبعد أبي العباس يستعتب الدهر ؟! ... وما بعده للدهر عتبى ولا عذر !
ألا أيها الناعي ذفافة ذا الندى ... تعست ، وشلت من أناملك العشر
ولا مطرت أرضا سماء ، ولا جرت ... نجوم ، ولا لذت لشاربها الخمر
كأن بني القعقاع بعد وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر الخ

وقال الحسن بن وهب : وقد كذب دعبل ، فشعر مكنف عندي وليس فيه شيء مما ادعى على أبي تمام . « أحمد يوسف نجاتي » .

(١) ستأتي ترجمته

أُنْتَهَى فِيهَا إِلَى قَوْلِهِ :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمِ

فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ[1]

قَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : أَتُشَبِّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَجْلَافِ[2] الْعَرَبِ ؟

فَأَطْرَقَ سَاعَةً ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَنْشَدَ يَقُولُ :

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ

مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقَلَّ لِنُورِهِ

مَثَلًا مِنَ الْمِشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ[3]

فَقَالَ الْوَزِيرُ لِلْخَلِيفَةِ : أَيَّ شَيْءٍ طَلَبَهُ فَأَعْطِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَعِيشُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، لِأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ فِي عَيْنَيْهِ الدَّمُ مِنْ شِدَّةِ الْفِكْرِ ، وَصَاحِبُ هٰذَا لَا يَعِيشُ إِلَّا هٰذَا الْقَدْرَ ، فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : مَا تَشْتَهِي ؟ قَالَ : أُرِيدُ الْمَوْصِلَ ،

---

(١) تقدم شرح البيت والتعريف بمن فيه (٢) جمع جلف وهو الرجل الجافي الأحمق : أي جفاة العرب وغلاظهم (٣) شرودا : أي سائرا متنقلا على الألسنة في كل الجهات . والمشكاة : الكوة في الحائط غير النافذة ، وهي أجمع للضوء ، والمصباح فيها أكثر انارة منه في غيرها — والنبراس . المصباح

فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا، وَبَقِيَ هَذِهِ الْمُدَّةَ وَمَاتَ . وَهَذِهِ الْقِصَّةُ لَا صِحَّةَ لَهَا أَصْلًا . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الصُّولِيُّ فِي كِتَابِ أَخْبَارِ أَبِي تَمَّامٍ أَنَّهُ لَمَّا أَنْشَدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِأَحْمَدَ بْنِ الْمُعْتَصِمِ وَانْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: * إِقْدَامُ عَمْرٍو * الْبَيْتَ الْمَذْكُورَ قَالَ لَهُ أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْكِنْدِيُّ الْفَيْلَسُوفُ(١) وَكَانَ حَاضِرًا : الْأَمِيرُ فَوْقَ مَنْ وَصَفْتَ ، فَأَطْرَقَ قَلِيلًا ، ثُمَّ زَادَ الْبَيْتَيْنِ الْآخَرَيْنِ ، وَلَمَّا أُخِذَتِ الْقَصِيدَةُ مِنْ يَدِهِ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، فَعَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ وَفِطْنَتِهِ ، وَلَمَّا خَرَجَ قَالَ أَبُو يُوسُفَ – وَكَانَ فَيْلَسُوفَ الْعَرَبِ – هَذَا الْفَتَى يَمُوتُ قَرِيبًا – ثُمَّ قَالَ بَعْدَ

---

(١) هو يعقوب بن اسحق بن الصباح بن عمران بن اسماعيل بن محمد ابن الأشعث بن قيس بن معد يكرب ، كان مشهورا بالتبحر فى فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية مبرزا فى علم النجوم، وكان فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها، وكان أبوه اسحق بن الصباح أميرا على الكوفة للمهدى والرشيد ، وكان جده الأشعث صحابيا، وكان قبل ذلك ملكا على جميع كندة، وكان أبوه قيس ملكا على جميع كندة أيضا عظيم الشأن، وهو الذى مدحه الأعشى ، وكان كذلك أبوه معد يكرب فمن قبله – ولأبى يوسف الفيلسوف تآليف فى أكثر العلوم التى أتقنها، وكان عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم وابنه أحمد ، وتوفى فى عصر المتوكل أو بعده «أحمد يوسف نجاتى»

ذَلِكَ - :وَقَدْ رُوِىَ هَذَا عَلَى خِلَافِ مَا ذَكَرْتَه، وَلَيْسَ بِشَىْءٍ

وَالصَّحِيحُ هُوَ هَذَا . وَقَدْ تَتَبَّعْتُهَا وَحَقَّقْتُ صُورَةَ وِلَايَتِهِ

الْمَوْصِلَ ، فَلَمْ أَجِدْ سِوَى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ وَهْبٍ وَلَّاهُ بَرِيدَ

الْمَوْصِلِ ، فَأَقَامَ بِهَا أَقَلَّ مِنْ سَنَتَيْنِ، ثُمَّ مَاتَ بِهَا . وَالَّذِى يَدُلُّ

عَلَى أَنَّ الْقِصَّةَ لَيْسَتْ صَحِيحَةً أَنَّ هَـذِهِ الْقَصِيدَةَ مَا هِىَ فِى

أَحَدٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ، بَلْ مَدَحَ بِهَا أَحْمَدَ بْنَ الْمُعْتَصِمِ - وَقِيلَ

أَحْمَدَ بْنَ الْمَأْمُونِ - وَلَمْ يَلِ وَاحِدٌ مِنْهُمَا الْخِلَافَةَ . وَالْحَيْصَ(١)

بَيْصُ ، ذَكَرَ فِى رِقَاعِهِ السَّبْعِ اللَّاتِى كَتَبَهَا إِلَى الْإِمَامِ

(١) هو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد الصيفى التميمى ، كان من أعلم الناس بأشعار العرب واختلاف لغاتهم ، وكان فقيها شافعى المذهب، وتكلم فى مسائل الخلاف، ولكن غلب عليه الأدب ونظم الشعر ، فأجاد فيه وأحسن . ولقب الحيص بيص لأنه رأى الناس يوما فى حركة شديدة وأمر مريج، فقال: ماللناس فى حيص بيص؟! - وكان يتقعر فى حديثه و يتشدق فى كلامه ولا يخاطب الناس الا بالفصيح من الكلام - فلزمه هذا اللقب وغلب عليه . وتوفى سنة ٥٧٤ هـ ببغداد - والحيص فى الأصل : النفور والهرب، والبيص الشدة والضيق - و يقال : وقع فلان فى حيص بيص « بفتح أولهما وآخرهما ، و بكسرهما ، و بفتح أولهما وكسر آخرهما » أى فى اختلاط واضطراب أو شدة لا محيص لهم منه ولا مفر «أحمد يوسف نجاتى»

الْمُسْتَرْشِدِ (١) يَطْلُبُ مِنْه بَعْقُوبَا (٢) أَنَّ الْمَوْصِلَ كَانَتْ إِجَازَةً لِشَاعِرٍ طَائِيٍّ ، فَإِمَّا أَنَّهُ بَنَى الْأَمْرَ عَلَى مَا قَالَهُ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ تَحْقِيقٍ ، أَوْ قَصَدَ أَنْ يَجْعَلَ هَـذَا ذَرِيعَةً (٣) لِحُصُولِ بَعْقُوبَا لَهُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ . وَتَابَعَهُ فِي الْغَلَطِ ابْنُ دِحْيَةَ (٤) فِي

---

(١) هو أبو منصور الفضل بن أحمد المستظهر بن المقتدى ، بويع بالخلافة بعد وفاة والده سنة ٥١٢ ـ وفى زمنه أقطع السلطان محمود « بن محمد ابن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى » مدينة الموصل وأعمالها وماينضاف اليها كالجزيرة وسنجار وغيرها للأمير آق سنقر البرسقى فى سنة ٥١٥ ـ وفى سنة ٥٢٧ حصر المسترشد بالله مدينة الموصل ، ثم رحل عنها عائدا الى بغداد بعد ثلاثة أشهر ولم يظفر منها بشىء ، ثم قتل الباطنية الامام المسترشد سنة ٥٢٩ ، وكانت الموصل يملكها قطب الدين مودود أخو السلطان نور الدين محمود عن الخليفة العباسى . وكانت وفاة الحيص بيص فى خلافة المستضىء بالله بن المستنجد . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) بعقوبا : قرية كبيرة كالمدينة بينها و بين بغداد عشرة فراسخ من أعمال طريق خراسان ، وهى كثيرة الأنهار والبساتين واسعة الفواكه متكاثفة النخل اه معجم البلدان « ج ٢ ص ٢٢٥ » (٣) ذريعة : وسيلة

(٤) هو العلامة الحافظ أبو الخطاب عمر بن حسن بن محمد بن فرج بن خلف الكلبى الدانى ثم السبتى اللغوى الظاهرى المذهب ، روى عن ابن بشكوال وغيره ، وجال فى مدن الأندلس ومدن العدوة وسافر الى الشرق : مصر والعراق وخراسان ، وكان من أعيان العلماء ومشهورى الفضلاء عالما بأيام العرب ولغاتها ، ولكن أخذ عليه قلة التحرى فيما ينقل من الأخبار ، وتوفى سنة ٦٣٣ ودفن بالقاهرة « أحمد يوسف نجاتى »

كِتَابِ ٱلنِّبْرَاسِ . وَذَكَرَ ٱلصُّولِيُّ أَنَّ أَبَا تَمَّامٍ لَمَّا مَدَحَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱلزَّيَّاتِ ٱلْوَزِيرَ بِقَصِيدَتِهِ ٱلَّتِي مِنْهَا قَوْلُهُ :

دِيمَةٌ سَمْحَةُ ٱلْقِيَادِ سَكُوبٌ

مُسْتَغِيثٌ بِهَا ٱلثَّرَى ٱلْمَكْرُوبُ(١)

لَوْ سَعَتْ بُقْعَةٌ لِإِعْظَامِ أُخْرَى

لَسَعَى نَحْوَهَا ٱلْمَكَانُ ٱلْجَدِيبُ

قَالَ لَهُ ٱبْنُ ٱلزَّيَّاتِ : يَا أَبَا تَمَّامٍ إِنَّكَ لَتُحَلِّي شِعْرَكَ مِنْ جَوَاهِرِ لَفْظِكَ وَبَدِيعِ مَعَانِيكَ مَا يَزِيدُ حُسْنُهَا عَلَى بَهِيِّ ٱلْجَوَاهِرِ فِي أَجْيَادِ ٱلْكَوَاعِبِ(٢) ، وَمَا يُدَّخَرُ لَكَ شَيْءٌ مِنْ جَزِيلِ ٱلْمُكَافَأَةِ إِلَّا وَيَقْصُرُ عَنْ شِعْرِكَ فِي ٱلْمُوَازَاةِ(٣) - وَكَانَ بِحَضْرَتِهِ فَيْلَسُوفٌ - فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذَا ٱلْفَتَى يَمُوتُ شَابًّا ، فَقِيلَ لَهُ : وَمِنْ أَيْنَ حَكَمْتَ عَلَيْهِ

---

(١) الديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق ، وفى المكروب تورية ، فهى اما من الكرب أى الهم، أو من كرب الأرض اذا حرثها وأثارها للزراعة - ويروى البيت الثانى : لوسعت بقعة لاعظام نعمى ، وتقدم مثل هذا المعنى . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) جمع كاعب وهى الفتاة اذا كعب ثديها وصارت ناهدا (٣) أى فى المقابلة والموازنة والجزاء

بِذَلِكَ ؟ فقَالَ رَأَيْتُ فِيهِ مِنَ الْحِدَّةِ[1] وَالذَّكاءِ وَالْفِطْنَةِ مَعَ
لَطَافَةِ الْحِسِّ وَجَوْدَةِ الْخَاطِرِ مَا عَلِمْتُ بِهِ أَنَّ النَّفْسَ
الرُّوحَانِيَّةَ تَأْكُلُ جِسْمَهُ، كَمَا يَأْكُلُ السَّيْفُ الْمُهَنَّدُ[2]
غِمْدَهُ، وَكَذَا كَانَ؛ لِأَنَّهُ مَاتَ وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى ثَلاثِينَ سَنَةً.
قُلْتُ: وَهَذَا يُخَالِفُ مَا سَيَأْتِي مِنْ تَارِيخِ مَوْلِدِهِ وَوَفَاتِهِ بَعْدَ
هَذَا - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى - وَلَمْ يَزَلْ شِعْرُهُ غَيْرَ مُرَتَّبٍ حَتَّى
جَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصُّولِيُّ وَرَتَّبَهُ عَلَى الْحُرُوفِ، ثُمَّ جَمَعَهُ عَلِيُّ
ابْنُ حَمْزَةَ الْأَصْبَهَانِيُّ[3] وَلَمْ يُرَتِّبْهُ عَلَى الْحُرُوفِ بَلْ عَلَى
الْأَنْوَاعِ. وَكَانَتْ وِلَادَةُ أَبِي تَمَّامٍ سَنَةَ تِسْعِينَ وَمِائَةٍ - وَقِيلَ

(١) قوة الذهن وسرعة الفهم (٢) كما يأكل السيف المهند غمده، شطر بيت

قوى ذكاء أنحل الجسم وقده ... كما يأكل السيف المهند غمده

ومازال يبلى جسمه لطف حسه ... الى أن فقدناه وخاف حمده

ولو أن أبا تمام كان كمن قيل فيه :

ولولا نداه خفت نار ذكائه ... عليه، ولكن الندى مطفئ الوقد

لكنا رجونا ألا يختضر فى ريعان الصبا . «أحمد يوسف نجاتى» .

(٣) هو على بن حمزة بن عمارة بن حمزة بن يسار بن عثمان الأصبهانى - وعثمان هذا الذى انتهت إليه نسبة على بن حمزة هو والد أبى مسلم الخراسانى، ويسار أخو أبى مسلم كان أحد أدباء أصبهان المشهورين بالعلم والشعر والفضل والتصنيف، وله عدة مجموعات من مختار الشعر «أحمد يوسف نجاتى»

سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ ، وَقِيلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ وَقِيلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ بِجَاسِم (١) وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ بِلَادِ الْجَيْدُورِ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ بَيْنَ دِمَشْقَ وَطَبَرِيَّةَ وَنَشَأَ بِمِصْرَ . قِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَسْقِي النَّاسَ مَاءً بِالْجَرَّةِ فِي جَامِعِ مِصْرَ (٢) وَقِيلَ كَانَ يَخْدُمُ حَائِكاً وَيَعْمَلُ عِنْدَهُ بِدِمَشْقَ وَكَانَ أَبُوهُ خَمَّارًا بِهَا . وَكَانَ أَبُو تَمَّامٍ أَسْمَرَ طَوِيلًا فَصِيحًا حُلْوَ الْكَلَامِ فِيهِ تَمْتَمَةٌ يَسِيرَةٌ ، وَاشْتَغَلَ وَتَنَقَّلَ إِلَى أَنْ صَارَ مِنْهُ مَا صَارَ . وَتُوُفِّيَ بِالْمَوْصِلِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ تُوُفِّيَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَقِيلَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ ، وَقِيلَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ. وَقِيلَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ. رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

---

(١) بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الأعظم الى طبرية ، وفيها يقول عدى بن الرقاع العاملى :

لولا المشيب وأن رأسى قد عسا ... فيه المشيب لزرت أم القاسم
وكأنها بين النساء أعارها ... عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت ... فى عينه سنة وليس بنائم

والجيدور كانت كورة من نواحى دمشق فى شمالى حوران (٢) جامع عمرو بن العاص « أحمد يوسف نجاتى »

قَالَ ٱلْبُحْتُرِيُّ : وَبَنَى عَلَيْهِ أَبُو نَهْشَلِ بْنُ حُمَيْدٍ ٱلطُّوسِيُّ قُبَّةً : قُلْتُ: وَرَأَيْتُ قَبْرَهُ بِالْمَوْصِلِ خَارِجَ بَابِ ٱلْمَيْدَانِ عَلَى حَافَةِ ٱلْخَنْدَقِ(١) وَٱلْعَامَّةُ تَقُولُ : هَـذَا قَبْرُ تَمَّـامٍ ٱلشَّاعِرِ .

وَحَـكَى لِي ٱلشَّيْخُ عَفِيفُ ٱلدِّينِ أَبُو ٱلْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَدْلَانَ ٱلْمَوْصِلِيُّ ٱلنَّحْوِيُّ ٱلْمُتَرْجِمُ(٢) قَالَ : سَأَلْتُ شَرَفَ ٱلدِّينِ أَبَا ٱلْمَحَاسِنِ مُحَمَّدَ بْنَ عُنَيْنٍ ٱلْآتِيَ ذِكْرُهُ فِي هَذَا ٱلْكِتَابِ فِي حَرْفِ ٱلْمِيمِ ـ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى ـ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ :

سَقَى ٱللهُ دَوْحَ ٱلْغُوطَتَيْنِ، وَلَا ٱرْتَوَتْ
مِنَ ٱلْمَوْصِلِ ٱلْحَدْبَاءِ إِلَّا قُبُورُهَا

لِمَ حَرَمَهَا وَخَصَّ قُبُورَهَا ؟ فَقَالَ : لِأَجْلِ أَبِي تَمَّـامٍ .
وَهَذَا ٱلْبَيْتُ لِٱبْنِ عُنَيْنٍ ٱلْمَذْكُورِ مِنْ قَصِيدَةٍ مَدَحَ بِهَا ٱلسُّلْطَانَ ٱلْمَلِكَ ٱلْمُعَظَّمَ شَرَفَ ٱلدِّينِ عِيسَى بْنَ ٱلْمَلِكِ ٱلْعَادِلِ ٱبْنِ أَيُّوبَ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي حَرْفِ ٱلْعَيْنِ ـ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى ـ أَوَّلُهَا :

(١) ولا تزال رفاته إلى اليوم فى حديقة بلدية الموصل فى ضريح ضخم ، يعنى به أهـل الموصل و إن لم يكن موصليا . « أحمد يوسف نجاتى »
(٢) هو الامام عفيف الدين على بن عدلان بن حماد بن على ولد سنة ٥٨٣

أَشَاقَكَ مِنْ عَلْيَا دِمَشْقَ قُصُورُهَا ؟

وَوِلْدَانُ أَرْضِ ٱلنَّيْرَبَيْنِ وَحُورُهَا[1] ؟

وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ قَصَائِدِهِ ، وَرَثَاهُ ٱلْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ بِقَوْلِهِ :

فُجِعَ ٱلْقَرِيضُ بِخَاتِمِ ٱلشُّعَرَاءِ

وَغَدِيرِ رَوْضَتِهَا حَبِيبُ ٱلطَّائِى

مَاتَا مَعاً فَتَجَاوَرَا فِى حُفْرَةٍ

وَكَذَاكَ كَانَا قَبْلُ فِى ٱلْأَحْيَاءِ

وكان أديباذكياوانفرد بحل المترجم والألغاز ،وله فيه تصانيف توفى سنة ٦٦٦ بالقاهرة . « أحمد يوسف نجاتى » (١) فى الأصل « النيرين » وهو تحريف ناقص ، والنيرب قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ فى وسط بساتين غناء ،وكانت أنزه موضع هناك، وقد ثناها الشاعر كما ثنى الغوطة وهى الكورة التى منها مدينة دمشق ، وكلها أشجار وأنهار متصلة ، وهى من أنزه بلاد الله وأجملها منظرا،وكانت تعد من جنان الدنيا ، وقد ثناهما من قبل الشاعر الأديب أبو المطاع وجيه الدولة بن حمدان فى أبيات له يقول فيها :

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها ... فلى بجنوب الغوطتين شجون

فما ذكرتها النفس الا استخفنى ... الى برد ماء النيربين حنين

وقد كان شكى فى الفراق يروعنى ... فكيف يكون اليوم وهو يقين

وأسرة بنى حمدان أسرة أدب وملك وسيادة وشجاعة ، وهى معروفة .

« أحمد يوسف نجاتى »

وَقِيلَ إِنَّ هَذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ لِدِيكِ ٱلْجِنِّ(١) رَثَى بِهِمَا أَبَا تَمَّامٍ وَٱللهُ أَعْلَمُ . وَرَثَاهُ ٱلْحَسَنُ أَيْضًا بِقَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

سَقَى بِٱلْمَوْصِلِ ٱلْقَبْرَ ٱلْغَرِيبَا
سَحَائِبُ يَنْتَحِبْنَ لَهُ نَحِيبَا(٢)

إِذَا أَظْلَلْنَهُ أَظْلَلْنَ فِيهِ
شَعِيبَ ٱلْمُزْنِ يَتْبَعُهَا شَعِيبَا(٣)

وَلَطَّمْنَ ٱلْبُرُوقَ بِهِ خُدُودًا
وَشَقَّقْنَ ٱلرُّعُودَ بِهِ جُيُوبَا(٤)

فَإِنَّ تُرَابَ ذَاكَ ٱلْقَبْرِ يَحْوِى
حَبِيبًا كَانَ لِى يُدْعَى حَبِيبَا

وَرَثَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱلزَّيَّاتِ وَزِيرُ ٱلْمُعْتَصِمِ

---

(١) هو عبد السلام بن رغبان الشاعر الرقيق الحمصى ، سمى بديك الجن لزرقة عينيه كعينى بعض الديكة، أو لسبب آخر سنذكره فى ترجمته
(٢) النحيب والانتحاب: رفع الصوت بالبكاء (٣) أظل الشىء: ستره وغطاه وأظله: أدامه وأبقاه ، والشعيب المزادة يحمل فيها الماء (٤) فى البيت حسن تعليل حزين بديع ، فقد جعل ضوء البروق التى تصحب تلك السحائب المنتحبة لطما لخدودها ، وجعل صوت الرعود شقا لجيوبها ، وتمزيقا لها .
« أحمد يوسف نجاتى »

بِقَوْلِهِ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ وَزِيرٌ ، وَقِيلَ إِنَّهُمَا لِأَبِي الزِّبْرِقَانِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزِّبْرِقَانِ الْكَاتِبِ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ -:

نَبَأٌ أَتَى مِنْ أَعْظَمِ الْأَنْبَاءِ
لَمَّا أَلَمَّ مُقَلْقِلَ الْأَحْشَاءِ
قَالُوا : حَبِيبٌ قَدْ ثَوَى، فَأَجَبْتُهُمْ :
نَاشَدْتُكُمْ لَا تَجْعَلُوهُ الطَّائِي

وَجَاسِمٌ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ سِينٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ ثُمَّ مِيمٌ . وَأَمَّا النَّسَبُ فَهُوَ مَشْهُورٌ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى ضَبْطِهِ . وَالْجَيْدُورُ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَضَمِّ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْوَاوِ بَعْدَهَا رَاءٌ، وَهُوَ إِقْلِيمٌ مِنْ عَمَلِ دِمَشْقَ يُجَاوِرُ الْجَوْلَانَ[١] . وَالطَّائِيُّ مَنْسُوبٌ إِلَى طَيِّءٍ الْقَبِيلَةِ الْمَشْهُورَةِ ، وَهَذِهِ النِّسْبَةُ عَلَى خِلَافِ الْقِيَاسِ فَإِنَّ قِيَاسَهَا طَيْئِيٌّ ، لَكِنَّ بَابَ النَّسَبِ يَحْتَمِلُ التَّغْيِيرَ ، كَمَا

(١) الجولان : قرية - وقيل جبل - من نواحي دمشق، وكانت من أعمال حوران ،وقال ابن دريد: يقال للجبل حارث الجولان ، وقيل حارث اسم قلة فيه ، قال النابغة :

بكى حارث الجولان من فقد ربه ... وحوران منه خائف متضائل

قَالُوا فِي اُلنِّسْبَةِ إِلَى اُلدَّهْرِ دُهْرِيٌّ(١) وَإِلَى سَهْلٍ سُهْلِيٌّ بِضَمِّ أَوَّلِهِمَا ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُمَا(٢)

(١) الدهرى: بضم الدال وفتحها : الملحد الذى لا يؤمن بالآخرة، والقائل ببقاء الدهر — ودهر اسم واد دون حضرموت ، ودهر بن وديعة بن لكيز أبو قبيلة من بنى عامر ، ينسب اليها دهرى بضم الدال على غير قياس ، وهو من تغيرات النسب، وما أكثر شذوذ بابه ، ويقال فى النسب الى الرجل القديم دهرى، أى رجل مسن قديم، نسب الى الدهر لكبره ، والدهرى « بالضم » أيضا الرجل الحاذق — والسهلى منسوب الى الأرض السهلة — وبعير سهلى أى يرعى فى السهل من الأرض ضد الحزن — هذا وقد رثى البحترى أيضا أبا تمام فقال :

قد زاد فى حزنى وأوقد لوعتى	مثوى حبيب يوم مات ودعبل
وتقاصرت بالخثعمى وشبهه	من كل مضطرب القريحة مخبل
أهل المعانى المستحيلة ان هم	طلبوا البراعة بالكلام المقفل
أخوى لاتزل السماء مخيلة	تغشا كما بحيا السحاب المسبل
جدث على الأهواز يبعد دونه	مسرى النعى ، ورمة بالموصل

« مخيلة أى متهيئة للأمطار مشتملة على أمارته ومخايل الغيث فيها . وأسبلت السماء والسحب ماءها اذا أرسلته. والمدفون بالأهواز هو دعبل ، وكان قد مات بعد أبى تمام سنة ٢٤٦ وستأتى ترجمته فى حرف الدال «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) زاد فى النسخة الخطية بعد ترجمة أبى تمام وقبل ترجمة الحجاج بن يوسف ترجمة لحاتم الأصم ، وهى :

« أبو عبد الرحمن » حاتم بن عنوان الأصم من أهل بلخ ، كان أوحد من عرف بالزهد والتقلل، واشتهر بالورع والتقشف ، وله كلام مدون فى الزهد والحكم ، وأسند الحديث عن شقيق البلخى (١) وشداد بن حكيم

(١) أبو على شقيق البلخى الزاهد شيخ خراسان، كان كثير الاتباع والمريدين الذين أفادهم برشده، وتوفى سنة ١٩٤ — وكانت وفاة حاتم الأصم سنة ٢٣٧ . « أحمد يوسف نجاتى » .

البلخى أيضا ، و روى عنه حمدان بن ذى النون ومحمد بن فارس الباخيانى ، وقدم حاتم بغداد فى أيام أبى عبد الله أحمد بن حنبل ، واجتمع معه . قيل لما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه أهلها فقالوا : ياأبا عبد الرحمن أنت رجل أعجمى ، وليس يكلمك أحد الا قطعته ، فلأى معنى هذا ؟ فقال حاتم معى ثلاث خصال بها أظهر على خصمى ، فقالوا أى شىء هى ؟ قال: أفرح اذا أصاب خصمى ، وأحزن له اذا أخطأ ، وأحفظ نفسى فلا أتجاهل عليه ، فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فقال: سبحان الله ما أعقله من رجل ! وقال أبو جعفر الهروى : كنت مع حاتم مرة وقد أراد الحج ، فلما وصل الى بغداد قال: ياأبا جعفر أحب أن ألقى أحمد بن حنبل ، فسألنا عن منزله ومضينا اليه ، فطرقت عليه الباب ، فلما خرج قلت: ياأباعبد الله أخوك حاتم ، فسلم عليه ورحب به ، وقال له بعد بشاشة له: أخبرنى ياحاتم فيم التخلص من الناس؟ قال ياأباعبد الله فى ثلاث خصال ، قال وماهى ؟ قال أن تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئا ، وتقضى حقوقهم ولا تستقضى منهم حقا ، وتحمل مكروههم ولا تكره أحدا منهم على شىء ، قال فأطرق أحمد ينكت بأصبعه الأرض ثم رفع رأسه وقال: ياحاتم انها لشديدة ، فقال له حاتم : وليتك تسلم وليتك تسلم وليتك تسلم . وقال رجل لحاتم: على أى شىء بنيت أمرك ؟ قال على أربع خصال؛ على ألا أخرج من الدنيا حتى أستكمل رزقى ، ولا يأكله غيرى ، وعلى أن أجلى لا أدرى متى هو ، وعلى ألا أغيب عن الله طرفة عين . وقال: لو أن صاحب خبر جلس اليك ليكتب كلامك لاحترزت منه ، وكلامك يعرض على الله فلا تحترز منه ! وقال رجل لحاتم الأصم: بلغنى أنك تجوز المفاوز بغير زاد ، فقال حاتم: بل أجوزها بالزاد ، وانما زادى فيها أربعة أشياء ، قال وماهى ؟ قال : أرى الدنيا كلها ملكا لله ، وأرى الخلق كلهم عباد الله وعياله ، وأن الأسباب والأرزاق بيد الله تعالى ، وأرى أن قضاء الله نافذ فى كل أرض الله ، فقال له الرجل: نعم الزاد زادك ياحاتم ، أنت تجوز به فى مفاوز الآخرة . وقال حاتم: جعلت على نفسى ان قدمت مكة أن أطوف حتى أنقطع ، وأصلى حتى أنقطع ، وأتصدق بجميع مامعى ، فلما قدمت

مكة صليت حتى انقطعت ، وطفت كذلك ، فقويت على هاتين الخصلتين ولم أقو على الأخرى ، قال كنت أخرج من هنا ويجيء من ههنا . وقال حاتم : وقع الثلج ببلخ ، فمكثت فى بيتى ثلاثة أيام ومعى أصحابنا ، فقلت ليخبرنى كل رجل منكم بتهمته ، قال فأخبرونى فاذا ليس فيهم أحد الا يريد أن يتوب من تلك التهمة ، قال فقالوا لى تهمتك أنت يا عبد الرحمن ، فقلت : تهمتى أن لا شفقة على انسان يريد أن يحمل رزقى فى هذا الطين قال واذا برجل قد جاء ومعه جراب خبز وقد زلق فامتلأت ثيابه طينا وقال يا أبا عبد الرحمن خذ هذا الخبز . قال حاتم : خرجت فى سفر ومعى زاد فنفد زادى فى وسط البرية ، فكان قلبى فى السفر والحضر واحدا . وقيل لحاتم من أين تأكل ؟ فقال : «ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون» وقال : لى أربع نسوة وتسعة من الأولاد ، فما طمع الشيطان أن أن يوسوس الى فى شيء من أرزاقهم . وقال حاتم : لقينا الترك فكان بيننا جولة ، فرمانى تركى بسهم فقلبنى عن فرسى ، ونزل عن دابته وقعد على صدرى وأخذ بلحيتى هذه الوافرة ، وأخرج من خفه سكينا ليذبحنى بها ، فوحق سيدى ما كان قلبى عنده ولا عند سكينه ، انما كان قلبى عند سيدى أنظر ماذا ينزل به القضاء منه ، فقلت : ياسيدى قضيت على أن يذبحنى هذا ، فعلى الرأس والعين ، انما أنا لك وملكك ، فبينما أنا أخاطب سيدى وهو قاعد على صدرى وقد أخذ بلحيتى اذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه ، فسقط عنى فقمت أنا اليه وأخذت السكين من يده وذبحته بها ، فما هو الا أن تكون قلوبكم عند سيدكم حتى تروا من عجائب لطفه مالم تروا من الآباء والأمهات.

وقال أبو بكر الوراق : حاتم الأصم لقمان هذه الأمة . قيل جاءت امرأة فسألت حاتما عن مسألة ، فاتفق أن خرج منها فى تلك الحالة صوت فخجلت ، فقال حاتم : ارفعى صوتك — وأرى من نفسه أنه أصم — فسرت المرأة بذلك وقالت : انه لم يسمع الصوت . فغلب عليه اسم الأصم . وجاء اليه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن ، أى شيء رأس الزهد ، ووسط الزهد ، وآخر الزهد ؟ فقال حاتم : رأس الزهد الثقة بالله ، ووسطه الصبر ، وآخره الاخلاص . رحمه الله تعالى .

***

أبو محمد الحاج ابن يوسف

« أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ ٱلْحَكَمِ بْنِ عَقِيلِ ٱبْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَامِرِ بْنِ مُعَتِّبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو ٱبْنِ سَعْدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ قَسِيٍّ وَهُوَ ثَقِيفٌ » ذَكَرَهُ ٱبْنُ ٱلْكَلْبِيِّ فِي جَمْهَرَةِ ٱلنَّسَبِ ، وَقَالَ : وَلَدَ مُنَبِّهُ بْنُ ٱلنَّبِيتِ[1] قَسِيًّا ـ وَهُوَ ثَقِيفٌ فِيمَا يُقَالُ ـ وَٱللهُ أَعْلَمُ ، فَمَنْ يَنْسُبُ ثَقِيفًا إِلَى إِيَادٍ[2] فَهَذَا هُوَ نَسَبُهُمْ ، وَمَنْ نَسَبَهُمْ إِلَى قَسِيٍّ فَيَقُولُ قَسِيُّ بْنُ مُنَبِّهِ ٱبْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ[3] ، وَيَقُولُونَ كَانَتْ أُمُّ قَسِيٍّ أُمَيْمَةُ

(١) النبيت حى من اليمن، واسمه عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر (٢) اياد: حى من معد كانوا باليمن « وقال ابن دريد: هما ايادان اياد بن نزار ، واياد بن سود بن الحجر بن عمار بن عمرو » قال أبو دواد الأيادى :

في فتوحسن أو جههم من اياد بن نزار بن معد

(٣) هوازن قبيلة من قيس، وهو هوازن بن سعد بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. هذا ومن النسابين من يقول ان ثقيفا هو قيس بن منبه بن النبيت بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعمى بن اياد بن نزار ـ ويزعم قوم أن ثقيفا من بقايا ثمود ، ويؤيد بعضهم ذلك بما فى سنن أبى داود ودلائل النبوة وغيرهما عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه الى الطائف ، فمررنا على قبر، فقال: هذا قبر أبى رغال وهو أبو ثقيف، وكان

من ثمود ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه . ويروون عن ابن عباس أن ثقيفا وهو قسى بن منبه بن النبيت كما تقدم كان عبدا لامرأة نبى الله صالح «واسمها الهيجمانة بنت سعد» فوهبته لصالح، وأنه هو أبو رغال الذى يرجم قبره ، وفى ذلك يقول حسان بن ثابت :

اذا الثقفى فاخركم فقولوا ... هلم نعد أم أبى رغال

أبوكم أخبث الآباء قدما ... وأنتم مشبهوه على مثال

وقال الحجاج فى خطبة خطبها بالكوفة: بلغنى أنكم تقولون ان ثقيفا من بقايا ثمود ، ويلكم! وهل نجا من ثمود الا خيارهم ومن آمن منهم بصالح فبقى معه؟! ثم قال: قال الله تعالى : « وثمود فما أبقى » - فبلغ ذلك الحسن البصرى فتضاحك ثم قال: حكم لكع لنفسه، انما قال عز وجل «فما أبقى» أى لم يبقهم بل أهلكهم ، فرفع ذلك الى الحجاج ، فطلب الحسن، فتوارى حتى مات الحجاج سنة ٩٥ . ومن هذا كله يعلم أن نسب ثقيف غامض على شرفهم فى أخلاقهم وكثرة مصاهرتهم قريشا . وقال الحجاج يوما لأبى العسوس الطائى : أى أقدم؟ أنزول ثقيف الطائف ؟ أم نزول طيء الجبلين ؟ فقال أبو العسوس : ان كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طيء الجبلين قبلها ، وان كانت ثقيف من ثمود فهى أقدم ، فقال الحجاج: ياأبا العسوس اتقنى فانى سريع الخطفة للأحمق المتهوك «أى المتهور الذى يقع فى الشيء بغير مبالاة ولا روية » فقال أبو العسوس :

يؤدبنى الحجاج تأديب أهله ... فلو كنت من أولاد يوسف ما عدا

وانى لأخشى ضربة ثقفية ... يقد بها ممن عصاه المقلدا

على أننى مما أحاذر آمن ... اذا قيل يوما قد عتا المرء واعتدى

« المقلد موضع القلادة - يريد العنق » . وكان أبو العسوس أعرابيا قحا الا أنه لطيف الطبع، وكان الحجاج يمازحه . « أحمد يوسف نجاتى»

(١) هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر - والخلاصة أن ثقيفا اختلف

مُنَبِّهِ بْنُ بَكْرٍ ، فَجَاءَتْ بِقَسِيٍّ مَعَهَا مِنَ الْإِيَادِيِّ وَاللَّهُ أَعْلَمْ »
الثَّقَفِيُّ عَامِلُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ ،
وَلَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَتَوَلَّى الْوَلِيدُ أَبْقَاهُ وَأَقَرَّهُ عَلَى
مَا بِيَدِهِ . قَالَ الْمَسْعُودِيُّ فِي كِتَابِ مُرُوجِ الذَّهَبِ : إِنَّ
أُمَّ الْحَجَّاجِ الْفَارِعَةَ بِنْتَ هَمَّامِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ
كَانَتْ تَحْتَ الْحَرِثِ بْنِ كَلَدَةَ[1] الثَّقَفِيِّ الطَّائِفِيِّ حَكِيمِ
الْعَرَبِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا مَرَّةً سَحَرًا فَوَجَدَهَا تَتَخَلَّلُ ، فَبَعَثَ
إِلَيْهَا بِطَلَاقِهَا ، فَقَالَتْ : لِمَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِطَلَاقِي ؟! هَلْ لِشَيْءٍ
رَابَكَ مِنِّي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، دَخَلْتُ عَلَيْكِ فِي السَّحَرِ وَأَنْتِ
تَتَخَلَّلِينَ ، فَإِنْ كُنْتِ بَادَرْتِ الْغَدَاءَ فَأَنْتِ شَرِهَةٌ ، وَإِنْ
كُنْتِ بِتِّ وَالطَّعَامُ بَيْنَ أَسْنَانِكِ فَأَنْتِ قَذِرَةٌ ، فَقَالَتْ

فى نسبها فقال قوم من النسابين : انهم من هوازن ، وهو القول الذى يزعمه الثقفيون ، قالوا هو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن الخ . وعلى هذا القول جمهور الناس ، ويزعم آخرون أن ثقيفا من اياد بن نزار بن معد بن عدنان ، وأن النخع أخوه لأبيه وأمه ، ثم افترقا فصار أحدهما فى عداد هوازن والآخر فى عداد مذحج بن مالك بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) هو من الصحابة وكان من المؤلفة قلوبهم ومن أشراف قومه وأماثلهم

كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكن ، لَـكِنِّي تَخَلَّلتُ مِنْ شَظَايَا السِّوَاكِ .
فتَزَوَّجهَا بَعْدَهُ يُوسُفُ بْنُ أَبِي عَقِيلٍ الثَّقَفِيُّ(١) فَوَلدَتْ لَهُ
الْحَجَّاجَ مُشوَّهًا لَا دُبُرَ لَهُ، فَنقِبَ عَنْ دُبُرِهِ ، وَأَبَى أَنْ يَقبَلَ
ثَدْيَ أُمِّهِ أَوْغَيْرِهَا، فَأَعْيَاهُمْ أَمْرُهُ، فيُقَالُ إِنَّ الشَّيْطَانَ تَصَوَّرَ
لَهُمْ فِي صُورَةِ الْحَرِثِ بْنِ كَلَدَةَ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ ، فَقَالَ :
مَا خَبَرُكُمْ ؟ قَالُوا : بُنَيٌّ وُلِدَ لِيُوسُفَ مِنَ الْفَارِعَةِ ، وَقَدْ أَبَى

(١) يروى أنه لما دخل الحجاج مكة اعتذر الى أهلها لقلة ماوصلهم به، فقال قائل منهم: اذا والله لانعذرك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين ، وذلك أن عروة بن مسعود ولده من قبل أمه الفارعة بنت همام بن عروة ابن مسعود ، و يشير القائل الى ماقيل فى تأويل قوله تعالى « وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » أى على رجل من احدى القريتين عظيم، والقريتان هما مكة والطائف، والرجلان عروة بن مسعود والآخر الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم « وهو القائل : لو كان مايقول محمد حقا لنزل على القرآن أو على عروة بن مسعود الثقفى » أما عروة بن مسعود فانه لما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم عن حصار الطائف اتبع أثره عروة حتى أدركه قبل أن يصل الى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع الى قومه بالاسلام، فقال له الرسول انهم قاتلوك، فقال: يارسول الله أنا أحب اليهم من أبكارهم، وفى رواية من أبصارهم، فخرج يدعو قومه الى الاسلام، فلما أشرف لهم على علية له وقد دعاهم الى الاسلام وأظهر دينه رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله ، فلما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس بن عبد المطلب الى أهل مكة أبطأ عليه ، فقال ردوا على أبى، أما لئن فعلت به قريش مافعلت ثقيف بعروة بن مسعود « لأضرمنها عليهم نارا » . « أحمد يوسف نجاتى » .

أَنْ يقبَلَ ثَدىَ أُمِّهِ ، فقَالَ : اُذْبَحُوا جَدْياً أَسْوَدَ وَأَوْلِغُوهُ[١] دَمَهُ ، فَإِذا كانَ اُلْيَوْمُ اُلثانِى فَافعَلُوا بِهِ كَذلِكَ ، فَإِذا كَانَ فِى اُلْيَوْمِ اُلثَّالِثِ فَاذْبَحُوا لَهُ تَيْسًا أَسْوَدَ وَأَوْلِغُوهُ دَمَهُ ، ثُمَّ اُذبَحُوا لَهُ أَسْوَدَ سَالِخاً[٢] وَأَوْلِغُوهُ دَمَهُ وَاُطلُوا بِهِ وَجْهَهُ فَإِنَّهُ يَقبَلُ اُلثَّدْىَ فِى اُلْيَوْمِ اُلرَّابِعِ ، قَالَ ففَعَلُوا بِهِ ذٰلِكَ فَكَانَ لَا يَصْبِرُ عَلَى سَفْكِ اُلدِّمَاءِ، لِمَا كَانَ مِنْهُ فِى أَوَّلِ أَمْرِهِ .

وَكَانَ اُلْحَجَّاجُ يُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّ أَكْبَرَ لَذَّاتِهِ سَفْكُ اُلدِّمَاءِ وَاُرْتِكَابُ أُمُورٍ لَا يُقْدِمُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ . وَذَكَرَ اُبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِى اُلعِقْدِ : أَنَّ اُلْفَارِعَةَ اُلمَذْكُورَةَ كَانَتْ زَوْجَةَ اُلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ[٣] وَأَنَّهُ هُوَ اُلَّذِى طَلَّقَهَا لِأَجْلِ

(١) ولغ الكلب « وغيره من كل ذى خطم » فى الاناء والشراب ونحوه « كوهب يهب » ولوغا اذا شرب مافيه بأطراف لسانه ، أو أدخل لسانه فيه فحركه – هذا وأنت تعرف قيمة هذه الأحاديث، فما كان الحجاج بدعا من المولودين (٢) الأسود السالخ اسم للأسود من الحيات شديد السواد لأنه يسلخ جلده كل سنة (٣) هو المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى أبو محمد أو أبو عبد الله، شهد عمرة الحديبية و بيعة الرضوان، وأسلم عام الخندق ، وشهد اليمامة واليرموك والقادسية، و ولى العراق لعمر وغيره وكان من رجال الدهر حزما وعزما و رأيا ودهاء، عاقلا أديبا فطنا لبيبا، توفى سنة ٥٠ وهو يلى الكوفة لمعاوية . « أحمد يوسف نجاتى » .

اُلْحِكَايَةِ اُلْمَذْكُورَةِ فِي اُلتَّخَلُّلِ(١) . وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ

(١) وقد كان المغيرة وهو يلى الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان بن المنذر ، وهى فيه عمياء مترهبة على دين النصرانية عجوز اشمطاء، فاستأذن عليها، فقيل لها: أمير هذه المدرة بالباب ، فقالت قولوا له: أمن ولد جبلة بن الأيهم أنت؟ قال لا ، قالت: أفمن ولد المنذر بن ماء السماء ؟قال لا ، قالت : فمن أنت ؟قال المغيرة بن شعبة الثقفى ، قالت فما حاجتك ؟ قال: جئتك خاطبا، قالت لو كنت جئتنى لجمال أو لمال لأطلبتك، ولكنك أردت أن تتشرف بى فى محافل العرب فتقول نكحت ابنة النعمان بن المنذر، والا فأى خير فى اجتماع أعور وعمياء ؟ فبعث اليها كيف كان أمركم ؟ فقالت: سأختصر لك الجواب ، أمسينا مساء وليس فى الأرض عربى الا وهو يرغب الينا ويرهبنا ، ثم أصبحنا وليس فى الأرض عربى الا ونحن نرغب اليه ونرهبه، قال: فما كان أبوك يقول فى ثقيف؟ قالت: اختصم اليه رجلان أحدهما من هوازن والآخر من بنى مازن كلاهما يقول ان ثقيفا منا، فأنشأ يقول :

ان ثقيفا لم تكن هوازنا ولم تناسب عامرا ومازنا

« يريد عامر بن صعصعة ومازن بن منصور » فقال المغيرة : أما نحن فمن بكر بن هوازن ، فليقل أبوك ماشاء . فأنت ترى أن النعمان نفى ثقيفا عن هوازن وعن بطن منها وهى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ونفاه أيضا عن مازن أخى هوازن. ويروى أن أحد الرجلين كان ينميها الى اياد ، والآخر الى بكر بن هوازن ، فقضى بها النعمان للأيادى، وأنشد الرجز. وقالت أخت الأشتر النخعى مالك بن الحرث تبكيه بما رواه أبو اليقظان:

أبعد الأشتر النخعى نرجو مكاثرة ونقطع بطن واد ؟!
ونصحب مذحجا باخاء صدق وان ننسب فنحن ذرا اياد
ثقيف عمنا وأبو أبينا واخوتنا نزار أو السداد

فأخبرت أن ثقيفا من اياد بن نزار . « أحمد يوسف نجاتى » .

ٱلْحَجَّاجَ وَأَبَاهُ كَانَا يُعَلِّمَانِ ٱلصِّبْيَانَ بِالطَّائِفِ(١) ثُمَّ لَحِقَ ٱلْحَجَّاجُ بِرَوْحِ بْنِ زِنْبَاعٍ ٱلْجُذَامِيِّ(٢) وَزِيرِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱبْنِ مَرْوَانَ، فَكَانَ فِي عَدِيدِ شُرْطَتِهِ، إِلَى أَنْ رَأَى عَبْدُ ٱلْمَلِكِ ٱنْحِلَالَ عَسْكَرِهِ، وَأَنَّ ٱلنَّاسَ لَا يَرْحَلُونَ بِرَحِيلِهِ، وَلَا يَنْزِلُونَ

---

(١) وفى ذلك يقول الشاعر، وهو البرج بن خنزير التميمى — وكان الحجاج قد ألزمه البعث الى المهلب لقتال الخوارج الأزارقة فهرب منه الى الشام:

وما ذا عسى الحجاج يبلغ جهده	اذا نحن جاوزنا حفير زياد؟!
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف	كما كان عبدا من عبيد اياد
زمان هو العبد المقر بذلة	يراوح صبيان القرى ويغادى
فان تنصفونا يال مروان نقترب	اليكم، والا فأذنوا ببعاد
فان لنا عنكم مزاحا ومزحلا	بعيس الى ريح الفلاة صواد
مخيسة بزل تخايل فى البرى	سوار على أرض الفلاة غواد
وفى الأرض عن ذى الجور منأى ومذهب	وكل بلاد أوطنت كبلادى

المخيسة الابل التى لم تسرح الى المرعى، ولكنها حبست للنحر أو القسم «أى أنها ألزمت مكانها لتسمن» والبرى جمع برة، وهى حلقة من صفر أو غيره توضع فى أنف البعير، يقصدون بها الزينة أو التذليل، والبزل جمع بازل، يريد به القوية الشديدة. «أحمد يوسف نجاتى» (٢) روح ابن زنباع بن روح بن سلامة بن حداد بن حديدة بن أمية بن امرىء القيس بن حمامة بن وائل بن مالك بن زيد مناة، وأبوه زنباع له رؤية وابنه روح من التابعين، وقيل له صحبة، كان سيد قومه وأمير فلسطين ذا عقل ورأى، وكان معظما عند عبدالملك لا يكاد يفارقه، وهو عنده بمنزلة وزير، وكان ذا علم ودين، وتوفى سنة ٨٤ «أحمد يوسف نجاتى»

بِنُزُولِهِ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى رَوْحِ بْنِ زِنْبَاعٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ فِي شُرْطَتِي رَجُلًا لَوْ قَلَّدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَ عَسْكَرِهِ لَأَرْحَلَ النَّاسَ بِرَحِيلِهِ وَأَنْزَلَهُمْ بِنُزُولِهِ - يُقَالُ لَهُ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ - قَالَ : فَإِنَّا قَدْ قَلَّدْنَاهُ ذَلِكَ ، فَكَانَ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنِ الرَّحِيلِ وَالنُّزُولِ إِلَّا أَعْوَانُ رَوْحِ بْنِ زِنْبَاعٍ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ يَوْمًا - وَقَدْ أَرْحَلَ النَّاسَ وَهُمْ عَلَى الطَّعَامِ يَأْكُلُونَ - فَقَالَ لَهُمْ : مَامَنَعَكُمْ أَنْ تَرْحَلُوا بِرَحِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالُوا لَهُ : انْزِلْ يَابْنَ اللَّخْنَاءِ[1] فَكُلْ مَعَنَا ، فَقَالَ لَهُمْ : هَيْهَاتَ! ذَهَبَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَجُلِدُوا بِالسِّيَاطِ ، وَطَوَّفَهُمْ فِي الْعَسْكَرِ ، وَأَمَرَ بِفَسَاطِيطِ رَوْحٍ فَأُحْرِقَتْ بِالنَّارِ ، فَدَخَلَ رَوْحٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بَاكِيًا ، وَقَالَ : يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْحَجَّاجَ الَّذِي كَانَ فِي شُرْطَتِي ضَرَبَ غِلْمَانِي ، وَأَحْرَقَ فَسَاطِيطِي ، قَالَ : عَلَيَّ بِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ؟ قَالَ : أَنَا مَا فَعَلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : وَمَنْ فَعَلَ ؟ قَالَ :

(١) اللخناء : أى منتنة مطاوى الجسد، والتى لم تختن، وابن اللخناء يكنى به عن اللئيم الآثم أو دنىء الأصل «أحمد يوسف نجاتى»

أَنْتَ فعلْتَ : إنما يَدِى يدُكَ ، وَسَوْطِى سَوْطُك ، وَمَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُخْلِفَ عَلَى رَوْحٍ عِوَضَ الْفُسْطَاطِ فُسْطَاطَيْنِ وَعِوَضَ الْغُلَامِ غُلَامَيْنِ ؟ وَلَا يَكْسِرَنِى فِيمَا قَدَّمَنِى لَهُ ؛ فَأَخْلَفَ لِرَوْحٍ مَا ذَهَبَ لَهُ ، وَتَقَدَّمَ الْحَجَّاجُ فِى مَنْزِلَتِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا عُرِفَ مِنْ كِفَايَتِهِ . وَكَانَ لِلْحَجَّاجِ فِى الْقَتْلِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَالْعُقُوبَاتِ غَرَائِبُ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا ، وَيُقَالُ إِنَّ زِيَادَبْنَ أَبِيهِ أَرَادَ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ فِى ضَبْطِ الْأُمُورِ وَالْحَزْمِ وَالصَّرَامَةِ[1] وَإِقَامَةِ السِّيَاسَاتِ، إِلَّا أَنَّهُ أَسْرَفَ وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ، وَأَرَادَ الْحَجَّاجُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِزِيَادٍ فَأَهْلَكَ وَدَمَّرَ . وَخَطَبَ يَوْمًا فَقَالَ فِى أَثْنَاءِ كَلَامِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الصَّبْرَ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ أَهْوَنُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِ اللهِ[2] ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ :

(١) الصرامة : المضى فى الأمور ، والشجاعة وقوة العزيمة (٢) من هذه الخطبة : أيها الناس اقدعوا هذه الأنفس، فانها أسأل شىء اذا أعطيت، وأمنع شىء اذا سئلت ؛ فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما وزماما ، فقادها بخطامها فى الله، وعطفها بزمامها عن معصية الله، فانى رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه . اه « اقدعوا : أى امنعوا ، والخطام فى الأصل حبل من ليف أو شعر أو كتان يثنى طرفه على مخطم البعير ليقاد به،

وَيْحَكَ يَاحَجَّاجُ ! مَا أَصْفَقَ وَجْهَكَ ! وَأَقَلَّ حَيَاءَكَ ! فَأَمَرَ بِهِ فَحُبِسَ ، فَلَمَّا نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ دَعَا بِهِ فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ اجْتَرَأْتَ عَلَيَّ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَجْتَرِئُ عَلَى اللهِ فَلَا تُنْكِرُهُ ؟! وَنَجْتَرِئُ عَلَيْكَ فَتُنْكِرُهُ ؟ فَخَلَّى سَبِيلَهُ . وَذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ تَلْقِيحِ فُهُومِ أَهْلِ الْأَثَرِ : أَنَّ الْفَارِعَةَ أُمَّ الْحَجَّاجِ هِيَ الْمُتَمَنِّيَةُ ، وَلَمَّا تَمَنَّتْ كَانَتْ تَحْتَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ — وَقَصَّ قِصَّتَهَا — وَنَذْكُرُهَا مُخْتَصَرَةً : وَهِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طَافَ لَيْلَةً فِي الْمَدِينَةِ ، فَسَمِعَ امْرَأَةً تُنْشِدُ فِي خِدْرِهَا[1] :

والزمام : حبل دقيق يجعل فى أنفه » وكان الحجاج أيضا يقول : ان امرأ أتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربه أو يستغفر من ذنبه أو يفكر فى معاده لجدير أن تطول حسرته يوم القيامة » رحم الله أبا محمد فرأيي فيه أنه لو لم يسرف فى العنف لكان فى عداد المصلحين من الأمة العربية، وأنه لولاه لانهار ملك بنى أمية، وهى التى رفعت شأن العرب والعربية، وقد كان الحجاج مستبدا عادلا « لولا غلوه فى القسوة والأرهاب » وهذا ما كان الشرق يحتاج اليه كما قال بعض حكمائه «أحمد يوسف نجاتى»

(١) وقبله :

يا ليت شعرى عن نفسى أزاهقة ... منى ولم أقض ما فيها من الحاج ؟!

وبعده :

الى فتى ماجد الأعراق مقتبل ... سهل المحيا كريم غير ملجاج

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى خَمْرٍ فَأَشْرَبَهَا !؟

أَمْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ ؟!

فَقَالَ عُمَرُ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — لَا أَرَى مَعِي فِي الْمَدِينَةِ رَجُلًا تَهْتِفُ بِهِ ، الْعَوَاتِقُ(١) فِي خُدُورِهِنَّ ، عَلَيَّ بِنَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَإِذَا هُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَحْسَنُهُمْ شَعَرًا ، فَقَالَ عُمَرُ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — عَزِيمَةٌ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَتَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِكَ ، فَأَخَذَ مِنْ شَعَرِهِ ، فَخَرَجَ لَهُ وَجْنَتَانِ كَأَنَّهُمَا شِقَّتَا قَمَرٍ(٢) ، فَقَالَ : أَعْتَمَّ ، فَاعْتَمَّ ، فَفُتِنَ النَّاسُ

تنميه أعراق صدق حين تنسبه — أخي قداح عن المكروب فراج

سامي النواظر ، من بهز ، له قدم — تضيء صورته في الحالك الداجي

(١) جمع عاتق وهي الجارية أول ماأدركت و بلغت نخدرت في بيت أهلها أوالتي لم تتزوج (٢) وكان سيدنا عمر أصلع لم يبق من شعره الا حفاف « أي شعر حول الصلعة وجمعه أحفة » فقال نصر بن حجاج :

لضن ابن خطاب على بجمة — اذا رجلت تهتز هز السلاسل

فصلع رأسا لم يصلعه ربه — يرف رفيفا بعد أسود جائل

لقد حسد الفرعان أصلع لم يكن — اذا مامشي بالفرع بالمتخايل

« الفرعان جمع أفرع : وهو التام الشعر ، ضد الأصلع واحد الصلعان » وذكرت هنا قول القائل :

حلقوا شعره ليكسوه قبحا — غيرة منهم عليه وشحا

كان صبحا عليه ليل بهيم — فانجلى ليله فأصبح صبحا

ولكن رحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فقد كان بعيد النظر ، بعيد

بِعَيْنَيْهِ (١) ، فَقَالَ عُمَرُ : ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَاللهِ لَا تُسَاكِنُنِي بِبَلْدَةٍ أَنَا فِيهَا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا ذَنْبِي ؟ قَالَ : هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ (٢) . هَذِهِ خُلَاصَةُ الْقِصَّةِ ، وَبَقِيَّتُهَا لَا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِهِ . وَنَصْرٌ الْمَذْكُورُ هُوَ ابْنُ حَجَّاجِ ابْنِ عِلَاطٍ (٣) السُّلَمِيِّ ، وَأَبُوهُ صَحَابِيٌّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

النور . « أحمد يوسف نجاتى » (١) كأنه المعنى بقول أبى الطيب :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ⁂ فان لحت ذابت فى الخدور العواتق

(٢) وأبرد عمر بريدا الى عتبة بن أبى سفيان بالبصرة، فأقام نصر بها أياما . ثم نادى منادى عتبة : من أراد أن يكتب الى أهله بالمدينة أو الى أمير المؤمنين شيئا فليكتب، فان بريد المسلمين خارج، فكتب الناس، ودس نصر بن حجاج كتابا فيه : الى عبد الله عمر أمير المؤمنين من نصر بن حجاج سلام عليك، أما بعد يا أمير المؤمنين :

لعمرى لئن سيرتنى أو حرمتنى ⁂ لما نلت من عرضى عليك حرام
أئن غنت الذلفاء يوما بمنية ⁂ وبعض أمانى النساء غرام
ظننت بى الظن الذى ليس بعده ⁂ بقاء ؟ فمالى فى الندى كلام ؟
وأصبحت منفيا على غير ريبة ⁂ وقد كان لى بالمكتين مقام
سيمنعنى مما تظن تكرمى ⁂ وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تمنت صلاتها ⁂ وحال لها فى دينها وصيام
فهاتان حالانا، فهل أنت راجع ؟! ⁂ فقد جب منى كاهل وسنام ؟!

فقال عمر : أما ولى ولاية فلا ، وأقطعه أرضا بالبصرة ودارا ، فلما قتل عمر ركب نصر راحلته ولحق بالمدينة . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) حجاج ابن علاط بن خالد بن ثويرة بن خنثر بن هلال بن عبيد بن ظفر بن

وَقِيلَ إِنَّ الْمُتَمَنِّيَةَ هِيَ جَدَّةُ الْحَجَّاجِ أُمُّ أَبِيهِ، وَهِيَ كِنَانِيَّةٌ.

وَحَكَى أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِ التَّصْحِيفِ أَنَّ النَّاسَ غَبَرُوا(٢) يَقْرَءُونَ فِي مُصْحَفِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَى أَيَّامِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ثُمَّ كَثُرَ التَّصْحِيفُ، وَانْتَشَرَ بِالْعِرَاقِ، فَفَزِعَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ إِلَى كُتَّابِهِ، وَسَأَلَهُمْ أَنْ يَضَعُوا لِهَذِهِ الْحُرُوفِ الْمُشْتَبِهَةِ عَلَامَاتٍ، فَيُقَالُ إِنَّ نَصْرَ بْنَ عَاصِمٍ(١) قَامَ بِذَلِكَ فَوَضَعَ النُّقَطَ أَفْرَادًا وَأَزْوَاجًا، وَخَالَفَ بَيْنَ أَمَاكِنِهَا، فَغَبَرَ(٢) النَّاسُ بِذَلِكَ زَمَانًا لَا يَكْتُبُونَ إِلَّا مَنْقُوطًا، فَكَانَ مَعَ اسْتِعْمَالِ النُّقَطِ أَيْضًا يَقَعُ التَّصْحِيفُ، فَأَحْدَثُوا الْإِعْجَامَ(٣) فَكَانُوا يُتْبِعُونَ النُّقَطَ الْإِعْجَامَ، فَإِذَا

سعد بن عمرو بن تيم بن بهز بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، السلمي ثم البهزي، كان يكنى أبا كلاب، وقيل أبا محمد، سكن المدينة، وهو معدود من أهلها، و بنى بها مسجدا ودارا تعرف به، وأسلم الحجاج ووفد على النبي صلى الله عليه وهو بخيبر، فأسلم وحسن اسلامه، وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة خيبر، وكان ذا مال ودهاء وحسن احتيال - رضى الله عنه «أحمد يوسف نجاتي»

(١) نصر بن عاصم الليثي، كان من قدماء التابعين فقيها عالما بالعربية، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء، توفي سنة ٨٩ (٢) غبر «كقعد» مكث وبقي، وفي الأصل «عبر» مصحفة (٣) أعجم الكتاب اذا أزال عجمته وإبهامه بالنقط

أُغفِلَ ٱلِاسْتِقْصَاءُ عَنِ ٱلْـكَلِمَةِ فَلَمْ تُوَفَّ حُقُوقَهَا ٱعْتَرَى ٱلتَّصْحِيفُ ، فَٱلْتَمَسُوا حِيلَةً ، فَلَمْ يَقْدِرُوا فِيهَا إِلَّا عَلَى ٱلْأَخْذِ مِنْ أَفْوَاهِ ٱلرِّجَالِ بِٱلتَّلْقِينِ . وَبِٱلْجُمْلَةِ فَأَخْبَارُ ٱلْحَجَّاجِ كَثِيرَةٌ وَشَرْحُهَا يَطُولُ . وَهُوَ ٱلَّذِى بَنَى مَدِينَةَ وَاسِطٍ ، وَكَانَ شُرُوعُهُ فِي بِنَائِهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ لِلْهِجْرَةِ ، وَفَرَغَ مِنْهَا فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ ، وَإِنَّمَا سَمَّاهَا وَاسِطَ لِأَنَّهَا بَيْنَ ٱلْبَصْرَةِ وَٱلْـكُوفَةِ ، فَـكَأَنَّهَا تَوَسَّطَتْ بَيْنَ هٰذَيْنِ ٱلْمِصْرَيْنِ . وَذَكَرَ ٱبْنُ ٱلْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِ شُذُورِ ٱلْعُقُودِ ٱلْمُرَتَّبِ عَلَى ٱلسِّنِينَ أَنَّهُ فَرَغَ مِنْ بِنَائِهَا فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ ، وَكَانَ قَدِ ٱبْتَدَأَ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ . وَٱللهُ أَعْلَمُ . وَلَمَّا حَضَرَتْهُ ٱلْوَفَاةُ أَحْضَرَ مُنَجِّماً فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَرَى فِي عِلْمِكَ مَلِكاً يَمُوتُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَلَسْتَ بِهِ . فَقَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ ٱلْمُنَجِّمُ : لِأَنَّ ٱلَّذِى يَمُوتُ ٱسْمُهُ كُلَيْبٌ ، فَقَالَ ٱلْحَجَّاجُ : أَنَا هُوَ وَٱللهِ ، بِذَلِكَ كَانَتْ سَمَّتْنِي أُمِّى (١) ، فَأَوْصَى عِنْدَ ذَلِكَ . وَٱلشَّىْءُ بِٱلشَّىْءِ

(١) وفى ذلك يقول القائل :

أينسى كليب زمان الهزال ... وتعليمه صبيـة الـكوثر

يُذْكَرُ ؛ وَيُشْبِهُ هَـذَا قَوْلُ ٱلدَّاعِي عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ٱلصُّلَيْحِيِّ ـ وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى ـ وَهُوَ ٱلَّذِي كَانَ دَاعِيًا بِٱلْيَمَنِ، وَمَلَكَ ٱلْبِلَادَ ٱلْيَمَنِيَّةَ كُلَّهَا، وَقَهَرَ مُلُوكَهَا[1]،

رغيف له فلكة ماترى   وآخر كالقمر الأزهر

وكوثر قرية بالطائف قيل ان الحجاج كان يعلم بها ، والبيت الثاني يشير الى أن خبز المعلمين يأتى مختلفا لأنه من بيوت صبيان مختلفى الأحوال ـ وفى لقبه يقول آخر من أهل الطائف :

كليب تمكن فى أرضكم   وقد كان فينا صغير الخطر

هذا و ينبغى أن يؤخذ بعض هذه الأقوال بالحيطة، فقد كانت قسوة الحجاج داعية الى التزيد فى نسبه والافتراء عليه ، على أن وظيفة التعليم فى القرن الأول لم تكن ممتهنة كما قد يتصور ، وانما كانت ذات شرف . وارجع فى ذلك الى ماقاله ابن خلدون فى المقدمة . أحمد يوسف نجاتى » .

(١) وفى سنة ٤٥٥ دخل الصليحى صاحب اليمن الى مكة مالكا لها فأحسن السيرة فيها، وجلب اليها الأقوات، و رفع جور من تقدم، وظهرت منه أفعال جميلة، وأمن الحجاج فى أيامه، فأثنوا عليه خيرا، وكسا البيت بالحرير الأبيض الصينى، و ردحلى البيت اليه ـ وكان بنو حسن قد أخذوه وحملوه الى اليمن فابتاعه الصليحى منهم ـ وكان الصليحى قبـل ذلك قد قتل سنة ٤٤٧ الامام الناصر الديلمى « أبا الفتح بن ناصر بن حسين بن محمد بن عيسى ابن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن على بن الحسين بن زيد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب » القائم باليمن بعد عودته من ناحية الديلم سنة ٤٢٠ ففى هذه السنة ظهر الصليحى باليمن واستولى عليها، وكان معلما، فجمع لنفسه جمعا، وانتمى الى صاحب مصر المستنصر الفاطمى وتظاهر بطاعته: فكثر جمعه وتبعه، واستولى على البلاد، وقوى على أمرائها الذين كانوا مقيمين بها على طاعة الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، وكان يتظاهر

حَتَّى قَدَّرَ اللهُ انْقِضَاءَ مُدَّتِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى مَكَّةَ عَلَى عَزْمِ الْحَجِّ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعمِائَةٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَهْجَمِ (١) وَنَزَلَ بِظَاهِرِهَا بِضَيْعَةٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ الدُّهَيْمِ وَبِئْرُ أُمِّ مَعْبَدٍ أَدْرَكَهُ فِيهَا — عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ — سَعِيدُ بْنُ نَجَاحٍ الْأَحْوَلُ الَّذِي كَانَ أَبُوهُ صَاحِبَ تِهَامَةَ، وَقَتَلَهُ الصُّلَيْحِيُّ وَأَخَذَ مَمْلَكَتَهُ، وَهَرَبَ مِنْهُ أَوْلَادُهُ سَعِيدٌ الْمَذْكُورُ وَإِخْوَتُهُ — وَكَانَ سَعِيدٌ فِي قُلٍّ مِمَّنْ تَابَعَهُ، حَتَّى دَخَلَ مُخَيَّمَ الصُّلَيْحِيِّ وَالنَّاسُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْعَسْكَرِ وَحَوَاشِيهِ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِأَمْرِهِمْ إِلَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ أَخُو الصُّلَيْحِيِّ، فَرَكِبَ، وَقَالَ لِأَخِيهِ: يَا مَوْلَانَا ارْكَبْ، فَهُوَ وَاللهِ الْأَحْوَلُ ابْنُ نَجَاحٍ، وَالْعَدَدُ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ كِتَابُ أَسْعَدَ بْنِ شِهَابٍ (٢) الْبَارِحَةَ مِنْ زَبِيدَ. فَقَالَ الصُّلَيْحِيُّ لِأَخِيهِ: طِبْ نَفْسًا، فَإِنِّي

بمذهب الباطنية — هذا والذى فى تاريخ ابن الأثير أن الصليحى أمير اليمن قتل سنة ٤٥٩ بمدينة المهجم، قتله أحد أمرائها، وأقيمت الدعوة العباسية هناك «أحمد يوسف نجاتى» (١) المهجم: بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن، ويقال لناحيتها خزاز، وكان أكثر أهلها من خولان «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) هو صهر الصليحى أخو زوجته أسماء بنت شهاب، وكان قد ولاه تهامة «أحمد يوسف نجاتى»

لَا أَمُوتُ إِلَّا بِالدُّهَيْمِ وَبِئْرِ أُمِّ مَعْبَدٍ ـ مُعْتَقِدًا أَنَّهَا أُمُّ مَعْبَدٍ (١) الْخُزَاعِيَّةُ الَّتِي نَزَلَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ هَاجَرَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَهِيَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ مِمَّا يَلِي مَكَّةَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْجُحْفَةِ (٢) ـ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: قَاتِلْ عَنْ نَفْسِكَ، فَوَاللهِ هَذَا هُوَ بِئْرُ الدُّهَيْمِ ابْنِ عِيسَى، وَهَذَا الْمَسْجِدُ مَوْضِعُ خَيْمَةِ أُمِّ مَعْبَدِ بْنِ الْحَرِثِ

---

(١) أم معبد اسمها عاتكة بنت خالد بن خنيف بن منقذ بن ربيعة ابن أصرم، احدى بنى كعب من خزاعة، وهى أخت حبيش بن خالد، وله رواية وصحبة، وزوجها أبو معبد يقال ان له رواية أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفى فى حياته عليه الصلاة والسلام، وكان منزله بقديد « موضع قرب مكة » وفى حديث أم معبد قيل :

جزى الله رب الناس خير جزائه	رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر. ثم ترحلا	فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم	ومقعدها للمؤمنين بمرصد
فيا لقصى مازوى الله عنكم	به من فعال لايجارى وسودد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها	فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت	له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها بحالب	يرددها فى مصدر ثم مورد

وحديثها وحديث الشاة التى فى الأبيات معروف « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) الجحفة : كانت قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهى ميقات أهل مصر والشام ان لم يمروا على المدينة، والا فميقاتهم ذو الحليفة، و بينها و بين ساحل البحر نحو ثلاث مراحل، و بينها و بين

الْعَبْسِيِّ ، فَأَدْرَكَهُ لَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ زَمَعُ[١] الْيَأْسِ مِنَ الْحَيَاةِ

فَلَمْ يَرِمْ مَكَانَهُ ، وَقُتِلَ لِوَقْتِهِ هُوَ وَأَخُوهُ وَأَهْلُهُ ، وَمَلَكَ

سَعِيدٌ الْأَحْوَلُ عَسْكَرَهُ وَمُلْكَهُ . وَهَذَا سَعِيدٌ الْأَحْوَلُ

هُوَ أَخُو الْمَلِكِ جَيَّاشٍ الْمَشْهُورِ الْفَاضِلِ ، وَأَبُوهُ نَجَاحٌ

الْمَلِكُ كَانَ عَبْدًا لِمَرْجَانَ الْمَلِكِ ، وَكَانَ عَبْدًا لِحُسَيْنِ بْنِ

سَلَامَةَ[٢] مَوْلَى الْأُسْتَاذِ رُشْدٍ الْحَبَشِيِّ ، وَكَانَ الْحُسَيْنُ

وَرُشْدٌ قَبْلَهُ كُلٌّ مِنْهُمَا هُوَ صَاحِبُ الْأَمْرِ وَالْمُلْكِ فِي

المدينة ست مراحل ، وقد خربت منذ زمان « أحمد يوسف نجاتى »

(١) رام المكان يريمه اذا فارقه ، والزمع : الدهش والخوف ، وقد زمع « كفرح » اذا خرق من خوف وجزع . والزمع أيضا شبه رعدة تأخذ الانسان من خوف أوهم « وقد تكون من شجاعة ونشاط كما قال أبو الطيب :

فقد يظن شجاعا من به خرق   وقد يظن جبانا من به زمع

هذا ولعل العبارة فى الأصل فيها تصحيف أو تقديم وتأخير ، فقد كانت هكذا « فأدركه فلما سمع ذلك زمع اليأس من الحياة » وبحذف الفاء من لما استقامت العبارة ، وأدت معنى العبارة الواضحة الآتيـة فى ترجمة على بن الصليحى وهى : فلما سمع الصليحى ذلك لحقه زمع اليأس من الحياة ، وبال ، ولم يبرح من مكانه حتى قطع رأسه بسيفه ، وقتل أخوه معه وسائر الصليحيين الخ . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) فى سنة ٤٢٨ توفى الأمير أبو عبد الله الحسين بن سلامة أمير تهامة باليمن ، وولى ابنه بعده ، فعصى عليه خادم كان لوالده ، وأراد أن يملك ، فكانت بينهما حروب كثيرة تمادت أيامها ، ففارق أهل تهامة أوطانهم الى غير مملكة

ٱلْمَعْنَى ، وَفِي ٱلصُّورَةِ كَالْوَزِيرِ عَنْ آخِرِ مُلُوكِ بَنِي زِيَادٍ بِالْيَمَنِ ، وَهُوَ طِفْلٌ مِنْ أَوْلَادِ أَبِي ٱلْجَيْشِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ٱبْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ ٱللَّهِ ، وَقِيلَ إِبْرَاهِيمُ ، وَقِيلَ زِيَادٌ وَهُوَ ٱلَّذِي ٱنْقَرَضَتْ دَوْلَتُهُمْ بِهِ عَلَى يَدِ عَبْدٍ يُقَالُ لَهُ قَيْسٌ مَوْلَى مَرْجَانَ ٱلْمَذْكُورِ ، وَسَبَبُهُ أَنَّ ٱلطِّفْلَ ٱلْمَذْكُورَ لَمَّا مَاتَ أَبُوهُ أَبُو ٱلْجَيْشِ كَفَلَهُ مَوْلَاهُ مَرْجَانُ ٱلْمَذْكُورُ وَعَمَّةٌ لِلطِّفْلِ ، وَكَانَ لِمَرْجَانَ عَبْدَانِ أَحَدُهُمَا نَجَاحٌ أَبُو سَعِيدٍ وَٱلْآخَرُ قَيْسٌ ، فَغَلَبَا عَلَى أَمْرِهِ ، وَكَانَ قَيْسٌ يَحْكُمُ بِالْحَضْرَةِ ، وَنَجَاحٌ يَتَوَلَّى أَعْمَالَ ٱلْكَدْرَاءِ(١) وَٱلْمَهْجَمِ وَأَعْمَالًا أُخْرَى غَيْرَهَا ، وَوَقَعَ ٱلتَّنَافُسُ بَيْنَ قَيْسٍ وَنَجَاحٍ عَلَى وِزَارَةِ ٱلْحَضْرَةِ ، وَكَانَ قَيْسٌ غَشُومًا ظَالِمًا ، وَنَجَاحٌ رَءُوفًا عَادِلًا ، فَٱتَّهَمَ قَيْسٌ عَمَّةَ ٱبْنِ زِيَادٍ بِالْمَيْلِ عَلَيْهِ إِلَى نَجَاحٍ ، فَقَبَضَ

---

(١) كدراء : مدينة باليمن على وادى سهام ، اختطها حسين بن سلامة « وهى أمه » أحد المتغلبين على اليمن فى نحو سنة ٤٠٠ ه « و وادى سهام الى الجنوب الغربى من صنعاء ، وسهام اسم رجل سمى به الموضع ، وهو سهام بن سمان بن الغوث من حمير وادى سهام شامى ، وكانت قصبته الكدراء » « أحمد يوسف نجاتى » ولد الحسين هربا من الشر وتفاقم الأمر « أحمد يوسف نجاتى »

عليها وعلى ابن أخيها مرجان مولاه لأجل شكوى قيس إليه منهما ، وسلمهما إلى قيس ، فبنى عليهما حائطين - وهما قائمان بالحياة يناشدانه الله ألا يفعل - فهلكا سنة سبع وأربعمائة ، ونمى ذلك إلى نجاح ، فسار للأخذ بثارهما وحارب قيسا ، وجرت بينهما أمور أسفرت عن ظفر نجاح بقيس وملكه الحضرة ، وقتل قيس في بعض الوقائع على باب زبيد . ولما فتح نجاح زبيدا - وهي حضرة الملك يومئذ - في سنة اثنتى عشرة وأربعمائة قال لمرجان مولاه : ما فعل مواليك وموالينا ؟ قال : هم في ذلك الحائط ، فأخرجهما ، وصلى عليهما ، ودفنهما في مشهد بناه لهما ، وجعل مرجان موضعهما ، وبنى عليه الحائط حتى هلك . ومات نجاح المذكور بالسم بحيلة تمت عليه مع جارية أهداها له الصليحي المذكور في الكدراء سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة . ولما مات نجاح كتب الصليحي في سنة ثلاث وخمسين إلى المستنصر صاحب مصر يستأمره(١) في إظهار

(١) يستأمره : يستشيره ليصدر له أمره « أحمد يوسف نجاتى »

الدَّعْوَةِ لَهُمْ ، فَأَمَرَهُ ، فَخَرَجَ ، وَكَانَ مِنْهُ مَا كَانَ . وَاللهُ أَعْلَمُ (١)

(١) زاد فى النسخة الخطية مانصه بعد اصلاحه وتتمة ناقصه :

حكى القاضى أبو الفرج المعافى (١) فى كتاب الجليس والأنيس قال لما أراد الحجاج بن يوسف الخروج من البصرة إلى مكة (٢) — شرفها الله تعالى — خطب الناس فقال : ياأهل البصرة ، انى أريد الخروج الى مكة ، وقد استخلفت عليكم محمدا ابنى ، وأوصيته فيكم بخلاف ماأوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الأنصار ، فانه أوصى فيهم أن يقبل من محسنهم ، و يتجاوز عن مسيئهم ، ألا و إنى قد أوصيت عليكم ألا يقبل من محسنكم ، ولا يتجاوز عن مسيئكم ، ألا وانكم قائلون بعدى كلمة ليس يمنعكم من إظهارها إلا الخوف « لا أحسن الله لك الصحبة » وانى معجل لكم الجواب : لا أحسن الله عليكم الخلافة . ولما أسرف الحجاج فى قتل أسارى دير الجماجم وفى اعطاء الأموال بلغ ذلك عبدالملك ، فكتب إليه : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك فى الدماء وتبذيرك فى الأموال ، ولا يحتمل أمر المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد من الناس ، وقد حكم عليك فى الدماء : فى الخطأ بالدية ، وفى العمد بالقود ، وفى الأموال بردها إلى مواضعها ثم العمل فيها برأيه ، وانما أمير المؤمنين أمين الله ، وسيان عنده منع حق واعطاء باطل ، فان كنت أردت الناس له فما أغناهم عنك ، وان كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم ، وسيأتيك من أمير المؤمنين أمران لين وشدة ، فلا يؤنسنك إلا الطاعة ، ولا توحشنك إلا المعصية ، وظن بأمير المؤمنين كل شىء إلا احتمالك على الخطأ ، واذا أعطاك الظفر بقوم فلا تقتلن

(١) أبو الفرج المعافى بن زكريا القاضى النهروانى الجريرى « نسبة الى مذهب ابن جرير الطبرى لأنه تفقه عليه » كان بارعا فى عدة علوم ، ومن أعلم الناس فى عصره بالفقه والنحو واللغة وأصناف الآداب ، وولى القضاء بباب الطاق من بغداد ، وله مصنفات ممتعة فى التفسير والأخبار والآداب ، وتوفى سنة ٣٩٠ « أحمد يوسف نجاتى » (٢) يريد الحج كما فى العقد الفريد وغيره ، وحج الحجاج بالناس سنة ٧٤ « أحمد يوسف نجاتى »

جانحا (١) ولا أسيرا ، وكتب فى أسفل كتابه :

إذا أنت لم تترك أمورا كرهتها ... وتطلب رضائى بالذى أنت طالبه
وتخش الذى يخشاه مثلك هاربا ... إلى الله منه ضيع الدر (٢) حالبه
فان تر منى غفلة قرشية ... فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وإن ترمنى وثبة أموية ... فهذا وهذا كله أنا صاحبه
فلا تأمننى والحوادث جمة ... فانك مجزى بما أنت كاسبه
ولا تعد ما يأتيك منى ، وإن تعد ... يقوم بها يوم عليك نوادبه
ولا ترفعن للناس حقا علمته ... ولا تقصين من لان للناس جانبه (٣)

فأجابه الحجاج : أما بعد فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفى فى الدماء وتبذيرى للأموال ، ولعمرى مابلغت فى عقوبة أهل المعصية ماهم أهله ، وما قضيت فى أهل الطاعة ما استحقوه ، فان كان قتلى أولئك العصاة سرفا ، وإعطائى أولئك المطيعين تبذيرا ، فليسوغنى أمير المؤمنين ماسلف ، وليحد لى فيه حدا أنتهى إليه ان شاء الله ، ولا قوة إلا بالله ، والله ماسلبت نعمة إلا بكفرها ، ولا تمت إلا بشكرها ، ووالله ماعلى من عقل ولا قود فما أصبت القوم خطأ فأديهم ، ولا ظلمتهم فأفاديهم ، ولا أعطيتهم إلا لك ، ولا قتلت إلا فيك . وأما ماأتانى من أمريك فألينهما عدة ، وأعظمهما محنة ، وقد عبأت للعدة الجلاد ، وللمحنة الصبر . وكتب فى أسفل كتابه يقول :

اذا أنا لم أطلب رضاك وأتق ... أذاك فيومى لاتزول كواكبه
وما لامرىء بعد الخليفة جنة ... تقيه من الأمر الذى هو كاسبه
أسالم من سالمت من ذى هوادة ... ومن لم تسالمه فانى محاربه
اذا قارف الحجاج منك خطيئة ... فقامت عليه فى الصباح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه ... وأقص الذى تسرى الى عقاربه
فمن ذا الذى يرجو نوالى ويتقى ... مصاولتى ؟ والدهر جم نوائبه !
فقف بى على حد الرضا ، لا أجوزه ... مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعنى والأمور ، فاننى ... شفيق رفيق أحكمتنى تجاربه

(١) الجانح الخاضع (٢) الدر اللبن والجملة مثل يضرب للمفرط المضيع ومن لا حزم له
(٣) ويروى:
ولا تدفعن للناس حقا علمته ... ولا تعطين ماليس لله جانبه

فلما قرأ عبدالملك كتابه قال : خاف أبو محمد صولتي، ولن أعود الى مايكره.
وذكر حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة، فقال لحرسي : إيتني بمحدث من المسجد ، فأتاه بسبرة بن الجعد ، فدخل وسلم بلسان ذلق وقلب شديد ، فقال له الحجاج : ممن الرجل ؟ فقال : من بني شيبان ، قال ما اسمك ؟ قال سبرة بن الجعد ، قال : ياسبرة قرأت القرآن ؟ قال : جمعته في صدري، فان عملت بمافيه فقد حفظته ، و إن خالفته فقد ضيعته، فاتخذه الحجاج سميرا، فكان لايطلب شيئا من الحديث إلا وجد عنده علما منه ، وكان يرى رأى الخوارج ، وكان من أصحاب قطري بن الفجاءة المرى التميمي «والفجاءة (١) أمه» وكانت من بني شيبان — وإنما هو رجل من تميم (٢) ، وكان قطري يومئذ يحارب المهلب، فبلغ قطريا مكان سبرة من الحجاج ، فكتب اليه من جملة قصيدة :

لشتان مابين ابن جعد وبيننا　　اذ نحن رحنا في الحديد المظاهر

فلما قرأ كتابه بكى، وركب فرسه ، وأخذ سلاحه ، ولحق بقطري ، فطلبه الحجاج فلم يقدر عليه . ولم يرع الحجاج إلا وكتاب قد بدر منه فيه شعر قطري الذي كان كتب به إليه ، وفي أسفل الكتاب الى الحجاج أبيات من جملتها :

(١) كذا تقول النسخة الخطية، والمعروف أن الفجاءة لقب لوالد أبي نعامة « واسمه جعونة بن مازن بن زيد » من بني مازن بن مالك بن عمرو ابن تميم . وكان قطري رئيس الخوارج ، ولي امارتهم سنة ٦٨ وسلم عليه بالخلافة ثلاث عشرة سنة ، ثم خلعه أكثر من كان معه ، فذهب بأقلهم الى طبرستان ، وقد ولوا مكانه عبدربه الكبير — وكانوا بكرمان، فنهد اليهم المهلب بن أبي صفرة فاستأصلهم، وقتل قطري سنة ٧٩ عثر به فرسه فقتل وأتى برأسه الى الحجاج — وكان الحجاج قد جهز اليه جيشا بعد جيش وهو يهزمهم — وكان شجاعا جريئا عابدا شاعرا خطيبا كاتبا بليغا ، ولنا معه كلمة في موضع آخر ان شاء الله تعالى « أحمد يوسف نجاتي » .

(٢) ستأتي ترجمة قطري في حرف القاف ، ونكتب كلمتنا فيه هناك ونبين منزلته في اللغة والأدب ان شاء الله « أحمد يوسف نجاتي »

فمن مبلغ الحجاج أن سميره قلا كل دين غير دين الخوارج

فطرح الحجاج الكتاب الى عنبسة بن سعيد (١) وقال هذا من سميرنا الشيبانى ، وهو من الخوارج ونحن لا نعلم به . ! — قال القاضى المعافى حدث العتبى قال : كانت امرأة من الخوارج من الأزد يقال لها فراشة وكانت ذات نية فى رأى الخوارج تجهز أصحاب البصائر منهم ، ولم يظفر بها ، وكان الحجاج يدعو الله أن يمكنه منها أو من بعض من جهزته ، فمكث ما شاء الله ، ثم جئ برجل ، فقيل له : هذا ممن جهزته فراشة ، فخر ساجدا ، ثم رفع رأسه فقال : ياعدو الله ؟! قال : أنت أولى بها ياحجاج ، قال : أين فراشة ؟ قال : مرت تطير منذ ثلاث ، قال : أين تطير ؟ قال : بين السماء والأرض ، قال : أعن تلك سألتك — عليك لعنة الله ؟! قال : عن تلك أخبرتك — عليك غضب الله ، قال : سألتك عن المرأة التى جهزتك أنت وأصحابك ، قال وماتصنع بها ؟ قال : أضرب عنقها ، قال : ويلك ياحجاج ! ماأجهلك ! أدلك وأنت عدو الله على ولى لله ! « لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين » قال : فما رأيك فى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : على ذلك الفاسق لعنة الله ولعنة اللاعنين ، قال : ولم — لا أم لك ؟ قال : لأنه أخطأ خطيئة طبقت مابين السماء والأرض ، قال : وما هى ؟ قال : استعماله اياك على رقاب المسلمين ، فقال الحجاج لجلسائه : مارأيكم فيه ؟ قالوا : نرى أن تقتله قتلة لم يقتل مثلها أحد ، قال : ويحك ياحجاج ! جلساء أخيك كانوا خيرا من جلسائك ، قال : وأى إخوتى تريد ؟ قال : فرعون حين شاور فى موسى فقالوا « أرجه وأخاه » وأشار هؤلاء عليك بقتلى ، قال : فهل حفظت القرآن ؟ قال ماخشيت فراره فأحفظه ، قال : هل جمعت القرآن ؟ قال : ما كان مفرقا فأجمعه ، قال : أقرأته ظاهرا ؟ قال : معاذ الله ! قرأته وأنا أنظر إليه ، قال : فكيف تلقى الله إن قتلتك ؟ قال : ألقاه بعملى ، وتلقاه

---

(١) عنبسة بن سعيد بن العاص الأموى ، يروى عن أبى هريرة وأنس . وعنبسة بن سعيد القطان الواسطى يروى عن شهر بن حوشب المتوفى سنة ١٠٠ هـ « أحمد يوسف نجاتى » .

بدمى. قال اذن أعجلك الى النار ، قال: لوعلمت أن ذلك إليك لأحسنت عبادتك
واتقيت عذابك ، ولم أبغ خلافك ومناقضتك ، قال : إنى قاتلك ، قال
اذن أخاصمك ، لأن الحكم يومئذ الى غيرك ، قال : نقمعك عن الكلام
السيء ، ياحرسى اضرب عنقه ـ وأومأ الى السياف ألا يقتله ـ فجعل يأتيه
من بين يديه ومن خلفه ويروعه بالسيف ، فلما طال عليه ذلك رشح
جبينه ، فقال له : جزعت ياعدو الله ، قال : لا يافاسق ، ولكن أبطأت على
بمالى فيه راحة ، قال : ياحرسى اضرب عنقه ، وأعظم جرحه ، فلما أحس
بالسيف قال : لا إله إلا الله ـ ووالله لقد أتمها ورأسه فى الأرض . وقال القاضى
أيضا : حدثت أن الحجاج بن يوسف بعث الغضبان بن القبعثرى
الشيبانى الى كرمان ليأتيه بخبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند خلعه
و بعث عليه عينا ـ وكان ذلك دأبه ـ فلما انتهى الغضبان الى عبد الرحمن
قال له ماوراءك ؟ قال : تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك . وانصرف الغضبان
فنزل رملة كرمان ـ وهى أرض شديدة الرمضاء ـ فبينما هو كذلك
إذ ورد عليه أعرابى من بنى بكر بن وائل على فرس له يقود ناقة
فقال : السلام عليك ، قال : السلام كثير ، وهى كلمة مقولة ، قال الأعرابى
مااسمك ؟ قال : آخذ ، قال : أفتعطى ؟ قال : لاأحب أن يكون لى اسمان
قال : من أين أقبلت ؟ قال : من الذلول ، قال : أين تريد ؟ قال : أمشى
فى مناكبها ، قال : من عرض اليوم ؟ قال : عرض المتقون ، قال : فمن
سبق ؟ قال : الفائزون ، قال : فمن غلب ؟ قال : حزب الله ، قال : فمن حزب
الله ؟ قال : هم الغالبون . قال فعجب الأعرابى من نطقه ، فقال : أتقرض ؟
قال : انما تقرض الفأرة ، قال : أفتسمع ؟ قال : انما تسمع الغيبة ،
قال : أفتنشد ؟ قال : انما تنشد الضالة ، قال : أفتقول ؟ قال : انما يقول الأمير ،
قال : أفتتكلم ؟ قال : كل متكلم ، قال : أفتنطق ؟ قال : انما ينطق الكتاب ،
قال : أفتسمع ؟ قال : حدثنى أسمع . قال : أتسجع ؟ قال : انما تسجع الحمامة ،
قال الأعرابى : والله مارأيت كاليوم قط ، قال : بلى ، ولكنك نسيت ، قال
الأعرابى : وكيف أقول ؟ قال : لاأدرى والله ، قال الأعرابى : فكيف ترى فرسى

هذا؟ قال الغضبان: هو خير من آخر شر من آخر، قال الأعرابي: علمت ذلك، قال: لو علمت لم تسألني، قال الأعرابي: إنك لمنكر، قال الغضبان إنك لمعروف، قال: ليس ذاك أريد، قال: فما تريد؟ قال: إنك لعاقل، قال أفتعقل بعيرك هذا؟ قال الأعرابي: أفتأذن لي أن أدنو اليك؟ قال: وراءك أوسع لك، قال الأعرابي: أحرقتني الشمس، قال: الساعة يفيء عليك الفيء، قال الأعرابي: إن الرمضاء قد آذتني، قال: بل على قدميك يبردان، قال: قد أوجعني الحر، قال الغضبان: مالي عليه سلطان، قال الأعرابي: اني لا أريد طعامك ولا شرابك، قال: لا تعرض بهما فوالله ماتذوقهما. قال الأعرابي: سبحان الله! قال: من قبل أن يطلع رأسك، قال الأعرابي ماعندك إلا ما أرى؟! قال: بلى، هراوتان أضرب بهما رأسك، قال الأعرابي الله، قال: ماظلمك أحد، قال فلما رأى ذلك الأعرابي قال: إني لأظنك مجنونا! قال الغضبان: للهم اجعلني ممن يرغب اليك، قال: أظنك حروريا، قال: اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير، ثم قال الغضبان: أهذا بعيرك يا أعرابي؟ قال: نعم، قال: فما شأنه؟ قال: إن فيه داء، قال: فهل أنت بائعه ومشتر ماهو أشر منه؟ فولى الأعرابي وهو يقول: والله إنك لبذخ (١) أحمق، قال فلما قدم الغضبان على الحجاج قال له: كيف تركت أرض كرمان؟ قال: أصلح الله الأمير — أرض ماؤها وشل، وتمرها دقل (٢)، ولصها بطل، والخيل فيها ضعاف، إن كثر الجند بها جاعوا، وان قلوا بها ضاعوا، فقال له الحجاج: أما إنك صاحب الكلمة التي بلغتني عنك حين قلت: تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك، قال الغضبان: أما إنها — جعلني الله فداك — لم تنفع من قيلت له، ولم تضر من قيلت فيه، قال الحجاج: اذهبوا به الى السجن،

(١) بذخ اذا تكبر وتطاول بكلامه، و بعير بذخ اذا كان هدارا مخرجا لشقشقته (٢) الوشل: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلا قليلا، ولا يكون قطره متصلا. والدقل أردأ التمر — وكرمان كانت ولاية مشهورة، وناحية كبيرة معمورة، بين فارس وخراسان، ثم استوحشت بعد معالمها، ونالت الحوادث منها «أحمد يوسف نجاتي»

فمكث فيه ، حتى اذا بنى الحجاج خضراء واسط أعجبته مالم يعجبه بناء قط ، فقال لمن حوله : كيف ترون قبتى هذه ؟ قالوا : أصلح الله الأمير — مابنى الخلق قبلك قط مثلها ، ولا تعلم العرب مأثرة أفضل منها ، قال الحجاج : أما ان لها عيبا — وسأبعث الى من يخبرنى به — فبعث الى الغضبان ، فأقبل يرسف فى قيده ، فلما دخل عليه قال له الحجاج : كيف ترى قبتى هذه ؟ قال : — أصلح الله الأمير — هذه قبة بنيت فى غير بلدك ، لغير ولدك ، لايسكنها وارثك ، ولا يدوم لك بقاؤها ، كما لايدوم هالك ، ولم يبق فان ، فأما هى فكأن لم تكن ، قال : صدقت ، ردوه الى السجن ، فانه صاحب الكلمة التى بلغتنى عنه ، قال : أصلح الله الأمير — ماضرت من قيلت فيه ، ولا نفعت من قيلت له ، قال أتراك تنجو منى ؟! لأقطعن يديك ورجليك ، ولأكوين عينيك ، قال مايخاف وعيدك البرىء ، ولا ينقطع منك رجاء المسىء ، قال : لأقتلنك إن شاء الله ، قال : بغير نفس ، والعفو أقرب للتقوى ، ثم قال له الحجاج : إنك لسمين ، قال : لمكان القيد والربقة ، ومن يكن جار الأمير يسمن ، قال الحجاج : ردوه الى السجن ، قال : أصلح الله الأمير — قد أثقلنى الحديد فما أطيق المشى ، قال : احملوه — لعنه الله ، فلما حملته الرجال على عواتقها قال « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » قال : أنزلوه أخزاه الله ، قال « اللهم أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » قال : جروه — أخزاه الله ، قال « بسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم » فقال : اتركوه فقد غلبنى ، وأطلقوا عنه . قال ولما حملت الأسرى الى الحجاج من عند يزيد بن المهلب قال لحاجبه إذا دعوتك بسيدهم فأتنى بفيروز — وهو يومئذ بواسط القصب قبل أن تبنى مدينة واسط — ثم قال للحاجب : قدم الى سيدهم ، فقال الحاجب لفيروز (١) حصين : قم ، فقال له الحجاج : ياأباعثمان

---

(١) فى الأصل فيروز بن حصين وزيادة « ابن » هنا خطأ ، والصواب ماأثبتناه باضافة فيروز الى حصين ، وفيروز هذا كان رجلا نبيل البيت فى العجم ، كريم المحتد ، مشهور الآباء ، فلما أسلم والى حصينا « وهو حصين ابن عبد الله العنبرى من بنى العنبر بن عمرو بن تميم بن مر ثم من ولد

ما أخرجك مع هؤلاء ؟! فوالله ما لحمك من لحومهم ، ولا دمك من دمائهم !
قال : فتنة عمت الناس فكنا فيها ، قال : اكتب لى أموالك ، قال
ثم ماذا ؟ قال : اكتبها أولا ، قال : ثم أنا آمن على دمى ؟ قال : اكتبها ثم
أنظر ، قال : اكتب يا غلام ألف ألف ، ألفى ألف — حتى ذكر مالا كثيرا —
فقال الحجاج : وأين هذه الأموال ؟ وعند من هى ؟ قال : عندى ، قال
فأدها ، قال : وأنا آمن على دمى ؟ قال : والله لتؤدينها ثم لأقتلنك ، قال

طريف بن تميم » ولهذه الصلة نسب فيروز الى حصين ، وكان فيروز
شجاعا جريئا ، ذا ثروة عظيمة وغنى واسع وجود ، باسط اليد : حسن الصورة
جهير الصوت ، وكان المهلب وهو يحارب قطريا قال لفيروز حصين : صر
معنا ، فقال : يا أبا سعيد ، الحزم ما تقول ، غير أنى أكره أن أفارق أصحابى ، قال :
فكن بقربنا ، قال : أما هذه فنعم . وفى بعض الوقائع فتك قطرى بجيش
المهلب ، فأمر المهلب يزيد ابنه فخرج فى مائة فارس ، فقاتل وأبلى يومئذ ،
وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فأبلى بلاء حسنا ، وخرج فيروز
حصين فى مواليه ، فلم يزل يرميهم بالنشاب هو ومن معه فأثر أثرا جميلا
فصرع يزيد بن المهلب يومئذ ، وصرع عبد الرحمن بن الأشعث ، فحامى
عنهما أصحابهما حتى ركبا ، وسقط فيروز حصين فى الخندق ، فأخذ بيده رجل
من الأزد فاستنقذه ، فوهب له فيروز حصين عشرة آلاف درهم . ومما
يروى عن فيروز أن الحجاج لما واقف عبد الرحمن بن الأشعث بعد
خروجه على عبد الملك ببلاد فارس نادى منادى الحجاج : من أتى برأس
فيروز فله عشرة آلاف درهم ، ففصل فيروز من الصف فصاح بالناس :
من عرفنى فقد اكتفى ، ومن لم يعرفنى فأنا فيروز حصين ، وقد عرفتم مالى
ووفائى ، من أتى برأس الحجاج فله مائة ألف درهم ، فقال الحجاج :
والله لقد تركنى أكثر التلفت وانى لبين خاصتى ، فلما أتى به الحجاج
قال له : أأنت الجاعل فى رأس أميرك مائة ألف ؟ قال : قد فعلت ، فقال
والله لأمهدنك « أى لأجعلنك طريحا كالفراش الممهود » ثم لأحملنك ،
أين المال ؟ ثم كان منه مع الحجاج ما ذكر هنا . وقد أصلحنا مصحفه

لا والله، لا جمعت مالى ودمى ، فأمر به الحجاج فعذب بأنواع العذاب ، وكان من جملة ماعذب به أن يشد عليه القصب الفارسى المشقوق، ثم يجر حتى يحزز جسده ، ثم ينضح عليه الخل والملح ، فلما أحس بالموت قال للناس: لا تشكون أنى قتلت، ولى ودائع وأموال عند الناس لاتؤدى اليكم أبدا ، فاظهروا بى للناس ليعلموا أنى حى فيؤدوا المال ، فأخرج فصاح فى الناس : من عرفنى فقد عرفنى، أنا فيروز حصين، إن لى عند أقوام مالا، فمن كان لى عنده شىء فهو له،وهو منه فى حل، ولا يؤدين أحد منه شيئا ، ليبلغ الشاهد الغائب ، فأمر به الحجاج فقتل . وجلس الحجاج يوما لقتل أصحاب عبد الرحمن بن (١) محمد بن الأشعث، فقام رجل منهم فقال :أصلح الله الأمير ان لى عليك حقا ، قال: وماحقك؟قال:سبك عبد الرحمن يوما فرددت عليه ، قال: من يعلم ذلك ؟ قال: أنشد الله رجلا سمع ذاك الاشهد به ! فقام رجل من الأسرى فقال: قد كان ذاك أيها الأمير ، قال:خلوا عنه ، ثم قال للشاهد: فما منعك أن تنكر كما أنكر ؟ قال: لقديم بغضى فيك ، قال: وليخل عنه لصدقه . قال أبو الحسن المدائنى: لما ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث جلس لضرب رقابهم عامة النهار، فأتى آخرهم برجل من بنى تميم ، فقال: والله ياحجاج لئن كنا أسأنا فى الذنب لما أحسنت فى العقوبة ! فقال الحجاج: أف لهذه الجيف! أما كان فيهم من يحسن مثل هذا ؟ ! وعفا عنه . وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج، فجعل يكلمها وهى لاتنظر اليه فقيل لها: الأمير يكلمك وأنت لاتنظرين اليه؟!(٢) ! قالت: انى

وأتممنا ناقصه ، وأتينا بالعبارة منقحة، مع مراعاة الأصل جهد الطاقة ، وقد كان تحريفها جما وسقطها مفسدا «أحمد يوسف نجاتى» (١) عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندى خلع الحجاج سنة ٨١ وحاربه بجيش أعضل الأرض ، ثم مات سنة ٨٤ أو ٨٥ «أحمد يوسف نجاتى» (٢) الذى قال لها ذلك هو يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج وصنيعته وأمينه ومولاه، وكان يرى رأى الخوارج و يكتمه، ولذا لما قال للمرأة : و يلك! قالت له : بل الويل لك! يافاسق يا ردى، والردى

لأستحي أن أنظر الى من لاينظر الله اليه ، فأمر بها فقتلت . وأحضر الشعبي بين يدى الحجاج ، فسلم على الحجاج بالأمرة، ثم قال : أيها الأمير ان الناس قد أمرونى أن أعتذر اليك بغير مايعلم الله أنه الحق، وايم الله لاأقول فى هذا المقام الا حقا: قد والله خرجنا عليك، واجتهدنا كل الجهد فما ألونا ،فما كنا بالفجرة الأقوياء ، ولا بالبررة الأتقياء،ولقد نصرك الله علينا، وأظفرك بنا، فان سطوت فبذنوبنا وماجرت أيدينا ، وان عفوت عنا فبحلمك بعد الحجة لك علينا ، فقال له الحجاج :أنت والله أحب الى ممن يدخل على يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول : مافعلت وماشهدت ، قد أمنت عندنا ياشعبي، فانصرف . وقال الشعبي: سمعت الحجاج تكلم بكلام ماسبقه اليه أحد ، سمعته يقول : أما بعد فان الله كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء ، فلايغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل . وكان ابراهيم النخعى (١) هاربا من الحجاج مدة أيامه،فظهر بعد ، فقيل له أين كنت ؟ فقال بحيث يقول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصوت انسان فكدت أطير

عند الخوارج هو الذى يعلم الحق من قولهم ويكتمه و يظهر خلافه رغبة فى الدنيا . ولما مات الحجاج كان قد استخلف على خراج البصرة والكوفة يزيد بن أبى مسلم هذا ، فأقره الوليد بعد موته « أحمد يوسف نجاتى »

(١) قد يكون بأصل العبارة سقط أو تغيير ، فان المعروف أن ابراهيم بن الأشتر النخعى كانت بينه و بين عبيد الله بن زياد وقعة فى سنة ٦٦ ، ٦٧ ودخل ابراهيم الموصل وقتل عبيد الله ، وفى سنة ٧٢ كانت مقتلة مصعب ابن الزبير، وقتل معه ابنه عيسى بن مصعب وابراهيم بن الأشتر ، يعنى أنه قتل قبل وفاة الحجاج بثلاث وعشرين سنة، بل قبل أن يلى الحجاج العراق وأظنه يريد فقيه العراق ابراهيم بن يزيد النخعى المتوفى سنة ٩٥ سنة وفاة الحجاج ، توفى بعده فى أواخر سنة ٩٥ فانهم يروون أن ابراهيم النخعى لما بلغه موت الحجاج بكى من الفرح . والنعمان بن ابراهيم ابن الأشتر النخعى قتل فى فتنة يزيد بن المهلب سنة ١٠٢ ، والبيت الذى استشهد به من قصيدة طويلة للأحيمر السعدى ، وكان قد أتى

العراق فقطع الطريق، وطلبه سليمان بن على أمير البصرة فأهدر دمه، فهرب فقال يذكر حنينه الى وطنه :

لئن طال ليلى بالعراق لربما	أتى لى ليل بالشآم قصير
معى فتية بيض الوجوه كأنهم	على الرحل فوق الناعجات بدور
أيا نخلات الكرم لازال رائح	عليكن منهل الغمام مطير
سقيتن مازالت بكرمان نخلة	عوامر تجرى بينهن بحور
يذكرنى أطلالكن اذا دجت	على ظلال الدوم وهى هجير
وقد كنت رمليا فأصبحت ثاويا	بدورق ملقى بينهن أدور

عوى الذئب البيت . . . وبعده :

رأى الله أنى للأنيس لشانئ	وتبغضهم لى مقلة وضمير

ومنها :

وإنى لأستحيي من الله أن أرى	أجرر حبلا ليس فيه بعير
وأن أسأل الجبس اللئيم بعيره	وبعران ربى فى البلاد كثير

ومنها :

ونبئت أن الحى سعدا تخاذلوا	حماهم، وهم لو يعصبون كثير
أطاعوا لفتيان الصباح لئامهم	فذوقوا هوان الحرب حيث تدور
نظرت بقصر الأبرشية نظرة	وطرفى وراء الناظرين بصير
فرد على العين أن أنظر القرى	قرى الجوف نخل مغرض وبحور

«الناعجات جمع ناعجة؛ وهى الناقة البيضاء اللون الكريمة السريعة. ودروق بلد بخوزستان. والجبس من لاخير فيه، والدنئ اللئيم. والأبرشية موضع منسوب الى الأبرش. والجوف أرض لبنى سعد قبيلة الشاعر.

وفى قتل عبيد الله بن زياد سنة ٦٧ يقول سراقة بن مرداس البارقى يمدح ابراهيم بن الأشتر وأصحابه :

أتاكم غلام من عرانين مذحج	جرىء على الأعداء غير نكول
فيابن زياد بؤ بأعظم مالك	وذق حد ماضى الشفرتين صقيل

فمر ببستاني يسقى ضيعة، له فقال له : كيف حالكم مع الحجاج ؟ فقال: لعنه الله! المبيد (١) المثير الفتن، عجل الله له الانتقام ، قال له : أتعرفنى ؟ قال: لا قال: أنا الحجاج ، فرأى أن دمه قد طاح ، فرفع عصا كانت معه وقال: أتعرفنى أنا أبو ثور المجنون ، وهذا يوم صرعى – وأرغى وأزبد وهاج ، وأراد أن يضرب رأسه بالعصا – فضحك منه وانصرف . وكان الحجاج كثيرا ما يسأل القراء، فدخل اليه يوما رجل، فقال له: ماقبل قوله تعالى : «أمن هو قانت» ؟ فقال : تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار ، فما سأل أحدا بعدها . وخطب الحجاج فى يوم جمعة فأطال الخطبة ، فقام اليه رجل فقال : ان الوقت لاينتظرك، والرب لايعذرك ، فأمر به الى الحبس، فأتاه آل الرجل وقالوا : انه مجنون ، فقال: ان أقر على نفسه خليت سبيله ، فقال: لا والله لا أزعم أنه ابتلانى وقد عافانى . وممن هرب من الحجاج محمد بن عبد الله ابن نمير الثقفى (٢) وكان يشبب بزينب بنت يوسف أخت الحجاج، فلما

ضربناك بالعضب الحسام بحدة   اذا ما أبانا قاتلا بقتيل
جزى الله خيرا شرطة الله، انهم   شفوا من عبيد الله أمس غليلى

وفى سنة ٧٤ عزل عبد الملك بن مروان طارق بن عمرو عن المدينة، وولى عليها الحجاج بن يوسف ، فقدمها وأقام بها شهرا ، ثم خرج معتمرا ، وكانت من الحجاج فى المدة التى أقامها بالمدينة أعمال أغضبت أهلها ، وفى هذه السنة أيضا حج بالناس الحجاج بن يوسف – وكان على المدينة ومكة – وفى سنة ٧٥ ولى أعمال العراق بعد وفاة عامله بشر بن مروان . هذا والأحيمر السعدى هو الأحيمر «ربيعة بن مالك بن الحرث بن زيد ، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وكان لصا فاتكا» . «أحمد يوسف نجاتى» (١) المبيد أو المبير : المهلك، يشير الى أثر مروى يصف الحجاج قبل ظهوره بأنه المبير (٢) محمد بن عبد الله بن نمير ، وهو شاعر غزل نشأ بالطائف ، وزينب هى أخت الحجاج لأبيه وأمه ، أمهما الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفى ، وكانت زينب قد نذرت ان عوفى أبوها من علة اعتلها أن تمشى الى البيت الحرام ، فعوفى فخرجت فى نسوة ، فقطعن مابين الطائف ومكة فى شهر ، فقال فيها محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى :

تضوع مسكا ببطن نعمان أن مشت ... به زينب فى نسوة عطرات
وقامت تراءى يوم جمع، فأفتنت ... برؤيتها من راح من عرفات
فأصبح مابين الهماء فحزوة ... الى الماء ماء الجزع ذى العشرات
له أرج من مجمر الهند ساطع ... تطلع رياه من الكفرات
تهادين مابين المحصب من منى ... وأقبلن لاشعثا ولا غبرات
أعان الذى فوق السموات عرشه ... مواشى بالبطحاء مؤتجرات
فلم ترعينى مثل سرب رأيته ... خرجن من التنعيم معتجرات
مررن بفخ، ثم رحن عشية ... يلبين للرحمن معتمرات
يخبئن أطراف البنان من التقى ... ويقتلن بالألحاظ مقتدرات
جلون وجوها لم تلحها سمائم ... حرور، ولم يسفعن بالسبرات
فقلت: يعافير الظباء تناولت ... نياع غصون الورد مهتصرات
ولما رأت ركب النميرى أعرضت ... وكن من ان يلقينه حذرات
فأدنين لما جاوز الركب دونها ... حجابا من القسى والحبرات
فكدت اشتياقا نحوها وصبابة ... تقطع نفسى اثرها حسرات
فراجعت نفسى والحفيظة بعد ما ... بللت رداء العصب بالعبرات

«الهماء: موضع بنعمان بين مكة والطائف. والعشرات جمع عشرة: شجر والكفرات: الجبال العظام، جمع كفر. مؤتجرات: طالبات أجر. وفخ: واد بمكة. والاعتجار: لى الثوب على الرأس. ولاح وجهه: غيره وسفعته النار والسموم والشمس: اذا لفحته وغيرت لون بشرته. والسبرات جمع سبرة: وهى شدة برد الشتاء. واليعفور: الظبى. ونياع جمع نائع من ناع الغصن ينوع اذا تمايل. ومهتصرات: معطوفات من اهتصر الغصن اذا عطفه وأماله، يريد أن امتداد أعناقهن كأعناق الظباء يتناولن الغصون. والقسى ضرب من الثياب كان ينسب الى قس: قرية كانت بين الفرما والعريش قرب مصر. والحبرات ضرب من برود اليمن والعصب برود يمنية ذات خطوط ونقش. والتنعيم موضع فى الحل بين مكة وسرف. وجمع: علم للمزدلفة، لاجتماع الناس به. و بعض الأبيات يروى بروايات أخرى. «أحمد يوسف نجاتى»

أتى به اليه قال : والله أيها الأمير (١) ان قلت الا خيرا، انما قلت:

يخبئن أطراف البنان من التقى   ويخرجن شطر الليل معتجرات
ولما رأت ركب النميرى أعرضت   وكن من ان يلقينه حذرات

قال: فأخبرنى عن قولك: ولما رأت ركب النميرى الخ: ما كنتم؟ وماذا كان ركبك؟ قال: كنت على حمار هزيل، ومعى صاحب لى على أتان مثله، فعفا عنه.

وذكر أن بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى (٢) كان فى حبس الحجاج وكان يعذبه، وكان كل من مات فى الحبس رفع خبره الى الحجاج فيأمر باخراجه وتسليمه الى أهله، فقال بلال للسجان: خذ منى عشرة آلاف درهم وأخرج اسمى أنى مت، فاذا أمرك بتسليمى الى أهلى هربت فى الأرض فلا يعرف الحجاج خبرى، وان شئت أن تهرب معى فافعل، وعلى غناك أبدا، فأخذ السجان المال، ورفع اسمه فى الموتى، فقال الحجاج: مثل هذا لا يخرج الى أهله حتى أراه، هاته، فعاد الى بلال فقال: اعهد، قال: وما الخبر؟ قال: ان الحجاج قال كيت وكيت، فان لم أحضرك ميتا قتلنى، وعلم أنى

---

(١) المروى أنه لما مثل بين يدى الحجاج ارتاع وأنشده:

فهاك يدى ضاقت بى الأرض رحبها   وان كنت قد طوفت كل مكان
فلو كنت بالعنقاء أو بيسومها   لخلتك الا أن تصد ترانى

ثم قال: والله أيها الأمير ما قلت الا خيرا الخ. والعنقاء أكمة على جبل مشرف ويسوم جبل فى بلاد هذيل، أو جبل قرب مكة، وهو عال منيع لا يكاد أحد يرتقيه الا بعد جهد. « أحمد يوسف نجاتى » (٢) كذا فى الأصل الخطى بنصه وفصه، وعينه ومينه، ولولا الحرص على نقل زيادات النسخة الخطية « لأن بها فوائد كثيرة — وان كانت فى وسط أساطير » ما عرضنا على القراء هذه الخرافة المدهشة، فان بلال بن أبى بردة « وقد تقدم تعريفنا به » كان فى سنة ١١٠ « بعد موت الحجاج بخمس عشرة سنة » يتولى قضاء البصرة، وجمع له خالد بن عبد الله القسرى مع القضاء الصلاة والأحداث والشرطة، وتوفى بعد سنة ١٢٠ وأبوه أبو بردة بن أبى موسى الأشعرى الفقيه قاضى الكوفة — واسمه الحرث أو عامر — كان يروى عن على والزبير وغيرهما، توفى سنة ١٠٣ — فان يكن لتلك الأسطورة أصل فلعله بلال آخر

أردت الحيلة عليه ، فلا بد أن أقتلك خنقا ، فبكى بلال وسأله ألا يفعل ، فقال : ما الى ذلك سبيل ، فأوصى وصلى ، فأخذه السجان وخنقه وأخرجه الى الحجاج ، فلما رآه ميتا قال : سلمه الى أهله ، فأخذوه وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم ، ورجعت الحيلة عليه . ولما قتل عبد الله ابن الزبير ارتجت مكة بالبكاء ، فأمر الحجاج الناس فجمعوا بالمسجد ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل مكة ، بلغنى بكاؤكم وأسفكم واستفظاعكم قتل عبد الله بن الزبير ، ألا وان ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب فى الخلافة ونازع فيها أهلها ، فخلع طاعة الله ، واستكن بحرم الله ، ولو كان شىء مانع للعصاة لمنعت آدم حرمة الجنة ، لأن الله تعالى خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأباحه كرامته ، وأسكنه جنته ، فلما عصى أخرجه من الجنة بخطيئته ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، والجنة أعظم حرمة من الكعبة ، فاذكروا الله يذكركم . ونزل . قال مالك بن دينار (١) رضى الله عنه : ربما سمعت الحجاج يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم ، فيقع فى نفسى أنهم يظلمونه ، لبيانه وحسن تخلصه بالحجج . قال القاضى المعافى حدث الزبير بن بكار عن الزهرى قال : لما ولى الحجاج الحرمين بعد قتل عبد الله بن الزبير استحضر ابراهيم (٢)

أو الاسم مصحف فتممه الناسخ من عنده «بلال بن أبى بردة الخ» نعم ان بلال بن أبى بردة ابتلى فكان جلدا ، ولكن كان ذلك فى زمن يوسف بن عمر الثقفى بعد وفاة الحجاج فقد حبس وقيد - وتولى خالد بن عبد الله القسرى العراق سنة ١٠٥ وكان بلال فى أيامه على شرطة البصرة ثم على قضائها وصلاتها كما تقدم فكانت له دولة ، وعزل خالد عن أعماله سنة ١٢٠ وولى موضعه يوسف بن عمر ، فكان منه مع بلال ما تقدم . وهناك بلال بن أبى الدرداء ، كان أمير دمشق ، وتوفى سنة ٩٣ وكان من الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام ، وكان قاضيا على دمشق فى زمان يزيد بن معاوية وبعده الى أن عزله عبد الملك بن مروان ؟ ولكن لم يعرف أنه مات هذه الميتة . «أحمد يوسف نجاتى» (١) ستأتى ترجمته (٢) أظنه ابراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمى ، وكان يسمى أسد قريش ، روى

ابن طلحة بن عبيد الله وقربه فى المنزلة، فلم يزل على حاله حتى خرج الى عبد الملك بن مروان زائرا له، فخرج ابراهيم معه، فصار لا يترك فى بره وجلاله وتعظيمه شيئا الا فعله، فلما حضر باب عبد الملك حضر به معه، فدخل على عبد الملك، فلم يبدأ بشىء بعد السلام الا أن قال: قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز؛ لم أدع له فيها نظيرا فى كمال المروءة والأدب والرياسة والديانة والستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة، مع القرابة ووجوب الحق ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله، وقد أحضرته ببابك ليسهل عليه اذنك، وتلقاه ببشرك، وتفعل به ماتفعل بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه. فقال عبد الملك: ذكرتنا حقا واجبا ورحما قريبة، يا غلام ايذن لابراهيم ابن طلحة، فلما دخل قربه حتى أجلسه على فراشه، ثم قال له: يابن طلحة ان أبا محمد ذكرنا مالم نزل نعرفك به من الأدب والفضل وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق، فلا تدع حاجة من خاص أمرك وعامه الا ذكرتها، فقال: يا أمير المؤمنين ان أولى الأمور أن تفتتح بها الحوائج وترجى بها الزلفى ما كان فيه لله عز وجل رضا، ولحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أداء، ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة، وان عندى نصيحة لا أجد بدا من ذكرها، ولا يكون البوح بها الا وأنا خال، فأخلنى ترد عليك نصيحتى، قال: دون أبى محمد! قال: نعم، فأشار الى الحجاج فخرج، فلما جاوز الستر قال: قل يابن طلحة نصيحتك، فقال: الله الله يا أمير المؤمنين، انك عهدت الى الحجاج مع تغطرسه وتعسفه وتعجرفه لبعده عن الحق، وركونه الى الباطل، فوليته الحرمين وفيهما من فيهما، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار، والموالى المنتسبة الأخيار، أصحاب رسول الله

عن عائشة وجماعة، وولى خراج الكوفة لابن الزبير وتوفى سنة ١١٠ وأبوه محمد بن طلحة وكان يلقب السجاد لكثرة عبادته خرج مع أبيه طلحة فى عام الجمل سنة ٣٦ فقتل معه، ومر به سيدنا على صريعا فنزل ونفض التراب عن وجهه وقال: هذا قتله بره بأبيه. رحمه الله تعالى.

« أحمد يوسف نجاتى ».

صلى الله عليه وسلم، وأبناء الصحابة، يسومهم الخسف (١) و يقودهم بالعسف و يحكم فيهم بغير السنة، و يطؤهم بطغام (٢) أهل الشام، ورعاع لا روية لهم فى اقامة حق ، ولا فى ازاحة باطـل، ثم تظن أن ذلك فيما بينك و بين الله ينجيك! فكيف بك اذا (٣) جاثاك محمد صلى الله عليه وسلم غدا للخصومة فى أمته بين يدى الله تعالى؟! أما والله انك لن تنجو هناك الا بحجة تضمن لك النجاة ، فأبق عـلى نفسك أودع ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . فاستوى عبد الملك جالسا وكان متكئا، وقال: كذبت لعمر الله ومنت (٤) ولؤمت فيما جئت به، ولقد ظن بك الحجاج ظنا لم نجده فيك، وربما ظن الخير بغير أهله ، قم فأنت الكاذب المائن الحاسد ، قال : فقمت ووالله ما أبصر شيئا ، فلما جاوزت الستر لحقنى لاحق من قبـله، فقال للحاجب: احبس هذا، وأدخل أبا محمد فلبثت مليا لا أشك أنهما فى أمرى ، ثم خرج الآذن لى فدخلت ، فلما كشف لى الستر لقينى الحجاج وأنا داخل وهو خارج فاعتنقنى، وقبل مابين عينى، ثم قال: اذا جزى الله المتآخيين بفضل تواصلهما خيرا فجزاك الله أفضل ماجزى أخا ، أما والله لئن سلمت لك لأرفعن ناظريك، ولأعلين كعبك ، ولأتبعن الرجال غبار قدميك ، قال فقلت فى نفسى انه يهزأ بى و يسخر منى ، فلما وصلت الى عبد الملك أدنانى حتى أجلسنى فى مجلسى الأول، ثم قال: يابن طلحة هل أعلمت الحجاج بما جرى؟ أو شاركك أحد فى نصيحتك ؟ فقلت : لا والله ،ولا أعلم أحدا كان أظهر عندى معروفا، ولا أوضح يدا من الحجاج ، ولو كنت محابيا أحدا بدينى لكان اياه ، ولكنى آثرت الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، فقال: قد علمت أنك آثرت الله عز وجل، ولو آثرت الدنيا لكان لك فى الحجاج أمل، وقد

---

(١) سامه الأمر اذا كلفه اياه وجشمه وألزمه ، وسامه الخسف أراده عليه، وأكثر مايستعمل السوم فى العذاب والشر والظلم (٢) الطغام : أوغاد الناس وأرذالهم وحمقاهم، واحده طغامة (٣) من جثا على ركبتيه يجثو (٤) مان يمين اذا كذب «أحمد يوسف نجاتى»

عزلته عن الحرمين لما كرهته من ولايته عليهما ، وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استصغارا للولاية ، ووليته العراقين لما هناك من الأمور التي لايدحضها الا مثله ، وأعلمته أنك استدعيتني الى التولية له عليهما استزادة له ، ليلزمه من ذمامك مايؤدي به عني اليك أجر النصيحة ، فاخرج معه ، فانك غير ذام صحبته مع تقريظه اياك ويدك عنده . قال فخرجت من عنده مع الحجاج ، وأكرمني أضعاف اكرامه ، واستدللت على مكارم عبد الملك وأخلاقه ، واعترافه بالحق ، وتلطفه في الأمور . وفد الحجاج على الوليد بن عبد الملك في خلافته ، فوجده في بعض نزهه ، فاستقبله ، فلما رآه ترجل له وقبل يده ، وجعل يمشي وعليه درع وكنانة وقوس عربية ، فقال له الوليد : اركب ياأبا محمد ، فقال : ياأمير المؤمنين دعني أستكثر من الجهاد فان ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عنك ، فعزم عليه الوليد حتى ركب ، ودخل الوليد داره ، فتفضل (١) في غلالة ، ثم أذن للحجاج ، فدخل عليه في حالته تلك ، وأطال الجلوس عنده ، فبينما هو يحادثه اذ جاءت جارية فسارته وانصرفت ، فقال الوليد للحجاج : أتدري ماقالت هذه ياأبا محمد ؟ فقال : لا والله قال : بعثتها الى ابنة عمي أم البنين بنت عبد العزيز تقول : مامجالستك هذا الأعرابي المستلئم (٢) في السلاح وأنت في غلالة ! فأرسلت اليها : أنه الحجاج ، فراعها ذلك ، وقالت : والله ماأحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق ، فقال الحجاج : دع عنك ياأمير المؤمنين مفاكهة النساء بزخرف القول ، فانما المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة فلا تطلعهن على سرك ، ولا مكايدة عدوك ، ولا تطمعهن في غير أنفسهن ، ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن ، واياك ومشاورتهن في الأمور ، فان رأين الى أفن وعزمهن الى وهن ، واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك ، ولا تملك الواحدة منهن من الأمور مايجاوز نفسها ، ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها ، ولا

---

(١) التفضل أن يتشح الرجل بثوب واحد ، وتفضلت المرأة لبست ثياب مهنتها . قال امرؤ القيس :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لِبسة المتفضل

(٢) أي اللابس اللأمة وهي السلاح الكامل «أحمد يوسف نجاتي»

تطل الجلوس معهن ، فان ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك — وأكبر الحجاج من ذلك — ثم نهض فخرج ، ودخل الوليد على أم البنين ، فأخبرها بمقالة الحجاج فقالت : أحب أن تأمره غدا بالتسليم على ، قال : أفعل ، فلما غدا الحجاج على الوليد قال له : يا أبا محمد ، صر الى أم البنين فسلم عليها ، فقال : أعفنى من ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : لابد منه ، فمضى الحجاج ، اليها فحجبته طويلا ثم أذنت له ، وتركته قائما ولم تأذن له فى الجلوس ، ثم قالت : ايه ياحجاج ! أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث ! أما والله لولا علمه أنك شر خليقته ما ابتلاك برمى الكعبة وقتل أهل الحجاز ، وقتل ابن ذات النطاقين وأول مولود فى الاسلام ، فأما ابن الأشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بأمير المؤمنين عبد الملك ، فأغاثك بأهل الشام ، وأنت فى أضيق من القرن ، فأظلتك رماحهم ، وأنجاك كفاحهم ، ولطالما نقض نساء أمير المؤمنين المسك من غدائرهن وبعنه فى الأسواق وفى أوراق البعوث اليك ، ولولا ذلك لكنت أذل من النقد ، وأما ماأشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فأنه غير قابل منك ، ولا مصغ الى نصيحتك ، وان كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فما أولاه بالقبول منك والأخذ عنك ، وان كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فانه غير قابل منك ، ولا مصغ الى نصيحتك ، قاتل الله الشاعر — وقد نظر اليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك — حيث يقول :

أسد على وفى الحروب نعامة   فتخاء تفزع من صفير الصافر

هلا برزت الى غزالة فى الوغى !   بل كان قلبك فى جناحى طائر !

ثم قالت لجواريها : أخرجنه عنى . فدخل على الوليد من فوره ، فقال : ياأبا محمد ، ما كنت فيه ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب الى من ظهرها ، فضحك الوليد حتى فحص برجليه ، ثم قال : يا أبا محمد انها ابنة عبد العزيز . وقيل ان أم البنين عشقت (١) وضاح اليمن الشاعر ، وكان جميلا ، وكانت

(١) وتلك خرافة هى ثلاثة لاثانى ، وهى أكذوبة مدسوسة ، وافك افتراه

ترسل اليه، فيدخل اليها و يقيم عندها ، واذا خافت عليه وارته فى صندوق عندها وأغلقت عليه، وهو القائل فيها وقد مرضت :

حتام نكتم حزننا احتاما؟! وعلام نستبقى الدموع علاما؟!
ان الذى بى قد تفاقم واعتلى ونما وزاد وأورث الأسقاما
قد أصبحت أم البنين مريضة نخشى ونشفق أن يكون حماما!
يارب أمتعنى بطول بقائها واجبر بها الأرمال والأيتاما (١)

شعوبى خاسر ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . روى خالد بن كلثوم والزبير بن بكار أن وضاح اليمن شبب بأم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان امرأة الوليد بن عبد الملك وأم ابنه عبد العزيز بن الوليد وأخت أمير المؤمنين سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه — والشرف فيهم — فبلغ الوليد ذلك، فهم بقتله، فقال له ابنه عبد العزيز: لاتفعل ياأمير المؤمنين فتحقق قوله، ولكن افعل به مافعل معاوية بأبى دهبل الجمحى، فانه لما شبب بابنته شكاه يزيد، وأراد أن يقتله، فقال له : اذن تحقق قوله ، ولكن تبره وتحسن اليه، فيخجل و يكف و يكذب نفسه . فلم يقبل الوليد منه لشدة غيرته، وجعل الوضاح فى صندوق ودفنه حيا . ثم وقع بين رجل من زنادقة الشعوبية و رجل من ولد الوليد فخار خرجا فيه الى أن أغلظا السباب — وذلك فى دولة بنى العباس — فوضع الشعوبى عليهم كتابا زعم فيه بهتانا أن السيدة المصونة أم البنين عشقت وضاحا ، وافترى تلك الأسطورة فرواها عنهم بعض من لايحسن النقد ومن ساءت نيته . هذا ووضاح اليمن اسمه عبد الرحمن بن اسمعيل مختلف فى نسبه أعربى هو أم فارسى هوى امرأة من بنات الفرس اسمها روضة استغرقت شعره . وحجت أم البنين فى خلافة زوجها فقدمت مكة ومعها من الجوارى مالم ير مثله حسنا وتراءين للناس فى أماكن الحج وتصدى لهن أهل اللهو والغزل من الشعراء واجترأ على التغزل بسيدتهن أم البنين وضاح هذا فسعى الى حتفه بظلفه « أحمد يوسف نجاتى » (١) لابأس أن يحزن على مرضها ويدعو الله أن يبرئها لتبر أمثاله من الأرامل والأيتام . ولكن الشعراء يتبعهم الغاوون

فدخل عليها خادم مفاجأة فرأى وضاحا ، فأدخلته الصندوق وأقفلته عليه فطلب الخادم منها حجرا من الجوهر نفيسا كان يعرفه عندها ، فلم تعطه بخلا به ، فمضى وأخبر الوليد بالحال ، فقال له : كذبت يابن الفاعلة ، ثم جاء الوليد الى أم البنين فدخل وهى جالسة تمشط رأسها — وكان الخادم قد وصف الصندوق — فجلس فوقه ، ثم قال : ما أحب هذا البيت اليك ! فلم اخترته ؟ قالت : لأنه يجمع حوائجى كلها فأنا أتناولها من قريب ، قال : هبى لى صندوقا من هذه الصناديق ، قالت : كلها لك يا أمير المؤمنين ، قال : انما أريد واحدا منها ، قالت : خذ أيها شئت ، فقال : هذا الصندوق الذى تحتى ، قالت : غيره أحب اليك منه ، فان لى فيه أشياء أحتاج اليها ، قال : ما أريد سواه ، قالت

ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون ، وقد عرفت أن أبا دهبل شبب بابنة معاوية ، وأن محمد بن نمير الثقفى شبب بزينب بنت يوسف « وكانت قد حجت أيضا كأم البنين » وكان عمر بن أبى ربيعة يتعرض للنساء فى موسم الحج ، فيشبب بمن تروقه منهن ، وفى زينب بنت يوسف يقول محمد بن نمير أيضا من قصيدة أولها :

طربت وشاقتك المنازل من جفن	ألا ربما يعتادك الشوق بالحزن
نظرت الى أصحاب زينب باللوى	فأعولتها لو كان اعوالها يغنى
فو الله لا أنساك زينب مادعت	مطوقة ورقاء شجوا على غصن

ومنها :

وقد أرسلت فى السر أن قد فضحتنى	وقد بحت باسمى فى النسب وما تكنى
وأشمت بى أهلى وجل عشيرتى	ليهنك ماتهوين ان كان ذا يهنى
وقد لامنى فيها ابن عمى ناصحا	فقلت له : خذلى فؤادى أو دعنى

« جفن ناحية بالطائف — والحازم من أهل هؤلاء المحصنات من أسكت أولئك الغزلين باللطف وحسن الاحتيال ، وقطع ألسنتهم بالبر والاحسان ولكن الوليد أخذته عزة الملك وهو يعرف من هى زوجه وابنة عمه العريقة فى الشرف ، وللجمال سحر تهون معه الصعاب « أحمد يوسف نجاتى »

خذه، فدعا بالخدم فأمرهم بحمله، فحملوه حتى انتهى الى مجلس، فوضعه ثم دعا عبيدا عجما وأمرهم بحفر بئر فى المجلس، فحفرت عميقة الى الماء، ثم دعا بالصندوق فوضعوه على شفير البئر، ثم دنا منه وقال: ياصاحب الصندوق انه بلغنا شيء، فان كان حقا فقد دفناك ودفنا ذكرك الى آخر الدهر، وان كان باطلا فانما دفنا الخشب، وما أهون ذلك! ثم قذف به فى البئر وهيل عليه التراب وسويت الأرض ورد البساط، فما رئى الوضاح بعد ذلك اليوم، ولا رأت أم البنين من الوليد غضبا حتى فرق الموت بينهما (١). قيل حضر بساط الحجاج رجل تعين عليه القتل، وحضر أهل القود بحضوره

(١) أليس ذلك من دلائل افتراء هذه الأقصوصة وان كانت تحمل أدلة بطلانها معها، وهل تصدق أن الوليد بن عبد الملك بعد هذا كله لا يرى فى وجهه أثر للغضب؟! ولا تتغير حاله مع أم البنين حتى يفرق الموت بينهما؟! أرأيت مثل ذلك فى عامة الناس حتى من فقدوا قوة الشعور والاحساس بله الخليفة العربى الأموى؟ - هذا ويروى أن الوليد لما بلغه تشبيب وضاح اليمن بأم البنين هم بقتله، وسأله عبد العزيز ابنه فيه، وقال له: ان قتلته فضحتنى وحققت قوله، وتوهم الناس أن بينه و بين أمى ريبة، فأمسك عنه على غيظ وحنق، حتى بلغ الوليد أنه قد تعدى أم البنين الى أخته فاطمة بنت عبد الملك زوج سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وقال فيها:

بنت الخليفة، والخليفة جدها أخت الخلائف، والخليفة بعلها
فرحت قوابلها بها وتباشرت وكذاك كانوا فى المسرة أهلها

فاشتد حنق الوليد وعظم غيظه، ولم يطق صبرا على وقاحة هذا الكذاب الجرىء، وقال: أما لهذا الكلب مزدجر عن ذكر نسائنا وأخواتنا؟! ولا له عنه مذهب؟! ثم دعا به فقتله كما تقدم. هذا وقد تغزل عبيد الله بن قيس الرقيات بأم البنين أيضا حين رآها فى الحج، وكان الجمال يغلب على عقول هؤلاء الشعراء، و يستولى سلطانه على حزمهم، فلا يقدرون على كتمان ما يؤثره الحسن فيهم، ولا يبالى بعضهم عاقبة ذلك، وخير لأولى الأرحام لهؤلاء العفيفات أن يغضوا عن غزلهم مادام عفا بريئا، فانه لا يخرج أن

ولما فرش النطع (١) وسل السيف اتفق أن مد عينيه فى حالته تلك، فرأى بريق السيف ولمعان البرق، فاستنظر ثم أنشد مرتجلا :

تألق البرق نجديا فقلت له يأيها البرق انى عنك مشغول

يكفيك ماقدترى من ثائرحنق فى كفه كصبيب الماء مسلول

فلما رأى الحجاج ما كان من حضور ذهنه وجودة شعره عطف عليه اشفاقا منه ، وعرض على طالبيه أن يؤدى عنه ديته، فجعلوا يأبون ويلوون وجعل يتولج (٢) فى تحليل القصة، ويتدرج فى تنفيس الكربة، حتى بذل لهم دية ملك ، فلما أبوا وعتوا قال لحرسه ، فكوا قيده وخلوا سبيله ، فان من لم ينس أحبته فى مثل هذا المقام لجدير ألا يقتل . وقيل أخذ الحجاج أعرابيا سرق، فأمر بضربه، فضرب، فكان كلما قرعه السوط قال : اللهم شكرا ، فأتاه ابن عم له فقال : والله مادعا الأمير الى التمادى فى ضربك الا كثرة شكرك لأن الله يقول : « لئن شكرتم لأزيدنكم » فأمر باطلاقه . حدث محمد بن القاسم الأنبارى (٣) عن أبيه عن أبى الحسن المدائنى عمن حدثه عن مولى لعنبسة بن سعيد بن العاصى (٤) قال كنت أدخل مع عنبسة اذا دخل على الحجاج، فدخلت يوما وليس عند الحجاج أحد غير عنبسة، فأقعدنى، فجىء الحجاج بطبق فيه رطب ، فأخذ الخادم منه شيئا فجاءنى به، ثم جىء بطبق آخر فجاءنى الخادم بشىء منه ثم جىء بطبق آخر حتى كثرت الأطباق ، وجعل لايأتون بشىء الا جاءنى منه شىء حتى ظننت أن مابين يدى أكثر مما عندهم ، ثم جاء الحاجب فقال امرأة بالباب، فقال للحاجب : أدخلها ، فدخلت، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض، فجاءت حتى قعدت بين يديه

يكون مدحا بما تصبو اليه النساء ، أما اذا تعدى ذلك الى الكذب الآثم والافتراء غير العفيف فلهم أن يتصرفوا كما قلنا بالحكمة الحازمة والحزم الحكيم «أحمد يوسف نجاتى» (١) النطع بساط من جلد (٢) يحتال و يتدخل (٣) تأتى ترجمته ، وتوفى سنة ٣٢٨ (٤) عنبسة بن سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية بن عبد شمس الأموى، يروى عن أبى هريرة وأنس من

فنظرت فاذا امرأة قد أسنت حسنة الخلق ومعها جاريتان لها، فاذاهى ليلى الأخيلية، فسألها الحجاج عن نسبها، فانتسبت له ، فقال لها: ياليلى ماأتى بك؟ قالت: اخلاف النجوم، وقلة الغيوم، وكلب (١) البرد ، وشدة الجهد وكنت لنا بعدالله الرفد (٢) فقال لها: صفى لنا الفجاج ، فقالت: الفجاج (٣) مغبرة، والأرض مقشعرة (٤) والمبرك معتل (٥) وذو العيال مختل (٦) والهالك للقل (٧) والناس مسنتون (٨) ورحمة الله يرجون ، وأصابتنا سنون مجحفة (٩) مبلطة لم تدع لنا هبعا ولاربعا (١٠) ولا عافطة ولا نافطة (١١) أذهبت الأموال، ومزقت الرجال، وأهلكت العيال، ثم قالت: انى قد قلت فى الأمير قولا ، قال: هاتى، فأنشأت تقول :

أحجاج لايفلل سلاحك، انها الـ	ـمنايا بكف الله حيث تراهـا
أحجاج لاتعطى العصاة مناهم	ولا الله يعطى للعصاة مناهـا
اذا هبط الحجاج أرضا مريضة	تتبع أقصى دائهـا فشفاهـا
شفاها من الداء العضال الذى بها	غـلام اذا هـز القناة سقاها
سقاهـا فرواها بشرب سجاله	دماء رجال حيث مال حشاها
اذا سمع الحجاج رز كتيبة (١٢)	أعد لها قبـل النزول قراها

أفاضل التابعين. وكان آثر الناس عند الحجاج ، وكان له ولد سماه الحجاج باسم صديقه (١) شدة وقسوة (٢) العون والمساعد (٣) كناية عن شدة القحط والجدب (٤) اقشعرت الأرض والسنـة اذا أمحلت وضنت السماء بالغيث . واقشعرت الأرض من المحـل أى اربدت وتقبضت وتجمعت . (٥) أرادت الابل فأقامت المبرك « أى محل بروك الابل » مكانها مجازا اسناديا للمبالغة (٦) أى ذو خلة وحاجة أى محتاج أوسيئ الحال (٧) يعنى انما هلك لقلة مابيده وعدم مايقوته (٨) مقحطون، والسنة الجدب والقحط (٩) مهلـكة قاسـية ، ومبلطة : أى ملزقة بالبلاط أى الأرض الملساء، والمبلط : الهالك الذى لايجد شيئا (١٠) الهبع البعير نتج فى الصيف والربع مانتج فى الربيع (١١) أى لاضائنة ولا ماعزة (١٢) الرز : « بكسر الراء » الصوت يسمع من بعيد أو الصوت مطلقا «أحمد يوسف نجاتى»

أعد لها مسمومة فارسية (١) بأيدى رجال يحلبون صراها

فما ولد الأبكار والعون مثله (٢) ببحر ولا أرض يجف ثراها

فلما قالت هذا البيت قال الحجاج : قاتلها الله! ماأصاب صفتى شاعر منذ دخلت العراق غيرها، ثم التفت الى عنبسة بن سعيد فقال : والله انى لأعد للأمر عسى ألا يكون أبدا، ثم التفت اليها فقال : حسبك ، قالت: انى قد قلت أكثر من هذا ، قال : حسبك ويحك حسبك ، ثم قال : ياغلام اذهب بها الى فلان فقل له اقطع لسانها ، فذهب بها فقال له: يقول لك الأمير اقطع لسانها، فأمر باحضار الحجام، فقالت له: ثكلتك أمك! أما سمعت ماقال؟ انما أمرك بقطع لسانى بالبر والصلة، فبعث اليه يستثبته، فاستشاط الحجاج غضبا ، وهم بقطع لسانه ، وقال ارددها، فلما دخلت عليه قالت كادو أمانة الله أيها الأمير يقطع مقولى ، ثم أنشأت تقول :

حجاج أنت الذى مافوقه أحد الا الخليفة والمستغفر الصمد

حجاج أنت شهاب الحرب ان لقحت وأنت للناس نور فى الدجا يقد (٣)

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال: أتدرون من هذه ؟ قالوا: لا والله أيها الأمير ، الا أننا لم نر مثلها قط ، ولا أفصح منها لسانا، ولا أحسن محاورة، ولا أملح وجها، ولا أرصن شعرا ، فقال: هذه الأخيلية التى مات توبة الخفاجى من حبها ، ثم التفت اليها فقال: أنشدينا ياليلى بعض ماقاله فيك توبة ، فقالت: نعم أيها الأمير هو الذى يقول :

---

(١) تريد بالمسمومة النصال والسهام كأنها مسقية سما فلا ينجو من تصيبه، والصرى : بقية اللبن فى الضرع ، واللبن قد بقى فتغير طعمه وفسد (٢) العون جمع عوان خلاف البكر ، والبكر هنا المرأة التى ولدت بطنا واحدا ، والعوان التى ولدت بعد بطنها البكر ، والثرى التراب الندى (٣) حرب لاقح على المثل بالأنثى الحامل أى حرب شديدة تنتج الشر والهلاك ، و وقدت النار تقد اذا اشتعلت «أحمد يوسف نجاتى»

حمـــامة بطن الواديين ترنمى ... سقاك من الغر الغوادى مطيرها (١)
أبينى لنا لازال ريشك ناعما ... ولازلت فى خضراء غض نضيرها (٢)
وأشرف بالقور اليفـاع لعلنى ... أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها (٣)
وكنت اذا مازرت ليـلى تبرقعت ... فقد رابنى منها الغداة سفورها
وقد رابنى منها صدود رأيته ... واعراضها عن حاجتى (٤) و بسورها
يقول رجال : لايضـيرك نأيهـا ! ... بلى ، كل ماشف النفوس يضيرها
بلى قد يضير العين أن تـكثر البـكا ... و يمنع منهـا نومها وسرورها
وقـد زعمت ليـلى بأنى فاجر ... لنفسى تقاها أو عليها فجورها (٥)

فقال لها الحجاج: ياليلى مارابه من سفورك ؟ قالت :أيها الأمير كان يلم بى كثيرا، فأرسل الى يوما: انى آتيك ، ففطن به الحى فأرصـدوا له ، فلما أتانى سفرت عن وجهى، فعلم أن ذلك لشر، فلم يزد على التسليم والرجوع فقال: لله درك! فهل رأيت منه شيئا تـكرهينه ! قالت : لا والذى أسأله أن يصلحك، غير أنه قال مرة قولا ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر، فأنشأت أقول :

وذى حاجة قلنا له لاتبح بها ... فليس اليهـا ماحييت سبيل
لنا صاحب لاينبغى أن نخونه ... وأنت لأخرى صاحب وخليل

فلا والله الذى أسأله أن يصلحك مارأيت منه شيئا حتى فرق الموت بينى و بينه ، قال: ثم مه ؟ قالت: ثم لم يلبث أن خرج فى غزاة ، فأوصى ابن عمه

---

(١) يريد السحب الملأى بالماء (٢) و يروى عجز البيت :

* ولا زلت فى خضراء دان بريرها *

والبرير ثمر الأراك (٣) القور جمع قارة، وهى الأصاغر من الجبال والأعاظم من الآكام ، واليفاع المشرف المرتفع (٤) بسر عبس، أو أظهر شدة العبوس والنظر بالـكراهية، و بسر الرجل وجهه كلح وقطب (٥) أو هنا بمعنى الواو والقصيدة طو يلة ومنها :

أرى اليوم يأتى دون ليلى كأنما ... أتت حجج من دونها وشهورها
لـكل لقـاء نلتقيه بشاشة ... وان كان حولا كل يوم أزورها

اذا أتيت الحاضر من بنى عبادة (١) فناد بأعلى صوتك :

عفا الله عنها ! هل أبيتن ليلة　　من الدهر لايسرى الى خيالها؟!

فخرجت وأنا أقول :

وعنه عفا ربى وأحسن حاله　　عزيز علينا حاجة لاينالها

قال: ثم مه؟ قالت: ثم لم يلبث أن مات فأتانا نعيه ، قال: أنشدينا بعض مراثيك فيه، فأنشدته:

لتبك العذارى من خفاجة نسوة　　بماء شؤون العبرة المتحدر

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ

قلائص يفحصن الحصى بالكراكر(٢)

فلما فرغت من القصيدة قال محصن الفقعسى - وكان من جلساء الحجاج -: من هذا الذى تقول هذه هذا فيه؟! فوالله انى لأظنها كاذبة ، فنظرت اليه ثم قالت: والله أيها الأمير ان هذا القائل لو رأى توبة لسره ألا يكون فى داره عذراء الا وهى حامل منه، فقال الحجاج :هذا وأبيك الجواب، وقد كنت عنه غنيا، ثم قال لها سلى ياليلى تعطى ، قالت: أعط فمثلك من أعطى فأحسن ، قال : لك عشرون ، قالت : زد فمثلك من زاد فأجمل ، قال أربعون، قالت زد فمثلك من زاد فأكمل، قال: لك ثمانون، قالت: زد فمثلك من زاد فتمم ، قال : لك مائة ، واعلمى ياليلى أنها غنم ، قالت: معاذ الله أيها الأمير ، أنت أجود جودا، وأمجد مجدا ، وأورى زندا، من أن تجعلها غنما ، قال: فما هى ويحك ياليلى؟ قالت: هى مائة من الابل برعاتها، فأمر لها بها، ثم

(١) ليلى الأخيلية هى ليلى بنت عبد الله بن كعب بن حذيفة بن شداد ابن معاوية ذى الرحالة بن كعب بن معاوية « وهو الأخيل » ابن فارس الهزاز « أبى عبادة » ابن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة

(٢) البيت الأول من قصيدة، والبيت الثانى من قصيدة أخرى، فمن الأولى:

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ　　بنجد، ولم يهبط مع المتغور

ولم يرد الماء السدام اذا بدا　　سنى الصبح فى بادى الجواشن مدبر

قتلتم فتى لم يسقط الرعب رمحه　　اذا الخيل جالت فى قنا متكسر

قال: ألك حاجة بعدها؟ قالت: تدفع الى النابغة الجعدى (١) فى قيد، قال قد فعلت — وقد كانت تهجوه و يهجوها — فبلغ ذلك النابغة فخرج هاربا عائذا بعبد الملك بن مروان، فاتبعته الى الشام، فهرب الى قتيبة بن مسلم بخراسان، فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج الى قتيبة، فماتت فى قومس و يقال بحلوان (٢). وكان الحجاج اذا سمع بنوح فى دار هدمها، فلما مات ابنه وأخوه كان يعجبه أن يسمع النوح، وكان يتمثل بهذا البيت :

ألا رب مكروب أجبت، ونائل بذلت، ومعروف لديك ومنكر

فياتوب للمولى، و ياتوب للقرى و ياتوب لمستنبح المتنور

ماء سدام ومياه سدم : قديمة متدفقة ، وجوشن الليل: وسطه أو صدره ، والمستنبح من يصغى الى نباح الكلاب و يستدعيه ليقصد موضعه. والمتنور: من يعشو الى نار القرى يهتدى بها — ومن القصيدة التالية :

نظرت وركن من عماية دوننا و بطن الركايا أى نظرة ناظر

فلا يبعدنك الله ياتوب، انما لقاء المنايا دارعا مثل حاسر

فتى لا تخطاه الرفاق، ولا يرى لقدر عيالا دون جار مجاور

والكراكر جمع كركرة، وهى صدر كل ذى خف من البهائم، وزور البعير الذى اذا برك أصاب الأرض، وهى ناتئة عن جسمه كالقرصة. وعماية: جبل بنجد، وآخر بالبحرين، والركايا موضع، والدارع: لابس الدرع ضد الحاسر (١) هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من الشعراء المخضرمين الشاعر المشهور عاش فى الجاهلية والاسلام دهرا، ويكنى أبا ليلى، وكان أكبر من النابغة الذبيانى، و بقى بعده بقاء طويلا، وهو أحد المعمرين، و بلغ الى فتنة ابن الزبير وتوفى بأصبهان. وقد مدح النبى صلى الله عليه وسلم، وهو أحد نعات الخيل المجيدين (٢) قومس فى ذيل جبال طبرستان . وحلوان العراق فى آخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد، وكانت مدينة كبيرة عامرة، وحلوان أخرى فى آخر حدود خراسان مما يلى أصبهان . وقيل ماتت ليلى بمدينة

نَعُودُ إِلَى ذِكْرِ الْحَجَّاجِ — وَكَانَ يُنْشِدُ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ — وَهُمَا لِعُبَيْدِ بْنِ سُفْيَانَ الْعُكْلِيِّ :

يَارَبِّ قَدْ حَلَفَ الْأَعْدَاءُ وَاجْتَهَدُوا
أَيْمَانَهُمْ أَنَّنِي مِنْ سَاكِنِي النَّارِ

هل ابنك الا ابن من الناس؟! فاصبرى فلن يرجع الموتى حنين المآتم
وكان يتمثل أيضا بهذا البيت :
فان تحتسب تؤجر، وان تبكه تكن كباكية لم يحى ميتا بكاؤها
ولما مات الحجاج ماعلم بموته حتى خرجت جارية من قصره وهى تقول :
اليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا
وقيل أحصى من قتله الحجاج صبرا سوى من قتل فى عساكره وحروبه فوجدوا مائة ألف وعشرين ألفا ، ومات وفى حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة (١) منهن ستة عشر ألف مجردات ، وكان يحبس الرجال والنساء فى موضع واحد ، ولم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الحر فى الصيف ومن البرد والمطر فى الشتاء ، وكان له غير ذلك من أنواع العذاب ، قيل ركب يوم جمعة فسمع ضجة ، فقال: ماهذا؟ فقيل له: المحبوسون يضجون و يشتكون مما هم فيه من العذاب ، فالتفت الى ناحيتهم وقال : اخسأوا فيها ولا تكلمون ، قيل فما صلى جمعة بعدها . وبالجملة فأخبار الحجاج كثيرة، وشرحها يطول، وأمره الى الله يعاملـه بما هو أهله .

ساوة بين الرى وهمذان ، وقيل بمدينة الرى . وتوبة بن الحمير بن سفيان ابن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل توفى سنة ٧٥ (١) هذه الأرقام لاتخلو من مبالغة وشطط ، وهى مروية بروايات مختلفة فى كتب التاريخ بحسب الميل والهوى، و بصيرة الناقد الخبير حكم عدل «أحمد يوسف نجاتى»

أَيَحْلِفُونَ عَلَى عَمْيَاءَ(١) ؟ وَيْحَهُمْ !

مَا ظَنُّهُمْ بِعَظِيمِ الْعَفْوِ غَفَّارِ ؟ !

وَكَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كِتَاباً يُخْبِرُهُ فِيهِ بِمَرَضِهِ وَكَتَبَ فِي آخِرِهِ :

إِذَا مَا لَقِيتُ اللّٰهَ عَنِّيَ رَاضِياً

فَإِنَّ سُرُورَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَالِكِ

فَحَسْبِي حَيَاةُ اللّٰهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ

وَحَسْبِي ثَوَابُ اللّٰهِ مِنْ كُلِّ هَالِكِ(٢)

لَقَدْ ذَاقَ هٰذَا الْمَوْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا

وَنَحْنُ نَذُوقُ الْمَوْتَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكِ

وَكَانَ مَرَضُهُ بِالْأَكَلَةِ وَقَعَتْ فِي بَطْنِهِ ، وَدَعَا بِالطَّبِيبِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا ، فَأَخَذَ لَحْماً وَعَلَّقَهُ فِي خَيْطٍ وَسَرَّحَهُ فِي حَلْقِهِ وَتَرَكَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ وَقَدْ لَصِقَ بِهِ دُودٌ كَثِيرٌ ، وَسَلَّطَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الزَّمْهَرِيرَ(٣) فَكَانَتِ الْكَوَانِينُ تُجْعَلُ

---

(١) العمياء : اللجاجة فى الباطل والأمور المجهولة غير المستبينة (٢) ويروى :

عزائى نبى الله من كل ميت وحسبى ثواب الله من كل هالك

(٣) الزمهرير : شدة البرد. قال الأعشى :

حَوْلَهُ مَمْلُوءَةً نَارًا وَتُدْنَى مِنْهُ حَتَّى تُحْرِقَ جِلْدَهُ وَهُوَ لَا يُحِسُّ بِهَا ، وَشَكَا مَا يَجِدُهُ إِلَى ٱلْحَسَنِ ٱلْبَصْرِيِّ[1] فَقَالَ لَهُ : قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكَ أَنْ تَتَعَرَّضَ إِلَى ٱلصَّالِحِينَ فَلَجَجْتَ ، فَقَالَ لَهُ يَا حَسَنُ لَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْأَلَ ٱللهَ أَنْ يُفَرِّجَ عَنِّي ، وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْأَلَهُ أَنْ يُعَجِّلَ قَبْضَ رُوحِي وَلَا يُطِيلَ عَذَابِي ، فَبَكَى ٱلْحَسَنُ بُكَاءً شَدِيدًا . وَأَقَامَ ٱلْحَجَّاجُ عَلَى هَذِهِ ٱلْحَالَةِ بِهَذِهِ ٱلْعِلَّةِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَتُوُفِّيَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ — وَقِيلَ فِي شَوَّالٍ — سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ لِلْهِجْرَةِ ، وَعُمْرُهُ ثَلَاثٌ وَقِيلَ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً ، وَهُوَ ٱلْأَصَحُّ ، وَقَالَ ٱلطَّبَرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ٱلْكَبِيرِ : تُوُفِّيَ ٱلْحَجَّاجُ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ لِتِسْعٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ ، وَقَالَ غَيْرُ ٱلطَّبَرِيِّ لَمَّا جَاءَ مَوْتُ ٱلْحَجَّاجِ إِلَى ٱلْحَسَنِ ٱلْبَصْرِيِّ سَجَدَ لِلّٰهِ تَعَالَى شُكْرًا وَقَالَ : ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ أَمَتَّهُ فَأَمِتْ عَنَّا سُنَّتَهُ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمَدِينَةِ وَاسِطَ ، وَدُفِنَ بِهَا ، وَعُفِّيَ قَبْرُهُ ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ

من القاصرات سجوف الحجا ل لم تر شمسا ولا زمهـريرا

(١) ستأتي ترجمته .

الْمَاءِ . وَكَانَ قَدْ رَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّ عَيْنَيْهِ قُلِعَتَا ـ وَكَانَتْ تَحْتَهُ هِنْدُ بِنْتُ الْمُهَلَّبِ(١) بْنِ أَبِي صُفْرَةَ الْأَزْدِيِّ ـ وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ـ وَهِنْدُ بِنْتُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ(٢)

---

(١) كانت ذات أدب يزينه جمال، وذات حسن يصونه جلال وكمال، ولقد ذكرت النساء مرة فقالت : مازين بشيء كأدب بارع تحته لب ظاهر، وهي القائلة : إذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال ومن لنا أن تكون نساؤنا كهؤلاء الأعرابيات اللاتي لم تغذهن المدنية ؟! «أحمد يوسف نجاتي» (٢) أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، روى عنه كبار التابعين، وابنه أبو سعد مالك بن أسماء وهو القائل

حبذا ليلتي بتل بوني ... اذ نسقى شرابنا ونغني

من شراب كأنه دم جوف ... يترك الشيخ والفتى مرجحنا

حيث دارت بنا الزجاجة درنا ... يحسب الجاهلون أنا جننا

ومررنا بنسوة عطرات ... وسماع وقرقف فنزلنا

وحديث ألذه هو مما ... تشتهيه النفوس يوزن وزنا

منطق صائب وتلحن أحيا ... نا، وخير الحديث ما كان لحنا

أمغطى مني على بصري للحب

أم أنت أكمل الناس حسنا؟!

وتزيدين أطيب الطيب طيبا ... ان تمسيه، أين مثلك أينا؟!

واذا الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا

يقولها في زوجه حبيبة بنت أبي جندب الأنصاري ـ وتل بوني كان من قرى الكوفة ـ ويقال ان هند بنت أسماء تكلمت وهي عند الحجاج فلحنت، فقال لها : أتلحنين وأنت شريفة؟! وفي بيت قيس؟! فقالت : أما سمعت قول أخي مالك لامرأته الأنصارية :

فَطَلَّقَ الْهِنْدَيْنِ اعْتِقَادًا مِنْهُ أَنَّ رُؤْيَاهُ تَتَأَوَّلُ بِهِمَا[1] ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ نَعْيُ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ مِنَ الْيَمَنِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ: وَاللهِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ، مُحَمَّدٌ

منطق صائب ،وتلحن أحيا نا،وخير الحديث ما كان لحنا

فقال لها الحجاج «إنما عنى أخوك اللحن فى القول،ولم يعن اللحن فى العربية والخطأ فى الكلام،فأصلحى لسانك» يريد الحجاج اللحن بمعنى التورية والتعريض،وأن المرأة فطنة ،فهى تلحن بالكلام الى غير المعنى فى الظاهر لتورى عنه ويفهمه من أرادت بالتعريض، كما قال الله تعالى «ولتعرفنهم فى لحن القول» وقد يكون ما عرفته العربيـة بفطرتها أحسن مما فهمه الحجاج بعلمه، فقد يستملح من الجوارى المليحات اللحن الخفيف أحيانا ويستثقل منهن لزوم حاق الأعراب—وان كانت العرب لم تزل تستقبح اللحن من النساء كما تستقبحه من الرجال — وانما طيب أحاديثهن من الخلابة والمواعيد والتأنيث ، فمالك بن أسماء انما أراد معنى قول القطامى :

يقتلننا بحديث ليس يعلمـه من يتقين ولا مكنونه بادى

فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وقد كان الحجاج من البلاغة وطلاقة اللسان وفصاحة القول فى الذروة العليا، وقد قال مرة ليحيى بن يعمر —توفى سنة ١٢٠— أتسمعنى ألحن؟ قال الأمير أفصح من ذلك ، فأعاد عليه القول وأقسم عليه، فقال يحى: نعم، تجعل أن مكان إن ، فقال: ارحـل عنى ولا تجاورنى «يريد يحى قراءة الحجاج : «أن ربهم بهم يومئذ خبير» بفتح الهمزة وحذف لام التوكيد وكان أبو السمال يقرأ بها . «أحمد يوسف نجاتى» (١) يروى أن ليلى الأخيلية لما قدمت على الحجاج ومدحته قال لها : أى نسائى أحب اليك أن أنزلك عندها الليلة ؟ فقالت ومن نساؤك أيها الأمير ؟ قال :أم الجلاس بنت سعيد بن العاصى الأموية «أو بنت عبد الله بن خالد بن أسيد

وَمُحَمَّدٌ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ! إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَقُولُ شِعْرًا يُسَلِّينِي بِهِ ؟ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

إِنَّ الرَّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا
فِقْدَانُ مِثْلِ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدِ

مَلِكَانِ قَدْ خَلَتِ الْمَنَابِرُ مِنْهُمَا
أَخَذَ الْحِمَامُ عَلَيْهِمَا بِالْمَرْصَدِ(١)

ابن أبى العيص بن عبد شمس » وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية وهند بنت المهلب بن أبى صفرة العتكية ، فقالت ليلى : القيسية أحب الى أيها الأمير « تريد هند بنت أسماء، وانما آثرتها لأنها كانت ابنة عمتها . « أحمد يوسف نجاتى » (١) الحمام : الموت ، والمرصد فى الأصل موضع الرصد ، وأخذ عليه بالمرصد وقعد له بالمرصد اذا ترقبه فى طريقه وسد عليه مسالكه . وان المنايا للأنام بمرصد. هذا ورثاهما الفرزدق أيضا بقوله :

انى لباك على ابنى يوسف جزعا ومثل فقدهما للدين يبكينى
ماسد حى ولاميت مسدهما الا الخلائف من بعد النبيين

فقال له الحجاج : لو زدتنى ! فقال :

لئن جزع الحجاج مامن مصيبة تكون لمحزون أجل وأوجعا
من المصطفى والمصطفى من خيارهم جناحيه لما فارقاه فودعا
أخ كان أغنى أيمن الأرض كله وأغنى ابنه أهل العراقين أجمعا
جناحا عقاب فارقاه كلاهما ولو نزعا من غيره لتضعضعا

فقال الحجاج : الآن . وأراد الفرزدق بالمصطفى والمصطفى المحمدين أخا الحجاج وابنه كما فسر ذلك بعد ، فادعى أن الأخ أغنى اليمن كله بجوده كما أغنى الابن العراقين . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَكَانَتْ وَفَاةُ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ لِلَيَالٍ خَلَتْ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ لِلْهِجْرَةِ - وَهُوَ وَالِي الْيَمَنِ - فَكَتَبَ الْوَلِيدُ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ يُعَزِّيهِ ، فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ جَوَابَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الْتَقَيْتُ أَنَا وَمُحَمَّدٌ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً إِلَّا عَامًا وَاحِدًا ، وَمَا غَابَ عَنِّي غَيْبَةً أَنَا لِقُرْبِ اللِّقَاءِ فِيهَا أَرْجَى مِنْ غَيْبَتِهِ هَذِهِ ، فِي دَارٍ لَا يَتَفَرَّقُ فِيهَا مُؤْمِنَانِ[١] . وَمُعَتِّبٌ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ التَّاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقِهَا وَكَسْرِهَا وَبَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَالثَّقَفِيُّ بِفَتْحِ الثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ وَالْقَافِ وَبَعْدَهَا الْفَاءُ. هَذِهِ النِّسْبَةُ

---

(١) وكتب الحجاج الى الوليد بن عبد الملك بعد وفاة أخيه محمد بن يوسف : أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنه أصيب لمحمد بن يوسف خمسون ومائة ألف دينار، فان يكن أصابها من حلها فرحمه الله ، وان تكن من خيانة فلا رحمه الله . فكتب اليه الوليد : أما بعد فقد قرأ أمير المؤمنين كتابك فيما خلف محمد بن يوسف، وانما أصاب ذلك المال من تجارة له أحللناها له، فترحم عليه رحمه الله . وخرج الوليد يوما على الناس وهو مشعان الرأس « اشعان الشعر اذا انتفش وتفرق » فقال مات الحجاج ابن يوسف وقرة بن شريك ! وجعل يتفجع عليهما » وقرة بن شريك القيسى كان أمير مصر، وكان كالحجاج عسوفا قاسيا، توفى سنة ٩٥ كما يؤخذ من خبر الوليد ، وقيل انه توفى سنة ٩٦ . « أحمد يوسف نجاتى »

إِلَى ثَقِيفَ وَهِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالطَّائِفِ(١) .

---

(١) زاد فى النسخة الخطية بعد ترجمة الحجاج بن يوسف الترجمة الآتية : « حجاج بن أرطاة » أبو أرطاة النخعى الكوفى ، سمع عطاء بن أبى رباح وغيره (١) وروى عنه الثورى وشعبة (٢) وحماد بن زيد (٣) وهشيم (٤) وابن المبارك (٥) ويزيد بن هرون (٦) وكان من رواة الحديث ومن الفقهاء ، استفتى وهو ابن ست عشرة سنة ، وولى قضاء البصرة الا أنه كان مدلسا عمن لم يلقه ، فيرسل تارة عن مجاهد (٧) وتارة عن الزهرى ولم يلقهما ، قال أبو العباس المبرد فى الكامل : وخبرت أن قاصا كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان (٨) فاتفق أن كان معه هرم مرة

---

(١) ستأتى ترجمته وترجمة سفيان الثورى (٢) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى مولاهم أبو بسطام الحافظ الواسطى نزيل البصرة أحد أئمة الاسلام - قال فيه أحمد : شعبة أمة وحده ، وقال يحيى بن معين : شعبة امام المتقين ، وقال سفيان الثورى : مات الحديث بموت شعبة . وكان أحسن الناس حديثا ، وهو أول من تكلم فى رجال الحديث ، ولد سنة ٨٠ ، وتوفى سنة ١٦٠ « أحمد يوسف نجاتى » (٣) حماد بن زيد بن درهم الأزدى أبو اسمعيل الأزرق البصرى الحافظ أحد الأعلام توفى سنة ١٧٩ (٤) الامام أبو معاوية هشيم بن بشير السلمى الواسطى محدث بغداد ثقة عابد ورع ، توفى سنة ١٨٣ (٥) عبد الله ستأتى ترجمته (٦) يزيد بن هرون السلمى أبو خالد الواسطى أحد الأعلام الحفاظ ، كان ثقة ثبتا متقنا توفى سنة ٢٠٦ (٧) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى المقرئ الامام المفسر ، روى عن ابن عباس ، وروى عنه عكرمة وعطاء ، توفى بمكة سنة ١٠٢ ومولده سنة ٢١ هـ (٨) هو هرم بن حيان العبدى البصرى ، كان فى الطبقة الأولى من الفقهاء المحدثين والزهاد من أهل البصرة ، وهو من صغار الصحابة ، أو من ثقات التابعين ، وسمع أويسا القرنى ، وروى عنه الحسن وأهل البصرة ، وكان قد ولى الولايات أيام عمر بن الخطاب فى غزاة له ،

فى المسجد وهو يقول: حدثنا هرم بن حيان، فقال له: ياهذا أتعرفنى؟! أنا هرم ماحدثتك من هذا بشىء! فقال له القاص: وهذا من عجائبك أيضا! انه ليصلى معنا فى مسجدنا خمسة عشر رجلا اسم كل رجل منهم هرم بن حيان، فكيف توهمت أنه ليس فى الدنيا هرم بن حيان غيرك! ويقرب من هذا أنه كان بالرقة قاص يكنى أبا عقيل يكثر من التحدث عن بنى اسرائيل، فيظن به الكذب، فقال له يوما الحجاج بن حنتمة (١) ماكان اسم بقرة بنى اسرائيل؟ قال: حنتمة، فقال له رجل من ولد أبى موسى الأشعرى: فى أى الكتب وجدت هذا؟ فقال: فى عمرو بن العاصى. انتهى كلام المبرد. وكان الحجاج بن أرطاة مع المنصور فى وقت أن بنى مدينته وتولى خطها ونصب قبلة مسجدها، وكان فى هذا الرجل تيه كثير خارج عن الحد، حدث أبو قلابة (٢) قال سمعت أبا عاصم (٣) يقول: أول من ولى القضاء لبنى العباس بالبصرة حجاج بن أرطاة، فجاء الى حلقة السنبتى فجلس فى عرض الحلقة، فقيل له: ارتفع الى الصدر، فقال أنا صدر حيث كنت، وقال: أنا رجل حبب الى الشرف، وقال أبو يوسف: كان الحجاج بن أرطاة لايشهد جمعة ولا جماعة، ويقول: أكره مزاحمة الأنذال، وقال عبد الملك بن عبد الحميد (٤) حدثنى أبى غير مرة قال: مكث الحجاج بن أرطاة يعيش من غزل أمة له كذا وكذا سنة،

---

(١) هو من شيوخ الأصمعى توفى سنة ٤٦ «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) هو عبد الله بن زيد الجرمى، تابعى جليل ومحدث مشهور من أهل البصرة، وكان فقيها عابدا، طلب الى القضاء فهرب الى الشام وأقام بها وتوفى سنة ١٠٤ «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثى المكى، من الطبقة الأولى من التابعين، وقال مجاهد: كنا نفتخر بفقيهنا ابن عباس وقاضينا عبيد بن عمير، توفى أبو عاصم سنة ٧٧

(٤) لعله عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أول من صنف الكتب بالحجاز «كما أن سعيد بن أبى عروبة أول من صنف بالعراق» وكان

ثم أخرجه أبو جعفر المنصور مع ابنه المهدى الى خراسان، فقدم بسبعين مملوكا ، قال: وربما رأيته ـ يعنى الحجاج ـ يضع يده على رأسه و يقول قتلنى حب الشرف . وكان حجاج بن أرطاة يقع فى أبى حنيفة رضى الله عنه، وكان فى أصحاب أبى جعفر ، فضمه الى المهدى، فلم يزل معه حتى توفى سنة خمسين ومائة بالرى ـ رحمه الله تعالى ـ والمهدى بها يومئذ فى خلافة أبى جعفر ، وكان ضعيفا فى الحديث ـ وزاد بعد ذلك الترجمة الآتية أيضا :

« أبو عمر الحرث بن مسكين بن محمد بن يوسف المصرى » مولى محمد ابن زياد بن عبد العزيز بن مروان ، رأى الليث بن سعد وسأله، وسمع سفيان بن عيينة الهلالى ، وعبد الرحمن بن القاسم العتقى (١) وعبد الله ابن وهب القرشى (٢) ، وروى عنه كافة المصريين ، وكان فقيها على مذهب مالك بن أنس رضى الله عنه، وكان ثقة فى الحديث ثبتا، حمله المأمون الى بغداد فى أيام المحنة وسجنه لأنه لم يجب الى القول بخلق القرآن، فلم يزل ببغداد محبوسا الى أن ولى جعفر المتوكل فأطلقه وأطلق جميع من كان فى السجن ، وحدث الحرث ببغداد ، ورجع الى مصر ، وكتب اليه المتوكل بعهده على قضاء مصر ، فلم يزل يتولاه من سنة سبع وثلاثين ومائتين الى أن صرف فى سنة خمس وأربعين ، ولما خرج الحرث من بغداد الى مصر اغتم عليه أبو على بن الجوزى (٣) غما شديدا ، فكتب الى سعد ابن يزيد وهو مقيم بمصر يشكو مانزل به من غم لبعد الحرث، وكتب فى أسفل كتابه :

من كان يسليه نأى عن أخى ثقة   فاننى غير سال آخر الأبد

من أوعية العلم لغويا أديبا عابدا، ولد سنة ٨٠ ، وتوفى سنة ١٥٠ « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو الامام أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقى مولاهم المصرى الفقيه صاحب مالك ، روى عن سفيان بن عيينة وغيره وكان خيرا فاضلا زاهدا صبورا مجانبا للسلطان ، توفى سنة ١٩١ « أحمد يوسف نجاتى » (٢) تأتى ترجمته (٣) كذا بالأصل ، وأظنها محرفة

***

الحارث بن أسدالمحاسبي البصرى

« أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَرِثُ بْنُ أَسَدٍ *الْمُحَاسِبِيُّ الْبَصْرِيُّ الْأَصْلِ الزَّاهِدُ الْمَشْهُورُ » أَحَدُ رِجَالِ الْحَقِيقَةِ ، وَهُوَ مِمَّنْ اجْتَمَعَ لَهُ عِلْمُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ، وَلَهُ كُتُبٌ فِي الزُّهْدِ

قد فرقت بيننا الأيام واضطرمت   بالوجد والشوق نار الحزن فى الكبد

فأجابه سعدان بن يزيد :

أيها الشاكى الينا وحشة   من حبيب غاب عنه و بعد

حسبك الله أنيسا فبه   يأنس المرء اذا المرء سعد

كل أنس بسواه زائل   وأنيس الله فى عز الأبد

وكانت ولادة الحرث بن مسكين فى سنة أربع وخمسين ومائة، وتوفى لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة خمسين ومائتين، وصلى عليه يزيد ابن عبد الله (١) وكان أميرا فى مصر — وكبر عليه خمسا — رحمه الله تعالى . اه

* ترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم « ص ٢٦١ » قال

كان من الزهاد المتكامين على العبادة والزهد فى الدنيا والمواعظ ، وكان فقيها متكلما مقدما ، كتب الحديث وعرف مذاهب النساك . قال الخطيب له كتب كثيرة فى الزهد وأصولى الديانة والرد على المعتزلة .

وله ترجمة أخرى فى كتاب تهذيب التهذيب « ج ٢ ص ١٣٤ »

وترجمة موجزة فى شذرات الذهب « ص ١٠٣ من الجزء الثانى » .

---

(١) يزيد بن عبد الله بن دينار الأمير أبو خالد، كان من الموالى، ولى مصر بعد عزل عنبسة بن اسحق عنها سنة ٢٤٢ فمهد أمور مصر ، وأزال كثيرا مما كان فيها من المفاسد وسيء العادات ، وان اشتد على العلويين بها، وفى أيامه سنة ٢٤٧ بنى مقياس النيل بالروضة، ودام واليا بمصر مدة المتوكل وابنه المنتصر والمستعين و بعض أيام المعتز الى سنة ٢٥٣ « أحمد يوسف نجاتى »

وَالْأُصُولِ وَكِتَابُ الرِّعَايَةِ لَهُ ، وَكَانَ قَدْ وَرِثَ مِنْ أَبِيهِ سَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا شَيْئًا ـ قِيلَ لِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ يَقُولُ بِالْقَدَرِ ، فَرَأَى مِنَ الْوَرَعِ أَلَّا يَأْخُذَ مِيرَاثَهُ ـ وَقَالَ صَحَّتِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى » وَمَاتَ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى دِرْهَمٍ . وَيُحْكَى عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا مَدَّ يَدَهُ إِلَى طَعَامٍ فِيهِ شُبْهَةٌ تَحَرَّكَ عَلَى إِصْبَعِهِ عِرْقٌ ، فَكَانَ يَمْتَنِعُ مِنْهُ . وَسُئِلَ عَنِ الْعَقْلِ مَا هُوَ ؟ فَقَالَ : نُورُ الْغَرِيزَةِ ، مَعَ التَّجَارِبِ يَزِيدُ ، وَيَقْوَى بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ . وَكَانَ يَقُولُ : فَقَدْنَا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ : حُسْنَ الْوَجْهِ مَعَ الصِّيَانَةِ ، وَحُسْنَ الْقَوْلِ مَعَ الْأَمَانَةِ ، وَحُسْنَ الْإِخَاءِ مَعَ الْوَفَاءِ . وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ . وَالْمُحَاسِبِيّ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ سِينٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ وَبَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ، قَالَ السَّمْعَانِيُّ : وَعُرِفَ بِهَذِهِ النِّسْبَةِ لِأَنَّهُ كَانَ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ . وَقَالَ : كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يَكْرَهُهُ لِنَظَرِهِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَتَصْنِيفِهِ فِيهِ ،

وَهَجَرَهُ فَاسْتَخْفَى مِنَ الْعَامَّةِ ، فَلَمَّا مَاتَ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ إِلَّا أَرْبَعَةُ نَفَرٍ . وَلَهُ مَعَ الْجُنَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ (١) حِكَايَاتٌ مَشْهُورَةٌ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ .

***

أبوفراس الحرث ابن حمدون الحمداني

« أَبُو فِرَاسٍ الْحَرِثُ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ ابْنِ حَمْدُونَ الْحَمْدَانِيُّ ابْنُ عَمِّ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ وَسَيْفِ الدَّوْلَةِ ابْنَيْ حَمْدَانَ ، وَسَيَأْتِي تَتِمَّةُ نَسَبِهِ عِنْدَ ذِكْرِهِمَا ـ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ـ »

قَالَ الثَّعَالِبِيُّ فِي وَصْفِهِ : كَانَ فَرْدَ دَهْرِهِ ، وَشَمْسَ عَصْرِهِ أَدَبًا وَفَضْلًا ، وَكَرَمًا وَمَجْدًا ، وَبَلَاغَةً وَبَرَاعَةً ، وَفُرُوسِيَّةً وَشَجَاعَةً ، وَشِعْرُهُ مَشْهُورٌ سَائِرٌ بَيْنَ الْحُسْنِ وَالْجَوْدَةِ وَالسُّهُولَةِ وَالْجَزَالَةِ ، وَالْعُذُوبَةِ وَالْفَخَامَةِ وَالْحَلَاوَةِ ، وَمَعَهُ رُوَاءُ الطَّبْعِ (٢) وَسِمَةُ الظَّرْفِ ، وَعِزَّةُ الْمُلْكِ ، وَلَمْ تَجْتَمِعْ هَذِهِ الْخِلَالُ قَبْلَهُ إِلَّا فِي شِعْرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ ، وَأَبُو فِرَاسٍ يُعَدُّ أَشْعَرَ مِنْهُ عِنْدَ أَهْلِ الصَّنْعَةِ وَنَقَدَةِ الْكَلَامِ .

---

(١) تقدمت ترجمته (٢) يريد جمال الطبع وعدم التكلف «أحمد يوسف نجاتي»

وَكَانَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ يَقُولُ : بُدِئَ الشِّعْرُ بِمَلِكٍ وَخُتِمَ بِمَلِكٍ - يَعْنِي امْرَأَ الْقَيْسِ وَأَبَا فِرَاسٍ - وَكَانَ الْمُتَنَبِّي يَشْهَدُ لَهُ بِالتَّقَدُّمِ وَالتَّبْرِيزِ (١) وَيَتَحَامَى جَانِبَهُ، فَلَا يَنْبَرِي (٢) لِمُبَارَاتِهِ ، وَلَا يَجْتَرِئُ عَلَى مُجَارَاتِهِ ، وَإِنَّمَا لَمْ يَمْدَحْهُ وَمَدَحَ مَنْ دُونَهُ مِنْ آلِ حَمْدَانَ تَهَيُّبًا لَهُ وَإِجْلَالًا ، لَا

(١) برز اذا فاق وعلا وغلب غيره (٢) لا يتعرض لمعارضته .

لا نسلم هذا على اطلاقه، فلكليهما بابة هو فيها نسيج وحده ، وقد برز كل منهما فى أغراض من الشعر لا يلحق الآخر شأوه فيها ، وابن المعتز لا يشق غباره فى التشبيهات الدقيقة والأغراض الحضرية الرقيقة من وصف الخمر والسقاة والندمان وآلاتها وأدوات الغناء وما يتعلق بذلك من وصف الأجواء فى الفصول المختلفة ومناظر الطبيعة ، والغزل الرقيق وما الى هذا ، وأبو فراس قد نبغ فى نعت الوقائع ومشاهد الحروب وفى العتاب وشكوى الدهر والأخوان ونحو ذلك من الأغراض التى اقتضتها حياته وحوادثه ، وشعره وهو فى الأسر مما لا يحوم على مثله حائم فقد كانت أشعاره فى الأسر والمرض وفرط الحنين الى أهله واخوانه وأحبابه والتبرم بحاله ومكانه تصدر عن صدر حرج وقلب مكلوم فتزداد رقة حتى كأنها دموع ، وتبكى سامعها وتثير وجده الكامن بين الضلوع ، وقصائده المسماة بالروميات مما ترق لها القلوب القاسية، وتلين الدموع العاصية ، فقد رمى بها هدف الاحسان، وأصاب شاكلة الصواب، وهى كما قال بعض البلغاء لو سمعته الوحش أنست ، أو خوطبت به الخرس نطقت ، أو استدعى به الطير نزلت . وبالرجوع الى ديوانى الشاعرين ودراسة حياتهما وتتبع سيرتهما يعرف مصداق ما نقول ، وليس هذا موضع الموازنة بينهما فلها موضع من كتابنا فى الأدب ، وستراها فيه ممتعة شائقة ان شاء الله « أحمد يوسف نجاتى » .

إِغفالاً وإِخلالاً . وكانَ سيفُ ٱلدَّوْلةِ يُعجبُ جدًّا بمحاسنِ أَبِي فراسٍ، ويُميِّزهُ بالإِكرامِ على سائرِ قومِهِ، ويستصحبُهُ في غزواتِهِ، ويستخلفُهُ في أعمالِهِ، وكانتِ الرُّومُ قدْ أَسرتْهُ في بعضِ وقائعِها وهُوَ جريحٌ قدْ أصابهُ سهمٌ بقِيَ نصلُهُ في فخذِهِ. ونقلتْهُ إِلى خرشنةَ ، ثُمَّ مِنها إِلى قسطنطينيَّةَ ،وذلكَ في سنةِ ثمانٍ وأَربعينَ وثلثمائةٍ، وفداهُ سيفُ ٱلدَّولةِ في سنةِ خمسٍ وخمسينَ . قُلتُ هكذا قالَ أَبُو ٱلحسنِ عليُّ بنُ ٱلزَّرَّادِ ٱلدَّيلميُّ،وقدْ نسبُوهُ في ذلكَ إِلى ٱلغلطِ،وقالُوا أُسِرَ أَبُو فراسٍ مرَّتينِ ؛ فالمرَّةُ ٱلأُولى بمغارةِ ٱلكُحْلِ في سنةِ ثمانٍ وأَربعينَ وثلثمائةٍ ،وما تعدَّوْا بهِ خرشنةَ - وهِيَ قلعةٌ ببلادِ ٱلرُّومِ

(١) في سنة ٣٤٨ غزا الروم مدينة طرسوس والرها فقتلوا وسبوا وغنموا وعادوا سالمين « وطرسوس مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب و بلاد الروم وبها قبر المأمون، واستولى عليها الروم سنة ٣٥٤ ، والرها مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام » وفي سنة ٣٤٩ غزا سيف الدولة بلاد الروم في جمع كثير ، فأثر فيها آثارا كثيرة، وفتح عدة حصون، وأخذ من السبي والغنائم والأسرى شيئا كثيرا، و بلغ الى خرشنة ، ثم ان الروم أخذوا عليه بالمضايق فلما أراد الرجوع قال له من معه من أهل طرسوس: ان الروم قد ملكوا الدرب خلف ظهرك فلا تقدر على العودة منه ، والرأى أن ترجع معنا، فلم يقبل منهم ، وكان معجبا برأيه يحب أن يستبد ولا يشاور أحدا لئلا

وَالْفُرَاتُ يَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ، وَفِيهَا يُقَالُ إِنَّهُ رَكِبَ فَرَسَهُ وَرَكَضَهُ(١) بِرِجْلِهِ فَأَهْوَى بِهِ مِنْ أَعْلَى الْحِصْنِ إِلَى الْفُرَاتِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ . وَالْمَرَّةُ الثَّانِيَةُ أَسَرَهُ الرُّومُ عَلَى مَنْبِجَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ(٢) وَحَمَلُوهُ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وَأَقَامَ فِي الْأَسْرِ أَرْبَعَ سِنِينَ . وَلَهُ فِي الْأَسْرِ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ مُثْبَتَةٌ فِي دِيوَانِهِ ، وَكَانَتْ مَدِينَةُ مَنْبِجَ إِقْطَاعًا لَهُ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

قَدْ كُنْتَ عُدَّتِيَ الَّتِي أَسْطُو بِهَا
وَيَدِي إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَسَاعِدِي

فَرُمِيتُ مِنْكَ بِضِدِّ مَا أَمَّلْتُهُ
وَالْمَرْءُ يَشْرَقُ بِالزُّلَالِ الْبَارِدِ(٣)

يقال انه أصاب برأى غيره – وعاد فى الدرب الذى دخل منه ، فظهر الروم عليه ، واستردوا ما كان معه من الغنائم ، وأخذوا أثقاله ، ووضعوا السيف فى أصحابه ، فأتوا عليهم قتلا وأسرا ، وتخلص هو فى ثلثمائة رجل بعد جهد ومشقة وهذا من سوء رأى كل من يجهل آراء الناس العقلاء ، ومن لا يعتمد مشورة ذوى الخبرة والعارفين – وان كان سيف الدولة ممن مارس الحروب وأبلى فى الروم بلاء حسنا . « أحمد يوسف نجاتى » (١) الركض : استحثاث الفرس للعدو بأن يدفع بالرجل متحركة ، وركض الدابة : اذا ضرب جنبيها برجله ، ثم كثر حتى قيل ركض الفرس : اذا عدا (٢) فى شوال سنة ٣٥١ أسرت الروم أبا فراس من منبج وكان متقلدا لها (٣) من قول عدى بن زيد :

فَصِرْتُ كَالْوَلَدِ ٱلتَّقِيِّ لِبِرِّهِ
أَغْضَى عَلَى أَلَمٍ لِضَرْبِ ٱلْوَالِدِ

وَلَهُ أَيْضًا :

أَسَاءَ فَزَادَتْهُ ٱلْإِسَاءَةُ حُظْوَةً
حَبِيبٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ حَبِيبُ
يَعُدُّ عَلَيَّ ٱلْوَاشِيَانِ ذُنُوبَهُ
وَمِنْ أَيْنَ لِلْوَجْهِ ٱلْجَمِيلِ ذُنُوبُ[(١)] ؟

لو بغير الماء حلقي شرق　　كنت كالغصان بالماء اعتصارى

الاعتصار ازالة الغصة والشرق بالماء. وأبيات أبى فراس من أبيات قالها وقد وقع شىء بينه و بين بعض بنى عمه وهو صبى، فخرج معه سيف الدولة بالتعتب فقال أبو فراس :

انى منعت من المسير اليكم　　ولو استطعت لكنت أول وارد
أشكو ، وهل أشكو جناية منعم　　غيظ العدو به وكبت الحاسد؟!

و بعد البيتين :

لكن أتت بين السرور مساءة　　وصلت لها كف القبول بساعد

وآخر الأبيات :

ونقضت عهدا كيف لى بوفائه　　ومن المحال صلاح قلب فاسد

(١) ويروى : تعد على الواشيات ، و بعدهما :

فيأيها الجانى ونسأله الرضا　　ويأيها الخاطى ونحن نتوب
لحى الله من يرعاك فى القرب وحده　　ومن لايود الغيب حين تغيب

وفى معناه :

وَلَهُ أَيْضًا :

سَكِرْتُ مِنْ لَحْظِهِ لَا مِنْ مُدَامَتِهِ
وَمَالَ بِالنَّوْمِ عَنْ عَيْنِي تَمَايُلُهُ
فَمَا ٱلسُّلَافُ دَهَتْنِي بَلْ سَوَالِفُهُ
وَلَا ٱلشَّمُولُ أُزْدَهَتْنِي بَلْ شَمَائِلُهُ(١)
أَلْوَى بِعَزْمِي أَصْدَاغٌ لُوِينَ لَهُ
وَغَالَ قَلْبِي بِمَا تَحْوِي غَلَائِلُهُ(٢)

اذا جاء المليح بألف ذنب   محاه من محاسنه شفيع

وعكسه الشاعر فقال :

واذا الحبيب أتى بذنب واحد   جاءت محاسنه بألف شفيع

وفى المفاضلة بين المعنيين مجال . « أحمد يوسف نجاتى » (١) السلاف : الخمر أخلصها وأفضلها تتحلب من العنب بلا عصر ولا مرث ، والسوالف جمع سالفة : وهى خصل الشعر المرسلة على الخد ، والسالفة أيضا : صفحة العنق ، والشمول الخمر تعرض للشمال فتبرد وتطيب ، والشمائل جمع شمال : وهو الطبع والخلق ، وازدهاه استخفه ، ولايخفى جناس الاشتقاق بين سلاف وسوالف ، و بين شمول وشمائل (٢) ألوى به اذا مال به وذهب ، وأخذه وطار به ، وألوى بهم الدهر : أهلكهم وأبادهم ، والصدغ قد يطلق على الشعر المتدلى على الصدغين ، وغاله أهلكه وأخذه من حيث لم يدر ، والغلائل جمع غلالة : وهى شعار يلبس تحت الثوب « وانما تحوى غلائله جسمه » ولايخفى كذلك جناس الاشتقاق بين ألوى ولوين ، و بين غال وغلائل و يروى وغال « صبرى » بدل « قلبى » . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَمَحَاسِنُ[1] شِعْرِهِ كَثِيرَةٌ . وَقُتِلَ فِي وَاقِعَةٍ جَرَتْ

---

(١) زاد فى النسخة الخطية مايأتى :

حكى ابن خالويه قال: كتب أبو فراس الى سيف الدولة وقد شخص من حضرته الى منزله بمنبج (١) كتابا صدره :

كتابى ـ أطال الله بقاء مولاى ـ من المنزل ـ وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل البطن والظهر وفرا (٢) وشكرا .

فاستحسن سيف الدولة بلاغته، ووصف براعته ، و بلغ أبا فراس ذلك فكتب اليه :

هل للفصاحة والسما … حة والعلا عنى محيد؟!

اذ أنت سيدى الذى … ربيتنى ، وأبى سعيد !

فى كل يوم أستفيـ … ـد من العلاء وأستزيد

ويزيد فى اذا رأيـ … ـتك فى الندى خلق جديد

وكان سيف الدولة قلما ينشط لمجلس الأنس، لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب، وممارسة الحروب، فوافت حضرته احدى المحسنات من قيان بغداد، فتاقت نفس أبى فراس اسماعها، ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة ، فكتب اليه يحثه على استحضارها فقال :

محلك الجوزاء أو أرفع … وصدرك الدهناء (٣) أو أوسع

وقلبك الرحب الذى لم يزل … للجد والهزل به موضع

---

(١) كانت من ألطف مدن الشام ، وفى سنة ١٧٣ أفرد الرشيد بعض مدن منها منبج وأنطاكية «و بعض مدن أخرى قرب حلب» وسماها العواصم لأن الجند كانوا يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم من العدو اذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر ـ وجعل مدينة العواصم منبج ، وأسكنها عبدالملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس ، فبنى فيها أبنية مشهورة و بها كان مولد عبد الملك هذا ، والبحترى من هذه المدينة (٢) الوفر : المال والغنى (٣) الدهناء سبعة أجبل من الرمل فى عرضها ، بين كل جبلين

رفه (١) بقرع العود سمعا غدا قرع العوالى جل مايسمع

فبلغت هذه الأبيات الوزير المهلبى (٢) فأمر القيان بحفظها وتلحينها وصار لايشرب الا عليها - وأهدى الناس الى سيف الدولة فى بعض الأعياد فأكثروا، فكتب اليه أبو فراس :

نفسى فداؤك - قد بعثـ ـت بعهدتى بيد الرسول

أهديت نفسى ، انما يهدى الجليل الى الجليل

وجعلت ماملكت يدى صلة المبشر بالقبول

لما رأيتك فى الأنا م بلا مثال أو عديل

وعزم سيف الدولة على الغزو واستخلاف أبى فراس على الشام ، فكتب اليه قصيدة أولها :

أشدة ماأراه منك أم كرم؟! تجود بالنفس والأرواح تصطلم؟! (٣)

ومنها :

قالوا : المسير ، فهز الرمح عامله وارتاح فى جفنه الصمصامة الخذم (٤)

لاتشغلن بأرض الشام تحرسه ان الشآم على من حله حرم

فان للثغر سورا من مهابته صخوره من أعادى أهله القمم

لايحرمنى سيف الدين صحبته هى الحياة التى تحيا بها النسم

وما اعترضت عليه فى أوامره لكن سألت ومن عاداته « نعم »

وكتب اليه يعزيه بأخته :

قولا لهذا السيد الماجد قول حزين قلبه فاقد

شقيقة، وكانت من أكثر بلاد الله كلأ، واذا أخصبت الدهناء ربعت العرب جميعا لسعتها وكثرة شجرها، نزهة طيبة التربة جيدة الهواء (١) رفه عنه أى فرج ووسع ، وجعله فى رفه ونعيم (٢) ستأتى ترجمته قريبا فى هذا الحرف (٣) اصطلمه : اذا استأصله. واصطلم القوم أبيدوا من أصلهم (٤) عامل الرمح وعاملته : صدره دون السنان ، وقيل ان السنان نفسه عامل والصمصامة : السيف الذى لاينثنى فى ضريبته ، وسيف خذم : أى قاطع ماض ، وخذمه « كضرب » قطعه وخذم « كفرح » اذا أسرع « أحمد يوسف نجاتى »

بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوَالِي أُسْرَتِهِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ .
وَرَأَيْتُ فِي دِيوَانِهِ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ كَانَ يُنْشِدُ
مُخَاطِباً ابْنَتَهُ(*) :

أَبُنَيَّتِي لَا تَجْزَعِي ... كُلُّ الْأَنَامِ إِلَى ذَهَابْ
أَبُنَيَّتِي صَبْرًا جَمِيـ ... ـلًا لِلْجَلِيلِ مِنَ الْمُصَابْ

هيهات! مافى الناس من خالد ... لابد من فقد ومن فاقد
كن المعزى لاالمعزى به ... اذ كان لابد من الواحد

وله أيضا :

المرء رهن مصائب ماتنقضى ... حتى يوارى جسمه فى رمسه
فمؤجل يلقى الردى فى أهـله ... ومعجل يلقى الأذى فى نفسه

وله - وقد سمع حمامة ورقاء تنوح بقرب به على شجرة عالية :

أقـول وقـد ناحت بقربى حمامـة ... أيا جارتا هل بات حالك حالى؟!
معاذالهوى ! ماذقت طارقة النوى ... ولا خطرت منك الهموم ببـال
أيحمل محزون الفـؤاد قوادم (١) ... عـلى غصن نائى المسافة عالى؟!
أيا جارتا ماأنصف الدهـر بيننـا ... تعالى أقاسمك الهمـوم تعـالى
تعـالى ترى روحا لدى ضعيفـة ... تردد فى جسم يعـذب بالى
أيضحك مأسور؟! وتبـكى طليقة؟! ... و يسكت محزون؟! و يندب سالى؟!
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ... ولـكن دمعى فى الحـوادث غالى

(*) فى الديوان انه قالها وقد اعتل بالقسطنطينية .

---

(١) القوادم بضع ريشات فى مقدم الجناح ، واحده قادمة ، واللاتى بعدهن الى أسفل الجناح المناكب. والخوافى مابعـد المناكب. والأباهر مابعد الخوافى . « أحمد يوسف نجاتى » .

نوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ مِنْ خلف سِتْرِكِ وَالْحِجَابْ

قُولِي - إِذَا كَلَّمْتِنِي فَعَيِيتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابْ -:

زَيْنُ الشَّبَابِ أَبُو فِرَا سٍ لَمْ يُمَتَّعْ بِالشَّبَابْ!

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ، أَوْ يَكُونُ قَدْ جُرِحَ وَتَأَخَّرَ مَوْتُهُ، ثُمَّ مَاتَ مِنْ الْجِرَاحَةِ. قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ[1] لَمَّا مَاتَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ[2] عَزَمَ أَبُو فِرَاسٍ عَلَى التَّغَلُّبِ عَلَى حِمْصَ، فَاتَّصَلَ خَبَرُهُ بِأَبِي الْمَعَالِي بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَغُلَامِ أَبِيهِ قَرْعُويَهْ - وَكَانَ صَاحِبَ حَلَبَ - فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ مَنْ قَاتَلَهُ فَأُخِذَ وَقَدْ ضُرِبَ ضَرَبَاتٍ فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ. وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ التَّعَالِيقِ أَنَّ أَبَا فِرَاسٍ قُتِلَ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ فِي ضَيْعَةٍ تُعْرَفُ بِصَدَدَ[3]، وَذَكَرَ ثَابِتُ بْنُ سِنَانٍ الصَّابِئُ[4] فِي تَارِيخِهِ قَالَ: فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا

---

(١) الحسين بن أحمد، توفى سنة ٣٧٠ وستأتى ترجمته (٢) توفى سنة ٣٥٦ وستأتى ترجمته (٣) صدد قرية فى طرف البرية عند حمص (٤) ثابت ابن سنان بن ثابت بن قرة الصابئ الحرانى الطبيب المؤرخ صاحب التصانيف، وكان ببغداد فى أيام معز الدولة بن بويه، وكان طبيبا عالما نبيلا

مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ جرت حَرْبٌ بَيْنَ أَبِي فِرَاسٍ — وَكَانَ مُقِيماً بِحِمْصَ — وَبَيْنَ أَبِي الْمَعَالِي بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ أَبُو الْمَعَالِي وَقَتَلَهُ فِي الْحَرْبِ ، وَأَخَذَ رَأْسَهُ ، وَبَقِيَتْ جُثَّتُهُ مَطْرُوحَةً فِي الْبَرِّيَّةِ ، إِلَى أَنْ جَاءَهُ بَعْضُ الْأَعْرَابِ فَكَفَّنَهُ وَدَفَنَهُ(١) ،

قد نظر فى الفلسفة وعلوم الرياضة ، وله تصنيف فى التاريخ أحسن فيه ، توفى سنة ٣٦٣ « أحمد يوسف نجاتى » (١) خلاصة ماذكره ابن الأثير وغيره أن أبافراس كان مقيما بحمص، فجرى بينه و بين أبى المعالى بن سيف الدولة وحشة ، فطلبه أبو المعالى ، فانحاز أبو فراس الى قرية صدد، فجمع أبو المعالى الأعراب من بنى كلاب وغيرهم، وسيرهم فى طلبه مع قرعويه غلام أبيه سيف الدولة ، فأدركه بصدد فكبسوه، فاستأمن أصحابه، واختلط هو بمن استأمن منهم، فقال قرعويه لغلامه: اقتله، فقتله، وأخذ رأسه وتركت جثته فى البرية حتى دفنها بعض الأعراب . اه قلت ولم يلبث أن استولى قرعويه هذا على حلب، فانه فى سنة ٣٥٨ أخرج منها أبا المعالى شريف ابن سيف الدولة واستبد بها ، فسار أبو المعالى الى حران، فمنعه أهلها من الدخول اليهم، فطلب منهم أن يأذنوا لأصحابه بالدخول ليتزودوا منها يومين فأذنوا لهم، ودخل الى والدته بميافارقين وهى ابنة سعيد بن حمدان، وتفرق عنه أكثر أصحابه ، و بعد حوادث عبر أبو المعالى الفرات الى الشام، وقصد مدينة حماة فأقام بها ، وفى سنة ٣٥٩ اصطلح قرعويه وأبو المعالى وخطب لأبى المعالى بحلب وكان بحمص وخطب هو وقرعويه فى أعمالهما للمعز لدين الله الفاطمى صاحب مصر والمغرب ، وكان قرعويه قد استناب بحلب مولى له اسمه بكجور قد قوى أمره واستفحل شأنه ، فقبض على مولاه قرعويه وحبسه فى قلعة حلب، وأقام بها نحو ست سنين، فكتب من بحلب

قَالَ غَيْرُهُ : وَكَانَ أَبُو فِرَاسٍ خَالَ أَبِي الْمَعَالِي وَقَلَعَتْ أُمُّهُ سَخِينَةُ عَيْنَهَا لَمَّا بَلَغَهَا وَفَاتُهُ . وَقِيلَ إِنَّهَا لَطَمَتْ وَجْهَهَا فَقَلَعَتْ عَيْنَهَا . وَقِيلَ لَمَّا قَتَلَهُ قُرْعُوِيَه لَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَبُو الْمَعَالِي ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ شَقَّ عَلَيْهِ . وَيُقَالُ إِنَّ مَوْلِدَهُ كَانَ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ . وَاللّٰهُ أَعْلَمُ - وَقِيلَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ - وَقُتِلَ أَبُوهُ سَعِيدٌ فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ، قَتَلَهُ ابْنُ أَخِيهِ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بِالْمَوْصِلِ عَصَرَ مَذَا كِيرَهُ حَتَّى مَاتَ ، لِقِصَّةٍ يَطُولُ شَرْحُهَا ، حَاصِلُهَا أَنَّهُ شَرَعَ فِي ضَمَانِ الْمَوْصِلِ وَدِيَارِ رَبِيعَةَ مِنْ جِهَةِ الرَّاضِي بِاللّٰهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ سِرًّا ، وَمَضَى إِلَيْهَا فِي خَمْسِينَ غُلَامًا ، فَقَبَضَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ حِينَ وَصَلَ إِلَيْهَا[1] ثُمَّ قَتَلَهُ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ الرَّاضِي حِينَ بَلَغَهُ - رَحِمَهُمُ اللّٰهُ تَعَالَى . وَخَرْشَنَةُ

من أصحاب قرعويه الى أبي المعالي ليقصد حلب و يملكها، فسار اليها وحصرها وملكها، وقوى أمر أبي المعالي، ولكن في سنة ٣٧٢ وقعت وحشة بين بكجور وسعد الدولة أبي المعالي بن سيف الدولة ، فأدى ذلك الى اضطراب الأمر بدمشق، وعسف بكجور التركي بأهلها حتى عزله الخليفة العزيز بالله عنها سنة ٣٧٨ « أحمد يوسف نجاتي » .(١) وكان ناصر الدولة أميرا بها

بِفَتْحِ ٱلْخَاءِ ٱلْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ ٱلرَّاءِ وَفَتْحِ ٱلشِّينِ ٱلْمُثَلَّثَةِ وَٱلنُّونِ، وَهِيَ بَلْدَةٌ بِالشَّأْمِ عَلَى ٱلسَّاحِلِ، وَهِيَ لِلرُّومِ [١]. وَقُسْطَنْطِينِيَّةَ -بِضَمِّ ٱلْقَافِ وَسُكُونِ ٱلسِّينِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ ٱلطَّاءِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ ٱلنُّونِ وَكَسْرِ ٱلطَّاءِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ ٱلْيَاءِ ٱلْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَبَعْدَهَا نُونٌ- مِنْ أَعْظَمِ مَدَائِنِ ٱلرُّومِ، بَنَاهَا قُسْطَنْطِينُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ ٱلرُّومِ.

---

(١) وغزاها سيف الدولة سنة ٣٣٩ وفى ذلك يقول أبو الطيب المتنبى من قصيدة :

فاد المقانب أقصى شربها نهل	على الشكيم، وأدنى سيرها سرع
لا يعتقى بلدا مسراه عن بلد	كالموت ليس له رى ولا شبع
حتى أقام على أرباض خرشنة	تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبى ما نكحوا، والقتل ما ولدوا	والنار ما زرعوا، والنهب ما جمعوا

المقانب جمع مقنب وهو جماعة الخيل، والنهل الشرب الأول، والشكيم جمع شكيمة وهى الحديدة التى تعرض فى اللجام، والسرع: السرعة مصدر سرع — يقول قاد الخيل والجيوش مسرعا الى أرض العدو، فخيله لا تشرب الا الشربة الأولى وهى النهل على اللجم، حتى أنهم لا يتفرغون أن يدعوا لجم الخيل لأسراعهم، واذا كانت السرعة أدنى سيرها فما بالك بأقصاه — اعتقاه واعتاقه: اذا عاقه ومنعه — يقول نهض مسرعا الى العدو لا يعوقه بلد عن قصد غيره، ولا يصده حصن يفتحه عن فتح حصن سواه، فهو كالموت يعم و يشمل، ولا يقنعه كثرة من يفنيه، بل لا يروى ولا يشبع من اهلاك النفوس والقضاء عليها « أحمد يوسف نجاتى »

***

حرملة بن يحيى التجيبي

« أَبُو عبدِ اللهِ حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَي* بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَرْمَلَةَ ابْنِ عِمْرَانَ بْنِ قُرَادٍ مَوْلَى سَلَمَةَ بْنِ مَخْرَمَةَ التُّجِيبِيُّ الزُّمَيْلِيُّ »

---

* ترجم له فى كتاب طبقات الشافعية « ج ١ ص ٢٥٧ » قال :
كان إماما جليلا رفيع الشأن ، وروى عن الشافعى وعبد الله (١) بن وهب وأيوب بن سويد الرملى (٢) و بشر بن بكر التنيسى (٣) وسعيد ابن أبى مريم (٤) وغيرهم ، وكان من أكثر الناس رواية عن ابن وهب
قال أبو عمر الكندى : لم يكن بمصر أحد أكتب منه عن ابن وهب وذلك لأن ابن وهب أقام فى منزلهم سنة وستة أشهر مستخفيا من عباد (٥) لما طلبه يوليه قضاء مصر

---

(١) تأتى ترجمته (٢) هو أبو مسعود أيوب بن سويد الشيبانى الحميرى الرملى، روى عن ابن جريج، وروى عنه الشافعى ، توفى سنة ١٨٢ (٣) هو أبو عبد الله بشر بن بكر البجلى الدمشقى التنيسى، روى عن الأوزاعى وروى عنه الشافعى ، توفى بدمياط سنة ٢٠٥ (٤) هو أبو محمد سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم الجمحى مولاهم المصرى الفقيه الحافظ الثقة، روى عن مالك والليث ومن فى طبقتهما من الحجازيين والمصريين، وروى عنه يحيى بن معين وغيره، وتوفى سنة ٢٢٤ (٥) الأمير عباد بن محمد بن حيان البلخى مولى كندة، ولاه المأمون على امرة مصر بعد عزل جابر بن الأشعث عنها فى رجب سنة ١٩٦ — وأثار عليه الأمين أهل مصر ، وولى أميرا عليهم من قبله ربيعة بن قيس رئيس الحوف، فخلعوا المأمون وقاموا ببيعة الأمين، وحاربوا عباد بن محمد حتى ظفروا به، فقتله الأمين فى شهر صفر سنة ١٩٨ وكان عباد من أعيان القواد ذا رفق بالرعية ومعرفة بالحروب وحسن سياسة « أحمد يوسف نجاتى » .

الْمِصْرِىُّ صَاحِبُ الْإِمَامِ الشَّافِعِىِّ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ »

كَانَ أَكْثَرَ أَصْحَابِهِ اخْتِلَافاً إِلَيْهِ وَاقْتِبَاساً مِنْهُ، وَكَانَ حَافِظاً لِلْحَدِيثِ، وَصَنَّفَ الْمَبْسُوطَ وَالْمُخْتَصَرَ، وَرَوَى عَنْهُ مُسْلِمُ[١] بْنُ الْحَجَّاجِ فَأَكْثَرَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ ذِكْرِهِ.

وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لِتِسْعٍ بَقِينَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ بِمِصْرَ وَقِيلَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ — رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى — وَالتُّجِيبِىُّ — بِضَمِّ التَّاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقِهَا وَكَسْرِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَبَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ — هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى تُجِيبَ وَهُوَ اسْمُ امْرَأَةٍ[٢] فَنُسِبَ إِلَيْهَا أَوْلَادُهَا. وَقُرَادُ بِضَمِّ الْقَافِ وَفَتْحِ الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ دَالٌ مُهْمَلَةٌ. وَالزُّمَيْلِىُّ بِضَمِّ الزَّاىِ وَفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَبَعْدَهَا لَامٌ — هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى زُمَيْلٍ[٣] وَهُوَ

---

(١) ستأتى ترجمته (٢) هى تجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج، أو تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رها بن منبه بن حريث بن علة بن جلد بن مذحج، وهى أم عدى وسعد ابنى أشرس بن شبيب بن السكون — وتجيب هذه قبيلة نزلت بمصر، وكانت لهم بها محلة معروفة وخطة قديمة نسبت اليهم (٣) المعروف أنه « زميلة » لا زميل «أحمد يوسف نجاتى»

بَطْنٌ مِنْ تُجِيبَ . وَتُوُفِّيَ حَرْمَلَةُ بْنُ عِمْرَانَ جَدُّ حَرْمَلَةَ الْمَذْكُورِ فِي صَفَرٍ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانِينَ لِلْهِجْرَةِ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (١) .

---

(١) زاد فى النسخة الخطية بعد ترجمة حرملة الترجمة الآتية :

الحسن بن على ابن أبى طالب

أبو محمد الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقام بالكوفة الى شهر ربيع الأول سنة احدى وأربعين، وقتل عبد الرحمن بن ملجم ـ يقال انه ضربه بالسيف فاتقاه بيده فندرت (١) ثم سار الى معاوية فالتقيا بمسكن (٢) من أرض الكوفة، فاصطلحا، وسلم اليه الأمر ، وبايع له لخمس بقين من شهر ربيع الأول ـ ويقال انه أخذ منه خمسة آلاف ألف درهم ـ ورجع الى المدينة . وقال قوم انه صالحه بأذرح (٣) فى جمادى الأولى فأخذ منه مائة ألف دينار . روى ذلك كله الدولابى فى تاريخه : وكانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام . روى الشعبى قال: أنا شهدت الحسن بعينى حين سلم الأمر

---

(١) ندر الشىء ندورا سقط (٢) مسكن «بفتح فسكون فكسر» موضع على نهر دجيل به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير سنة ٧٢ فقتل مصعب وكان قبره هناك معروفا، وبالقرب من مسكن بليدة تسمى أوانا كانت نزهة كثيرة البساتين والشجر ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (٣) أذرح «بفتح فسكون فضم» بلد فى أطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحى البلقاء وعمان مجاورة لأرض الحجاز ، وبهذه الناحية كان أمر الحكمين بين عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى ، وفى ذلك يقول ذو الرمة من قصيدة يمدح بلال ابن أبى بردة بن أبى موسى :

أبوك تلافى الدين والناس بعدما ... تساءوا وبيت الدين منقطع الكسر

فشد اصار الدين أيام أذرح ... ورد حروبا قد لقحن الى عقر

الى معاوية ، قام بنخيلة (١) وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس فان الله هـداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، ألا وان أكيس الكيس التقى، وان أحمق الحمق الفجور ،وإن هذا الأمر الذى اختلفت فيه أنا ومعاوية إنما هو حق لامرئ كان أحق بحقه منى (٢) أو حق لى تركته لمعاوية إرادة إصلاح الأمة وحقنا لدمائهم « وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين » . وروى سفينة (٣) قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تكون ملكا» أو « ملوكا» (٤)

وفتحت أذرح سنة ٩ فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم «أحمد يوسف نجاتى»

(١) النخيلة « بصيغة التصغير » موضع قرب الكوفة على سمت الشام

(٢) كذا بالأصل، والمروى : وان هذا الأمر الذى اختلفت أنا ومعاوية فيه اما أن يكون أحق به منى، واما أن يكون حقى تركته لله عز وجل ولاصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحقن دمائكم - ثم التفت الى معاوية وتلا الآية الكريمة وهى قوله تعالى : وان أدرى الآية « أحمد يوسف نجاتى » (٣) سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل مولى زوجه أم سلمة وهى أعتقته ، واختلف فى اسمه فقيل مهران وقيل رومان وقيل عبس، وكنيته أبو عبد الرحمن - وقيل أبو البخترى - وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لأنه كان معه فى سفر فكلما أعيا بعض القوم ألقى عليه سيفه وترسه ورمحه حتى حمل شيئا كثيرا ، فقال له النبى عليه الصلاة والسلام: أنت سفينة ، وكان يسكن بطن نخلة وهو من مولدى العرب - وقيل هو من أبناء فارس . أو سمى سفينة لأنهم مروا فى هذا السفر بنهر فكان هو الذى يعبر القوم ، والأرجح أن اسمه مهران وكنيته عبد الرحمن ؛ وبقى الى زمن الحجاج كما قيل « أحمد يوسف نجاتى »

(٤) ويروى حديث سفينة : الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد

وكان آخر ولاية الحسن رضى الله عنــه ثلاثون عاما وثلاثة عشر يوما من أول خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ولم يزل الحسن بالمدينة الى أن مات بها فى شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وله سبع وأربعون سنة ـ وقيل مات سنة خمسين، وهو أشبه بالصواب ـ (١) وصلى عليه سعيد بن العاصى (٢) ودفن بالبقيع ـ ويقال انه دفن مع أمه عليهما السلام ـ وقال العتبى يقال إن امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس سمته، ومكث شهرين وانه ليرفع من تحته كذا وكذا طشت من دم وكان يقول : سقيت الدم مرارا ماأصابنى منها ماأصابنى فى هـذه المرة . وخلف عليها رجل من قريش؟ فأولدها غلاما، فكان الصبيان يقولون له : يابن مسممة الأزواج . وقيل انه لما بلغ معاوية موت الحسن كبر ، فسمع تكبيره من حضر، فكبر أهل الشام لذلك التكبير، فقالت زوجه فاختة بنت قريظة : أقر الله عينك ياأمير المؤمنين ! فما الذى كبرت له؟ قال : مات الحسن، قالت : أعلى موت ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبر ؟! فقال : والله ما كبرت شماتة بموته ، ولكن استراح قلبى ، وكان ابن عباس رضى الله عنه بالشام فدخل عليه فقال له : يابن عباس هل تدرى ماحدث

ذلك . قلت وقد روى عن سفينة رضى الله عنه بنوه زياد وعبد الرحمن وعمر وكثير ومحمد، وروى عن عمر بن سفينة ابنه برية بن عمر بن سفينة « وبرية لقب له واسمه ابراهيم» «أحمد يوسف نجاتى » (١) ولد سيدنا الحسن رضى الله عنه فى نصف رمضان سنة ثلاث للهجرة (٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس صحابى صغير روى عن عمر وعثمان وعائشة ، وروى عنه ابنه عمرو وعروة وسعيد، وهو والد الخطيب المفوه عمرو بن سعيد الأشدق، ولى سعيد الكوفة لعثمان وعلى، وافتتح طبرستان فى أيام عثمان، وكان جوادا ممدحا كريما عاقلا حليما شريفا فصيحا ، وكان عند وفاة الحسن أميرا على المدينة ، توفى سنة ٥٧ أو سنة ٥٨ أو سنة ٥٩ رضى الله عنه « أحمد يوسف نجاتى » .

فى أهل بيتك ؟ قال : لاأدرى، إلا أنى أراك مستبشرا، وقد بلغنى تكبيرك وسجودك، قال : مات الحسن، فقال : انا لله وانا اليه راجعون ، يرحم الله أبامحمد، ثم قال: والله يامعاوية لاتسد حفرته حفرتك ولايزيد عمره فى عمرك، ولئن كنا أصبنابالحسن لقد أصبنا بامام المتقين وخاتم النبيين، فشكر الله تلك العبرة، وجبر تلك المصيبة، وكان الله الخلف علينا من بعده . وكان أوصى لأخيه الحسين رضى الله عنه قال: اذا أنا مت فادفنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إن وجدت الى ذلك سبيلا : و إن منعوك فادفنى بالبقيع ، فلبس الحسين عليه السلام ومواليه السلاح وخرجوا ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج مروان فى موالى بنى أمية فمنعوهم من ذلك (١) . قيل : لما احتضر الحسن عليه السلام قال: أخرجونى الى الصحراء لعلى أنظر فى ملكوت السماء ، فلما أخرج قال : اللهم انى أحتسب نفسى عندك فانها أعز الأنفس على ، فكان مما صنع الله له أنه احتسب نفسه . ومن ظريف أخباره ماذكره أبو العباس المبرد أن مروان بن الحكم قال يوما : انى مشغوف ببغلة الحسن ، فقال له ابن أبى عتيق (٢) : ان دفعتها

---

(١) انما ثار بنو أمية لذلك لأن سيدنا عثمان بن عفان دفن بالبقيع ولم يدفن فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما خشيت الفتنة عزم عبدالله ابن جعفر على الحسين بن على رضى الله عنهما ألا يتشدد فى أمر دفن أخيه الحسن حقنا لدماء المسلمين، فسكت الحسين ولم يتكلم، فمضوا بالجنازة الى بقيع الغرقد ـ وروى الزبير بن بكار أن الحسن عليه السلام أرسل الى عائشة رضى الله عنها أن تأذن له أن يدفن مع جده صلى الله عليه وسلم، فرضيت بذلك ، فلما بلغ الخبر بنى أمية استلأموا فى السلاح، وتنادوا هم و بنو هاشم فى القتال ، فلما رأى الحسن ذلك أرسل الى بنى هاشم يقول: اما اذا كان هذا فلا حاجة لى فيه، ادفنونى اذا مت الى جنب أمى ، فدفن الى جنب السيدة فاطمة عليها السلام بالبقيع « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) أبو عتيق هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر ، وابنه عبد الله بن

اليك أفتقضى لى ثلاثين حاجة ؟ قال : نعم قال : فاذا اجتمع الناس عندك العشية فانى آخذ فى مآثر قريش ، ثم أمسك عن الحسن ، فلمنى على ذلك فلما أخذ القوم مجالسهم أخذ فى أولية قريش ، فقال: له مروان: ألا تذكر أولية أبى محمد وله فى هذا ماليس لأحد؟! قال : انما كنا فى ذكر الأشراف، ولو كنا فى ذكر الأنبياء لقدمنا مالأبى محمد ، فلما خرج ليركب تبعه ابن أبى عتيق ، فقال له الحسن - وتبسم - ألك حاجة ؟ فقال : ذكرت البغلة فنزل الحسن ودفعها اليه . وذكر ابن عائشة أن رجلا من أهل الشام قال: دخلت المدينة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - فرأيت رجلا راكبا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا سمتا ولا ثوبا ولا دابة منه، فمال قلبى اليه، فسألت عنه، فقيل: هذا الحسن بن على بن أبى طالب عليهما السلام، فامتلأ قلبى له بغضا، وحسدت عليا أن يكون له ابن مثله، فصرت اليه، فقلت: أنت ابن أبى طالب؟ قال: نعم، فقال: فبك و بأبيك - وجعلت أسبهما - فلما انقضى كلامى قال : أحسبك غريبا ؟ قلت : أجل ، قال : فمل بنا ، فان احتجت الى منزل أنزلناك ، أوالى مال واسيناك ، أوالى حاجة عاوناك ، قال فانصرفت عنه وما على وجه الأرض أحب الى منه، وما فكرت فيما صنع وصنعت الا شكرته وأخزيت .

حكى أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه فى كتاب العقد قال : بينا معاوية بن أبى سفيان جالس فى أصحابه اذ قال له الحاجب : الحسن بالباب فقال معاوية : إنه ان دخل علينا أفسد مانحن فيه، فقال له مروان بن الحكم: ايذن له، فانى أسأله عما ليس عنده فيه جواب، فقال معاوية : لاتفعل، فانهم قوم قد ألهموا الكلام - وأذن له - فلما دخل وجلس قال له مروان بن الحكم : أسرع الشيب الى شاربك ياحسن ، و يقال ان ذلك من الخرق ، فقال الحسن : ليس كما بلغك، ولكنا معشر بنى هاشم طيبة أفواهنا فنساؤنا يقبلن علينا بأنفاسهن وقبلهن ، وأنتم معشر بنى أمية فيكم بخر شديد ، فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن عنكم الى

محمد كان من الأدباء ذوى الظرف والرقة ، روى عن عائشة وابن عمر ، وروى عنه ابناه محمد وعبد الرحمن . «أحمد يوسف نجاتى»

أصداغكم، فانما يشيب موضع العذار من أجل ذلك ، قال مروان : أما إن فيكم يابنى هاشم خصلة سوء، قال : ماهى ؟ قال : الغلمة، قال : أجل نزعت الغلمة من نسائنا ووضعت فى رجالنا ، ونزعت الغلمة من رجالكم ووضعت فى نسائكم فما قام لأموية الا هاشمى ، فغضب معاوية وقال : قد كنت أخبرتكم فأبيتم ، حتى سمعتم ماأظلم عليكم بيتكم، وأفسد مجلسكم (١) ، فخرج الحسن رضوان الله عليه وهو يقول :

ومارست هذا الدهر خمسين حجة وخمسا أرجى قائلا بعد قائل
فما أنا فى الدنيا بلغت جسيمها ولا فى الذى أهوى كدحت بطائل
وقد أسرعت فى المنايا أكفها وأيقنت أنى رهن موت معاجل

وقال الحسن رضى الله عنه لحبيب بن مسلمة الفهرى (٢) : رب مسير لك فى غير طاعة الله! قال : أما مسيرى الى أبيك فليس من ذلك ! قال بلى، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة، فلئن قام بك فى دنياك لقد قعد بك فى أخراك، فلو كنت إذ فعلت شرا قلت خيرا كنت كما قال الله عز وجل : « خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم » ولكنك كما قال « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » قيل دار بين الحسن والحسين عليهما السلام كلام فتقاطعا فقيل للحسين : لوأتيت أخاك فهو أكبر منك سنا ؟ فقال: إن الفضل للمبتدىء به، وأنا أكره أن

---

(١) روى المدائنى عن جويرية بن أسماء قال لما توفى الحسن عليه السلام وأخرجوا جنازته حمل مروان بن الحكم سريره ، فقال له الحسين عليه السلام: تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعه الغيظ ! فقال مروان نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) هو أبو عبد الرحمن حبيب بن مسلمة بن مالك بن وهب بن ثعلبة ابن وائلة الفهرى المكى، له صحبة، وكان يعرف بحبيب الروم لكثرة مجاهدته

يكون لى الفضل على أخى ، فبلغ ذلك الحسن فأتاه وترضاه . وكان الحسن
عليه السلام اذا فرغ من وضوئه يتغير لونه ، فقيل له فى ذلك فقال : إن
لمن أراد أن يدخل على ذى العرش أن يتغير لونه . رضى الله عنه وأرضاه.

لهم ،و يعرف أيضا بحبيب الدروب لدخوله دروب الروم وكثرة نيله منهم ،
توفى بأرمينية واليا عليها سنة ٤٢ وكان حبيب شريفا ،ولاه عمر بن الخطاب
أعمال الجزيرة اذ عزل عنها عياض بن غنم ،ثم ضم اليه أرمينية وأذربيجان
ثم عزله ، وقيل ان عمر لم يوله ،وانما سيره عثمان من الشام الى أذربيجان
و بعث سلمان بن ربيعة الباهلى من الكوفة ـ أمد به حبيب بن مسلمة
فاختلفا فى الفىء ، وتوعد بعضهم بعضا ، وتهددوا سلمان بالقتل ، فقال رجل
من أصحاب سلمان :

فان تقتلوا سلمان نقتل حبيبكم   وان ترحلوا نحو ابن عفان نرحل

وهذا هو أول اختلاف كان بين أهل العراق وأهل الشام ، وكان أهل
الشام يثنون على حبيب ثناء كثيرا ، ولما حصر عثمان يوم الدار أمده
معاوية «وكان أميرا بالشام» بجيش ولى عليه حبيب بن مسلمة لينصروه
فلما بلغ وادى القرى لقيه الخبر بقتل عثمان فرجع ، ولم يزل حبيب مع
معاوية فى حروبه كلها بصفين وغيرها ، ثم سيره معاوية الى أرمينية
واليا عليها ، فمات بها سنة ٤٢ وقيل توفى بدمشق ولم يبلغ خمسين سنة ،
فيكون قد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم وهو صغير ، أو مات النبى
عليه الصلاة والسلام وسن حبيب اثنتا عشرة سنة «أحمد يوسف نجاتى»

***

الحسن بن يسار البصرى

« أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ يَسَارٍ الْبَصْرِيُّ »

كَانَ مِنْ سَادَاتِ التَّابِعِينَ وَكُبَرَائِهِمْ، وَجَمَعَ كُلَّ فَنٍّ مِنْ عِلْمٍ وَزُهْدٍ وَوَرَعٍ وَعِبَادَةٍ، وَأَبُوهُ مَوْلَى زَيْدِ ابْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ - وَأُمُّهُ خَيْرَةُ مَوْلَاةُ أُمِّ سَلَمَةَ[1] زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرُبَّمَا غَابَتْ فِي حَاجَةٍ فَيَبْكِي فَتُعْطِيهِ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا ثَدْيَهَا تُعَلِّلُهُ بِهِ إِلَى أَنْ تَجِيءَ أُمُّهُ، فَدَرَّ عَلَيْهِ ثَدْيُهَا فَشَرِبَهُ، فَيَرَوْنَ أَنَّ تِلْكَ الْحِكْمَةَ وَالْفَصَاحَةَ مِنْ بَرَكَةِ ذَلِكَ. قَالَ أَبُو عَمْرِو ابْنُ الْعَلَاءِ: مَا رَأَيْتُ أَفْصَحَ مِنَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَمِنَ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ، فَقِيلَ لَهُ: فَأَيُّهُمَا كَانَ أَفْصَحَ؟ قَالَ الْحَسَنُ. وَنَشَأَ الْحَسَنُ بِوَادِي الْقُرَى[2]، وَكَانَ مِنْ أَجْمَلِ

---

(١) هى أم المؤمنين السيدة الجليلة أم سلمة - واسمها هند - بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، وكان أبوها يلقب زاد الركب، وهاجرت الى الحبشة، توفيت سنة ٥٩ وهى آخر أمهات المؤمنين وفاة رضى الله عنها « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) واد بين المدينة والشام، كان من أعمال المدينة، كثير القرى، وقد زالت

أَهْلِ الْبَصْرَةِ حَتَّى سَقَطَ عَنْ دَابَّتِهِ، فَحَدَثَ بِأَنْفِهِ مَا حَدَثَ .
وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَعْرَضَ زَنْدًا مِنَ الْحَسَنِ ، كَانَ عَرْضُهُ شِبْرًا . وَمِنْ كَلَامِهِ : مَارَأَيْتُ يَقِينًا لَا شَكَّ فِيهِ أَشْبَهَ بِشَكٍّ لَا يَقِينَ فِيهِ إِلَّا الْمَوْتَ . وَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ الْعِرَاقَ وَأُضِيفَتْ إِلَيْهِ خُرَاسَانُ ـ وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ـ اسْتَدْعَى الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ وَمُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ وَالشَّعْبِيَّ ـ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَمِائَةٍ ـ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ يَزِيدَ خَلِيفَةُ اللهِ ، اسْتَخْلَفَهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِطَاعَتِهِ ، وَأَخَذَ عَهْدَنَا بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَقَدْ وَلَّانِي مَا تَرَوْنَ ، فَيَكْتُبُ إِلَيَّ بِالْأَمْرِ مِنْ أَمْرِهِ ، فَأُقَلِّدُهُ مَا تَقَلَّدَهُ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ ، فَمَا تَرَوْنَ ؟ فَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ وَالشَّعْبِيُّ قَوْلًا فِيهِ تَقِيَّةٌ[1] فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ : مَا تَقُولُ يَاحَسَنُ ؟ فَقَالَ : يَابْنَ هُبَيْرَةَ خَفِ اللهَ فِي يَزِيدَ ، وَلَا تَخَفْ يَزِيدَ فِي اللهِ ، إِنَّ اللهَ يَمْنَعُكَ مِنْ يَزِيدَ ، وَإِنَّ يَزِيدَ لَا يَمْنَعُكَ مِنَ اللهِ ، وَأَوْشِكْ[2] أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْكَ مَلَكًا

قراه ، و بقيت آثارها حينا ،وفيه يقول جميل بن معمر :

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة   بوادى القرى؟! انى اذا لسعيد

(١) تقية : حيطة وحذر (٢) صيغة تعجب من الوشك أى السرعة ،

فَيُزِيلكَ عَنْ سَرِيرِكَ ، وَيُخْرِجَكَ مِنْ سَعَةِ قَصْرٍ إِلَى ضِيقِ قَبْرٍ ، ثُمَّ لَا يُنْجِيكَ إِلَّا عَمَلُكَ ، يَابْنَ هُبَيْرَةَ إِنْ تَعْصِ ٱللهَ فَإِنَّمَا جَعَلَ ٱللهُ هَذَا ٱلسُّلْطَانَ نَاصِرًا لِدِينِ ٱللهِ وَعِبَادِهِ، فَلَا تَرْكَبَنَّ دِينَ ٱللهِ وَعِبَادَهُ بِسُلْطَانِ ٱللهِ ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخَالِقِ . فَأَجَازَهُمْ ٱبْنُ هُبَيْرَةَ،وَأَضْعَفَ جَائِزَةَ ٱلْحَسَنِ فَقَالَ ٱلشَّعْبِيُّ لِابْنِ سِيرِينَ : سَفْسَفْنَا لَهُ فَسَفْسَفَ لَنَا(١) . وَرَأَى ٱلْحَسَنُ يَوْمًا رَجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ ٱلْهَيْئَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ: إِنَّهُ يُسَخِّرُ(٢) لِلْمُلُوكِ وَيُحِبُّونَهُ،فَقَالَ: لِلّٰهِ أَبُوهُ!مَارَأَيْتُ أَحَدًا طَلَبَ ٱلدُّنْيَا بِمَا يُشْبِهُهَا إِلَّا هَذَا . وَكَانَتْ أُمُّهُ تَقُصُّ(٣) لِلنِّسَاءِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا وَفِي يَدِهَا كُرَّاثَةٌ تَأْكُلُهَا، فَقَالَ

يريد ماأسرع ، يهدده بحلول الأجل الذى لما كان لابد منه كان كأنه واقع سريعا مهما امتد زمنه،وقد يفاجأ به المرء فى وقته (١) يريد أنهما لم يصرحا له بقول محكم مقنع ، ويقال سفسف عمله اذا لم يبالغ فى احكامه والسفساف هو الردىء من كل شىء،والأمر الحقير ، ومنه الحديث : ان الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها ، وحلف سفساف: كاذب لاعقد فيه.

(٢) أى أنه يضحكهم بنكاته وأعماله وأحاديثه ويتخذونه سخريا يثير سرورهم وضحكهم .وقد تسكون «يسخر» مخففة «كيفتح» «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) من القص وهو التحديث بالقصة « يعنى أنها كانت تجلس للنساء للوعظ والقصص، كما كان يعمل ابنها للرجال . والقصاص فى هذه العصور

لَهَا : يَا أُمَّاهُ أَلْقِي هَذِهِ الْبَقْلَةَ الْخَبِيثَةَ مِنْ يَدِكِ ، فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ إِنَّكَ شَيْخٌ قَدْ كَبِرْتَ وَخَرِفْتَ ، فَقَالَ : يَا أُمَّاهُ أَيُّنَا أَكْبَرُ؟! وَأَكْثَرُ كَلَامِهِ حِكَمٌ وَبَلَاغَةٌ(١) . وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ سَبْيِ

معروفون، والأصل فى القص البيان ، والقاص من يأتى بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها ، وقيل القاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر ،وسوقه الكلام سوقا،فهو من قص أثره اذا تتبعه «أحمد يوسف نجاتى»

(١) زاد فى النسخة الخطية مانصه :

وقال أبو العباس المبرد: وحدثت أن الحسن لقى سائق الحجاج وقد أسرع ، فجعل يومىء اليه باصبعه- شغل الغازلة-ويقول « خرقاء وجدت صوفا »(١) . وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشى (٢) يامطرف عظ أصحابك، فقال مطرف : انى أخاف أن أقول مالا أفعل ، فقال الحسن:

---

(١) هذا مثل يضرب للذى يفسد ماله ، والخرقاء خلاف الرفيقة، وهى التى لاتحكم العمل ولا تتقن ماتصنع، وقالوا هى امرأة من قريش وجدت صوفا أى ثلة ومالا فأفسدت فيه ، وهى التى يقال لها « أخسر من الناقضة غزلها » ، وفى القرآن الكريم « كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا» ويقال أيضا فى المثل « خرقاء ذات نيقة » يضرب مثلا للرجل الجاهل بالأمر يدعى الحذق فيه ، والنيقة التأنق فى العمل واجادته . « أحمد يوسف نجاتى »(٢) مطرف بن عبد الله بن الشخير العامرى الحرشى أبو عبد الله البصرى، أحد سادة التابعين، روى عن أبيه وعثمان وعلى وغيرهم ، وروى عنه أخوه أبو العلاء وغيره ، وكان ثقة ، له فضل وورع وعقل ودين وفقه وأدب ، ومن كلامه : عقول الناس على قدر زمانهم ، وتوفى سنة ٩٥ ووالده عبد الله بن الشخير بن عوف صحابى

يرحمك الله! وأينا يفعل مايقول ؟ لود الشيطان أنه ظفر بهذه منكم فلم يأمر أحد منكم بمعروف ولم ينه عن منكر . قيل : اجتاز الحسن بنخاس معه جارية يبيعها فقال له : أفترضى أن تبيعها وتأخذ ثمنها من درهم ودرهمين حتى تستوفى ؟ قال: لا ، فقال الحسن : إن الله قد رضى فى ثمن الحور بفلس وفلسين . ودخل الى مريض قد أبل من علته فقال له: ان الله تعالى ذكرك فاذكره، وأقالك فاشكره . ومر بدار بعض المهالبة فقال رفع الدنيا ووضع الدين . وقال له بعض الجند فى زمن بنى أمية: ترى أن آخذ أرزاقى أو أوأتركها حتى آخذ من حسناتهم يوم القيامة؟ قال: مر وخذ أرزاقك، فان القوم يوم القيامة مفاليس. وقال : من وسع عليه فى ذات يده فلم يرج أن يكون ذلك نظرا من الله له فقد ضيع مأمولا . ونظر الى جنازة قد ازدحم الناس عليها فقال : مالكم تزدحمون؟ اهاتلك سارية فى المسجد اقعدوا تحتها حتى تكونوا مثله. وقال : لشيخ فى جنازة : أترى هذا الميت لو رجع الى الدنيا كان يعمل صالحا ؟ قال: نعم : فقال له : ان لم يكن ذاك يرجع فكن أنت ذاك . وكان يقول : خف الله خوفا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يقبلها منك، وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك . ورأى رجلا يجود بنفسه فقال : إن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد فى أوله، وان أمرا هذا أوله لجدير أن يخاف آخره . وقال : بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولاتبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا . وقال لفرقد بن يعقوب (١) بلغنى أنك لاتأكل الفالوذج! فقال : ياأبا سعيد انى أخاف الا أؤدى شكره ، فقال الحسن : يالكع! هل تقدر أن تؤدى شرب الماء البارد الذى تشرب به ؟ . ! وقال : رب هالك بالثناء عليه، ومغرور بالستر عليه، ومستدرج بالاحسان اليه.

بصرى . ويزيد بن عبد الله بن الشخير أخو مطرف كان فقيها جليل القدر ومحدثا ثقة ذا علم وصلاح وورع ، توفى سنة ١٠٨ « أحمد يوسف نجاتى »

(١) هو أبو يعقوب فرقد بن يعقوب السبخى الزاهد البصرى، حدث عن أنس وسعيد بن جبير وجماعة، وتوفى سنة ١٣١ « أحمد يوسف نجاتى »

وكتب الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: أما بعد فكأنك بالدنيا ولم تكن، وبالآخرة لم تزل. وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصرى أن أعنى ببعض أصحابك، فكتب اليه: أما بعد فانه من كان من أصحابى يريد الدنيا فلا حاجة لك فيه، ومن كان يريد الآخرة فلا حاجة له فيك، والسلام. وقيل للحسن: إن فلانا يغتابك، فبعث اليه بطبق فيه هدية وقال: بلغنى أنك أهديت الى حسناتك فكافأتك. وقريب من هذا قول سفيان بن الحسين(١) قال: كنت عند إياس بن معاوية، فنلت من انسان، فقال هل غزوت العام الترك والروم ولم يسلم منك أخوك المسلم؟! وأراد الحسن الحج فطلب ثابت البنانى (٢) أن يصحبه، فقال: ويحك! دعنا نتعايش بستر الله، انى أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت (٣) عليه. وحدث الحسن بحديث، فقال له رجل: يا أبا سعيد عمن؟ فقال: ما تصنع بعمن؟ أما أنت فقد نالتك موعظته، وقامت عليك حجته. ، وقال رجل للحسن: أنا أزهد منك وأفصح منك، فقال: أما أفصح فلا، قال: فخذ على كلمة واحدة، قال: هذه. قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن البصرى ومن الحجاج بن يوسف الثقفى، فقيل له: أيهما كان أفصح؟ قال الحسن. وكان يقول: ما أطال أحد الأمل الا أساء العمل. وسمع رجلا

---

(١) لعله سفيان بن حسين بن حسن السلمى مولى عبد الله بن خازم الواسطى، روى عن محمد بن سيرين وغيره، وروى عنه هشيم بن بشير وتوفى فى خلافة المهدى، وقد تقدم ذكر القاضى اياس بن معاوية المزنى والتعريف به، وتوفى سنة ١٢٢. «أحمد يوسف نجاتى».

(٢) هو أبو محمد ثابت بن أسلم البنانى البصرى، كان من سادة التابعين علما وفضلا وعبادة ونبلا، وكان من خواص أنس، وروى عن غيره من الصحابة، وهو منسوب الى بنانة اسم رهط من قريش، وهم رهط بنى سعد ابن لؤى، وكانت بنانة أمهم فنسبوا اليها، توفى سنة ١٢٣ «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) أى يمقت بعضنا بعضا

يشكو علته الى آخر فقال: أما أنك تشكو من يرحمك الى من لا يرحمك (١) وقيل له: ألا ترى كثرة الوباء ؟ فقال: أنفق ممسك، وأقلع مذنب، ولم يغلط بأحد . وكان فى جنازة وفيها نوائح ومعه رجل، فهم الرجل بالرجوع فقال له الحسن: إن كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك فى دينك . قال أبو العباس المبرد: حدثت أن راهبين دخلا البصرة من ناحية الشام، فنظرا الى الحسن، فقال أحدهما لصاحبه: مل بنا الى هذا الذى سمته سمت المسيح عليه السلام، فعدلا اليه، فألفياه مفترشا بذقنه ظاهر كفه وهو يقول: عجبت لقوم قد أمروا بالزاد، وأوذنوا بالرحيل، وأقام أولهم على آخرهم، فليت شعرى مالذى ينتظرون ؟ ونظر الى الناس فى مصلى البصرة يلعبون و يضحكون فى يوم عيد فقال: ان الله عز وجل جعل الصوم مضمارا لعباده ليستبقوا الى طاعته، ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه، ومسىء باساءته، عن تجديد ثوب أو ترجيل شعر. وكان يقول: ليس العجب ممن عطب كيف عطب، انما العجب ممن نجا كيف نجا (٢) . وقيل ان رجلا أتى الحسن فقال: يا أبا سعيد حلفت بالطلاق ان الحجاج فى النار، فما تقول ؟ أأقيم مع امرأتى أم أعتزلها ؟ فقال له الحسن قد كان الحجاج فاجرا فاسقا كافرا، وما أدرى ما أقول لك، ان رحمة الله وسعت كل شىء. وقيل: ان الرجل أتى محمد بن سيرين فأخبره بما حلف عليه فرد عليه شبيها بما قاله الحسن، وانه أتى عمرو بن عبيد (٣) فقال له: أقم

---

(١) أخذه المتنبي فقال:

ولا تشك الى خلق فتشمته　　شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وقال آخر:

لا تشكون الى الأنام، فانما　　تشكو الرحيم الى الذى لا يرحم

(٢) أخذه ابن دريد فقال من مقصورته الشهيرة:

لا تعجبن من هالك كيف توى　　بل فاعجبن من سالم كيف نجا

«توى: هلك» وعبارة الحسن خير من بيت ابن دريد «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) ستأتى ترجمته وترجمة ابن سيرين .

مع زوجتك، فان الله ان غفر للحجاج لايضرك الزنا (١)، ذكر ذلك المختار المسبحى فى تاريخه.

وحكى علقمة بن مرثد (٢) قال: لما ولى عمر بن هبيرة العراق (٣) أرسل الى الحسن والى الشعبى، فأنزلهما فى بيت، فأقاما فيه شهرا أو نحوه، ثم ان الخصى غدا اليهما ذات يوم فقال: ان الأمير داخل عليكما، فجاء عمر يتوكأ على عصا له، فسلم ثم جلس معظما، ثم أقبل على عامر الشعبى فقال: ياأبا عمران انى أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها، وانى رجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمنى حقهم، فأنا أحب حفظهم وتعهد مايصلحهم مع النصيحة لهم، وقد يبلغنى عن العصابة من أهل الديوان أمر آخذ عليهم فيه، فأقبض طائفة من عطائهم وأضعه فى بيت المال، وفى نيتى أنى أرده عليهم، فيبلغ أمير المؤمنين أنى قد قبضته على ذلك النحو، فيكتب الى أن لاترده، ولا أستطيع رد أمره ولا انفاذ كتابه، وانما أنا رجل مأمور على الطاعة، فهل على فى هذا تبعة؟! وفى أشباهه من الأمور؟ والنية فيها على ماذكرت؟ قال الشعبى: فقلت أصلح الله الأمير، انما السلطان والد يخطىء ويصيب، قال: فسر بقولى وأعجب به، ورأيت البشر فى وجهه، وقال: فلله الحمد، ثم أقبل على الحسن فقال: ماتقول أنت يا أبا سعيد؟ قال: سمعت الأمير يقول: انه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليه، وانه رجل مأمور على الطاعة، ابتليت بالرعية ولزمنى حقهم، والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم — وحق الرعية لازم لك، وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة، وانى سمعت عبد الرحمن بن

(١) يريد أن اثم الحجاج أكبر من الزنا، وأن عمله فى الناس كان شرا من الفجور وهتك الأعراض، ولعل فى آراء هؤلاء الزهاد شيئا من المبالغة حملهم عليها قرب عهدهم من زمن الحجاج وذيوع سيرته بالقسوة العنيفة، وقد تقدمت ترجمة الحجاج ورأينا فيه، ولنا معه حديث فى الأدب طويل ان شاء الله. «أحمد يوسف نجاتى» (٢) هو ابو الحرث علقمة بن مرثد الحضرمى الكوفى، كان محدثا ثقة توفى سنة ١٢٠ (٣) ولى ابن هبيرة العراق وخراسان نيابة عن يزيد بن عبد الملك وذلك سنة ١٠٣

سمرة (١) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة ، ويقول: انى أقبض من عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم ، فيبلغ أمير المؤمنين أنى قبضتها على ذلك النحو ، فيكتب الى أن لا ترده ، ولا أستطيع رد أمره ولا انفاذ كتابه - وحق الله ألزم من أمر أمير المؤمنين ، فاعرضه على كتاب الله عز وجل ، فان وجدته موافقا لكتاب الله عز وجل فخذ به ، وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذ به ، يابن هبيرة اتق الله ، فانه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين ، فيزيلك عن سريرك ، ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ، فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك ، ويقدم بك على ربك وتنزل على عملك ، يابن هبيرة ان الله عز وجل يمنعك من يزيد ، ولا يمنعك يزيد من الله تعالى ، وان كان تعالى يريدك فانه لا يمنعك من الله عز وجل أحد ، وان أمره فوق كل أمر ، وانه لا طاعة فى معصية الله ، فانى أحذرك بأس الله الذى لا يرده عن القوم المجرمين ، فقال ابن هبيرة : أعرض أيها الشيخ عن ذكر أمير المؤمنين ، فانما ولاه الله ولاية هذه الأمة لعلمه به وما يعلم من فضله ونيته ، فقال الحسن : يابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط ، وغضب بغضب ، والله بالمرصاد ، يابن هبيرة لأن تلقى من ينصحك فى دينك على أمر آخرتك خير لك من أن تلقى رجلا يعدك ويمنيك ، فقام ابن هبيرة وقد بسر (٢) وجهه وتغير لونه ، قال عامر الشعبى فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره ، وحرمنا معروفه وصلته ، قال : اليك عنى يا عامر ، قال : فخرجت الى الحسن التحف والطرف ، وكانت له المنزلة ، واستخف بى وجفيت ، فكان أهلا لما أتى اليه ، وكنت أهلا أن يفعل ذلك بى ، فما رأيت مثل الحسن فيما رأيت من العلماء ، وما شهدنا مشهدا الا برز علينا ، وقال هو لله عز وجل وقلنا نحن

---

(١) هو عبد الرحمن بن سمرة العبشمى ، كان رضى الله عنه من مسلمة الفتح ، وافتتح سجستان سنة ٤٢ وهو أمير لعبد الله بن عامر بن كريز وافتتح مدينة كابل سنة ٤٤ وتوفى سنة ٥٠ رحمه الله «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) عبس وانقبض ، وكلح وتغير .

مَيْسَانَ (*) وَهُوَ صُقْعٌ بِالْعِرَاقِ . وَمَوْلِدُ الْحَسَنِ لِسَنَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ ـ بِالْمَدِينَةِ وَيُقَالُ إِنَّهُ وُلِدَ عَلَى الرِّقِّ ، وَتُوُفِّىَ بِالْبَصْرَةِ مُسْتَهَلَّ رَجَبٍ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَةٍ ـ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ ـ وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ مَشْهُورَةً ،

مقاربة لهم ، وفى حديث ابن عائشة : ثم نهض الحسن ، فاتبعه الكاتب أو الحاجب فقال : أيها الشيخ ماحملك على كلام الأمير بما كلمته به ؟ قال : أخذ الله على العلماء أن يبينوه للناس ولا يكتمونه ، قال : فوصلهما ابن هبيرة ، وأضعف الصلة للحسن ، فقيل للشعبى ماهذا ؟ فقال رفقنا فرفق لنا (١) وكان الحسن يقص فى الحج ، فمر به على بن الحسين (٢) عليهما السلام فقال له : ياشيخ أترضى نفسك الموت ؟ قال : لا ، قال : فعملك كله للحسنات ؟ قال : لا ، قال : فثم للعمل دار غير هذه الدار ؟ قال : لا ، قال : فلله فى أرضه معاذ غير هذا البيت ؟ قال : لا ، قال : فلم تشغل الناس عن الطواف به ؟ قال فما قص الحسن بعدها ، وأكثر كلامه حكم وبلاغة رضى الله عنه .

(*) ميسان اسم لكورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط كانت قصبتها ميسان فتحت فى أيام سيدنا عمر ، وولى عليها النعمان بن عدى بن نضلة العدوى ، وكان من مهاجرة الحبشة ، ولم يول عمر أحدا من قومه بنى عدى ولاية قط سواه ، لما كان فى نفسه من صلاحه واستقامته ، ومالبث أن عزله .

---

(١) ويرى : قشقشنا فقشقش لنا . والقشقشة : الردىء من العطية ، وجعل الشعبى كلامه الذى فيه تقية قشقشة بالنسبة الى جراءة الحسن وصراحته . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) ستأتى ترجمة زين العابدين رضى الله عنه .

قَالَ حُمَيْدٌ[1] الطَّوِيلُ : تُوُفِّيَ الْحَسَنُ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ ، وَأَصْبَحْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَفَرَغْنَا مِنْ أَمْرِهِ ، وَحَمَلْنَاهُ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَدَفَنَّاهُ ، فَتَبِعَ النَّاسُ كُلُّهُمْ جَنَازَتَهُ ، وَاشْتَغَلُوا بِهِ ، فَلَمْ تُقَمْ صَلَاةُ الْعَصْرِ بِالْجَامِعِ ، وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهَا تُرِكَتْ مُنْذُ كَانَ الْإِسْلَامُ إِلَّا يَوْمَئِذٍ ، لِأَنَّهُمْ تَبِعُوا كُلُّهُمُ الْجَنَازَةَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِالْمَسْجِدِ مَنْ يُصَلِّي الْعَصْرَ . وَأُغْمِيَ عَلَى الْحَسَنِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : لَقَدْ نَبَّهْتُمُونِي مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَقَالَ رَجُلٌ قَبْلَ مَوْتِ الْحَسَنِ لِابْنِ سِيرِينَ : رَأَيْتُ كَأَنَّ طَائِرًا أَخَذَ أَحْسَنَ حَصَاةٍ بِالْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : إِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكَ مَاتَ الْحَسَنُ ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَاتَ الْحَسَنُ ، وَلَمْ يَحْضُرِ ابْنُ سِيرِينَ جَنَازَتَهُ لِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُمَا ، ثُمَّ تُوُفِّيَ بَعْدَهُ بِمِائَةِ يَوْمٍ - كَمَا سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَمَيْسَانُ - بِفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ نُونٌ - قَالَ السَّمْعَانِيُّ هِيَ بَلْدَةٌ بِأَسْفَلِ الْبَصْرَةِ .

---

(١) أحد الثقات التابعين البصريين ، ومن العباد الورعين ، وهو خال حماد بن سلمة ، كان اماما حافظا متقنا حجة ثبتا ، توفى سنة ١٤٣ . « أحمد يوسف نجاتى »

***

الحسن بن محمد الزعفرانى

« أَبُو عَلِيٍّ ٱلْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ ٱلصَّبَّاحِ * ٱلزَّعْفَرَانِيُّ صَاحِبُ ٱلْإِمَامِ ٱلشَّافِعِيِّ - رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ »

بَرَعَ فِي ٱلْفِقْهِ وَٱلْحَدِيثِ ، وَصَنَّفَ فِيهِمَا كُتُبًا ، وَسَارَ ذِكْرُهُ فِي ٱلْآفَاقِ ، وَلَزِمَ ٱلْإِمَامَ ٱلشَّافِعِيَّ حَتَّى تَبَحَّرَ ، وَكَانَ يَقُولُ

---

* ترجم له فى كتاب طبقات الشافعية « ج ١ ص ٢٥٠ » قال :

هوأحد رواة القديم ، كان اماما جليلا فقيها محدثا فصيحا بليغا ثقة ثبتا قال الماوردى : هو أثبت رواة القديم . وقال أبو عاصم : الكتاب العراقى منسوب اليه ، وقد سمع بقراءته الكتب على الشافعى أحمد بن ثور والكرابيسى .

قال الزعفرانى : سمعت محمد بن ادريس الشافعى يقول : كنت عند ابن عيينة وعنده ابن المبارك ، فذكروا البخل ، فقال ابن المبارك : حدثنا سليمان التيمى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم : كان يتعوذ من البخل ، قال الحاكم أبو عبد الله : غير مستبدع سماع الشافعى من ابن المبارك . توفى ابن المبارك سنة احدى وثمانين ومائة ، وولد الشافعى سنة خمسين ومائة ، وكان ابن المبارك يحج كل سنتين ، قال الزعفرانى عن الشافعى فى قوله تعالى : « ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » أى من أبوين فى الاسلام :

وروى الحافظ أبو الحسن بن جمكان أن الزعفرانى قال : قال الشافعى فى الرافضى يحضر الواقعة : لا يعطى من الفىء شىء ، لأن الله تعالى ذكر آية الفىء ثم قال : « والذين جاءوا من بعدهم » الآية فمن لم يقل بها لم يستحق الفىء

أَصْحَابُ الْأَحَادِيثِ كَانُوا رُقُودًا حَتَّى أَيْقَظَهُمُ الشَّافِعِىُّ ، وَمَا حَمَلَ أَحَدٌ مِحْبَرَةً إِلَّا وَلِلشَّافِعِىِّ عَلَيْهِ مِنَّةٌ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى قِرَاءَةَ كُتُبِ الشَّافِعِىِّ عَلَيْهِ ، وَسَمِعَ مِنْ سُفْيَانَ ابْنِ عُيَيْنَةَ وَمَنْ فِى طَبَقَتِهِ مِثْلِ وَكِيعِ بْنِ الْجَرَّاحِ (١) وَعَمْرِو بْنِ الْهَيْثَمِ (٢) وَيَزِيدَ بْنِ هَارُونَ (٣) وَغَيْرِهِمْ ، وَهُوَ أَحَدُ رُوَاةِ الْأَقْوَالِ الْقَدِيمَةِ عَنِ الشَّافِعِىِّ - رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ - وَرُوَاتُهَا أَرْبَعَةٌ : هُوَ ، وَأَبُو ثَوْرٍ (٤) وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْكَرَابِيسِىُّ (٥) ، وَرُوَاةُ الْأَقْوَالِ الْجَدِيدَةِ سِتَّةٌ : الْمُزَنِىُّ (٦) وَالرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْجِيزِىُّ ، وَالرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُرَادِىُّ ، وَالْبُوَيْطِىُّ (٧) ، وَحَرْمَلَةُ ، وَيُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى .

---

(١) هو الامام العلم أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدى بن فرس الكوفى الرؤاسى، روى عن الأعمش وأقرانه ، وقال فيه أحمد : ما رأيت أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع. وكان كثير العبادة والتقوى ثقة متقنا ورعا، وكان محدث العراق فى عصره. توفى سنة ١٩٧ (٢) عمرو ابن الهيثم بن قطن الزبيدى القطعى البصرى، روى عن سفيان ، وروى عنه الامام أحمد ويحي بن معين، توفى بالبصرة سنة ١٩٨ (٣) الامام أبو خالد يزيد بن هرون السلمى الواسطى أحد الأعلام الحفاظ الثقات المتقنين الاثبات ذوى الدين والعبادة والمناقب الجمة الخطيرة، روى عن حميد بن أبى حميد الطويل وغيره، وروى عنه الامام أحمد وغيره ، توفى سنة ٢٠٦ .
(٤) ابراهيم بن خالد تقدمت ترجمته (٥) الحسين بن على وستأتى ترجمته
(٦) اسمعيل بن يحي تقدمت ترجمته (٧) يوسف بن يحي وستأتى ترجمته

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ بَعْضِهِمْ ، وَالْبَاقِي سَيَأْتِي ذِكْرُهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - . وَرَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَأَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ (١) وَالتِّرْمِذِيُّ (٢) وَغَيْرُهُمْ . وَتُوُفِّيَ فِي سَلْخِ شَعْبَانَ - وَقَالَ ابْنُ قَانِعٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ - سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ . وَذَكَرَ السَّمْعَانِيُّ فِي كِتَابِ الْأَنْسَابِ أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - . وَالزَّعْفَرَانِيُّ - بِفَتْحِ الزَّاءِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ الْفَاءِ وَالرَّاءِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ نُونٌ - هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى الزَّعْفَرَانِيَّةِ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ بِقُرْبِ بَغْدَادَ ، وَالْمَحَلَّةُ الَّتِي بِبَغْدَادَ تُسَمَّى دَرْبَ الزَّعْفَرَانِيِّ (٣) مَنْسُوبَةٌ إِلَى هَذَا الْإِمَامِ لِأَنَّهُ أَقَامَ بِهَا (٤) وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ (٥) فِي طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ : وَفِيهِ مَسْجِدُ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ

---

(١) تأتى ترجمته فى حرف السين (٢) تأتى ترجمته فى الميم « محمد بن عيسى »

(٣) وأكثر المحدثين ببغداد منسوبون الى هذا الدرب (٤) سأله الامام الشافعى من أى العرب أنت؟ فقال: ما أنا بعربى، أنا من قرية يقال لها الزعفرانية، فقال له : أنت سيد هذه القرية ، رضى الله عنهما . «أحمد يوسف نجاتى»

(٥) ابراهيم بن على تقدمت ترجمته .

الْمَسْجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَدْرُسُ فِيهِ بِدَرْبِ الزَّعْفَرَانِيِّ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ . انْتَهَى .

***

الحسن بن أحمد الاصطخري

« أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ* بْنِ يَزِيدَ بْنِ عِيسَى بْنِ الْفَضْلِ الْإِصْطَخْرِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ »

---

* ترجم له فى كتاب طبقات الشافعية « ج ٢ ص ١٩٣ » قال :

هو ابن الفضل بن بشار بن عبد الحميد بن عبد الله بن هانئ بن قبيصة ابن عمرو بن عامر الامام الجليل، قاضى قم، أحد الرفعاء من أصحاب الوجوه سمع سعدان بن نصر (١) وغيره .

قال الخطيب : كان أحد الأئمة المذكورين ، ومن شيوخ الفقهاء الشافعيين وكان ورعا زاهدا متقللا ، قال : وحدثنى القاضى أبو الطيب (٢) قال : حكى لى عن الداركى (٣) أنه قال : سمعت أبا اسحق المروزى (٤) يقول لما دخلت بغداد لم يكن بها من يستحق أن أدرس عليه الا أبو سعيد الاصطخرى وأبو العباس بن سريج (٥) قال أبو اسحق المروزى : سئل

---

(١) هو أبو عثمان سعدان بن نصر الثقفى البغدادى البزاز ، سمع من سفيان ابن عيينة وغيره، وتوفى سنة ٢٦٥ (٢) أبو الطيب الطبرى « طاهر بن عبد الله » وستأتى ترجمته (٣) هو أبو على الحسن بن محمد الداركى محدث أصبهان، توفى سنة ٣١٧ ، وهو منسوب الى دارك « بفتح الراء » قرية من قرى أصبهان، ينسب اليها أيضا محمد بن على بن مخلد بن فرقد الداركى الأصبهانى، توفى سنة ٣٠٧ وأبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز الداركى من كبار الفقهاء الشافعية سكن بغداد ودرس بها وكان أبوه محدث أصبهان فى وقته ، توفى سنة ٣٧٥ ببغداد .

« أحمد يوسف نجاتى » (٤) تقدمت ترجمته (٥) سبقت ترجمته

كَانَ مِنْ نُظَرَاءِ أَبِى الْعَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ [١] ، وَأَقْرَانِ أَبِى عَلِىٍّ بْنِ أَبِى هُرَيْرَةَ [٢] ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ حَسَنَةٌ فِى الْفِقْهِ مِنْهَا كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ ، وَكَانَ قَاضِىَ « قُمَّ [٣] » وَتَوَلَّى حِسْبَةَ بَغْدَادَ ، وَكَانَ وَرِعًا مُتَقَلِّلًا ، وَاسْتَقْضَاهُ الْمُقْتَدِرُ [٤] عَلَى سِجِسْتَانَ [٥] فَسَارَ إِلَيْهَا، فَنَظَرَ فِى مُنَاكَحَاتِهِمْ، فَوَجَدَ مُعْظَمَهَا عَلَى غَيْرِ اعْتِبَارِ الْوَلِىِّ، فَأَنْكَرَهَا وَأَبْطَلَهَا عَنْ آخِرِهَا .

وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ فِى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَتُوُفِّىَ فِى جُمَادَى الْآخِرَةِ يَوْمَ الْجُمْعَةِ ثَانِىَ عَشَرِهِ ، وَقِيلَ رَابِعَ عَشَرِهِ ، وَقِيلَ مَاتَ فِى شَعْبَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ - رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى - وَالْإِصْطَخْرِىُّ - بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ الطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ

يوما أبو سعيد عن المتوفى عنها زوجها اذا كانت حاملا هل تجب لها النفقة؟ فقال نعم ، فقيل له : ليس هذا من مذهب الشافعى ، فلم يصدق ، فأروه كتابه، فلم يرجع، وقال : ان لم يكن مذهبه فهو مذهب على وابن عباس .

(١) تقدمت ترجمته (٢) تلى ترجمته هذه الترجمة (٣) مدينة بفارس بين أصبهان وساوة (٤) هو الخليفة العباسى أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن طلحة الموفق بن المتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد، تولى الخلافة بعد وفاة أخيه أبى محمد على المكتفى بالله سنة ٢٩٥ وتوفى سنة ٣٢٠ (٥) كان اسم ولاية واسعة وناحية كبيرة ببلاد ايران

الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَبَعْدَهَا رَاءٌ ـ هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى إِصْطَخْرَ ، وَهِيَ مِنْ بِلَادِ فَارِسَ(١) ، خَرَجَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى ـ وَقَدْ قَالُوا فِي النِّسْبَةِ إِلَى إِصْطَخْرَ «اصْطَخْرَزِيٌّ» أَيْضًا بِزِيَادَةِ الزَّايِ ، كَمَا زَادُوهَا فِي النِّسْبَةِ إِلَى مَرْوَ(٢) وَالرَّيِّ(٣) فَقَالُوا : مَرْوَزِيٌّ ، وَرَازِيٌّ(٤) .

***

الحسن بن الحسين الشافعي

« أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ »

أَخَذَ الْفِقْهَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ ، وَأَبِي إِسْحَاقَ

وكان بها كثير من الخوارج يظهرون مذهبهم ولا يتحاشون منه ويفتخرون به عند المعاملة (١) وكانت من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها ومن أقدم مدن فارس وأشهرها ، وبها كان مسكن ملك فارس حتى تحول أرد شير الى مدينة جور (٢) أي مرو الشاهجان وهي مرو العظمى ، كانت أشهر مدن خراسان وقصبتها ، وقالوا في نسبة غير الناس اليها : ثوب مروى على القياس ـ و بين مرو ونيسابور ٧٠ فرسخا . «أحمد يوسف نجاتى» (٣) مدينة بينها و بين قزوين ٢٧ فرسخا ، وكانت من أعمر مدن المشرق بعد بغداد (٤) ممن ينسب الى الري أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي الحكيم توفى سنة ٣١١ . « أحمد يوسف نجاتى »

الْمَرْوَزِيِّ(١) ، وَشَرَحَ مُخْتَصَرَ الْمُزَنِيِّ ، وَعَلَّقَ عَنْهُ الشَّرْحَ أَبُو عَلِيٍّ الطَّبَرِيُّ(٢) ، وَلَهُ مَسَائِلُ فِي الْفُرُوعِ ، وَدَرَّسَ بِبَغْدَادَ ، وَتَخَرَّجَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ إِمَامَةُ الْعِرَاقِيِّينَ ، وَكَانَ مُعَظَّمًا عِنْدَ السَّلَاطِينِ وَالرَّعَايَا ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ .

***

الحسن بن القاسم الطبرى

« أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ الْقَاسِمِ *الطَّبَرِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ »

(١) وصحبه الى مصر ، ثم عاد الى وطنه بغداد ، وكان شيخ الشافعية بها فى وقته « أحمد يوسف نجاتى » (٢) تأتى ترجمته عقب هذه .

* ترجم له فى كتاب طبقات الشافعية « ج ٢ ص ٢١٧ » قال :

هو الامام الجليل صاحب الافصاح ، له الوجوه المشهورة فى المذهب ، وقال : اذا أذن المرتهن للراهن فى البيع أو العتق ثم رجع قبل أن يبيع أو يعتق ولم يعلم الراهن بالرجوع فباع أو أعتق ففى صحته وجهان مخرجان من تصرف الوكيل قبل العلم بعزله ، كذا حكاه الجماهير ؛ منهم الرافعى والنووى ، وفصل فى الافصاح فقال : ان رجع الآذن قبل وقوع البيع فاذا كان يمكن الوقوف فى مثله على رجوعه فعلى وجهين ، وإن كان لا يمكن فى مثله فعلى قول واحد أن بيعه صحيح ، ولا معنى لرجوعه قياسا على ما قال الشافعى فى الولى اذا دفع من وجب له حق القصاص الى سياف فرجع فى الاذن قبل القتل ، قال

أَخَذَ الْفِقْهَ عَنْ أَبِى عَلِيّ بْنِ أَبِى هُرَيْرَةَ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ وَعَلَّقَ عَنْهُ التَّعْلِيقَةَ الْمَشْهُورَةَ الْمَنْسُوبَةَ إِلَيْهِ، وَسَكَنَ بَغْدَادَ، وَدَرَّسَ بِهَا بَعْدَ أُسْتَاذِهِ أَبِى عَلِيّ الْمَذْكُورِ، وَصَنَّفَ كِتَابَ الْمُحَرَّرِ فِى النَّظَرِ، وَهُوَ أَوَّلُ كِتَابٍ صُنِّفَ فِى الْخِلَافِ الْمُجَرَّدِ، وَصَنَّفَ أَيْضًا كِتَابَ الْإِفْصَاحِ فِى الْفِقْهِ، وَكِتَابَ الْعِدَّةِ ـ وَهُوَ كَبِيرٌ يَدْخُلُ فِى عَشَرَةِ أَجْزَاءٍ ـ وَصَنَّفَ كِتَابًا فِى الْجَدَلِ، وَكِتَابًا فِى أُصُولِ الْفِقْهِ. وَتُوُفِّىَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ [١] ـ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى ـ. وَالطَّبَرِىُّ بِفَتْحِ الطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَبَعْدَهَا رَاءٌ، هٰذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ـ بِفَتْحِ الطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَبَعْدَهَا رَاءٌ وَسِينٌ مُهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ وَالتَّاءُ الْمُثَنَّاةُ مِنْ فَوْقِهَا الْمَفْتُوحَةُ وَبَعْدَ الْأَلِفِ نُونٌ ـ وَهِىَ وِلَايَةٌ كَبِيرَةٌ تَشْتَمِلُ

الرويانى (*) وهذا التفصيل لم يقله غيره.

(١) فى الأصل سنة ٣٠٥ وهو خطأ كما فى شذرات الذهب وغيره سنة ٣٥٠ وهو المعقول فانه كما هنا درس الفقه ببغداد بعد وفاة أستاذه المتقدم سنة ٣٤٥ وفى النسخة الخطيـة أنه توفى سنة ٣٥٥. « أحمد يوسف نجاتى ».

(*) ستأتى ترجمته فى حرف العين « عبد الواحد بن اسمعيل ».

عَلَى بِلَادٍ كَثِيرَةٍ أَكْبَرُهَا آمُلُ(١) خرجَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَالنِّسْبَةُ إِلَى طَبَرِيَّةِ الشَّامِ طَبَرَانِيٌّ - عَلَى مَا سيأتي في مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . وَرَأَيْتُ فِي عِدَّةِ كُتُبٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ أَنَّ اسْمَهُ الْحَسَنُ - كَمَا هُوَ هٰهُنَا - وَرَأَيْتُ الْخَطِيبَ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ قَدْ عَدَّهُ فِي جُمْلَةِ مَنِ اسْمُهُ الْحُسَيْنُ(٢) .

* * *

الحسن بن إبراهيم الفارقى

« أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بُرْهُونَ الْفَارِقِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ »

كَانَ مَبْدَأُ اشْتِغَالِهِ بِمَيَّافَارِقِينَ(٣) عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٍ الْكَازَرُونِيِّ(٤) ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَاشْتَغَلَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ صَاحِبِ الْمُهَذَّبِ ، وَعَلَى أَبِي نَصْرِ بْنِ

---

(١) وكانت تعمل بمدينة آمل السجادات الطبرية والبسط الحسان ، وقد خرج منها كثير من العلماء ، لكنهم قلما ينسبون الى غير طبرستان .

(٢) وكذا فى طبقات الشافعية سماه « الحسين » وكذا فى عقد الجمان للعينى «أحمد يوسف نجاتى» (٣) كانت أشهر مدينة بديار بكر والنسب اليها فارقى ومنها أبو نصر الحسن بن أسد الفارقى الشاعر المشهور الأديب المتوفى سنة ٤٨٧ «أحمد يوسف نجاتى» (٤) فى الأصل : الكازرونى

الصَّبَّاغ (١) صاحِبِ الشَّامِلِ ، وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ بِمَدِينَةِ وَاسِطٍ .
حَكَى الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ — رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى —
قَالَ : سَأَلْتُ الْحَافِظَ أَبَا الْكَرَمِ خَمِيسَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ
الْحَوْزِيَّ (٢) بِوَاسِطَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمُ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِقِيُّ
الْمَذْكُورُ ، فَقَالَ : هُوَ مُتَقَدِّمٌ فِي الْفِقْهِ ، وَقَضَى بِوَاسِطَ بَعْدَ
أَبِي تَغْلِبَ ، فَظَهَرَ مِنْ عَقْلِهِ وَعَدْلِهِ وَحُسْنِ سِيرَتِهِ مَا زَادَ عَلَى
الظَّنِّ بِهِ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الْخَطِيبِ أَبِي بَكْرٍ وَمَنْ فِي
طَبَقَتِهِ ، وَكَانَ زَاهِدًا مُتَوَرِّعًا ، وَلَهُ كِتَابُ الْفَوَائِدِ عَلَى
الْمُهَذَّبِ ، وَعَنْهُ أَخَذَ الْقَاضِي أَبُو سَعْدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي
عَصْرُونَ — كَمَا سَيَأْتِي فِي تَرْجَمَتِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى — وَكَانَ
يُلَازِمُ ذِكْرَ الدَّرْسِ مِنَ الشَّامِلِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ ، وَكَانَتْ

---

(١) ستأتي ترجمته في حرف العين وفيها الكلام على كتابه «الشامل في الفقه» (٢) هو خميس بن علي بن أحمد بن علي بن ابراهيم ابن الحسن بن سلامة الواسطي الحوزي الحافظ محدث واسط ، كان عالما فاضلا ثقة شاعرا، توفي سنة ٥١٠ وهو منسوب الى الحوز قرية قرب واسط الى الشرق منها ، وكان من حفاظ الحديث المحققين بمعرفة رجاله ومن أهل الأدب البارع، وله من الشعر الغاية في الجودة ، ولد سنة ٤٤٧ وكان اتقانه مما يعول عليه ، وعلمه مما يركن اليه . «أحمد يوسف نجاتي»

وَفَاتُه يَوْمَ الْأَرْبعَاءِ الثَّانِى وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِوَاسِطَ . وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِمَيَّافَارِقِينَ فِى شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَدُفِنَ فِى مَدْرَسَتِهِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَبُرْهُونُ بِضَمِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَضَمِّ الْهَاءِ وَبَعْدَ الْوَاوِ السَّاكِنَةِ نُونٌ ، وَالْفَارِقِىُّ مَعْرُوفٌ فَلَا حَاجَةَ إِلَى ضَبْطِهِ .

***

الحسن بن عبد الله أبو سعيد السيرافى

« أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ* بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ السِّيرَافِىُّ النَّحْوِىُّ الْمَعْرُوفُ بِالْقَاضِى »

---

* ترجم له فى كتاب بغية الوعاة « ص ٢٢١ » قال فيها نقلا عن ياقوت قال أبو حيان التوحيدى فى كتابه الذى ألفه فى تقريظ الجاحظ وقد ذكر جماعة من الأئمة كانوا يقدمون الجاحظ و يفضلونه : ومنهم أبو سعيد السيرافى شيخ الشيوخ وإمام الأئمة معرفة فى علوم كثيرة ، أفتى فى جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبى حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر منه على زلة ، وقضى ببغداد، هذا مع الثقة والديانة والأمانة والرزانة ، صام أربعين سنة وأكثر الدهر كله . وقال أبو حيان فى كتاب محاضرات العلماء : وحضرت مجلس شيخ الدهر ، وقريع العصر ، العديم المثل ، المفقود الشكل ، أبى سعيد السيرافى .... مارأيت أحفظ منه لجوامع الزهد نظما ونثرا ، وكان دينا ورعا تقيا نقيا زاهدا عابدا خاشعا ، له دأب بالنهار من القرآن والخشوع ، وورد بالليل من القيام والخضوع ، ماقرئ عليه شىء

سَكَنَ بَغْدَادَ ، وَتَوَلَّى ٱلْقَضَاءَ بِهَا نِيَابَةً عَنْ أَبِي مُحَمَّدِ ٱبْنِ مَعْرُوفٍ[١] ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ ٱلنَّاسِ بِنَحْوِ ٱلْبَصْرِيِّينَ ، وَشَرَحَ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ فَأَجَادَ فِيهِ ، وَلَهُ كِتَابُ أَلِفَاتِ ٱلْوَصْلِ وَٱلْقَطْعِ ، وَكِتَابُ أَخْبَارِ ٱلنَّحْوِيِّينَ ٱلْبَصْرِيِّينَ ، وَكِتَابُ ٱلْوَقْفِ وَٱلِابْتِدَاءِ ، وَكِتَابُ صَنْعَةِ ٱلشِّعْرِ وَٱلْبَلَاغَةِ وَشَرْحُ مَقْصُورَةِ ٱبْنِ دُرَيْدٍ ، وَقَرَأَ ٱلْقُرْآنَ ٱلْكَرِيمَ عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ مُجَاهِدٍ[٢] ، وَٱللُّغَةَ عَلَى ٱبْنِ دُرَيْدٍ ، وَٱلنَّحْوَ

قط فيه ذكر الموت والبعث ونحوه الا بكى وجزع ونغص عليه يومه وليلته وامتنع من الأكل والشرب ، وما رأيت أحدا من المشايخ كان أذكر لحال الشباب وأكثر تأسفا على ذهابه منه ، وكان اذا رأى أحدا من أقرانه عاجله الشيب تسلى به الخ . مولده بسيراف قبل سنة ٢٧٠ .

وترجم له فى كتاب ارشاد الأريب « ج ٣ ص ٨٤ » .

وترجم له فى كتاب نزهة الألباء فى طبقات الأدباء « ص ٣٧٩ »

وترجم له فى كتاب طبقات القراء « ج ١ ص ٢١٨ » .

(١) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن معروف البغدادى قاضى القضاة كان من فضلاء الرجال وألبائهم ، مع تجربة وحنكة وفطنة وعزيمة ماضية يجمع وسامة فى منظره ، وظرفا فى ملبسه ، وطلاقة فى مجلسه ، و بلاغة فى خطابه ونهضة بأعباء الأحكام ، وهيبة فى القلوب . ولد سنة ٣٠٦ وتوفى سنة ٣٨١ « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد التميمى الامام العلامة المقرئ البغدادى ، ولد سنة ٢٤٥ وكان امام القراء فى وقته ، وله مشاركة فى فنون من العلم ، توفى سنة ٣٢٤ .

عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ ٱلسَّرَّاجِ ٱلنَّحْوِيِّ (١) ، وَكَانَ ٱلنَّاسُ يَشْتَغِلُونَ عَلَيْهِ بِعِدَّةِ فُنُونٍ : ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ ، وَٱلْقِرَاءَاتِ وَعُلُومِ ٱلْقُرْآنِ ، وَٱلنَّحْوِ وَٱللُّغَةِ ، وَٱلْفِقْهِ ، وَٱلْفَرَائِضِ ، وَٱلْحِسَابِ وَٱلْكَلَامِ ، وَٱلشِّعْرِ وَٱلْعَرُوضِ وَٱلْقَوَافِي ، وَكَانَ نَزِهًا عَفِيفًا جَمِيلَ ٱلْأَمْرِ ، حَسَنَ ٱلْأَخْلَاقِ ، وَكَانَ مُعْتَزِلِيًّا ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدِهِ ، يَنْسَخُ وَيَأْكُلُ مِنْهُ ، وَكَانَ أَبُوهُ مَجُوسِيًّا ٱسْمُهُ بَهْزَادُ ، فَأَسْلَمَ فَسَمَّاهُ ٱبْنُهُ أَبُو سَعِيدٍ ٱلْمَذْكُورُ عَبْدَ ٱللهِ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ فِي مَجَالِسِهِ :

أُسْكُنْ إِلَى سَكَنٍ تُسَرُّ بِهِ
ذَهَبَ ٱلزَّمَانُ وَأَنْتَ مُنْفَرِدُ (٢)
تَرْجُو غَدًا ، وَغَدٌ كَحَامِلَةٍ
فِي ٱلْحَيِّ لَا يَدْرُونَ مَا تَلِدُ (٣)

---

(١) ستأتى ترجمته فى حرف الميم « محمد بن السرى » توفى سنة ٣١٦

(٢) السكن : مايسكن اليه الرجل ويطمئن به من أهل وغيرهم ، كأنه يحث على الزواج واختيار زوج صالحة يسكن اليها ويجد الانسان فى بيتها أنسه وسروره

(٣) من قوله تعالى : « وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا » ومنه قول الشاعر

والليالى من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبه

وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي ٱلْفَرَجِ ٱلْأَصْبَهَانِيِّ صَاحِبِ كِتَابِ ٱلْأَغَانِي مَا جَرَتِ ٱلْعَادَةُ بِمِثْلِهِ بَيْنَ ٱلْفُضَلَاءِ مِنَ ٱلتَّنَافُسِ ، فَعَمِلَ فِيهِ أَبُو ٱلْفَرَجِ :

لَسْتَ صَدْرًا ، وَلَا قَرَأْتَ عَلَى صَدْ
رٍ ، وَلَا عِلْمُكَ ٱلْبَكِيُّ بِشَافِي (١)

لَعَنَ ٱللهُ كُلَّ نَحْوٍ وَشِعْرٍ
وَعَرُوضٍ يَجِيءُ مِنْ سِيرَافِ

وَتُوُفِّيَ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ ثَانِيَ رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَثِمِائَةٍ بِبَغْدَادَ ، وَعُمْرُهُ أَرْبَعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ ٱلْخَيْزُرَانِ - رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى - . وَقَالَ وَلَدُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ يُوسُفُ (٢) : أَصْلُ أَبِي مِنْ سِيرَافَ ، وَبِهَا وُلِدَ ، وَبِهَا ٱبْتَدَأَ بِطَلَبِ ٱلْعِلْمِ وَخَرَجَ مِنْهَا قَبْلَ ٱلْعِشْرِينَ ، وَمَضَى إِلَى عُمَانَ ، وَتَفَقَّهَ بِهَا ،

---

(١) بكى مخفف عن بكىء من بكأت الناقة أو الشاة « كجعل وكرم » اذا قل لبنها وانقطع ، و يد بكيئة أى قل عطاؤها ونزر خيرها ، ورجل بكىء قليل الكلام ، والبكى « من البكاء » الكثير البكاء ، ويروى « بكاف » بدل « بشاف »

(٢) قرأ على والده ، وخلفه فى جميع علومه ، وتمم ما كان شرع فيها وومات دون أن يتمها ، وكان دينا صالحا ورعا ، له تقدم فى اللغة وافتنان فى كثير من العلوم ، ولد سنة ٣٣٠ وتوفى سنة ٣٨٥ . « أحمد يوسف نجاتى » .

ثُمَّ عَادَ إِلَى سِيرَافَ، وَمَضَى إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ، فَأَقَامَ بِهَا عِنْدَ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْمُتَكَلِّمِ، وَكَانَ يُقَدِّمُهُ وَيُفَضِّلُهُ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ، وَخَلَفَ الْقَاضِيَ أَبَا مُحَمَّدِ ابْنَ مَعْرُوفٍ عَلَى قَضَاءِ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ثُمَّ الْجَانِبَيْنِ.

وَالسِّيرَافِيُّ - بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَفَتْحِ الرَّاءِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ فَاءٌ - هٰذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى مَدِينَةِ سِيرَافَ، وَهِيَ مِنْ بِلَادِ فَارِسَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مِمَّا يَلِي كِرْمَانَ، خَرَجَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ - رَحِمَهُمُ اللّٰهُ تَعَالَى - وَسَيَأْتِي فِي تَرْجَمَةِ وَلَدِهِ يُوسُفَ تَتِمَّةُ الْكَلَامِ عَلَى سِيرَافَ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى.

***

الحسن بن أبان أبو على الفارسى النحوى

« أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ* بْنِ عَبْدِ الْغَفَّارِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبَانَ الْفَارِسِيُّ النَّحْوِيُّ »

* ترجم له فى كتاب ارشاد الأريب « ج ٣ ص ٩ » قال :
هو المشهور فى العالم اسمه، المعروف تصنيفه ورسمه، أوحد زمانه فى علم العربية، كان كثير من تلامذته يقول هو فوق المبرد، وصنف كتبا عجيبة حسنة لم يسبق الى مثلها. قال أبو الحسن على بن عيسى الربعى (١)

(١) ستأتى ترجمته.

وُلِدَ بِمَدِينَةِ فَسَا ، وَاشْتَغَلَ بِبَغْدَادَ ـ وَدَخَلَ إِلَيْهَا سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِمائَةٍ ، وَكَانَ إِمَامَ وَقْتِهِ فِي عِلْمِ النَّحْوِ ، وَدَارَ الْبِلَادَ ، وَأَقَامَ بِحَلَبَ عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ مُدَّةً ، وَكَانَ قُدُومُهُ عَلَيْهِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمائَةٍ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي مَجَالِسُ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ ، وَصَحِبَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ(١) بْنَ بُوَيْهِ ، وَتَقَدَّمَ عِنْدَهُ ، وَعَلَتْ مَنْزِلَتُهُ ، حَتَّى قَالَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ : أَنَا غُلَامُ أَبِي عَلِيٍّ الْفَسَوِيِّ فِي النَّحْوِ . وَصَنَّفَ لَهُ كِتَابَ الْإِيضَاحِ وَالتَّكْمِلَةِ فِي النَّحْوِ . وَقِصَّتُهُ فِيهِ مَشْهُورَةٌ(٢) .

وَيُحْكَى أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا فِي مَيْدَانِ شِيرَازَ يُسَايِرُ عَضُدَ

هو أبو على الحسن ، وأمه سدوسية من سدوس شيبان من ربيعة الفرس مات فى أيام الطائع لله سنة ٣٧٧ عن نيف وتسعين سنة .

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة « ص ٢١٦ » .

وترجم له فى كتاب طبقات القراء « ج ١ ص ٢٠٦ » .

(١) تأتى ترجمة سيف الدولة فى حرف العين ، وترجمة عضد الدولة فى حرف الفاء (٢) يقال انه لما ألف له كتاب الايضاح واطلع عليه قال ـ وقد استصغره واستقصره : مازدت على ما أعرف شيئا ، وانما يصلح هذا للصبيان فمضى وصنف كتاب التكملة وحمله اليه ، فلما وقف عليه قال : غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو . « أحمد يوسف نجاتى » .

الدَّوْلَةِ ، فقالَ لَهُ : لِمَ انْتَصَبَ الْمُسْتَثنى فِي قَوْلِنَا : قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا ؟ فقالَ الشَّيْخُ : بِفِعْلٍ مُقَدَّرٍ ، فقالَ لَهُ : كَيْفَ تَقْدِيرُهُ ؟ فقالَ : أَسْتَثْنِي زَيْدًا ، فقالَ لَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ : هَلَّا رَفَعْتَهُ وَقَدَّرْتَ الْفِعْلَ امْتَنَعَ زَيْدٌ ؟ فَانْقَطَعَ الشَّيْخُ وَقَالَ لَهُ : هَذَا الْجَوَابُ مَيْدَانِيٌّ ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَضَعَ فِي ذَلِكَ كَلامًا حَسَنًا ، وَحَمَلَهُ إِلَيْهِ فَاسْتَحْسَنَهُ ، وَذَكَرَ فِي كِتَابِ الْإِيضَاحِ أَنَّهُ انْتَصَبَ بِالْفِعْلِ الْمُتَقَدِّمِ بِتَقْوِيَةِ إِلَّا .

وَحَكَى أَبُو الْقَاسِمِ (١) بْنُ أَحْمَدَ الْأَنْدَلُسِيُّ قَالَ :

---

(١) كذا بالأصل ، والذى فى ياقوت : قال حدثنى علم الدين أبو محمد القاسم ابن أحمد الأندلسى أيده الله تعالى ، قال : وجدت فى مسائل نحوية تنسب الى ابن جنى قال : لم أسمع لأبى على شعرا قط الى أن دخل عليه فى بعض الأيام رجل من الشعراء ، فجرى ذكر الشعراء ، فقال أبو على : انى لأغبطكم على قول هذا الشعر ، فان خاطرى لايواتينى على قوله مع تحقيق للعلوم التى هى من موارده الخ . قلت : أبو محمد قاسم بن أحمد بن أبى شجاع له رحلة الى المشرق ، وتوفى سنة ٣٨٠ . فان كان ياقوت ممن روى عنه مباشرة فهو اذن أبو محمد القاسم بن أحمد بن الموفق بن جعفر الأندلسى المرسى اللورقى النحوى « وسماه بعضهم محمدا وكناه أبا القاسم والأول أصح » كان اماما فى العربية والقراءات ، اشتغل فى صباه بالأندلس ، وأتعب نفسه حتى بلغ من العلم مناه ، فصار عينا للزمان ، ومامن علم الاوله فيه أوفر نصيب

جَرَى ذِكْرُ ٱلشِّعْرِ بِحَضْرَةِ أَبِي عَلِيٍّ وَأَنَا حَاضِرٌ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَغْبِطُكُمْ عَلَى قَوْلِ ٱلشِّعْرِ، فَإِنَّ خَاطِرِي لَا يُوَافِقُنِي عَلَى قَوْلِهِ، مَعَ تَحْقِيقِي ٱلْعُلُومَ ٱلَّتِي هِيَ مَوَادُّهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: فَمَا قُلْتَ قَطُّ شَيْئًا مِنْهُ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ أَنَّ لِي شِعْرًا إِلَّا ثَلَاثَةَ أَبْيَاتٍ فِي ٱلشَّيْبِ، وَهِيَ قَوْلِي[1]:

خَضَبْتُ ٱلشَّيْبَ لَمَّا كَانَ عَيْبًا
وَخَضْبُ ٱلشَّيْبِ أَوْلَى أَنْ يُعَابَا

وَلَمْ أَخْضِبْ مَخَافَةَ هَجْرِ خِلٍّ
وَلَا عَيْبًا خَشِيتُ وَلَا عِتَابَا

وَلَكِنَّ ٱلْمَشِيبَ بَدَا ذَمِيمًا ... فَصَيَّرْتُ ٱلْخِضَابَ لَهُ عِقَابَا

وَقِيلَ إِنَّ ٱلسَّبَبَ فِي ٱسْتِشْهَادِهِ فِي بَابِ كَانَ مِنْ كِتَابِ ٱلْإِيضَاحِ بِبَيْتِ أَبِي تَمَّامٍ ٱلطَّائِيِّ وَهُوَ قَوْلُهُ[2]:

وفد الى المشرق فسمع بالشام والعراق، ولد سنة ٥٧٥ وتوفى سنة ٦٦١ بدمشق. «أحمد يوسف نجاتى» (١) مما قيل فى معنى هذه الأبيات قول البحترى:

فان يكن المشيب طرا علينا ... وأودى بالبشاشة والشباب
فانى لست أدفعه بشىء ... يكون عليه أثقل من خضاب
رأيت بأن ذاك وذا عذاب ... فينتقم العذاب من العذاب

(٢) من قصيدة يمدح بها نوح بن عمر السكسكى من كندة أولها:

مَنْ كَانَ مَرْعَى عَزْمِهِ وَهُمُومِهِ
رَوْضَ ٱلْأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولَا

وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ عَادَتِهِ ـ لِأَنَّ أَبَا تَمَّامٍ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُسْتَشْهَدُ بِشِعْرِهِ ـ أَنَّ عَضُدَ ٱلدَّوْلَةِ كَانَ يُحِبُّ هَذَا ٱلْبَيْتَ وَيُنْشِدُهُ كَثِيرًا ، فَلِهَذَا ٱسْتَشْهَدَ بِهِ فِي كِتَابِهِ (١)

وَمِنْ تَصَانِيفِهِ : كِتَابُ ٱلتَّذْكِرَةِ ـ وَهُوَ كَبِيرٌ ، وَكِتَابُ ٱلْمَقْصُورِ وَٱلْمَمْدُودِ ، وَكِتَابُ ٱلْحُجَّةِ فِي ٱلْقِرَاءَاتِ ، وَكِتَابُ ٱلْإِغْفَالِ فِيمَا أَغْفَلَهُ ٱلزَّجَّاجُ مِنَ ٱلْمَعَانِي ، وَكِتَابُ ٱلْعَوَامِلِ ٱلْمِائَةِ ، وَكِتَابُ ٱلْمَسَائِلِ ٱلْحَلَبِيَّاتِ ، وَكِتَابُ

يوم الفراق لقد خلقت طويلا　　لم تبق لى جلدا ولا معقولا
قالوا: الرحيل، فما شككت بأنها　　روحى من الدنيا تريد رحيلا

ومنها :

لا تأخذنى بالزمان ، فليس لى　　تبعا، ولست على الزمان كفيلا
من زاحف الأيام ثم عبا لها　　غير القناعة لم يزل مفلولا

و بعده البيت : من كان مرعى عزمه الخ و بعده :

لو جاز سلطان القنوع وحكمه　　فى الأرض ما كان القليل قليلا

(١) ويحكى أنه لما خرج عضد الدولة لقتال ابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة دخل عليه أبو على ، فقال له: مارأيك فى صحبتنا ؟ فقال: أنا من رجال الدعاء، لا من رجال اللقاء، فخار الله للملك فى عزيمته، وأنجح قصده فى نهضته، وجعل العافية رداءه، والظفر تجاهه، والملائكة أنصاره ، ثم أنشد :

الْمَسَائِلِ الْبَغْدَادِيَّاتِ ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الشِّيرَازِيَّات ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الْقَصْرِيَّاتِ ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الْعَسْكَرِيَّةِ ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الْبَصْرِيَّةِ ، وَكِتَابُ الْمَسَائِلِ الْمَجْلِسِيَّاتِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَكُنْتُ مَرَّةً رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ - وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِمَدِينَةِ الْقَاهِرَةِ ، كَأَنَّنِي قَدْ خَرَجْتُ إِلَى قَلْيُوبَ ، وَدَخَلْتُ إِلَى مَشْهَدٍ بِهَا ، فَوَجَدْتُهُ شَعِثًا (١) ، وَهُوَ عِمَارَةٌ قَدِيمَةٌ ، وَرَأَيْتُ بِهِ ثَلَاثَةَ أَشْخَاصٍ مُقِيمِينَ مُجَاوِرِينَ ، فَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْمَشْهَدِ - وَأَنَا مُتَعَجِّبٌ لِحُسْنِ بِنَائِهِ وَإِتْقَانِ تَشْيِيدِهِ - : تُرَى هَذَا عِمَارَةُ مَنْ ؟ ، فَقَالُوا لَا نَعْلَمُ ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمْ : إِنَّ الشَّيْخَ أَبَا عَلِيٍّ الْفَارِسِيَّ جَاوَرَ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ سِنِينَ عَدِيدَةً ، وَتَفَاوَضْنَا فِي حَدِيثِهِ

ودعته حيث لاتودعه نفسى ولكنها تسير معه
ثم تولى وفى الفؤاد له ضيق محل، وفى الدموع سعة

فقال له عضد الدولة: بارك الله فيك، فانى واثق بطاعتك، موقن بصفاء طويتك، وقد أنشدنا بعض أشياخنا بفارس :

قالوا له اذ سار أحبابه فبدلوه البعد بالقرب
والله ماشطت نوى ظاعن سار من العين الى القلب

فدعا له أبو على، واستملى البيتين منه (١) شعث الشىء «كفرح» اذا اغبر يريد أن المشهد مع حسنه وروعته مهمل . «أحمد يوسف نجاتى»

فَقَالَ : وَلَهُ مَعَ فَضَائِلِهِ شِعْرٌ حَسَنٌ ، فَقُلْتُ : مَا وَقَفْتُ لَهُ عَلَى شِعْرٍ ، فَقَالَ : أَنَا أُنْشِدُكَ مِنْ شِعْرِهِ ، ثُمَّ أَنْشَدَ بِصَوْتٍ رَقِيقٍ إِلَى غَايَةٍ ثَلَاثَةَ أَبْيَاتٍ ، وَاُسْتَيْقَظْتُ فِي إِثْرِ الْإِنْشَادِ وَلَذَّةُ صَوْتِهِ فِي سَمْعِي ، وَعَلِقَ عَلَى خَاطِرِي مِنْهَا الْبَيْتُ الْأَخِيرُ ، وَهُوَ :

النَّاسُ فِي الْخَيْرِ لَا يَرْضَوْنَ عَنْ أَحَدٍ
فَكَيْفَ ظَنُّكَ سِيمُوا الشَّرَّ أَوْ سَامُوا[1] ؟!

وَبِالْجُمْلَةِ : فَهُوَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ فَضْلُهُ وَيُعَدَّدَ ، وَكَانَ مُتَّهَمًا بِالِاعْتِزَالِ . وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ - وَقِيلَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ - سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - بِبَغْدَادَ وَدُفِنَ بِالشُّونِيزِيِّ[2] . وَالْفَارِسِيُّ لَا حَاجَةَ إِلَى ضَبْطِهِ

(١) سامه الأمر : اذا كلفه اياه وجشمه وألزمه ، أو أولاه اياه وأراده عليه. وأكثر مايستعمل السوم في العذاب والشر والظلم ، ومنه قوله تعالى : « يسومونكم سوء العذاب » ، فالسوم أن تكلف المرء مشقة أو سوءا أو ظلما وتعرضه عليه وترغمه على تحمله. «أحمد يوسف نجاتي»

(٢) الشونيزية : مقبرة كانت بالجانب الغربي من بغداد ، دفن فيها جماعة

لِشُهْرَتِهِ ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا : الْفَسَوِىُّ - بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَبَعْدَهَا وَاوٌ - هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى مَدِينَةِ فَسَا مِنْ أَعْمَالِ فَارِسَ (١) ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي تَرْجَمَةِ الْبَسَاسِيرِىِّ .

وَقَلْيُوبُ بِفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ اللَّامِ وَضَمِّ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَسُكُونِ الْوَاوِ وَبَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ، وَهِىَ بُلَيْدَةٌ صَغِيرَةٌ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقَاهِرَةِ مِقْدَارُ فَرْسَخَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، ذَاتُ بَسَاتِينَ كَثِيرَةٍ .

***

الحسن بن عبد الله العسكرى

« أَبُو أَحْمَدَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِىُّ * »

أَحَدُ الْأَئِمَّةِ فِي الْآدَابِ وَالْحِفْظِ ، وَهُوَ صَاحِبُ أَخْبَارٍ وَنَوَادِرَ ، وَلَهُ رِوَايَةٌ مُتَّسِعَةٌ . وَلَهُ التَّصَانِيفُ الْمُفِيدَةُ ،

كثيرة من الصالحين ، منهم الجنيد وغيره ، وبها دفن أبو الحسن على بن عيسى الرمانى المتوفى سنة ٣٨٤ ، وأبو اسحق الصابى وغيرهم «أحمد يوسف نجاتى»

(١) كانت من أنزه المدن ببلاد فارس ، و بينها و بين شيراز أربع مراحل

* ترجم له فى كتاب بغية الوعاة « ص ٢٢١ » قال :

الحسن بن عبد الله بن سعيد بن اسمعيل بن زيد بن حكيم ، أبو أحمد العسكرى اللغوى العلامة ، قال السلفى : كان من الأئمة المذكورين فى التصرف فى أنواع العلوم ، والتبحر فى فنون الفهوم ، سمع ببغداد والبصرة وأصبهان وغيرها من أبى القاسم البغوى وأبى بكر بن دريد ونفطويه وغيرهم

مِنْهَا : كِتَابُ ٱلتَّصْحِيفِ ٱلَّذِى جَمَعَ فِيهِ فَأَوْعَى ، وَغَيْرُ ذَلِكَ .

وَكَانَ ٱلصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ يَوَدُّ ٱلِاجْتِمَاعَ بِهِ ، وَلَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، فَقَالَ لِمَخْدُومِهِ مُؤَيِّدِ ٱلدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ : إِنَّ عَسْكَرَ مُكْرَمٍ قَدِ ٱخْتَلَّتْ أَحْوَالُهَا ، وَأَحْتَاجُ إِلَى كَشْفِهَا بِنَفْسِى فَأَذِنَ لَهُ فِى ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَتَاهَا تَوَقَّعَ أَنْ يَزُورَهُ أَبُو أَحْمَدَ ٱلْمَذْكُورُ ، فَلَمْ يَزُرْهُ ، فَكَتَبَ ٱلصَّاحِبُ إِلَيْهِ :

وَلَمَّا أَبَيْتُمْ أَنْ تَزُورُوا ، وَقُلْتُمُ :

ضَعُفْنَا فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَى ٱلْوَخَدَانِ(١)

وأكثر وبالغ فى الكتابة، واشتهر فى الآفاق بالدراية والاتقان، وانتهت اليه رياسة التحديث والاملاء للآداب والتدريس بقطر خوزستان ، ورحل اليه الأجلاء للأخذ عنه والقراءة عليه، وروى عنه أبو نعيم الأصبهانى وغيره، ومن تصانيفه : راحة الأرواح ، وصناعة الشعراء، وغير ذلك .

وله ترجمة أخرى فى كتاب ارشاد الأريب « ج ٣ ص ١٢٦ » .

وترجم له فى كتاب أنباه الرواة « ج ١ ص ٢٩٢ » قال :

هو العالم الفاضل الكامل الرواية المتقن ، وله من الأتباع علماء أعلام كأبى هلال العسكرى وأمثاله ، دوخ البلاد ، واستفاد وأفاد ، وله من التصانيف عدا ماذكر :

كتاب مالحن فيه الخواص من العلماء ، وهو كتاب معتبر . وكتاب علم النظم ، وهو فى غاية الجودة من أحسن مايستعمله الشعراء الى غير ذلك من التصانيف

(١) الوخدان : الاسراع أو سعة الخطو فى المشى ، وفعله وخد « كوعد » ويروى : ضعفنا فما نقوى ... « أحمد يوسف نجاتى »

أَتَيْنَاكُمُ مِنْ بُعْدِ أَرْضٍ نَزُورُكُمْ
وَكَمْ مَنْزِلٍ بِكْرٍ لَنَا وَعَوَانِ (١)

نُسَائِلُكُمْ: هَلْ مِنْ قِرًى لِنَزِيلِكُمْ
بِمِلْءِ جُفُونٍ لَا بِمِلْءِ جِفَانِ ؟! (٢)

وَكَتَبَ مَعَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ شَيْئًا مِنَ النَّثْرِ، فَجَاوَبَهُ أَبُو أَحْمَدَ عَنِ النَّثْرِ بِنَثْرٍ مِثْلِهِ، وَعَنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بِالْبَيْتِ الْمَشْهُورِ (٣) وَهُوَ:

أَهُمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ ... وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزَوَانِ (٤)

---

(١) عوان: أصل العوان المرأة التى قد كان لها زوج، أو هى الثيب ضد البكر، مستعار هنا للمنازل القديمة المسكونة والبكر للمنازل الحديثة، والغرض وصف المنازل بالكثرة. والعوان أيضا الأرض المطورة بين أرضين لم تمطرا

(٢) الجفنة: القطعة الكبيرة، وجمعها جفان، يريد أنه انما يرجو النظر اليه والاحتفاء به ولا يريد طعاما ولا قرى. الجفان مفرده جفنة، وهى القصعة الكبيرة

(٣) قبل هذا البيت:

أروم نهوضا، ثم يثنى عزيمتى ... تعوذ أعضائى من الرجفانى
فضمنت بيت ابن الشريد كأنما ... تعمد تشبيهى به وعنانى

(٤) العير الحمار الأهلى، والنزوان: الوثب، وخص به بعضهم الوثب الى فوق، ومنه نزو التيس، ولا يقال الا للشاء والدواب والبقر فى معنى السفاد وقد يكون ذلك فى الأجسام والمعانى مجازا، وهو فى بيت صخر على المثل يضرب للمرء حيل بينه وبين مايروم لعجز أو ضعف أو نحو ذلك.
« أحمد يوسف نجاتى ».

فلمَّا وقفَ الصَّاحِبُ على الجوابِ عجبَ مِن اتِّفاقِ هذا البيتِ لهُ، وقالَ: واللهِ لو علمتُ أنَّه يقعُ له هذا البيتُ لما كتبتُ إليهِ على هذا الرَّوِىّ[١]. وهذا البيتُ لِصخرِ بنِ عمرِو ابنِ الشَّريدِ أخي الخنساءِ، وهوَ مِنْ جُملةِ أبياتٍ مشهورةٍ وكانَ صخرٌ المذكورُ قدْ حضرَ مُحارَبةَ بني أسدٍ، فطعنهُ ربيعةُ بنُ ثورٍ الأسديُّ، فأدخلَ بعضَ حلقاتِ الدِّرعِ في جنبِهِ[٢] وبقِيَ مُدَّةَ حولٍ في أشدِّ ما يكونُ مِنَ المرضِ وأُمُّهُ وزوجتُهُ سُلَيمى تُمرِّضانِهِ، فضجرتْ زوجتُهُ منهُ فمرَّتْ بها امْرأةٌ، فسألتْها عنْ حالِهِ، فقالتْ: لا هوَ حيٌّ فيُرجى، ولا ميْتٌ فيُنسى[٣] فسمعَها صخرٌ[٤] فأنشدَ:

(١) ذلك لأن البيت — وان لم يراع فيه هذا — يؤخذ من المثل فيه أن القائل يقابل العير، وقصد الصاحب وزيارته يقابل النزوان، ولا يخفى ما فى ذلك (٢) أو أدخل فى جوفه حلقا من الدرع، فاندمل عليه حتى أضناه وطال مرضه (٣) وكانوا اذا سألوا أمه قالت: أصبح صالحا بنعمة الله. (٤) وقيل ان التى قالت ذلك بديلة الأسدية، كان قد سباها من بنى أسد واتخذها لنفسه، وأنشدوا مكان البيت الأول:

ألا تلكمو عرسى بديلة أوحشت فراقى، وملت مضجعى ومكانى

فلما طال البلاء على صخر — وقد نتأت قطعة مثل اليد فى موضع الطعنة واسترخت — قالوا له: لو قطعتها لرجونا أن تبرأ، فقال: شأنكم، الموت أهون على مما أنا فيه، فقطعها، فيئس من نفسه، ومات. « أحمد يوسف نجاتى ».

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ لَا تَمَلُّ عِيَادَتِي
وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ جِنَازَةً
عَلَيْكِ، وَمَنْ يَغْتَرُّ بِالْحِدْثَانِ (١)
لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتُ مَنْ كَانَ نَائِماً
وَأَسْمَعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ
وَأَيُّ امْرِئٍ سَاوَى بِأُمٍّ حَلِيلَةً
فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَقًى وَهَوَانِ
أَهُمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ
وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزَوَانِ
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ كَأَنَّهَا
مُعَرَّسُ يَعْسُوبٍ (٢) بِرَأْسِ سِنَانِ

(١) أصل الجنازة «بالكسر والفتح» الميت أو سريره «نعشه» الذى يحمل عليه، و يطلق لفظ «جنازة» على كل ماثقل على قوم واغتموا به كما هنا، وعلى المريض. «أحمد يوسف نجاتى» (٢) المعرس: موضع التعريس، وأصله أن ينزل المسافر فى آخر الليل للاستراحة، ومعناه هنا المأوى والمنزل، واليعسوب اسم مشترك يقع على طائر نحو الجرادة له أربعة أجنحة، لايقبض له جناحا أبداً، ولا يرى أبدا يمشى، انما يرى واقفا

وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ لِسِتَّ عَشْرَةَ لَيْلَةً خلت مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي ٱلْحِجَّةِ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ - رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى - وَأَخَذَ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ . وَلَهُ مِنَ ٱلتَّصَانِيفِ : كِتَابُ ٱلْمُخْتَلِفِ وَٱلْمُؤْتَلِفِ ، وَكِتَابُ عِلْمِ ٱلْمَنْطِقِ ، وَكِتَابُ ٱلْحِكَمِ وَٱلْأَمْثَالِ ، وَكِتَابُ ٱلزَّوَاجِرِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَٱلْعَسْكَرِيُّ - بِفَتْحِ ٱلْعَيْنِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ ٱلسِّينِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ ٱلْكَافِ وَبَعْدَهَا رَاءٌ - هَذِهِ ٱلنِّسْبَةُ إِلَى عِدَّةِ مَوَاضِعَ ، فَأَشْهَرُهَا عَسْكَرُ مُكْرَمٍ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ مِنْ كُوَرِ

على رأس عود أو طائر ، واليعسوب أيضا أمير النحل وذكرها، والغرض من التشبيه في بيت صخر الدلالة على شدة الضيق والصعوبة والحرج ، وبعد هذه الأبيات الستة بيتان آخران هما :

وحى حريد قد صحبت بغارة ... برجل جراد أو دبى كتفان

ولو أن حيا فائت الموت ناله ... أخو الحرب فوق القارح العدوان

حى حريد : أى منفرد معتزل من جماعة القبيلة، لايخالطهم فى ارتحاله وحلوله، امالعزته، أولقلته وذلته ، والحرد أيضا الغضب والغيظ ، والرجل القطعة العظيمة من الجراد ، والدبى صغار الجراد ، والكتفان « بضمتين - وأصله بضم فسكون كعثمان » هو الجراد أول مايطير ، واحده كتفانة، لأنه يتكتف فى مشيته أى ينزو ، والقارح الذى انتهت أسنانه فقوى ، والعدوان أى شديد العدو سريع . « أحمد يوسف نجاتى » .

الْأَهْوَازِ(١) ، وَمُكْرَمٌ الَّذِى تُنْسَبُ إِلَيْهِ مُكْرَمٌ الْبَاهِلِيُّ(٢) وَهُوَ أَوَّلُ مَنِ اخْتَطَّهَا فَنُسِبَتْ إِلَيْهِ ، وَأَبُو أَحْمَدَ مِنْهَا . وَسَيَأْتِي الْعَسْكَرِيُّ مَنْسُوبًا إِلَى شَيْءٍ آخَرَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

***

الحسن بن رشيق القيروانى

« أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ رَشِيقٍ* الْمَعْرُوفُ بِالْقَيْرَوَانِيِّ »

أَحَدُ الْأَفَاضِلِ الْبُلَغَاءِ ، لَهُ التَّصَانِيفُ الْمَلِيحَةُ ، مِنْهَا كِتَابُ الْعُمْدَةِ فِي مَعْرِفَةِ صِنَاعَةِ الشِّعْرِ وَنَقْدِهِ وَعُيُوبِهِ ،

---

(١) الأهواز : هى خوزستان، وهو عدة كور بين البصرة وفارس

(٢) وقيل هو مُكرم بن معزاء الحارث أحد بنى جعونة بن الحرث بن نمير بن عامر بن صعصعة ، وكان صاحب الحجاج بن يوسف ، وقيل مكرم مولى كان للحجاج أرسله لمحاربة خرزاد بن بارس حين عصى ولحق بناحية « ايذج » « بين خوزستان وأصبهان فى وسط الجبال » وتحصن فى قلعة تعرف به، فلما طال عليه الحصار نزل مستخفيا ليلحق بعبد الملك ابن مروان، فظفر به مكرم ومعه درتان فى قلنسوته، فأخذه و بعث به الى الحجاج ، وكانت هناك قرية قديمة فبناها مكرم، ولم يزل يبنى ويزيد حتى جعلها مدينة وسماها عسكر مكرم . « أحمد يوسف نجاتى » .

* ترجم له فى كتاب أنباه الرواة « ج ١ ص ٢٧٧ » قال :

هو الفاضل الأديب الجليل القدر . وجدت له ماصورته : هو الحسن ابن رشيق الافريقى المعروف بالقيروانى ، من أهل مدينة من مدن إفريقية تعرف بالمحمدية ، ولد بها فى شهور سنة تسعين وثلثمائة، وارتحل الى القيروان وعمره ست عشرة سنة ، واشتهر بجودة الخاطر ، وصدق القريحة ، وحسن

المحاضرة ، وامتدح صاحب القيروان (١) ابن باديس بقصيدة أولها :

ذمت لعينك أعين الغزلان قمر أقر لحسنه القمران (٢)
ومشت، فلا والله ماحقف النقا مما أرتك، ولا قضيب البان
وثن الملاحة ، غير أن دياتى تأبى على عبادة الأوثان
يابن الأعزة من أكابر حمير وسلالة الأملاك من قحطان
من كل أبلج آمر بلسانه يضع السيوف مواضع التيجان

وذكر بناء المنظرة -وهى محلة بالقيروان- فقال :

وحللت من علياء صبرة موضعا أكرم به من موضع ومكان
زادت بناه على الخورنق بسطة وحوت أعز حمى من النعمان
وغدا ابن ذى يزن يسفل دونه هما نزلن به على غمدان

وهى ترجمة طويلة نمسك القلم عنها خشية الاطالة .

* وترجم له فى كتاب بغية الوعاة « ص ٢١٠ » قال :

قال ياقوت : كان شاعرا نحويا لغويا أديبا حاذقا عروضيا كثير التصنيف حسن التأليف ، تأدب على محمد بن جعفر القزاز النحوى القيروانى (٣) وغيره، وكان بينه و بين ابن شرف الأديب مناقضات، وله فى الرد عليه تصانيف، منها ساجور الكلاب. ولد بالمحمدية، ومات بالقيروان سنة ست

(١) يمدح بها المعز بن باديس سنة ٤١٠ وكانت سن ابن رشيق ٢٠ سنة « أحمد يوسف نجاتى » (٢) أنث الفعل بالتاء مع أن فاعله «قمر» مذكر لأن المراد بالقمر امرأة يتغزل فيها ، وذكر الضمير فى « لحسنه » حملا على لفظ القمر، ثم أنث الضمير بعد فى البيت الثانى « ومشت » والحقف « بكسر الحاء » المعوج من الرمل، وجمعه أحقاف وحقاف ، أو هو الرمل العظيم المستدير، أو الكثيب منه اذا تقوس وانحنى ، وأراد بحقف النقا عجيزتها وكفلها ، و بقضيب البان قدها وقامتها . « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) أبو عبد الله التميمى، كان شيخ اللغة فى المغرب اماما علامة قيما لعلوم العربية ، مهيبا عند الملوك والعلماء، محبوبا عند العامة، وله مؤلفات فى اللغة والأدب، توفى بالقيروان سنة ٤١٢ عن نحو تسعين سنة «أحمد يوسف نجاتى »

وَكِتَابُ الْأُنْمُوذَجِ (١) ، وَالرَّسَائِلُ الْفَائِقَةُ ، وَالنَّظْمُ الْجَيِّدُ ،
قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ فِي كِتَابِ الذَّخِيرَةِ : بَلَغَنِي أَنَّهُ وُلِدَ بِالْمَسِيلَةِ (٢)
وَتَأَدَّبَ بِهَا قَلِيلًا ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ سَنَةَ سِتٍّ
وَأَرْبَعِمِائَةٍ .وَقَالَ غَيْرُهُ : وُلِدَ بِالْمَهْدِيَّةِ (٣) سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ .
وَأَبُوهُ مَمْلُوكٌ رُومِيٌّ مِنْ مَوَالِي الْأَزْدِ (٤) ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ

وخمسين وأربعمائة. هكذا فى الأصل ، وفى الحلل السندسية أنه توفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة- كما أورده ابن خلكان - ومن شعره :

فى الناس من لايرتجى نفعه ... الا اذا مس بأضرار
كالعود لايقطع فى طيبه ... الا اذا أحرق بالنار

وترجم له فى كتاب ارشاد الأريب « ج ٣ ص ٧٠ »

(١) اسمه أنموذج الزمان فى شعراء القيروان (٢) قال ابن رشيق نفسه فى آخر كتابه الأنموذج : صاحب هذا الكتاب هو حسن بن رشيق مولى من موالى الأزد، ولد بالمحمدية سنة ٣٩٠ وتأدب بها يسيرا، وقدم الى الحضرة سنه ٤٠٦ وامتدح سيدنا « المعز » سنة ٤١٠ - والمسيلة هى المحمدية اختطها أبو القاسم محمد بن المهدى سنة ٣١٥ وهو يومئذ ولى عهد أبيه وأبو القاسم هذا هو الذى يلقب بالقائم بعد المهدى أول خلفاء الدولة العبيدية الفاطمية « أحمد يوسف نجاتى » (٣) مدينة بافريقية منسوبة الى المهدى بينها وبين القيروان مرحلتان، شرع فى بنائها سنة ٣٠٠ وانتقل اليها سنة ٣٠٨ ولم تزل دار مملكة لهم الى أن ولى الأمر اسمعيل بن أبى القاسم سنة ٣٤٤ فسار الى القيروان محاربا أبا يزيد الخارجى، واتخذ مدينة صبرة « المسماة بالمنصورية » واستوطنها بعد أبيه معد « أحمد يوسف نجاتى »
(٤) وفيه يقول ابنه معرضا بابن شرف القيروانى . . . فما أبغى به أبا، ولا أرضى بمذهبه مذهبا ، رضيت به روميا ، لادعيا ولا بدعيا « أحمد يوسف نجاتى »

وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَتْ صَنْعَةُ أَبِيهِ فِي بَلَدِهِ - وَهِيَ الْمُحَمَّدِيَّةُ - الصِّيَاغَةَ ، فَعلّمهُ أَبُوهُ صَنْعَتَهُ ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ بِالْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَقَالَ الشِّعْرَ ، وَتَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَى التَّزَيُّدِ مِنْهُ وَمُلَاقَاةِ أَهْلِ الْأَدَبِ ، فَرَحَلَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، وَاشْتَهَرَ بِهَا ، وَمَدَحَ صَاحِبَهَا ، وَاتَّصَلَ بِخِدْمَتِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ هَجَمَ الْعَرَبُ الْقَيْرَوَانَ ، وَقَتَلُوا أَهْلَهَا وَأَخْرَبُوهَا[1] فَانْتَقَلَ إِلَى جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ ، وَأَقَامَ بِمَازَرَ إِلَى أَنْ مَاتَ . وَرَأَيْتُ بِخَطِّ بَعْضِ الْفُضَلَاءِ أَنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِمَازَرَ - وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَهِيَ قَرْيَةٌ بِجَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهَا فِي تَرْجَمَةِ الْمَازَرِيِّ[2] إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، وَقِيلَ إِنَّهُ تُوُفِّيَ لَيْلَةَ السَّبْتِ غُرَّةَ ذِي الْقَعْدَةِ

---

(١) هم قبائل هلال ورياح وزغبة وغيرهم، وفدوا الى المغرب « وكانوا أولا مع القرامطة » وجعلوا برقة مأوى لهم ومرجعا، وجعلوا يخيفون السبل ويخربون الديار، ويقطعون الطرق، ويعيثون فى الأرض فسادا ، ولم تقدر دولة المعز بن باديس على صد غاراتهم ، فأشار على قومه أن ينتقلوا الى المهدية - وكان عليها ولده تميم بن المعز من سنة ٤٤٥ وخرج هو أيضا بنفسه سنة ٤٤٩ فلما رأوا القيروان خالية من الحامية أخذوا فى العيث والافساد والهدم والاحراق على جارى عادتهم - وارتحل ابن رشيق فى أثناء ذلك الى جزيرة صقلية - وكانت أيضا من الاختلال والاضطراب بحيث انتفى منها الأمن والاستقرار - ومات الأمير المعز كما تقدم سنة ٤٥٣ «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) فى حرف الميم « محمد بن على بن عمر ، توفى سنة ٥٣٦ » ومنها أيضا

سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِمَازَرَ - وَاللهُ أَعْلَمُ . وَمِنْ شِعْرِهِ

أُحِبُّ أَخِي وَإِنْ أَعْرَضْتُ عَنْهُ

وَقَلَّ عَلَى مَسَامِعِهِ كَلَامِي

وَلِي فِي وَجْهِهِ تَقْطِيبُ رَاضٍ

كَمَا قَطَّبْتَ فِي وَجْهِ الْمُدَامِ (١)

وَرُبَّ تَقَطُّبٍ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ

وَبُغْضٌ كَامِنٌ تَحْتَ ابْتِسَامِ

وَمِنْ شِعْرِهِ :

يَارَبِّ لَا أَقْوَى عَلَى دَفْعِ الْأَذَى

وَبِكَ اسْتَعَنْتُ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُوذِى

مَالِي بَعَثْتَ إِلَيَّ أَلْفَ (٢) بَعُوضَةٍ ؟!

وَبَعَثْتَ وَاحِدَةً إِلَى نُمْرُوذٍ ؟!

« أبو عبد الله محمد بن المسلم المازرى الأصولى (١) التقطيب عبوس الوجه وقطب ما بين عينيه اذا زوى ما بينهما وعبس وكلح من شراب وغيره . ويقرب من هذا المعنى قول الآخر :

راقبتنى العيون فيك فأشفقـ ـت ولم أخـل قط من اشفاق

ورأيت العـدو يحسدنى فيـ ـك مجدا بأنفس الأعـلاق

فتمنيت أن تـكونى بعيـدا والذى بيننـا من الود باقى

رب هجر يكون من خوف هجر وفراق يكون خوف فراق

(٢) يريد بالبعوض أعداءه الـكثيرين من الضعاف الذين أشار اليهم فى البيت الأول ، وضعيفان يغلبان قويا ، وماأقبح قدرة الضعفاء «أحمد يوسف نجاتى»

وَمِنْ شِعْرِهِ ـ عَلَى مَا حَكَاهُ ابْنُ بَسَّامٍ فِي الذَّخِيرَةِ :

أَسْلَمَنِي حُبُّ سُلَيْمَانِكُمْ
إِلَى هَوًى أَيْسَرُهُ الْقَتْلُ

قَالَتْ لَنَا جُنْدُ مَلَاحَاتِهِ
لَمَّا بَدَا مَا قَالَتِ النَّمْلُ :(١)

قُومُوا ادْخُلُوا مَسْكَنَكُمْ قَبْلَ أَنْ
تَحْطِمَكُمْ أَعْيُنُهُ النُّجْلُ (٢)

---

(١) فى الأبيات اشارة الى ماقصه الله تعالى فى سورة النمل . . . « قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده » .

(٢) زاد فى النسخة الخطية فى مؤلفات ابن رشيق ما يأتى : طراز الأدب ، الممادح والمذام ، متفق التصحيف ، تحرير الموازنة ، الاتصال ، المن والفدا ، غرائب الأوصاف ولطائف التشبيهات لما انفرد به المحدثون ، أرواح الكتب ، شعر الكتاب ، المعونة فى الرخص والضرورات ، كتاب الرياحين ، صدق المدائح ، الأسماء المعربة ، اثبات المنازعة ، معالم التاريخ ، التوسع فى مضايق القول ، الحيلة والاحتراس ـ ويخيل الى أن بعض هذه الأسماء لعله تراجم لأبواب من مشهور كتبه . ثم قال : وكان بينه و بين ابن شرف القيروانى وقائع وماجريات ، وهما أديبا بلاد المغرب وشاعراها ، وكان ابن شرف أعور ، قيل مر به يوما و بيده كتاب ، فقال له ابن رشيق مافى كتابك ؟ قال الدريدية ـ يعرض بقول ابن دريد فيها :
والعبد لايردعه الا العصا ـ يشير الى أنه مولى ، فقال ابن رشيق :

أما أبى فرشيق لست أنكره ... قل لى أبوك وصوره من الخشب

ومن شعره -وقد غاب المعز بن باديس عن حضرته وكان العيد ماطرا :

تجهم العيد وانهلت مدامعه ... وكنت أعهد منه البشر والضحكا

كأنما جاء يطوى الأرض من بعد ... شوقا اليك ، فلما لم يجدك بكى

وقال أيضا- وقد أمره المعز أن يصف أترجة كانت بين يديه بديها :

أترجة سبطة الأطراف ناعمة ... تلقى العيون بحسن غير مبخوس

كأنما بسطت كفا لخالقها ... تدعو بطول بقاء لابن باديس

« ويروى عجز البيت الأول : تلقى النفوس بحظ غير منحوس » ومن شعره أيضا :

لدن الرماح لما يسقى أسنتها ... من مهجة القيل أو من ثغرة البطل

لو أورقت من دم الأعداء سمر قنى ... لأورقت عنده سمر القنا الذبل

اذا توجه فى أولى كتائبه ... لم تفرق العين بين السهل والجبل

فالجيش ينفض حوليه أسنته ... نفض العقاب جناحيها من البلل

« هذا البيت من فرائده، وهو ملتقط من قول أبى صخر الهذلى » :

«وانى لتعرونى لذكراك هزة ... كما انتفض العصفور بلله القطر»

يأتى الأمور على رفق وفى دعة ... عجلان كالفلك الدوار فى مهل

وله رحمه الله تعالى :

ومن حسنات الدهر عندى ليلة ... من العمر لم تترك لأيامها ذنبا

خلونا بها ننفى الكرى عن جفوننا ... بلؤلؤة مملوءة ذهبا سكبا

وملنا لتقبيل الثغور ولثمها ... كمثل جنوح الطير تلتقط الحبا

ويروى « ننفى القذى » - ومن شعره أيضا :

صنم من الكافور بات معانقى ... فى حلتين تعفف وتكرم

فكرت ليلة وصله فى صده ... فجرت بقايا أدمعى كالعندم

فطفقت أمسح ناظرى فى نحره ... اذ عادة الكافور امساك الدم

ومن شعره رحمه الله :

قالوا رأينا فلانا ليس يوجعه ... ما يوجع الناس من هجو به قذفا

وَلَهُ وَقَدْ كَبِرَ وَضَعُفَ مَشْيُهُ ـ وَهُوَ مَعْنًى غَرِيبٌ[١] :

إِذَا مَا خَفَفْتُ كَعَهْدِ[٢] ٱلصِّبَا

أَبَتْ ذَلِكَ ٱلْخَمْسُ وَٱلْأَرْبَعُونَا

وَمَا ثَقُلَتْ كِبَرًا وَطْأَتِي وَلَـكِنْ أَجُرُّ وَرَائِي ٱلسِّنِينَا

وَلَهُ أَيْضًا :

وَقَائِلَةٍ: مَاذَا ٱلشُّحُوبُ[٣] وَذَا ٱلضَّنَى؟!

فَقُلْتُ لَهَا ـ قَوْلَ ٱلْمَشُوقِ ٱلْمُتَيَّمِ :

فقلت لو أنه حى لأوجعه لكنه مات من جهل وما عرفا
وما هجوت فلانا غير تجربة وذو الرماية لايستشعر الهدفا
هذا وقد كان فى ذلك الزائد تشويه كثير وتصحيف وتحريف أصلحناه «أحمد يوسف نجاتى» (١) ومما يناسب هذا المعنى مما أحفظ قول البحترى :

ومعيرى بالدهر يعلم فى غد أن الحصاد وراء كل نبات
أبنى انى قد نضوت بطالتى فتحسرت، وصحوت من سكراتى
نظرت الى الأربعون فأضرجت شيبى، وهزت للحنو قناتى
وأرى لدات أبى تتابع كثرهم فمضوا، وكر الدهر نحو لداتى
ومن الأقارب من يسر بميتتى سفها، وعز حياتهم بحياتى

ولقد أحسن الوليد كل الاحسان فى هذا الكلام العذب الرطب مع متانة وجزالة، ولقوله: وأضرجت شيبى الخ الحظ الجزيل من الفصاحة والملاحة، وللأبيات كلها موقع فى نفسى وتأثير قوى فيها، فانها تعبر عن معنى أشعر به، شكاه وهو فى الأربعين، وتشتد شكواى منه وقد خنقت السبع والخمسين. «أحمد يوسف نجاتى». (٢) وفى نسخة «لعهد»
(٣) الشحوب : الهزال وتغير اللون لعارض من مرض أو هم أو نحوهما

هَوَاكِ أَتَانِي وَهْوَ ضَيْفٌ أُعِزُّهُ

فَأَطْعَمْتُهُ لَحْمِي ، وَأَسْقَيْتُهُ دَمِي

وَمِنْ تَصَانِيفِهِ أَيْضًا قُرَاضَةُ ٱلذَّهَبِ (١) وَهُوَ لَطِيفُ ٱلْجِرْمِ كَبِيرُ ٱلْفَائِدَةِ ، وَلَهُ كِتَابُ ٱلشُّذُوذِ فِي ٱللُّغَةِ - يَذْكُرُ فِيهِ كُلَّ كَلِمَةٍ جَاءَتْ شَاذَّةً فِي بَابِهَا . وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ أَحْمَدَ ٱلْمَعْرُوفِ بِابْنِ شَرَفٍ ٱلْقَيْرَوَانِيِّ (٢) وَقَائِعُ وَمَا جَرَيَاتٌ يَطُولُ شَرْحُهَا ، وَقَصْدُنَا ٱلِاخْتِصَارُ . وَرَشِيقٌ بِفَتْحِ ٱلرَّاءِ وَكَسْرِ ٱلشِّينِ ٱلْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ ٱلْيَاءِ ٱلْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَبَعْدَهَا قَافٌ ، وَٱلْمَسِيلَةُ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى إِعَادَتِهِ .

---

(١) قراضة الذهب فى نقد أشعار العرب ، طبع بمصر (٢) هو ابن شرف الجذامى القيروانى ، و يستفاد من كلام ابن رشيق أن « شرف » اسم أم ابن شرف لا اسم أبيه ، فعلى هذا يمنع من الصرف للعلمية والتأنيث . خرج عن القيروان عند اشتداد فتنة العرب عليها سنة ٤٤٧ وقدم الأندلس وسكن المرية وغيرها ، وتردد على ملوك الطوائف بها بعد مقارعة أهوال ومباشرة خطوب طوال ، وكان من جلة الأدباء ، و فحول الشعراء ، وله مؤلفات ممتعة فى الأدب ، وتوفى سنة ٤٦٠ وابنه أبو الفضل جعفر بن محمد بن أبى سعيد بن شرف القيروانى ولد سنة ٤٤٤ وله رواية عن أبيه ، وأخذ عنه ديوان شعره ، وكان أيضا من خيرة الأدباء ، وكبار الشعراء ، بل كان

***

الحسن بن عبد الصمد بن الشخباء العسقلانى

« اُلشَّيْخُ اُلْمُجِيدُ أَبُو عَلِيٍّ اُلْحَسَنُ* بْنُ عَبْدِ اُلصَّمَدِ بْنِ اُلشَّخْبَاءِ اُلْعَسْقَلَانِيُّ »

فى عصره شاعر وقته غير مدافع ، وطال عمره ، وأخذ الناس عنه ، وله تآليف حسان فى الأمثال والأخبار والآداب والأشعار . وتوفى سنة ٥٣٤ ومن شعر ابن شرف القيروانى :

كسيت قناع الشيب قبل أوانه	وجسمى عليه للشباب وشاح
ويارب وجه فيه للعين نزهة	أمانع عينى منه وهو مباح
وأهجره وهوا اقتراحى من الورى	وقد تهجر الأمواه وهى قراح

وتقدم لابن رشيق مثل هذا المعنى ، هذا وقد كان ابن رشيق وابن شرف أديبى القيروان ، يجمعهما البلد والزمان ، وكانا مرة يتصاحبان و يتواصلان وآونة يتباغضان ويتهاجيان . « أحمد يوسف نجاتى »

* ترجم له فى كتاب ارشاد الأريب « ج ٣ ص ١٩٤ » قال :
كان يلقب بالمجيد ذى الفضيلتين ، أحد البلغاء والفصحاء الشعراء ، له رسائل مدونة مشهورة ، قيل ان القاضى الفاضل عبد الرحيم بن البيسانى منها استمد ، و بها اعتد ، وأظنه كتب فى ديوان الرسائل للمستنصر صاحب مصر لأن فى رسائله جوابات الى المساسيرى ، الا أن أكثر رسائله اخوانيات ، وما كتبه عن نفسه الى أصدقائه ووزراء أمراء زمانه ها أنذا أكتب منه ما سنح ، لتعرف قدر بضاعته ، ومغزى صناعته ، نظما ونثرا ، قال من قصيدة :

أخذت لحاظى من جنى خديك	أرش الذى لاقيت من عينيك
هيهات ! انى ان وزنت بمهجتى	نظرى اليك فقد ربحت عليك
غضى جفونك ، وانظرى تأثير ما	صنعت لحاظك فى بنان يديك
هو يك نضح دمى ، وعز على أن	ألقاك فى عرض الخطاب بويك
لسلكن فى فيض الدموع مسالكا	قصرت بها يد عامر وسليك

« صَاحِبُ الْخُطَبِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالرَّسَائِلِ الْمُحَبَّرَةِ [١] » ، كَانَ مِنْ فُرْسَانِ النَّثْرِ ، وَلَهُ فِيهِ الْيَدُ الطُّولَى ، وَيُقَالُ إِنَّ الْقَاضِيَ الْفَاضِلَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ كَانَ جُلُّ اعْتِمَادِهِ عَلَى حِفْظِ كَلَامِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَسْتَحْضِرُ أَكْثَرَهُ . وَذَكَرَهُ عِمَادُ الدِّينِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْخَرِيدَةِ فَقَالَ : الْمُجِيدُ مُجِيدٌ كُنْعَتِهِ ، قَادِرٌ عَلَى ابْتِدَاعِ الْكَلَامِ وَنَحْتِهِ [٢] ، لَهُ الْخُطَبُ الْبَدِيعَةُ ، وَالْمُلَحُ الصَّنِيعَةُ [٣] . وَذَكَرَهُ ابْنُ بَسَّامٍ فِي الذَّخِيرَةِ ، وَسَرَدَ جُمْلَةً مِنْ رَسَائِلِهِ ، وَذَكَرَ هٰذَا الْمَقْطُوعَ مِنْ نَظْمِهِ ـ وَهُوَ بَعْضُ قَصِيدَةٍ :

صانوك بالسمر اللدان ، وصنتهم　　بنواظر ، فحميتهم وحموك

لو يشهرون سيوف لحظك فى الوغى　　لم يشرعوا فيها قنا أبويك

الخ . زاد فى النسخة الخطية من شعره :

ومهفهف علق السقام بطرفه　　وسرى فخيم فى معاقد خصره

مزقت أثواب الظلام بثغره　　ثم انثنيت أحوكها من ثغره

ومن شعره أيضا :

يجود بالماء غيث السحب منقطعا　　وغيث كفك بالأموال متصل

جارى نداك ولم يظفر ببغيته　　فحمرة البرق فى حافاته خجل

(١) حبر الكتاب نقحه وحرره ، وهذبه وحسنه (٢) يريد صوغه وأخذه وتركيبه (٣) ذات الصنعة والحسن « أحمد يوسف نجاتى »

مَا زَالَ يَخْتَارُ الزَّمَانُ مُلُوكَهُ

حَتَّى أَصَابَ الْمُصْطَفَى الْمُتَخَيَّرَا

قلْ لِلأُلَى سَاسُوا الْوَرَى، وَتَقَدَّمُوا

قِدمًا: هَلُمُّوا شَاهِدُوا الْمُتَأَخِّرَا

تَجِدُوهُ أَوْسَعَ فِي السِّيَاسَةِ مِنْكُمُ

صَدْرًا، وَأَحْمَدَ فِي الْعَوَاقِبِ مَصْدَرَا

إِنْ كَانَ رَأْيٌ شَاوَرُوهُ أَحنفًا(١)

أَوْ كَانَ بَأْسٌ نَازَلُوهُ عَنْتَرَا

قَدْ صَامَ وَالْحَسَنَاتُ مِلْءُ كِتَابِهِ

وَعَلَى مِثَالِ صِيَامِهِ قَدْ أَفْطَرَا

وَلَقَدْ تَخَوَّفَكَ الْعَدُوُّ بِجُهْدِهِ

لَوْ كَانَ يَقْدِرُ أَنْ يَرُدَّ مُقَدَّرَا

إِنْ أَنْتَ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ ضُمَّرًا(٢)

جُرْدًا بَعَثْتَ إِلَيْهِ كَيْدًا مُضْمَرَا

---

(١) الأحنف بن قيس التميمي «وتقدم ذكره في ترجمة أبي تمام»

(٢) جمع ضامر والجرد جمع أجرد وهو قصير الشعر - وللبحتري:

يوم أرسلت من كتائب آرا ... ئك جندا لا يأخذن عطاء

يَسْرِى وَمَا حَمَلَتْ رِجَالٌ أَبْيَضًا

فِيهِ، وَلَا أَدَّرَعَتْ كُمَاةٌ أَسْمَرَا(١)

خَطَرُوا إِلَيْكَ، فَخَاطَرُوا بِنُفُوسِهِمْ

وَأَمَرْتَ سَيْفَكَ فِيهِمُ أَنْ يَخْطِرَا

عَجِبُوا لِحِلْمِكَ أَنْ تَحَوَّلَ سَطْوَةً

وَزُلَالِ خُلْقِكَ كَيْفَ عَادَ مُكَدَّرَا!

لَا تَعْجَبُوا مِنْ رِقَّةٍ وَقَسَاوَةٍ

فَالنَّارُ تُقْدَحُ مِنْ قَضِيبٍ أَخْضَرَا(٢)

وَقَدِ اقْتَصَرْتُ مِنْهَا عَلَى هٰذَا الْقَدْرِ خَوْفًا مِنَ التَّطْوِيلِ،

ويود الأعداء لو تضعف الجيـ ش عليهم وتصرف الآراء

والبيت من قول أبى الطيب:

ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأى قبل تطاعن الأقران

يقول ان الفتى العاقل ربما طعن أقرانه بالمكيدة ولطف التدبير ودقة الرأى وحسن الاحتيال، قبل اشتباك القتال، والطعن بالرماح عند النزال. «أحمد يوسف نجاتى» (١) ادرعت: تقلدت ولبست، والأبيض السيف والأسمر: الرمح. (٢) هذا من قول أبى تمام:

أخرجتموه بكره عن سجيته والنار قد تنتضى من ناضر السلم

أوطأتموه على جمر العقوق، ولو لم يحرج الليث لم يخرج من الأجم

من قصيدة جيدة يمدح الأمير مالك بن طوق المتوفى سنة ٢٦٠. «أحمد يوسف نجاتى».

وَذَكَرَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ مَقْتُولًا بِخِزَانَةِ الْبُنُودِ (١) ـ وَهِيَ سِجْنٌ بِمَدِينَةِ الْقَاهِرَةِ الْمُعِزِّيَّةِ ـ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ ـ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى ـ . وَمِنَ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُهُ :

---

(١) البنود جمع بند : وهو الراية أو العلم ، وخزانة البنود بناها الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله « تولى من سنة ٤١١ ـ سنة ٤٢٧ » وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى سائر الصنائع ، ثم وهب الخليفة المستنصر سنة ٤٦١ لبعض صنائعه ما فى هذه الخزانة من جميع الآلات والمتاع ، وفى أثناء نقله ـ وكان شيئا كثيرا ـ شبت النار فى الخزانة ، فاحترق كل مافيها من ذخائر ونفائس ، وكانت الخسائر فادحة فجعلت خزانة البنود بعد ذلك الحريق سجنا لأعيان الدولة من الأمراء والوزراء والرؤساء ونحوهم ، الى أن زالت الدولة الفاطمية ، فاتخذها ملوك بنى أيوب سجنا أيضا يعتقل فيه الأمراء والمماليك ، ثم جعلت منازل للأسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية فى الحروب الصليبية ثم أنزل بها الملك الناصر محمد بن قلاوون الأسارى بعد حضوره من الكرك ، وأبطل السجن بها ، وجعلها نزلا لهم ، فارتكبوا فيها أعمالا قبيحة وصيروها مباءة اثم ومأوى لأهل الشر والجرائم ، فلا يقدر أحد على التمكن ممن صار اليهم ، والتجأ الى بؤرة فسادهم ، واحتمى بهم « كالامتيازات الأجنبية » والسلطان يغضى عنهم للمجاملات السياسية ، حتى توفى الملك الناصر سنة ٧٤١ وتنقل الملك فى أولاده الى أن استولى على عرش مصر الملك الصالح عماد الدين اسمعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وفى أيامه هدمت تلك الخزانة فى سنة ٧٤٤ وطهرت القاهرة من فسادها وشرها وموضعها الآن فيما بين قصر الشوك ودرب القزازين ، وسيأتى فى ترجمة أبى الحسن على بن محمد التهامى كلام فى خزانة البنود أيضا ان شاء الله . «أحمد يوسف نجاتى» .

يا سَيْفَ نَصْرِى وَالْمُهَنَّدُ يَانِعٌ

وَرَبِيعَ أَرْضِى وَالسَّحَابُ مَصَافُ

أَخْلاقُكَ الْغُرُّ النَّمِيرَةُ(١) مَالَهَا

حَمَلَتْ قَذَى الْوَاشِينَ وَهِىَ سُلَافُ(٢) ؟!

وَالإِفْكُ فِى مِرْآةِ(٣) رَأْيِكَ مَا لَهُ

يَخْفَى وَأَنْتَ الْجَوْهَرُ الشَّفَّافُ ؟!

وَرَأَيْتُ فِى دِيوَانِهِ الْبَيْتَيْنِ الْمَشْهُورَيْنِ - وَهُمَا :

حِجَابٌ وَإِعْجَابٌ وَفَرْطُ تَصَلُّفِ(٤)

وَمَدُّ يَدٍ نَحْوَ الْعُلَا بِتَكَلُّفِ

وَلَوْ كَانَ هٰذَا مِنْ وَرَاءِ كِفَايَةٍ

عَذَرْنَا ، وَلٰكِنْ مِنْ وَرَاءِ تَخَلُّفِ

وَالشَّخْبَاءِ بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُثَلَّثَةِ وَسُكُونِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَبَعْدَ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ أَلِفٌ مَمْدُودَةٌ(٥) ، وَالْعَسْقَلَانِىُّ نِسْبَةٌ

(١) النميرة : أى الفاضلة الدمثة ، مستعار من الماء النمير وهو العذب الصافى السائغ (٢) السلاف : أصفى الخمر وأرقها وأحسنها (٣) الافك : الكذب والبهتان والافتراء (٤) الصلف : أن يتمدح المرء بما ليس عنده ، وأن يجاوز قدر الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرا ، وتصلف الرجل اذا تكلف الصلف وهو الادعاء فوق القدر استكبارا وغرورا (٥) من شخب اللبن «كمنع ونصر»

إِلَى مَدِينَةِ عَسْقَلَانَ (١) وَهِيَ مَشْهُورَةٌ عَلَى ٱلسَّاحِلِ .

***

الحسن بن ابراهيم ابن زولاق الليثى

« أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ * بْنِ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ ٱلْحَسَنِ

اذا حلبه فسمع له صوت عند الحلب ، والشخاب « ككتاب » اللبن اذا احتلب وكل ماسال فقد شخب . « أحمد يوسف نجاتى » (١) كانت من أعمال فلسطين على الساحل بين غزة و بيت جبرين ، استولى عليها الفرنج سنة ٥٤٨ واستردها صلاح الدين سنة ٥٨٣ وخربت سنة ٥٨٧ . « أحمد يوسف نجاتى »

* ترجم له فى كتاب ارشاد الأريب « ج ٣ ص ٧ » قال :

من أعيان علماء أهل مصر و وجوه أهل العلم فيهم ، وله عدة تصانيف فى تواريخ الدولة المصرية . مات يوم الأربعاء لخمس بقين من ذى القعدة سنة ٣٨٦ فى أيام العزيز ، أو فى سنة ٣٨٧ فى أيام الحاكم — والأول أظهر ، وكان لمحبته للتواريخ والحرص على جمعها وكتبها كثيرا ماينشد :

مازلت تكتب فى التاريخ مجتهدا حتى رأيتك فى التاريخ مكتوبا

وله من الكتب : كتاب سيرة محمد بن طغج الأخشيد ، وكتاب سيرة جوهر ، وكتاب سيرة الماذرائيين (١) وكتاب التاريخ الكبير على السنين كتاب فضائل مصر ، وكتاب سيرة كافور ، وكتاب سيرة المعز ، وكتاب سيرة العزيز وغير ذلك .

(١) الماذرائيون بنو زينور أو زنبور ، وآله : كانوا كتاب الدولة الطولونية بمصر ، ومن مشهوريهم أبو أحمد أو أبو على الحسين بن أحمد ابن رستم « و يعرف بابن زينور » الكاتب ، روى عنه أبو الحسن الدارقطنى وكان يتولى خراج مصر سنة ٢٩٢ واستمر بها يتولى خراجها مع كثرة الحوادث حتى توفى سنة ٣١٤ وكان من الفضلاء ، وأحضره الخليفة المقتدر العباسى لمناظرة ابن الفرات فلم يصنع شيئا ، ثم خلع عليه وأعاده الى خراج

ابْنِ عَلِيّ بْنِ خَالِد[١] بْنِ رَاشِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ زُولَاقَ اللَّيْثِيُّ مَوْلَاهُمْ الْمِصْرِيُّ »

كَانَ فَاضِلًا فِي التَّارِيخِ ، وَلَهُ فِيهِ مُصَنَّفٌ جَيِّدٌ ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي خِطَطِ مِصْرَ اسْتَقْصَى فِيهِ ، وَكِتَابُ أَخْبَارِ قُضَاةِ مِصْرَ ، جَعَلَهُ ذَيْلًا عَلَى كِتَابِ أَبِي عُمَرَ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ ابْنِ يَعْقُوبَ الْكِنْدِيِّ الَّذِي أَلَّفَهُ فِي أَخْبَارِ قُضَاةِ مِصْرَ وَانْتَهَى فِيهِ إِلَى سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَكَمَّلَهُ ابْنُ زُولَاقَ الْمَذْكُورُ ، وَابْتَدَأَ بِذِكْرِ الْقَاضِي بَكَّارِ[٢] بْنِ قُتَيْبَةَ ، وَخَتَمَهُ بِذِكْرِ مُحَمَّدِ بْنِ[٣] النُّعْمَانِ ، وَتَكَلَّمَ عَلَى أَحْوَالِهِ

---

(١) في ياقوت « خلف » (٢) تقدمت ترجمته (٣) سيأتى حديث عنه فى ترجمة أبيه « النعمان بن محمد » فى حرف النون ، وقد سبق أن عرفنا ببعض أفراد بنى النعمان هؤلاء . « أحمد يوسف نجاتى »

مصر سنة ٣٠٦ وكان قد أهدى للمقتدر هدية طريفة ، ثم سخط عليه المقتدر وأحضره الى بغداد وأخذ خطه بمبلغ جسيم من المال سنة ٣١١ ثم أخرج الى مصر مع مؤنس المظفر الخادم،فتوفى بدمشق فى ذى الحجة سنة ٣١٤ ومنهم محمد بن الحسين بن عبدالوهاب الماذرائى، كان على الخراج أيضا بمصر سنة ٣١١ حين توجه أبو على المتقدم الى بغداد، واستمر على خراج مصر مع كثرة الحوادث والفتن الى سنة ٣٢١ وهم منسوبون الى « ماذرايا » كانت فوق مدينة واسط من أعمال فم الصلح المتقدم، وقد خرب أكثرها منذ دهر طويل . ولنا معهم حديث آخر طويل عند كلامنا على الأدب بمصر فى كتابنا الجامع ان شاء الله تعالى . «أحمد يوسف نجاتى»

إِلَى رَجَبٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ . وَكَانَ جَدُّهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ — أَعْنِي أَبَا مُحَمَّدٍ — يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ الْخَامِسَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ — رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى — وَرَأَيْتُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي أَخْبَارِ قُضَاةِ مِصْرَ فِي تَرْجَمَةِ الْقَاضِي أَبِي عُبَيْدٍ (١) أَنَّ الْفَقِيهَ مَنْصُورَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ (٢)

---

(١) هو القاضي أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب البغدادي، ولي قضاء مصر وأقام بها طويلا ، وفي سنة ٣١١ صرف عن قضاء مصر، فتأسف الناس عليه وفرح هو بالعزل وانشرح له « وكان قد احتال على أبي الحسن بنان بن محمد ابن حمدان الزاهد الصالح الواسطي — أصله من واسط ونشأ ببغداد ثم انتقل الى مصر وسكنها الى أن توفي بها سنة ٣١٦ — فضربه سبع درر ، فقال حبسك الله بكل درة سنة، فحبسه ابن طولون سبع سنين » وتوفي القاضي أبو عبيد سنة ٣١٩ . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو الفقيه الامام أبو الحسن منصور بن اسمعيل بن عمر التميمي الضرير، أصله من رأس عين — بلدة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين — وله مصنفات حسان في مذهب الشافعي وشعر جيد، وكان متصرفا في علوم كثيرة، ولم يكن في زمانه بمصر مثله ، وينسب اليه البيتان المشهوران :

لي حيلة فيمن ينمـ ـم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليله

وينسب اليه أيضا :

الكلب أحسن عشرة وهو النهاية في الخساسه
ممن ينازع في الريا سة قبل أوقات الرياسه

اُلضَّرِيرَ تُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : قَبْلَ مَوْلِدِي بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ – فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ تَكُونُ وِلَادَةُ ابْنِ زُولَاقَ الْمَذْكُورِ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَرَوَى عَنِ الطَّحَاوِيِّ(١) . وَزُولَاقُ بِضَمِّ الزَّاءِ وَسُكُونِ الْوَاوِ وَبَعْدَ اللَّامِ أَلِفٌ وَقَافٌ . وَاللَّيْثِيُّ بِفَتْحِ اللَّامِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَبَعْدَهَا ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى لَيْثِ بْنِ كِنَانَةَ(٢) ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ ، قَالَ ابْنُ يُونُسَ الْمِصْرِيُّ : هُوَ لَيْثِيٌّ بِالْوَلَاءِ .

ويحكى أنه أصابته فاقة فى سنة جدب وقحط، فنادى بأعلى صوته فوق داره

الغياث الغياث ياأحرار قد قحطنا وأنتم تجار

انما تحسن المواساة فى الشد دة لاحين ترخص الأسعار

فسمعه جيرانه، فأصبح على بابه نحو مائة حمل بر، اغاثة له، وبرا به، وانقاء للسانه، فقد كان صعب الهجو قاسى القول . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) تقدمت ترجمته «أحمد بن محمد بن سلامة توفى سنة ٣٢١ » (٢) ليث ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وبنوليث حى من كنانة . « أحمد يوسف نجاتي ».

***

أَبُو نِزَارٍ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ صَافِي بْنِ عَبْدِ اللهِ *

الحسن بن أبى الحسن صافى ملك النحاة

ترجمته ملخصة من أنباه الرواة والخريدة وغيرهما :

أنبأنا محمد بن محمد بن حامد فى كتابه وذكر ملك النحاة هذا فقال :

أحد الفضلاء المبرزين، بل واحدهم فضلا ، وماجدهم نبلا ، وكبيرهم قدرا ورحيبهم صدرا ، غلبت عليه سمة ملك النحاة ، وشهدت بفضله خلانه والعداة ، سمح البديهة ، فى المقاصد النبيهة ، عزيز النفس الأبية ، كثير الأنفة عن المطامع الدنية ، يعنى بالمطالب النزيهة ، والمراتب الوجيهة ، ولقد كانت نحاتة يراعته للنحاة بضاعة وافية ، ويراعة براعته للكفاة كافية ، يأخذ القلم فيمشق (١) الطرس فى عرضه نظما يعجز ، ونثرا يعجب ، ونكتا ترقص ، ونتفا تطرب ، طاف بلاد العجم ، ولقى كرما بكرمان ، ووصل فى سنة احدى وأربعين الى أصفهان ، وسافر الى دمشق ، فأقام بها الى آخر عمره فى رعاية نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله ، وكان مطبوعا متناسب الأحوال والأعمال ، يحكم على أهل التميز بحكم ملك عزيز ، فيقبل ، ولا يستثقل ، وكان يقول : ماسيبويه الامن رعيتى وحاشيتى ، ولو عاش ابن جنى لم يسعه الاحمل غاشيتى (٢) حلو الشيمة ، مر الشتيمة (٣) يضم من الذهب يده على المائة والمائتين ، ويمضى وهو منها صفر اليدين (٤) مولع باستعمال الحلاوات السكرية واهدائها لجيرانه واخوانه

---

(١) اليراعة : القلم ، والمشق فى الكتابة مد حروفها وبيانها ، والطرس : الصحيفة (٢) من معانى الغاشية : حديدة فوق مؤخر الرحل ، وغاشية الرجل : من يقصدونه مستجدين ، وكذا زواره وأصدقاؤه وأتباعه وخدمه (٣) يريد أنه صعب الهجاء ، وفى بعض المراجع « مر الشكيمة » يريد أنه صعب الانقياد قوى النفس أبى (٤) يصفه بالكرم والايثار .

« أحمد يوسف نجاتى » .

مغرم مغرى باحسانه الى خلصائه وخلانه ، وتوفى بدمشق سنة ٥٦٨ وقد ناهز الثمانين، وناجز العرانين (١) ولقى الغث والسمين . قال العماد : أذكره وقد وصلت اليه خلعة مصرية ، وجائزة سنية، فأخرج القميص الدبيقى (٢) الى السوق، فبلغ دون عشرة دنانير ،فقال : قولوا هـذا قميص ملك كبير أهداه الى ملك كبير، ليعرف الناس قدره، فيحلوا عليه البدر على البدار (٣) وليجلوا قدره فى الأقدار ، ثم قال: أنا أحق به اذا جهلوا حقه ، وتنكبوا فيه سبل الواجب وطرقه. ومن شعره يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

يا قاصـدا يثرب الفيحاء مرتحيا … أن يستجير بعـليا خاتم الرسل
خذ عن أخيك مقالا ان صدعت به … مدحت فى آخر الأعصار والأول
قل: يامن الفخر موقوف عليه، فان … تذوكر الفخر لم يصدف (٤) ولم يمل
صيت اذا طلبت غاياته خـرقت … سبعا طباقا فبـذت كل ذى أمل
عـلوت وازددت حتى عاد منتزحا … جبريل عما له قـد كان لم يطل
وعدت والـكبر قد نافى علاك، فما … عدوت شيمة سبط الخلق مبتهل (٥)
أتتك غر قوافى المـدح خاضعة … لديك ، فاقبـل ثناء غير منتحل
ثناء من لم يجد وجناء تحمله (٦) … اليك ،أو صد بالاقتـار عن جمـل
صلى عليك اله العرش مشتمـلا … عليك ياخير ماحاف ومنتعـل

وله :

حنانيك ان جادتك يوما خصائصى … وهالك أصناف الـكلام المسخر
فسل منصفا عن حالتى غـير جائر … يخـبرك أن الفضـل للمتـأخر

وقال يتشوق مدينة واسط :

أراجع لى عيشى الفارط ؟! … أم هو عنى نازح شاحط (٧) ؟!

---

(١) جمع عرنين ، يريد أعاظم الناس (٢) نسبة الى دبيق بلد بمصر كانت تنسب اليها هذه الثياب الثمينة الجيدة . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) البدر جمع بدرة ، ويريد بها هنا كيس الدراهم ، والبدار السرعة (٤) صدف عنه بعد وأعرض (٥) أى حسن الأخلاق متضرع الى الله (٦) الوجناء الناقة العظيمة السريعة (٧) الفارط : السابق المتقدم. والنازح: البعيد

ألا وهل تسعفنى أوبة يسمو بها نجم المنى الهابط ؟!
أرفل فى مرط ارتياح، وهل يطرق سمعى «هذه واسط» (١)؟!
يازمنى عدلى فقد رعتنى حتى عرانى شيبى الواخط (٢)
كم أقطع البيداء فى ليلة يقبض ظلى خوفها الباسط
أأرقب الراحة أم لا؟ وهل يعدل يوما دهرى القاسط (٣)؟!
أيا ذوى ودى أما اشتقتم الى امام جأشه رابط (٤)
وهل عهودى عندكم غضة (٥) أم أنا فى ظنى اذا غالط ؟!
ليهنكم ماعشتم واسط انى لكم ياسادتى غابط

وله أيضا :

الخيش والبرم الكثير منظوم ذلك والنثير (٦)
ودخان عود الهند والشمع المكفر والعبير
ورشاش ماء الورد قد عرقت به تلك النحور
ومثالث العيدان يسعد حسنها بم وزير (٧)
وتخافق النايات يخفق بينها الطبل القصير
والشرب بالقدح الكبير يحثه القدح الصغير
أحظى لدى من الأباعر والحداة بها تسير
للعبد أن يلتذ فى دنياه، والله الغفور

وقال يفتخر للعرب على الأعاجم :

وكذا الشاحط (١) المرط كساء من صوف أو خز يؤتزر به.
(٢) وخطه الشيب : اذا خالطه وفشا فى رأسه، أو استوى سواد الرأس وبياضه (٣) القاسط : الظالم الجائر (٤) فلان رابط الجأش: أى ساكن القلب لايخفق فؤاده رعبا، والجأش رواع القلب اذا اضطرب عند الفزع، أو نفس الانسان (٥) أى لم تبل، ولم ينل منها طول العهد (٦) البرم : الناس الكثير المختلطون (٧) البم : أغلظ أوتار العود وأغلظها صوتا، والزير الوتر الدقيق.
«أحمد يوسف نجاتى»

أتنكرين الحق أخت دارم   اذا أصخت لمقال عالم ؟!

سألتنى عن العلا وأهلها   فلم أكن ياهنتا بكاتم

للعرب الفخر القديم فى الورى   فأعرضى عن نبأ الأعاجم

هم الذين سبقوا الى الندى   فهو لديهم قائم المواسم

أعد على سمعى أحاديث ندى   كعب الندى وفرط جود حاتم

وانهم ان نهضوا لغارة   شدوا على أسد الشرى الضراغم

ثلوا عروش الفرس فى أملاكهم   وكفرهم بكل ضرب صارم

وزحزحوا كسراهم عن ملكه   بالمشرفيات وباللهازم

فنكس التيجان عن رءوسها   ماراع من بطش ذوى العمائم

فقل لمهيار انتبه من رقدة   أضغاثها هازئة بحالم

بالعرب استوضح نهج سودد   وهم ندى العالم فى المكارم

أعطاهم الله العلا لأنهم   قوم النبى المصطفى من هاشم

فخرهم باق على الدهر به   ان كان فخر دارس المعالم

حصت خوافى العجم عن علائهم

وخذلوا بقصر القوادم (١)

أثنى على بيانهم رب العلا   فهل لهذا المجد من مقاوم!

فكل من يحتال لانتقاصهم   يرفل فى مرط حسود ظالم

فليبق من عاداهم مضللا   فما لداء حاسد من حاسم

وله شعر كثير أغلبه فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم «أحمد يوسف نجاتى»

---

(١) حصت : أى نزعت وزالت : يريد أن العجم زالت قوتهم وضعف أمرهم، وكانوا من قبل كالطائر ذى الجناح التام القادر على الصعود والارتفاع لتوفر ريشه من خواف وقوادم، فزال عنهم ذلك بالعرب. فقصت أجنحتهم فأخلدوا الى الأرض ولم يقووا على النهوض والاستقلال «أحمد يوسف نجاتى»

ابْنِ نزارِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِمَلِكِ النُّحَاةِ »(١)

ذَكَرَهُ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ فِي الْخَرِيدَةِ فقَالَ : كَانَ مِنَ الْفُضَلَاءِ الْمُبَرِّزِينَ - وَحَكَى مَا جَرَى بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُكَاتَبَاتِ بِدِمَشْقَ - وَبَرَعَ فِي النَّحْوِ حَتَّى صَارَ أَنْحَى أَهْلِ طَبَقَتِهِ ، وَكَانَ فَهِماً فَصِيحًا ذَكِيًّا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ عُجْبٌ بِنَفْسِهِ وَتِيهٌ :لَقَّبَ نَفْسَهُ « مَلِكَ النُّحَاةِ » وَكَانَ يَسْخَطُ عَلَى مَنْ يُخَاطِبُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ ، وَخَرَجَ عَنْ بَغْدَادَ بَعْدَ الْعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَسَكَنَ وَاسِطَ مُدَّةً ، وَأَخَذَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهَا أَدَبًا كَثِيرًا ، وَاتَّفَقُوا عَلَى فَضْلِهِ وَمَعْرِفَتِهِ . وَذَكَرَهُ أَبُو الْبَرَكَاتِ ابْنُ الْمُسْتَوْفِي(٢) فِي تَارِيخِ إِرْبِلَ فَقَالَ : وَرَدَ

(١) كان أبوه أبو الحسن صافى بن عبد الله مولى لرجل تاجر اسمه حسين الأرموى، وكان لا يذكر اسم أبيه الا بكنيته لئلا يعرف أنه مولى، وكان لبقا بليغا صحيح الاعتقاد كريم النفس، استفاد منه الناس علما وأدبا فى كل مدينة حل بها . ولملك النحاة مقامات ضاهى بها مقامات الحريرى وكان يقول : مقاماتى جد وصدق، ومقامات الحريرى هزل وكذب. أقول: ولكن لا يزال هزل الحريرى أبقى وأسير من جد ملك النحاة ولا يزال كذب صاحب المقامات أحسن وأروع من صدق ابن صافى ، وستأتى ترجمة الحريرى، ونبدى رأينا فى مقاماته ومقامات غيره . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) تأتى ترجمته فى حرف الميم « المبارك بن أحمد

إِرْبِلَ، وَتوَجَّهَ إِلى بَغْدَادَ، وَسَمِعَ بِهَا الْحَدِيثَ، وَقَرَأَ مَذْهَبَ الْإِمَامِ الشَّافِعِي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَأُصُولَ الدِّينِ عَلَى أَبِي عَبْدِاللهِ الْقَيْرَوَانِيِّ، وَالْخِلَافَ عَلَى أَسْعَدَ الْمِيهَنِيِّ[١] وَأُصُولَ الْفِقْهِ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ بْنِ بَرْهَانَ[٢] صَاحِبِ الْوَجِيزِ وَالْوَسِيطِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، وَقَرَأَ النَّحْوَ عَلَى الْفَصِيحِيِّ[٣] وَكَانَ الْفَصِيحِيُّ قَدْ قَرَأَ عَلَى عَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيِّ صَاحِبِ الْجُمَلِ الصُّغْرَى[٤]، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى خُرَاسَانَ وَكِرْمَانَ وَغَزْنَةَ ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ، وَاسْتَوْطَنَ دِمَشْقَ، وَتُوُفِّيَ بِهَا يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ ثَامِنَ شَوَّالٍ، وَدُفِنَ يَوْمَ الْأَرْبعَاءِ تَاسِعَهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ - وَقَدْ نَاهَزَ الثَّمَانِينَ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ[٥] - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -. ثُمَّ إِنِّي ظَفِرْتُ بِمَوْلِدِهِ: فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ بِشَارِعِ دَارِ الرَّقِيقِ[٦]. وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ

---

(١) تقدمت ترجمته وتوفى سنة ٥٢٧ (٢) تقدمت ترجمته « توفى سنة ٦٣٧ » (٣) هو أبو الحسن على أحمد بن على بن محمد توفى سنة ٥٢٠ (٤) امام البلاغة المشهور ابن أبي زيد محمد الأستراباذى، توفى سنة ٥١٦ (٥) الباب الصغير كان محلة تسمى بهذا الاسم بظاهر دمشق توفى سنة ٤٧١ (٦) محلة كانت ببغداد متصلة بالحريم الطاهرى من الجانب الغربى، وقال

كَثِيرَةٌ فِى الْفِقْهِ وَالْأَصْلَيْنِ (١) وَالنَّحْوِ ، وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ ، وَمَدَحَ النَّبِىَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَصِيدَةٍ (٢) ،وَمِنْ شِعْرِهِ :

سَلَوْتُ بِحَمْدِ اللهِ عَنْهَا ، فَأَصْبَحَتْ
دَوَاعِى الْهَوَى مِنْ نَحْوِهَا لَا أُجِيبُهَا
عَلَى أَنَّنِى لَا شَامِتٌ إِنْ أَصَابَهَا
بَلَاءٌ ، وَلَا رَاضٍ بِوَاشٍ يَعِيبُهَا

وَلَهُ أَشْيَاءُ حَسَنَةٌ ، وَكَانَ مَجْمُوعَ الْفَضَائِلِ .

بعض الظرفاء من أبيات كتبها على حصن أبى جعفر المنصور :

انى بليت بظبى — من الظباء رشيق
رأيتــه يتثنى — بقرب دار الرفيق
فقلت: مولاى زرنى — فقـد شرقت بريق
فقال لى : رمت أمرا — أعلى من العيوق

(١) أصول الدين وأصول الفقه (٢) منها :

لله أخلاق مطبوع على كرم — ومن به شرف العلياء والـكرم
أغر أبلج يسمو عن مساجلة — اذا تذوكرت الأخلاق والشيم
سمت علاك رسول الله فارتفعت — عن أن يشير الى اثباتها كرم
يامن رأى الملأ الأعلى فراعهم — وعادوهو على الـكونين يحتـكم
يامن له دانت الدنيا وزخرفت الا — أخرى ومن بعلاه يفخر النسم
يامن أعاد جمال الحق متضحا — من بعد أن ظوهرت بالباطل الظلم
ومن تواضع جبريل الأمين له — ودون حق نهاه هـذه القسم
علوت عن كل مدح يستفيض فما الا — جلال الا الذى تنحوه والعظم
عـلى علاك سـلام الله متصلا — ماطاب باسمك فى هذا الوجود فم

***

الحسن بن علي ابن موسى الرضا

« أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى ٱلرِّضَا بْنِ جَعْفَرٍ ٱلصَّادِقِ بْنِ مُحَمَّدٍ ٱلْبَاقِرِ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ ٱلْعَابِدِينَ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ -
أَحَدُ ٱلْأَئِمَّةِ ٱلِاثْنَيْ عَشَرَ عَلَى ٱعْتِقَادِ ٱلْإِمَامِيَّةِ ، وَهُوَ وَالِدُ ٱلْمُنْتَظَرِ صَاحِبِ ٱلسِّرْدَابِ (١) ، وَيُعْرَفُ بِالْعَسْكَرِيِّ ، وَأَبُوهُ عَلِيٌّ يُعْرَفُ أَيْضًا بِهَذِهِ ٱلنِّسْبَةِ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ وَذِكْرُ بَقِيَّةِ ٱلْأَئِمَّةِ - إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى - . وَكَانَتْ وِلَادَةُ ٱلْحَسَنِ ٱلْمَذْكُورِ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ فِي بَعْضِ شُهُورِ سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ - وَقِيلَ سَادِسَ شَهْرِ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ

وله :

ياخاتم الأنبياء قاطبة	أتاك لفظ الثناء يستبق
كنت نبيا وطين آدم مجـ	بول وتلك الأنوار تأتلق
وعدت فينا تهدى الى سبل الـ	حق فقد أوضحت بك الطرق
فارق عليك السلام مرقبة	مصبحها فى العلاء يغتبق
واشفع لمن عاد فى ولائك مشـ	فوع القوافى تتلى فتستبق
ومسك ألفاظه التى انتظمت	بطيب علياك فى الورى عبق
تضوع من مجدك الأثيل اذا اسـ	تفيض ذكرى طيب فينتشق

(١) هو الامام أبو القاسم محمد المهدى بن الحسن العسكرى بن على الهادى ابن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق «رضى الله عنهم أجمعين» السيد العلوى الحسينى الملقب بالخلف ، و بالحجة ، و بالمهدى

وَقِيلَ ٱلآخِرِ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَثَلاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ـ وَتُوُفِّىَ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ـ وَقِيلَ ٱلْأَرْبِعَاءِ ـ لِثَمَانِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ ـ وَقِيلَ جُمَادَى ٱلْأُولَى ـ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ بِسُرَّ مَنْ رَأَى ، وَدُفِنَ بِجَنْبِ قَبْرِ أَبِيهِ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ .

وَٱلْعَسْكَرِىُّ ـ بِفَتْحِ ٱلْعَيْنِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ ٱلسِّينِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ ٱلْكَافِ وَبَعْدَهَا رَاءٌ ـ هَذِهِ ٱلنِّسْبَةُ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى ـ وَلَمَّا بَنَاهَا ٱلْمُعْتَصِمُ وَٱنْتَقَلَ إِلَيْهَا بِعَسْكَرِهِ قِيلَ لَهَا ٱلْعَسْكَرُ ، وَإِنَّمَا نُسِبَ ٱلْحَسَنُ ٱلْمَذْكُورُ إِلَيْهَا لِأَنَّ ٱلْمُتَوَكِّلَ أَشْخَصَ أَبَاهُ عَلِيًّا إِلَيْهَا (١) وَأَقَامَ بِهَا عِشْرِينَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، فَنُسِبَ هُوَ وَوَلَدُهُ هَذَا إِلَيْهَا .

وبالمنتظر ، و بصاحب الزمان ـ رضى الله عنه ـ وهو خاتمة الاثنى عشر اماما رضوان الله عليهم. و يقول السادة الامامية انه أتى السرداب بسامرا فاختفى وهم ينتظرونه الى الآن ، وكان عمره لما اختفى نحو تسع سنين ، وذلك فى سنة ٢٦٥ وستأتى ترجمته فى حرف الميم، وهناك نوسع الحديث عنه عليه السلام . « أحمد يوسف نجاتى » (١) يأتى بسط القول فى ذلك فى ترجمته رضى الله عنه « أحمد يوسف نجاتى »

***

الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس

« أَبُو عَلِيّ ٱلْحَسَنُ بْنُ هَانِئِ بْنِ عَبْدِ ٱلْأَوَّلِ بْنِ ٱلصَّبَّاحِ ٱلْمَعْرُوفُ بِأَبِي نُوَاسٍ ٱلْحَكَمِيُّ ٱلشَّاعِرُ ٱلْمَشْهُورُ »

كَانَ جَدُّهُ مَوْلَى ٱلْجَرَّاحِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْحَكَمِيِّ وَالِي خُرَاسَانَ (١) ، وَنِسْبَتُهُ إِلَيْهِ . ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ

(١) كان الجراح بن عبد الله الحكمي خليفة للحجاج بن يوسف « الذي كان يلي أمور العراق والمشرق كله » على البصرة من سنة ٨٧ وتوفى الحجاج سنة ٩٥ والجراح نائبه على البصرة، فولى الوليد بن عبد الملك يزيد بن أبي كبشة على الحرب والصلاة بالمصرين الكوفة والبصرة، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم، وقيل ان الحجاج كان استخلف حين حضرته الوفاة على حرب البلدين والصلاة بأهلهما يزيد بن أبي كبشة وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم، فأقرهما الوليد بعد موت الحجاج على ما كان الحجاج استخلفهما عليه « وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم، أقرهم بعده على أعمالهم التي كانوا عليها في حياته » ، وفي أوائل سنة ٩٩ كان الجراح واليا على خراسان في خلافة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، ولكنه عزله عنها وولاها عبد الرحمن بن نعيم القشيري سنة ١٠٠ فكانت ولاية الجراح بخراسان سنة وخمسة أشهر اذ قدمها سنة ٩٩ وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة ١٠٠ وكان عمر بن عبد العزيز قد بلغه عن الجراح أنه جاف ذو عصبية، وأنه كان سيفا من سيوف الحجاج ذا قسوة وشدة، فكتب اليه يستقدمه من خراسان ، فخطب الجراح فقال : يا أهل خراسان، جئتكم في ثيابي هذه التي على ، وعلى فرسي، لم أصب من مالكم شيئا — ولم يكن عنده الا فرس وبغلة قد شاب وجههما — ثم خرج في شهر رمضان ، واستخلف على خراسان عبد الرحمن بن نعيم الغامدي كما

أمره أمير المؤمنين ، فلماقدم عليه قال له عمر : متى خرجت؟ قال فى شهر رمضان، قال : صدق من وصفك بالجفاء، هلا أقمت حتى تفطر ثم تخرج؟

وكان الجراح لماقدم خراسان كتب الى سيدنا عمر : انى قدمت خراسان فوجدت قوما قد أبطرتهم الفتنة ، فهم ينزون عليها نزوا ،أحب الأمور اليهم أن تعود ليمنعوا حق الله عليهم ، فليس يكفهم الا السيف والسوط وكرهت الاقدام على ذلك الا بأذنك، فكتب اليه عمر : يابن أم الجراح أنت أحرص على الفتنة منهم، لاتضربن مؤمنا ولا معاهدا سوطا الا فى حق واحذر القصاص، فانك صائر الى من يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور وتقرأ كتابا لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها . وفى سنة ١٠٢ كانت بين مسلمة بن عبد الملك ومعه الوليد بن عبد الملك فى أهل الشام وبنى أمية وقائع حامية مع يزيد بن المهلب بن أبى صفرة وقومه ومن معهم من أهل البصرة، فدارت الدائرة بعد معارك دامية على يزيد بن المهلب وأهل البصرة، وقتل يزيد مع جماعة من قومه، وأسر منهم ومن أهل الشام عدد كثير، أبادهم سيف مسلمة بن عبد الملك بأمر الخليفة أخيه يزيد بن عبد الملك، وأقسم مسيلمة ليبيعن ذريات الأسرى من بنى المهلب، فقال الجراح ابن عبدالله الحكمى: فأنا أشتريهم منك لأبر يمينك، فاشتراهم بمائة ألف قال: هاتها، قال: اذا شئت فخذها، فلم يأخذ منه شيئا ، وخلى سبيلهم ، وفى سنتى ١٠٤ ، ١٠٥ فى خلافة يزيد بن عبد الملك أيضا غزا الجراح وهو أمير على أرمينية وأذربيجان أرض الترك، فهزمهم وفتح بعض بلادهم وأصاب غنائم كثيرة ، وكان الجراح فى سنة ١١١ واليا على أرمينية فى خلافة هشام بن عبد الملك أيضا . وفى سنة ١١٢ ثار الترك يريدون الأخذ بثارهم، فزحف عليهم الجراح فيمن معه من أهل الشام وأذربيجان ولكن لم يتتام اليه جيشه، ثم جن عليه الليل، فانسل عنه الناس تحت ستار الظلام الى مدائن لهم بأذربيجان، وأصبح الجراح فى قلة، فاستشهد هو ومن كان معه، وغلبت الخزر على أذربيجان، و بلغت خيولهم الى الموصل، وكان البأس على المسلمين شديدا والبلاء عظيما بقتل الأمير الجراح رحمه الله.

أُلْجَرَّاحِ [١] فِي كِتَابِ ٱلْوَرَقَةِ أَنَّ أَبَا نُوَاسٍ وُلِدَ بِالْبَصْرَةِ ، وَنَشَأَ بِهَا ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى ٱلْكُوفَةِ مَعَ وَالِبَةَ بْنِ ٱلْحُبَابِ [٢] ثُمَّ صَارَ إِلَى بَغْدَادَ . وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّهُ وُلِدَ بِالأَهْوَازِ ، وَنُقِلَ مِنْهَا وَعُمْرُهُ سَنَتَانِ ، وَأُمُّهُ أَهْوَازِيَّةٌ اُسْمُهَا جُلْبَانُ ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ جُنْدِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ آخِرِ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَكَانَ مِنْ

فحزنوا عليه حزنا شديدا - وكان قد استخلف على أرمينية أخاه الحجاج ابن عبد الله الحكمى - وكان الجراح مع شجاعته وحسن سياسته من قراء أهل الشام، وكان يقول: تركت الذنوب أربعين سنة ثم أدركني الورع وكان اذا مر بجامع دمشق يميل رأسه عن القناديل لطول قامته وتمام خلقه، رحمه الله تعالى وعفا عنه . « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو أبو عبد الله محمد بن داود الكاتب الأخبارى، وزر لابن المعتز، وقتل فى فتنته سنة ٢٧٦ وكان فاضلا أديبا بليغا، أوحد زمانه فى معرفة أيام الناس وأخبار الخلفاء والوزراء، وهو عم الوزير على بن عيسى بن داود ، وله مصنفات ممتعة فى الأدب والتاريخ . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هو من بنى نصر ابن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وهو كوفى وكان من الفتيان الخلعاء المجان، وله شعر فى الغزل والشراب واللهو والمجون ونحو ذلك ، وقدم والبة بغداد بأخرة، وجرى بينه وبين أبى العتاهية مهاجاة، حتى خرج عن بغداد فرارا من أبى العتاهية الى الكوفة ، وكان أبو نواس يقول: سبقنى والبة الى بيتين من الشعر قالهما وددت أنى كنت سبقته اليهما وأن بعض أعضائى اختلج منى :

وليس فتى الفتيان من راح أوغدا ... لشرب صبوح أو لشرب غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح أوغدا ... لضر عدو أو لنفع صديق

ولما مات والبة رثاه أبو نواس وحزن عليه « أحمد يوسف نجاتى »

أَهْلِ دِمَشْقَ، وَانْتَقَلَ إِلَى الْأَهْوَازِ لِلرِّبَاطِ[١] فَتَزَوَّجَ جُلَّبَانَ وَأَوْلَدَهَا عِدَّةَ أَوْلَادٍ؛ مِنْهُمْ أَبُو نُوَاسٍ وَأَبُو مُعَاذٍ[٢]، فَأَمَّا أَبُو نُوَاسٍ فَأَسْلَمَتْهُ أُمُّهُ إِلَى بَعْضِ الْعَطَّارِينَ، فَرَآهُ أَبُو أُسَامَةَ وَالِبَةُ بْنُ الْحُبَابِ فَاسْتَحْلَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَى فِيكَ مَخَايِلَ[٣] أَرَى أَنْ لَا تُضَيِّعَهَا، وَسَتَقُولُ الشِّعْرَ، فَاصْحَبْنِي أُخَرِّجْكَ، فَقَالَ لَهُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَالِبَةُ بْنُ الْحُبَابِ فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا وَاللهِ فِي طَلَبِكَ، وَلَقَدْ أَرَدْتُ الْخُرُوجَ إِلَى الْكُوفَةِ بِسَبَبِكَ، لِآخُذَ عَنْكَ، وَأَسْمَعَ مِنْكَ شِعْرَكَ، فَصَارَ أَبُو نُوَاسٍ مَعَهُ، فَقَدِمَ بِهِ بَغْدَادَ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا قَالَهُ مِنَ الشِّعْرِ وَهُوَ صَبِيٌّ:

حَامِلُ الْهَوَى تَعِبُ   يَسْتَخِفُّهُ[٤] الطَّرَبُ

---

(١) الرباط والمرابطة: الاقامة بالثغور، وملازمة الحدود بقصد الجهاد والاستعداد لمحاربة الأعداء. ثم كان هانىء والد أبي نواس كاتبا لمسعود الماذرائى على ديوان الخراج (٢) اسم أبي معاذ أحمد، وكان مؤدب أولاد فرج الرخجي من أعيان دولة بني العباس، وكان أبو معاذ عطلا من مذاهب أبي نواس لايحسن شيئا الا أنه يعيش بأنه أخ لأبي نواس — وقيل ان أبا نواس لم يكن له أخ، وأن أباه ليس له خلف غيره حتى مات. « أحمد يوسف نجاتى » (٣) جمع مخيلة أى علامة دالة وأمارة شاهدة.

(٤) يستخفه: أى يحمله على الجهل والخفة، ويستفزه، ويزيله عن صوابه

إنْ بَكَى يَحِقُّ لَهُ   لَيْسَ مَا بِهِ لَعِبُ

تَضْحَكِينَ لَاهِيَةً   وَالْمُحِبُّ يَنْتَحِبُ (١)

تَعْجَبِينَ مِنْ سَقَمِى   صِحَّتِى هِىَ الْعَجَبُ

وَهِىَ أَبْيَاتٌ مَشْهُورَةٌ . وَرُوِىَ أَنَّ الْخَصِيبَ (٢) صَاحِبَ دِيوَانِ الْخَرَاجِ بِمِصْرَ سَأَلَ أَبَا نُوَاسٍ عَنْ نَسَبِهِ ، فَقَالَ : أَغْنَانِى أَدَبِى عَنْ نَسَبِى ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ . وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نُوبَخْتَ (٣) : مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَوْسَعَ عِلْماً مِنْ أَبِى نُوَاسٍ وَلَا

---

(١) الانتحاب والنحيب البكاء الشديد بصوت طويل ومد الى غيه

(٢) أبو نصر الخصيب بن عبد الحميد كان صاحب خراج مصر فى عهد الخليفة هرون الرشيد، واليه تنسب مدينة المنية « منية الخصيب » أو منية ابن الخصيب، وقد مدحه أبو نواس بالقصيدة البديعة التى تقدم بعضها فى ترجمة ابن دراج القسطلى (٣) كان آل نو بخت كلهم فضلاء، لهم فكرة صالحة، وخبرة بالنجوم، ومشاركة فى علوم الأوائل ، وكان جدهم نو بخت فارسيا منجما حاذقا فاضلا، اتصل بأبى جعفر المنصور ، وحل لديه منزلة رفيعة، فلما كبرت سنه وضعف حل محله ابنه أبو سهل ، وكان كأبيه فى حذقه ومهارته وخبرته بعلم النجوم وما يتصل بها . وكذلك كان ابنه اسمعيل ابن أبى سهل بن نو بخت ، وكان الفضل بن نو بخت أبو سهل من أئمة المتكلمين مذكورا مشهورا، له مؤلفات مفيدة، وكان فى زمن هرون الرشيد، فأدنى منزلته، وولاه القيام على خزانة كتب الحكمة، وكان ينقل من الفارسية الى العربية مايجده من كتب الحكمة الفارسية، فكان لذلك أثره فى اللغة العربية وعلومها وآدابها . أما أبو سهل اسمعيل بن على بن نو بخت فكان من كبار الشيعة ، وكان أبو الحسن على بن عبد

الله بن وصيف المعروف بالناشيء الأصغر المتوفى سنة ٣٦٦ يقول انه أستاذه أخذ عنه علم الكلام ، فقد كان عالما فاضلا ومتكلما بارعا، وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين. وكان لأبى سهل هذا أخ يكنى أبا جعفر من المتكلمين على مذهبه . ومن بنى نوبخت عبد الله بن سهل بن نوبخت، وكان فى عصر المأمون ذا خبرة بالنجوم وحذق فى صناعته، وكان المأمون يجله و يعرف قدره، مع أنه لم يكن يقدم أحدا الا اذا وثق بعلمه وكفايته،وكان مشهورا بفضله بعد تجربته واختباره. ومنهم أبو محمد الحسن ابن موسى النوبختى ابن أخت أبى سهل بن نوبخت؛ كان فيلسوفا متكلما وكان يجتمع اليه جماعة من النقلة لكتب الفلسفة،مثل أبى عثمان الدمشقى وغيره،وكانت المعتزلة تدعيه، والشيعة تدعيه،ولكنه الى حيز الشيعة ماهو لأن آل نوبخت كانوا معروفين بولاية سيدنا على وولده عليهم السلام ، وتوفى أبو محمد النوبختى حوالى سنة ٣٠٠ ، ومنهم الحسن بن سهل بن نوبخت كان مشاركا فى هذه العلوم مشتغلا بها . وأبو محمد الحسن بن الحسين النوبختى كان فى آخريات القرن الرابع.هذا وقد كان بنو نوبخت ممن يتقرب اليهم الشعراء بالمدائح لعلمهم وفضلهم وجاههم وجودهم وحسن أثرهم فى نهضة الأدب وترجمة العلوم والمعارف من اللغة الفارسية الى العربية ، وفيهم يقول ابن الرومى فأحسن ماشاء :

أعلم الناس بالنجوم بنو نو بخت علما لم يأتهم بالحساب
بل بأن شاهدوا السماء سموا بترق فى المكرمات الصعاب
مبلغا لم يكن ليبلغه الطا لب الا بتلكم الأسباب

وقد عاد الى تلك المبالغة العذبة البليغة فقال فى موضع آخر :

يا آل نوبخت لاعدمتكم ولا تبدلت بعدكم بدلا
ان صح علم النجوم كان لكم حقا اذا ماسواكم انتحلا
كم عالم فيكم ، وليس بأن قا س ، ولكن بأن رقى فعلا

فَمَا وَجَدْنَا لَهُ إِلَّا قِمَطْرًا فِيهِ جُزَازٌ(١) مُشْتَمِلٌ عَلَى غَرِيبٍ وَنَحْوٍ لَا غَيْرُ. وَهُوَ فِي الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنَ الْمُوَلَّدِينَ، وَشِعْرُهُ عَشَرَةُ أَنْوَاعٍ، وَهُوَ مُجِيدٌ فِي الْعَشَرَةِ. وَقَدِ اعْتَنَى بِجَمْعِ شِعْرِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ: مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصُّولِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ(٢) حَمْزَةَ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِتُوزُونَ(٣)، فَلِهَذَا يُوجَدُ دِيوَانُهُ مُخْتَلِفًا(٤). وَمَعَ

أعلاكم فى السماء مجدكم فلستم تجهلون ماجهلا
شافهتم البدر بالسؤال عن الأمـ ـر الى أن بلغتم زحلا

وقد امتاز الفرس منذ العصر العباسى بعلم النجوم، وبرعوا فيه، وعنوا بالرصد وماينبئ عنه من اشارات النجوم والكواكب أعظم عناية، ووجدوا من خلفاء بنى العباس — وخاصة المنصور — اقبالا عليهم وثقة بهم، وكذلك من الوزراء وعظماء الدولة ولا سيما البرامكة، وكان أبو جعفر المنصور يقرب المنجمين ويعنى بمباحثهم «وقدم عليهم نوبخت وابنه» ويستعين بهم فى كثير من أموره. ولهذا الموضع مجال واسع فى كتابنا الجامع فى الأدب «أحمد يوسف نجاتى» (١) القمطر مايصان فيه الكتب، وأصله ماكان شبه سفط يصنع من القصب، ويطلق على كل ماحفظت فيه الكتب، والجزاز القطع تجز أى تفصل وتقطع من الجلد أو غيره (٢) الذى فى ديوانه أنه حمزة بن الحسن الأصفهانى — وكان يروى عن ابن الأعرابى المتوفى سنة ٣٢٠ «أحمد يوسف نجاتى» (٣) الملقب «توزون» هو: محمد بن ابراهيم الطبرى صاحب أبى عمر الزاهد المتوفى سنة ٣٤٥ «أحمد يوسف نجاتى» (٤) زاد فى النسخة الخطية بعد قوله «فلهذا يوجد ديوانه مختلفا» مايأتى: وكان أبو نواس قوى البديهة والارتجال، روى أن الخصيب قال له مرة وهو بالمسجد الجامع: أنت غير مدافع فى الشعر، ولكنك لاتخطب، فقام من فوره فقال مرتجلا:

منحتكم يا أهل مصر نصيحتي ألا فخذوا من ناصح بنصيب (١)

رماكم أمير المؤمنين بحية أكول لحيات البلاد شروب

وان يك باقى افك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

ثم التفت اليه وقال : والله لا يأتى بمثلها خطيب مصقع ، فكيف رأيت ؟ فاعتذر إليه ، وحلف : ما كنت الا مازحا . وكان أبو عبيدة (٢) يحب أبا نواس ويقدمه لظرفه وأدبه ، وكان أبو نواس يتعلم من أبى عبيدة ويصفه ، ويشنأ (٣) الأصمعى ويهجوه ، فقيل له : ماتقول فى الأصمعى؟ قال : بلبل فى قفص ، قيل : فما تقول فى خلف الأحمر؟(٤) فقال : جمع علم الناس وفهمه ، قيل : فما تقول فى أبى عبيدة؟ فقال : ذاك أديم طوى على علم (٥) . وكان بمصر رجل يعرف بالحسن بن عمر الأجهرى يقول الشعر الضعيف ، وكان ناقص العقل ، فقيل له : إن أردت أن يعلو شأنك فى الشعر فاهج أبا نواس ، فأتاه وهو جالس فى المسجد والناس حوله فأنشد :

---

(١) بعده :

ولا تثبوا وثب السفاة فتحملوا على حد حامى الظهر غير ركوب

السفاة «بالضم الحية» ويروى «السفاه» ويريد بحامى الظهر الخ السيف ، وكان أهل مصر قد شنعوا على الخصيب لزيادة فى أسعارهم «أحمد يوسف نجاتى» (٢) معمر بن المثنى ، وستأتى ترجمته وترجمة الأصمعى (٣) يكره ويبغض (٤) خلف الأحمر البصرى أبو محرز بن حيان مولى بلال بن أبى بردة كان راوية علامة يسلك مسلك الأصمعى وطريقه حتى قيل هو معلم الأصمعى ، وهو والأصمعى فتقا المعانى ، وأوضحا المذاهب ، وبينا المعالم ، وكان الأخفش يقول انه لم يدرك أحدا أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعى . وقال أبو الطيب : كان خلف يصنع الشعر وينسبه الى العرب فلا يعرف ، ثم نسك ، وكان يختم القرآن كل ليلة ، وله ديوان شعر حمله عنه أبو نواس ، وتوفى نحو سنة ١٨٠ «أحمد يوسف نجاتى» (٥) كان أبو عبيدة يفضل أبا نواس على شعراء عصره ، وفيه يقول : ذهبت اليمن بجد الشعر وهزله : امرؤ القيس بجده ، وأبو نواس بهزله ، وقال : أبو نواس فى المحدثين

ألا قل للنواسى الضـ ضعيف الحال والقـدر
خبرنا منك أحوالا فلم نحمدك فى الخير
وما إن رعت بالمنظـ ـر لكن رعت بالكفر

قال : وكان هذا الشاعر من أوحش الناس صورة ، فنظر إليه أبو نواس وقال : بم أهجوك ؟ ! و بأى شىء أصفك ؟ ! وقد سبقنى الله تعالى الى توحيش منظرك ، وتقبيح مخبرك ، وهل أكون إن قلت شيئا إلا سارقا من ربى ومتكلفا ماقد كفانى ؟ ! فقال له بعض من معه : رد عليه على أى حال لايقول إنه أفحمك ، فقال فى وزن شعره :

بما أهجوك لاأدرى لسانى فيك لايجرى
إذا فكرت فى هجويـ ـك أبقيت على شعرى

قال : فقاموا إلى أبى نواس فقبلوا رأسه وصفعوا الأجهرى . حدث الصولى عن عبيد الله بن محمد بن حفص (١) قال : غلست يوما الى المسجد ، فاذا أنا بأبى نواس يكلم امرأة عند باب المسجد ـ وكنت أعرفه فى مجالس الحديث والآداب ـ فقلت له : مثلك يقف هذا الموقف فينال منه الناس بحق أو باطل ؟ فاعتذر ، ثم كتب إلى فى ذلك اليوم هذه الأبيات :

إن التى أبصرتها سحرا تكلمنى رسول
ليست هى القصد الذى يومى اليه ولا السبيل
أدت إلى رسالة كادت لها نفسى تسيل
من واضح الخدين يجـ ـذب خصره ردف ثقيل

مثل امرىء القيس فى المتقدمين ، فتح لهم هذه الفطن ، ودلهم على المعانى وأرشدهم الى طريق الآداب والتصرف فى فنونها « أحمد يوسف نجاتى »

(١) عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبد الله بن معمر التيمى الأخبارى أبو عبد الرحمن البصرى ابن عائشة ، و يقال له العيشى نسبة « غير قياسية » الى أمه عائشة بنت طلحة ، كان أحد الفصحاء الأجواد الأشراف ، عالما بالعربية وأيام الناس ، راو يا للحديث ، توفى سنة ٢٢٨ وكان يقول : من طلب الأدب فلم يرو شعر أبى نواس فليس بتام الأدب « أحمد يوسف نجاتى »

متنكب قوس الصبى يرمى وليس له زميل
لو أن أذنك بيننا حتى لتسمع ما نقول
لرأيت مااستقبحت من أمرى لديك هو الجميل
وعلمت أنى فى نعيـ ـم لايحول ولا يزول

حدث الصولى عن أبى نواس قال : حججت مع الفضل بن الربيع (١) حتى اذا كنا بأرض بنى فزارة فى أوان أيام الربيع نزلنا منزلا بازاء ماء لبنى تميم ذا روض أريض (٢) و نبت غريض (٣) تخضع لبهجته الزرابى (٤) المبثوثة، والنمارق (٥) المصفوفة، فقرت بنضرته العيون، وارتاحت الى حسنه القلوب، وانفرجت لبهائه الصدور ، فلم نلبث أن أقبلت السماء

---

(١) ستأتى ترجمته (٢) أرضت الأرض « ككرم » أراضة أى زكت فهى أريضة وأرضة أى زكية كريمة مخيلة للنبت والخير ،ترب الثرى وتمرح بالنبات ، لينة الموطىء طيبة المقعد، والأريضة أيضا الحسنة المعجبة للعين ذات الخصب والنماء (٣) أى غض ناضر (٤) الزرابى البسط، أو كل مابسط واتكىء عليه، والطنافس لها خمل رقيق واحده زربية ، والزرابى من النبت ماصفر أو احمر وفيه خضرة ، فلما رأوا الألوان فى البسط والفرش شبهوها بزرابى النبت، وكذلك العبقرى من الثياب والفرش ، وبث الشىء اذا نشره، وفرقه ونثره، و بث المتاع بنواحى البيت اذا بسطه وهو المراد هنا ، أو مبثوثة بمعنى كثيرة (٥) النمرقة « مثلثة النون » والأكثر ضمها فكسرها ـ الوسادة الصغيرة أو الميثرة ـ وهى ماافترشه الراكب تحته على الرحل كالمرفقة، أو هى الطنفسة فوق الرحل ،قال محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى :

اذا مابساط اللهو مدوقربت للذاته أنماطه ونمارقه

وفى حديث هند :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق

فانشق غمامها ، وتدانى من الأرض ركامها (١) حتى اذا كانت كما قال أوس بن حجر :

دان مسف فوق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح (٢)

همت برذاذ ، ثم بطش ، ثم برش ، ثم بوابل (٣) ثم أقلعت وقد غادرت الغدران مترعة تتدفق ، والقيعان (٤) تتألق ، فى رياض مونقة ، ونوافح من ريحها عبقة فسرحت طرفى راتعا (٥) منها فى أحسن منظر ، واستنشقت من رياها أطيب من المسك الأذفر (٦) ثم قلت لزميلى : ويحك ! امض بنا الى هذه الخيام فعلنا نجد عندها من نأثر (٧) عنه خبرا نرجع به الى بغداد ، فلما انتهينا الى أوائلها اذا نحن بخباء على بابه جارية مشرقة مبرقعة ترنو (٨) بطرف مريض الجفون ، وسنان النظر ، قد حشى فتورا ، وملئ سحرا

---

(١) أى سحابها المتراكم ، ومنه قوله تعالى : ثم يجعله ركاما (٢) أوس ابن حجر شاعر فحل جاهلى ، وهو يصف السحاب من قصيدة له جيدة : والمسف الذى قرب من الأرض وتدلى اليها « وأسف الطائر كذلك اذا دنا من الأرض » وهيد به ذيله ، وهو أن تراه يتسلسل فى وجهه الودق كأنه خيوط — ويروى الشعر أيضا لعبيد بن الأبرص يصف سحابا كثير المطر ، والراح جمع راحة وهى اليد « أحمد يوسف نجاتى » (٣) أسماء للمطر مرتبة من الأقل الى الأكثر ، وأقلعت السحابة ذهبت وأمسكت عن المطر ، والمترع : المملوء (٤) جمع قاع ، يريد الأرض الواسعة المنبسطة والأماكن المطمئنة ، والمونقة الحسنة المعجبة ، تروق النفس ، وتقر العين وتشرح الصدر ، والنوافح جمع نافحة وهى الرياح أو الأزهار تفوح رائحتها الذكية ، وعبقت اذا لزمت الأرج ودامت رائحتها متضوعة (٥) شبه طرفه بدابة ترعى بنظره فى محاسن هذه الطبيعة الفاتنة ، ومناظرها البديعة الساحرة (٦) أى المتضوع الرائحة المتأرج الذكاء المنتشر الطيب والعرف ، والريا الرائحة الطيبة (٧) ننقل ونروى (٨) أى تنظر وتديم اللمح

وقد مدت يدا كأنها لسان طائر ، بأطراف كالمدارى ، وخضاب كأنه عنم (١) ثم جاءت الريح فرفعت عن برقعها ، فاذا بيضة نعام (٢) تحت أم رئال (٣) فقلت لصاحبى : أما والله إنها لترنو عن مقلة لا رقية لسليمها (٤) ولا برء لسقيمها ، فاستنطقها . فقال : كيف السبيل الى ذلك ؟! قلت : استسقها ، فدنا منها فاستسقاها ، فقالت : نعم ، ونعم عين (٥) فان نزلتما فعلى الرحب

---

(١) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب

(٢) تشبه المرأة ببيضة النعام فى الصون والستر والحصانة « لأن الطائر يصون بيضه ويحضنه » وفى الصحة والسلامة عن الطمث ، ومنه قول الفرزدق

خرجن الى لم يطمثن قبلى   وهن أصح من بيض النعام

وفى صفاء اللون ونقائه — لأن البيض يكون صافى اللون نقيه اذا كان تحت الطائر — وربما شبهت النساء ببيض النعام وأريد أنهن بيض تشوب ألوانهن صفرة يسيرة ، وكذلك لون بيض النعام ، ومنه قول ذى الرمة :

بيضاء فى دعج ، كحلاء فى برج   كأنها فضة قد مسها ذهب

« البرج نجل العينين أى سعتها ، وتباعد ما بين الحاجبين ، وأن يكون بياض العين محدقا بالسواد كله » وقال امرؤ القيس :

كبكر المقاناة البياض بصفرة   غذاها نمير الماء غير محلل

البكر أول بيضة للنعامة ، والمقاناة : الشوب ، والمزج والخلط . والبياض الذى شابته صفرة يسيرة كان أحسن ألوان النساء عند العرب — ولا تكاد العرب تشبه ببيض النعام الا الأبكار ، قال امرؤ القيس :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها   تمتعت من لهو بها غير معجل

وقال مهلهل :

وتجول بيضاء الخدود حواسرا   يمسحن فضل ذوائب الأيتام

والصفرة اليسيرة بالعشى تدل على رقة لونها ، وصفاء بشرتها ونقائها ، كأنما انعكس لون الأصيل ، فى مرآة جسمها الصقيل . « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) الرأل ولد النعام ، وجمعه رئال ورئلان (٤) يريد لديغها ، وهم يسمونه سليما تفاؤلا (٥) يقولون : نعم عين ، ونعمة عين ، ونعمى عين : اى أفعل ذلك انعاما لعينك واكراما لك . « أحمد يوسف نجاتى »

والسعة ، ثم قامت تتهادى فى مشيتها كأنها خوط (١) بان ، أو قضيب خيزران تتثنى فتجر خلفها كالغرارتين (٢) فراعنى والله ما رأيت منها ، فأتت بالماء فأخذته فشربت منه ، وصببت باقيه على يدى ، ثم قلت : وصاحبى أيضا عطشان ، فأخذت الأناء ودخلت الخباء ، فقلت لصاحبى — معرضا لكشف وجهها — : من الذى يقول :

إذا بارك الله فى ملبس فلا بارك الله فى البرقع
يريك عيون الدمى غرة ويكشف عن منظر أشنع

فمضت مسرعة ، فنزعت البرقع ، وتقنعت بخمار أسود ، وأتت وهى تقول :

ألا حى ركبى معشر قد أراهما أطالا ولما يعرفا مبتغاهما
هما استسقيا ماء على غير ظمأة ليستمتعا باللحظ ممن سقاهما
يذمان تلباس البراقع ضلة كما ذم تجرا ساعة مشتراهما

فشبهت كلامها بعقد در وهى سلكه فهو ينتثر ، بنغمة عذبة رقيقة رخيمة رطبة ، لو خوطب بها الصم الصلاب لانبجست (٣) ماء ، لرطوبة منطقها ، وعذوبة ألفاظها ، كما قال ذو الرمة :

ولما تلاقينا جرت من عيوننا دموع كففنا غربها بالأصابع
ونلنا سقاطا من حديث كأنه جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع (٤)

مع وجه يظلم فى نوره ضياء العقول ، وتتلف فى روعته مهج النفوس وتخف فى محاسنه رزانة الحليم ، وتعزب (٥) عن إدراكه أصالة الرأى ويحار فى بهائه طرف البصير ، كما قال الشاعر :

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت فلو جن إنسان من الحسن جنت (٦)

---

(١) غصن وفرع (٢) يريد ردفيها (٣) انبجس : تفجر (٤) الوقائع جمع وقيعة : وهى نقرة فى متن حجر فى جبل أو سهل يستنقع فيها الماء فيكون أصفى وأعذب وأنقى وأسوغ « أحمد يوسف نجاتى » (٥) يغيب (٦) يريد دق من أعضائها ما يحسن أن يدق ، وجل منه ما ترى الجمال فى أن يكون جليلا ، واسبكرت أى امتدت وطالت فى اعتدال ، واسبكر الشباب طال ومضى على وجهه ، وكل شىء امتد وطال فهو مسبكر مثل الشعر ونحوه اذا

ولم أتمالك أن خررت ساجدا وأطلت من غير تسبيح ، فقالت: ارفع رأسك غير مأجور ،وامض لشأنك غير موزور ، ولا تذم بعدها برقعا،فقد ينكشف بعدها عما يطرد الكرى، ويحل القوى، ويطيل الجوى، من غير بلوغ أرب ،ولا إدراك مطلب، ولاقضاء وطر ،وليس إلا للحين (١) المجلوب والقدر المكتوب، والأمل المكذوب. فبقيت والله معقول (٢) اللسان عن الجواب، حيران لاأهتدى لطريق الصواب، فالتفت الى صاحبى وقال لما رأى هلعى كالمسلى لى عما أذهلنى: ماهذا الجهد وتلك الخفة لوجه برقت لك منه بارقة حسن لعلك لاتدرى ماتحته (٣) ؟ أما سمعت قول ذى الرمة :

استرسل ، واسبكرت الجارية: اعتدلت واستقامت، والمسبكر : الشاب التام المعتدل، وقال امرؤ القيس:

الى مثلها يرنو الحليم صبابة ... اذا مااسبكرت بين درع ومجوب

وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

زادت على البيض الحسا ... ن بحسنها ونقائها
لما اسبكرت للشبا ... ب وقنعت بردائها
لم تلتفت للداتها ... ومضت على غلوائها

« أى مضت على أول شبابها وسرعته » والبيت من أبيات للشنفرى « جاهلى » وفى معناه قول عروة بن أذينه من أبيات مشهورة :

بيضاء باكرها النعيم فصاغها ... بلباقة فأدقها وأجلها

« دق منها مثل حاجبيها وأنفها وخصرها ،وجل مثل عضديها وساقيها . ويروى : بلباقة بدل « بليانه » « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) الهلاك والأجل (٢) مربوطا معقودا عن النطق (٣) هذا مثل قول ابن حزم :

وذى عذل فيمن سبانى حسنه ... يطيل ملامى فى الهوى ويقول
أفى حسن وجه لاح لم تر غيره ... ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل؟!
فقلت له : أسرفت فى اللوم جائرا ... وعندى رد لو أردت طويل
ألم تر أنى ظاهرى ، وأننى ... على مابدا حتى يقوم دليل؟!

على وجه مى مسحة من ملاحة　　وتحت الثياب الخزى لو كان باديا

فقالت: أما ماذهبت اليه فكلا — لاأبالك — والله لأنا أشبه بقول الشاعر:

منعمة حوراء يجرى وشاحها　　على كشح مرتج الروادف أهضم (١)

لها بشر صاف، وعين مريضة　　وأحسن إيماء بأحسن معصم

وكوفية فى الحسن، قد تم حسنها　　ورامية فى اللون ظاهرة الدم (٢)

خزاعية الأطراف، مرية الحشا　　فزارية العينين، طائية الفم (٣)

ثم رفعت ثيابها حتى بلغت بها نحرها، وتجاوزت منكبيها، فاذا قضيب فضة قد أشرب ماء الذهب، يهتز على مثل كثيب (٤) نقا، وصدر كالوذيلة (٥)

وقد كان ابن حزم ظاهرى المذهب على ماهو معروف «أحمد يوسف نجاتى»

(١) الكشح الخاصرة، وجريان الوشاح كناية عن دقة الخصر، وهو معنى الهضم (٢) يريد جمعت من الحسن ماتفرق، وأخذت من كل أمة أحسن مافى نسائها وأجمل، ومن كل قبيلة أملح ماتمتاز به غاداتها «أحمد يوسف نجاتى» (٣) كالبيت السابق مع مراعاة معنى الأصل الذى اشتقت منه أسماء هذه القبائل، ففى «خزاعة معنى التفرق» وفى «فزارة معنى السعة والشق، والجارية الفزراء الممتلئة لحما وشحما، والفازر: الطريق البين الواسع» وقد يكون فى شىء من ذلك تكلف، وهو كذلك، فانى أشك فى هذه الحكاية وأظنها مخترعة، وقد يكون لها أصل بولغ فيه، وزورت حديثه الرواة، ونمقت حكايته القصاص، ولولا مافيه من وصف، وأنه لايخلو من فوائد لغوية أو أدبية ماعنينا بنقله من النسخة الخطية، مع طوله وكثرة ماكان فيه من التحريف والتصحيف والنقص والتشويه، حتى احتاج الى جهد فى رده الى الصواب «أحمد يوسف نجاتى» (٤) النقا: الرمل المتراكم، والكثيب منه المجتمع الأبيض الذى لاينبت شيئا — وسبق ماقيل فى وصف بياض المرأة تشوبه صفرة يسيرة مستملحة تدل على كثرة تطيبها وتعطرها، وعلى صفاء لونها ونقاء بشرتها. وأراد بمثل كثيب النقا عجيزتها ومؤخرتها (٥) الوذيلة: المرآة، قال أبو كبير الهذلى:

وبياض وجهك لم تحل أسراره　　مثل الوذيلة أو كشنف الأنضر

والوذيلة أيضا: القطعة من الفضة المجلوة، والسبيكة منها «أحمد يوسف نجاتى»

عليه كالرمانتين، أو كحق عاج، يملأ كلاهما يد اللامس، وخصر مطوى الاندماج (١) يهتز على كفل رجراج (٢) لورمت عقده لانعقد (٣) وسرة مستديرة، يقصر فهمى عن بلوغ وصفها، من تحتها أجثم جاثم، كجبهة ليث خادر (٤) ونخذان مدملجان (٥) وساقان خدلجتان (٦) تخرسان الحجلين، وقدمان كأنهما لسانان، ثم قالت: أعارا ترى أوشينا لا أبالك؟! قلت: لا والله، ولكن سبب القدر المتاح (٧) ومقربى من الموت الذباح (٨) وتعجيل هم، يتبعه سقم، يطبق على الضريح، ويتركنى جسدا بغير روح فخرجت عجوز من الخباء فقالت: ياهذا امض لشأنك، فان قتيلها مطلول (٩) لا يودى (١٠) وأسيرها مكبول (١١) لا يفدى، فقالت: دعيه فمثله مثل ماقال غيلان (١٢):

---

(١) المدمج المدور المحكم الخلق الملتئم والملتف (٢) مهتز (٣) يصفه باللين والنعومة، كما يصف خصرها بالنحول والدقة (٤) يروى «أرنب» بدل «أجثم» والليث الخادر أى المقيم فى عرينه ملازما خدره — ولعله لاحظ فى تشبيهه بجبهة الليث الخادر أيضا معنى الصيانة والامتناع والحصانة، فهم يقولون: أعز من جبهة الأسد، يصف ماوصفه النابغة الذبيانى من المتجردة فى قوله:

واذا طعنت طعنت أجثم جاثما ... متحيزا بمكانه ملء اليد

وقد يكون هذا الوصف من أمارات وضع الرواية الخيالية، فما كانت تلك الجارية مهما بلغ بها التهتك، وانقادت الى غى الصبا وعبث الشباب لتكشف عما لا يحل كشفه، وتتجرد عن كل جسمها، لا يصدها حياء، ولا تزعها حشمة ولا خجل، حتى يتمكن الواصف من وصف دقائقه «أحمد يوسف نجاتى» (٥) المدملج المدرج الأملس (٦) أى ممتلئتان عظيمتان، وخرس الحجلين كناية عن ربالة الساقين وامتلائهما (٧) المهيأ المجلوب، والمقرب المعجل (٨) يقال أصابه موت زؤام وزؤاف وذباح وذعاف أى عاجل شديد سريع (٩) أطل القتيل اذا أهدر دمه ولم يؤخذ بثاره (١٠) أى لا تدفع له دية (١١) مقيد، والكبل القيد، وفى الأصل «مكبود» وقد كان كثير من كلمات الأصل المخطوط مشوها كذلك «أحمد يوسف نجاتى» (١٢) هو ذو الرمة من قصيدة يقول فيها:

فالا يكن الا تعلل ساعة قليلا فانى نافع لى قليلها

فولت العجوز وهى تقول :

فما لك منها غير أنك ناكح بعينيك عينيها،فهل ذاك نافع ؟!

فنحن كذلك واذا بطبل الرحيل قد ضرب، فانصرفنا مبادرين بكمد قاتل، وكرب خابل، ولوعة شاملة ،وحسرة كاملة، وعبرة هاملة،وأنا أقول :

ياحسرتا ممن يجن فؤادى أزف الرحيل بعبرتى و بعادى

وأقول :

يا ناظرا ماأقلعت لحظـاته حتى تشحط بينهن قتيل(١)

أحللت قلبى من هواك محلة ماحلها المشروب والمأكول

بكمال صورتك التى فى مثلها يتحير التشبيه والتمثيـل

فوق القصيرة، والطويلة فوقها دون السمين،ودونها المهزول

فلما قضينا حجنا وكررنا راجعين مررنا بذلك الموضع؛ وقد تضاعف نواره،وتزايد حسنه،وكملت بهجته،فقلت لصاحبى :امض بنا الى صاحبتنا لعلنا نجدها ، فلما أشرفنا على الخيام—ونحن دونها نسير فى روضة من تلك الرياض وقت الندى،وقد طلعت الغزالة، فألقت شعاعها على ناضر الأزهار و بديع النوار ،فجاء الطل يغازلها كأعين نجل شرقت بدموعها،وقد قامت على قضيب زبرجد ، يتصوب و يتصعد،فهبت الصبا رقيقة عليلة، فصبت لها

خليلى عدا حاجتى من هواكما ومن ذا يداوى النفس الا خليلها؟!

ألما على الدار التى لو وجدتما بها أهلها ماكان وحشا مقيلها

و بعده البيت :وان لم يكن الا معرج ساعة الخ « أحمد يوسف نجاتى »

(١) شحطه فتشحط أى ضرجه بالدم حتى اضطرب فيه ، والأبيات من قطعة له أولها :

ربع الـكرى بين الجفون محيل عفى عليه بكى عليك طويل

والربع المحيل أى العافى الذى مضى عليه حول. والأبيات يقولها فى «جنان» وسيأتى حديث عنها « أحمد يوسف نجاتى » .

الأغصان، فتمايلت تمايل الطرب النشوان، فصعدنا ربوة، ونزلنا وهدة (١) فاذا بها من بين خمس لاتصلح أن تكون خادما لأدناهن، وهن يجنين من نوار ذلك الزهر، ويتقلبن على مااعتم (٢) من عشبه، فلمارأيننا وقفن فقلت: السلام عليكم، فقالت من بينهن: وعليك السلام، ألست صاحبي؟ قلت بلى، قلن: أوتعرفينه؟ قالت: نعم - وقصت عليهن قصتي - فقلن لها: ويحك! ألا رحمته وزودته شيئا يتعلل به من جوى البرحاء؟! (٣) فقالت: نعم، زودته يأسا حاضرا وأيا حائرا، وعللته بموت قاهر، وحدضامر، فابتدرت لها أنضرهن خدا وأرشقهن قدا، وأسحرهن طرفا، وأبرعهن شكلا وظرفا، وقالت: والله ماأحسنت بدءا، ولا أجملت عودا، ولقد أسأت في الرد، ولم تكافئيه على الود، وإني لأحسبه لك وامقا (٤) والى لقائك تائقا، فما عليك لو أسعفته بطلبته؟! وأنصفته في مودته؟ وان المكان لخال، وان معك من لاينم عليك فقالت: أما والله لا أفعل من ذلك شيئا أو تفعليه قبلي، وتشركيني في حلوه ومره، فقالت لها الأخرى: تلك اذا قسمة ضيزى (٥) تعشقين أنت فتضنين بالود وتتيهين، ويذل لك فتمنعين الرفد وتدلين، ثم تأمرينني بما يكون منك شهوة ولذة، وهو مني تطفل وسخرة؟! ماأنصفت في القول ولا أجملت في الفعل، قالت أخرى منهن: قد أطلتن الخطاب في غير أرب فسلن الرجل عن نيته، وقصده وبغيته، فلعله لغير ماأنتن فيه قصد، فأقبلن على فقلن: حياك الله وأنعم بك عينا، ممن تكون؟ وممن أنت؟ والام قصدت؟ فقلت: أما الاسم فالحسن بن هانىء، من اليمن، ثم من سعد العشيرة، وخير شعراء السلطان الأعظم، ومن يدني مجلسه، ويتقي لسانه، ويرهب جانبه وقد قصدت تبريد غلة (٦) وإطفاء لوعة، أحرقت الكبد، وأذابت الجسد واستبطنت الحشا، فمنعت القرار، ووصلت الليل بالنهار، قالت: لقد أضفت الى

---

(١) الربوة المكان العالي، والوهدة المنخفض (٢) طال وكبر ونما نبته
(٣) تعب الهوى وألمه، والجوى الحرقة (٤) شديد الحب. والتوق شدة الشوق
(٥) جائرة غير عادلة من ضازه حقه اذا بخسه وظلمه «أحمد يوسف نجاتي»
(٦) الغلة حرارة العطش وشدة الشوق، واللوعة حرقة الوجد «أحمد يوسف نجاتي»

حسن المنظر، كرم المخبر، وأرجو أن يبلغك الله أمنيتك، وتنال بغيتك، فهل قلت فى ذلك شيئا؟ فقلت: نعم ـ وأنشدتهن :

حججت رجاء الفوز بالأجر قاصدا	لحط ذنوب من ركوب الكبائر
فأبت كما آب الشقى بخفه	حنين (١) ولم أوجر بتلك المشاعر
دهتنى بعينيها وبهجة وجهها	فتاة كضوء الشمس وسنى النواظر
منعمة، لو كان للبدر نورها	لكان منيرا للنجوم الزواهر
من البيض تنميها فزارة للعلا	وأهل المعالى من سليم وعامر
فان نولت نلت الأمانى كلها	وان لم تنلنى زرت أهل المقابر

فأقبلت عليهن فقالت: ما الواحدة منكن غير ملتمسة مرغبة، فتعالين نشترك فيه ونتقارع عليه، فمن واقعتها القرعة منا كانت هى البادئة، فاقترعن فوقعت القرعة على أملحهن، فضر بن ازارى على باب غار، فعدلت اليه وأدخلت فيه، وأبطأن على، وأنا أتشوف (٢) الى دخول واحدة منهن ـ اذ دخل على أسود كأنه سارية، وبيده شىء كأنه هراوة (٣) وهو منعظ بمثل ذراع البكر ورأس الحنيذ (٤) فقلت: ماتريد؟! قال: أفعل بك الفاحشة فخفت وصحت بصاحبى ـ وكان أيدا (٥) ـ فخلصنى منه ولم يكد، فخرجنا من الغار، واذا بهن يتهادين الى الخيام كأنهن لآلىء ينحدرن من سلك، وهن يتضاحكن، ومعهن نياط قلبى يجذبنه بينهن، وقلت لصاحبى : من أين أقبل الأسود؟! قال: كان يرعى غنما الى جانب الغار، فدعونه فوسوسن اليه شيئا فدخل عليك، فقلت: أتراه كان يفعل فى شيئا؟! فقال : أتراك خلصت منه؟ فانصرفت وأنا أخزى من ذات النحيين (٦) قال اسماعيل فقلت له: قد

---

(١) يشير الى المثل المشهور : عاد بخفى حنين . «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) أتطلع (٣) عصا ضخمة (٤) يقال هذا حمل حنيذ أى مشوى حار يقطر ماؤه، أو الذى لم يبالغ فى نضجه «ولعله شبهه بذلك فى اللون مع الضخم وقد يكون فى وجه الشبه شىء أيضا لا يعرفه الا من رآه ـ قبحه الله» (٥) أى قويا من الأيد وهو القدرة والقوة . «أحمد يوسف نجاتى»

(٦) ذات النحيين التى يضرب بها المثل فيقال «أشغل من ذات النحيين»

فعل الأسود! قال: مالك ـ أبعدك الله ـ فوالله لقد كتمت الحديث مخافة هذا التأويل، حتى ضاق به صدرى، فرأيتك موضعاله، فبحقى عليك ان أذعته
قال اسماعيل: فما فهت به حتى مات رحمه الله. وقيل أن أبا نواس حج من بغداد لما بلغه أن جنانا (١) حجت من البصرة وقال:

هى امرأة من تيم الله بن ثعلبة، كانت تبيع السمن فى الجاهلية، فأتاها خوات ابن جبير الأنصارى بسوق عكاظ فلم ير عندها أحدا، فساومها، فحلت نحيا مملوءا «النحى الزق أو ما كان للسمن خاصة» فقال لها أمسكيه حتى أنظر الى غيره، وفعل كذلك بنحى آخر، فلما شغل كلتا يديها ساورها حتى قضى ما أراد منها ـ وهى لا تقدر أن تدفع عن نفسها لحفظها نحييها ـ فلما فرغ منها قالت: لاهناك، ثم هرب وقال فى ذلك:

وذات عيال واثقين بكسبها	خلجت لها جار استها خلجات
شغلت يديها اذ أردت خلاطها	بنحيين من سمن ذوى عجرات
فكانت لها الويلات من ترك سمنها	ورجعتها صفرا بغير بتات
فشدت على النحيين كفى شحيحة	على سمنها والفتك من فعلاتى

فضربت العرب المثل بها فقالت: أشغل وأشح من ذات النحيين، ثم أسلم سيدنا خوات رضى الله عنه، وشهد بدرا، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: مافعل بعيرك؟ أيشرد عليك؟ «وتبسم عليه الصلاة والسلام» فقال رضى الله عنه: أما منذ أسلمت ـ أو منذ قيده الاسلام ـ فلا، وقد رزق الله خيرا، وأعوذ بالله من الحور بعد الكور «أى من العيب والنقص بعد الزيادة والكمال» ـ والاسلام يجب ماقبله ـ وفى ذات النحيين يقول العديل بن الفرخ يهجو رجلا من تيم الله:

تزحزح يابن تيم الله عنا	فما بكر أبوك ولا تميم
لكل قبيلة بدر ونجم	وتيم الله ليس لها نجوم
أناس ربة النحيين منهم	فعدوها اذا عد الصميم

ويقال ان ذات النحيين من هذيل وهى خولة أم بشير بن عائذ.
«أحمد يوسف نجاتى.

(١) كانت جنان جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله

ألم تر أننى أفنيت عمرى   بمطلبهـا ومطلبها عسير ؟!
فلما لم أجـد سببا اليهـا   يقـر بنى وأعيتنى الأمور
حججت وقلت قد حجت جنان   فيجمعنى و إياهـا المسير

حكى الصولى عن اسماعيل بن نصر الذى يقول فيه (١) أبو نواس من قصيدة :

يصلى هذه فى وقت هذى   فـكل صلاته أبدا قضاء
وذاك محمـد تفديه نفسى   وحق له وقل له الفداء

قال: رأيت أبا نواس وقد صلى الظهر وقام يتطوع، فقلت له: مابدالك فى هذا؟! فقال: ليصعدن اليوم الى السماء خبر طريف: وحكى الصولى عن أبى العتاهية قال: لقيت أبا نواس فى المسجد الجامع فعذلته، وقلت له: أما آن لك أن ترعوى؟! أما آن لك أن تزدجر؟! لقد بلغت من السن والعلم مافى دونه يتعظ اللبيب، و يزدجر العاقل الأريب، وأنت تجالس الفتيان، وتلعب مع الغلمان وتصبو صبوة الشبان — فأطرق هنيهة، ثم رفع رأسه الى وقال :

أترانى   ياعتاهى   تاركا تلك الملاهى؟!
أترانى   مفسدا بالذ   نسك عند القوم جاهى

قال فلما ألححت عليه بالعذل أنشأ يقول :

لن ترجع الأنفس عن غيها   مالم يكن منها لهـا زاجر

قال فوددت أنى قلت هذا البيت بكل شىء قلته . قال أبو العتاهية: قد

ابن الحكم بن أبى العاص الثقفى المحدث البصرى « توفى عبد الوهاب سنة ١٩٤ » وكانت جنان حلوة جميلة المنظر بديعة الحسن أديبة ظريفة عاقلة، تروى الأشعار، وتعرف الأخبار، وكانت مقدودة حسنة القوام، و يقال ان أبا نواس لم يصدق فى حب امرأة غيرها؛ فقد شغف بها حبا، وهام بها لباً، وله فيها شعر رائق وغزل ظريف رقيق . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) كذا بالأصل، وأظن فى العبارة حذفا، فالمعروف أن البيتين من قصيدة قالها أبو نواس فى محمد الأمين « كما يدل عليـه ثانى البيتين » ومن الأبيات :

قلت عشرين ألف بيت وددت أن مكانها الأبيات الثلاثة التى قالها أبو نواس، وهى (١) :

يانواسى توقـــر وتعـــز وتصبر

ان يكن ساءك دهر فلما سرك أكثر

ياكبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر (٢)

وندمان يرى غبنا عليه بأن يدعى وليس به انتشاء

اذا ناديته من نوم سكر كفاه مرة منك النداء

فليس بقائل لك: ايه دعنى ولا مستخبر لك ماتشاء

ولكن يااسقنى ويقول أيضا عليك الصرف ان أعياك ماء

اذا ماأدركته الظهر صلى فلا عصر عليه ولا عشاء

و بعدها البيتان «و يروى : ان أعياك داء» بدل «ماء» «أحمد يوسف نجاتى»

(١) المروى أن أبا العتاهية كان يقول : سبقنى أبو نواس الى ثلاثة أبيات وددت أنى سبقته اليها بكل ماقلته، فأنه أشعر الناس فيها، منها قوله : يا كبير الذنب الخ وقوله :

من لم يكن لله متهما لم يمس محتاجا الى أحد

وقوله : اذا امتحن الدنيا لبيب الخ وانما راقت هذه الأبيات أبا العتاهية لأن معانيها توافق مشربه — كما أن الأصمعى لورعه ودينه كان يعرض عن أبى نواس، ولم يكن بينهما مودة وثيقة، ولم يرقه كثيرا من شعره الا قوله :

ضعيفة كر الطرف، تحسب أنها قريبة عهد بالأفاقة من سقم

وانى لآتى الأمر دن حيث يتقى و يعلم سهمى حين أنزع من أرمى

لجودة التشبيه وأحكام الأسر وجزالة اللفظ وحسن المعنى «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) و يروى بعدها :

أعظم الأشياء فى أصـ ـغر عفو الله يصغر

ليس للانسان الا ماقضى الله وقدر

ليس للمخلوق تدبيـ ـر، بل الله المدبر

قال الصولى : كانت هذه الأبيات مكتوبة على قبر أبى نواس . حكى الصولى أن عبد الله بن عبد الحكم (١) مر بالجامع العتيق، فرأى أبانواس على بعض تلك الأبواب ، فأشار اليه عبد الله بمقرعة مسلما عليه ، فقال أبو نواس :

سلم السوط إذ مررت علينا فعلى السوط -لاعليك- السلام

ولم يكن يعرفه- فقال له: من أنت؟قال :الحسن بن هانىء،قال:ليس هذا موضعك،وأخذه بيده وملأها عطاء وأكرمه . وأشيع عن أبى نواس أنه نزع عما كان عليه من البطالة وشرب الخمر والزهد فى اللذات، فاجتمع أصحابه وأقبلوا يهنئونه بذلك ، فوضع بين يديه باطية ، وجعل لايدخل عليه أحد يهنئه إلا شرب بين يديه رطلا وأنشد :

قالوا: نزعت! ولما يعلموا وطرى فى كل أغيد ساجى الطرف مياس

كيف النزوع وقلبى قد تقسمه لحظ العيون وقرع السن بالكأس؟!

وقال ابن قتيبة: خرج أبو عيسى بن الرشيد (٢) متنزها الى القفص ومعه أبو نواس، فأقام فى نزهته شهر شعبان كله،فلما كان أول يوم من شهر رمضان عزم على الصوم، فقال له أبو نواس: هذا يوم شك،والشك ليس بحجة على اليقين، ومن يفطره أكثر ممن يصومه،وأنشد :

---

(١) لعل هذا وأبو نواس بمصر ، وابن عبد الحكم هو الامام أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع الفقيه المالكى بمصر أفضت اليه رياسة الطائفة المالكية بعد أشهب، وكان من ذوى الأموال والرباع والثروة، وذوى الجاه العظيم والمنزلة الرفيعة والقدر الكبير، ويقال انه دفع للامام الشافعى رضى الله عنه عند قدومه الى مصر ألف دينار وساعده عدا ذلك بجاهه ووساطته، توفى بمصر سنة ٢١٤ «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) المروى أن هذه الحادثة حصلت بين أبى نواس وأحد آل نوبخت «وكان يألفهم ولا يفارقهم» «وأظنه سليمان بن أبى سهل بن نوبخت» وأدركهما آخر شعبان وبلغهما أن الهلال لم ير بعد - وكانا قد عزما على العودة الى بغداد لصيام شهر رمضان بين أهلهما - فعادا وقضياه

لو شئت لم نبرح من القفص   نشربها صفراء كالحص (١)

يوم لهو، ثم أصبحا، فقال له صاحبه: قم بنا فقد أخذنا بأوفر حظ من يومنا الماضي، فقال: اسمع وأطع، ثم أنشده البيتين - والقفص قرية كانت مشهورة بين بغداد وعكبرا قرب بغداد، وكانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه ومجالس السرور والفرح، تنسب اليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة وقد أكثر الشعراء من ذكرها، وفيها يقول أبو نواس :

رددتني في الصبا على عقبي   وسمت أهلي الرجوع في أدبي

لولا هواؤك ما اغتربت، ولا   حطت ركابي بأرض مغترب

ولا تركت المدام بين قرى الـ   كرخ فبوري فالجوسق الخرب

وباطرنجي فالقفص ثم الى   قطربل مرجعي ومنقلبي

ولا تخطيت في الصلاة الى   تبت يدا شيخنا أبي لهب

وكان قد هوى مليحا من بني أبي لهب لما حج فقال هذه الأبيات، وبوري أيضا قرية كانت قرب عكبراء - والجوسق الخرب كان بظاهر الكوفة عند النخيلة - وباطرنجي قرية كانت قرب القفص من نواحي بغداد - أماقطربل فكانت قرية كذلك بين بغداد وعكبرا شمالي بغداد ينسب اليها الخمر، وكانت كالقفص مألفا لذوي الخلاعة والبطالة، ومتنزها للمجان، وحانة للخمارين، وقد أكثر الشعراء من ذكرها - وكان عيسى ابن أبي جعفر المنصور قد عزم على أبي نواس أن يقيم معه بالقفص أسبوعا وحمله وخلع عليه ووصله، فلما أقاموا الأسبوع وأرادوا الانصراف قال له: بحياتي عليك صف مجلسنا هذه الأيام كلها، فأنشأ يقول من أبيات :

ياطيبنا بقصور القفص مشرقة   فيها الدساكر والأنهار تطرد

لما أخذنا بها الصهباء صافية   كأنها النار وسط الكاس تتقد

جاءتك من بيت خمار بطينتها   صفراء مثل شعاع الشمس ترتعد

فقام كالغصن قد شدت مناطقه   ظبي يكاد من التهييف ينعقد

فاستلها من فم الابريق فانبعثت   مثل اللسان جرى واستمسك الجسد

ثم وصف ما كان منهما كل يوم من أيام الأسابيع السبعة «أحمد يوسف نجاتي»

(١) الحص الزعفران أو الورس يصبغ به، قال عمرو بن كلثوم :

نسرق هذا اليوم من شهرنا   وربما يعفى عن اللص

قال الصولى: كانت بالعراق قينة، وكان أبو نواس يختلف اليها ، وكانت تظهر أنها لاتحب غيره ،وكان كلما أتاها وجد عندها فتى يجلس اليها ويتخلف عندها، فقال فيها :

ومظهرة لخلق الله ودا   وتلقى بالتحية والسلام (١)

أتيت فؤادها أشكو اليه   فلم أخلص اليه من الزحام

فيامن ليس يكفيها خليل   ولا ألفا خليل كل عام

أظنك من بقية قوم موسى   فهم لايصبرون على طعام

وسأل يوما عن غلام مر به فاشترطه ، فقيل :انه فاسد، فقال: فى فساده صلاحى . ودخل كرما فرأى به حصرما، فاستقبل القبلة وقال: اللهم سود وجهه، واقطع عنقه، واسقنى دمه . ولأبى نواس يهجو أشجع (٢) السلمى :

قل لمن يدعى سليما سفاها   لست منها ولا قلامة ظفر

انما أنت من سليم كواو   ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

قال ابن رشيق فى كتاب العمدة: ومن قبيح ماوقع لأبى نواس الذى

مشعشعة كأن الحص فيها   اذا ما الماء خالطها سخينا

(١) ويروى عجز البيت: وتلقانى بدل وابتسام

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمى، من ولد الشريد بن مطرود السلمى، تزوج أبوه امرأة من أهل اليمامة، فشخص معها الى بلدها، فولدت له هناك أشجع، ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه هناك، فقدمت به أمه البصرة تطلب ميراث أبيه — وكان له هناك مال — فماتت بها، وربى أشجع ونشأ بالبصرة فكان من لايعرفه يدفع نسبه ، ثم كبر ، وقال الشعر وأجاد، وعد فى الفحول وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن، ولم يكن لقيس شاعر معدود، فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ، ثم خرج الى مدينة الرقة — وبها الرشيد — فنزل على بنى سليم، فتقبلوه وأكرموه، ومدح البرامكة وانقطع الى جعفر بن يحيى خاصة، وأصفاه مدائحه، فأعجب به، ووصله بالرشيد فمدحه فأعجب به أيضا، فأثرى وحسنت حاله فى أيامه ، وتقدم عنده — وسبق

أساء فيه أدبه، وخالف به مذهبه، أن بعض بنى برمك (١) بنى دارا استفرغ فيها مجهوده، وانتقل اليها، فصنع فيها أبو نواس فى ذلك الحين أو قريبا منه قصيدة يمدحه بها يقول فى أولها :

أربع البلى ان الخشوع لبادى   عليك، وانى لم أخنك ودادى

وختمها أو كاد بقوله :

سلام على الدنيا اذا مافقدتم   بنى برمك من رائحين وغادى

فتطير منها البرمكى واشمأز حتى كاح وتبينت الوجمة (٢) عليه، ثم قال: نعيت الينا أنفسنا ياأبا نواس، فما كانت إلا مديدة حتى أوقع بهم الرشيد وصحت الطيرة. وزعم قوم أن أبا نواس قصد التشاؤم لهم لشىء كان فى نفسه من جعفر، ولاأظن ذلك صحيحا لأن هذه القصيدة من جيد شعره الذى لاشك أنه يحتفل له، اللهم إلا أن يصنع ذلك حيلة منه وسترا على

فى ترجمة جعفر بن يحيى بعض مدائحه فيه مع شىء من سيرة أشجع «أحمد يوسف نجاتى» (١) هو الفضل بن يحيى بن خالد، و بعد بيت المطلع:

فمعذرة منى اليك بأن ترى   رهينة أرواح وصوب غوادى
ولا أدرأ الضراء عنك بحيلة   فما أنا منها قائل لسعاد
وان كنت مهجور القنا فبارمت   يد الدهر عن قوس المنون فؤادى
وان كنت قد بدلت بؤسى بنعمة   فقد بدلت عينى قذى برقاد

ثم وصف الناقة وسيرها بأربعة أبيات، ثم قال :

رأيت لفضل فى السماحة همة   أطالت لعمرى غيظ كل جواد

و بعد أربعة أبيات أخرى جيدة فى المديح قال :

وكنا اذا ما الحائن الجد غره   سنا برق غاو أو ضجيج رعاد
تصدى له الفضل بن يحيى بن خالد   بماضى الظبى يزهى بطول نجاد

و بعد بيتين قال: سلام على الدنيا البيت :

بفضل بن يحيى أشرقت سبل الهدى   وآمن ربى خوف كل بلاد

و بعد ذلك ختم القصيدة بثلاثة أبيات يثنى فيها على القصيدة «أحمد يوسف نجاتى» . (٢) من الوجوم، وهو الاطراق مع سكوت لهم أو تفكير حزين

ماقصد اليه بذلك . انتهى كلام ابن رشيق . ومن شعر أبي نواس :

وعندى من بنات الكرم بكر ... لياليها وان طالت قصار (١)

تخال الكاس عند المزج عقدا ... ومن فضل النديم لها سوار

حكى الصولى عن الحسين بن الضحاك قال : كنت مع أبي نواس بمكة فسمع غلاما يقرأ : « كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا » فقلت استمع ! فأى معنى هذا ؟ ! وما عسى أن تقول ؟ ! ويحك ! فأنشدنى :

وسيارة ضلت عن القصد بعدما ... ترادفهم جنح من الليل مظلم

فأصغوا الى صوت لنا نستعيده ... وفينا فتى من سكره يترنم

فلاح لنا منهم على النأى قهوة ... كأن سناها ضوء نار تضرم

اذا ماحسوناها أقاموا مكانهم ... وان مزجت حثوا الركاب ويمموا

ومن شعره أيضا :

أعاذل أعتبت الامام وأعتبا ... وأعربت عما فى الضمير وأعربا

وقلت لساقيها : أجزها، فلم أكن ... ليأبى أمير المؤمنين وأشربا

فجوزها عنى سلافا ترى لها ... الى الأفق الأعلى شعاعا مطنبا

اذا عب فيها شارب القوم خلته ... يقبل فى داج من الليل كوكبا

ترى حيث ما كانت من البيت مشرقا

وما لم تكن فيه من البيت مغربا

يدور بها ساق أغن ترى، له ... على مستدار الأذن صدغا معقربا

سقاهم، ومنانى بعينيه منية ... فكانت الى قلبى ألذ وأطيبا

وله من أبيات :

ماحطك الواشون من رتبة ... عندى، ولا ضرك مااغتابوا

كأنهم أثنوا ولم يعلموا ... عليك عندى بالذى عابوا

وله من أبيات :

كيف النزوع عن الصبى والكاس ؟ ! ... قس ذا لنا ياصاحبى بقياس

واذا عددت السن كم هى لم أجد ... للشيب عذرا أن يلم براسى

(١) كناية عن السرور . « أحمد يوسف نجاتى »

قالوا: كبرت! فقلت: ما كبرت يدى من أن تحث الى فمى بالكاس
صفراء زان رواءها مخبورها فلها المهذب من ثناء الحاسى
واذا نزعت عن الغواية فليكن لله ذاك النزع لا للناس

وله من أبيات:

ولها دبيب فى العظام كأنه قبض النعاس وأخذه بالمفصل
عبقت أكفهم بها فكأنما يتنازعون بها سحاب قرنفل
تسقيكها كف اليك حبيبة لابد ان بخلت وان لم تبخل

وله من أبيات:

لبق القد لذيذ المعتنق يخجل البدر اذا البدر اتسق
مثقل الردف، اذا ولى حكى موثقا فى القيد يمشى فى الزلق (١)
هو فى عينى جديد أبدا وسواه الدهر فى عينى خلق

قال محمد بن نافع: كان أبو نواس لى صديقا، فوقعت بينى و بينه هجرة فى آخر عمره، ثم بلغتنى وفاته، فتضاعف على الحزن، فبينما أنا بين النائم واليقظان اذا أنا به، فقلت: أبو نواس؟! فقال: لات حين (٢) كنية، قلت: الحسن بن هانى؟ قال: نعم، قلت مافعل الله بك؟ قال: غفر لى بأبيات قلتها فى علتى قبل موتى هى تحت ثنى الوسادة، فأتيت أهله، فلما أحسوا بى أجهشوا بالبكاء، فقلت: هل قال أخى شعرا قبل موته؟ قالوا: لانعلم إلا أنه دعا بداوة وقرطاس وكتب شيئا لاندرى ماهو، قلت: ايذنوا لى أدخل، قال: فدخلت الى مرقده فاذا ثيابه لم تحرك بعد، فرفعت وسادة فلم أر شيئا، ثم رفعت أخرى فاذا أنا برقعة مكتوبة فيها هذه الأبيات:

يارب ان عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
ان كان لايرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم؟!
أدعوك رب كما أمرت تضرعا فاذا رددت يدى فمن ذايرحم؟!

---

(١) هذا مثل قول مسلم بن الوليد فى وصف الراح:

اذا ماعلت منا ذؤابة شارب تمشت به مشى المقيد فى الوحل

(٢) أى ليس الحين حين مناداة بالكنية التى كانت فى الدنيا للتعظيم أوللتدليل

مالى اليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم أنى مسلم (١)

« وفى هامش النسخة الخطية مايأتى » :

ورأيت بخط العارف بالله النابلسى ناقلا عن تاريخ ابن كثير مانصه :

أبو نواس الشاعر المشهور ،واسمه الحسن بن هانئ، روى الحديث عن أزهر بن سعد (٢) وحماد بن زيد،وحماد بن سلمة (٣) وعبد الواحد بن زياد (٤) ومعتمر بن سليمان (٥) ويحيى القطان (٦) وروى عنه محمد بن

---

(١) وله فى مثل ذلك :

انقضت شرتى فعفت الملاهى	اذ رمى الشيب مفرقى بالدواهى
ونهتنى النهى ، فملت الى العد	ل ، وأشفقت من مقالة ناهى
أيها الغافل المقيم على اللهـ	ولا عذر فى المعاد لساهى
لابأعمالنا نطيق خلاصا	يوم تبدو السمات فوق الجباه
غير أنا على الاساءة والتف	ريط نرجو لحسن عفو الاله

وله :

دب فى الفناء سفلا وعلوا	وأرانى أموت عضوا فعضوا
ذهبت شرتى بجدة نفسى	فتذكرت طاعة الله نضوا
ليس من ساعة مضت بى الا	نقصتنى بمرها بى حذوا
لهف نفسى على ليال وأيا	م سلبتهن لعبا ولهوا
قد أسأنا كل الأساءة يار بـ	ـب فصفحا عنا الاهى وعفوا

(٢) أزهر بن سعد السمان أبو بكر البصرى، كان ثقة من فضلاء الأئمة وعلماء الأمة،توفى سنة ٢٠٣ وسبقت ترجمته (٣) تقدم التعريف بالحمادين

(٤) هو أبو بشر عبد الواحد بن زياد العبدى البصرى أحد الأئمة الأعلام توفى سنة ١٨٦ (٥) هو الامام أبو محمد معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى الحافظ أحد شيوخ البصرة ، وكان عابدا صالحا حجة ثقة، توفى سنة ١٨٧ . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٦) هو يحيى بن سعيد بن فروخ التيمى الأحول القطان البصرى الحافظ الحجة أحد الأعلام ذوى العبادة والدين، كان سيد الحفاظ فى زمانه، والمنتهى

ابن ابراهيم بن كثير الصوفى (١) وحدث عنه جماعة منهم الشافعى وأحمد ابن حنبل والجاحظ وغندر (٢) ومشاهير العلماء، ومن مشاهير حديثه مارواه محمد بن ابراهيم بن كثير الصوفى عنه عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لايموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله، فان حسن الظن بالله ثمن الجنة» وقال ابن الأعرابى: أشعر الناس أبو نواس فى قوله (٣):

تسترت عن دهرى بظل جناحه فعينى ترى دهرى وليس يرانى
فلو تسأل الأيام عنى مادرت وأين مكانى ماعرفن مكانى

اليه فى هذا الشأن بين أقرانه، توفى سنة ١٩٨ . «أحمد يوسف نجاتى»

(١) محمد بن كثير العبدى البصرى المحدث، روى عن حماد بن سلمة وطبقته توفى سنة ٢٢٣ (٢) هو الامام محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد أبو بكر البصرى الحافظ البصرى صاحب شعبة بن الحجاج، وغندر لقب له، لأنه أكثر السؤال والاستفهام فى مجلس ابن جريج حين قدم البصرة وأملى فقال له: ماتريد ياغندر؟! فلزمه اللقب، وغلب عليه - والغندر الغلام السمين الغليظ، ويقال للسائل المبرم الملح غندر أيضا، توفى سنة ١٩٤ وكان من أصح الناس كتابة وضبطا واتقانا مع الصلاح والتقوى. «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) من قصيدة جيدة يمدح بها محمد بن الفضل بن الربيع ومطلعها:

لمن طلل لم أشجه وشجانى وهاج الهوى أوهاجه لأوان
بلى، فازدهتنى للصبا أريحية يمانية، ان السماح يمانى
أخذت بحبل من حبال محمد أمنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهرى بظل جناحه الخ
أذل صعاب المشكلات محمد فأصبح ممدوحا بكل لسان
فلا أحد أسخى بمهجة نفسه على الموت منه والقنا متدانى

هذا وقد طالت ترجمة أبى نواس بتلك الزيادة، ولا تخلو من فائدة. وقد بذلنا فى اصلاح ما كان فيها جهدا «أحمد يوسف نجاتى».

شُهْرَةِ دِيوَانِهِ لَاحَاجَةَ إِلَى ذِكْرِ شَيْءٍ مِنْهُ . وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ الْمَأْمُونَ كَانَ يَقُولُ : لَوْ وَصَفَتِ الدُّنْيَا نَفْسَهَا لَمَا وَصَفَتْ بِمِثْلِ قَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ[1] :

أَلَا كُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ
وَذُو نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقِ[2]

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ
لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ[3] :

---

(١) البيتان من قصيدة له أولها :

ألا رب وجه فى التراب عتيق — ويارب حسن فى التراب رقيق
ويارب حزم فى التراب ونجدة — ويارب رأى فى التراب وثيق
فقل لقريب الدار : انك راحل — الى منزل نائى المحل سحيق

العتيق الحسن الصافى الجمال ، والسحيق البعيد « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) عريق : قديم ذى عرق أصيل ثابت، ولأبى نواس فى هذا المعنى أيضا :

أخى، مابال قلبك ليس ينقى ؟! — كأنك لا تظن الموت حقا!
ألا يابن الذين فنوا وماتوا — أما والله ماذهبوا لتبقى
وما للنفس عندك من مقام — اذا مااستكملت أجلا ورزقا
وماأحد بزادك منك أحظى — ولاأحد بذنبك منك أشقى
ولا لك غير تقوى الله زاد — اذا جعلت الى اللهوات ترقى

(٣) البيتان من قصيدة له أولها :

فَبَعْضَ اللَّوْمِ عَاذِلَتِي فَإِنِّي
سَيَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَانْتِسَابِي

إِلَى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجَتْ(*) عُرُوقِي
وَهَذَا الْمَوْتُ يَسْلُبُنِي شَبَابِي

أرانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام و بالشراب(١)
عصافير وذبان ودود وأجرأ من مجلحة(٢) الذئاب

فبعض اللوم و بعدهما :

ونفسي سوف يسلبها وجرمي فيلحقني وشيكا بالتراب(٣)

(*) وشجت أي اتصلت واشتبكت ، يقول كفى بعض لومك ، فاني اذا انتسبت ولم أجد بيني و بين آدم أحدا حيا كفاني هذا عظة ، وعلمت أني سأموت ، وأني

---

(١) الايضاع ضرب من السير فيه سرعة ، ونسحر نغذو — ومعنى البيت أنه يتعجب و يقول كيف يسوغ لنا أن نتغذى بالطعام والشراب ونحن نعلم أنا جادون مسرعون الى المنية وسائقون أنفسنا الى الموت — ويجوز أن يكون « نسحر » من السحر أي نلهو بالطعام والشراب كأنهما سحرا أعيننا وأثرا في نفوسنا فلم نتعظ (٢) المجلحة المصممة : يقول نحن في الضعف مثل هذه العصافير الصغيرة ولكننا في ركوب الآثام واقتراف الجرائم أجرأ من الذئاب المصممة ، وأغدر من هذه الوحوش العجماء (٣) الجرم الجسد ، والوشيك السريع ، قسم في البيت السلب ، فابتدأ أولا بسلب الشباب ، ثم بسلب النفس ، ثم بسلب الجسد حسبما يكون . وفي معنى عراقة الانسان في الموت يقول لبيد :

فان أنت لم ينفعك علمك فانتسب لعلك تهديك القرون الأوائل
فان لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلتدعك العواذل

وان امرأ ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرق في الموت «أحمد يوسف نجاتي»

وَقدْ سَبَقَ فِي تَرْجَمَةِ ٱلْحَسَنِ ٱلْبَصْرِيِّ نَظِيرُ هَـذَا ٱلْمَعْـنَى . وَمَا أَحْسَنَ ظَنَّ أَبِي نُوَاسٍ بِرَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ حَيْثُ يَقُولُ! :

تَـكَثَّرْ مَا ٱسْتَطَعْتَ مِنَ ٱلْخَطَايَا
فَإِنَّـكَ بَالِـغٌ رَبًّا غَفُـورَا

سَتُبْصِرُ إِنْ وَرَدْتَ عَلَيْهِ عَفْوًا
وَتَلْقَى سَـيِّدًا مَلِـكًا كَبِـيرًا

تَعَضُّ نَدَامَةً كَفَّيْكَ مِمَّـــا
تَرَكْتَ مَخَافَةَ ٱلنَّارِ ٱلسُّرُورَا

وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ ٱلْمَعَانِي وَأَغْرَبِهَا . وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ ، وَمِنْ شِعْرِهِ ٱلْفَائِقِ ٱلْمَشْهُورِ قَصِيدَتُهُ ٱلْمِيمِيَّةُ ٱلَّتِي حَسَدَهُ

عريق فى الهلاك أصيل فى الردى، فكيف يلهو من يوقن بالموت؟! وذلك أن عاذلته لامته على ترك اللهو، والاعراض عن الغزل، والصد عن البطالة واللعب، أو المعنى يكفيني تجاربى الأشياء، ففى التجربة أحسن معلم، وحسبي أنى اذا انتسبت وجدت آبائى قدماء قد فنوا، فأعلم أن سبيلى سبيلهم، وأنى لابد لاحق بهم، وفى هذا مايعزينى عن مصائبى، فان البلوى اذا كانت عامة شاملة هانت ـ وكل انسان فى الدنيا صحيح النسب بالتراب، مشتبك الصلة بالأرض، فهو راجع اليها لامحالة مهما تراخى به الأجـل «أحمد يوسف نجاتى»

عَلَيْهَا أَبُو تَمَّامٍ حَبِيبٌ الْمُقَدَّمُ ذِكْرُه وَوَازَنَهَا بِقَوْلِهِ :

دِمَنٌ أَلَمَّ بِهَا فَقَالَ : سَلَامُ

كَمْ حَلَّ عُقْدَةَ صَبْرِهِ الْإِلْمَامُ(١) !

وَأَوَّلُ قَصِيدَةِ أَبِي نُوَاسٍ الْمَشَارِ إِلَيْهَا - وَهِيَ مِمَّا مَدَحَ بِهِ الْأَمِينَ مُحَمَّدَ بْنَ هَرُونَ الرَّشِيدِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ - :

يَادَارُ مَا صَنَعَتْ بِكِ الْأَيَّامُ ؟ !

لَمْ يَبْقَ فِيكِ بَشَاشَةٌ تُسْتَامُ(٢) !

يَقُولُ فِي جُمْلَتِهَا فِي صِفَةِ نَاقَتِهِ :

وَتَجَشَّمَتْ بِي هَوْلَ كُلِّ تَنُوفَةٍ

هَوْجَاءُ فِيهَا جُرْأَةٌ إِقْدَامُ(٣)

تَذَرُ الْمَطِيَّ وَرَاءَهَا ، فَكَأَنَّهَا

صَفٌّ تَقَدَّمُهُنَّ وَهِيَ إِمَامُ

---

(١) الدمن جمع دمنة ، وهى آثار الديار والناس، ومايدل على السكان من أثر باق، وألم بها اذا مر ونزل، وحل عقدة صبره أى أضعفه وأوهنه وقوى الجزع عليه « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) من استام السلعة اذا سأل سومها وذكر ثمنها، أو غالى بها - وترك الابل تستام، أى تمر وتذهب (٣) تجشم الشىء تكلفه على مشقه، والتنوفة المفازة، والقفر من الأرض الواسع البعيد الأطراف، والفلاة التى لاماء بها ولا أنيس ، والهوجاء الناقة المسرعة حتى كأن بها هوجا أى حمقا وطيشا وتسرعا

وَإِذَا ٱلْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا

فَظُهُورُهُنَّ عَلَى ٱلرِّحَالِ حَرَامُ[١]

وَهذَا ٱلْبَيْتُ لَهُ حِكَايَةٌ سَيَأْتِي ذِكْرُهَا فِي تَرْجَمَةِ ذِي ٱلرُّمَّةِ غَيْلَانَ ٱلشَّاعِرِ ٱلْمَشْهُورِ . وَقَدْ أَذْكَرَنِي هذَا ٱلْبَيْتُ وَاقِعَةً جَرَتْ لِي مَعَ صَاحِبِنَا جَمَالِ ٱلدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْإِرْبِلِيِّ ٱلْأَدِيبِ ٱلْمُجِيدِ فِي صِنَاعَةِ ٱلْأَلْحَانِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ جَاءَنِي إِلَى مَجْلِسِ ٱلْحُكْمِ ٱلْعَزِيزِ بِالْقَاهِرَةِ ٱلْمَحْرُوسَةِ فِي بَعْضِ شُهُورِ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَقَعَدَ عِنْدِي سَاعَةً — وَكَانَ ٱلنَّاسُ يَزْدَحِمُونَ لِكَثْرَةِ أَشْغَالِهِمْ حِينَئِذٍ — ثُمَّ نَهَضَ وَخَرَجَ ، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ حَضَرَ غُلَامُهُ وَعَلَى يَدِهِ رُقْعَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا :

يَا أَيُّهَا ٱلْمَوْلَى ٱلَّذِي بِوُجُودِهِ ‌ ‌ ‌ أَبْدَتْ مَحَاسِنَهَا لَنَا ٱلْأَيَّامُ

---

(١) بعده :

قربننا من خير من وطئ الثرى ‌ ‌ ‌ فلها علينا حرمة وذمام

رفع الحجاب لنا فلاح لناظرى ‌ ‌ ‌ قمر تقطع دونه الأوهام

فالقصر مشتمل ببدر خلافة ‌ ‌ ‌ خلعت عليه جمالها الأيام

وهى من أبرع شعره وأشرفه وأعلاه منزلة، غير أنها مستكرهة الابتداء غير بليغة المطلع ، لأنه يمدح خليفة ، وافتتاح المديح بذكر الديار ودثورها وعبث الأيام بها مما يتطير منه ، وينبغى الابتعاد عنه «أحمد يوسف نجاتى»

إِنِّى حَجَجْتُ إِلَى مَقَامِكَ حِجَّةً أُلْ

أَشْوَاقِ لَا مَا يُوجِبُ الْإِسْلَامُ

وَأَنَخْتُ بِالْحَرَمِ الشَّرِيفِ مَطِيَّتِى

فَتَسَرَّبَتْ ، وَاسْتَاقَهَا الْأَقْوَامُ

فَظَلِلْتُ أُنْشِدُ عِنْدَ نِشْدَانِى لَهَا

بَيْتًا لِمَنْ هُوَ فِى الْقَرِيضِ إِمَامُ:

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا

فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّحَالِ حَرَامُ (١)

فَوَقَفْتُ عَلَيْهَا، وَقُلْتُ لِغُلَامِهِ: مَا الْخَبَرُ؟ فَذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ مِنْ عِنْدِى وَجَدَ مَدَاسَهُ قَدْ سُرِقَ ، فَاسْتَحْسَنْتُ مِنْهُ هَذَا التَّضْمِينَ — وَالْعَرَبُ يُشَبِّهُونَ النَّعْلَ بِالرَّاحِلَةِ ، وَقَدْ جَاءَ هَذَا فِى شِعْرِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ (٢)، وَاسْتَعْمَلَهُ الْمُتَنَبِّى فِى

(١) هذا المعنى كثير ذائع، ومنه قول مهيار الديلمى :

ياناق ويحك عجلى تصلى   هذا المنى فليهنك الطلب

فاذا وصلت بنا قباب قبا   لامس ظهرك بعدها قتب

وقد مر شىء منه ويأتى غيره فنشير اليه «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) منه قول أبى نواس :

اليك أبا العباس من بين من مشى   عليها امتطينا الحضرمى الملسنا

قلائص لم تعرف حنينا على طلا   ولم تدر ماقرع الفنيق ولا الهنا..!

مَوَاضِعَ مِنْ شِعْرِهِ. ثُمَّ جَاءَنِي مِنْ بَعْدُ جَمَالُ ٱلدِّينِ ٱلْمَذْكُورُ وَجَرَى ذِكْرُ هَذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ، فَقُلْتُ لَهُ: وَلَكِنْ أَنَا أُسَمِّي أَحْمَدُ لَا مُحَمَّدٌ، فَقَالَ: عَلِمْتُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَحْمَدُ وَمُحَمَّدٌ سَوَاءٌ، وَهَذَا ٱلتَّضْمِينُ حَسَنٌ وَلَوْ كَانَ ٱلِاسْمُ أَيَّ شَيْءٍ كَانَ. وَكَانَ مُحَمَّدٌ ٱلْأَمِينُ ٱلْمُقَدَّمُ ذِكْرُهُ قَدْ سَخِطَ عَلَى أَبِي نُوَاسٍ لِقَضِيَّةٍ جَرَتْ لَهُ مَعَهُ، فَتَهَدَّدَهُ بِالْقَتْلِ وَحَبَسَهُ، فَكَتَبَ مِنَ ٱلسِّجْنِ:

بِكَ أَسْتَجِيرُ مِنَ ٱلرَّدَى ... مُتَعَوِّذًا مِنْ سَطْوِ بَاسِكْ

وَحَيَاةِ رَأْسِكَ لَا أَعُو ... دُ لِمِثْلِهَا وَحَيَاةِ رَاسِكْ

مَنْ ذَا يَكُونُ أَبُو نُوَا ... سِكَ إِنْ قَتَلْتَ أَبَا نُوَاسِكْ؟!

وَلَهُ مَعَهُ وَقَائِعُ كَثِيرَةٌ. وَقَدْ سَبَقَ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي عُمَرَ أَحْمَدَ بْنِ دَرَّاجٍ ٱلْقَسْطَلِيِّ ذِكْرُ بَعْضِ قَصِيدَةِ أَبِي نُوَاسٍ

ولأبى الطيب :

لا ناقتى تقبل الرديف ولا ... بالسوط يوم الرهان أجهدها

شراكها كورها، ومشفرها ... زمامها، والشسوع مقودها

ومثله قول الآخر :

رواحلنا ست ونحن ثلاثة ... نجنبهن الماء فى كل منهل

لأنه لا يخاض بالنعل الماء . ومن مدائح أبى نواس فى الخصيب :

أنا فى ذمة الخصيب مقيم ... حيث لا تهتدى صروف الزمان

قد عرفنا من الخصيب خلالا ... آمنتنا طوارق الحدثان

كيف أخشى من الليالى اغتيالا ... ومكانى من الخصيب مكانى

الرَّائِيَّةِ[١] . وَذَكَرَهُ الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ وَقَالَ : وُلِدَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ - وَقِيلَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ - وَمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ - وَقِيلَ سِتٍّ ، وَقِيلَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ بِبَغْدَادَ ، وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ الشُّونِيزِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى . وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ أَبُو نُوَاسٍ لِذُؤَابَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ تَنُوسَانِ[٢] عَلَى عَاتِقَيْهِ[٣] . وَالْحَكَمِيُّ - بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْكَافِ

(١) ومن مدائحه في الخصيب أيضا من قصيدة جيدة بعد أن وصف الناقة :

يرمى اليك بها بنو أمل	عتبوا فأعتبهم بك الدهر
أنت الخصيب وهذه مصر	فتدفقا فكلا كما بحر
لا تقعدا بي عن مدى أملى	شيئا ، فما لكما به عذر
ويحق لى اذ صرت بينكما	ألا يحل بساحتى فقر
النيل ينعش ماؤه مصرا	ونداك ينعش أهله الغمر

ومن قوله فيه أيضا من قصيدة :

لم تدر جارتنا ولا تدرى	أن الملامة ربما تغرى
هبت تلومك غير عاذرة	ولقد ترى لك واضح العذر
واستبعدت مصرا ، وما بعدت	أرض يكون بها أبو نصر
ولقد وصلت بك الرجاء ولى	مندوحة لو شئت عن مصر
انى لآمل ياخصيب على	يدك السعادة آخر الدهر
وكذاك نعم السوق أنت لمن	كسدت عليه تجارة الشعر
أنت المبرز يوم سبقهم	ان الجواد بعرقه يجرى
عرف الخليفة أن نعمته	حلت بساحة طيب النشر

والخصيب من أصل فارسى وقد دالت دولته بعد عزه «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) ناس ينوس أى تحرك واهتز واضطرب وتذبذب (٣) عاتقيه :

وَبَعْدَهَا مِيمٌ - هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى الْحَكَمِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ: قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ بِالْيَمَنِ، مِنْهَا الْجَرَّاحُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَكَمِيُّ، وَكَانَ أَمِيرَ خُرَاسَانَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ أَبَا نُوَاسٍ مِنْ مَوَالِيهِ فَنُسِبَ إِلَيْهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى سَعْدِ الْعَشِيرَةِ فِي تَرْجَمَةِ الْمُتَنَبِّي فِي حَرْفِ الْهَمْزَةِ. وَأَمَّا الصُّولِيُّ فَتَأْتِي تَرْجَمَتُهُ فِي الْمُحَمَّدِينَ، وَعَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى تَرْجَمَةٍ[1]. وَتُوزُونُ أَخَذَ الْأَدَبَ عَنْ أَبِي عُمَرَ[2] الزَّاهِدِ، وَبَرَعَ فِيهِ، وَكَانَ يَسْكُنُ بَغْدَادَ، وَتُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

* * *

الحسن بن أحمد المعروف بابن وكيع

أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفِ ابْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ بْنِ زِيَادٍ الضَّبِّيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ وَكِيعٍ التِّنِّيسِيُّ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ »

تثنية عاتق، وهو مابين المنكب والعنق

(١) تقدم أن جامع ديوان أبى نواس اسمه حمزة بن الحسن

(٢) هو محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم أبو عمر الزاهد الصالح المطرز اللغوى المعروف بلقب غلام ثعلب ولد سنة ٢٦١ كان اماما لغويا حافظا، وله مؤلفات فى اللغة والأدب نافعة، توفى سنة ٣٤٥ « أحمد يوسف نجاتى ».

أَصْلُهُ مِنْ بَغْدَادَ ، وَمَوْلِدُهُ بِتِنِّيسَ ، ذَكَرَهُ أَبُو مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيُّ فِي يَتِيمَةِ الدَّهْرِ ، وَقَالَ فِي حَقِّهِ : شَاعِرٌ بَارِعٌ ، وَعَالِمٌ جَامِعٌ ، قَدْ بَرَعَ فِي إِبَّانِهِ [1] ، عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ ، فَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ أَحَدٌ فِي أَوَانِهِ ، وَلَهُ كُلُّ بَدِيعَةٍ تَسْحَرُ الْأَوْهَامَ ، وَتَسْتَعْبِدُ الْأَفْهَامَ . وَذَكَرَ مُزْدَوِجَتَهُ الْمُرَبَّعَةَ [2] وَهِيَ مِنْ جَيِّدِ النَّظْمِ ، وَأَوْرَدَ لَهُ غَيْرَهَا . وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ جَيِّدٌ ، وَلَهُ كِتَابٌ بَيَّنَ فِيهِ سَرِقَاتِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي سَمَّاهُ « الْمُنْصِفَ [3] » وَكَانَ فِي لِسَانِهِ عُجْمَةٌ ، وَيُقَالُ لَهُ الْعَاطِسُ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

سَلَا عَنْ حُبِّكَ الْقَلْبُ الْمَشُوقُ فَمَا يَصْبُو إِلَيْكَ وَلَا يَتُوقُ

---

(١) أى وقته (٢) أولها :

رسالة من كاف عميد حياته فى قبضة الصدود
بلغه الشوق مدى المجهود مافوق مايلقاه من مزيد
جار عليه حاكم الغرام فدق أن يدرك بالأوهام
فلو أتاه طارق الحمام لم يره من شدة السقام
له ارتياح واهتزاز وطرب
لوجه من أورثه طول الكرب
فهل سمعتم فى أحاديث العجب
بمن مناه قرب من منه العطب

وهى طويلة من أملح الشعر وأعذبه وأرقه وأغربه «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) المنصف فى الدلالات على سرقات المتنبى : جعلها عشرين وجها ، ومنها عشرة أوجه يعظم فى سرقاتها ذنب الشاعر . « أحمد يوسف نجاتى » .

جَفَاؤُكَ كَانَ عَنْكَ لَنَا عَزَاءً

وَقَدْ يُسْلِي عَنِ الْوَلَدِ الْعُقُوقُ (١)

وَلَهُ أَيْضًا :

إِنْ كَانَ قَدْ بَعُدَ اللِّقَاءُ فَوُدُّنَا باقٍ (٢)، وَنَحْنُ عَلَى النَّوَى أَحْبَابُ

كَمْ قَاطِعٍ لِلْوَصْلِ يُؤْمَنُ وُدُّهُ

وَمُوَاصِلٍ بِوِدَادِهِ يُرْتَابُ

وَلَهُ أَيْضًا :

لَقَدْ شَمِتُّ بِقَلْبِي لَا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ

كَمْ لُمْتُهُ فِي هَوَاهُ فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْهُ !

وَقَدْ أَلَمَّ بِهَذَا الْمَعْنَى بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

لَا رَعَى اللَّهُ عَزْمَةً ضَمِنَتْ لِي

سَلْوَةَ الْقَلْبِ وَالتَّصَبُّرَ عَنْهُ

مَا وَفَتْ غَيْرَ سَاعَةٍ ثُمَّ عَادَتْ

مِثْلَ قَلْبِي تَقُولُ : لَا بُدَّ مِنْهُ

---

(١) فى المثل : ان العقوق لثكل من لم يثكل (٢) فى اليتيمة «دان» وقد ضمن الصفى الحلى البيت بقوله لمن أهدى اليه هدية تمر يكثر فيها النوى

أهديت تمرا بل نوى، فقبلته بيد الوداد ، فما عليك عتاب

واذا تباعدت الجسوم فودنا باق، ونحن على النوى أحباب

ولا تخفى التورية اللطيفة فى كلمة « النوى » . « أحمد يوسف نجاتى »

وَمِثْلُهُ قَوْلُ أُسَامَةَ بْنِ مُنْقِذٍ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ :

لَا تَسْتَعِرْ جَلَدًا عَلَى هِجْرَانِهِمْ

فَقُوَاكَ تَضْعُفُ عَنْ صُدُودٍ دَائِمِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِمُ

طَوْعًا وَإِلَّا عُدْتَ عَوْدَةَ رَاغِمِ (١)

وَقَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ : أَنْشَدَتْ الشَّيْخُ مُرْتَضَى الدِّينِ أَبَا الْفَتْحِ نَصْرَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مُقَلَّدٍ الْقُضَاعِيَّ الشَّيْزَرِيَّ الْمُدَرِّسَ كَانَ ـ بِتُرْبَةِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ بِالْقَرَافَةِ لِابْنِ وَكِيعٍ الْمَذْكُورِ :

لَقَدْ قَنِعَتْ هِمَّتِي بِالْخُمُولْ ... وَصَدَّتْ عَنِ الرُّتَبِ الْعَالِيَهْ

وَمَا جَهِلَتْ طَعْمَ طِيبِ (٢) الْعُلَا ... وَلَكِنَّهَا تُؤْثِرُ الْعَافِيَهْ

فَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ عَلَى الْبَدِيهَةِ :

بِقَدْرِ الصُّعُودِ يَكُونُ الْهُبُوطْ

فَإِيَّاكَ وَالرُّتَبَ الْعَالِيَهْ

---

(١) أى ذليل مضطر مقهور (٢) قد يكون فيه قلب والأصل « طيب طعم العلا » . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَ كُنْ فِي مَكَانٍ إِذَا مَا سَقَطْتَ
تَقُومُ وَرِجْلَاكَ فِي الْعَافِيَهْ

وَلِابْنِ وَكِيعٍ أَيْضًا :

أَبْصَرَهُ عَاذِلِي عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَا رَآهُ
فَقَالَ لِي : لَوْ هَوِيتَ هَذَا مَا لَامَكَ النَّاسُ فِي هَوَاهُ
قُلْ لِي: إِلَى مَنْ عَدَلْتَ عَنْهُ ؟ فَلَيْسَ أَهْلُ الْهَوَى سِوَاهُ
فَظَلَّ مِنْ حَيْثُ لَيْسَ يَدْرِي يَأْمُرُ بِالْحُبِّ مَنْ نَهَاهُ

وَكُنْتُ أَنْشَدْتُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِصَاحِبِنَا الْفَقِيهِ شِهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ وَلَدِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ عَبْدِ الْمُنْعِمِ الْمَعْرُوفِ بِالْخِيمِيِّ(١)، فَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فِي الْمَعْنَى :

---

(١) هو شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصارى اليمنى ثم المصرى الصوفى الشاعر المحسن الأديب، كان فى وقته حامل لواء النظم، وكان ذا عناية بالحديث وروايته ، ومن شعره :

كلفت ببدر فى مبادى الدجى بدا فعاد لنا ضوء الصباح كما بدا
وحجب عنا حسنه نور حسنه فمن ذلك الحسن الضلالة والهدى
فيا حبذا نار لقلبى تصطلى ويادمع عينى حبذا أنت موردا
ويا سقمى فى الحب أهلا ومرحبا ويا صحة السلوان شأنك والعدا
فلست أرى عن ملة الحب مائلا وكيف ونور العامرية قد بدا ؟!

وتوفى ابن الخيمى فى رجب سنة ٦٨٥ عن ٨٢ سنة «أحمد يوسف نجاتى»

لَوْ رَأَى وَجْهَ حَبِيبِي عَاذِلِي   لَتَفَاصَلْنَا عَلَى وَجْهٍ جَمِيلْ[1]

وَهٰذَا الْبَيْتُ مِنْ جُمْلَةِ أَبْيَاتٍ ، وَلَقَدْ أَجَادَ فِيهِ وَأَحْسَنَ فِي التَّوْرِيَةِ . وَلِابْنِ وَكِيعٍ كُلُّ مَعْنًى حَسَنٍ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ بِمَدِينَةِ تِنِّيسَ ، وَدُفِنَ فِي الْمَقْبُرَةِ الْكُبْرَى فِي الْقُبَّةِ الَّتِي بُنِيَتْ لَهُ بِهَا - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى . وَوَكِيعٌ بِفَتْحِ الْوَاوِ وَكَسْرِ الْكَافِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَبَعْدَهَا عَيْنٌ مُهْمَلَةٌ ، وَهُوَ لَقَبُ جَدِّهِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ ، وَكَانَ نَائِبًا فِي الْحُكْمِ بِالْأَهْوَازِ لِعَبْدَانَ الْجَوَالِيقِيِّ[2] ، وَكَانَ فَاضِلًا نَبِيلًا فَصِيحًا ، مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالْفِقْهِ وَالنَّحْوِ وَالسِّيَرِ وَأَيَّامِ النَّاسِ وَأَخْبَارِهِمْ[3] ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ

---

(١) وفى مثل هذا المعنى أيضا قول عفيف الدين التلمسانى :

ولى على عاذلى حقوق هوى   شكرى عليه ببعضها يجب
لام فلما رآه هام به   فكنت فى عشقه أنا السبب

ومن شعر ابن وكيع أيضا :

كأنها فى الكؤوس اذ جليت   من عسجد رق لونه وصفا
أغضبها الماء حين مازجها   فأزبدت فى كؤوسها أنفا

وفى البيت الثانى حسن تعليل بديع وخيال لطيف . «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) هو الامام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن موسى الأهوازى الجواليقى الحافظ الثقة صاحب التصانيف ، توفى سنة ٣٠٦ أو ٣٠٧ عن نحو تسعين سنة « أحمد يوسف نجاتى » (٣) وروى عن الزبير بن بكار وطبقته

فَمِنْهَا كِتَابُ الطَّرِيقِ ، وَكِتَابُ الشَّرِيفِ ، وَكِتَابُ عَدَدِ آيِ الْقُرْآنِ وَالِاخْتِلَافِ فِيهِ ، وَكِتَابُ الرَّمْيِ وَالنِّضَالِ ، وَكِتَابُ الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَلَهُ شِعْرٌ كَشِعْرِ الْعُلَمَاءِ . وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِسِتٍّ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَثِمِائَةٍ بِبَغْدَادَ . وَقَالَ ابْنُ قَانِعٍ [١] : تُوُفِّيَ عَبْدَانُ الْأَهْوَازِيُّ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَثِمِائَةٍ بِعَسْكَرِ مُكْرَمٍ — رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى — وَالتِّنِّيسِيُّ — بِكَسْرِ التَّاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقِهَا وَكَسْرِ النُّونِ الْمُشَدَّدَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَبَعْدَهَا سِينٌ مُهْمَلَةٌ — نِسْبَةٌ إِلَى تِنِّيسَ : مَدِينَةٌ بِدِيَارِ مِصْرَ بِالْقُرْبِ مِنْ دِمْيَاطَ [٢] بَنَاهَا تِنِّيسُ بْنُ حَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسُمِّيَتْ بِاسْمِهِ . وَتُوُفِّيَ الْمُرْتَضَى الشَّيْزَرِيُّ الْمَذْكُورُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِمِصْرَ ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

---

(١) هو الحافظ أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي توفي ببغداد سنة ٣٥١ «أحمد يوسف نجاتي» وولي قضاء الأهواز «أحمد يوسف نجاتي»

(٢) هي جزيرة في وسط بحيرة مفردة عن البحر يحيط بها من كل جهة، كانت قريبة من الفرما بين الفرما ودمياط ، والفرما في شرقيها ، كانت تعمل بها الثياب الملونة والفرش البديعة ، وكانت ذات خير ، ولأهلها عناية بالحديث والعلم — وقيل سميت تنيس باسم تنيس بن دلوكة الملكة ، وهي العجوز صاحبة حائط العجوز بمصر ، فانها أول من بني بتنيس وسمتها باسمها ، ثم لما فتحت مصر سنة

***

الحسن بن أحمد المعروف بابن العلاف

« أَبُو بَكْرٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بَشَّارِ بْنِ زِيَادٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَلَّافِ الضَّرِيرُ النَّهْرَوَانِيُّ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ »

كَانَ مِنَ الشُّعَرَاءِ الْمُجِيدِينَ ، وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي عُمَرَ الدُّورِيِّ[1] الْمُقْرِئِ ، وَحُمَيْدِ بْنِ مَسْعَدَةَ الْبَصْرِيِّ[2] ، وَنَصْرِ

---

٢٠ كانت تنيس خصاصا من قصب، وكان بها الروم ، وقاتلوا أصحاب سيدنا عمرو بن العاص، وقتل بها جماعة من المجاهدين، وكانت قبورهم معروفة بقبور الشهداء عند الرمل فوق مسجد غازى. وكانت تنيس تعرف بذات الأخصاص الى صدر من أيام بنى أمية، ثم بنى أهلها القصور ، ولم تزل كذلك الى صدر من أيام بنى العباس، فبنى لها سور فى سنة ٢٣٠ وكان والى مصر يومئذ عيسى بن منصور بن عيسى الخراسانى المعروف بالرافقى من قبل ايتاخ التركى فى أيام الخليفة الواثق، وفرغ من بناء السور سنة ٢٣٩ فى ولاية عنبسة بن اسحق بن شمر الضى الهروى فى أيام المتوكل ، ثم دخلها أحمد بن طولون سنة ٢٦٩ فبنى بها عدة صهاريج وحوانيت فى السوق كثيرة كانت تعرف بصهاريج الأمير « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان الأزدى المقرئ الضرير كان شيخ المقرئين فى عصره ، وصنف فى القراءات، قرأ على الكسائى ويحي اليزيدى وغيرهما، وقرأ عليه خلق كثير ، وكان ثقة صدوقا ، وتوفى سنة ٢٤٦ عن نحو ٩٦ سنة، وكان يقول: أدركت حياة نافع، ولو كان عندى شيء لرحلت اليه. والدورى نسبة الى الدور محلة كانت ببغداد قرب مشهد الامام الأعظم أبى حنيفة، وكان الدورى منها، وسكن سامرا « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو حمدويه حميد بن مسعدة بن المبارك السامى البصرى الثقة، قرأ وأقرأ وسمع وحدث، وروى عن أصحاب الكتب الستة الا البخارى، توفى

أُبْنِ عَلِيٍّ ٱلْجَهْضَمِيِّ(١) ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْمٰعِيلَ ٱلْحَسَابِيِّ(٢) وَرَوَى عَنْهُ عَبْدُ ٱللّٰهِ بْنُ ٱلْحَسَنِ بْنِ ٱلنَّحَّاسِ ، وَأَبُو ٱلْحَسَنِ ٱلْجَرَّاحِيُّ(٣) ٱلْقَاضِي ، وَأَبُو حَفْصِ بْنُ شَاهِينَ(٤) ، وَغَيْرُهُمْ ، وَكَانَ يُنَادِمُ ٱلْإِمَامَ ٱلْمُعْتَضِدَ(٥) بِاللّٰهِ . « وَحَكَى » قَالَ : بِتُّ لَيْلَةً فِي دَارِ ٱلْمُعْتَضِدِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ نُدَمَائِهِ ، فَأَتَانَا خَادِمٌ لَيْلًا ، فَقَالَ : أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ : أَرِقْتُ ٱللَّيْلَةَ بَعْدَ ٱنْصِرَافِكُمْ ، فَقُلْتُ :

سنة ٢٤٤ . « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو أبو عمرو نصر بن على الجهضمى البصرى الثقة الحافظ أحد أوعية العلم ، روى عنه أبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم ، وطلبه الخليفة المستعين ليوليه القضاء ، فقال لأمير البصرة : حتى أرجع فأستخير الله ، فرجع وصلى ركعتين وقال : اللهم ان كان لى عندك خير فاقبضنى اليك ، ثم نام فاذا هو ميت سنة ٢٥٠ . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) كذا بالأصل ، وأنا أعرف محمد بن اسمعل بن البخترى الحسانى « آخره نون » الحرانى الواسطى الضرير نزيل بغداد توفى سنة ٢٥٨ وأبا منصور محمود بن اسمعيل الصيرفى الحسابى « بالباء » المحدث . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) فى الأصل « الخراجى » وهو تصحيف مشوه ، وهو أبو الحسن على بن الحسن بن على القاضى الجراحى المحدث كان ضعيفا وتوفى ٣٧٦ . « أحمد يوسف نجاتى » (٤) هو الأمام عمر بن أحمد ابن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب البغدادى الواعظ المفسر الحافظ صاحب التصانيف المفيدة وأحد أوعية العلم الممتعة ، ولد سنة ٢٩٧ وكان بحاثة ثقة وله تفسير قال السيوطى انه ألف مجلد ، والمسند ألف وخمسمائة مجلد ، توفى سنة ٣٨٥ . « أحمد يوسف نجاتى » (٥) هو الامام أبو العباس أحمد المعتضد بالله بن الموفق أبى طلحة بن جعفر المتوكل ، وهو السادس عشر

وَلَمَّا ٱنْتَبَهْنَا لِلْخَيَالِ ٱلَّذِى سَرَى

إِذَا ٱلدَّارُ قَفْرٌ وَٱلْمَزَارُ بَعِيدُ

وَقَدْ أُرْتِجَ عَلَىَّ تَمَامُهُ ، فَمَنْ أَجَازَهُ بِمَا يُوَافِقُ غَرَضِى أَمَرْتُ لَهُ بِجَائِزَةٍ، قَالَ : فَأُرْتِجَ عَلَى ٱلْجَمَاعَةِ - وَكُلُّهُمْ شَاعِرٌ فَاضِلٌ - فَٱبْتَدَرْتُ وَقُلْتُ :

فَقُلْتُ لِعَيْنِى عَاوِدِى ٱلنَّوْمَ وَٱهْجَعِى

لَعَلَّ خَيَالًا طَارِقًا سَيَعُودُ

فَرَجَعَ ٱلْخَادِمُ ، ثُمَّ عَادَ فَقَالَ : أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ : قَدْ أَحْسَنْتَ ، وَقَدْ أَمَرَ لَكَ بِجَائِزَةٍ. وَكَانَ لِأَبِى بَكْرٍ ٱلْمَذْكُورِ هِرٌّ يَأْنَسُ بِهِ ، وَكَانَ يَدْخُلُ أَبْرَاجَ ٱلْحَمَامِ ٱلَّتِى لِجِيرَانِهِ وَيَأْكُلُ فِرَاخَهَا ، وَكَثُرَ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَأَمْسَكَهُ أَرْبَابُهَا فَذَبَحُوهُ ، فَرَثَاهُ بِهَذِهِ ٱلْقَصِيدَةِ ٱلْآتِيَةِ ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ رَثَى بِهَا عَبْدَ ٱللهِ بْنَ ٱلْمُعْتَزِّ ٱلْآتِى ذِكْرُهُ - إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى - وَخَشِىَ مِنَ ٱلْإِمَامِ ٱلْمُقْتَدِرِ (١) أَنْ يَتَظَاهَرَ بِهَا لِأَنَّهُ هُوَ ٱلَّذِى قَتَلَهُ

من خلفاء بنى العباس، بويع بالخلافة بعد وفاة المعتمد فى رجب سنة ٢٧٩ « وكان مولده سنة ٢٤٢ » وتوفى سنة ٢٨٩ وكان شهما مهيبا عفيفا . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) هو الثامن عشر من خلفاء بنى العباس، وهو المقتدر بالله أبو الفضل

فَنَسَبَهَا إِلَى ٱلْهِرِّ ، وَعَرَّضَ بِهِ فِي أَبْيَاتٍ مِنْهَا - وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا صُحْبَةٌ أَكِيدَةٌ - وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱلْهَمْدَانِيُّ فِي تَارِيخِهِ ٱلصَّغِيرِ ٱلَّذِي سَمَّاهُ (ٱلْمَعَارِفَ ٱلْمُتَأَخِّرَةَ) فِي تَرْجَمَةِ ٱلْوَزِيرِ أَبِي ٱلْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ ٱلْفُرَاتِ مَامِثَالُهُ: قَالَ ٱلصَّاحِبُ أَبُو ٱلْقَاسِمِ ٱبْنُ عَبَّادٍ : أَنْشَدَنِي أَبُو ٱلْحَسَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ٱلْعَلَّافِ - وَهُوَ ٱلْأَكُولُ ٱلْمُقَدَّمُ فِي ٱلْأَكْلِ فِي مَجَالِسِ ٱلرُّؤَسَاءِ وَٱلْمُلُوكِ - قَصَائِدَ أَبِيهِ فِي ٱلْهِرِّ ، وَقَالَ إِنَّمَا كَنَّى بِٱلْهِرِّ عَنِ ٱلْمُحَسِّنِ بْنِ ٱلْفُرَاتِ أَيَّامَ مِحْنَتِهِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يَذْكُرَهُ وَيَرْثِيَهُ . قُلْتُ أَنَا : وَهٰذَا ٱلْمُحَسِّنُ وَلَدُ ٱلْوَزِيرِ ٱلْمَذْكُورِ ، وَسَيَأْتِي خَبَرُ ذَٰلِكَ فِي تَرْجَمَةِ أَبِيهِ أَبِي ٱلْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْفُرَاتِ - إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى . وَذَكَرَ صَاعِدٌ ٱللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ ٱلْفُصُوصِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو ٱلْحَسَنِ ٱلْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ : هَوِيتْ جَارِيَةٌ لِعَلِيِّ بْنِ

جعفر بن المعتضد بالله، ولد سنة ٢٨٢ وأمه أم ولد يقال لها شعب . وبويع بالخلافة يوم مات الخليفة المكتفي بالله أبو محمد على بن المعتضد بالله فى ذى القعدة سنة ٢٩٥ ، وخلع فى سنة ٢٩٦ وبويع لابن المعتز فتولى الخلافة يوما واحداء وعاد المقتدر الى الخلافة بعد فتن وحوادث قتل فيها ابن المعتز ثم خلع المقتدر ثانيا سنة ٣١٧ ولكن لم يلبث أن عاد الى الخلافة بعد أيام ثم قتل سنة ٣٢٠ وكان قد أهمل شأن الخلافة، وحكم فيها النساء والخدم

عِيسَى[١] غُلَامًا لِأَبِي بَكْرِ بْنِ ٱلْعَلَّافِ ٱلضَّرِيرِ، فَفُطِنَ بِهِمَا فَقُتِلَا جَمِيعًا، وَسُلِخَا وَحُشِيَ جُلُودُهُمَا تِبْنًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مَوْلَاهُ هَذِهِ ٱلْقَصِيدَةَ يَرْثِيهِ بِهَا، وَكَنَى عَنْهُ بِالْهِرِّ، وَٱللهُ أَعْلَمُ[٢]. وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ ٱلشِّعْرِ وَأَبْدَعِهِ، وَعَدَدُهَا خَمْسَةٌ وَسِتُّونَ بَيْتًا، وَطُولُهَا يَمْنَعُ مِنَ ٱلْإِتْيَانِ بِجَمِيعِهَا، فَنَأْتِي بِمَحَاسِنِهَا، وَفِيهَا أَبْيَاتٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى حِكَمٍ، فَنَأْتِي بِهَا، وَأَوَّلُهَا:

يَا هِرُّ فَارَقْتَنَا وَلَمْ تَعُدِ
وَكُنْتَ عِنْدِي بِمَنْزِلِ ٱلْوَلَدِ

فَكَيْفَ نَنْفَكُّ عَنْ هَوَاكَ وَقَدْ
كُنْتَ لَنَا عُدَّةً مِنَ ٱلْعُدَدِ؟!

وفرط فى أموال الدولة. «أحمد يوسف نجاتى» (١) هو الوزير أبو الحسن على بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادى الكاتب، وزر مرات للمقتدر ثم للقاهر، وكان وزيرا جليلا عادلا محدثا عالما دينا خيرا عظيم الشأن حتى كان يقال انه فى الوزراء كعمر بن عبد العزيز فى الخلفاء، توفى سنة ٣٣٤ وقد ترجمنا لبنى الفرات وللوزير على بن عيسى و بنى الجراح تراجم واسعة فى كتابنا الجامع فى أدب اللغة، وبينا آثارهم فى اللغة وآدابها. «أحمد يوسف نجاتى». (٢) قال صلاح الدين الصفدى: وأنا شديد التعجب ممن يزعم أن هذه القصيدة رثى بها غير هر — قلت وأنا من ذلك أكثر عجبا. «أحمد يوسف نجاتى»

تَطْرُدُ عَنَّا ٱلْأَذَى وَتَحْرُسُنَا
بِالْغَيْبِ مِنْ حَيَّةٍ وَمِنْ[1] جُرَدِ
وَتُخْرِجُ ٱلْفَأْرَ مِنْ مَكَامِنِهَا
مَا بَيْنَ مَفْتُوحِهَا إِلَى ٱلسُّدَدِ[2]
يَلْقَاكَ فِي ٱلْبَيْتِ مِنْهُمُ مَدَدٌ
وَأَنْتَ تَلْقَاهُمُ بِلَا مَدَدِ
لَا عَدَدٌ كَانَ مِنْكَ مُنْفَلِتاً
مِنْهُمْ، وَلَا وَاحِدٌ مِنَ ٱلْعَدَدِ
لَا تَرْهَبُ ٱلصَّيْفَ عِنْدَ هَاجِرَةٍ
وَلَا تَهَابُ ٱلشِّتَاءَ فِي ٱلْجَمَدِ[3]
وَكَانَ يَجْرِى - وَلَا سَدَادَ لَهُمْ -
أَمْرُكَ فِي بَيْتِنَا عَلَى سَدَدِ[4]
حَتَّى ٱعْتَقَدْتَ ٱلْأَذَى لِجِيرَتِنَا وَلَمْ تَكُنْ لِلْأَذَى بِمُعْتَقِدِ

---

(١) يريد الجرذ : وهو ضرب من الفأر ، أو هو ذكر الفأر ،وقيل هو أعظم من اليربوع أكدر فى ذنبه سواد،وجمعه جرذان (٢) السدد جمع سدة،وهى فى الأصل باب الدار والبيت،أو فناؤهماوماحولهما،والسدة ما يبقى من الطاق المسدود (٣) الهاجرة شدة الحر ، وتوهج القيظ عند الظهيرة فى الصيف ، والجمد الثلج والماء الجامد (٤) السداد: الصواب من القول والعمل والقصد منها ، والسدد: الاستقامة والسداد والصواب . « أحمد يوسف نجاتى »

وَحُمْتَ حَوْلَ ٱلرَّدَى بِظُلْمِهِمُ
وَمَنْ يَحُمْ حَوْلَ حَوْضِهِ يَرِدِ

وَكَانَ قَلْبِي عَلَيْكَ مُرْتَعِدًا
وَأَنْتَ تَنْسَابُ غَيْرَ مُرْتَعِدِ

تَدْخُلُ بُرْجَ ٱلْحَمَامِ مُتَّئِدًا
وَتَبْلَعُ ٱلْفَرْخَ غَيْرَ مُتَّئِدِ

وَتَطْرَحُ ٱلرِّيشَ فِي ٱلطَّرِيقِ لَهُمْ
وَتَبْلَعُ ٱللَّحْمَ بَلْعَ(١) مُزْدَرِدِ

أَطْعَمَكَ ٱلْغَيُّ لَحْمَهَا، فَرَأَى
قَتْلَكَ أَرْبَابُهَا مِنَ ٱلرَّشَدِ(٢)

حَتَّى إِذَا دَاوَمُوكَ(٣) وَٱجْتَهَدُوا
وَسَاعَدَ ٱلنَّصْرُ كَيْدَ مُجْتَهِدِ

كَادُوكَ دَهْرًا فَمَا وَقَعْتَ، وَكَمْ
أَفْلَتَّ مِنْ كَيْدِهِمْ وَلَمْ تُكَدِ(٤)

---

(١) زرد اللقمة وازدردها اذا ابتلعها (٢) الغى الضلال واتباع الهوى، ضد الرشد وهو الصواب (٣) ويروى : راقبوك « أحمد يوسف نجاتى »

(٤) بضم التاء بالبناء للمجهول من كاده يكيده ، أو بفتح التاء أى ولم تكد تفلت لشدة الكيد وقوة الحيلة . « أحمد يوسف نجاتى »

فَحِينَ أَخْفَرْتَ(١) وَأُنْهِمَكْتَ وَكَا
شَفْتَ وَأَسْرَفْتَ غَيْرَ مُقْتَصِدِ
صَادُوكَ غَيْظًا عَلَيْكَ، وَأُنْتَقَمُوا
مِنْكَ، وَزَادُوا، وَمَنْ يَصِدْ يُصَدِ
ثُمَّ شَفَوْا بِالْحَدِيدِ أَنْفُسَهُمْ
مِنْكَ، وَلَمْ يَرْعَوُا عَلَى أَحَدِ

وَمِنْهَا:

فَلَمْ تَزَلْ لِلْحَمَامِ مُرْتَصِدًا
حَتَّى سُقِيتَ الْحِمَامَ بِالرَّصَدِ(٢)
لَمْ يَرْحَمُوا صَوْتَكَ الضَّعِيفَ، كَمَا
لَمْ تَرْثِ مِنْهَا لِصَوْتِهَا الْغَرِدِ(٣)
أَذَاقَكَ الْمَوْتَ رَبُّهُنَّ كَمَا
أَذَقْتَ أَفْرَاخَهُ يَدًا بِيَدِ
كَأَنَّ حَبْلًا حَوَى بِجَوْدَتِهِ
جِيدَكَ لِلْخَنْقِ كَانَ مِنْ مَسَدِ(٤)

---

(١) أخفرت : خنت وغدرت ونقضت العهد (٢) الحمام : بالكسر الموت والرصد : الترقب . وقد يكون جمع راصد نحو خادم وخدم ، وقعدله بالمرصد والرصد اذا راقبه (٣) لم ترق ولم تشفق، والغرد المطرب (٤) المسد الليف

كَأَنَّ عَيْنِى تَرَاكَ مُضْطَرِباً
فِيهِ ـ وَفِى فِيكَ رَغْوَةُ الزَّبَدِ
وَقَدْ طَلَبْتَ الْخَلَاصَ مِنْهُ ، فَلَمْ
تَقْدِرْ عَلَى حِيلَةٍ وَلَمْ تَجِدِ [١]
فَجُدْتَ بِالنَّفْسِ ـ وَالْبَخِيلُ بِهَا
أَنْتَ ـ وَمَنْ لَمْ يَجُدْ بِهَا يَجُدِ [٢]
فَمَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ مَوْتِكَ إِذْ
مُتَّ وَلَا مِثْلِ عَيْشِكَ [٣] النَّكِدِ
عِشْتَ حَرِيصًا يَقُودُهُ طَمَعٌ
وَمُتَّ ذَا قَاتِلٍ بِلَا قَوَدِ [٤]
يَامَنْ لَذِيذُ الْفِرَاخِ أَوْقَعَهُ
وَيْحَكَ هَــلَّا قَنِعْتَ بِالْغُدَدِ [٥] ؟!

أو ليف النخل أو المقل « الدوم » أو كل شيء يكون قويا ويكون حبله محكم الفتل (١) ويروى « ولم تحد » بالحاء المهملة من حاد عن الشيء اذا مال عنه وتجنبه (٢) اما بضم الجيم أى من لم يجد بها طوعا جاد بها كرها أو بكسرها أى يحزن ويغضب ويشتد حقده وغيظه اذا أصيب (٣) ذى العسر والمشقة (٤) القود : القصاص والأخذ بالثار (٥) الغدد : جمع غدة أوغدة : كل قطعة لحم صلبة بين العصب ، وكل عقدة فى الجسم طاف بها شحم « أحمد يوسف نجاتى »

أَلَمْ تَخَفْ وَثْبَةَ ٱلزَّمَانِ كَمَا
وَثَبْتَ فِي ٱلْبُرْجِ وَثْبَةَ ٱلْأَسَدِ ؟!
عَاقِبَةُ ٱلظُّلْمِ لَا تَنَامُ وَإِنْ
تَأَخَّرَتْ مُدَّةً مِنَ ٱلْمُدُدِ !
أَرَدْتَ أَنْ تَأْكُلَ ٱلْفِرَاخَ وَلَا
يَأْكُلَكَ ٱلدَّهْرُ أَكْلَ مُضْطَهِدِ[1] !
هَـــذَا بَعِيدٌ مِنَ ٱلْقِيَاسِ ، وَمَا
أَعَـــزَّهُ فِي ٱلدُّنُوِّ وَٱلْبُعُدِ !
لَا بَارَكَ ٱللّٰهُ فِي ٱلطَّعَامِ إِذَا
كَانَ هَلَاكُ ٱلنُّفُوسِ فِي ٱلْمِعَدِ
كَمْ دَخَلَتْ لُقْمَةٌ حَشَا شَرِهٍ
فَأَخْرَجَتْ رُوحَهُ مِنَ ٱلْجَسَدِ[2]
مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنْ تَصَعُّدِكَ ٱلْ[3]
بُرْجَ وَلَوْ كَانَ جَنَّةَ ٱلْخُلْدِ

(١) ويروى « مصطيد » بعدم اعلال الياء للضرورة .
(٢) وكم من لقمة منعت أخاها بلـذة ساعـة أكلات دهـر
(٣) فى الأصل « عن تصعد البرج » وهو تحريف ونقص يخل بوزن البيت . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَمِنْهَا :

قَدْ كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ وَفِي دَعَةٍ

مِنَ الْعَزِيزِ الْمُهَيْمِنِ الصَّمَدِ[١]

تَأْكُلُ مِنْ فَأْرِ بَيْتِنَا رَغَدًا

وَأَيْنَ بِالشَّاكِرِينَ لِلرَّغَدِ[٢] ؟!

وَكُنْتَ بَدَّدْتَ شَمْلَهُمْ زَمَنًا

فَاجْتَمَعُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْبَدَدِ[٣]

فَلَمْ يُبَقُّوا لَنَا عَلَى سَبَدٍ

فِي جَوْفِ أَبْيَاتِنَا وَلَا لَبَدِ[٤]

وَفَتَّتُوا الْخُبْزَ فِي السِّلَالِ ، فَكَمْ

تَفَتَّتَتْ لِلْعِيَالِ مِنْ كَبِدِ

وَفَرَّغُوا قَعْرَهَا ، وَمَا تَرَكُوا

مَا عَلَّقَتْهُ يَدٌ عَلَى وَتَدِ

وَمَزَّقُوا مِنْ ثِيَابِنَا جُدُدًا فَكُلُّنَا فِي الْمَصَائِبِ الْجُدُدِ

---

(١) المهيمن : القائم على خلقه بأرزاقهم وآجالهم ، والصمد الذى يقصد فى الحاجات ويفزع اليه فى الشدائد (٢) الرغد : طيب العيش وسعته . (٣) أى التفرق والشتات (٤) وأصل السبد القليل من الشعر ، واللبد : الصوف لتلبده ، فمعنى المثل « ماله سبد ولا لبد » أى ليس له قليل ولا كثير

وَنَقْتَصِرُ مِنْ هَذِهِ ٱلْقَصِيدَةِ عَلَى هَذَا ٱلْقَدْرِ فَهُوَ زُبْدَتُهَا(١)، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ ـ وَقِيلَ تِسْعَ عَشْرَةَ ـ وَثَلَثِمِائَةٍ ، وَعُمْرُهُ مِائَةُ سَنَةٍ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ وَٱلنَّهْرَوَانِيُّ بِفَتْحِ ٱلنُّونِ وَسُكُونِ ٱلْهَاءِ وَفَتْحِ ٱلرَّاءِ وَٱلْوَاوِ وَبَعْدَ ٱلْأَلِفِ نُونٌ ـ هَذِهِ ٱلنِّسْبَةُ إِلَى ٱلنَّهْرَوَانِ، وَهِيَ بُلَيْدَةٌ قَدِيمَةٌ بِالْقُرْبِ

« أى ماله شىء ذو وبر ولا صوف متلبد » يكنى بها عن الابل والغنم ، أو عن المعز والضأن ، أو عن الابل والمعز . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) ومن شعر أبى بكر العلاف أيضا قوله يمدح على بن يحيى وقد أمرله برزق وأعطاه صلة «هو على بن يحيى بن أبى منصور المنجم، كان أديبا راوية للأخبار والأشعار شاعرا محسنا، ونادم من الخلفاء جعفرا المتوكل، وكان من خاصة ندمائه، وتقدم عنده وعند من بعده من الخلفاء ، وتوفى فى آخر أيام المعتمد سنة ٢٧٥ » « أحمد يوسف نجاتى » .

أبا حسن لما سبقت الى العلا ... تفردت فيها بالفضيلة فى السبق
فصيرت لى حقا بفضلك واجبا ... وأعطيتنى شيئا سوى ذلك الحق
فقدت بها قلبى اليك، وان تسل ... خبيرا به يخبرك صدقك عن صدقى
ملكت قيادى يابن يحيى بنعمة ... فان زدتنى أخرى ملكت بها رقى
فمن أين لى فى الخلق مثلك سيد ... اذا كان لم يسمع بمثلك فى الخلق؟!
وقد سار شعرى فيك غربا ومشرقا ... كجودك لما سار فى الغرب والشرق
فان قابلوا شعرى بجودك سائرا ... فما بين أشعارى وجودك من فرق
فليتك اذ خلدت حمدك باقيا ... على غابر الأيام تبقى كما تبقى

وله من أبيات يرثى بها ابنه :

ياحسرتى بسعيد منذ فارقنى ... وياحنينى الى مافات من أنسه

مِنْ بغْدَادَ[1]، وَقَالَ ٱلسَّمْعَانِىُّ: هِىَ بِضَمِّ ٱلرَّاءِ-وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ.

***

الحسن بن على الواسطى

« أَبُو ٱلْجَوَائِزِ ٱلْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِبْنِ بَادِى ٱلْكَاتِبُ ٱلْوَاسِطِيُّ »

كَانَ مِنَ ٱلْفُضَلَاءِ ، سَكَنَ بَغْدَادَ دَهْرًا طَوِيلًا ، وَذَكَرَهُ ٱلْخَطِيبُ فِى تَارِيخِهِ فَقَالَ : وَعَلَّقْتُ عَنْهُ أَخْبَارًا وَحِكَايَاتٍ وَأَنَاشِيدَ وَأَمَالِىَ عَنِ ٱبْنِ سُكَّرَةَ ٱلْهَاشِمِىِّ[2] وَغَيْرِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ ثِقَةً ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ لِى أَنَّهُ سَمِعَ مِنِ ٱبْنِ سُكَّرَةَ ، وَكَانَ يَصْغُرُ عَنْ ذَلِكَ[3]. وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا حَسَنَ ٱلشِّعْرِ فِى ٱلْمَدِيحِ

فلست أنسى وكفى تحت منخره وكان آخر ما أحسست من نفسه

وقد قضى الناس حقى فى جنازته وكنت آمل أن يقضوه فى عرسه

وتجد ترجمته فى تاريخ بغداد ، وطبقات القراء ، ونكت الهميان للصفدى « أحمد يوسف نجاتى »

(١) قال ياقوت : هى كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقى حدها الأعلى متصل ببغداد، وفيها عدة بلاد متوسطة ، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه مع الخوارج مشهورة . « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد البغدادى، من ولد على بن المهدى بن أبى جعفر المنصور ، كان شاعرا محسنا ظريفا كثير المجون والدعابة ، توفى سنة ٣٨٥ وستأتى ترجمته . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٣) أى لأنه ولد سنة ٣٨٢ وابن سكرة توفى سنة ٣٨٥ بعد مولده

وَٱلْأَوْصَافِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَمِمَّا أَنْشَدَنِيهِ لِنَفْسِهِ قَوْلُهُ :

دَعِ ٱلنَّاسَ طُرًّا، وَٱصْرِفِ ٱلْوُدَّ عَنْهُمُ
إِذَا كُنْتَ فِي أَخْلَاقِهِمْ لَا تُسَامِحُ

وَلَا تَبْغِ مِنْ دَهْرٍ تَظَاهَرَ رَنْقُهُ(١)
صَفَاءَ بَنِيهِ ، فَالطِّبَاعُ جَوَامِحُ

وَشَيْئَانِ مَعْدُومَانِ فِي ٱلْأَرْضِ : دِرْهَمٌ
حَلَالٌ ، وَخِلٌّ فِي ٱلْحَقِيقَةِ نَاصِحُ

ٱنْتَهَى قَوْلُ ٱلْخَطِيبِ . وَلِأَبِي ٱلْجَوَائِزِ تَآلِيفُ حِسَانٌ وَخَطٌّ جَيِّدٌ وَأَشْعَارٌ رَائِقَةٌ، وَقَفْتُ لَهُ عَلَى مَقَاطِيعَ كَثِيرَةٍ، وَلَمْ أَرَ لَهُ دِيوَانًا ، وَلَا أَعْلَمُ هَلْ دُوِّنَ شِعْرُهُ أَمْ لَا . وَمِنْ أَشْعَارِهِ ٱلسَّائِرَةِ قَوْلُهُ :

بثلاث سنوات، فلا يعقل أنه روى عنه . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) الرنق : الكدر ضد الصفاء، وتظاهر تتابع وتوالى وأردف بعضه بعضا وجوامح جمع جامح أى نافر، فهى تأبى على من يحاول تغييرها :

ومكلف الأيام ضد طباعها   متطلب فى الماء جذوة نار

يراد من القلب نسيانكم   وتأبى الطباع على الناقل

ولا يبعد أن تكون « جوامح » محرفة عن جوانح يعنى موائل لجنوح طباع الناس – وهم بنو الدهر – وميلها الى طباع أبيها الدهر –

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى   عن الرشد فى أنحائه ومقاصده

تعاميت حتى قيل انى أخو عمى   ولا غر وأن يحذو الفتى حذو والده

بَرَانِي الْهَوَى بَرْىَ الْمُدَى، وَأَذَابَنِي
صُدُودُكَ حَتَّى صِرْتُ أَمْحَلَ مِنْ أَمْسِ [١]

فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أَرَاكَ ، وَإِنَّمَا
يَبِينُ هَبَاءُ الذَّرِّ فِي أَلَقِ الشَّمْسِ [٢]

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا - وَفِيهِ لُزُومُ مَالَا يَلْزَمُ :

وَاحَزَنِي مِنْ قَوْلِهَا : خَانَ عُهُودِي وَلَهَا [٣]
وَحَقِّ مَنْ صَيَّرَنِي وَقْفًا عَلَيْهَا وَلَهَا [٤]
مَا خَطَرَتْ بِخَاطِرِي إِلَّا كَسَتْنِي وَلَهَا [٥]

وقد قيل :

واذا جفاك الدهر - وهو أبو الورى طرا - فلا تعتب على أبنائه
ونحن بنو الدنيا ومنها وجودنا وما كنت منه فهو شيء محبب

وكما قال ابن الرومي :

اذا ما نسبت الحادثات وجدتها بنات زمان أرصدت لبنيه

بل الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم . « أحمد يوسف نجاتي » .(١) المدى جمع مدية : وهي السكين، وأمحل هنا أي أجدب وأفنى وأشد فناء وعدما « وهو من المبالغات الغالية - وتقدم القول في مثل هذا المعنى - وقد يكون « أمحل » مصحفا عن « أنحل » والمآل واحد » « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) الهباء : الغبار ، أو ما يظهر في الكوى ونحوها من ضوء الشمس منبثا دقيقا ، والذر : ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة - وألق الشمس تألقها أي لمعها واشراقها واضاءتها . « أحمد يوسف نجاتي » .

(٣) لها عن الشيء يلهو اذا تشاغل عنه ونسيه (٤) جار ومجرور (٥) مصدر وله « كفرح » اذا ذهب عقله لفقد من يحب ، والوله أيضا

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ سِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى

وَقَالَ ٱلْخَطِيبُ : سَمِعْتُ أَبَا ٱلْجَوَائِزِ يَقُولُ وُلِدْتُ فِي سَنَةِ ٱثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ، وَغَابَ عَنِّي خَبَرُهُ فِي سَنَةِ سِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . ٱنْتَهَى كَلَامُ ٱلْخَطِيبِ . قُلْتُ : وَقَدْ صَحَّ أَنَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ فِي سَنَةِ سِتِّينَ ـ كَمَا ذَكَرْتُهُ أَوَّلًا ـ وَٱللهُ أَعْلَمُ ، وَإِنْ كَانَ ٱلْخَطِيبُ لَمْ يُصَرِّحْ بِهِ ، بَلِ ٱقْتَصَرَ عَلَى ٱنْقِطَاعِ خَبَرِهِ لَا غَيْرُ .

***

الحسن بن سعيد ابن بندار الشاتانى

« أَبُو عَلِيٍّ ٱلْحَسَنُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ بُنْدَارَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ٱلشَّاتَانِيُّ ٱلْمُلَقَّبُ عَلَمَ ٱلدِّينِ »

كَانَ فَقِيهاً غَلَبَ عَلَيْهِ ٱلشِّعْرُ ، وَأَجَادَ فِيهِ ، وَٱشْتَهَرَ بِهِ ، وَكَانَ قَدْ تَرَكَ بَلَدَهُ وَنَزَلَ ٱلْمَوْصِلَ وَٱسْتَوْطَنَهَا ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ مِنْهَا إِلَى بَغْدَادَ ، وَكَانَ ٱلْوَزِيرُ أَبُو ٱلْمُظَفَّرِ بْنُ هُبَيْرَةَ(١) كَثِيرَ ٱلْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَٱلْإِكْرَامِ لَهُ . وَذَكَرَهُ ٱلْعِمَادُ ٱلْكَاتِبُ فِي

الحيرة من شدة الوجد . ومن شعر أبي الجوائز أيضا :

أقول ـ وجرس الحلي يمنع وصلها ... وقد عاد ذاك القرب وهو بعاد

هبوا كل ذى نطق يغار عليكم ... فكيف يغار الحلي وهو جماد ؟ !

الجرس : الصوت ، وفى البيت الثانى حسن تعليل بديع «أحمد يوسف نجاتى»

(١) تأتى ترجمته فى حرف الياء « يحيى بن هبيرة » «أحمد يوسف نجاتى»

الْخَرِيدَةِ ، وَأَوْرَدَ لَهُ أَشْعَارًا ، وَقَالَ: مَدَحَ صَلَاحَ الدِّينِ بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

أَرَى النَّصْرَ مَعْقُودًا بِرَايَتِكَ الصَّفْرَا

فَسِرْ، وَافْتَحِ الدُّنْيَا، فَأَنْتَ بِهَا أَحْرَى (١)

وَمِنْهَا :

يَمِينُكَ فِيهَا الْيُمْنُ، وَالْيُسْرُ فِي الْيُسْرَى

فَبُشْرَى لِمَنْ يَرْجُو النَّدَى مِنْهُمَا بُشْرَى

وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ عَشْرٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - بِالْمَوْصِلِ. وَذَكَرَهُ ابْنُ الدُّبَيْثِيِّ (٢) فِي ذَيْلِهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ . وَشَاتَانُ بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ تَاءٌ مُثَنَّاةٌ مِنْ فَوْقِهَا وَبَعْدَ الْأَلِفِ الثَّانِيَةِ نُونٌ ، وَهِيَ بَلْدَةٌ بِنَوَاحِي دِيَارِ بَكْرٍ (٣)

(١) أحرى: أولى وأحق وأجدر (٢) تأتى ترجمته فى حرف الميم «محمد بن سعيد»

(٣) ذكرها ياقوت وقال: ينسب اليها الحسن بن على بن سعيد بن عبد الله الشاتانى، كان أديبا شاعرا فاضلا، قدم على صلاح الدين يوسف بن أيوب فأكرم مثواه، ومدحه العلماء بدائح جمة، وكان يبرز بالعلم، وقدم بغداد، وتفقه بها على مذهب الامام الشافعى ، وسمع الحديث من القاضى أبى بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى، وأبى منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، وأبى القاسم اسمعيل بن محمد السمرقندى وغيرهم - ثم قال : ولد سنة ٥١٣ ، وتوفى سنة ٥٧٩ قال الحافظ وكان تأدب على ابن السجزى وابن الجواليقى، وقدم

***

ناصر الدولة الحسن ابن أبي الهيجاء

« أَبُو مُحَمَّدٍ اَلْحَسَنُ اَلْمُلَقَّبُ نَاصِرَ اَلدَّوْلَةِ بْنُ أَبِي اَلْهَيْجَاءِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْدَانَ(١) بْنِ حَمْدُونَ بْنِ اَلْحَرثِ بْنِ لُقْمَانَ بْنِ رَاشِدِ بْنِ اَلْمُثَنَّى بْنِ رَافِعِ بْنِ اَلْحَرثِ بْنِ غُطَيْفِ بْنِ مِحْرَبَةَ ابْنِ حَارِثَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ مَالِكِ ابْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنْمِ بْنِ تَغْلِبَ اَلتَّغْلِبِيُّ »

دمشق، وعقد له مجلس وعظ فى سنة ٥٣١ — وقد خالف ياقوت ماهنا فى سنتى المولد والوفاة، فلعل تسعين هنا مصحفة عن سبعين «أحمد يوسف نجاتى»

(١) قد رأينا أن نكتب كلمة نقدم بها أسرة بنى حمدان للقراء، فان لها فى الأدب العربى أثرا حميدا ، فنقول: كان جدهم حمدان بن حمدون من رؤساء عرب الشام، ومن مطاعى القبائل النازلين بجهة الموصل وتلك الانحاء ، وكانوا الولاة الدولة وعمالها اما يدا لهم وعونا ، واما حربا عليهم على حسب سيرة أولئك الولاة فيهم ومعاملتهم لهم ، ففى سنة ٢٥٢ كان مساور بن عبد الحميد البجلى الموصلى الخارجى الشارى قد خرج فى جهة الموصل فى عهد خلافة المعتز بالله بن المتوكل » وكان الوالى على الموصل عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الأشعث بن أهبان الخزاعى » واشتد أمر مساور ، وكثر أتباعه ، وعظم شأنه ، وخافه الناس، حتى استولى على الموصل سنة ٢٥٤ وتغلب على أكثر أعمالها ، فجمع له الحسن بن أيوب ابن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوى التغلبى الموصلى — ، وكان خليفة أبيه بالموصل — عسكرا جرارا منهم حمدان بن حمدون جد الأمراء الحمدانية ، وكانت بين الفريقين موقعة انهزم فيها عسكر الموصل، وكثر القتل والاثخان فيهم ، ونجا الحسن بن أيوب بنفسه . غير أن الخارجى لم يقوعلى الاستمرار

فى البقاء بالموصل ، فعاد بعد الى طاعة الخليفة العباسى ، وكان من جنده وأعوانه فيها حمدان بن حمدون التغلبى . وفى سنة ٢٦١ ولى الخليفة المعتمد على الموصل الخضر بن أحمد بن عمر بن الخطاب التغلبى الموصلى – ثم توفى مساور الخارجى سنة ٢٦٣ – وفى سنة ٢٦٧ ثار حمدان بن حمدون ومن اجتمع اليه من ربيعة وتغلب وبكر ، فواقعهم اسحق بن كنداجيق بجيش قوى حتى هزمهم الى نصيبين ، وتبعهم الى آمد ، وتوفى اسحق ابن كنداجيق سنة ٢٧٨ ، وولى ما كان اليه من أعمال الموصل وديار ربيعة ابنه محمد – ، ثم فى سنة ٢٨٢ كتب الخليفة المعتضد الى اسحق بن أيوب وحمدان بن حمدون بالمسير اليه – وهو بالموصل – فسار اليه اسحق مبادرا ، وتحصن حمدان بقلاعه ، فسير المعتضد الجيوش نحوه ، فلما رأى الحسين بن حمدان وفرة الجيوش ، وعرف أنه لاطاقة لهم بالخليفة وجنوده طلب الأمان فأمن ، وسار الى المعتضد ، وسلم القلعة ، فأمر المعتضد بهدمها وسار وصيف فى طلب حمدان حتى هزمه فى زورق كان له بدجلة ، ثم هرب وترك أمواله وذخائره ، وضاقت بحمدان الأرض بما رحبت فقصد خيمة اسحق بن أيوب – وهو مع المعتضد واستجار به ، فأحضره اسحق بين يدى المعتضد ، فأمر بالاحتفاظ به وحبسه ، وفى سنة ٢٨٣ سير المعتضد الحسن بن حمدان الى هرون بن عبد الله الخارجى الصفرى فظفر به الحسن وأسره ، وجاء به الى المعتضد ، فسر المعتضد بالحسن بن حمدان وخلع عليه ، وأطلق أباه حمدان ، وأحسن اليه ، وفى سنة ٢٩٢ سير الخليفة المكتفى أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان الموصل وأعمالها ، ووكل اليه صد غارات الخارجين ، ودفع ذوى الفساد ، فدخلها أول سنة ٢٩٣ وكان له فيما وكل اليه أثر يذكر فيشكر ، فأمنت البلاد معه ، واستقامت أحوالها ، وأحسن السيرة فى أهلها ، وفى سنة ٢٩٦ كتب الخليفة المقتدر الى أبى الهيجاء – وهو الأمير بالموصل – يأمره بطلب أخيه الحسين بن حمدان وكان خارجا – فطلبه أبو الهيجاء ، وانهزم الحسين ، وأرسل أخاه ابراهيم ابن حمدان يطلب الأمان ، فأجيب الى ذلك ، ودخل بغداد ، وخلع الخليفة عليه ، وعقد له على قم وقاشان ، فسار اليها ، وعزل عنها عاملها العباس بن عمرو ،

ثم فى سنة ٣٠١ عزل أبو الهيجاء عن الموصل ، فخالف عن أمر الخليفة المقتدر ، فسير اليه القائد مؤنسا المظفر ، فلما علم أبو الهيجاء بذلك قصد الى مؤنس مستأمنا من تلقاء نفسه ، وورد معه بغداد ، فرضى المقتدر عنه وخلع عليه ، وأعيد سنة ٣٠٢ الى ولاية الموصل . وفى سنة ٣٠٦ قتل الحسين بن أحمد بن حمدان — وكان من وجوه الأمراء — وقدم دمشق فى جيش أنفذه الخليفة المكتفى لقتال الطولونية ، وقدمها مرة أخرى لقتال القرامطة فى أيام المكتفى ، ثم خلع عليه المقتدر ، وولاه ديار ربيعة سنة ٢٩٩ ، وغزا الصائفة سنة ٣٠١ ففتح حصونا كثيرة ، وفى سنة ٣٠٣ خرج الحسين بن حمدان بالجزيرة عن طاعة المقتدر — وكان يتولى ديار ربيعة — وبعد قتال وحوادث انهزم من كان معه من أصحابه ، وأخذ أسيرا هو وابنه عبد الوهاب بن الحسين وجميع أهله وأكثر صحبه ، وقبض المقتدر على أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وعلى جميع اخوته ، وأمر بحبسهم ، وكان بعض أولاد الحسين قد هرب ، فجمع جموعا ومضى نحو آمد ، فأوقع بهم مستحفظها ، وقتل ابن الحسين ، وأرسل برأسه الى بغداد وفى سنة ٣٠٥ أطلق أبو الهيجاء واخوته وأهل بيته من محبسهم ، ثم قتل الحسين فى سنة ٣٠٦ ، وفى سنة ٣٠٧ قلد ابراهيم بن حمدان ديار ربيعة حتى توفى سنة ٣٠٨ وقلد مكانه أخوه دواد بن حمدان سنة ٣٠٩ ديار ربيعة ، وفى سنة ٣٠٨ خلع المقتدر على أبى الهيجاء ، وقلد طريق خراسان والدينور ، وخلع على أخويه أبى العلاء وأبى السرايا . وفى سنة ٣١٢ ولى سعيد بن حمدان — والد أبى فراس الحرث بن سعيد — على المعاون والحرب بنهاوند . وفى سنة ٣١٤ عاث الأكراد والعرب فسادا بأرض الموصل وطريق خراسان — وكان أبو الهيجاء يتولى الجميع وهو ببغداد ، وابنه ناصر الدولة الحسن بالموصل — فكتب اليه يأمره بجمع الرجال ، وانتهى الأمر بتأديب الخارجين وقمعهم وكفهم عن الشر والفساد ، وفى سنة ٣١٧ خلع المقتدر بالله من الخلافة ، وبويع أخوه القاهر بالله محمد بن المعتضد ، فبقى يومين ، ثم أعيد المقتدر بعد حوادث

بينه و بين مؤنس المظفر وأبى الهيجاء ومن معهما ـ وكان مؤنس قد اضطر الخليفة أن يخلع نفسه ، وأشهد عليه القاضى أبا عمر بالخلع ـ فقام ابن حمدان وقال للمقتدر : ياسيدى يعز على أن أراك على هذه الحال وقد كنت أخافها عليك وأحذرها ، وأنصح لك ، وأحذرك عاقبة القبول من الخدم والنساء ، فتؤثر أقوالهم على قولى ، وكأنى كنت أرى هذا ، وبعد فنحن عبيدك وخدمك ـ ، ودمعت عيناه وعينا المقتدر ـ ولما استقر الأمر للقاهر أقطع ابن حمدان مضافا الى مابيده من أعمال طريق خراسان حلوان والدينور وهمذان ونهاوند وغيرها ، وثارت العامة ـ وكانت فتن وخطوب بدار الخليفة القاهر ـ يريدون اعادة المقتدر والجمهور يصيح :يامقتدر يامنصور ، فهرب كل من كان فى الدار من الوزير والحجاب وسائر الطبقات، وأراد أبو الهيجاء بن حمدان أن يخرج من الدار ، فتعلق به القاهر وقال : أنا فى ذمامك ، فقال: والله لاأسلمك أبدا وأخذ بيده ، وقال له قم بنا نخرج جميعا ، وأدعو أصحابى وعشيرتى فيقاتلون معك ودونك، فقاما ليخرجا فوجدوا الأبواب موصدة ، والناس فى الخارج يموج بعضهم فى بعض ، وتقدم اليهما خدم القصر ومن معهم بالسلاح يريدون قتلهما أخذا بثار المقتدر ، فجالدهم أبو الهيجاء مجالدة قوية ، وأبلى بلاء حسنا ، وأظهر همة وشجاعة ، ولـكنه وحده وهو أعزل لم يقو على هذا الجمع المستلئم ، فمازالوا يرشقونه بالسهام حتى سقط فقصده بعضهم فضربه بالسيف فقطع يده اليمنى، وأخذ رأسه، فحمله بعضهم ومشى وهو معه . فلما أعيد المقتدر وهدأت الحال سأل عن أخيه القاهر وعن ابن حمدان فقيل : هما على قيد الحياة ، فـكتب لهما أمانا بخطه ، وأمر خادما أن يسرع بكتاب الأمان ـ خوفا أن يحدث على أبى الهيجاء حادث ـ فمضى بالـكتاب اليه ، فلقيه الخادم الآخر ومعه رأسه ، فعاد معه ، فلما أخبر المقتدر بقتله ورآه قال : انا لله وانا اليه راجعون وعظم عليه قتله ، وقال : ما كان يدخل على ويسليني ويظهر لى الغم هذه الأيام غيره . وكان لأبى السرايا نصر بن حمدان أخى أبى الهيجاء أثر فى تلك الفتنة ، فهرب الى الموصل ، وسكنت الثورة ، وسكت عن العامة الغضب

وفى تلك السنة سنة ٣١٧ بعد قتل أبى الهيجاء فى أولها ولى أعمال الموصل ابنه الحسن بن عبد الله - الذى لقب بعد بناصر الدولة - ثم عزل عنها سنة ٣١٨ ، ووليها عماه سعيد ونصر ابنا حمدان ، وولى ناصر الدولة ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والخابور ورأس عين ومعها من ديار بكر ميافارقين وغيرها ، وضمن ذلك كله بمال معلوم يؤديه كل عام . وفى سنة ٣١٩ كان سعيد بن حمدان يلى أعمال الموصل وديار ربيعة ، وكان عليه صد غارات الروم ، فأبلى فيهم بلاء حسنا . وفى سنة ٣٢٠ ، سار مؤنس الى الموصل مغاضبا للمقتدر ، فكانت بينه وبين بنى حمدان حروب انتهت بانهزامهم واستيلاء مؤنس المظفر على الموصل ، وقتل داود ابن حمدان ، وكان من أشجع الناس وأبسلهم ، وكان يلقب بالمجفجف ، وفيه يقول بعض الشعراء وقد هجا أميرا :

لو كنت فى ألف ألف كلهم بطل ... مثل المجفجف داود بن حمدان
وتحتك الريح تجرى حيث تأمرها ... وفى يمينك سيف غير خوان
لكنت أول فرار الى عدن ... اذا تحرك سيف فى خراسان

« والمجفجف : من جفجفة الموكب وهو هزيزه وحفيفه فى السير ، وجفجف : الشىء اليه : اذا جمعه ، والابل : اذا ردها بالعجلة مخافة الغارة »
وكان لداود ابن يسمى أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ، وكان شجاعا وشاعرا أديبا ، ومما ينسب اليه :

لا والذى جعل الموا ... لى فى الهوى خدم العبيد
وأصار فى أيدى الظبا ... ء قياد أعناق الأسود
وأقام ألوية المنيـ ... ة بين أفنية الصدود
ما الورد أحسن منظرا ... من حسن توريد الخدود

وله وهو فى الأسر :

ياخليلى أسعدانى فقد عيـ ... ل اصطبارى على احتمال البليه
غربة قارظية ، وغرام ... عامرى ، ومحنة علوية

وفى سنة ٣٢١ قتل أبو الأغر بن سعيد بن حمدان أخو أبى فراس ، وكان

له أخ آخر يقال له أبو الهيجاء ، وفيه يقول أخوه أبو فراس الحرث بن سعيد بن حمدان :

حللت من المجد أعلى مكان و بلغك الله أقصى الأمانى
فانك لاعدمتك العـــلا أخ لا كأخـوة هذا الزمان
كسوت أخوتنا بالصفـاء كما كسى النظم حلو المعانى

وفى سنة ٣٢٢ قتل الخليفة القاهر — وكان كاسمه — أبا السرايا ابن حمدان — وكان أصغر ولد أبيه — لأن القاهر كان يحقد عليه قبل أن يلى الخلافة . وفى سنة ٣٢٣ قتل ناصر الدولة عمه أبا العلاء سعيد بن حمدان والد أبى فراس ، لأنه كان قد ضمن الموصل وديار ربيعة وهو ببغداد — وكان بها ناصر الدولة أميرا — فعظم ذلك على الخليفة الراضى ، و بعد حوادث استولى ناصر الدولة على الموصل ، وكتب الى الخليفه يسأله الصفح وأن يضمنه البلاد ، فأجيب الى ذلك واستقرت الحال والبلاد عليه . وفى سنة ٣٣٠ قدم صاحب الترجمة الحسن بن عبد الله بن حمدان وأخوه على خدمة عظيمة للخليفة المتقى ، وظاهراه على بعض الخارجين عليه ، فاستقدمهما الى بغداد ، وخلع عليهما ، ولقب الأول ناصر الدولة والثانى سيف الدولة ، لأنهما كانا له ناصرا قويا وسيفا ماضيا ، وجعل ناصر الدولة أمير الأمراء ببغداد ، واستمر ناصر الدولة ببغداد أميرا من شعبان سنة ٣٣٠ الى أواخر رمضان سنة ٣٣١ ، و بقى ناصر الدولة وأخوه سيف الدولة وابن عمهما أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان عونا للمقتدر ويداله على من ناوأه ، حتى أنه أقام عندهم بالموصل حينا ، ثم ساروا عنها الى الرقة ، فأقاموا بها مدة . وفى سنة ٣٣٤ فى عهد الخليفة المطيع لله كانت حروب بين ناصر الدولة ومن معه من الأعراب و بين معز الدولة ومعه الديلم يؤيدهم الخليفة ، وكانت فتن وخطوب وثورات انتهت باستقرار معز الدولة ببغداد ، وأقام ناصر الدولة بعكبراء ، ثم استقر الصلح بينهما فى المحرم سنة ٣٣٥ ، ثم كان بينهما خلاف فصلح على أن يؤدى ناصر الدولة عن الموصل وديار الجزيرة كلها والشام كل سنة

ثمانية آلاف ألف درهم ، وأن يخطب فى بلاده لبنى بويه : عماد الدولة ، وركن الدولة ، ومعز الدولة ، وعاد معز الدولة الى بغداد فدخلها فى أواخر سنة ٣٣٧ . ثم فى سنة ٣٤٧ تأخر ناصر الدولة عن حمل المال ، فقصده معز الدولة ، و بعد حوادث وخطوب تفرق أصحاب ناصر الدولة عنه واستولى معز الدولة على الموصل ، فلما رأى ذلك سار الى أخيه سيف الدولة بحلب ، فلما وصل خرج اليه ولقيه و بالغ فى اكرامه وخدمه بنفسه، حتى انه نزع خفه بيديه ، وضمن سيف الدولة البلاد بنحو ثلاثة آلاف ألف درهم ، وذلك فى المحرم سنة ٣٤٨ ، وعاد ناصر الدولة الى الموصل ، ثم استقر الصلح بينه و بين معز الدولة على مال جزيل ، ثم كانت بينهما حروب انجلت عن ملك معز الدولة الموصل ، ودارت الدائرة على ناصر الدولة وابنه أبى تغلب فضل الله الغضنفر ، ولكنه لم تهدأ له ثائرة ، بل اجتمع هو وأولاده وعسكره وسار الى الموصل ، فاوقع بمن فيها من أصحاب معز الدولة ، وقتل منهم وأسر كثيرا ، وانتهى الأمر بالصلح بين أبى تغلب ومعز الدولة لأنه علم أنه متى فارق الموصل عادوا وملكوها ، ومتى أقام بها لايزال مترددا ، وهم يغيرون على النواحى و يقلقون راحته فلا يأمن مكرهم ، ولهذا أجاب أبا تغلب الى ما التمسه ، وعقد عليه ضمان الموصل وديار ربيعة والرحبة وما كان فى يد أبيه ، وعاد معز الدولة الى بغداد . ثم فى سنة ٣٥٦ قبض أبو تغلب بن ناصر الدولة على أبيه وحبسه بالقلعة فى أواخر جمادى الأولى ، ووكل به من يخدمه و يقوم بحاجاته، وذلك أنه كان قد كبرت سنه وتغيرت طباعه وساءت أخلاقه وتناقضت أحواله ، وضيق على أولاده وأصحابه وخالفهم فى أعراضهم، فضجروا منه ، وكان من أعظم ما أثر فى نفسه ونال منه مع الزمان وعلو السن موت أخيه سيف الدولة فى شهر صفر سنة ٣٥٦ فقد اشتد جزعه عليه ، وجل خطبه فيه، وعظم مصابه، به حتى أدى ذلك الحزن الأسود الى أن أثر فى عقله وسائر أحواله ، ولما فعل أبو تغلب بأبيه ذلك وانتشر أمرهم الذى كان يجمعهم، وصار قصاراهم حفظ مافى أيديهم احتاج أبو تغلب الى مصانعة

عز الدولة بختيار ومداراته وتجديد عقد الضمان ليحكم بذلك على اخوته ومن خالفه، فضمن البلاد بمال عظيم يؤديه كل عام . وفى سنة ٣٥٩ سار أبو تغلب الى حران وأغار عليها، فتم الأمر بينه و بين أهلها على الصلح وملكها أبو تغلب، و ولى عليها سلامة البرقعيدى بطلب أهلها لحسن سيرته « وكان اليه أيضا عمل الرقة، وهو من أكابر أصحاب بنى حمدان » وعاد أبو تغلب الى الموصل . وفى شهر صفر سنة ٣٦٠ عقد أبو تغلب على ابنة بختيار عز الدولة وعمرها ثلاث سنين على صداق مائة ألف دينار ، وكان الوكيل فى قبول العقد أبا الحسن على بن عمرو بن ميمون صاحب أبى تغلب ، وفى شوال سنة ٣٦١ ملك أبو تغلب قلعة ماردين سلمها اليه نائب أخيه حمدان، واستولى على كل ما كان فيها من مال وأثاث وسلاح وذخائر وحمل جميع ذلك الى الموصل ، وفى شوال سنة ٣٦١ كانت وقعة عظيمة بين أبى القاسم هبة الله بن ناصر الدولة أخى أبى تغلب و بين الدمستق بناحية ميا فارقين انتقاما منه لأخذه بلاد الاسلام على غرة وفتكه بأهلها وسوء أعماله فيها ونهبه ديار ربيعة وديار بكر ، وكان النصر لبنى حمدان وأخذ الدمستق أسيرا، ولم يزل محبوسا حتى مرض، فبالغ أبو تغلب فى علاجه وجمع الأطباء له، وصنع معه ماتوحيه الأخلاق العربية وتوجبه المروءة الانسانية، ولم يقابله بمثل فعله وسوء صنيعه :

وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل اناء بالذى فيه ينضح

غير أن دنو أجل الدمستق لم يجد معه حيل الأطباء ، وضاعت معه حكمة الحكماء ، فلقى حتفه سنة ٣٦٣ بين قوم كرام القدرة، اذا ملكوا أسجحوا واذا اقتدروا عفوا وصفحوا، واذا دعاهم داعى الكرم والمروءة لبوا نداءه وأجابوا دعاءه . وفى سنة ٣٦٣ سار عز الدولة الى الموصل ليستولى عليها وعلى أعمالها وما كان بيد أبى تغلب من البلاد، وسبب ذلك مسير حمدان ابن ناصر الدولة وأخيه ابراهيم الى عز الدولة مستجيرين به شاكيين اليه أخاهما أبا تغلب، فوعدهما أن يعدهما عليه ، ويخلص أعمالهما، ويرد اليهما أموالهما، وينتقم لهما، و بعد حوادث وأمور تم الصلح بين أبى تغلب وعز الدولة على أن يلقب أبو تغلب لقبا سلطانيا، وأن يسلم اليه عز الدولة ابنته التى كان قد

تزجها كما تقدم، وأن يرد أبو تغلب على أخيه حمدان بعض أملاكه، ونفذ الصلح على تلك الشروط، ونقلت ابنة عز الدولة الى زوجها « وفى سنة ٣٦٦ زفت ابنة أخرى لعز الدولة الى الخليفة الطائع لله، وكان قد تزوجها » ثم رجع عز الدولة عائدا الى بغداد، فبلغه أن أبا تغلب قتل قوما كانوا من أصحابه وقد استأمنوا الى بختيار، فعظم عليه ذلك، وأقام بمكانه وأرسل الى الوزير أبى طاهر بن بقية بالاصعاد اليه، و بعد مراسلات بين أبى تغلب وعز الدولة وحلف أبى تغلب أنه لم يعلم بقتل أولئك عاد الصلح بينهما، وانحدر عز الدولة عن الموصل فى ١٧ رجب سنة ٣٦٣، وعاد أبو تغلب الى بلده — وكان قد فارقه — ولما وصل عز الدولة الى بغداد جهز ابنته وسيرها الى زوجها أبى تغلب كما تقدم، و بقيت معه الى أن أخذت منه ولم يعرف لها بعد ذلك خبر — ثم كان من شأن بختيار مع الأتراك والفتنة بينه و بين أصحابه ما تقدم فى ترجمته. واستولى عضد الدولة على العراق سنة ٣٦٧، وسار بختيار عن بغداد ومعه حمدان بن ناصر الدولة، وأتته رسل أبى تغلب أن يسلم اليه أخاه على أن يسير اليه بنفسه وعساكره معينا له على ابن عمه عضد الدولة، فسلم أخا أبى تغلب الى نوابه الذين أرسلهم فحبسه فى قلعة له، ثم سار أبو تغلب و بختيار ومن معهم الى حرب عضد الدولة، فهزمهم، وأسر بختيار وقتل سنة ٣٦٧ كما سبق، واستقر ملك عضد الدولة، واستولى على ملك بنى حمدان، ولم ينفع أبا تغلب مع حزم عضد الدولة وعزمه ما كان يلجأ اليه من الاحتيال، وما زال ينتقل من جهة الى أخرى — وقواد عضد الدولة فى أثره — حتى نزل بمدينة آمد، فأقام بها شهرين، الى أن فتحت ميافارقين وآمد على يد عضد الدولة، فرحل أبو تغلب عنها نحو الرحبة هو وأخته شقيقته جميلة وزوجته وهى ابنة عمه سيف الدولة، وأنفذ رسولا الى عضد الدولة يستعطفه و يسأله الصفح، فأحسن عضد الدولة جواب الرسول، و بذل لأبى تغلب اقطاعا يرضيه على أن يطأ بساطه و يفد اليه طائعا، فلم يجبه أبو تغلب الى ذلك أنفة بدوية، وسار الى الشام الى العزيز بالله الفاطمى صاحب مصر، وتغلب

عضد الدولة على ديار مضر التى كان أبو تغلب يتولاها ، وأخذ لنفسه منها
الرقة فحسب ، ورد باقيها الى سعد الدولة بن سيف الدولة الذى كان سلما
لعضد الدولة وعونا على تملكه بلاد أبى تغلب . وفى سنة ٣٦٩ قتل أبو
تغلب فضل الله بن ناصر الدولة كما سيأتى ، وسيرت زوجه وأخته الى حلب
الى سعد الدولة بن سيف الدولة ، فأخذ أخته، وأرسل جميلة أخت أبى
تغلب الى الموصل ، فسلمت الى أبى الوفاء طاهر بن محمد نائب عضد الدولة
فأرسلها الى بغداد، فاعتقلت فى حجرة فى دار عضد الدولة . وتوفى عضد
الدولة سنة ٣٧٢ ، ثم فى سنة ٣٧٩ ملك أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله
الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان الموصل لأنهما كانا فى خدمة شرف
الدولة بن عضد الدولة ببغداد ، فلما توفى شرف الدولة فى جمادى الآخرة
سنة ٣٧٩ وملك أخوه بهاء الدولة استأذناه فى الأصعاد الى الموصل
فأذن لهما، وسارا اليها، واجتمع اليهما بنو حمدان ، وأقاموا بالموصل، وكثر
العرب عندهم ، ولكن لم تلبث الموصل أن خرجت من أيديهم سنة ٣٨٠
وعاد الديلم الى الموصل سنة ٣٨٢، ثم تقلبت الأحوال بهذه المدينة فملكها
الغز سنة ٤٢٠ ، وظفر قرواش بن المقلد العقيلى صاحبها بالغز العراقيين
فى تلك السنة ، وتوفى قرواش سنة ٤٤٤ محبوسا بقلعة الجراحية من
أعمال الموصل . ومن بنى حمدان الحسن بن الحسين بن عبد الله بن الحسن
ابن عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبى الأمير المعروف بناصر الدولة
وسيفها ، تولى امرة دمشق فى أيام المستنصر بالله الفاطمى بعد أمير الجيوش
الدريرى سنة ٤٣٣ ، فلم يزل واليا بها الى أن قبض عليه وسير الى مصر
فى رجب سنة ٤٤٠ ، وولى بعده طارق الصقلبى المستنصرى — ومنهم
الحسين بن الحسن بن الحسين بن الحسن ناصر الدولة بن عبد الله بن
حمدان الملقب ناصر الدولة ، ولى أمرة دمشق سنة ٤٥٠ فمكث سنتين
أميرا ، ثم ندب لقتال بنى كلاب ، فجرت بينه و بينهم موقعة فى حلب تعرف
بواقعة الفنيدق، فكسر وخرج منهزما، وولى دمشق بعده سبكتكين ،
ثم عاد اليها ابن حمدان هذا ، ثم عزل وتوفى بمصر سنة ٤٦٥ « وكان قد

كَانَ صَاحِبَ الْمَوْصِلِ وَمَاوَالاهَا[1]، وَتَنَقَّلَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ

تقدم فيها تقدما عظيما حتى كان أكبر قائد بها » فى فتن وثورات نشأت من انحلال أمر الخلافة الفاطمية وفساد أحوال المستنصر بالله صاحبها، ولله الأمر من قبل ومن بعد، يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين — هذا وقد كان الحسين بن ناصر الدولة شجاعا وأديبا ماهرا وشاعرا رقيقا، ومن شعره .

لو كنت أملك طرفى ما نظرت به   من بعد فرقتكم يوما الى أحد
ولست أعتده من بعدكم نظرا   لأنه نظر من مقلتى رمد

وكذلك كان أبو المطاع ذو القرنين بن أبى المظفر حمدان بن ناصر الدولة أبى محمد الحسن، بل كان من أشعر بنى حمدان وأرقهم غزلا، وستأتى ترجمته . ومن بنى حمدان الأدباء الفرسان أبو زهير مهلهل بن نصر بن حمدان، وهو القائل :

وقد علمت بما لاقته منا   قبائل يعرب و بنو نزار
لقيناهم بأرماح طوال   تبشرهم بأعمار قصار

وله — وهو مما كان يتغنى به :

وزعمت أنى ظالم فهجرتنى   ورميت فى قلبى بسهم نافذ
فنعم ظلمتك، فاغتفر لى زلتى   هذا مقام المستجير العائذ

تلك كلمة تاريخية فى بعض بنى حمدان، وستأتى كلمة أخرى تتصل بسيف الدولة و بنيه أرجأناها الى ترجمته — ولنا مع الأسرة الحمدانية حديث أدبى مسهب ممتع فى كتابنا الجامع فى اللغة وتاريخها وآدابها، نرجو أن نقدمه للقراء قريبا ان شاء الله تعالى . كما نرجو أن يعذرونا فى طول هذه الكلمة ؟ فلعلها لا تخلو من فوائد تاريخية أو أدبية يرغب فيها بعض الناس، والله الموفق للسداد « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) زاد فى النسخة الخطية بعد « كان صاحب الموصل وماوالاها »

حكى هلال بن المحسن أن معز الدولة بن بويه كان منازلا لناصر الدولة

تَارَاتٍ إِلَى أَنْ مَلَكَ ٱلْمَوْصِلَ بَعْدَ أَنْ كَانَ نَائِباً بِهَا عَنْ أَبِيهِ ، ثُمَّ لَقَّبَهُ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمُتَّقِي بِاللهِ نَاصِرَ ٱلدَّوْلَةِ ، وَذَلِكَ فِي مُسْتَهَلِّ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلاثِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ، وَلَقَّبَ أَخَاهُ سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ أَيْضًا ، وَعَظَّمَ شَأْنَهُمَا ، وَكَانَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمُكْتَفِي بِاللهِ قَدْ وَلَّى أَبَاهُمَا عَبْدَ ٱللهِ بْنَ حَمْدَانَ ٱلْمَوْصِلَ وَأَعْمَالَهَا فِي

أبي محمد بن حمدان، فجاءه غلام فقال : إن اغتلت ابن حمدان وقتلته ما يكون لي عليك ؟ قال : اقتراحك - ووعده وعدا ملأ به صدره - فمضى واختلط بعسكر ناصر الدولة، وتوصل الى أن عرف موضع منامه ليلا من خيمته، ثم جاء وقد اشتمل على رشقة فدخل الخيمة من تحت الطلب - وقد تفرق الناس ونام الحراس - فوجد ناصر الدولة نائما على سرير وفي جانب الخيمة شمعة، وعلى بعد منه جماعة، فتأمل موضع رأسه من رجليه، ثم أطفأ الشمعة لئلا يصيح اذا جرحه فينذر به ويؤخذ، وجاء يريد الموضع الذي فيه رأسه، فاتفق أن ناصر الدولة تقلب من جنب فزال عن المكان فغرز الرشقة غرزا استقصى فيه ،وظن أنه قد بلغ المراد ، فأحس ناصر الدولة بعدوه، فانتبه، فرأى الشمعة وقد أطفئت وأطناب الخيمة مرفوعة، فصاح بالغلمان فبادروا، وجاءوا بضوء وشاهدوا الصورة ، فجزع ،وأمر بالزيادة في الاحتراس، ولم يعلم كيف جرى الأمر، وعاد الرجل فأخبر معز الدولة أنه قتل ناصر الدولة فلم يعطه ماوعده به ، لكنه أطلق له شيئا ، وقال لأبي جعفر الصيمري (١) ان من يقدم على الملوك مثل اقدام هذا لايجوز استبقاؤه فضلا أن يوثق بمكانه ، وماالذي يؤمننا أن يبذل لأعدائنا مثل مابذل لنا؟! فأرحني منه كيف شئت، فأخذه الصيمري فغرقه .

---

(١) أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري وزير معز الدولة توفي سنة ٣٣٩ « أحمد يوسف نجاتي » .

سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَدَخَلَهَا فِي أَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ أَكْبَرَ سِنًّا مِنْ أَخِيهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَأَقْدَمَ مَنْزِلَةً عِنْدَ الْخُلَفَاءِ ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّأَدُّبِ مَعَهُ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا يَوْمًا وَحْشَةٌ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَيْفُ الدَّوْلَةِ :

لَسْتُ أَجْفُو وَإِنْ جُفِيتُ، وَلَا أَتْ
رُكُ حَقًّا عَلَيَّ فِي كُلِّ حَالِ

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ ، وَالْأَبُ الْجَا
فِي يُجَازَى بِالصَّبْرِ وَالِاحْتِمَالِ (١)

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى - وَذَكَرَهَا الثَّعَالِبِيُّ فِي الْيَتِيمَةِ - :

رَضِيتُ لَكَ الْعُلْيَا وَإِنْ (٢) كُنْتُ أَهْلَهَا
وَقُلْتُ لَهُمْ : بَيْنِي وَبَيْنَ أَخِي فَرْقُ

(١) أخذه من قول أبي الطيب المتنبي لكافور الأخشيدى - وقد اتصل قوم من الغلمان بابن الأخشيد مولى كافور ، وأرادوا أن يفسدوا الأمر على كافور ، فطالبه بتسليمهم اليه ، فسلمهم واصطلحا ، فقال أبو الطيب قصيدة مطلعها :

حسم الصلح ماشهته الأعادى   وأذاعته ألسن الحساد

ومنها :

انما أنت والد، والأب القا   طع أحنى من واصل الأولاد

(٢) ويروى « وقد كنت » « أحمد يوسف نجاتى »

وَلَمْ يَكُ بِي عَنْهَا نُكُولٌ[١] وَإِنَّمَا
تَجَافَيْتُ[٢] عَنْ حَقِّي فَتَمَّ لَكَ الْحَقُّ
وَلَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أَكُونَ مُصَلِّيًا[٣]
إِذَا كُنْتُ أَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ السَّبْقُ

وَكَانَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ شَدِيدَ الْمَحَبَّةِ لِأَخِيهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَلَمَّا تُوُفِّيَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ فِي التَّارِيخِ الْآتِي ذِكْرُهُ فِي تَرْجَمَتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ، وَسَاءَتْ أَخْلَاقُهُ وَضَعُفَ عَقْلُهُ، إِلَى أَنْ لَمْ يَبْقَ لَهُ حُرْمَةٌ عِنْدَ أَوْلَادِهِ وَجَمَاعَتِهِ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ أَبُو تَغْلِبَ فَضْلُ اللَّهِ الْمُلَقَّبُ عُدَّةَ الدَّوْلَةِ الْمَعْرُوفُ بِالْغَضَنْفَرِ بِمَدِينَةِ الْمَوْصِلِ بِاتِّفَاقٍ مِنْ إِخْوَتِهِ وَسَيَّرَهُ إِلَى قَلْعَةِ أَرْدُمُشْتَ[٤] فِي حِصْنِ السَّلَامَةِ، وَذَكَرَ

(١) نكوص وجبن وتأخر (٢) ويروى «تجاوزت» (٣) المصلى: الفرس الذى يتلو السابق ويجىء ثانيا، سمى بذلك لأن رأسه تكون عند صلا الفرس السابق: أى وسط ظهره أو ما انحدر من وركيه أو ما عن يمين الذنب ويساره، وهما صلوان يكتنفان الذنب، وصلى الفرس تصلية اذا تلا السابق، وفى الحديث «سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى أبو بكر، وثلث عمر، وخبطتنا فتنة، فما شاء الله» ويقال للفرس السابق فى الحلبة والآتى أولا: المجلى، ويروى صدر البيت «أما كنت ترضى أن أكون مصليا». أحمد يوسف نجاتى» (٤) اسم قلعة حصينة كانت قرب جزيرة ابن عمر و فى شرقى دجلة الموصل على جبل الجودى

شَيْخُنَا ابْنُ الأَثِيرِ فِي تَارِيخِهِ أَنَّ هَذِهِ الْقَلْعَةَ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْآنَ قَلْعَةَ كَوَاشِيَ - وَذَلِكَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقْتَ الْعَصْرِ ثَانِيَ عَشَرَ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ، وَنُقِلَ إِلَى الْمَوْصِلِ، وَدُفِنَ بِتَلِّ تَوْبَةَ[1] شَرْقِيَّ الْمَوْصِلِ - وَقِيلَ إِنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ - وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَمْدَانِيُّ فِي كِتَابِ (عُنْوَانِ السِّيَرِ) فِي آخِرِ تَرْجَمَةِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ مَا مِثَالُهُ : وَلَمْ يَزَلْ - يَعْنِي نَاصِرَ الدَّوْلَةِ - مُسْتَوْلِيًا عَلَى دِيَارِ الْمَوْصِلِ وَغَيْرِهَا حَتَّى قَبَضَ عَلَيْهِ ابْنُهُ الْغَضَنْفَرُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ،

وكان أهلها قد عصوا على الخليفة المعتضد بالله وتحصنوا بها ، فقصدها بنفسه ونزل عليها ، فسلمها أهلها اليه، فخربها وعاد راجعا ، ثم أعاد بناءها ناصر الدولة أبو تغلب أحمد بن حمدان ، وكانت فى القرن السابع تعرف بقلعة كواشى ، وكانت يومئذ عامرة داخلة ضمن مملكة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ مملوك نور الدين مسعود بن عز الدين بن قطب الدين بن زنكى - ملك لؤلؤ الموصل سنة ٦٣٠ ، وكان قبل نائبا بها، وتوفى بدر الدين لؤلؤ الأرمنى الأتابكى صاحب الموصل سنة ٦٥٧ عن أكثر من ٨٠ سنة، وانخرط نظام بلده من بعده . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) اسم موضع كان مقابل مدينة الموصل فى شرقى دجلة متصل بنينوى. وكان فى هذا التل مشهد يزار و يتفرج فيه أهل الموصل كل ليلة جمعة قيل انه سمى تل توبة لأنه لما نزل باهل نينوى العذاب - وهم قوم سيدنا

وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ هُنَاكَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ وَقُتِلَ أَبُوهُ بِبَغْدَادَ وَهُوَ يُدَافِعُ عَنِ الْإِمَامِ الْقَاهِرِ بِاللهِ ـ وَقِصَّتُهُ مَشْهُورَةٌ ـ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَثَلَثِمِائَةٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى(١) . وَأَمَّا الْغَضَنْفَرُ بْنُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ جَرَتْ لَهُ مَعَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ لَمَّا مَلَكَ بَغْدَادَ بَعْدَ قَتْلِهِ بَخْتِيَارَ ابْنَ عَمِّهِ الْمُقَدَّمَ ذِكْرُهُ ـ وَقَدْ كَانَ مَعَهُ فِي الْوَقْعَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا ـ قَضَايَا يَطُولُ شَرْحُهَا(٢) ، وَحَاصِلُهَا أَنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ قَصَدَهُ بِالْمَوْصِلِ

يونس عليه السلام ـ اجتمعوا بذلك التل وأظهروا التوبة وسألوا الله العفو فتاب عليهم وكشف العذاب عنهم، وكان عليه هيكل للأصنام فهدموه وكسروا صنمهم . قال ياقوت : وهناك الآن مشهد مبنى محكم بناؤه ـ بناه أحد المماليك من سلاطين آل سلجوق، وكان من أمراء الموصل قبل البرسق ـ وتنذر له النذور الكثيرة، وفى زواياه الأربع أربع شمعات تحرز كل واحدة منها بخمسمائة رطل مكتوب عليها اسم الذى عملها وأهداها الى الموضع . اه « أحمد يوسف نجاتى » (١) قد فصلنا ذلك فى كلمتنا السابقة

(٢) اليك خلاصة هذه الحوادث متصلة السياق مرتبطة العبارة : ملك المعز لدين الله الفاطمى دمشق سنة ٣٥٨ وجعل عليها القائد جعفر بن فلاح كما تقدم فى ترجمته ، وفى ذى القعدة سنة ٣٦٠ ملك القرامطة دمشق وقتلوا جعفر بن فلاح، وفى سنة ٣٦٣ ساروا من الأحساء ومقدمهم الحسن ابن أحمد الى ديار مصر وتبعه خلق كثير من العرب وغيرهم، وكان ممن

وفد اليه حسان بن الجراح الطائى أمير العرب بالشام ومعه جمع عظيم، فأعمل المعز بالله الحيلة لما رأى كثرة جموعه، ولم يقدم على اخراج عسا كره لقتاله وأسفرت له الفكرة والمشورة عن استمالة حسان بن الجراح بالأموال والوعد سعيا فى تفريق كلمتهم والقاء الخلاف بينهم، وبذلك كانت غاية الحروب والحوادث أن هزم القرمطى، وجرد المعز القائد أبا محمود بن ابراهيم بن جعفر فى جيش وأمره باتباع القرامطة، و بعد ذلك أرسل المعز لدين الله القائد ظالم بن موهوب العقيلى واليا على دمشق، فدخلها، وعظمت حاله، وكثرت جموعه وعدته وأمواله، ثم عادت الفتنة بدمشق سنة ٣٦٤ حتى استقر الأمر بخروج ظالم بن موهوب منها، ثم كان أن ولى عليها ألفتكين التركى « مولى معز الدولة ابن بويه، وكان قد انهزم من مولاه بختيار بن معز الدولة ومن عضد الدولة فى فتنة الأتراك بالعراق سنة ٣٦٤» فلما انهزم منهم سار فى طائفة صالحة من الجند الترك، فوصل الى حمص فنزل بالقرب منها، فقصده ظالم بن موهوب العقيلى الذى كان أمير دمشق فلم يتمكن منه، وسار الفتكين الى دمشق فنزل بظاهرها، وكان أميرها حينئذ ريان الخادم للمعز، وكان الأحداث قد غلبوا عليها، وليس للأعيان معهم حكم ولا للحكومة عليهم طاعة، وسر أهل دمشق بقدوم الفتكين، ومدوا اليه يد المعونة، وأخرج ريان الخادم، وقطع خطبة المعز، وخطب للخليفة العباسى الطائع لله، وقمع أهل العيث والفساد، وكانت العرب قد استولت على سواد البلد وما يتصل به، فقصدهم وأوقع بهم، وأراد المعز أن يرسل اليه جيشا يحار به فتوفى المعز سنة ٣٦٥ وولى بعده ابنه العزيز بالله، فسير اليه جوهر القائد، وانضم الى الفتكين القرمطى الحسن بن أحمد، ثم كان من الحوادث ما تقدم بعضه فى ترجمة جوهر، اذ انهزم القرمطى والفتكين سنة ٣٦٧ ومضى الفتكين منهزما، ولقيه المفرج بن دغفل الطائى وكان بينهما أنس قديم ـ ثم اتصل ألفتكين بالعزيز الفاطمى، وعلت منزلته عنده حتى توفى بمصر: ولما فارق افتكين دمشق تقدم على أهلها قسام ـ اذ كان أفتكين قد وثق به واطمأن اليه، وقربه وعول فى كثير من أموره اليه، فارتفع ذكره، وعلا صيته، وعظم شأنه، وكثر أتباعه من الأحداث، فاستولى

على البلد،وكان له سلطان عليه، وكان القائد أبو محمود قد عاد الى دمشق واليا عليها للعزيز،فلم يتم له مع قسام أمر، ولم يزل أمر قسام على دمشق نافذا وهو يدعو للعزيز بالله حتى وصل اليه أبو تغلب بن حمدان منهزما فمنعه قسام من دخول دمشق،وخافه على البلد أن يتولاه اما غلبة واما بأمر العزيز،فاستوحش أبو تغلب حتى رحل الى طبرية،و بقى قسام كذلك الى سنة ٣٦٩ فسير العزيز من مصر سلمان بن جعفر بن فلاح أميرا على دمشق فوصل اليها ونزل بظاهرها ولم يتمكن من دخولها،وجرى بين أصحابه وأصحاب قسام قتال حتى أخرجوه من الموضع الذى كان فيه ، وكان قسام بالجامع والناس عنده، فكتب محضرا وسيره الى العزيز يذكر أنه كان بالجامع عند هذه الفتنة ولم يشهدها، و بذل من نفسه أنه ان قصده عضد الدولة بن بويه أو عسكر قاتله ومنعه من البلد،فأغضى العزيز لقسام على هذه الحال -لأنه كان يخاف أن يقصد عضد الدولة الشام- فلما فارق سلمان بن جعفر دمشق عاد اليها القائد أبو محمود، ولا حكم له، والحكم جميعا لقسام،وكان أبو تغلب لما منعه قسام من دخول البلد نزل بظاهره،وأرسل رسولا الى العزيز بمصر يستنجده ليفتح له دمشق، فوقع بينه و بين أصحاب قسام فتنة، فرحل الى نوى من أعمال دمشق ، فأتاه كتاب رسوله من مصر يذكر أن العزيز يريد أن يحضر هو عنده بمصر ليسير معه العساكر ،فامتنع أبو تغلب،وترددت الرسل، و رحل الى بحيرة طبرية، وسير العزيز عسكرا الى دمشق مع قائد اسمه الفضل، فاجتمع بأبى تغلب عند طبرية، و وعده عن العزيز بكل ما أحب،وأراد أبو تغلب المسير معه الى دمشق ،فمنعه -بسبب الفتنة التى جرت بين أصحابه وأصحاب قسام، لئلا يستوحش قسام- وأراد أخذ البلد منه سلما، و رحل الفضل الى دمشق فلم يفتحها ، وكان بالرملة دغفل بن المفرج بن الجراح الطائى قد استولى على هذه الناحية ، وأظهر طاعة العزيز من غير أن يتصرف بأحكامه ، وكثر جمعه،وسار الى أحياء عقيل المقيمة بالشام ليخرجها من الشام ، فاجتمعت عقيل الى أبى تغلب وسألته نصرتها،وكتب اليه دغفل يسأله أن لا يفعل،فتوسط أبو تغلب الحال،فرضوا بما يحكم به العزيز،و رحل أبو تغلب فنزل فى جوار عقيل،فخافه دغفل والفضل صاحب العزيز، وظنا

فَهَرَبَ مِنْهُ إِلَى الشَّأْمِ وَنَزَلَ بِظَاهِرِ دِمَشْقَ وَالْمُسْتَوْلِي عَلَيْهَا
قَسَّامٌ الْعَيَّارُ فَكَتَبَ إِلَى الْعَزِيزِ بْنِ الْمُعِزِّ صَاحِبِ مِصْرَ

أنه يريد أخذ تلك الأعمال، ثم ان أبا تغلب سار الى الرملة فى المحرم سنة ٣٦٩ فلم يشك ابن الجراح والفضل أنه يريد حربهما وكانا بالرملة، فجمعا العساكر رتصاف الناس للحرب، فلما رأت عقيل كثرة الجمع انهزمت، ولم يبق مع أبى تغلب الا نحو سبعمائة رجل من غلمانه وغلمان أبيه، فانهزم ولحقه الطلب، فوقف يحمى نفسه وأصحابه، فضرب على رأسه فسقط وأخذ أسيرا، وحمل الى دغفل، فأسره وكتفه، وأراد الفضل أخذه وحمله الى العزيز بمصر، فخاف دغفل أن يصطنعه العزيز كما فعل بالفتكين ويجعله عنده فقتله فلامه الفضل على قتله، وأخذ رأسه وحمله الى مصر، وكان بعد ذلك ما تقدم فى كلمتنا السابقة. وفى سنة ٣٧٠ سيرت العساكر من مصر لقتال المفرج ابن جراح - وقد عظم شأنه بفلسطين، وكثر جمعه، وقويت شوكته وبالغ هو فى العيث والفساد وتخريب البلاد - فانهزم ابن الجراح، ونازل جيش مصر دمشق مخادعين لقسام، وكان القائد أبو محمود قدتو فى سنة ٣٧٠ وهو والى البلد ظاهرا، ولا حكم له مع قسام، وقوى عسكر مصر حتى انخذل قسام وذل، وخضع بعد تجبره وتكبره، ثم استتر وخرج مختفيا الى بلتكين قائد جيش العزيز مستأمنا، فأرسله الى مصر، فأطلقه العزيز، واستراح الناس من تحكمه عليهم، وتغلبه بمن تبعه من الأحداث ومن أهل العيث والفساد وفى سنة ٣٨٦ عادت الفتنة بدمشق، وعصى المفرج بن دغفل بن الجراح الطائى، ونزل على الرملة وعاث فى البلاد، فسار اليه جيش الحاكم بأمر الله الفاطمى، فهرب من بين يديه، وأرسل الى القائد جيش بن الصمصامة يطلب العفو فأمنه، ولم يلبث أن عاد الى عبثه بالأمن هو وابنه حسان، واستمالهما الحاكم بالعطاء الجزيل، ثم أرسل الحاكم القائد على بن جعفر بن فلاح الى الرملة، فأزاح حسان بن مفرج وعشيرته عن تلك الأرض، وأخذ ما كان له من الحصون بجبل الشراة، وبقى حسان شريدا نحو سنتين، ثم سار الى

يَسْأَلُهُ تَوْلِيَةَ ٱلشَّأْمِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ظَاهِرًا ، وَمَنَعَهُ بَاطِنًا ، فَتَوَجَّهَ إِلَى ٱلرَّمْلَةِ فِي ٱلْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ - وَبِهَا ٱلْمُفَرِّجُ ٱبْنُ ٱلْجَرَّاحِ ٱلْبَدَوِيُّ ٱلطَّائِيُّ[1] فَهَرَبَ مِنْهُ ، ثُمَّ جَمَعَ لَهُ جُمُوعًا وَعَادَ إِلَيْهِ ، فَٱلْتَقَيَا عَلَى بَابِهَا فِي يَوْمِ ٱلِاثْنَيْنِ لِلَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْ صَفَرٍ مِنَ ٱلسَّنَةِ ، فَٱنْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَأُسِرَ ، وَقُتِلَ يَوْمَ ٱلثُّلَاثَاءِ ثَانِي

مصر فأكرمه الحاكم ، وكان أبوه المفرج قد توفى حوالى سنة ٣٩٣ فضعف أمر ابنه ، وذهب الى مصر خاضعا ، وكان منه بعد ذلك ماسيأتى . « أحمد يوسف نجاتى » (١) لم يطل مكث حسان بن المفرج بمصر ، فقد أكرمه الخليفة وأحسن اليه ، ثم عاد الى الشام ، وأمكنه بعد أن يتغلب على جهات الرملة - بل على أكثر الشام - فى دولة الظاهر لاعزاز لدين الله الفاطمى الذى تولى الخلافة سنة ٤١١ و بتحالفه مع صالح بن مرداس أمير بنى كلاب قوى أمره وفى سنة ٤١٤ سار الى مدينة عسقلان واستولى عليها ونهبها وقتل أهلها ، وفى سنة ٤١٦ قدم القاهرة مستخفيا أبو الحسن التهامى الشاعر المشهور ومعه كتب كثيرة من حسان بن المفرج فظفر وابه ، فاعتقل فى خزانة البنود فى شهر ربيع الآخر سنة ٤١٦ ثم قتل سرا فى سجنة فى جمادى الأولى سنة ٤١٦ كما سيأتى شرح ذلك فى ترجمته » وفى سنة ٤٢٠ خرج على الظاهر بالبلاد الشامية صالح بن مرداس أسد الدولة بن حسان ابن المفرج بن الجراح ، وجمعا الجموع ، واستوليا على الأعمال ، وانتهيا الى غزة ، فجهز الظاهر لحربهما جيشا ، فانهزم حسان وقتل صالح ، وفى سنة ٤٣٣ فسد أمر بلاد الشام بعد وفاة نائب الخليفة المستنصر بالله الفاطمى بها ، وانتشرت الأمور ، و زال النظام ، وطمعت العرب وخرجوا فى نواحيه فخرج حسان بن المفرج الطائى بفلسطين ، وكانت بينه و بين عساكر دمشق وقعة . « أحمد يوسف نجاتى » .

صَفَرٍ ٱلْمَذْكُورِ ، وَمَوْلِدُهُ يَوْمَ ٱلثُّلَاثَاءِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ ذِي ٱلْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ . وَنَقَلْتُ نَسَبَهُمْ عَلَى هَذِهِ ٱلصُّورَةِ مِنْ كِتَابِ أَدَبِ ٱلْخَوَاصِّ لِلْوَزِيرِ أَبِي ٱلْقَاسِمِ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ ٱلْمَغْرِبِيِّ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ٱلْأَسَدِيُّ ٱلنَّسَّابَةُ : ٱسْمُ تَغْلِبَ دِثَارٌ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ تَغْلِبَ لِأَنَّ أَبَاهُ وَائِلًا قَصَدَتْهُ ٱلْيَمَنُ فِي دَارِهِ لِتَسْبِيَ أَهْلَهُ ، فَصَرَخَ فِي أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ فَنُصِرَ عَلَى ٱلْيَمَنِ ، وَكَانَ تَغْلِبُ طِفْلًا ، فَتَبَرَّكَ بِهِ ، وَقَالَ : هَذَا تَغْلِبُ فَسُمِّيَ بِهِ .

***

حسن بن بويه فناخسرو ركن الدولة الديلمى

« أَبُو عَلِيٍّ ٱلْحَسَنُ بْنُ بُوَيْهِ بْنِ فَنَّاخُسْرُو ٱلدَّيْلَمِيُّ ٱلْمُلَقَّبُ رُكْنَ ٱلدَّوْلَةِ »

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ تَتِمَّةِ نَسَبِهِ فِي حَرْفِ ٱلْهَمْزَةِ عِنْدَ ذِكْرِ أَخِيهِ مُعِزِّ ٱلدَّوْلَةِ أَحْمَدَ ، وَكَانَ رُكْنُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَذْكُورُ صَاحِبَ أَصْبَهَانَ وَٱلرَّيِّ وَهَمَذَانَ وَجَمِيعِ عِرَاقِ ٱلْعَجَمِ ، وَهُوَ وَالِدُ عَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ فَنَّاخُسْرُو ، وَمُؤَيِّدِ ٱلدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورٍ بُوَيْهِ وَفَخْرِ ٱلدَّوْلَةِ أَبِي ٱلْحَسَنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ مَلِكًا جَلِيلَ ٱلْمِقْدَارِ عَالِيَ ٱلْهِمَّةِ ، وَكَانَ أَبُو ٱلْفَضْلِ بْنُ ٱلْعَمِيدِ ٱلْآتِي ذِكْرُهُ

إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى وَزِيرَهُ ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ ٱسْتَوْزَرَ وَلَدَهُ أَبَا ٱلْفَتْحِ عَلِيًّا ، وَكَانَ ٱلصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ وَزِيرَ وَلَدِهِ مُؤَيِّدِ ٱلدَّوْلَةِ ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ وَزَرَ لِفَخْرِ ٱلدَّوْلَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي حَرْفِ ٱلْهَمْزَةِ فِي تَرْجَمَةِ ٱلصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ . وَكَانَ مَسْعُودًا ، وَرُزِقَ ٱلسَّعَادَةَ فِي أَوْلَادِهِ ٱلثَّلَاثَةِ ، وَقَسَّمَ عَلَيْهِمُ ٱلْمَمَالِكَ فَقَامُوا بِهَا أَحْسَنَ قِيَامٍ ، وَكَانَ رُكْنُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَذْكُورُ أَوْسَطَ ٱلْإِخْوَةِ ٱلثَّلَاثَةِ ؛ وَهُمْ عِمَادُ ٱلدَّوْلَةِ أَبُو ٱلْحَسَنِ عَلِيٌّ ، وَرُكْنُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَذْكُورُ ، وَمُعِزُّ ٱلدَّوْلَةِ أَبُو ٱلْحُسَيْنِ أَحْمَدُ ، وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ ، وَكَانَ عِمَادُ ٱلدَّوْلَةِ أَكْبَرَهُمْ سِنًّا ، وَمُعِزُّ ٱلدَّوْلَةِ أَصْغَرَهُمْ (١) ، وَتُوُفِّيَ رُكْنُ

(١) زاد فى النسخة الخطية بعد « ومعز الدولة أبو الحسين أحمد أصغرهم » ما يأتى :

ولما كان فى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة سار الخراسانيون : منصور بن قراتكين ومن معه الى الرى (١) وكان ركن الدولة ببلاد فارس، فلما

(١) ساروا اليها من نيسابور بأمر الأمير نوح بن نصر بن أحمد بن اسمعيل السامانى صاحب خراسان وماوراء النهر ، ولى خراسان بعد وفاة والده السعيد نصر بن أحمد سنة ٣٣١ « الذى كانت مدة ولايته نحو ثلث قرن » وبايعه الناس وحلفوا له، ولقب بالأمير الحميد ، وكان بينه وبين ركن الدولة حروب لطمعه فى الاستيلاء على بلاده ، وكان قد استولى على الرى من ركن الدولة فى سنة ٣٣٣ ولكن أمكن ركن

وصل جرت بينه و بينهم حروب عدة، وضاقت الميرة على الطائفتين حتى انهم ذبحوا دوابهم، ولو أمكن ركن الدولة الانهزام لفعل، ولكنه تعذر عليه ذلك، فاستشار وزيره أبا الفضل ابن العميد فى بعض الليالى فى الحرب فقال له: لاملجأ لك الا الله تعالى، فانو للمسلمين خيرا، وصمم العزم على حسن السيرة والاحسان، فان الحيل البشرية كلها قد تقطعت بنا، وان انهزمنا تبعونا وأهلكونا، وهم أكثر منا، فلا يفلت منا أحد، فقال له: قد سبقتك الى هذا، فلما كان ثلث الليل الأخير أتاهم الخبر أن منصورا وعسكره قد عادوا الى الرى وتركوا خيامهم، وكان سبب ذلك أن الميرة والعلوفة ضاقت عليهم أيضا، إلا أن الديلم كانوا يصبرون و يقتنعون بالقليل من الطعام، واذا ذبحوا دابة ما اقتسمها الخلق الكثير منهم، وكان الخراسانية

الدولة أن يستعيدها سنة ٣٣٥ بسبب ما كان من الاختلاف بين عساكر خراسان وحسن سياسة ركن الدولة وانتفاعه بالفرص السانحة، فرجع ركن الدولة الى الرى، واستولى عليها وعلى سائر أعمال الجبل، وأزال عنها الخراسانية، وعظم ملك بنى بويه، فقد صار بأيديهم أعمال الرى والجبل وفارس والأهواز والعراق، وكان يحمل اليهم ضمان الموصل وديار بكر وديار مضر من الجزيرة. وفى سنة ٣٣٩ سار الخراسانيون — كما هنا — الى الرى «مع القائد منصور بن قراتكين الذى كان من خواص الأمير نوح وأكابر أصحابه وقواده، وكان قد ولاه جيوش خراسان سنة ٣٣٤» ودخل منصور الرى واستولى عليها، وفرق العساكر فى البلاد، فملكوا بلاد الجبل وأزالوا عنها نواب ركن الدولة، ولكن لم يجنوا ثمرة هذا الفتح كله لاستعانة ركن الدولة بأخيه معز الدولة، واتفاقهما على صدق الدفاع، وعدم انتهاز منصور قائد السامانيين الفرص، وأظن أنه لم يكن ذا خبرة تامة بدهاء الحروب ومعرفة مكايدها وحيلها، أو كان غير مخلص تمام الاخلاص للأمير نوح «لأن الأمير نوحا كان ربما تصرف فى أمور منصور الخاصة فى أثناء غيبته بدون أن يعرف رأيه فى ذلك، وربما أغضب هذا التصرف منصورا» ولهذا استعاد بنو بويه مدينة الرى — وينبغى أن تعرف أن هذه الواقعة التى تتحدث عنها النسخة الخطية كانت بين الطائفتين نحو أصبهان بعد أن خرج منصور من الرى اليها «أحمد يوسف نجاتى».

بالضد منهم، لا يصبرون ولا يكفيهم القليل(١) . حكى أبو الفضل بن العميد

(١) ولهذا شغبوا على منصور واختلفوا وعادوا الى الرى — وذلك فى المحرم سنة ٣٤٠ و بلغ ذلك ركن الدولة فلم يصدقه حتى تواتر عنده، فركب هو وعسكره، واحتوى على كل ماخلفه الخراسانية . هذا و بعد أن عاد منصور ابن قراتكين من أصبهان الى الرى مرض، وتوفى فجأة فى شهر ربيع الأول سنة ٣٤٠ فعادت العساكر الخراسانية الى نيسابور ، وكان منصور قبل ذلك قد تأذى بالجند، واستصعب ايالتهم — وكانوا قد استبدوا بالأمور دونه، وعاثوا فى نواحى نيسابور — فتواترت كتبه الى الأمير نوح بالاستعفاء من ولايتهم، وأن يقتصر به على هراة ، فأجيب الى ذلك . وتوفى الأمير نوح بن نصر سنة ٣٤٣ وكان حسن السيرة كريم الأخلاق ، وملك بعده ابنه عبد الملك بن نوح وتوفى سنة ٣٥٠ عثر به فرسه فسقط فمات من سقطته. وافتتن خراسان بعده، وولى بعده أخوه منصور بن نوح، وفى أيامه من سنة ٣٤٥ بدأ أول وهن يتطرق الى الدولة السامانية ، فطمع أصحاب الأطراف فيهم لسوء طاعة اصحابهم لهم ، وتوفى الأمير منصور ابن نوح سنة ٣٦٦ وولى الأمر بعده ابنه أبو القاسم نوح، وكان عمره ١٣ سنة ولقب بالمنصور ، فاستوزر أبا الحسين العتبى، فقام فى حفظ الدولة القيام المرضى ، وفى سنة ٣٨٤ ولى الأمير نوح على نيسابور محمود بن سبكتكين، وولاه أيضا على جيوش خراسان، ولقبه سيف الدولة، ولقب أباه سبكتكين ناصر الدولة، فأحسنا السيرة ، وتوفى الأمير نوح سنة ٣٨٧ واختل بموته ملك آل سامان، وضعف أمرهم ضعفا ظاهرا، وطمع فيهم أصحاب الأطراف، فزال ملكهم بعد مدة يسيرة ، وقام بالملك بعده ابنه أبو الحرث منصور بن نوح ، وتوفى ناصر الدولة سبكتكين سنة ٣٨٧ وكان عادلا خيرا ، كثير الجهاد، حسن الاعتقاد، ذا مروءة تامة وحسن عهد ووفاء، وابنه سيف الدولة محمود أول من لقب بالسلطان ، وهو الذى استولى على ملك الدولة السامانية وغيره، وملك خراسان سنة ٣٨٩ وأزال عنها اسم السامانية ، وخطب فيها للخليفة العباسى القادر بالله ، والله تعالى هو مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء « أحمد يوسف نجاتى »

اُلدَّوْلَةِ لَيْلَةَ اُلسَّبْتِ لِاثْنَتَىْ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنَ اُلْمُحَرَّمِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَثِمِائَةٍ بِالرَّىِّ[1] وَدُفِنَ فِى مَشْهَدِهِ ،

قال : استدعانى ركن الدولة تلك الليلة فى الثلث الأخير وقال : قد رأيت الساعة فى منامى كأنى على دابتى فيروز ،وقد انهزم عدونا،وأنت تسير الى جانبى ،وقد جاءنا الفرج من حيث لانحتسب، فمددت عينى فرأيت على الأرض خاتما، فأخذته ،واذا فصه من فيروزج،فجعلته فى إصبعى ،فتبركت به،وانتبهت وقد أيقنت بالظفر ، فان الفيروزج معناه الظفر ،وكذلك لقب الدابة فيروز . قال ابن العميد : فأتانا الخبر والبشارة بأن العدو قد رحل فما صدقنا حتى تواردت الأخبار ،فركبنا، ولا نعرف سبب هربهم ، وسرنا حذرين من كمين ، وسرت الى جانب ركن الدولة وهو على فرسه فيروز فصاح ركن الدولة لغلام بين يديه: ناولنى ذلك الخاتم،فأخذ خاتما من الأرض فناوله إياه، فاذا هو من فيروزج،فجعله فى إصبعه وقال : هـذا تأويل رؤياى ، وهـذا الخاتم الذى رأيت من ساعة . وهذا من أحسن مايحكى وأعجبه . وكان ركن الدولة يقول: مثل خراسان فى صعوبة فتحها ونزارة دخلها كابن آوى ،يصعب صيده ولا يحصل خيره ، وهو يعنى قول الشاعر :

ان ابن آوى لشديد المقتنص   وهو اذا ماصيد ريح فى قفص

(١) وكان ابتداء مرض ركن الدولة حين سمع بالقبض على بختيار بن أخيه معز الدولة كما ذكرناه قبل،وكان ابنه عضد الدولة قد عاد من بغداد بعد أن أطلق عز الدولة بختيار ،اذ ظهر للخاصة والعامة غضب والده عليه فخاف أن يموت أبوه غاضبا، فيختل ملكه، وتزول طاعته،وينتقض أمره فأرسل الى أبى الفتح ابن العميد وزير والده يطلب اليه أن يتوصل مع أبيه الى احضاره عنده، وأن يعهد اليه بالملك بعده، فسعى أبو الفتح فى ذلك

وَمَوْلِدُهُ تَقْدِيرًا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ - قَالَهُ أَبُو إِسْحَقَ الصَّابِئُ - وَمَلَكَ أَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَشَهْرًا وَتِسْعَةَ أَيَّامٍ ، وَتَوَلَّى بَعْدَهُ وَلَدُهُ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى .

***

الحسن بن سهل السرخسي

« أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ السَّرَخْسِيُّ »

تَوَلَّى وِزَارَةَ الْمَأْمُونِ بَعْدَ أَخِيهِ ذِي الرِّيَاسَتَيْنِ الْفَضْلِ (١)

فأجابه اليه ركن الدولة - وكان قد وجد فى نفسه خفة - فسار من الرى الى أصبهان ، فوصل اليها فى جمادى الأولى سنة ٣٦٥ وأحضر ولده عضد الدولة من فارس ، وجمع عنده أيضا سائر أولاده بأصبهان ، فعمل أبو الفتح بن العميد دعوة عظيمة حضرها ركن الدولة و بنوه والقواد والأجناد ، فعهد ركن الدولة بالأمر الى ابنه عضد الدولة من بعده ، وجعل لولده فخر الدولة أبى الحسن على همذان وأعمال الجبل ، ولولده مؤيد الدولة أصبهان وأعمالها ، وجعلهما فى هذه البلاد بحكم أخيهما عضد الدولة ، وخلع عضد الدولة على سائر الناس فى هذا اليوم ، وحياه القواد واخوته بالريحان على عادة الديلم مع ملوكهم ، وأوصى ركن الدولة بنيه بالاتفاق ، ونبذ الاختلاف والشقاق ، وخلع عليهم ، ثم سار عن أصبهان نحو الرى فى شهر رجب ، فدام مرضه الى أن استأثر به مولاه ، فأصيب به الدين والدنيا جميعا ، لعلو مناقبه ، واجتماع خلال الخير فيه - رحمه الله تعالى - « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) كان سهل بن عبد الله وابناه من أهل بيت الرياسة فى المجوس ، وأسلموا فى أيام هرون الرشيد ، واتصلوا بالبرامكة ، فكان سهل قهرمانا ليحيى بن خالد

وَحظِي عِنْدَهُ ـ وَقَدْ تقدَّمَ فِي حَرْفِ ٱلْباءِ ذِكْرُ ٱبْنَتِهِ بُورَان وَصُورَةُ زَوَاجِهَا مِنَ ٱلْمَأْمُونِ وَٱلْكُلْفَةُ ٱلتِي ٱحْتَفَلَ بِهَا وَالِدُهَا ٱلْحَسَنُ، فَلاحَاجَةَ إِلَى إِعَادَتِهَا ـ وَكَانَ ٱلْمَأْمُونُ قَدْ وَلَّاهُ جَمِيعَ ٱلْبِلَادِ ٱلَّتِي فَتَحَهَا طَاهِرُ بْنُ ٱلْحُسَيْنِ ـ وَقَدْ ذَكَرْتُهُ فِي تَرْجَمَتِهِ (١).

وَكَانَ عَالِيَ ٱلْهِمَّةِ ، كَثِيرَ ٱلْعَطَاءِ لِلشُّعَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ ، وَقَصَدَهُ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ وَأَنْشَدَهُ :

ابن برمك، وضم يحيى الحسن والفضل ابني سهل الى ابنيه الفضل وجعفر يكونان معهما، فضم جعفر الفضل بن سهل الى المأمون ـ وهو ولى عهد ـ فغلب عليه، ولم يزل معه الى أن قتل الفضل بخراسان سنة ٢٠٢ وتوفى أبوه سهل فى هذا العام بعد ابنه بقليل، فكتب المأمون الى الحسن بن سهل وهو ببغداد يعزيه بأخيه، ويعلمه أنه قد استوزره، ويأمره باجراء الأمر مجراه، فلم يكن أحد من بنى هاشم ولا من سائر القواد يخالف للحسن أمرا ولا يخرج له عن طاعة، الى أن بايع المأمون لعلى بن موسى الرضا بالعهد، فغضب بنو العباس، وخلعوا المأمون، وبايعوا ابراهيم بن المهدى، فحار به الحسن ابن سهل، ثم ضعف عنه، فانحدر الحسن الى فم الصلح، فأقام بها، وأقبل المأمون من خراسان، فقوى لذلك الحسن بن سهل، ووجه الى فم الصلح من حارب ابراهيم بن المهدى، فضعف أمر ابراهيم واستتر، ثم دخل المأمون بغداد، وكتب الى الحسن بن سهل، فقدم عليه، فزاد المأمون فى كرامته وتشريفه عند تسليمه عليه، وذلك سنة ٢٠٤ ثم تزوج المأمون ابنته بوران كما تقدم، وانحدر الى فم الصلح للبناء بها سنة ٢١٠ وقد ترجمنا للحسن وأخيه ترجمة أدبية مسهبة فى كتابنا الجامع فى الأدب، وأتينا بشيء كثير مما لهما من نثر ونظم. « أحمد يوسف نجاتى » (١) كتب الحسن بن سهل الى المأمون بعد أن زفت اليه بوران، وتوهم القواد أن هذا التزويج

تَقُولُ خَلِيلَتِي لَمَّا رَأَتْنِي   أَشُدُّ مَطِيَّتِي مِنْ بَعْدِ حَلِّ
أَبَعْدَ الْفَضْلِ تُرْتَحَلُ(١) الْمَطَايَا ؟!
فَقُلْتُ : نَعَمْ ، إِلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلِ

فَأَجْزَلَ عَطِيَّتَهُ (٢) . وَخَرَجَ مَعَ الْمَأْمُونِ يَوْمًا يُشَيِّعُهُ

قد أنسى الحسن حاله قبل ذلك : قد أولى أمير المؤمنين من تعظيم عبده فى قبول أمته شيئا لا يتسع له الشكر عنه الا بمعونة من أمير المؤمنين — أدام الله عزه فى اخراج توقيعه بتزيين حالى فى العامة والخاصة بما يراه فيه صوابا ان شاء الله ، فخرج التوقيع : للحسن بن سهل زمام على ماجمع أمور الخاصه وكنف أسباب العامة ، وأحاط بالنفقات ، ونفذ بالولاة ، واليه الخراج والبريد واختيار القضاة ، جزاء لمعرفته بالحال التى قربته منا ، واثابة لشكره ايانا على ماأولينا (١) رحل البعير يرحله « كمنع » وارتحله اذا جعل عليه الرحل وركبه « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) زاد فى النسخة الخطية فى ترجمة الحسن بن سهل :

قال أنس بن عبد الله الخادم : سأل محمد بن عبد الملك الزيات أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (١) عرض رقعة على الحسن بن سهل فعرضها عليه ، فقال له الحسن : نحن فى شغل عن هذا ، فقال له أبو دلف : مثلك — أطال الله بقاك — لا يشتغل عن محمد بن عبد الملك ، فقال لخازنه : إحمل مع أبى دلف اليه عشرين ألف درهم ، قال : فلما وصلت الى محمد كتب اليه بهذين البيتين .

---

(١) ستأتى ترجمتهما ، وتوفى أبو دلف سنه ٢٢٦ ، وتوفى محمد بن عبد الملك سنة ٢٣٣ . ويروى أنه مدح الحسن بن سهل فى وزارته للمأمون ، فأعطاه عشرة آلاف درهم فقال :

لم أمتدحك رجاء المال أطلبه   لكن لتلبسنى التحجيل والغررا

فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى مُفَارَقَتِهِ قَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَلَكَ حَاجَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ تَحْفَظُ عَلَيَّ مِنْ قَلْبِكَ مَا لَا أَسْتَطِيعُ حِفْظَهُ إِلَّا بِكَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : حَضَرْتُ مَجْلِسَ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ وَقَدْ كَتَبَ لِرَجُلٍ كِتَابَ شَفَاعَةٍ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَشْكُرُهُ ،

أوليتني ياولى الحق مبتدئا عطية كافأت مدحى ولم ترنى
ماشمت برقك حتى نلت ريقه كأنما كنت بالجدوى تجاورنى

فعرضها أبو دلف على الحسن ، فقال للخازن : إحمل الى محمد خمسة آلاف دينار — قال ثعلب : قيل للحسن بن سهل — وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله : ليس فى السرف خير ، قال : بل ليس فى الخير سرف . فرد (١) اللفظ واستوفى المعنى . ودخل على الحسن بن سهل أعرابى فمدحه بشعر استحسنه ، فلما فرغ منه قال له الحسن : احتكم — وهو يظن أن الأعرابى صغير الهمة — فقال : ألف ناقة ، فوجم الحسن ولم يكن فى وسعه يومئذ ذلك ، وكره أن يفتضح ، فأطرق ساعة ثم قال : ياأعرابى ليس بلدنا هذا بلد إبل ولكن ماقال امرؤ القيس :

اذا مالم تكن إبل فمعزى كأن قرون جلتها عصى

قال : قد رضيت ، قال : فالق يحيى بن خاقان يعطيك ألف شاة ، فصار الى يحيى بن خاقان فأعطاه على كل شاة دينارا ، فقبض الأعرابى ألف دينار

ما كان ذلك الا أننى رجل لاأقرب الورد حتى أعرف الصدرا

يريد أنه قصده رفع ذكره والتنويه به « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) أى قلبه فصار فى الجملتين « لاخير فى السرف ولا سرف فى الخير » من المحسنات البديعية العكس والتبديل الذى به تؤلف من تعاكس الألفاظ وقلبها معان صحيحة صادقة يصح الأخبار بها عن عكسها كما فى قولهم : كلام الملوك ملوك الكلام ، أو عطف بعضها على بعض ، كما فى الجملتين هنا ، ونحو لاحياة مع اليأس ، ولايأس مع الحياة « أحمد يوسف نجاتى »

فَقَالَ الْحَسَنُ: يَا هَذَا عَلَامَ تَشْكُرُنَا ؟ إِنَّا نَرَى الشَّفَاعَةَ زَكَاةَ مُرُوءَاتِنَا[١] قَالَ الْحَاكِي: وَحَضَرْتُهُ يَوْماً وَهُوَ يُمْلِي كِتَابَ شَفَاعَةٍ ، فَكَتَبَ فِي آخِرِهِ : إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ يُسْئَلُ عَنْ فَضْلِ جَاهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يُسْئَلُ عَنْ فَضْلِ مَالِهِ . وَقَالَ لِبَنِيهِ : يَا بَنِيَّ تَعَلَّمُوا النُّطْقَ ، فَإِنَّ فَضْلَ الْإِنْسَانِ عَلَى سَائِرِ الْبَهَائِمِ بِهِ ، وَكُلَّمَا كُنْتُمْ بِالنُّطْقِ أَحْذَقَ كُنْتُمْ بِالْإِنْسَانِيَّةِ أَحَقَّ[٢] ،

(١) ثم أنشأ الحسن يقول :

فرضت على زكاة ماملكت يدى ... وزكاة جاهى أن أعين وأشفعا
فاذاملكت فجد ، وان لم تستطع ... فاجهد بوسعك كله أن تنفعا

لله دره لقد جمع الكرم من كل أقطاره . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) ودخل رجل على الحسن بن سهل بعد أن تأخرعنه أياما فقال: ماينقضى يوم من عمرى لاأراك فيه الا علمت أنه مبتور القدر منحوس الحظ مغبون الأيام ، فقال له الحسن: هذا لأنك توصل الى بحضورك سرورا لا أجده عند غيرك، وأتنسم من أرواح عشرتك ماتجد به الحواس بغيتها، وتستوفى منه لذتها، فنفسك تألف منى مثل ما آلفه منك . وكتب الى الحسن بن وهب وقد اصطبح فى يوم دجن لم يمطر : أما ترى تكافؤ هذا الطمع واليأس فى يومنا هذا بقرب المطر وبعده كأنه قول كثير :

وانى وتهيامى بعزة بعدما ... تخليت مما بيننا وتخلت
لكا لمرتجى ظل الغمامة كلما ... تبوأ منها للمقيل اضمحلت

وما أصبحت أمنيتى الا فى لقائك، فليت حجاب النأى هتك بينى و بينك، و رقعتى هذه وقد دارت زجاجات أوقعت بعقلى ولم تتحيفه ، و بعثت نشاط حركتى للكتاب ، فرأيك فى امطارى سرورا بسارخبرك اذ حرمت السرور

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى وِزَارَةِ ٱلْمَأْمُونِ إِلَى أَنْ ثَارَتْ عَلَيْهِ ٱلْمِرَّةُ ٱلسَّوْدَاءُ وَكَانَ سَبَبُهَا كَثْرَةَ جَزَعِهِ عَلَى أَخِيهِ ٱلْفَضْلِ لَمَّا قُتِلَ — وَسَيَأْتِي خَبَرُهُ فِي حَرْفِ ٱلْفَاءِ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى — وَٱسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى حُبِسَ فِي بَيْتِهِ وَمَنَعَتْهُ مِنَ ٱلتَّصَرُّفِ، وَذَكَرَ ٱلطَّبَرِيُّ فِي تَارِيخِهِ أَنَّ ٱلْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَمِائَتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَيْهِ ٱلسَّوْدَاءُ، وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّهُ مَرِضَ مَرْضَةً تَغَيَّرَ عَقْلُهُ حَتَّى شُدَّ فِي ٱلْحَدِيدِ وَحُبِسَ فِي بَيْتٍ، فَٱسْتَوْزَرَ ٱلْمَأْمُونُ أَحْمَدَ ٱبْنَ أَبِي خَالِدٍ (١)، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ فِي مُسْتَهَلِّ

بمطر هذا اليوم موفقا ان شاء الله ، فأجاب الحسن بن وهب : وصل كتاب الأمير — أيده الله — وفمي طاعم، ويدي عاملة ، ولذا تأخر الجواب قليلا ، وقد رأيت تكافؤ احسان هذا اليوم واساءته، وما استوجب ذنبا استحق به ذما، لأنه اذا أشمس حكى حسنك وضياءك، واذا أمطر حكى جودك وسخاءك، واذا غام أشبه ظلك وفناءك ، وسؤال الأمير عنى نعمة من نعم الله عز وجل على أعفى بها آثار الزمان السيء عندى، وأنا كما يحب الأمير — صرف الله الحوادث عنه، وعن حظى منه . « تحيف الشيء اذا نقصه ونال منه ، وعفى الشيء محاه » . « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو أبو العباس أحمد بن أبى خالد كان أبوه كاتبا لأبى عبد الله وزير المهدى جد المأمون ، واتصل هو بالمأمون فكان من خيرة عماله وكتابه، ومازال يترقى لديه حتى استوزره، وكان ذا خير وان كان فى أخلاقه شدة ، وفى سنة ٢٠٨ خرج الحسن ابن الحسين بن مصعب أخو طاهر بن الحسين من خراسان الى كرمان ممتنعا بها ، فسار اليه أحمد بن أبى خالد حتى أخذه وقدم به على المأمون فعفا

ذِى الْحِجَّةِ - وَقِيلَ خَمْسٍ وَثَلاثِينَ وَمائَتَيْنِ - بِمَدِينَةِ سَرَخْسَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (١) وَمَدَحَهُ يُوسُفُ الْجَوْهَرِىُّ بِقَوْلِهِ :

لَوْ أَنَّ عَيْنَ زُهَيْرٍ عَايَنَتْ حَسَناً
وَكَيْفَ يَصْنَعُ فِى أَمْوَالِهِ الْكَرَمُ

إِذًا لَقَالَ زُهَيْرٌ حِينَ يُبْصِرُهُ
هَذَا الْجَوادُ عَلَى الْعِلاتِ (٢) لاهَرِمُ

قُلْتُ: وَحَدِيثُ زُهَيْرٍ وَهَرِم بْنِ سِنَانٍ مَذْكُورٌ فِى آخِرِ هَذَا الْكِتَابِ فِى تَرْجَمَةِ يَحْيَى بْنِ عِيسَى بْنِ مَطْرُوحٍ . وَلِلْحَسَنِ

عنه، وتوفى الوزير أحمد بن أبى خالد سنة ٢١٢ وكان فاضلا مدبرا جوادا، وقد ترجمنا له ترجمة أدبية فى كتابنا الجامع فى أدب اللغة «أحمد يوسف نجاتى»

(١) قال جعفر بن أبى العيناء : لما مات الحسن بن سهل قال أبى : والله لئن أتعب المادحين لقد أطال بكاء الباكين ، ولقد أصيبت به الأيام ، وخرست بموته الأقلام . اه وستأتى ترجمة أبى العيناء فى الميم . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) أى على كل حال من أحواله من يسر أو عسر ، وهو يشير الى قول زهير

من يلق يوما على علاته هرما   يلق السماحة فيه والندى خلقا

وقوله :

ان البخيل ملوم حيث كان ولا   كن الجواد على علاته هرم
هو الجواد الذى يعطيك نائله   عفوا ، ويظلم أحيانا فيظطلم

« يظلم هنا أى يطلب منه فى وقت الشدة وقلة المال وفى حين العسر والضيق فيقبل ذلك وان أضر به ، وقال المرار الحنظلى يصف فرسا :

ابْنِ سَهْلٍ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ الْخُوَارَزْمِيِّ الشَّاعِرِ ذِكْرٌ فَلْيُنْظَرْ هُنَاكَ(١) . وَالسَّرَخْسِيُّ بِفَتْحِ السِّينِ وَالرَّاءِ الْمُهْمَلَتَيْنِ

قد بلوناه على علاته وعلى الميسور منه والضمر
ذو مراح ، فاذا وفرته فذلول حسن الخلق يسر

« الضمر بضم فسكون وبضمتين كالعسر والعسر : الهزال ولحاق البطن » « أحمد يوسف نجاتى » . (١) وقال على بن عبيدة الريحانى قصدت الحسن ابن سهل بفم الصلح ، فأقمت ببابه ثلاثة أشهر لا أحظى منه بطائل ، فكتبت اليه :

مدحت ابن سهل ذا الأيادى ، وماله بذاك يد عندى ولا قدم بعد
وماذنبه والناس الا أقلهم عيال له ان كان لم يك لى جد؟!
سأحمده للناس ، حتى اذا بدا له فى رأى عاد لى ذلك الحمد

فكتب الى : باب السلطان يحتاج الى ثلاث خلال : عقل وصبر ومال ، فقلت للواسطة : تؤدى عنى؟ قال : نعم ، قلت تقول له : لو كان لى مال لأغنانى عن الطلب اليك ، أو صبر لصبرت عن الذل ببابك ، أو عقل لاستدللت به على النزاهة عن رفدك ، فأمر لى بثلاثين ألف درهم . ولشعراء عصره فيه وفى أخيه مدائح غراء ، ولأبى تمام فيه أجزل المديح وأحسن القول ، وفيه يقول من قصيدة غراء :

ستصبح العيس بى والليل عند فتى كثير ذكر الرضا فى ساعة الغضب
صدفت عنه ولم تصدف مواهبه عنى ، وعاوده ظنى فلم يخب
كالغيث ان جئته وافاك ريقه وان ترحلت عنه لج فى الطلب

صدف عنه أى بعد ، وريق الغيث : أوله وأفضله . وقال يصف بلاغته من قصيدة :

ثبت البيان اذا تلعثم قائل أضحى شكالا للسان المطلق
لم يتبع شنغ اللغات ولا مشى رسف المقيد فى حدود المنطق
ينشق فى ظلم المعانى ان دجت منه تباشير الكلام المشرق

« الشكال القيد ، والرسف مشى المقيد ، ودجا أظلم ، والتباشير الأوائل » « أحمد يوسف نجاتى » .

وَسُكُونِ ٱلْخَاءِ ٱلْمُعْجَمَةِ وَبَعْدَهَا سِينٌ مُهْمَلَةٌ ، هَذِهِ ٱلنِّسْبَةُ إِلَى سَرَخْسَ ، وَهِىَ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ .

***

الوزير المهلبى

« أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَرُونَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ٱبْنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمِ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ ٱلْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِى صُفْرَةَ ٱلْأَزْدِىُّ ٱلْمُهَلَّبِىُّ ٱلْوَزِيرُ »

كَانَ وَزِيرَ مُعِزِّ ٱلدَّوْلَةِ أَبِى ٱلْحُسَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ بُوَيْهِ ٱلدَّيْلَمِىِّ ٱلْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ فِى حَرْفِ ٱلْهَمْزَةِ، تَوَلَّى وِزَارَتَهُ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى ٱلْأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ [1] ، وَكَانَ مِنِ ٱرْتِفَاعِ ٱلْقَدْرِ وَٱتِّسَاعِ ٱلصَّدْرِ وَعُلُوِّ ٱلْهِمَّةِ وَفَيْضِ ٱلْكَفِّ عَلَى مَا هُوَ مَشْهُورٌ بِهِ ، وَكَانَ غَايَةً فِى ٱلْأَدَبِ وَٱلْمَحَبَّةِ

---

(١) وكان وزيرا لمعز الدولة قبله أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمرى المتوفى سنة ٣٣٩ وكان الوزير المهلبى يخلف الصيمرى بحضرة معز الدولة، فعرف أحوال المملكة وأمور الدواوين، وامتحنه معز الدولة فرأى فيه ما يريده من الأمانة والكفاية وحسن التصرف والمعرفة بمصالح الدولة واستقامة السيرة وسداد الرأى مع البلاغة والأدب، فاستوزره ، ومكنه من وزارته فأحسن السيرة، وأزال كثيرا من المظالم، وقرب أهل العلم والأدب، وأطلق ألسنتهم بالثناء عليه، وتنقل فى البلاد لكشف ما فيها من الظلم ورد الحقوق الى ذويها، وتخليص الأموال من غاصبيها، فحسن أثره، وحمدت سيرته . « أحمد يوسف نجاتى » .

لِأَهْلِهِ ، وَكَانَ قَبْلَ اتِّصَالِهِ بِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ فِي شِدَّةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الضَّرُورَةِ وَالضَّائِقَةِ (١) وَكَانَ قَدْ سَافَرَ مَرَّةً ، وَلَقِيَ فِي سَفَرِهِ مَشَقَّةً صَعْبَةً ، وَاشْتَهَى اللَّحْمَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ ارْتِجَالًا :

أَلَا مَوْتٌ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ ؟! فَهَذَا الْعَيْشُ مَالَا خَيْرَ فِيهِ

أَلَا مَوْتٌ لَذِيذُ الطَّعْمِ يَأْتِي يُخَلِّصُنِي مِنَ الْعَيْشِ الْكَرِيهِ ؟!

إِذَا أَبْصَرْتُ قَبْرًا مِنْ بَعِيدٍ وَدِدْتُ لَوَ اَنَّنِي مِمَّا يَلِيهِ

أَلَا رَحِمَ الْمُهَيْمِنُ نَفْسَ حُرٍّ تَصَدَّقَ بِالْوَفَاةِ عَلَى أَخِيهِ

---

(١) وحكى عنه أنه قال: كنت فى أيام حداثتى وقصر حالى وصغر تصرفى أسكن دار الطيفة ـ ونفسى مع ذلك تنازع فى الأمور العظيمة، الا أن الجد قاعد ، والقدر غير مساعد ـ فأصبحت يوما وقد جاء المطر ، وازدادت الحجرة أظلاما ، وصدرى بها ضيقا فقلت :

أنا فى حجرة تجل عن الوصـ ف، و يعمى البصير فيها نهارا

هى فى الصبح كالظلام، وفى الليـ ل يولى الأنام عنها فرارا

أنا منها كأننى جوف بئر أتقى عقربا وأحذر فارا

واذا ما الرياح هبت رخاء خلت حيطانها تميد انهيارا

رب عجل خرابها ، وأرحنى من حذارى ، فقد مللت الحذارا

ثم مالبث أن رفع الأدب قدره ، حتى صار كما حدث عنه القاضى أبو على التنوخى قال: شاهدت أبا محمد المهلبى وقد ابتيع له فى ثلاثة أيام ورد بألف دينار ، فرش بها مجالس ، وطرحه فى بركة عظيمة كانت فى داره ولها فوارات عجيبة ، يطرح الورد فى مائها و ينفضه ، و بعد شربه عليه وسروره به فى مجالس أنسه و بلوغه ماأراده منه أنهبه «أحمد يوسف نجاتى»

وَكَانَ مَعَهُ رَفِيقٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ ٱللهِ ٱلصُّوفِيُّ – وَقِيلَ أَبُو ٱلْحَسَنِ ٱلْعَسْقَلَانِيُّ – فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْأَبْيَاتَ ٱشْتَرَى لَهُ بِدِرْهَمٍ لَحْماً، وَطَبَخَهُ وَأَطْعَمَهُ، وَتَفَارَقَا، وَتَنَقَّلَتْ بِالْمُهَلَّبِيِّ ٱلْأَحْوَالُ وَتَوَلَّى ٱلْوِزَارَةَ بِبَغْدَادَ لِمُعِزِّ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَذْكُورِ، وَضَاقَتِ ٱلْأَحْوَالُ بِرَفِيقِهِ فِي ٱلسَّفَرِ ٱلَّذِي ٱشْتَرَى لَهُ ٱللَّحْمَ، وَبَلَغَهُ وِزَارَةُ ٱلْمُهَلَّبِيِّ، فَقَصَدَهُ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ:

أَلَا قُلْ لِلْوَزِيرِ – فَدَتْهُ نَفْسِي ... مَقَالَةَ مُذْكِرٍ مَا قَدْ نَسِيَهْ:
أَتَذْكُرُ إِذْ تَقُولُ لِضَنْكِ عَيْشٍ: ... أَلَا مَوْتٌ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيَهْ ؟

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ تَذَكَّرَهُ، وَهَزَّتْهُ أَرْيَحِيَّةُ ٱلْكَرَمِ، فَأَمَرَ لَهُ فِي ٱلْحَالِ بِسَبْعِمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَوَقَّعَ فِي رُقْعَتِهِ «مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَٱللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ» ثُمَّ دَعَا بِهِ فَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَقَلَّدَهُ عَمَلاً يَرْتَفِقُ[1] بِهِ. وَلَمَّا وَلِيَ ٱلْمُهَلَّبِيُّ ٱلْوِزَارَةَ بَعْدَ تِلْكَ ٱلْإِضَاقَةِ[2] عَمِلَ:

رَقَّ ٱلزَّمَانُ لِفَاقَتِي ... وَرَثَى لِطُولِ تَحَرُّقِي[3]

(١) ينتفع به، والمرتفق الثابت الدائم (٢) الاضاقة: ضنك العيش. وأضاق الرجل اذا ضاق عليه معاشه وافتقر، وذهب ماله، وساءت حاله (٣) يقال هو يتحرق جوعا، كقولك يتضرم، كأن الجوع يحرق أمعاءه فهي تحترق

فَأَنَالَنِي مَا أَرْتَجِيهِ، وَحَادَ عَمَّا أَتَّقِي
فَلَأَصْفَحَنْ عَمَّا أَتَاهُ مِنَ الذُّنُوبِ السُّبَّقِ
حَتَّى جِنَايَتِهِ بِمَا صَنَعَ الْمَشِيبُ بِمَفْرِقِي

وَلَهُ أَيْضًا :

قَالَ لِي مَنْ أُحِبُّ ـ وَالْبَيْنُ قَدْ جَدَّ
دَ وَفِي مُهْجَتِي لَهِيبُ الْحَرِيقِ :
مَا الَّذِي فِي الطَّرِيقِ تَصْنَعُ بَعْدِي ؟
قُلْتُ : أَبْكِي عَلَيْكَ طُولَ الطَّرِيقِ

وَمِنَ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ فِي وَقْتِ الْإِضَاقَةِ مِنَ الشِّعْرِ مَا كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ ـ وَقِيلَ إِنَّهُمَا لِأَبِي نُوَاسٍ ـ :

وَلَوْ أَنِّي اسْتَزَدْتُكَ فَوْقَ مَا بِي مِنَ الْبَلْوَى لَأَعْوَزَكَ الْمَزِيدُ
وَلَوْ عُرِضَتْ عَلَى الْمَوْتَى حَيَاةٌ بِعَيْشٍ مِثْلِ عَيْشِي لَمْ يُرِيدُوا

وَقَالَ أَبُو إِسْحَقَ الصَّابِئُ صَاحِبُ الرَّسَائِلِ : كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ ، فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ ، فَقُلْتُ بَدِيهًا :

لَهُ يَدٌ بَرَعَتْ جُودًا بِنَائِلِهَا
وَمَنْطِقٌ دُرُّهُ فِي الطِّرْسِ يَنْتَثِرُ
فَحَاتِمٌ كَامِنٌ فِي بَطْنِ رَاحَتِهِ وَفِي أَنَامِلِهَا سَحْبَانُ مُسْتَتِرُ

وَكَانَ لِمُعِزِّ ٱلدَّوْلَةِ مَمْلُوكٌ تُرْكِيٌّ فِي غَايَةِ ٱلْجَمَالِ يُدْعَى تَكِينَ ٱلْجَامِدَارَ ، وَكَانَ شَدِيدَ ٱلْمَحَبَّةِ لَهُ، فَبَعَثَ سَرِيَّةً (١) لِمُحَارَبَةِ بَعْضِ بَنِي حَمْدَانَ، وَجَعَلَ ٱلْمَمْلُوكَ ٱلْمَذْكُورَ مُقَدَّمَ ٱلْجَيْشِ (٢) ، وَكَانَ ٱلْوَزِيرُ ٱلْمُهَلَّبِيُّ يَسْتَحْسِنُهُ، وَيَرَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ ٱلْهَوَى، لَا مَدَدِ ٱلْوَغَى، فَعَمِلَ فِيهِ :

طِفْلٌ يَرِقُّ ٱلْمَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ وَيَرِقُّ عُودُهْ
وَيَكَادُ مِنْ شَبَهِ ٱلْعَذَا رَى فِيهِ أَنْ تَبْدُو نُهُودُهْ

وتتحرق، وتحرق الى الشيء اذا اشتدت لهفته عليه . وسيأتي فى حرف العين فى ترجمة « على » الأصبهانى صاحب الأغانى ذكر للوزير المهلبى ، وللسرى الرفاء وغيره فيه مدائح سنية، وفى سنة ٣٤٠ قصد صاحب عمان البصرة، وساعده أبو يعقوب القرمطى، فسار إليهم الوزير المهلبى فى الديلم والجند، فالتقوا، فهزمهم المهلبى، واستباح عسكرهم ، وفى سنة ٣٤٥ زاد السلطان معز الدولة فى أقطاع الوزير المهلبى وزاد قدره عنده عظما

(١) السرية قطعة من الجيش « فعيلة بمعنى فاعلة » لأنها تسرى فى خفية ليلا لئلا ينذر بهم العدو ليلا فيحذر (٢) فى سنة ٣٣٤ كانت حرب بين ناصر الدولة بن حمدان ومعز الدولة كما تقدم، وكان ناصر الدولة ببغداد بالجانب الغربى ، وكان معز الدولة والخليفة المطيع بالجانب الشرقى، وانتهى الأمر بتغلب معز الدولة والديلم فى المحرم سنة ٣٣٥ واستقر معز الدولة ببغداد ، وأقام ناصر الدولة بعكبرا ، وأرسل فى الصلح من غير مشورة من الأتراك التوزونية ، فهموا بقتله ، فسار عنهم مجدا نحو الموصل ، ثم استقر الصلح بينه وبين معز الدولة ، وكانت الرسل تتردد بينهما بغير علم الأتراك ، وكان ناصر الدولة نازلا شرقى تكريت ،فلما علموا بذلك ثاروا بناصر

نَاطُــوا بِمَعْقِدِ خَصْرِهِ سَيْفاً وَمَنْطِقَةً (١) تؤُودُهُ

جَعَــلُوهُ قَائِدَ عَسْــكَرٍ ضَاعَ الرَّعِيلُ (٢) وَمَنْ يَقُودُهُ

وَكَــذَا كَانَ، فَإِنَّهُ مَاأَنْجَحَ (٣) فِي تِلْكَ الْحَرَكَةِ، وَكَانَتِ الْــكَرَّةُ (٤) عَلَيْهِمْ. وَمِنْ شِعْرِهِ النَّادِرِ فِي الرِّقَّةِ قَوْلُهُ:

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لَمَّا صَرَمْتَنِي

فَمَا تَلْتَقِي إِلَّا عَلَى عَبْرَةٍ تَجْرِي (٥)

وَمَحَاسِنُ الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ كَثِيرَةٌ، وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ لَيْلَةَ

الدولة ، فهرب منهم، وعبر دجلة الى الجانب الغربى ، ثم الى الموصل، فاتفق الأتراك على تأمير « تـكين » الشيرازى فى جيش سار الى الموصل، ودخل تـكين والأتراك الى الموصل وقد خرج منها ناصر الدولة ، فساروا فى طلبه واقتفوا أثره ، وكتب ناصر الدولة الى معز الدولة يستصرخه، فأرسل جيشا لمعونته، والتقى الجيشان بالحديثية، فانهزم تـكين والأتراك ، وأسر تـكين وحمل الى ناصر الدولة، فسمل عينيه، ثم سجنه فى قلعة من قلاعه. ومن هنا يظهر أن تـكين لم يكن من قواد معز الدولة، وأعرف من قواده سبكتـكين التركى الا أن يكون تـكين آخر فى واقعة أخرى « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) المنطقة : مايشد عـلى الوسط ، وتئوده أى تثقله (٢) الرعيل : القطعة تتقدم الجيش من خيل وغـيرها (٣) نجح وأنجح اذا فاز وظفر وأنجح الرجل إذا نجح فهو منجح (٤) أصل الـكرة: الحملة فى الحرب وتطلق بمعنى النصرة، قال تعالى «ثم رددنا لـكم الـكرة عليهم» (٥) التصارم: التجافى والتقاطع، والعبرة الدمع. ومن غزله الرقيق قوله :

ياهـلالا يبدو فتهتاج نفسى وهزارا يشدو فيزداد عشقى

زعم الناس أن رقك ملـكى كذب الناس أنت مالك رقى

الثُّلاثاء لِأرْبعٍ بقِينَ مِنَ المُحَرَّمِ سَنَةَ إحْدَى وتِسْعِينَ ومِائَتَيْنِ بالبَصْرَةِ، وتُوُفِّيَ يَوْمَ السَّبْتِ لِستٍّ بقِينَ مِنْ شَعْبانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلاثِمِائَةٍ فِي طَرِيقِ وَاسِطَ (١) وَحُمِلَ إِلَى بَغْدادَ، فَوَصَلَ إِلَيْها لَيْلَةَ الأرْبعاءِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ مِنَ السَّنَةِ المَذْكُورَةِ، وَدُفِنَ فِي مَقابِرِ قُرَيْشٍ فِي مَقْبُرَةِ النُّوبَخْتِيَّةِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى. وَالمُهَلَّبِيُّ - بِضَمِّ المِيمِ وَفَتْحِ الهاءِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ المَفْتُوحَةِ وَبَعْدَها باءٌ مُوَحَّدَةٌ - هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى المُهَلَّبِ المَذْكُورِ أَوَّلًا، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى. وَلَمَّا ماتَ الوَزِيرُ المَذْكُورُ رَثاهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الحُسَيْنُ بْنُ الحَجَّاجِ الشَّاعِرُ المَشْهُورُ - وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ - بِقَوْلِهِ:

يامَعْشَرَ الشُّعَراءِ دَعْوَةَ مُوجَعٍ
لا يُرْتَجَى فَرَجُ السُّلُوِّ لَدَيْهِ

(١) فى سنة ٣٥١ لهج معز الدولة بذكر عمان، وحدث نفسه بأخذها، وأمر المهلبي بالخروج اليها، وألح عليه فى ذلك، فتأهب للخروج، وانحدر فى جمادى الآخرة سنة ٣٥٢ وتمادت أيامه بالبصرة للتأهب والاستعداد، ووشى به أعداؤه الى معز الدولة حتى أوغروا صدره عليه، وخوفوه منه، فكتب اليه يأمره بالعود الى بغداد، فهجمت عليه علته، وتردد بين افاقة ونكسة الى أن وردت الكتب باليأس منه، فأرسل معز الدولة أحد ثقاته على

عَزُّوا ٱلْقَوَافِيَ بِالْوَزِيرِ ، فَإِنَّهَا
تَبْكِي دَمًا بَعْدَ الدُّمُوعِ عَلَيْهِ

مَاتَ ٱلَّذِي أَمْسَى ٱلثَّنَاءُ وَرَاءَهُ
وَٱلْعَفْوُ عَفْوُ ٱللهِ بَيْنَ يَدَيْهِ (١)

هَدَمَ ٱلزَّمَانُ بِمَوْتِهِ ٱلْحِصْنَ ٱلَّذِي
كُنَّا نَفِرُّ مِنَ ٱلزَّمَانِ إِلَيْهِ (٢)

فَلَيَعْلَمَنَّ بَنُو بُوَيْهٍ (٣) أَنَّهُ
فُجِعَتْ بِهِ أَيَّامُ آلِ بُوَيْهِ .

ظاهر العيادة له و باطن الاستظهار على ماله وحاشيته ، فألفاه فى طريقه محمولا شديد المرض ، فلما انتهى الى زاوطا « بليدة بين واسط وخوزستان والبصرة » قضى نحبه ومضى لسبيله ـ رحمه الله « أحمد يوسف نجاتى »

(١) و يروى : وجميل عفو الله بين يديه (٢) أحفظ بعده :

وتضاءلت همم المكارم والعلا وانبت حبل المجد من طرفيه
عمرى لئن قادته أسباب الردى مثل الجواد يقاد فى شطنيه

و بعده فليعلمن الخ وانبت انقطع ، والشطن الحبل «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) بالتنوين للضرورة ، أو باشباع الهاء المكسورة حتى تتولد عنها ياء وقياس الأسماء المختومة بلفظ « ويه » البناء على الكسر فى كل أحوالها « أحمد يوسف نجاتى » .

***

« أَبُو عَلِيٍّ اَلْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِسْحَقَ بْنِ الْعَبَّاسِ الْمُلَقَّبُ نِظَامَ الْمُلْكِ قِوَامُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ »

الحسن بن على الملقب نظام الملك

ذَكَرَ السَّمْعَانِيُّ فِي كِتَابِ الْأَنْسَابِ فِي تَرْجَمَةِ الرَّاذِكَانِ[1]، أَنَّهَا بُلَيْدَةٌ صَغِيرَةٌ بِنَوَاحِي طُوسَ، قِيلَ إِنَّ نِظَامَ الْمُلْكِ كَانَ مِنْ نَوَاحِيهَا، وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ الدَّهَاقِينِ[2]، وَاشْتَغَلَ بِالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِخِدْمَةِ عَلِيِّ بْنِ شَاذَانَ الْمُعْتَمَدِ عَلَيْهِ بِمَدِينَةِ بَلْخَ[3]، وَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ، فَكَانَ يُصَادِرُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَهَرَبَ

---

(١) الراذكان: قرية من قرى طوس، خرج منها جماعة من أهل العلم، منهم الحسن بن أحمد بن محمد الراذكانى أبو الأزهر الطوسى الفقيه الفاضل ولد سنة ٤٧٠ وتوفى سنة ٥٥٣ « أحمد يوسف نجاتى » (٢) الدهقان التاجر، وزعيم فلاحى العجم، ورئيس الأقليم، وقال ابن السمعانى هو مقدم قرية أو صاحبها بخراسان والعراق. وهو لفظ فارسى معرب « دهخان » أى رئيس القرية، أو مقدم أهل الزراعة، ولذلك كانت العرب تسب به، كما كانوا يقولون فى السب أيضا « علج » « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) كذا بالأصل، والذى أعرفه أنه يكنى أبا على بن شاذان، وكان يتولى الأمور ببلخ لداود والد السلطان ألب أرسلان، ولما حضرته الوفاة أوصى الملك ألب أرسلان بنظام الدولة، وعرفه حاله، فولاه شغله، ثم صار وزيرا له الى أن ولى السلطنة بعد عمه طغرلبك، واستمر على الوزارة لأنه ظهرت منه كفاية عظيمة وآراء سديدة، فأدت السلطنة الى ألب أرسلان، فلما توفى ألب أرسلان قام بأمر ابنه ملكشاه الى آخر ما هنا. وكان ابتداء اتصال نظام الملك بابن شاذان أن أباه زال ما كان له من مال وملك، وتوفيت أمه وهو رضيع، فكان أبوه يطوف به على المرضعات، فيرضعنه حسبة، حتى شب

مِنْهُ، وَقَصَدَ دَاوُدَ بْنَ مِيكَائِيلَ ٱلسَّلْجُوقِيَّ[١] وَالِدَ ٱلسُّلْطَانِ أَلْبَ أَرْسِلَانَ، فَظَهَرَ لَهُ مِنْهُ ٱلنُّصْحُ وَٱلْمَحَبَّةُ، فَسَلَّمَهُ إِلَى وَلَدِهِ أَلْبَ أَرْسِلَانَ، وَقَالَ لَهُ: ٱتَّخِذْهُ وَالِدًا، وَلَا تُخَالِفْهُ فِيمَا يُشِيرُ بِهِ. فَلَمَّا مَلَكَ أَلْبَ أَرْسِلَانُ - كَمَا سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ فِي حَرْفِ ٱلْمِيمِ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى - دَبَّرَ أَمْرَهُ فَأَحْسَنَ ٱلتَّدْبِيرَ، وَبَقِيَ فِي خِدْمَتِهِ عَشْرَ سِنِينَ، فَلَمَّا مَاتَ أَلْبَ أَرْسِلَانُ وَٱزْدَحَمَ أَوْلَادُهُ عَلَى ٱلْمُلْكِ وَطَّدَ ٱلْمَمْلَكَةَ لِوَلَدِهِ مَلِكْ شَاهَ، فَصَارَ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ

وتعلم العربية - وسر الله فيه يدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم، ومخايل النجابة تبشره بسعد الطالع واشراق المستقبل - حتى تفقه وصار فاضلا، وسمع الحديث الكثير، ثم اشتغل بالأعمال السلطانية، ولم يزل الدهر يعلو به وينخفض حضرا وسفرا، وكان يطوف ببلاد خراسان، ووصل الى مدينة غزنة فى صحبة بعض المتصرفين، ثم لزم أبا على بن شاذان بمدينة بلخ كما سبق. وقيل ان ابتداء أمره أنه كان يكتب للأمير تاجر بلخ، وكان الأمير يصادره فى رأس كل سنة ويأخذ ما معه، ويقول له: قد سمنت ياحسن، فلما طال ذلك عليه فزع هاربا الى جفرى بك داود والد ألب أرسلان بمدينة مرو، فأخذ بيده وسلمه الى ولده ألب أرسلان، وقال له: هذا حسن الطوسى فتسلمه واتخذه والدا ولا تخالفه الى آخر ماهنا « وبهذا تعلم مافى الأصل من بعض مخالفة » « أحمد يوسف نجاتى ».

(١) داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، أو تقاق « ومعنى تقاق القوس الجديدة - وقد كنا رجحنا قبل أنه دقماق، وبدا لنا هنا أنه دقاق فنرجو اصلاح ذلك وملافاته » وقد استولى بنو سلجوق على خراسان والجبال فى سنة ٤٣٠ وهرب منهم السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين

لِنِظَامِ ٱلْمُلْكِ ، وَلَيْسَ لِلسُّلْطَانِ إِلَّا ٱلتَّخْتُ وَٱلصَّيْدُ ، وَأَقَامَ عَلَى هٰذَا عِشْرِينَ سَنَةً ، وَدَخَلَ عَلَى ٱلْإِمَامِ ٱلْمُقْتَدِي بِاللهِ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ٱلْجُلُوسِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ: يَا حَسَنُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْكَ بِرِضَا أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ. وَكَانَ مَجْلِسُهُ عَامِرًا بِالْفُقَهَاءِ وَٱلصُّوفِيَّةِ، وَكَانَ كَثِيرَ ٱلْإِنْعَامِ عَلَى ٱلصُّوفِيَّةِ ، وَسُئِلَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ فَقَالَ : أَتَانِي صُوفِيٌّ وَأَنَا فِي خِدْمَةِ بَعْضِ ٱلْأُمَرَاءِ فَوَعَظَنِي وَقَالَ: أَخْدُمْ مَنْ تَنْفَعُكَ خِدْمَتُهُ ،وَلَا تَشْتَغِلْ بِمَنْ تَأْكُلُهُ ٱلْكِلَابُ غَدًا» فَلَمْ أَعْلَمْ مَعْنَى قَوْلِهِ ،فَشَرِبَ ذَلِكَ ٱلْأَمِيرُ مِنَ ٱلْغَدِ إِلَى ٱللَّيْلِ وَكَانَتْ لَهُ كِلَابٌ كَالسِّبَاعِ تَفْتَرِسُ ٱلْغُرَبَاءَ بِاللَّيْلِ، فَغَلَبَهُ

الى غزنة ، واقتسموا البلاد، وأصلهم أتراك مما وراء النهر ،فزوج سلجوق ابنته من رجل يعرف بعلى تكين ، فأفسدوا على محمود بن سبكتكين البلاد بالنهب والغارات، فقصدهم محمود فقبض على سلجوق ، وهرب على تكين وطغرلبك « محمد بن ميكائيل بن سلجوق » فلما توفى محمود بن سبكتكين واشتغل ابنه مسعود باللهو صار أمر طغرلبك ينمو الى أن حارب محمودا فهزمه،واستولى على خراسان، وولى أخاه داود مرو وسرخس و بلخ ، وولى ابن عمه الحسن بن موسى هراة و بوشنج وسجستان،وعظم أمر طغرلبك ،وكان منه ماسيأتى فى ترجمته وتراجم آل سلجوق . واستولى داود على مدينة بلخ سنة ٤٣٢ وتزوج الخليفة القائم بأمر الله ابنة السلطان داود سنة ٤٤٨ وتوفى داود سنة ٤٥١ وكان خيرا عادلا حسن السيرة معترفا بمنن الله تعالى شاكرا لأنعمه ، وملك بعده ابنه ألب أرسلان كما سيأتى تفصيل ذلك « أحمد يوسف نجاتى » .

اُلسُّكْرُ، فَخَرَجَ وَحْدَهُ، فَلَمْ تَعْرِفْهُ اُلْكِلَابُ فَمَزَّقَتْهُ، فَعَلِمْتُ أَنَّ اُلرَّجُلَ كُوشِفَ بِذَلِكَ، فَأَنَا أَخْدُمُ اُلصُّوفِيَّةَ لَعَلِّى أَظْفَرُ بِمِثْلِ ذَلِكَ. وَكَانَ إِذَا سَمِعَ اُلْأَذَانَ أَمْسَكَ عَنْ جَمِيعِ مَا هُوَ فِيهِ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ إِمَامُ اُلْحَرَمَيْنِ أَبُو اُلْمَعَالِى وَأَبُو اُلْقَاسِمِ اُلْقُشَيْرِىُّ صَاحِبُ اُلرِّسَالَةِ بَالَغَ فِى إِكْرَامِهِمَا[1]

(١) ستأتى ترجمتهما فى حرف العين « عبد الملك الجوينى، وعبد الكريم ابن هوازن القشيرى ». « أحمد يوسف نجاتى » - ثم الذى أعرفه أن نظام الملك كان اذا دخل عليه أحد هذين الامامين - مع فضلهما ودينهما - يقوم لهما ويجلس فى مسنده كما هو، فاذا دخل عليه أبو على الفارمذى يقوم اليه ويجلسه فى مكانه ويجلس هو بين يديه، فقيل له فى ذلك، فقال: ان هذين وأمثالهما اذا دخلوا على يقولون لى: أنت كذا وكذا - يثنون على بما ليس فى، فيزيدنى كلامهم عجبا وتيها، وهذا الشيخ يذكر لى عيوب نفسى وما أنا فيه من الظلم، فتنكسر نفسى لذلك، وترجع عن كثير مما أنا فيه. والفارمذى: هو أبو على الفضل بن محمد بن على الواعظ شيخ خراسان فى عصره، وانفرد بطريقته فى التذكير التى لم يسبق اليها فى لطف عبارته وتهذيبه، وحسن آدابه، ومليح استعاراته، ورقة ألفاظه، وكان عالما نافعا جليلا عارفا بمذاهب السلف، ذا خبرة بمناهج الخلف. أما التصوف فذلك كان عشه الذى منه درج، وغابه الذى ألفه ليثه ودخل به وخرج، حتى كان لسان الوقت وزينة العصر. وكان مجلس وعظه روضة ذات أزهار، وجنة تجرى من تحتها الأنهار، توفى سنة ٤٧٧ وابنه عبد الواحد بن الفضل أبو بكر المدنى كان أيضا واعظا حسن الكلام لين الجانب، وابنه الفضل بن على بن الفضل ابن محمد بن على كان من بيت العلم والتصوف والتقدم، توفى آخر سنة ٥٣٧ والفارمذى نسبة الى فارمذ: قرية من قرى طوس. « أحمد يوسف نجاتى »

وَأَجْلَسَهُمَا فِي مَسْنَدِهِ . وَبَنَى الْمَدَارِسَ وَالرُّبُطَ(١) وَالْمَسَاجِدَ

(١) الربط : جمع رباط : الثكنة يرابط فيها الجيش لمواجهة العدو وملازمة الثغر والاستعداد للغزو والجهاد ، هذا وأحفظ للشاعر المشهور الطغرائى الآتية ترجمته أبياتا من قصيدة يمدح بها الوزير نظام الملك بناها على قافيتين منها :

يا أيها المولى الذى اصـ	ـطنع الورى شرقا وغربا
والمستعان على الزما	ن اذا اعترى وأجدحربا
أقسمت بالبزل النوا	فخ فى البرى قودا وقبا (١)
واصلن نحو البيت بالسـ	ـير السرى يحملن ركبا
يرضيهم بعد الصدى	ورد الصرى رفها وغبا
لقد ابتنيت الملك مر	فوع الذرا بك مستتبا
وتركت دين الله مشـ	ـدود العرا بعدا وقربا
وضمنت للدنيا وما	فيها القرى وكشفت جدبا
من قال غيرك للعلا	فقد افترى مينا وكذبا
قرب الرحيل وزند عبـ	ـدك ماورى فيما أحبا
فأجره من دهر برا	ه كما ترى طعنا وضربا
أرخى فضول عنانه	لما جرى فكبا وكبا

(١) البزل جمع بازل وهو الجمل اذا طلع نابه وذلك فى تاسع سنيه فقوى واشتد . والبرى جمع برة وهى حلقة رقيقة تجعل فى أنف البعير كأنهم يقصدون بها الزينة أو التذليل ، وانما تنفخ الابل فى البرى لكلالها من طول السفر وسرعة السير . والقود جمع أقود وقوداء من القود وهى طول العنق ، والأقود الطويل العنق العظيمة مع شدة العنق وقوته لقلة التفاته ، والأقود أيضا الذلول المنقاد سلس الانقياد . قب جمع أقب ومؤنثه قباء من القبب وهو رقة الخصر وضمور البطن ولحوقه – والسرى سير عامة الليل . والصدى : العطش . والصرى الماء تغير طعمه لطول مكثه .

فانظر اليـــه وهو مط
رود الـكرى ضرا وجذبا
هجر الأنام اليك طر راواشترى بالجدب خصبا
فأتاك يرتع فى ذرا ك، وبالحرى أن لا يذبا

وللطغرائى فيه وفى لديه مدائح كثيرة أخرى غراء . « أحمد يوسف نجاتى »

ورفهت الابل « كمنع » اذا وردت الماء كل يوم متى شاءت، والاسم الرفه « بالكسر » أو الرفه أقصر الورد وأسرعه ــ والغب: ضدالرفه، أو وهو ورد يوم وظمء آخر ، وقيل هو ليوم وليلتين. وذروة الشيء أعلاه . والمين الـكذب والافتراء . وورى زنده اذا نجح وفاز ببغيته . وكبا عثر . وكب سقط . وذبه اذا طرده ومنعه . ومثل قصيدة الطغرائى هذه من المحسنات البديعية اللفظية المسمى التشريع ـ ويسمى أيضا التوءم ـ وهو أن يبنى الشاعر بيته على وزنين من أوزان القريض وقافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما بحيث اذا أسقط من أجزاء البيت جزء أو جزءان صار ذلك البيت من وزن آخر غير الأول، ومثله قول الحريرى :

ياخاطب الدنيـا الدنية انها شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ماأضحكت فى يومها أبـكت غدا ، تبا لها من دار !

الى آخر الأبيات العشرة، وهى من ثانى الـكامل، واذا أسقط الجزءان الأخيران من شطرى البيت كان من ثامنه فتبقى صورته :

ياخاطب الدنيا الدنيـ ـية انها شرك الردى

ومثل ذلك أبيات الطغرائى تصير :

ياأيها الملك الذى اصطنع الورى والمستعان على الزمان اذا اعترى
أقسمت بالبزل الـوافخ فى البرى واصلن نحوالبيت بالسير السرى . الخ

ومن الشعر القديم :

واذا الرياح مع العشى تناوحت هوج الرياح بكثبهن شمالا
ألفيتنا نقرى العبيط لضيفنـا قبل القتـال ونقتل الأبطالا

وقد تـكلف هذا النوع كثير من المتأخرين، ومنهم محمد بن جابر الأندلسى

فِي ٱلْبِلَادِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَنْشَأَ ٱلْمَدَارِسَ، فَاقْتَدَى بِهِ ٱلنَّاسُ ، وَشَرَعَ فِي عِمَارَةِ مَدْرَسَتِهِ بِبَغْدَادَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَفِي سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ جَمَعَ ٱلنَّاسَ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ لِيُدَرِّسَ بِهَا ٱلشَّيْخُ أَبُو إِسْحَقَ ٱلشِّيرَازِيُّ - رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى - فَلَمْ يَحْضُرْ ، فَذَكَرَ ٱلدَّرْسَ أَبُو نَصْرِ بْنُ ٱلصَّبَّاغِ صَاحِبُ ٱلشَّامِلِ عِشْرِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ جَلَسَ ٱلشَّيْخُ أَبُو إِسْحَقَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَهَذَا ٱلْفَصْلُ قَدِ ٱسْتَقْصَيْتُهُ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي نَصْرٍ عَبْدِ ٱلسَّيِّدِ ٱبْنِ ٱلصَّبَّاغِ صَاحِبِ ٱلشَّامِلِ ، فَلْيُنْظَرْ هُنَاكَ - وَكَانَ ٱلشَّيْخُ

والقاضى الأرجانى والحريرى وغيرهم ، فلم يسلس لبعضهم قياد المعنى .
هذا وفى سنة ٤٧٩ دخل السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك بغداد ونزلا بدار المملكة ، وزارا مشهد الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق « المتوفى ببغداد سنة ١٨٣ » وقبره هناك فى الجانب الغربى مشهور يزار، وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع الأعلاق من زينة الآلات والفرش » وزارا كذلك قبور جماعة من الأئمة والصالحين كمعروف الكرخى المتوفى سنة ٢٠٠ والامام أحمد بن حنبل وأبى حنيفة وغيرهما من القبور المعروفة، فقال ابن زكرويه الواسطى يهنىء نظام الملك بقصيدة منها:

زرت المالك زورة مشهودة ... أرضت مضاجع من بها مدفون
فكأنك الغيث استهل بتربها ... وكأنها بك روضة ومعين
فازت قداحك بالثواب وأنجحت ... ولك الاله على النجاح ضمين

وخلع الخليفة على نظام الملك، ودخل الى المدرسة النظامية، وجلس فى خزانة الكتب وطالع فيها كتبا، وسمع الناس عليه بالمدرسة جزء حديث، وأملى جزءا آخر، ومكث مع السلطان مدة ثم عاد سنة ٤٨٠ الى أصبهان « أحمد يوسف نجاتى »

أَبُو إِسْحَق إِذَا حضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ خَرَجَ مِنْهَا وَصَلَّى فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ، وَكَانَ يَقُولُ: بَلَغَنِي أَنَّ أَكْثَرَ آلَاتِهَا غَصْبٌ[1]، وَسَمِعَ نِظَامُ الْمُلْكِ الْحَدِيثَ وَأَسْمَعَهُ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَرْبِطَ نَفْسِي فِي قِطَارِ النَّقَلَةِ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُرْوَى لَهُ مِنَ الشِّعْرِ قَوْلُهُ:

---

(١) ولذلك قالوا انه لم يؤخذ على أبى اسحق الشيرازى شىء سوى قبوله الدراسة بالنظامية، ولهذا تأخر عن الدراسة بها مدة مع أنه كان المعين لذلك. قلت قد درس بالنظامية كثير من الأئمة وأفاضل الأمة كأبى بكر الشاسى وحجة الاسلام الغزالى وغيرهما — ومما يحكى أن السيدة كوهر خاتون عمة السلطان ملكشاه السلجوقى وأخت السلطان ألب أرسلان — وكانت ذات دين وعفة وورع — صادرها نظام الملك لما توفى أخوها ألب أرسلان — وأخذ منها أموالا عظيمة، فخرجت الى مدينة الرى لتمضى الى القلعة المباركية «حصن بناه المبارك التركى أحد موالى بنى العباس وكان بها قوم من مواليه» تستنجدهم على قتال الوزير نظام الملك، فأشار الوزير نظام الملك على السلطان ملكشاه بقتلها فقتلها، فلما وصل خبر قتلها الى بغداد ذم الناس نظام الملك، وانبسطت ألسنتهم فيه، وقالوا: ما كفاه بناء هذه المدرسة النظامية، وغصبه لأراضى الناس وأخذ أنقاضهم، حتى دخل فى الدماء من قتل هذه المرأة! وقد كتبنا كثيرا فى نظام الملك وأسهبنا القول فى ترجمته لأنه من رجال التاريخ المشهورين، ولنبين ماله وما عليه، والتاريخ لا يحابى أحدا، وانما المرء حديث بعده. «أحمد يوسف نجاتى».

بَعْدَ الثَّمَانِينَ لَيْسَ قُوَّهْ ‏ قَدْ ذَهَبَتْ شِرَّةُ[١] الصَّبُوَّهْ

كَأَنَّنِي وَالْعَصَا بِكَفِّي ‏ مُوسَى وَلَكِنْ بِلَا نُبُوَّهْ

وَقِيلَ إِنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِأَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الصَّقْرِ الْوَاسِطِيِّ -وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى[٢] -وَكَانَتْ وِلَادَةُ نِظَامِ الْمُلْكِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ -بِنُوقَانَ إِحْدَى مَدِينَتَيْ طُوسَ ، وَتَوَجَّهَ صُحْبَةَ مَلِكْشَاهْ إِلَى أَصْبَهَانَ ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ عَاشِرِ

---

(١) الشرة القوة والحدة ، وصبا صبوا اذا مال الى اللهو والغزل وجهلة الفتوة - والذى أحفظه : لهفى على قوة الفتوة، يريد الفتاء أى الشباب- وان كان معنى الفتوة فى اللغة الكرم والسخاء ، وصاحب الفتوة يقال له الفتى، ومنه : لافتى الا على ، و يقال هوفتى بين الفتوة «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) ومما يروى لنظام الملك أيضا :

تقوس بعد طول العمر ظهرى ‏ وداستنى الليالى أى دوس

وأمشى والعصا تمشى أمامى ‏ كأن قوامها وتر لقوسى

قلت فى البيت الثانى تشبيه لطيف دقيق . هذا والوزير نظام الملك هو الذى نشر مذهب الامام الشافعى بالعجم، وكان أكثر الذين يدرسون بمدرسته النظامية من أئمة الشافعية ،وقد تقدم ذكر بعضهم ، وتأتى تراجم آخرين. وكان كعبة للمجد، ومنبعا للجود، فوض اليه السلطان ملكشاه كل أموره سنة ٤٦٥ وبالغ فى اكرامه ولقبه ألقابا منها أتابك « أى الأمير الوالد » فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته مااشتهر لدى الناس حتى أنه ألفت فى سيرته كتب خاصة، وكان عالما دينا جوادا عدلا حليما كثير الصفح عن المذنبين ، طويل الصمت شديد الحرص على التمسك بالدين وتأدية فرائضه وإقامة حدوده .رحمه الله « أحمد يوسف نجاتى »

شَهرِ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمسٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ أَفْطَرَ، وَرَكِبَ فِي مِحَفَّتِهِ (١) ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَهَاوَنْدَ يُقَالُ لَهَا سَحْنَةُ (٢) قَالَ: هَذَا الْمَوْضِعُ قُتِلَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ زَمَنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ مَعَهُمْ » فَاعْتَرَضَهُ صَبِيٌّ دَيْلَمِيٌّ عَلَى هَيْئَةِ الصُّوفِيَّةِ مَعَهُ قِصَّةٌ (٣) فَدَعَاهُ وَسَأَلَهُ تَنَاوُلَهَا، فَمَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَهَا فَضَرَبَهُ بِسِكِّينٍ فِي فُؤَادِهِ ، فَحُمِلَ إِلَى مَضْرِبِهِ فَمَاتَ، وَقُتِلَ الْقَاتِلُ فِي الْحَالِ - بَعْدَ أَنْ هَرَبَ فَعَثَرَ فِي طُنُبِ (٤) خَيْمَةٍ فَوَقَعَ وَرَكِبَ السُّلْطَانُ إِلَى عَسْكَرِهِ فَسَكَّنَهُمْ وَعَزَّاهُمْ، وَحُمِلَ إِلَى أَصْبَهَانَ وَدُفِنَ بِهَا ، وَقِيلَ إِنَّ السُّلْطَانَ دَسَّ عَلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ

(١) المحفة : مركب كالهودج ، وليست له قبة (٢) سحنة : موضع بين بغداد وهمذان . ونهاوند مدينة عظيمة فى قبلة همذان بينهما ١٤ فرسخا فتحت سنة ١٩ أو سنة ٢٠ أيام سيدنا عمر بن الخطاب، وكان أمير جيش المسلمين النعمان بن مقرن المزنى، وقال له عمر : ان أصبت فالأمير حذيفة ابن اليمان، ثم جرير بن عبد الله، ثم المغيرة بن شعبة، ثم الأشعث بن قيس فقتل النعمان — وكان صحابيا رضى الله عنه — فأخذ الراية حذيفة بن اليمان ، وكان الفتح على يده صلحا، بعد أن أبلى المسلمون فى جموع الفرس الكثيرة بلاء حسنا ، حتى لم يقم لهم بعد واقعتها قائمة، فسماها المسلمون فتح الفتوح « أحمد يوسف نجاتى » (٣) أى رقعة ورق كأنه مستجد أو مستغيث

(٤) الطنب : حبل طويل يشد به الخيمة أو البيت « أحمد يوسف نجاتى »

فَإِنَّهُ سَمَّ طُولَ حَيَاتِهِ، وَاسْتَكْثَرَ مَا بِيَدِهِ مِنَ الْإِقْطَاعَاتِ، وَلَمْ يَعِشِ السُّلْطَانُ بَعْدَهُ سِوَى خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا، فَرَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - لَقَدْ كَانَ مِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ، وَرَثَاهُ شِبْلُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْهَيْجَاءِ مُقَاتِلُ بْنُ عَطِيَّةَ بْنِ مُقَاتِلٍ الْبَكْرِيُّ الْآتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى - وَكَانَ خَتَنَهُ لِأَنَّ نِظَامَ الْمُلْكِ زَوَّجَهُ ابْنَتَهُ - فَقَالَ:

كَانَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمُلْكِ لُؤْلُؤَةً
نَفِيسَةً صَاغَهَا الرَّحْمَنُ مِنْ شَرَفِ
عَزَّتْ فَلَمْ تَعْرِفِ الْأَيَّامُ قِيمَتَهَا
فَرَدَّهَا غَيْرَةً مِنْهُ إِلَى الصَّدَفِ[1]

---

(١) ولبعض الشعراء يرثى:

لى فى المقابر درة — أضحى التراب لها صدف
لما غدت هدف البلى — أصبحت للبلوى هدف

قلت: خلف نظام الملك من الأولاد فخر الملك على بن الحسن، وكان وزير تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان «وقد تقدم ذكره» وكان بين تتش وابن أخيه بركياروق بن ملكشاه واقعة انهزم فيها، وأسر وزيره فخر الملك، فعفا عنه السلطان بركيار لأجل أخيه وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك، وقتل فخر الملك سنة ٥٠٠ كقتلة أبيه تماما، وكانت له ابنة تزوجها عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة المقتدى، وتوفيت سنة ٤٧٠ وابن آخر يقال له جمال الملك منصور، توفى سنة ٤٧٥ ومن أنجب بنيه مؤيد الملك، وكان وزيرا للسلطان بركياروق بن ملكشاه، وكان فى غاية من العقل والفضل وحسن التدبير، وكان دون أخيه فضلا ونبلا، فلحق

وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ قُتِلَ بِسَبَبِ تَاجِ الْمُلْكِ أَبِي الْغَنَائِمِ الْمَرْزُبَانِ بْنِ خُسْرُو فَيْرُوزَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ دَارَسْتَ(١) فَإِنَّهُ

مؤيد الملك بأخى بركيا روق محمد بن ملكشاه، وأطمعه فى الملك، ووزر له، وكانت بين بركيار وأخيه موقعة عظيمة قتل فيها الوزير مؤيد الملك سنة ٤٩٤، وعزله السلطان بركيار وق سنة ٤٩١ عن الوزارة، واستوزر أخاه فخر الملك. وكان نظام الملك رحمه الله عالى الهمة وافر العقل عارفا بتدبير الأمور، محبا للعلماء والصلحاء، على شىء من الشدة والظلم الذى كان يتهم به شأن كثير من الوزراء فى تلك العصور التى كان الحكم فيها أقرب الى الاستبداد وقلة مراعاة ماتميل اليه الشعوب «أحمد يوسف نجاتى»

(١) هو مستوفى السلطان ملكشاه، وهو الذى بنى بباب أبرز ببغداد «المدرسة التاجية» سنة ٤٨٠ وضاهى بها المدرسة النظامية، وفى سنة ٤٨٢ درس بها الامام أبو بكر الشاشى. وفى شهر رمضان من سنة ٤٨٥ توجه السلطان ملكشاه من أصبهان الى بغداد بنية غير مرضية فى حق الخليفة المقتدى بالله، وعزم على تغييره – وكان معه وزيره نظام الملك – فقتل فى الطريق كما تقدم، ووصل السلطان الى بغداد، فلقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير، وبعث على عجل يقول للخليفة: لابد أن تترك لى بغداد وتذهب الى أى بلد شئت، فانزعج الخليفة، وبعث اليه يقول: أمهلنى شهرا، فأبى أن يمهله يوما واحدا، فأرسل الخليفة الى تاج الملك أبى الغنائم – وكان السلطان قد استوزره بعد قتل نظام الملك – فقال: سله أن ينظرنا عشرة أيام، فدخل تاج الملك على السلطان وقال له: لو أن بعض العوام أراد أن ينتقل من دار الى دار لم يقدر على النقلة فى أقل من عشرة أيام، فكيف بالخليفة؟! فأرجأه السلطان عشرة أيام، ثم اشتغل بنفسه من مرض اعتراه أودى بعد بحياته – وكان قد ظهر من تاج الملك فى تلك المدة كفاية عظيمة، وكان السلطان قد أمر أن تفصل له خلع الوزارة

كَانَ عَدُوَّ نِظَامِ ٱلْمُلْكِ ، وَكَانَ كَبِيرَ ٱلْمَنْزِلَةِ عِنْدَ مَخْدُومِهِ مَلِكْشَاهْ ، فَلَمَّا قُتِلَ رَتَّبَهُ مَوْضِعَهُ فِي ٱلْوِزَارَةِ ، ثُمَّ إِنَّ غِلْمَانَ نِظَامِ ٱلْمُلْكِ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَقَطَّعُوهُ إِرْبًا إِرْبًا فِي لَيْلَةِ ٱلثُّلَاثَاءِ ثَانِي عَشَرَ ٱلْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَعُمْرُهُ سَبْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَهُوَ ٱلَّذِي بَنَى عَلَى قَبْرِ ٱلشَّيْخِ أَبِي إِسْحَقَ ٱلشِّيرَازِيِّ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ .

فلما فرغ من الخلع ولم يبق غير لبسها والجلوس فى دست الوزارة مرض السلطان ثم توفى فى شهر شوال سنة ٤٨٥ فكتمت زوجه تركان خاتون خبر وفاته، وسارت من بغداد والسلطان معها محمولا، وبذلت الأموال للأمراء واستمالتهم اليها، واستحلفتهم لابنها محمود، وكانت سنه أربع سنوات، وكان تاج الملك يتولى ذلك لها، ويدبر الأمور ،وأرسلت الى أصبهان فى القبض على بركياروق بن السلطان وهو أكبر أولاده «وأمه السيدة زبيدة ابنة ياقوتى بن داود وهى ابنة عم ملكشاه» خافت أن ينازع ولدها فى الملك فقبض عليه، فلما ظهر موت الملك ملكشاه ثار المماليك النظامية ،وأخرجوا بركياروق ، وخطبوا له بأصبهان وملكوه ، وكان بين العسكرين فتن وثورات ، والتقيا بالقرب من مدينة بروجرد، وانحاز جماعة من الأمراء الذين فى عسكر خاتون الى بركياروق ، فقوى بهم حتى انتصر على زوج أبيه خاتون ، وكان تاج الملك فى عسكرها ، وشهد الواقعة ، فهرب ثم قبض عليه، وحمل الى عسكر بركياروق وهو يحاصر أصبهان ، وكان يعرف كفايته ، فأراد أن يستوزره، فشرع تاج الملك فى اصلاح نيات الكبراء من النظامية ، وجذب قلوبهم اليه حتى أو شكت أن تصفو له ولكن الأصاغر والأحداث والغلمان من أتباع نظام الملك ونائبه بعد موته ثاروا ـ وثورة العامة هوجاء غير عاقلة ـ فلم يقنعوا الا بقتل من كان

***

الحسن بن على الجوينى

« أَبُو عَلِيٍّ ٱلْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْمُلَقَّبُ فَخْرَ ٱلْكُتَّابِ ٱلْجُوَيْنِيُّ ٱلْأَصْلِ ٱلْبَغْدَادِيُّ ٱلْكَاتِبُ ٱلْمَشْهُورُ »

كَتَبَ كَثِيرًا ، وَنَسَخَ كُتُبًا تُوجَدُ فِي أَيْدِي ٱلنَّاسِ

يتهم بالسعى فى قتل مولاهم ، فانفسخ مادبره تاج الملك ، وهجم النظامية عليه فقتلوه وفصلوا أجزاءه فى المحرم من سنة ٤٨٦ وحمل الى بغداد أحد أصابعه. وكان كثير الفضائل جم المناقب ، وانما غطى على جميع محاسنه مما لأنه على قتل نظام الملك ـ رحمهما الله ـ هذا ولست أعرف أنه يعرف بابن دارست والذى أعرف أنه يكنى بابن دارست هو أبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست ، وزر للخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٥٣ وعزل عنها سنة ٤٥٤ وتوفى بالأهواز سنة ٤٦٨ والله أعلم . « أحمد يوسف نجاتى » .

* ترجم له فى كتاب معجم الأدباء « ج ٣ ص ١٥٦ » نقتطف منها ما يأتى

أبو على صاحب الخط المنسوب، كان مقيما ببغداد ، ولا أدرى أولد بها أم انتقل اليها ، لأنه لما انتقل الى مصر كان يعرف بها بالبغدادى ، وكان يلقب فخر الكتاب ، سمعت جماعة من أهل الكتابة المتحققين بها يقولون لم يكتب أحد بعد أبى الحسن على بن هلال بن البواب (١) أجود من الجوينى ، وكان أستاذه فى الكتابة يعقوب الغزنوى ، كتب عليه ببغداد الا أنه أبر (٢) عليه وزاد ، حتى لاتناسب بين خطيهما ، وكتب عليه جماعة من الكتاب ، وافتخروا بأستاذيته ، كابن القيسرانى (٣) وغيره ، وكان

---

(١) ستأتى ترجمته توفى سنة ٤٢٣ . (٢) أبر عليه أى زاد وعلا وفاق.

(٣) هو موفق الدين أبو الثعاء خالد بن الوليد البارع محمد بن نصر

بِأَوْفَرِ ٱلْأَثْمَانِ ، لِجَوْدَةِ خَطِّهَا وَرَغْبَتِهِمْ فِيهِ ، وَذَكَرَهُ ٱلْعِمَادُ ٱلْكَاتِبُ فِي ٱلْخَرِيدَةِ وَبَالَغَ فِي ٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : كَانَ مِنْ

ينتقل فى البلاد حتى حط بركه (١) بالديار المصرية ونفقت بهاسوقه وعلا على أبناء جنسه قدره ، وعظم شأنه ، وارتفع مكانه ، وكان مع ذلك لايترك هيئته وسمته ، فانه كان يتزيا زى أهل التصوف ، و بلغ من علو قدره بالديار المصرية الى أن ولى ولده عز الدين ابراهيم ولاية القاهرة بعد ماولى ولاية الاسكندرية ، وكان محمود السيرة ، رأيت أهل مصر ممن شاهد ولايته يحسن الثناء عليه ، وكان ملكى الهمة شريف النفس « أعنى ولده عز الدين ابراهيم » وكان فخر الكتاب يقول الشعر و يتعاناه ، الا أنه لم يكن فيه بذاك ، ومن شعره يمدح القاضى الفاضل ، وهو من أجود شعره :

لولا انقطاع الوحى كان منزلا ... فى الفاضل بن على البيسانى
نثنى عليه بمثل مايثنى على ... أفعاله المرضية الملكان

ومن شعره فى الزهد :

كم كادت الأوطان تشغلنا ... بزخارف الدنيا عن الله
حتى تغر بنا ، فكم غير (٢) ... يقطعن عقل الغافل اللاهى

القيسرانى الكاتب صاحب الخط المنسوب ، كان صدرا نبيلا وافر الحشمة ، وزر للسلطان نور الدين محمود الشهيد وتوفى سنة ٥٨٨ وهو غير ابن القيسرانى محمد بن نصر بن صغير بن داغر الملقب شرف الدين الخالدى الحلبى الشاعر المشهور المتوفى سنة ٥٤٨ بمدينة دمشق «أحمد يوسف نجاتى»

(١) حط بركه أى ثبت وأقام واستقر ، وأصله من بروك البعير وهو أن تلصق بركه بالأرض أى صدره (٢) جمع غيرة « كعنب وعنبة » وغير الدهر أحداثه المغيرة . وفى بعض المراجع « عبر » وهو معنى مناسب

نُدَمَاءِ أَتَابَكَ زَنْكِي[١] بِالشَّامِ ، وَأَقَامَ بَعْدَهُ عِنْدَ وَلَدِهِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودٍ فِي ظِلِّ الْإِكْرَامِ ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى مِصْرَ فِي أَيَّامِ ابْنِ رُزِّيكَ[٢] ، وَتَوَطَّنَ بِهَا إِلَى هٰذِهِ الْأَيَّامِ ، وَلَيْسَ بِمِصْرَ الْآنَ مَنْ يَكْتُبُ مِثْلَهُ ، وَأَوْرَدَ لَهُ مَقْطُوعَ شِعْرٍ كَتَبَهُ إِلَى الْقَاضِي الْفَاضِلِ[٣] وَلَوْلَا أَنَّهُ طَوِيلٌ لَذَكَرْتُهُ - وَتُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ - وَقِيلَ سِتٍّ - وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِالْقَاهِرَةِ ، - رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى - . وَالْجُوَيْنِيُّ - بِضَمِّ الْجِيمِ وَفَتْحِ الْوَاوِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَبَعْدَهَا نُونٌ - نِسْبَةٌ إِلَى جُوَيْنَ[٤] - وَهِيَ نَاحِيَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ نَوَاحِي نَيْسَابُورَ ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ لِبَعْضِ الْعِرَاقِيِّينَ:

---

(١) زنكى بن آق سنقر هو والد الملك العادل نور الدين محمود الشهيد المنشىء لدولة بنى أيوب ، وتوفى سنة ٥٤١ وتقدم من قبل حديث عنه . « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو الملك الصالح طلائع بن رزيك، وستأتى ترجمته

(٣) تأتى ترجمته فى حرف العين « عبد الرحيم البيسانى » .

(٤) جوين اسم كورة كبيرة جليلة نزهة على طريق القوافل من بسطام الى نيسابور ، يسميها أهل خراسان « كويان » فعربت فقيل جوين - وممن ينسب اليها أبو عمران موسى بن العباس بن محمد الجوينى أحد الرحالين كان معنيا بالرواية حسن الحديث، وصنف على صحيح مسلم، وتوفى بجوين سنة ٣٢٣ ومنها أبو محمد عبد الله بن يوسف الجوينى امام عصره بنيسابور والد أبى المعالى الجوينى، قرأ الأدب على والده يوسف الأديب بجوين، وبرع

يَنْدَمُ ٱلْمَرْءُ عَلَى مَا فَاتَهُ   مِنْ لُبَانَاتٍ[١] إِذَا لَمْ يَقْضِهَا

وَتَرَاهُ فَرِحًا مُسْتَبْشِرًا   بِالَّتِي أَمْضَى كَأَنْ لَمْ يُمْضِهَا[٢]

إِنَّهَا عِنْدِي وَأَحْلَامُ ٱلْكَرَى   لَقَرِيبٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِهَا

***

أبو على الحسين ابن على الكرابيسى

« أَبُو عَلِيٍّ ٱلْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ ٱلْكَرَابِيسِيُّ ٱلْبَغْدَادِيُّ » صَاحِبُ ٱلْإِمَامِ ٱلشَّافِعِيِّ ـ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا ـ، وَأَشْهَرُهُمْ بِانْتِيَابِ[٣] مَجْلِسِهِ، وَأَحْفَظُهُمْ لِمَذْهَبِهِ، وَلَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ فِي أُصُولِ ٱلْفِقْهِ وَفُرُوعِهِ، وَكَانَ مُتَكَلِّمًا عَارِفًا بِالْحَدِيثِ، وَصَنَّفَ أَيْضًا فِي ٱلْجَرْحِ[٤] وَٱلتَّعْدِيلِ وَغَيْرِهِ، وَأَخَذَ عَنْهُ

فى الفقه، وتوفى بنيسابور سنة ٤٣٤ وستأتى ترجمة أبى المعالى الجوينى . « أحمد يوسف نجاتى » (١) لبانات : جمع لبانة : الحاجة من غير فاقة والغرض كالوطر (٢) هذا مثل قول الآخر :

والمرء يفرح بالأيام يقطعها   وكل يوم مضى يدنى من الأجل

ومثله قول الآخر :

يسر المرء ماذهب الليالى   وكان ذهابهن له ذهابا

وفى معناه :

وتأكلنا أيامنا فكأنما   تمر بنا الساعات وهى أسود

ومثل البيت الثالث قول أبى تمام :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها   فكأنها وكأنهم أحلام

والقول فى هذا المعنى شائع، ورحم الله من اتعظ . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) أى تردده عليه واتيانه مرة بعد أخرى (٤) الجرح والتعديل : أى

اُلفِقْهَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ ـ وَقِيلَ ثَمَانٍ ـ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِالصَّوَابِ ـ رَحِمَهُ اُللهُ تَعَالَى ـ وَاُلْكَرَابِيسِيُّ ـ بِفَتْحِ اُلكَافِ وَاُلرَّاءِ وَبَعْدَ اُلْأَلِفِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَكْسُورَةٌ ثُمَّ يَاءٌ مُثَنَّاةٌ مِنْ تَحْتِهَا سَاكِنَةٌ وَبَعْدَهَا سِينٌ مُهْمَلَةٌ ـ هَـذِهِ اُلنِّسْبَةُ إِلَى اُلْكَرَابِيسِ وَهِيَ اُلثِّيَابُ اُلْغَلِيظَةُ (١) وَاحِدُهَا كِرْبَاسٌ بِكَسْرِ اُلْكَافِ ، وَهُوَ لَفْظٌ فَارِسِيٌّ عُرِّبَ ، وَكَانَ يَبِيعُهَا فَنُسِبَ إِلَيْهَا .

***

أبو علي الحسين بن صالح بن خيران

« أَبُو عَلِيٍّ اُلْحُسَيْنُ بْنُ صَالِحِ بْنِ خَيْرَانَ اُلْفَقِيهُ اُلشَّافِعِيُّ »

كَانَ مِنْ جُمْلَةِ اُلْفُقَهَاءِ اُلْمُتَوَرِّعِينَ وَأَفَاضِلِ اُلشُّيُوخِ ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ اُلْقَضَاءُ بِبَغْدَادَ فِي خِلَافَةِ اُلْمُقْتَدِرِ فَلَمْ يَفْعَلْ ،

الطعن والمدح فى الرواة والمشتغلين بالحديث من رجاله . وتجد للكرابيسى ترجمة فى تاريخ بغداد بالجزء الثامن صفحة ٦٤ وترجم له أيضا فى طبقات القراء لابن الجزرى، وفى طبقات الشافعية بالجزء الأول . هذا ومؤلفات الكرابيسى تدل على حسن فهمه ، وغزارة علمه،وكان بينه و بين الامام أحمد بن حنبل شىء سببه اختلاف وجهة النظر، ولهذا تجنب الناس الأخذ عنه لعظيم ثقتهم بالامام أحمد رضى الله عنه . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) أو هى ثياب من القطن الأبيض أو الثياب الخشنة « أحمد يوسف نجاتى »

* ترجم لابن خيران فى طبقات الشافعية وفى تاريخ بغداد الجزء الثامن صفحة ٥٣ .

فَوُكِّلَ الْوَزِيرُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى[١] بِدَارِهِ مُتَرَسِّماً[٢]، فَخُوطِبَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا قَصَدْتُ ذَلِكَ لِيُقَالَ كَانَ فِي زَمَانِنَا مَنْ وُكِّلَ بِدَارِهِ لِيَتَقَلَّدَ الْقَضَاءَ فَلَمْ يَفْعَلْ، وَكَانَ يُعَاتِبُ أَبَا الْعَبَّاسِ بْنَ سُرَيْجٍ[٣] عَلَى تَوْلِيَتِهِ وَيَقُولُ: هَذَا الْأَمْرُ لَمْ يَكُنْ فِينَا، وَإِنَّمَا كَانَ فِي أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٤] -، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِثَلَاثٍ

---

(١) تقدم التعريف به، وكان محدثا عالما دينا خيرا، وتوفى سنة ٣٣٤. «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) يريد موكلا به يترسم خطواته ويراقبه، وبقى هذا الرصد على باب داره بضعة عشر يوما حتى احتاج الفقيه ابن خيران الى الماء فلم يقدر عليه الا من عند الجيران. فبلغ الوزير ذلك فأمر بازالة التوكيل عنه، وقال فى مجلسه والناس حضور: ماأردنا بالشيخ أبى على الاخيرا، أردنا أن نعلم أن فى مملكتنا رجلا يعرض عليه القضاء وقضاء القضاة شرقا وغربا وهو لايقبل. «أحمد يوسف نجاتى».

(٣) سبقت ترجمته فى حرف الهمزة

(٤) زاد فى النسخة الخطية بعد قوله: «وانما كان فى أصحاب أبى حنيفة رضى الله عنه» مايأتى:

ومثل هذادعاء عثمان بن عفان رضى الله عنه عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فقال: اذهب كن قاضيا قال: أو تعفينى ياأمير المؤمنين! قال: اذهب كن قاضيا، قال: لاتعجل ياأمير المؤمنين، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ» وانى أعوذ بالله أن تجعلنى قاضيا، قال: ومايمنعك من ذلك وأبوك كان يقضى بين الناس؟! قال: يمنعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم «من كان قاضيا بين الناس فقضى

عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ ذِى الْحِجَّةِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ، قَالَهُ أَبُو الْعَلَاءِ بْنُ الْعَسْكَرِىِّ، وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِىُّ: تُوُفِّىَ فِى حُدُودِ سَنَةِ عَشْرٍ وَثَلَثِمِائَةٍ، وَصَوَّبَهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ، وَقَالَ وَهِمَ أَبُو الْعَلَاءِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَخَيْرَانُ بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَفَتْحِ الرَّاءِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ نُونٌ (١).

***

الحسين بن محمد المروروذى

« أَبُو عَلِىٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَرْوَرُّوذِىُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِىُّ الْمَعْرُوفُ بِالْقَاضِى صَاحِبُ التَّعْلِيقَةِ فِى الْفِقْهِ »

بجهل فهو فى النار، ومن كان قاضيا فقضى بجور فهو فى النار، ومن كان قاضيا فقضى بحق أو بعدل سأل أن تنقلب كفافا، فما أرجو من القضاء بعد هذا»

* ترجم له فى كتاب طبقات الشافعية لابن السبكى «ج ٣ ص ١٥٥» بما يأتى:

«هو الامام الجليل أحد رفعاء الأصحاب، ومن له الصيت فى آفاق الأرضين، وهو صاحب التعليقة المشهورة، وصاحب ذيول الفخار المرفوعة المجرورة، وجاب التحقيق الى سوق المعانى حتى يخرج الوجه من صورة الى صورة، السامى على آفاق السماء، والعالى على مقدار النجم فى الليلة الظلماء، والحال فوق فرق الفرقد وكذا تكون عزائم العلماء، قاضى مجمل الفضل فلو يتعرف به النحاة ماقالت فى قاض انه منقوص، وبحر علم زخرت فوائده فعمت

الناس وتعميم الفقهاء بها للخصوص ، وامام تصطف الأئمة خلفه « كأنهم بنيان مرصوص » كان القاضى جبل فقه منيعا صاعدا ، ورجل علم من يساجله ساجل ماجدا ؟ (١) وبطل بحث يترك القرن مصفرا أنامله (٢) قائما وقاعدا ، روى الحديث عن أبى نعيم عبد الملك الاسفراينى ، وروى عنه عبد الرزاق المنيعى ، وتلميذه محيي السنة البغوى وغيرهما ، وتفقه على القفال المروزى ، وهو والشيخ أبو على أنجب تلامذته ، وأوسعهم فى الفقه دائرة ، وأشهرهم به اسما ، وأكثرهم له تحقيقا ، وللقاضى — رحمه الله — مع ذلك الغوص على المعانى الدقيقة ، وكثرة التحرير وسداد النظر ذكره عبد الغافر فى السياق ، وقال فيه : انه كان فقيه خراسان ، وكان عصره تاريخا به ، قال الرافعى فى التذنيب ، وكان يقال له حبر الأمة ، قلت : وفى كلام امام الحرمين : انه حبر المذهب على الحقيقة ، وتخرج عليه من الأئمة عدد كثير ، منهم امام الحرمين وصاحب التتمة والتهذيب أبو سعيد المتولى والبغوى وغيرهم ، قال الرافعى :

سمعت سبطه الحسن بن الحسين بن محمد بن القاضى الحسين يقول : أتى القاضى — رحمه الله — رجل فقال : حلفت بالطلاق أنه ليس أحد فى الفقه والعلم مثلك ، فأطرق رأسه ساعة وبكى ثم قال : هكذا يفعل موت الرجال لا يقع طلاقك ، وقد تكلمنا على هذه الحكاية فى أول ديباجة هذا الكتاب فمن أراد الزيادة والوقوف على ما قيل فليرجع اليه . توفى القاضى — رحمه الله تعالى فى المحرم سنة اثنتين وستين وأربعمائة . ومن شعره :

اذا مارماك الدهر يوما بنكبة ... فأوسع لها صدرا وأحسن لها صبرا
فان اله العالمين بفضله ... سيعقب بعد العسر من فضله يسرا

(١) مأخوذ من قوله :

من يساجلنى يساجل ماجدا ... يملأ الدلو الى عقد الكرب

(٢) من قول الأول :

قد أترك القرن مصفرا أنامله ... كأن أثوابه مجت بفرصاد

كَانَ إِمَامًا كَبِيرًا صَاحِبَ وُجُوهٍ غَرِيبَةٍ فِي ٱلْمَذْهَبِ ، وَكُلَّمَا قَالَ إِمَامُ ٱلْحَرَمَيْنِ فِي كِتَابِ نِهَايَةِ ٱلْمَطْلَبِ[1] وَٱلْغَزَّالِيُّ فِي ٱلْوَسِيطِ وَٱلْبَسِيطِ ، « وَقَالَ ٱلْقَاضِي » فَهُوَ ٱلْمُرَادُ بِالذِّكْرِ لَاسِوَاهُ ، وَأَخَذَ ٱلْفِقْهَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ ٱلْقَفَّالِ ٱلْمَرْوَزِيِّ ٱلْآتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ فِي ٱلْعَبَادِلَةِ ، وَصَنَّفَ فِي ٱلْأُصُولِ وَٱلْفُرُوعِ وَٱلْخِلَافِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَحْكُمُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَيُدَرِّسُ وَيُفْتِي ، وَأَخَذَ عَنْهُ ٱلْفِقْهَ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْأَعْيَانِ مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْحُسَيْنُ ٱبْنُ مَسْعُودٍ ٱلْفَرَّاءُ ٱلْبَغَوِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ ٱلتَّهْذِيبِ[2] وَكِتَابِ شَرْحِ ٱلسُّنَّةِ[3] وَغَيْرِهِمَا ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ

---

(١) كتاب « نهاية المطلب فى دراية المذهب » لامام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجوينى الشافعى المتوفى سنة ٤٧٨ جمعه بمكة المكرمة وأتمه بنيسابور ، وهو كتاب جليل مشتمل على أربعين مجلداً ، ثم لخصه ولم يتم واختصره أبو سعد عبد الله بن محمد اليمنى المعروف بابن أبى عصرون المتوفى سنة ٥٨٥ فى سبعة مجلدات وسماه « صفوة المذهب من نهاية المطلب » « أحمد يوسف نجاتى » (٢) كتاب التهذيب فى فروع الفقه للامام محيي السنة حسين بن مسعود البغوى الشافعى المتوفى سنة ٦١٦ وهو تأليف محرر مهذب مجرد عن الأدلة غالباً ، لخصه من تعليقة شيخه أبى على القاضى حسين هذا وزاد فيه ونقص وأحسن التصرف ، وقد اختصره الشهاب أحمد بن محمد بن المنير الاسكندرى المتوفى سنة ٦٨٣ وهو صاحب الحاشية على تفسير الكشاف للزمخشرى . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) قال محيي السنة

وَأَرْبعِمِائَةٍ بِمَرْوَرُّوذَ - رَحِمَهُ اللهُ تعالَى - وَقدْ تقدَّمَ الْكلامُ على مَرْوَرُّوذَ فِي حَرْفِ الْهمزَةِ .

***

الحسين بن شعيب السنجي

« أَبُو عَلِيّ الْحُسَيْنُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ مُحَمَّدٍ السِّنْجِىُّ الْفَقِيهُ الشافِعِىُّ »

أَحَدُ الأَئِمَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، أَخَذَ الْفِقْهَ بِخُرَاسَانَ عَنْ أَبِى بَكْرٍ الْقَفَّالِ الْمَرْوَزِيّ هُوَ وَالْقَاضِي حُسَيْنٌ الَّذِى تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَالشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيُّ وَالِدُ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، وَسَيَأْتِى ذِكْرُهُ إِنْشَاءَ اللهُ تَعَالَى، وشرَحَ الْفُرُوعَ الَّتِي لأَبِى بَكْرِ بْنِ الْحَدَّادِ (١)

فى خطبة كتابه هذا : فهذ الكتاب يتضمن كثيرا من علوم الأحاديث وفوائد الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حل مشكلها وتفسير غريبها وبيان أحكامها ومايترتب عليها من الفقه واختلاف العلماء وجملا لايستغنى عن معرفتها وهو المرجوع اليه فى الأحكام ،ولم أودع فيه الا ما اعتمده أئمة السلف الذين هم أهل الصنعة المسلم لهم الأمر وماأودعوه كتبهم،وأما ما أعرضوا عنه من المقلوب والموضوع والمجهول واتفقوا على تركه فقد صنت هذا الكتاب عنه . اه . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) هو الامام أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكنانى المصرى الفقيه الشافعى شيخ المصريين، ولد يوم وفاة المزنى،وكان امامافقيها له وجه فى مذهب الشافعى رضى الله عنه، وتوفى سنة ٣٤٤ وكتابه « فروع فى مذهب الشافعى » صغير الحجم كثير الفائدة دقق فى مسائله غاية التدقيق، وسماها بعض مؤلفى الطبقات بالمولدات لكونه هو المولد لهاوالمبتكر ،وهى

الْمِصْرِيِّ شَرْحًا لَمْ يُقَارِنْهُ(١) فِيهِ أَحَدٌ مَعَ كَثْرَةِ شُرُوحِهَا فَإِنَّ الْقَفَّالَ شَيْخَهُ شَرَحَهَا، وَالْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبَرِيُّ شَرَحَهَا(٢)، وَغَيْرُهُمَا، وَشَرَحَ أَيْضًا كِتَابَ التَّلْخِيصِ لِأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْقَاصِّ(٣) شَرْحًا كَبِيرًا، وَهُوَ قَلِيلُ الْوُجُودِ، وَلَهُ كِتَابُ الْمَجْمُوعِ، وَقَدْ نَقَلَ مِنْهُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِ الْوَسِيطِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ طَرِيقَتَيِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَكَانَ فَقِيهَ أَهْلِ مَرْوَ فِي عَصْرِهِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ نَيِّفٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَالسِّنْجِيُّ بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ النُّونِ وَبَعْدَهَا جِيمٌ نِسْبَةٌ إِلَى سِنْجَ وَهِيَ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ قُرَى مَرْوَ(٤).

من عجائب التأليف تحير العقول فى تقريرها فضلا عن اختراعها، وقد اعتنى بها الأئمة وتنافسوا فى شرحها، و وقف كثير منهم عن الكلام فيها لدقتها وغموضها - وممن شرحها أيضا أبو اسحق ابراهيم بن محمد الاسفراييني المتوفى سنة ٤١٨ وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المروزى الفورانى المتوفى سنة ٤٦١ . وهناك أبو بكر بن الحداد، وهو أحمد بن ابراهيم ابن أحمد بن عطيه البغدادى المصرى، مات بمصر سنة ٣٥٤، وهو غير الأول « أحمد يوسف نجاتى » (١) أو « لم يقاربه » (٢) تقدم التعريف بهما، وستأتى ترجمتهما، وتوفى القفال سنة ٣٦٦ وأبو الطيب الطبرى طاهر بن عبد الله سنة ٤٥٠ (٣) هو أبو العباس أحمد بن أبى أحمد الطبرى الشافعى ابن القاص، تفقه على أبى العباس بن سريج، توفى سنة ٣٣٥ وتقدمت ترجمته (٤) قال ياقوت: سنج قريتان بمرو أحداهما

*
**

الحسين بن مسعود المعروف بالفراء البغوى

« أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِالْفَرَّاءِ الْبَغَوِىُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِىُّ الْمُحَدِّثُ الْمُفَسِّرُ »

كَانَ بَحْرًا فِى الْعُلُومِ ، وَأَخَذَ الْفِقْهَ عَنِ الْقَاضِى حُسَيْنِ ابْنِ مُحَمَّدٍ - كَمَا تَقَدَّمَ فِى تَرْجَمَتِهِ ، وَصَنَّفَ فِى تَفْسِيرِ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى ، وَأَوْضَحَ الْمُشْكِلَاتِ مِنْ قَوْلِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَوَى الْحَدِيثَ وَدَرَّسَ ، وَكَانَ لَا يُلْقِى الدَّرْسَ إِلَّا عَلَى الطَّهَارَةِ ، وَصَنَّفَ كُتُبًا كَثِيرَةً : مِنْهَا كِتَابُ التَّهْذِيبِ فِى الْفِقْهِ[١] ، وَكِتَابُ شَرْحِ السُّنَّةِ فِى الْحَدِيثِ ، وَمَعَالِمُ التَّنْزِيلِ فِى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ[٢] وَكِتَابُ الْمَصَابِيحِ[٣]

يقال لها سنج عباد، ينسب اليها أبو منصور المظفر بن أردشير الواعظ العبادى توفى سنة ٥٤٧ وسنج أيضا من أعظم قرى مرو الشاهجان على نهر هناك، وممن ينسب اليها أبو داود سليمان بن معبد ، كان محدثا مؤرخا عالما شاعرا أديبا، توفى سنة ٢٥٧ .

(١) كتاب التهذيب فى الفروع، وهو تأليف محرر مهذب ، لخصه من تعليقة شيخه القاضى حسين المتقدم وزاد فيه ونقص، وهو مجرد عن الأدلة غالبا « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو كتاب متوسط نقل فيه عن مفسرى الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وقد اختصره الشيخ تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن محمد الحسينى المتوفى سنة ٨٧٥ . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) كتاب مصابيح السنة فيه أكثر من أربعة آلاف حديث، وقد شرحه الامام القاضى ناصر

وَالْجَمْعُ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَتُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ عَشْرٍ وَخَمْسِمِائَةٍ بِمَرْوَرُّوذَ، وَدُفِنَ عِنْدَ شَيْخِهِ الْقَاضِي حُسَيْنٍ بِمَقْبَرَةِ الطَّالْقَانِيِّ، وَقَبْرُهُ مَشْهُورٌ هُنَالِكَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَرَأَيْتُ فِي كِتَابِ الْفَوَائِدِ الشَّفْرِيَّةِ الَّتِي جَمَعَهَا الشَّيْخُ الْحَافِظُ زَكِيُّ الدِّينِ عَبْدُ الْعَظِيمِ الْمُنْذِرِيُّ[1] أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ هَذَا، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَنُقِلَ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ مَاتَتْ لَهُ زَوْجَةٌ فَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ مِيرَاثِهَا شَيْئًا، وَأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ الْخُبْزَ الْبَحْتَ[2] فَعُذِلَ فِي ذَلِكَ، فَصَارَ يَأْكُلُ الْخُبْزَ مَعَ الزَّيْتِ[3]. وَالْفَرَّاءُ نِسْبَةٌ إِلَى عَمَلِ الْفِرَاءِ وَبَيْعِهَا[4]

الدين عبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى سنة ٦٨٥ وشرحه أيضا شمس الدين محمد بن مظفر الخلخالى المتوفى سنة ٧٤٥ وشرحه كثيرون غيرهما كما اختصره غير واحد من العلماء، وعنى به كثير من الفضلاء شرحا واختصارا وبيانا وايضاحا. « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو الحافظ الكبير زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامة المنذرى الشامى ثم المصرى الشافعى، صاحب التصانيف المفيدة، ولد سنة ٥٨١ وبرع فى علوم الشريعة وعلوم اللغة، وكان فى زمانه عديم النظير فى معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه وفى الخبرة برجاله، اماما حجة ثبتا ورعا، توفى سنة ٦٥٥. « أحمد يوسف نجاتى » (٢) أى الخالص بدون أدم (٣) وللامام أبى محمد الحسين البغوى هذا أخ اسمه الحسن بن مسعود كان أيضا من أهل العلم والدين، رقيق القلب كريما توفى سنة ٥٢٩. « أحمد يوسف نجاتى » (٤) وكان أبوه يحترف ذلك. « أحمد يوسف نجاتى »

وَالْبَغَوِيُّ بِفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَبَعْدَهَا وَاوٌ هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى بَلْدَةٍ بِخُرَاسَانَ بَيْنَ مَرْوَ وَهَرَاةَ يُقَالُ لَهَا بَغْ وَبَغْشُورُ بِفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَضَمِّ الشِّينِ وَبَعْدَهَا وَاوٌ سَاكِنَةٌ ثُمَّ رَاءٌ، وَهَذِهِ النِّسْبَةُ شَاذَّةٌ عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ، قَالَهُ السِّمْعَانِيُّ فِي كِتَابِ الْأَنْسَابِ.

*

الحسين بن الحسن ابن حليم الجرجانى

« أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَلِيمٍ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْحَلِيمِيِّ الْجُرْجَانِيُّ »

---

* ترجم له فى كتاب طبقات الشافعية لابن السبكى « ج ٣ ص ١٤٧ » بترجمة مسهبة نقتطف منها مايأتى :

هو أحد أئمة الدهر، وشيخ الشافعيين بما وراء النهر، قال فيه الحاكم : الفقيه القاضى أبو عبد الله بن أبى محمد أوحد الشافعيين بما وراء النهر، وأنظرهم بعد أستاذيه أبى بكر القفال وأبى بكر الأودنى، قدم نيسابور سنة سبع وسبعين حاجا فحدث، وخرجت له الفوائد، ثم قدمها سنة خمس وثمانين رسولا من السلطان فعقدنا له الاملاء، فحدث مدة مقامه بنيسابور. وروى عنه الحاكم وعن أخيه أبى الفضل الحسن بن أبى محمد الحسن الحليمى فى ترجمة الشيخ أبى عبد الله: ولد الحاكم العالم أبو عبد الله الحليمى فى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وكذلك مولد أخيه أبى الفضل الحسن، فانهما ولدا فى سنة واحده ببخارى، خلافا لابن خلكان من أنه ولد فى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، كذا ذكره الحاكم فى ترجمة أبى الفضل، قال: وأبو عبد الله من حرة جرجانية، وأبو الفضل من جارية تركية اهـ

وُلِدَ بِجُرْجَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ، وَحُمِلَ إِلَى بُخَارَى ، وَكَتَبَ الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ أَبْنِ حَبِيبٍ[١] وَغَيْرِهِ ، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الْأُودَنِيِّ[٢] وَأَبِي بَكْرٍ الْقَفَّالِ[٣] ، ثُمَّ صَارَ إِمَامًا مُعَظَّمًا مَرْجُوعًا إِلَيْهِ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَلَهُ فِي الْمَذْهَبِ وُجُوهٌ حَسَنَةٌ ، وَحَدَّثَ بِنَيْسَابُورَ ، وَرَوَى عَنْهُ الْحَافِظُ الْحَاكِمُ[٤] وَغَيْرُهُ ، وَتُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَقِيلَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ وَنِسْبَتُهُ إِلَى جَدِّهِ حَلِيمٍ الْمَذْكُورِ .

---

(١) لاأدرى كيف كتب الحليمى عن أبى بكر محمد بن أحمد بن حبيب اذا كان مولد الحليمى كما يقول ابن خلكان سنة ٣٣٨ فان ابن حبيب توفى سنة ٣٥٠ وهو مسند بخارى أبو بكر محمد بن أحمد بن حبيب البغدادى الدهقان الفقيه المحدث، استوطن بخارى وصار شيخ تلك الناحية ، فاما أن يكون مولد الحليمى قبل سنة ٣٣٨ واما أن تكون وفاة ابن حبيب بعد سنة ٣٥٠ والا فما أظن أن حدثا فى الثانية عشرة من عمره يكتب الحديث ويتلقاه عن كبار المحدثين ـ والله أعلم . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن نصر، توفى سنة ٣٨٥ وستأتى ترجمته (٣) محمد بن على بن اسمعيل، توفى سنة ٣٦٦ وستأتى ترجمته (٤) ستأتى ترجمته، وتقدم ذكره كثيرا

***

الحسين بن محمد الونى الفرضى

« أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَنِّيُّ * الْفَرَضِيُّ الْحَاسِبُ »

ترجم له فى كتاب طبقات الشافعية لابن السبكى « ج ٣ صفحة ١٦٣ » قال :

كان متقدما فى علم الفرائض، قال ابن السمعانى :

وكانت له يد فى علوم أخر ، وكان حسن الذكاء ، سمع الحديث من أبى جعفر بن البخترى وغيره ، وسمع منه أبو حكيم الجيرى — بالجيم والياء — لا كما ذكره ابن خلكان بالخاء والباء (١) . قال ابن ما كولا: سمعت أبا بكر الخطيب يقول : حضرنا مجلس بعض المحدثين — وكان معنا أبو عبدالله الونى فأملى أحاديث، ونهضنا وقد حفظ الونى منها بضعة عشر حديثا . وتوفى قتيلا ببغداد سنة خمسين وأربعمائة — لا كما ذكره ابن خلكان من أنه توفى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

(١) لولا النص هنا على ضبط الكلمة بالحروف لرجحت ما فى ابن خلكان (الخبرى) نسبة الى (خبر) بفتح فسكون — بليدة قرب شيراز من أرض فارس، ينسب اليها جماعة من أهل العلم (وبها قبر السعيد أخى الحسن بن أبى الحسن البصرى) — بل قال ياقوت : ومنها أبو العباس الفضل بن يحيى بن ابراهيم الخبرى ابن بنت الفضل بن حماد أبو حكيم، وله كتاب فى الفرائض سماه التلخيص، وله تصنيف مثله ، ومنها عبد الله بن ابراهيم الخبرى الفرضى الأديب جد محمد بن ناصر السلامى لأمه . اه قلت : والفضل بن حماد هو أبو عبد الفضل بن حماد الخبرى الحافظ صاحب المسند، وكان يعد من الأبدال ثقة ثبت، يروى عن سعيد بن أبى مريم المتوفى سنة ٢٢٤ وسعيد بن عفير وغيرهما ، وروى عنه أبو بكر عبد الله بن أبى داود السجستانى وغيره وتوفى سنة ٢٦٤ ، ومن ذلك يكون الحق ما فى ابن خلكان من ضبطه « الخبرى » بخاء معجمة مفتوحة فباء موحدة ساكنة ، وهذا ظاهر « أحمد يوسف نجاتى » .

كَانَ إِمَامًا فِي ٱلْفَرَائِضِ، وَلَهُ فِيهَا تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ مَلِيحَةٌ أَجَادَ فِيهَا، وَسَمِعَ ٱلْحَدِيثَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَلِيٍّ ٱلصَّفَّارِ (١) وَغَيْرِهِمْ، وَسَمِعَ مِنْهُ أَبُو حَكِيمٍ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ٱلْخَبْرِيُّ صَاحِبُ ٱلتَّلْخِيصِ فِي ٱلْحِسَابِ (٢) وَٱلْخَطِيبُ ٱلتَّبْرِيزِيُّ وَغَيْرُهُمَا، وَهُوَ شَيْخُ ٱلْخَبْرِيِّ فِي عِلْمِ ٱلْحِسَابِ وَٱلْفَرَائِضِ، وَٱنْتَفَعَ بِهِ وَبِكُتُبِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَتُوُفِّيَ شَهِيدًا بِبَغْدَادَ فِي ذِي ٱلْحِجَّةِ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ - فِي فِتْنَةِ ٱلْبَسَاسِيرِيِّ ٱلْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ. وَٱلْوَنِّيُّ - بِفَتْحِ ٱلْوَاوِ وَتَشْدِيدِ ٱلنُّونِ - هٰذِهِ ٱلنِّسْبَةُ إِلَى وَنٍّ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ قُهِسْتَانَ (٣) أَظُنُّهُ مِنْهَا.

---

(١) هو اسماعيل بن محمد البغدادى النحوى الأديب صاحب المبرد، توفى سنة ٣٤١ عن ٩٤ عاما «أحمد يوسف نجاتى» (٢) سيأتى حديث عن (الخبرى هذا) وتعريفنا به (٣) قوهستان، قهستان: كورة بالجبال من بلاد فارس، يتصل أحد أطرافها بنواحى هراة، ثم يمتد فى الجبال طولا حتى يتصل بقرب نهاوند وهمذان وبروجرد، وهذه الجبال كلها كانت تسمى بهذا الاسم، وهى الجبال التى بين هراة ونيسابور، فتحها عبد الله ابن عامر بن كريز فى أيام سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنهما سنة ٢٩ «أحمد يوسف نجاتى»

***

الحسن بن نصر المعروف بابن خميس

« أَبُو عَبْدِ ٱللهِ ٱلْحُسَيْنُ بْنُ نَصْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ ٱبْنِ ٱلْقَاسِمِ بْنِ خَمِيسِ بْنِ عَامِرٍ ٱلْمَعْرُوفُ بِابْنِ خَمِيسٍ ٱلْكَعْبِيُّ ٱلْمَوْصِلِيُّ ٱلْجُهَنِيُّ، ٱلْمُلَقَّبُ تَاجَ ٱلْإِسْلَامِ، مَجْدُ ٱلدِّينِ ٱلْفَقِيهُ ٱلشَّافِعِيُّ »

أَخَذَ ٱلْفِقْهَ عَنْ أَبِي حَامِدٍ ٱلْغَزَّالِيِّ بِبَغْدَادَ، وَعَنْ غَيْرِهِ، وَوَلِيَ ٱلْقَضَاءَ بِرَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ(١) ثُمَّ رَجَعَ إِلَى ٱلْمَوْصِلِ وَسَكَنَهَا، وَصَنَّفَ كُتُبًا كَثِيرَةً، مِنْهَا « مَنَاقِبُ ٱلْأَبْرَارِ(٢) » عَلَى أُسْلُوبِ « رِسَالَةِ ٱلْقُشَيْرِيِّ » وَمِنْهَا « مَنَاسِكُ ٱلْحَجِّ » وَ« أَخْبَارُ ٱلْمَنَامَاتِ » ذَكَرَهُ ٱلْحَافِظُ أَبُو سَعْدٍ ٱلسَّمْعَانِيُّ فِي تَارِيخِهِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ. وَخَمِيسٌ جَدُّهُ ٱلْأَعْلَى. وَتُوُفِّيَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ ٱلْآخِرِ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ(٣) — رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى. وَٱلْجُهَنِيُّ

(١) مدينة بينها و بين بغداد مائة فرسخ بين الرقة و بغداد على شاطىء الفرات، أحدثها الأمير مالك بن طوق التغلبي أمير عرب الشام في خلافة المأمون، وتوفي مالك بن طوق سنة ٢٦٠ . « أحمد يوسف نجاتي » .

(٢) كتاب « مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار » وقد اختصره وذكر فيه أنه تتبع مسموعاته، وما جمعه العلماء من أخبار الصالحين، فجمع ما في كتبهم وحذف أسانيدها . « أحمد يوسف نجاتي » (٣) وكان مولده بالموصل سنة ٤٦٦ وكان شيخ الموصل في زمانه . « أحمد يوسف نجاتي »

بِضَمِّ ٱلْجِيمِ وَفَتْحِ ٱلْهَاءِ وَبَعْدَهَا نُونٌ. هَذِهِ ٱلنِّسْبَةُ إِلَى جُهَيْنَةَ وَهِيَ قَرْيَةٌ[(١)] قَرِيبَةٌ مِنَ ٱلْمَوْصِلِ، تُجَاوِرُ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلْعَيْنُ ٱلْمَعْرُوفَةُ بِعَيْنِ ٱلْقَيَّارَةِ[(٢)] ٱلَّتِي يَنْفَعُ ٱلِاسْتِحْمَامُ بِمَائِهَا مِنَ ٱلْفَالِجِ وَٱلرِّيَاحِ ٱلْبَارِدَةِ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ، وَهُمَا فِي ٱلْمَوْصِلِ أَسْفَلَ مِنَ ٱلْمَوْصِلِ، وَجُهَيْنَةُ أَقْرَبُ مِنْ عَيْنِ ٱلْقَيَّارَةِ. وَٱلْجُهَنِيُّ أَيْضًا نِسْبَةٌ إِلَى جُهَيْنَةَ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ قُضَاعَةَ. وَٱلْكَعْبِيُّ بِفَتْحِ ٱلْكَافِ وَسُكُونِ ٱلْعَيْنِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَبَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَهَذِهِ ٱلنِّسْبَةُ إِلَى بَنِي كَعْبٍ، وَهُمْ أَرْبَعُ قَبَائِلَ يُنْسَبُ إِلَيْهَا، وَلَا أَعْلَمُ ٱلْمَذْكُورَ إِلَى أَيِّهَا يُنْسَبُ. وَٱلْمَوْصِلُ مَعْرُوفٌ.

***

الحسين بن منصور الحلاج

« أَبُو مُغِيثٍ ٱلْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ ٱلْحَلَّاجُ ٱلزَّاهِدُ ٱلْمَشْهُورُ »

هُوَ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَيْضَاءِ[(٣)] وَهِيَ بَلْدَةٌ بِفَارِسَ - وَنَشَأَ بِوَاسِطَ

(١) هي قرية كبيرة على دجلة، وكانت أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل، وكان عندها مرج مشهور، يقال له مرج جهينة (٢) سميت بذلك لأنه ينبع منها القار، وكانت حمة يقصدها أهل الموصل، و يستحمون فيها و يستشفون بمائها (٣) وكانت أكبر مدينة فى كورة اصطخر، وسميت البيضاء لأنه كان لها قلعة تبين من بعد ويرى بياضها، وكانت معسكرا للمسلمين يقصدونها فى

وَالْعِرَاقِ ، وَصَحِبَ أَبَا الْقَاسِمِ الْجُنَيْدَ[1] وَغَيْرَهُ ، وَالنَّاسُ فِي أَمْرِهِ مُخْتَلِفُونَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُبَالِغُ فِي تَعْظِيمِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُكَفِّرُهُ[2] ، وَرَأَيْتُ فِي كِتَابِ « مِشْكَاةِ الْأَنْوَارِ[3] » لِأَبِي حَامِدٍ الْغَزَّالِيِّ فَصْلاً طَوِيلاً فِي حَالِهِ ، وَقَدِ اعْتَذَرَ عَنِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي كَانَتْ تَصْدُرُ عَنْهُ ، مِثْلُ قَوْلِهِ : أَنَا الْحَقُّ ، وَقَوْلِهِ : مَا فِي الْجُبَّةِ إِلَّا اللهُ ، وَهَذِهِ الْإِطْلَاقَاتُ الَّتِي يَنْبُو السَّمْعُ عَنْهَا وَعَنْ ذِكْرِهَا ، وَحَمَلَهَا كُلَّهَا عَلَى مَحَامِلَ حَسَنَةٍ ، وَأَوَّلَهَا ، وَقَالَ : هَذَا مِنْ فَرْطِ الْمَحَبَّةِ وَشِدَّةِ الْوَجْدِ ، وَجَعَلَ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ الْقَائِلِ :

فتح اصطخر ، وينسب اليها كثير من العلماء ، من أشهرهم القاضى أبو الحسن محمد بن القاضى أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد البيضاوى الفقيه الشافعى ، ختن أبى الطيب الطبرى على ابنته ، ولى القضاء بربع الكرخ ببغداد ، وتوفى سنة ٤٦٨ (١) تقدمت ترجمته وتوفى سنة ٢٩٧ (٢) نفى أكثر الصوفية الحلاج أن يكون منهم ، وأبى أن يعده فيهم ، وقبله بعض متقدميهم وصححوا له حاله ، ودونوا كلامه ، حتى قال محمد بن حفيف الشيرازى منهم : الحسين بن منصور عالم ربانى ، ومن نفاه عن الصوفية نسبه الى الشعبذة فى فعله ، والى الزندقة فى عقده ، وكان له بعد قتله أصحاب ينسبون اليه ويغلون فيه ، وكان له حسن عبارة ، وحلاوة منطق ، وشعر على طريقة التصوف . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) كتاب « مشكاة الأنوار فى لطائف الأخبار » وهو فى المواعظ ، قال فى أوله : قد انكشف لأرباب القلوب أن لاوصول الى السعادة للانسان الا باخلاص العلم والعمل للرحمن ، فسنح فى

أَنَامَنْ أَهْوَى، وَمَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَا

فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ وَإِذَا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا

وَمِنَ الشِّعْرِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ عَلَى اصْطِلَاحِهِمْ وَإِشَارَاتِهِمْ قَوْلُهُ:

لَا كُنْتُ إِنْ كُنْتُ أَدْرِي كَيْفَ كُنْتُ، وَلَا

لَا كُنْتُ إِنْ كُنْتُ أَدْرِي كَيْفَ لَمْ أَكُنِ

وَقَوْلُهُ أَيْضًا عَلَى هَذَا الِاصْطِلَاحِ:

أَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا، وَقَالَ لَهُ:

إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالْمَاءِ[1]!

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى، وَيَنْبَنِي عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ. وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ ثَوَابَةَ الْقَصْرِيُّ: سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ مَنْصُورٍ وَهُوَ عَلَى الْخَشَبَةِ يَقُولُ:

خاطرى أن أجمع كتابا جامعا للأشياء من آيات القرآن العظيم، وسنن الرسول عليه الصلاة والسلام، وكلمات الأولياء ونكت المشايخ -رحمهم الله تعالى، وحكم أهل العرفان، وأخذت من كل مايشوق القلب الى الله سبحانه وتعالى، ويجذب الى طاعته، ويقطع لذة النفس عن الدنيا وشهواتها، ويرغبها فى الآخرة ودرجاتها، الخ. «أحمد يوسف نجاتى».

(١) قبله:

مايفعل العبد والأقدار جارية عليه فى كل حال أيها الرائى؟!

وهو يمثل مذهب المجبرة، وما أعجزهم أو أسوأ نيتهم «أحمد يوسف نجاتى»

طَلَبْتُ ٱلْمُسْتَقَرَّ بِكُلِّ أَرْضٍ فَلَمْ أَرَ لِي بِأَرْضٍ مُسْتَقَرَّا
أَطَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدَتْنِي وَلَوْ أَنِّي قَنِعْتُ لَكُنْتُ حُرَّا

وَٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي قَبْلَ قَوْلِهِ : لَا كُنْتُ إِنْ كُنْتُ أَدْرِي:

أَرْسَلْتَ تَسْأَلُ عَنِّي: كَيْفَ كُنْتُ، وَمَا
لَاقَيْتُ بَعْدَكَ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ حَزَنِ

وَقِيلَ إِنَّ بَعْضَهُمْ كَتَبَ إِلَى أَبِي ٱلْقَاسِمِ سَمْنُونَ بْنِ حَمْزَةَ ٱلزَّاهِدِ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هَذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ، وَٱللهُ أَعْلَمُ - وَبِالْجُمْلَةِ فَحَدِيثُهُ طَوِيلٌ، وَقِصَّتُهُ مَشْهُورَةٌ، وَٱللهُ مُتَوَلِّي ٱلسَّرَائِرِ. وَكَانَ جَدُّهُ مَجُوسِيًّا، وَصَحِبَ أَبَا ٱلْقَاسِمِ ٱلْجُنَيْدَ وَمَنْ فِي طَبَقَتِهِ[١]، وَأَفْتَى أَكْثَرُ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ بِإِبَاحَةِ

---

(١) زاد فى النسخه الخطية مانصه :

ثم خرج الى مكة، وكان أول دخلته، وجلس فى صحن المسجد سنة لا يبرح من موضعه الا للطهارة أو للطواف، ولا يبالى بالشمس ولا بالمطر، وكان يحمل اليه فى كل عشية كوز ماء وقرص من أقراص مكة، فيأخذ القرص ويعض أربع عضات من جوانبه، ويشرب شربتين من الماء شربة قبل الطعام وشربة بعد الطعام، ثم يضع باقى القرص على رأس الكوز، فيحمل من عنده، وكان سنة تسع وتسعين ومائتين دعا الناس إليه، وأنه يقول بحلول اللاهوت فى الأشراف من الناس، وانتشر له فى الحاشية ذكر عظيم، ووقع بينه وبين الشبلى وغيره من مشايخ الصوفية خلاف، فبعث به المقتدر الى على بن عيسى

ليناظره، فأحضره مجلسه وخاطبه خطابا فيه غلاظة، فحكى أنه تقدم اليه، وقال
له فيما بينه و بينه : قف من حيث انتهيت، ولا تزد على شيئا، والا خسفت
الأرض من تحتك — وكلاما فى هذا المعنى — فتهيب على بن عيسى مناظرته، واستعفى
منه، فنقل فى سنة تسع وثلثمائة الى حامد بن العباس الوزير، فنقل حينئذ
غلام لحامد قال : كنت موكلا بالحلاج، فدخلت عليه يوما ومعى الطبق
الذى عادتى أن أقدمه اليه فى كل يوم، فوجدته قد ملأ البيت بنفسه، وهو
سقفه وأرضه وجوانبه، ليس فيه موضع، فهالنى ما رأيت منه، و رميت الطبق
من يدى وهربت، وحم هذا الغلام من هول ما رأى، و بقى مدة محموما، فكذبه
حامد وشتمه، وقال: ابعد عنى. وكان دخوله الى بغداد مشهرا على جمل
وجلس فى دار المقتدر، وأفتى أكثر علماء عصره باباحة دمه، و يقال ان
العباس بن سريج كان اذا سئل عنه يقول: هذا رجل خفى على حاله، وما
أقول فيه شيئا « ذكر بعض ماحكى عن الحلاج من الحيل » قال الخطيب
صاحب تاريخ : بغداد ان الحسين بن منصور الحلاج كان قد أنفذ أحد
أصحابه الى بلد الجبل، و وافقه على حيلة يعملها، فخرج فأقام عندهم سنين
يظهر النسك والعبادة وقراءة القرآن والصوم، فغلب على البلد، حتى اذا علم
أنه قد تمكن أظهر أنه قد عمى، فكان يقاد الى مسجده، و يتعامى على
كل أحد شهورا، ثم أظهر أنه قد زمن، فكان يحبو و يحمل الى المسجد، حتى
مضت سنة على ذلك، وتقرر فى النفوس زمانته وعماه، فقال لهم بعد ذلك:
انى رأيت فى النوم كأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول لى : انه يطرق هذا
البلد عبدالله صالح مجاب الدعوة يكون عافيتك على يديه و بدعائه، فاطلبوا لى
كل من يختار من الفقراء ومن الصوفية، فلعل الله أن يفرج عنى على يد
ذلك العبد و بدعائه — كما وعدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم — فتعلقت
النفوس لورود العبد الصالح، وتطلعته القلوب، ومضى الأجل الذى كان بينه
و بين الحلاج، فقدم البلد، فلبس الثياب الصوف الدقاق، وتفرد فى الجامع

بالدعاء والصلاة، وتنبهوا على خبره، فقالوا للأعمى، فقال: احملونى اليه، فلما حصل عنده وعلم أنه الحلاج قال له : ياعبد الله انى رأيت فى المنام كيت وكيت، فتدعو الله لى، قال: ومن أنا؟ وما مجلسى؟ ثم دعا له، ومسح بيده عليه، فقام الزمن الأعمى صحيحا مبصرا ، فانقلب البلد، وكثر الناس على الحلاج، فتركهم وخرج من البلد، وأقام المتعامى الزمن فيه شهرا، ثم قال لهم: ان من حق الله عندى ورد جوارحى على أن أنفرد بالعبادة انفرادا أكثر من هذا، وأن يكون مقامى فى الثغر ، وقد عزمت على الخروج الى طرسوس، فمن كانت له حاجة تحملتها ، والا فأنا أستودعكم الله، قال فأخرج هذا ألف درهم فأعطاه وقال اغز بها عنى، وأعطاه هذا مائة دينار، وقال اخرج بها غزاة من هناك، وأعطاه هذا مالا ، حتى اجتمع له ألوف دنانير ودراهم، فلحق بالحلاج فقاسمه عليها وكان قد جرى منه كلام فى مجلس حامد بن العباس وزير الامام المقتدر بحضرة القاضى أبى عمر — وقد قرئ عليه رقعة بخطه — ان الانسان اذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد فى داره بيتا لا يلحقه شيئا من النجاسة ، ولا يدخله أحد، ومنع من يطرقه، فاذا حضرت أيام الحج طاف حوله طوافه حول البيت الحرام، فاذا انقضى ذلك، وقضى من المناسك ما يقضى بمكة مثله جمع ثلاثين يتيما، وعمل لهم أمرأ ما يمكنه من الطعام، وأحضرهم الى ذلك البيت وقدم اليهم ذلك الطعام، وتولى خدمتهم بنفسه، فاذا فرغوا من أكلهم وغسل أيديهم كسا كل واحد قميصا، ودفع اليه سبعة دراهم أو ثلاثة، فاذا فعل ذلك قام له مقام الحج ، فلما فرغ منها التفت أبو عمر القاضى الى الحلاج وقال : من أين لك هذا؟ قال: من كتاب الاخلاص للحسن البصرى، فقال أبو عمر : كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا كتاب الاخلاص للحسن البصرى بمكة وليس له فيه شىء مما ذكرته .

« انتهى »

دَمِهِ . وَيُقَالُ : إِنَّ أَبَا ٱلْعَبَّاسِ بْنَ سُرَيْجٍ كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ يَقُولُ: هَذَا رَجُلٌ خَفِيَ عَنِّي حَالُهُ، وَمَا أَقُولُ فِيهِ شَيْئًا - وَكَانَ قَدْ جَرَى مِنْهُ كَلَامٌ فِي مَجْلِسِ حَامِدِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ (١) وَزِيرِ ٱلْإِمَامِ ٱلْمُقْتَدِرِ بِحَضْرَةِ ٱلْقَاضِي أَبِي عُمَرَ ، فَأَفْتَى بِحِلِّ دَمِهِ (٢)

---

(١) الوزير حامد بن العباس: استوزره المقتدر سنة ٣٠٦ بعد أن قبض على الوزير أبى الحسن بن الفرات، وكان من قبل ضامنا جهة واسط، وولى المقتدر معه الوزير الجليل على بن عيسى، وجعله يتولى الدواوين شبه النائب عن حامد، حتى استبد بالأمر دونه، ولم يبق لحامد غير اسم الوزارة، وأما معناها فلعلى بن عيسى، حتى قيل فيهما :

هذا وزير بلا سواد   وذا سواد بلا وزير

فلما رأى حامد نفسه قد تعطل عن الأمر والنهى ضمن للمقتدر أعمال الخراج والضياع الخاصة والعامة والمستحدثة والفراتية بسواد بغداد والكوفة وواسط والبصرة والأهواز وأصبهان، وذلك ليصير له حديث وذكر، ونهى وأمر، واستأذن المقتدر فى الانحدار الى واسط ليدبر أمر ضمانه الأول، فأذن له، فانحدر اليها واسم الوزارة عليه، وعلى بن عيسى يدبر الأمور، ثم انبسطت يد حامد فى الأعمال، وفى سنة ٣١١ عزل المقتدر حامد بن العباس عن الوزارة وعلى بن عيسى عن الدواوين، وخلع على أبى الحسن بن الفرات وأعيد الى الوزارة، وحصلت لحامد حوادث وخطوب حتى توفى مسموما فى رمضان سنة ٣١١ وكان ذا وجاهة وثروة، غير أنه كان ذا حدة وقد تفلت منه الكلمة يكون لها الأثر غير الحميد، ويتهمه كثير من المؤرخين الباحثين بأنه دبر مادبر فى أمر الحلاج، وأن قضيته ورفع الدعوى على الحلاج لم يكن سائرا فيها مع الحق من كل وجه، حتى كان نصر الحاجب يقول: انما قتل الحلاج ظلما، والله أعلم. « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) القاضى أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد بن

وَ كَتَبَ خَطَّهُ بِذَلِكَ ، وَ كَتَبَ مَعَهُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْفُقَهَاءِ ، فَقَالَ لَهُمُ الْحَلَّاجُ : ظَهْرِي حِمًى ، وَدَمِي حَرَامٌ ، وَمَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَتَقَوَّلُوا عَلَيَّ بِمَا يُبِيحُهُ ، وَأَنَا اعْتِقَادِي الْإِسْلَامُ وَمَذْهَبِي السُّنَّةُ ، وَتَفْضِيلُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَبَقِيَّةِ الْعَشْرَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - وَلِي كُتُبٌ فِي السُّنَّةِ مَوْجُودَةٌ فِي الْوَرَّاقِينَ ، فَاللهَ اللهَ فِي دَمِي .
وَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُ هَذَا الْقَوْلَ وَهُمْ يَكْتُبُونَ خُطُوطَهُمْ إِلَى أَنِ اسْتَكْمَلُوا مَا احْتَاجُوا إِلَيْهِ ، وَنَهَضُوا مِنَ الْمَجْلِسِ ، وَحُمِلَ الْحَلَّاجُ إِلَى السِّجْنِ ، وَكَتَبَ الْوَزِيرُ إِلَى الْمُقْتَدِرِ يُخْبِرُهُ بِمَا جَرَى فِي الْمَجْلِسِ وَسَيْرِ الْفَتْوَى ، فَعَادَ جَوَابُ الْمُقْتَدِرِ : بِأَنَّ الْقُضَاةَ إِذَا كَانُوا قَدْ أَفْتَوْا[1] بِقَتْلِهِ فَلْيُسَلَّمْ إِلَى صَاحِبِ الشُّرْطَةِ وَلْيَتَقَدَّمْ إِلَيْهِ يَضْرِبُهُ أَلْفَ سَوْطٍ ، فَإِنْ مَاتَ مِنَ الضَّرْبِ وَإِلَّا

زيد الأزدى مولاهم البغدادى ، كان من خيار القضاة علما وفضلا وحلما وعقلا وذكاء ومهابة وعفة وصيانة ، ولد بالبصرة سنة ٢٤٣ ثم ولى قضاء مدينة المنصور فى خلافة المعتضد ، ثم ولى قضاء الجانب الشرقى للمقتدر ، ثم ولى قضاء القضاة سنة ٣١٧ وكان له مجلس للاملاء والحديث مفيد ، وتوفى سنة ٣٢٠ فولى القضاء بعده ابنه عمر بن أبى عمر ، وتوفى سنة ٣٢٨ .
« أحمد يوسف نجاتى » .

(١) فى النسخة الخطية بالعبارة الآتية : اذا أفتوا باباحة دمه فليحضر محمد بن

ضَرْبَهُ أَلْفَ سَوْطٍ أُخْرَى، ثُمَّ يَضْرِبُ عُنُقَهُ ، فَسَلَّمَهُ الْوَزِيرُ إِلَى الشُّرْطِىِّ(١) وَقَالَ لَهُ مَارَسَمَ بِهِ الْمُقْتَدِرُ ، وَقَالَ : إِنْ لَمْ يَتْلَفْ بِالضَّرْبِ فَتُقْطَعُ يَدُهُ ثُمَّ رِجْلُهُ ، ثُمَّ يَدُهُ ثُمَّ رِجْلُهُ ، ثُمَّ تُحَزُّ رَقَبَتُهُ وَتُحْرَقُ جُثَّتُهُ ، وَإِنْ خَدَعَكَ، وَقَالَ لَكَ: أَنَا أُجْرِى الْفُرَاتَ وَدِجْلَةَ ذَهَبًا وَفِضَّةً فَلَا تَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَلَا تَرْفَعِ الْعُقُوبَةَ عَنْهُ . فَتَسَلَّمَهُ الشُّرْطِىُّ لَيْلًا ، وَأَصْبَحَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِسَبْعٍ - وَقِيلَ لِسِتٍّ - بَقِينَ مِنْ ذِى الْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَثِمِائَةٍ فَأَخْرَجَهُ عِنْدَ بَابِ الطَّاقِ(٢) وَاجْتَمَعَ مِنَ الْعَامَّةِ خَلْقٌ كَثِيرٌ

---

(١) صاحب الشرطة محمد بن عبد الصمد .

(٢) باب الطاق كان محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقى، تعرف بطاق أسماء « بنت المنصور » بين الرصافة ونهر المعلى ، وكان طاقا عظيما، وكان فى دارها التى صارت بعد لعلى بن جهشيار صاحب الموفق الناصر لدين الله ، أقطعه اياها الموفق، وعند هـذا الطاق كان مجلس الشعراء فى أيام هرون الرشيد . واجتاز الأمير عبد الله بن طاهر مرة بباب الطاق، فرأى قمرية تنوح، فأمر بشرائها واطلاقها ، فامتنع صاحبها أن يبيعها بأقل من خمسمائة درهم، فاشتراها بذلك ، وأطلقها ، وأنشد يقول :

ناحت مطوقـة بباب الطاق ... فجرت سوابق دمعى المهراق

كانت تغرد بالأراك ، وربما ... كانت تغرد فى فروع الساق

فرمى الفراق بها العراق ، فأصبحت ... بعـد الأراك تنوح فى الأسـواق

فجعت بأفرخها ، فأسبل دمعها ... ان الدموع تبوح بالمشتاق

لَا يُحْصَى عَدَدُهُمْ ، وَضَرَبَهُ الْجَلَّادُ أَلْفَ سَوْطٍ ، وَلَمْ يَتَأَوَّهْ بَلْ قَالَ لِلشُّرْطِيِّ لَمَّا بَلَغَ سِتَّمِائَةٍ : ادْعُ بِي إِلَيْكَ ، فَإِنَّ لَكَ عِنْدِي نَصِيحَةً تَعْدِلُ فَتْحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ قِيلَ لِي عَنْكَ إِنَّكَ تَقُولُ هَذَا وَأَكْثَرَ مِنْهُ ، وَلَيْسَ إِلَى أَنْ أَرْفَعَ الضَّرْبَ عَنْكَ سَبِيلٌ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ ضَرْبِهِ قَطَّعَ أَطْرَافَهُ الْأَرْبَعَةَ ، ثُمَّ حَزَّ رَأْسَهُ ، وَأَحْرَقَ جُثَّتَهُ ، وَلَمَّا صَارَتْ رَمَادًا أَلْقَاهَا فِي دِجْلَةَ ، وَنَصَبَ الرَّأْسَ بِبَغْدَادَ عَلَى الْجِسْرِ[1] . وَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَعِدُونَ نُفُوسَهُمْ بِرُجُوعِهِ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَاتَّفَقَ أَنَّ دِجْلَةَ زَادَتْ فِي تِلْكَ السَّنَةِ زِيَادَةً وَافِرَةً ، فَادَّعَى أَصْحَابُهُ أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ إِلْقَاءِ رَمَادِهِ فِيهَا ، وَادَّعَى بَعْضُ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ وَإِنَّمَا أُلْقِيَ شَبَهُهُ عَلَى عَدُوٍّ لَهُ[2] . وَشَرْحُ حَالِهِ فِيهِ طُولٌ ، وَفِيمَا

تعس الفراق ، و بت حبل وتينه ... وسقاه من سم الأساود ساقى
ماذا أراد بقصده قمرية ... لم تدر ما بغداد فى الآفاق ؟!
بى مثل ما بك ياحمامة ، فاسألى ... من فك أسرك أن يحل وثاقى

وقد روى أن صاحب القصة فى اطلاق القمرية هو اليمان بن أبى اليمان البندنيجى الشاعر الضرير مصنف كتاب التقفية ، لاعبد الله بن طاهر .
« أحمد يوسف نجاتى » .

(١) زاد فى النسخة الخطية مانصه بعد هذه العبارة : ثم حمل بعد يومين إلى خراسان ، وطيف به فى النواحى (٢) راجع المرفق بهذا .
زاد فى النسخة الخطية مانصه :

وادعى بعضهم أنهم رأوه فى ذلك اليوم بعد الذى عاينوه من أمره والحال

ذَكَرْنَاهُ كِفَايَةٌ - وَالْحَلَّاجُ بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ وَبَعْدَهَا أَلِفٌ ثُمَّ جِيمٌ ، وَإِنَّمَا لُقِّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى حَانُوتِ حَلَّاجٍ وَاسْتَقْضَاهُ شُغْلًا ، فَقَالَ الْحَلَّاجُ: أَنَا مُشْتَغِلٌ بِالْحَلْجِ ، فَقَالَ لَهُ: امْضِ فِي شُغْلِي حَتَّى أَحْلِجَ عَنْكَ ، فَمَضَى الْحَلَّاجُ وَتَرَكَهُ ، فَلَمَّا عَادَ رَأَى قُطْنَهُ جَمِيعَهُ مَحْلُوجًا[1] . وَالْبَيْضَاءُ بِفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَفَتْحِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ وَبَعْدَهَا هَمْزَةٌ مَمْدُودَةٌ .

« قُلْتُ » وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ وَجَدْتُ فِي كِتَابِ الشَّامِلِ فِي أُصُولِ الدِّينِ تَصْنِيفِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ

التى جرت عليه وهو راكب على حمار فى طريق النهروان، ففرحوا به وقال لهم: لعلكم مثل هؤلاء البقر الذين ظنوا أنى المضروب والمقتول .ولما أخرج الحسين بن منصور إلى القتل أنشد : ـ

☆ طلبت المستقر بكل أرض ☆

الى آخر الشعر ،ومن شعره المنسوب اليه:

متى سهرت عينى لغيرك أو بكت ... فلا بلغت ماأملت وتمنت

وان أضمرت نفسى سواك فلا رعت ... رياض المنى من وجنتيك وجنت

وشرح حاله يطول، وفيما ذكرناه كفاية . انتهى .

(١) ويزعم بعض أصحابه أنه سمى الحلاج لأنه تحلج الأسرار ، فقد اطلع على سر القلوب ، وكان يخرج لب الكلام كما يخرج الحلاج لب القطن بالحلج، وقال بعضهم ان أباه كان حلاجا . « أحمد يوسف نجاتى » .

إِمَامِ ٱلْحَرَمَيْنِ أَبِي ٱلْمَعَالِي عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ ٱلشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ ٱلْجُوَيْنِيِّ - رَحِمَهُمَا ٱللهُ تَعَالَى - ٱلْآتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى فَصْلًا يَنْبَغِي ذِكْرُهُ هٰهُنَا، وَٱلتَّنْبِيهُ عَلَى ٱلْوَهْمِ ٱلَّذِي وَقَعَ فِيهِ فَإِنَّهُ قَالَ: وَقَدْ ذَكَرَ طَائِفَةٌ مِنَ ٱلْأَثْبَاتِ ٱلثِّقَاتِ أَنَّ هٰؤُلَاءِ ٱلثَّلَاثَةَ تَوَاصَوْا عَلَى قَلْبِ ٱلدَّوْلَةِ، وَٱلتَّعَرُّضِ لِإِفْسَادِ ٱلْمَمْلَكَةِ وَٱسْتِعْطَافِ ٱلْقُلُوبِ وَٱسْتِمَالَتِهَا، وَٱرْتَادَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قُطْرًا، أَمَّا ٱلْجَنَّابِيُّ فَأَكْنَافَ ٱلْأَحْسَاءِ، وَٱبْنُ ٱلْمُقَفَّعِ تَوَغَّلَ فِي أَكْنَافِ بِلَادِ ٱلتُّرْكِ، وَٱرْتَادَ ٱلْحَلَّاجُ قُطْرَ بَغْدَادَ، فَحَكَمَ عَلَيْهِ صَاحِبَاهُ بِٱلْهَلَكَةِ، وَٱلْقُصُورِ عَنْ دَرْكِ ٱلْأُمْنِيَّةِ، لِبُعْدِ أَهْلِ ٱلْعِرَاقِ عَنِ ٱلِانْخِدَاعِ. هٰذَا آخِرُ كَلَامِ إِمَامِ ٱلْحَرَمَيْنِ.

«قُلْتُ» وَهٰذَا كَلَامٌ لَا يَسْتَقِيمُ عِنْدَ أَرْبَابِ ٱلتَّوَارِيخِ، لِعَدَمِ ٱجْتِمَاعِ ٱلثَّلَاثَةِ ٱلْمَذْكُورِينَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، أَمَّا ٱلْحَلَّاجُ وَٱلْجَنَّابِيُّ فَيُمْكِنُ ٱجْتِمَاعُهُمَا - لِأَنَّهُمَا كَانَا فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ - وَلٰكِنْ لَا أَعْلَمُ هَلِ ٱجْتَمَعَا أَمْ لَا، وَٱلْمُرَادُ بِٱلْجَنَّابِيِّ هُوَ أَبُو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْحَسَنِ بْنِ بَهْرَامَ ٱلْقِرْمِطِيِّ رَئِيسُ ٱلْقَرَامِطَةِ، وَحَدِيثُهُمْ وَحُرُوبُهُمْ وَخُرُوجُهُمْ عَلَى ٱلْخُلَفَاءِ وَٱلْمُلُوكِ مَشْهُورٌ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى ٱلْإِطَالَةِ بِشَرْحِهِ فِي هٰذَا

ٱلْمَكَانِ ، بَلْ إِنْ يَسَّرَ ٱللهُ تَعَالَى تَحْرِيرَ ٱلتَّارِيخِ ٱلْكَبِيرِ
فَسَأَذْكُرُ فِيهِ حَدِيثَهُمْ مُسْتَوْفًى - إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى - وَبَعْدَ أَنْ
جَرَى ذِكْرُهُمْ فَيَنْبَغِي أَنْ أَذْكُرَ مِنْهُ فَصْلًا مُخْتَصَرًا هَهُنَا
حَتَّى لَا يَخْلُوَ هَذَا ٱلْكِتَابُ مِنْ حَدِيثِهِمْ؛ فَأَقُولُ: إِنَّ شَيْخَنَا
عِزَّ ٱلدِّينِ أَبَا ٱلْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ ٱلْمَعْرُوفَ بِابْنِ ٱلْأَثِيرِ
ٱلْجَزَرِيَّ ذَكَرَ فِي تَارِيخِهِ ٱلْكَبِيرِ ٱلَّذِي سَمَّاهُ «ٱلْكَامِلَ»
أَوَّلَ أَمْرِهِمْ، وَأَطَالَ ٱلْحَدِيثَ فِيهِ، وَشَرَحَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَا كَانَ
يَجْرِي لَهُمْ فِيهَا ، فَاخْتَرْتُ هَهُنَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ طَلَبًا لِلْإِيجَازِ ،
وَأَوَّلُ مَا شَرَعَ فِيهِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، فَقَالَ :
فِي هَذِهِ ٱلسَّنَةِ تَحَرَّكَ قَوْمٌ بِسَوَادِ ٱلْكُوفَةِ يُعْرَفُونَ بِالْقَرَامِطَةِ
ثُمَّ بَسَطَ ٱلْقَوْلَ فِي ٱبْتِدَاءِ أَمْرِهِمْ - وَحَاصِلُهُ أَنَّ رَجُلًا أَظْهَرَ
ٱلْعِبَادَةَ وَٱلزُّهْدَ وَٱلتَّقَشُّفَ ، وَكَانَ يَضْفِرُ ٱلْخُوصَ، وَيَأْكُلُ
مِنْ كَسْبِهِ ، وَكَانَ يَدْعُو ٱلنَّاسَ إِلَى إِمَامٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَيْتِ
- رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ - وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً، فَاسْتَجَابَ لَهُ خَلْقٌ
كَثِيرٌ، وَجَرَتْ لَهُ أَحْوَالٌ أَوْجَبَتْ لَهُ حُسْنَ ٱلِاعْتِقَادِ فِيهِ ،
وَٱنْتَشَرَ ذِكْرُهُمْ بِسَوَادِ ٱلْكُوفَةِ . ثُمَّ قَالَ شَيْخُنَا ٱبْنُ ٱلْأَثِيرِ
بَعْدَ هَذَا فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ : وَفِي هَذِهِ ٱلسَّنَةِ

ظَهَرَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْقَرَامِطَةِ يُعْرَفُ بِأَبِى سَعِيدٍ ٱلْجَنَّابِيِّ بِٱلْبَحْرَيْنِ وَٱجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ وَٱلْقَرَامِطَةِ، وَقَوِىَ أَمْرُهُ فَقَتَلَ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ ٱلْقُرَى، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ ٱلْمَذْكُورُ يَبِيعُ لِلنَّاسِ ٱلطَّعَامَ، وَيَحْسِبُ (١) لَهُمْ بَيْعَهُمْ. ثُمَّ عَظُمَ أَمْرُهُمْ (٢) وَقَرُبُوا مِنْ نَوَاحِى ٱلْبَصْرَةِ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِمُ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمُعْتَضِدُ بِٱللهِ جَيْشًا يُقَاتِلُهُمْ مُقَدَّمُهُ ٱلْعَبَّاسُ بْنُ عَمْرٍو ٱلْغَنَوِىُّ (٣)، فَتَوَاقَعُوا وَقْعَةً شَدِيدَةً، وَٱنْهَزَمَ أَصْحَابُ ٱلْعَبَّاسِ وَأُسِرَ ٱلْعَبَّاسُ، وَكَانَ ذَلِكَ فِى آخِرِ شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ فِيمَا بَيْنَ ٱلْبَصْرَةِ وَٱلْبَحْرَيْنِ، وَقَتَلَ أَبُو سَعِيدٍ ٱلْأَسْرَى وَأَحْرَقَهُمْ، وَٱسْتَبْقَى ٱلْعَبَّاسَ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَقَالَ لَهُ: ٱمْضِ إِلَى صَاحِبِكَ وَعَرِّفْهُ مَا رَأَيْتَ، فَدَخَلَ بَغْدَادَ فِى شَهْرِ

---

(١) فى الأصل « ويحسن » وصوابه « يحسب » كما فى ابن الأثير وغيره «أحمد يوسف نجاتى» (٢) وكان أمرهم بجهة البحرين أعظم (٣) كان العباس هذا أميرا مشهورا فى أيام المقتدر بالله يتولى أعمال ديار مصر فى وزارة ابن الفرات، وكان عاملا على بلاد فارس، ولما أراد المعتضد انفاذه الى البصرة عزله عن فارس سنة ٢٧٨ وأقطعه اليمامة والبحرين، وأمره بمحاربة القرامطة، وضم اليه زهاء ألفى رجل، فسار الى البصرة، واجتمع اليه جمع كثير من المتطوعة والجند والخدم، ثم سار منها الى أبى سعيد الجنابى، وبعد ذلك ولى العباس عدة ولايات، وتوفى سنة ٣٠٥ وهو يتقلد أمور الحرب

رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ ، وَحضرَ بَيْنَ يدَى الْمُعْتَضِدِ فَخلع عليهِ [١]
ثمَّ إِنَّ الْقَرَامِطَةَ دخلُوا فِى بِلَادِ الشَّامِ فِى سَنَةِ تِسْعٍ وَثمَانِين
وَمِائَتَيْنِ ، وَجَرَتْ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ وقعَاتٌ يطُولُ شرْحُهَا ،
ثمَّ قتِلَ أَبُو سَعِيدٍ الْمَذْكُورُ فِى سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَثِمِائَةٍ ،
قتَلَهُ خَادِمٌ لَهُ صقلبِىٌّ فِى الْحَمَّام ، وَقامَ مقَامَهُ وَلَدُهُ أَبُو طَاهِرٍ
سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِى سَعِيدٍ ، وَلَمَّا قُتِلَ أَبُو سَعِيدٍ كَانَ قَدِ اسْتَوْلَى
عَلَى هَجَرَ وَالْأَحْسَاءِ وَالْقَطِيفِ وَالطَّائِفِ وَسَائِرِ بلَادِ الْبَحْرَيْنِ .
وَفِى سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَثِمِائَةٍ فِى شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ
مِنْهَا قَصَدَ أَبُو طَاهِرٍ وَعَسْكَرُهُ الْبَصْرَةَ ، وَمَلَكُوهَا بِغَيْرِ
قِتَالٍ ، بَلْ صَعِدُوا إِلَيْهَا لَيْلًا بِسَلَالِمِ الشَّعْرِ [٢] ، فَلَمَّا حَصَلُوا
بِهَا وَأَحَسُّوا بِهِمْ ثَارُوا إِلَيْهِمْ ، وَقَتَلُوا مُتَوَلِّىَ الْبِلَادِ ، وَوَضَعُوا
السَّيْفَ فِى النَّاسِ ، فَهَرَبُوا مِنْهُمْ ، وَأَقَامَ أَبُو طَاهِرٍ سَبْعَةَ
عَشَرَ يَوْمًا يَحْمِلُ مِنْهَا الْأَمْوَالَ ، ثمَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ . وَلَمْ يَزَالُوا

بديار مصر . « أحمد يوسف نجاتى » (١) كان أبو سعيد الجنابى لما أطلق العباس بن عمرو أعطاه درجا ملصقا وقال له : أوصله الى المعتضد، فان لى فيه أسرارا ، فلما دخل العباس على المعتضد عاتبه المعتضد، فأوصل اليه العباس الكتاب، فقال: والله ليس فيه شىء، وانما أراد أن يعلمنى أنى أنفذتك اليه فى العدد الكثير، فردك فردا - وفتح الكتاب فلم يكن فيه من شىء . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) وضعوا السلاليم على السور ،وصعد أصحاب

يَعْبَثُونَ(١) فِي الْبِلَادِ، وَيُكْثِرُونَ فِيهَا الْفَسَادَ، مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالْحَرِيقِ إِلَى سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ وَثَلَثِمِائَةٍ، فَحَجَّ النَّاسُ فِيهَا، وَسَلِمُوا فِي طَرِيقِهِمْ، ثُمَّ وَافَاهُمْ أَبُو طَاهِرٍ الْقِرْمِطِيُّ بِمَكَّةَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، فَنَهَبُوا أَمْوَالَ الْحُجَّاجِ وَقَتَلُوهُمْ حَتَّى فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي الْبَيْتِ نَفْسِهِ، وَقَلَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ، وَأَنْفَذَهُ إِلَى هَجَرَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَمِيرُ مَكَّةَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَشْرَافِ، فَقَاتَلُوهُ، فَقَتَلَهُمْ أَجْمَعِينَ، وَقَلَعَ بَابَ الْكَعْبَةِ، وَصَعِدَ رَجُلٌ لِيَقْلَعَ الْمِيزَابَ(٢) فَسَقَطَ فَمَاتَ، وَطَرَحَ الْقَتْلَى فِي بِئْرِ زَمْزَمَ، وَدَفَنَ الْبَاقِينَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنْ غَيْرِ كَفَنٍ وَلَا غُسْلٍ وَلَا صَلَاةٍ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَأَخَذَ كُسْوَةَ الْبَيْتِ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ، وَنَهَبَ دُورَ أَهْلِ مَكَّةَ.

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَهْدِيَّ عُبَيْدَ اللهِ صَاحِبَ إِفْرِيقِيَّةَ الْآتِي ذِكْرُهُ - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى - كَتَبَ إِلَيْهِ يُنْكِرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَيَلُومُهُ وَيَلْعَنُهُ، وَيُقِيمُ عَلَيْهِ الْقِيَامَةَ: وَيَقُولُ لَهُ: قَدْ حَقَّقْتَ عَلَى شِيعَتِنَا وَدُعَاةِ دَوْلَتِنَا اسْمَ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ بِمَا قَدْ فَعَلْتَ

---

(١) أى يفسدون، أو : يعبثون. أبى طاهر ففتحوا الباب وقتلوا الموكلين به

(٢) الميزاب : المثعب يسيل منه الماء من مكان عال، والجمع ميازيب ومواز يب

فَإِنْ لَمْ تَرُدَّ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَعَلَى ٱلْحُجَّاجِ وَغَيْرِهِمْ مَا قَدْ أَخَذْتَ مِنْهُمْ، وَتَرُدَّ ٱلْحجرَ ٱلْأَسْوَدَ إِلَى مَكَانِهِ، وَتَرُدَّ كُسْوَةَ ٱلْكَعْبَةِ، فَأَنَا بَرِىءٌ مِنْكَ فِي ٱلدُّنيَا وَٱلْآخِرَةِ. فَلَمَّا وَصَلَهُ هَذَا ٱلْكِتَابُ أَعَادَ ٱلْحجرَ، وَٱسْتَعَادَ مَا أَمْكَنَهُ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ مَكَّةَ فَرَدَّهُ، وَقَالَ: أَخَذْنَاهُ بِأَمْرٍ وَأَعَدْنَاهُ بِأَمْرٍ. وَكَانَ بَجْكَمُ [(١)] ٱلتُّرْكِيُّ أَمِيرُ بَغْدَادَ وَٱلْعِرَاقِ قَدْ بَذَلَ لَهُمْ فِي رَدِّهِ

لأنه من وزب الماء «كوعد» وزوبا اذا سال، وقد يجمع على مآزيب

(١) هو الأمير أبو الخير بجكم الأعور التركى، وكان من غلمان أبى على العارض وزير ماكان بن كالى الديلمى صاحب جرجان وطبرستان الذى خلع طاعة الأمير نصر بن أحمد السامانى، فطلب ماكان من وزيره غلامه بجكم، فوهبه له، ثم انه فارق ماكان مع من فارقه من أصحابه، والتحق بمرداويج بن زيار الديلمى صاحب بلاد الجبل وغيرها، وكان بعد فى جملة من قتله سنة ٣٢٣ ثم سار الى العراق، واتصل بالأمير أبى بكر محمد بن رائق الذى صار أمير الأمراء ببغداد سنة ٣٢٤ وكان بجكم قبل ذلك قد ولى شرطة مصر سنة ٣١١، وفى سنة ٣٢٥ سير أبو بكر بن رائق بجكم الى الأهواز، فاستولى عليها، وطرد أبا عبد الله البريدى عنها وكان يتولاها، ثم خرج البريدى مع معزالدولة بن بويه من فارس الى الأهواز، فأخذوها من بجكم، وانتقل بجكم من الأهواز الى واسط، فلما استقر بواسط تعلقت همته بالاستيلاء على حضرة الخليفة ـ وهو مع ذلك يظهر التبعية لابن رائق وفى سنة ٣٢٦ قلد الخليفة الراضى الأمير بجكم امارة بغداد وخراسان وكان بينه و بين ابن رائق واقعة انهزم فيها ابن رائق وأصحابه، فسار عن بغداد الى عكبرا، ودخل بجكم بغداد فى ذى القعدة سنة ٣٢٦ ولقى الخليفة

الراضى وخلع عليه وجعله أميرا للأمراء، واستقر أمره ببغداد، ثم كان بجكم مع الخليفة الراضى سنة ٣٢٧ لما سافر الى الموصل لمحاربة ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان، والتقى بجكم وابن حمدان، وانهزم أصحاب بجكم وأسر بعضهم، فحنق بجكم وحمل بنفسه، فانهزم أصحاب ابن حمدان، واتبعه بجكم الى أن بلغ نصيبين، وهرب ابن حمدان الى آمد، ثم اصطلحا بعد ذلك، وصاهر بجكم ناصر الدولة. وكان لبجكم هذا الذى كان أمير الأمراء ببغداد قبل بنى بويه وزراء من الأفاضل، منهم على بن خلف، وأبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد، وعزل أبو عبد الله البريدى عن وزارة الخليفة، وجعل مكانه أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد سنة ٣٢٨ وفيها عزل بجكم وزيره أبا جعفر بن شيرزاد، واستوزر بعده أبا عبدالله الكوفى، وتوفى الخليفة الراضى فى شهر ربيع الأول سنة ٣٢٩ وكان بجكم بمدينة واسط، فأرسل الى بغداد وزيره أبا عبد الله الكوفى يأمره أن يجمع أولى الحل والعقد، ويشاورهم فيمن يختار للخلافة، فوقع اختيارهم على ابراهيم بن المقتدر، ولقب المتقى لله، فبايعه الناس كلهم، وسير الخلع واللواء الى بجكم بواسط. ثم قتل بجكم غدرا فى رجب سنة ٣٢٩ وكان قائدا ماهرا، وشجاعا باسلا، وشهما عاقلا، حسن السياسة، يتولى المظالم بنفسه، وكان يفهم العربية ولكن لا يتكلم بها، بل يتفاهم بترجمان ويقول أخشى أن أتكلم بها فأخطىء، والخطأ من الرئيس قبيح. ومما يحكى عنه أنه قصد اليه رجل من الصوفية، فوعظه بالعربية والفارسية حتى أبكاه، فلما خرج أمر بجكم أن تحمل اليه ألف درهم، وكلف بعض غلمانه أن يلحق الصوفى بها، ثم قال لمن معه: ما أظن يقبلها، فلما عاد الغلام ويده فارغة قال بجكم: أخذها؟ قال: نعم، فقال بجكم بالفارسية: كلنا صيادون، ولكن الشباك تختلف. أخذه الشاعر فقال:

كل من فى الوجود يطلب صيدا ... غير أن الشباك مختلفات

وبعد قتل بجكم كانت ببغداد فتن وحوادث، حتى ولى ناصر الدولة بن حمدان امرة الأمراء. «أحمد يوسف نجاتى».

خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَلَمْ يَرُدُّوه، وَرَدُّوهُ الْآنَ بِغَيْرِ شَيْءٍ. وَقَالَ غَيْرُ شَيْخِنَا: إِنَّهُمْ رَدُّوهُ إِلَى مَكَانِهِ مِنَ الْكَعْبَةِ الْمُعَظَّمَةِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ - وَقِيلَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ - فِي خِلَافَةِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ، وَإِنَّهُ لَمَّا أَخَذُوهُ تَفَسَّخَ تَحْتَهُ ثَلَاثَةُ جِمَالٍ قَوِيَّةٍ مِنْ ثِقَلِهِ، وَحَمَلُوهُ لَمَّا أَعَادُوهُ عَلَى جَمَلٍ وَاحِدٍ ضَعِيفٍ، فَوَصَلَ بِهِ سَالِمًا. قُلْتُ وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ شَيْخُنَا مِنْ كِتَابِ الْمَهْدِيِّ إِلَى الْقِرْمِطِيِّ وَأَخْذِهِ الْحَجَرَ وَأَنَّهُ رَدَّهُ لِذَلِكَ لَا يَسْتَقِيمُ، لِأَنَّ الْمَهْدِيَّ تُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَكَانَ رَدُّ الْحَجَرِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ، فَقَدْ رَدُّوهُ بَعْدَ مَوْتِهِ بِسَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً[1] وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ شَيْخُنَا عَقِيبَ هَذَا: وَلَمَّا أَرَادُوا رَدَّهُ حَمَلُوهُ إِلَى الْكُوفَةِ وَعَلَّقُوهُ بِجَامِعِهَا حَتَّى رَآهُ النَّاسُ، ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَكَّةَ،

---

(١) والذى كان يكاتب أبا طاهر القرمطى « الذى اقتلع الحجر الأسود » هو القائم بأمر الله نزار، أو محمد أبو القاسم بن المهدى الذى ولى الأمر بعد وفاة أبيه المهدى، ولكنه توفى أيضا قبل رده، اذ مات بالمهدية فى شوال سنة ٣٣٤ وقام بالأمر بعده ابنه المنصور أبو طاهر اسمعيل بن القائم والد المعز لدين الله، وتوفى فى شوال سنة ٣٤١ وفى زمانه رد الحجر الأسود

وَكَانَ مُكْثُهُ عِنْدَهُمْ اُثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً . قُلْتُ: وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ شَيْخِنَا أَنَّ الَّذِى رَدَّهُ هُوَ ابْنُ سَنْبَرَ (١)، وَكَانَ مِنْ خَوَاصِّ

سنة ٣٣٩ . « أحمد يوسف نجاتى » (١) فى الأصل « شير » و فى بعض النسخ « بشير » وهو تصحيف وصوابه « سنبر » كما فى ابن الأثير وغيره وهو أبو محمد بن سنبر بن الحسن، وكان من خواص أبى سعيد القرمطى والمطلعين على سره ، ففى سنة ٣٢٩ رد الحجر الأسود الى موضعه، بعث به القرمطى مع ابن سنبر هذا الى الخليفة المطيع لله ، وقال المسبحى فى سنة ٣٢٩ وافى سنبر بن الحسن بن سنبر صاحب القرمطى الى مكة ومعه الحجر الأسود وأمير مكة معه، فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر وعليه ضباب فضة قد عملت من طوله وعرضه تضبط شقوقا قد حدثت عليه بعد انقلاعه، وأحضر له صانعا معه جص يشده به، فوضع سنبر بن الحسن الحجر بيده، وشده الصانع بالجص، وقال لما رده : أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئته ، اه قلت: وفى سنة ٣٤٠ قلعت حجبة الكعبة الحجر الأسود الذى نصبه سنبر بن الحسن صاحب القرمطى وجعلوه فى الكعبة ، فأحبوا أن يجعلوا له طوقا من فضة فيشد به كما كان قديما ، كما عمله عبد الله بن الزبير ، وأخذ فى اصلاحه صانعان حاذقان فأحكماه . قال أبو الحسن محمد ابن نافع الخزاعى : دخلت الكعبة فيمن دخلها، فتأملت الحجر فاذا السواد فى رأسه دون سائره وسائره أبيض، وكان طوله فيما حزرت مقدار عظم الذراع ، قال ومبلغ ما عليه من الفضة فيما قيل ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعة وتسعون درهما ونصف اه . و بسبب ابن سنبر هذا أخذ حال القرامطة يفسد من سنة ٣٢٦ لاختلافه مع بعض كبارهم ، ومات أبو طاهر الهجرى رئيس القرامطة سنة ٣٣٢ بالجدرى بعد أن رأى فى نفسه العبر ، وتقطعت أوصاله. وقد كان مع قلة دينه عنده فصاحة وأدب. ومن شعره قصيدة طنانة أولها

أغركم منى رجوعى الى هجر؟! ... فعما قليل سوف يأتيكم الخبر
اذا طلع المريخ من أرض بابل ... وقارنه كيوان فالحذر الحذر

أَبِى سَعِيدٍ . ثُمَّ ذَكَرَ شَيْخُنَا فِى سَنَةِ سِتِّينَ وَثَلَثِمِائَةٍ أَنَّ الْقَرَامِطَةَ وَصَلُوا إِلَى دِمَشْقَ فَمَلَكُوهَا، وَقَتَلُوا جَعْفَرَ بْنَ فَلَاحٍ نَائِبَ الْمِصْرِيِّينَ (١) — وَقَدْ سَبَقَ فِى تَرْجَمَةِ جَعْفَرٍ الْمَذْكُورِ طَرَفٌ مِنْ خَبَرِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ — ثُمَّ بَلَغَ عَسْكَرُ الْقَرَامِطَةِ إِلَى عَيْنِ شَمْسٍ — وَهِىَ عَلَى بَابِ الْقَاهِرَةِ — وَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ انْتَصَرَ أَهْلُ مِصْرَ عَلَيْهِمْ، فَرَجَعُوا عَنْهُمْ . قُلْتُ وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَالَّذِى فَعَلُوهُ فِى الْإِسْلَامِ لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُمْ وَلَا بَعْدَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَلَكُوا كَثِيرًا مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ

فمن مبلغ أهل العراق رسالة ... بأنى أنا المرهوب فى البدو والحضر؟
فياويلهم من وقعة بعد وقعة ... يساقون سوق الشاء للذبح والبقر
سأصرف خيلى نحو مصر وبرقة ... الى قير وان الترك والروم والخزر
أكيلهم بالسيف حتى أبيدهم ... فلا أبق منهم نسل أنثى ولا ذكر
أنا الداعى للمهدى لاشك غيره ... أنا الصارم الضرغام والفارس الذكر
أعمر حتى عهد عيسى بن مريم ... فيحمد آثارى وأرضى بما أمر
ولكنه حكم علينا مقدر ... فنفنى ويبقى خالق الخلق والبشر

وفى بعض أبياته ضعف، وفى بعضها دعاوى كاذبة . « أحمد يوسف نجاتى »

(١) وكان صاحبهم حينئذ أبو محمد وأبو على الحسن بن أحمد بن أبى سعيد الحسن بن بهرام القرمطى المعروف بالأعصم، وتقدم التعريف به فى تعليقنا على ترجمة جعفر بن فلاح ، وتوفى بالرملة فى شهر رجب سنة ٣٦٧ وكان مولده بالأحساء فى شهر رمضان سنة ٢٧٨ وكان فصيحا شاعرا . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَالْحِجَازِ وَبِلَادِ الشَّرْقِ وَالشَّامِ إِلَى بَابِ مِصْرَ، وَلَمَّا أَخَذُوا الْحَجَرَ تَرَكُوهُ عِنْدَهُمْ فِي هَجَرَ . وَقُتِلَ أَبُو طَاهِرٍ الْمَذْكُورُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ[١]. وَالْقِرْمِطِيُّ بِكَسْرِ الْقَافِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَكَسْرِ الْمِيمِ وَبَعْدَهَا طَاءٌ مُهْمَلَةٌ، وَالْقَرْمَطَةُ فِي اللُّغَةِ تَقَارُبُ الشَّيْءِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ، يُقَالُ خَطٌّ مُقَرْمَطٌ وَمَشْيٌ مُقَرْمَطٌ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ. وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْمَذْكُورُ قَصِيرًا مُجْتَمِعَ الْخَلْقِ أَسْمَرَ كَرِيهَ الْمَنْظَرِ، فَلِذَلِكَ قِيلَ لَهُ قِرْمِطِيٌّ[٢]. وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ فَصْلًا طَوِيلًا مِنْ أَحْوَالِهِمْ فِي كِتَابِ «كَشْفِ الْأَسْرَارِ الْبَاطِنِيَّةِ» وَأَمَّا الْجَنَّابِيُّ فَإِنَّهُ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ

---

(١) وكان له ثلاثة اخوة؛ منهم أبو القاسم سعيد بن الحسن وهو الأكبر وأبو العباس الفضل بن الحسن — وهذان كانا يتفقان مع أبي طاهر على الرأي والتدبير — وكان لهم أخ ثالث لايجتمع بهما وهو مشغول بالشرب واللهو. «أحمد يوسف نجاتى» (٢) والأرجح أن الملقب بقرمط رجل اسمه حمدان بن الأشعث، لأنه كان رجلا قصيرا ورجلاه قصيرتين وخطوه متقاربا، وكان في ابتداء أمره أكارا من أكرة سواد الكوفة، واليه تنسب القرامطة، وليس أبو سعيد الجنابى أول من ظهر من القرامطة، بل انه أخذ الدعوة عن حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط هذا، واليه تنسب القرامطة وغاية مايقال فيهم انهم طائفة من الباطنية كانوا على الاسلام أشد ضررا وأسوأ أثرا من كل الطوائف والفرق المخالفة له. «أحمد يوسف نجاتى»

بَاءٍ مُوَحَّدَةٌ ، وَهَذِهِ ٱلنِّسْبَةُ إِلَى جَنَّابَةَ ، وَهِيَ بَلْدَةٌ مِنْ أَعْمَالِ
فَارِسَ مُتَّصِلَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ عِنْدَ سِيرَافَ ، وَٱلْقَرَامِطَةُ مِنْهَا ، فَنُسِبُوا
إِلَيْهَا . وَٱلْأَحْسَاءُ بِفَتْحِ ٱلْهَمْزَةِ وَسُكُونِ ٱلْحَاءِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَبَعْدَهَا
سِينٌ مُهْمَلَةٌ ثُمَّ هَمْزَةٌ مَمْدُودَةٌ ، وَهِيَ كُورَةٌ فِي تِلْكَ ٱلنَّاحِيَةِ
فِيهَا بِلَادٌ كَثِيرَةٌ : مِنْهَا جَنَّابَةُ ٱلْمَذْكُورَةُ ، وَهَجَرُ ، وَٱلْقَطِيفُ ـ
وَهِيَ بِفَتْحِ ٱلْقَافِ وَكَسْرِ ٱلطَّاءِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ ٱلْيَاءِ
ٱلْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِهَا وَبَعْدَهَا فَاءٌ ـ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ ٱلْبِلَادِ . وَٱلْأَحْسَاءُ
جَمْعُ حِسْيٍ ـ بِكَسْرِ ٱلْحَاءِ وَسُكُونِ ٱلسِّينِ ٱلْمُهْمَلَةِ ، وَٱلْحِسْيُ
مَاءٌ تَنْشُفُهُ[1] ٱلْأَرْضُ مِنَ ٱلرَّمْلِ ، فَإِذَا صَارَ إِلَى صَلَابَةٍ أَمْسَكَتْهُ

(١) فى الأصل « تنسفه » وهو تصحيف، ونشف الثوب العرق « كسمع ونصر » ونشف الحوض الماء اذا شربه كتنشفه ، ونشف الماء فى الأرض: ذهب ويبس، والاسم النشف ، وأرض نشفة « كفرحة » اذا كانت تنشف الماء أى تشربه، أو ينشف ماؤها ، وأصل النشف دخول الماء فى الأرض أو الثوب ونحوهما . والحسى أيضا الرمل المتراكم أسفله جبل صلد ، فاذا مطر الرمل نشف ماء المطر ، فاذا انتهى الى الجبل الذى تحته أمسك الماء ومنع الرمل حر الشمس أن ينشف الماء، فاذا اشتد الحر تبث وجه الرمل عن الماء، فنبع باردا عذبا يتبرض تبرضا، وفى البادية أحساء كثيرة على هذه الصفة. والحسى « بكسر فسكون » والحسى « بكسر أو فتح ففتح » سهل من الأرض يستنقع فيه الماء، أو غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر ، وكلما نزحت دلوا جمت أخرى ، واحتسى حسيا اذا حفره . « أحمد يوسف نجاتى » .

فَتَحْفِرُ الْعَرَبُ عَنْهُ الرَّمْلَ فَتَسْتَخْرِجُهُ ، وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ كَثِيرَةَ الْأَحْسَاءِ سُمِّيَتْ بِهَذَا الِاسْمِ ،وَصَارَ عَلَماً عَلَيْهَا لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِهِ (١) . وَأَمَّا الْبَحْرَيْنِ (٢) فَقَدْ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي كِتَابِ الصِّحَاحِ : الْبَحْرَيْنِ بَلَدٌ ،وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهَا بَحْرَانِيٌّ ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: إِنَّمَا سَمَّوا الْبَحْرَيْنِ لِأَنَّ فِي نَاحِيَةِ قُرَاهَا بُحَيْرَةً عَلَى بَابِ الْأَحْسَاءِ وَقُرَى هَجَرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ الْأَعْظَمِ عَشَرَةَ فَرَاسِخَ، قَالَ وَقَدَّرْتُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةَ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ فِي مِثْلِهَا، وَلَا يَغِيضُ مَاؤُهَا، وَهُوَ رَاكِدٌ زُعَاقٌ (٣) ،

(١) وأحساء بنى سعد بلد بحذاء هجر بالبحرين ،وهو أحساء القرامطة وكان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر الحسن بن أبى سعيد الجنابى القرمطى،وصارت دار القرامطة وكانت بها منازله ، قال ياقوت وهى الآن مدينة مشهورة عامرة . والأحساء ماء لغنى فيه يقول الحسين بن مطير الأسدى :

أين جيراننـا على الأحساء؟ أين جيراننا على الأطواء؟!

فارقونا والأرض ملبسة نو ر الأقاحى تجاد بالأنواء

كل يوم بأقحـوان ونور تضحك الأرض من بكاء السماء

(٢) هكذا « البحرين » يتلفظ بها فى حالاتها الثلاث الرفع والنصب والجر وهو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان،وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة ، وينسب الى البحرين قوم من أهل العلم،منهم العباس ابن يزيد بن أبى حبيب البحرانى،يعرف بعبا سويه،وكان محدثا ثقة،توفى سنة ٢٥٨ . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) الزعاق الماء المر الغليظ الذى

وَهَذِهِ ٱلنَّوَاحِي كُلُّهَا بِلَادُ ٱلْعَرَبِ، وَهِيَ وَرَاءَ ٱلْبَصْرَةِ، تَتَّصِلُ بِأَطْرَافِ ٱلْحِجَازِ، وَهِيَ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ ٱلْمُتَّصِلِ بِالْيَمَنِ وَٱلْهِنْدِ، وَبِالْقُرْبِ مِنْ جَزِيرَةِ قَيْسِ بْنِ عُمَيْرَةَ - وَهِيَ ٱلَّتِي تُسَمِّيهَا ٱلْعَامَّةُ كِيشَ - وَهِيَ فِي وَسَطِ ٱلْبَحْرِ بَيْنَ عُمَانَ وَبِلَادِ فَارِسَ[1] وَفِي تِلْكَ ٱلنَّاحِيَةِ أَيْضًا رَامَهُرْمُزُ[2] وَغَيْرُهَا مِنَ ٱلْبِلَادِ. وَٱللهُ أَعْلَمُ.

لا يطاق شربه من أجوجته، وإذا كثر ملح الشيء حتى يصير الى المرارة فأكلته قلت: قد أكات زعاقا، ويروى أن عليا رضى الله عنه قال يوم خيبر

دونكها مترعة دهاقا   كأسا زعاقا مزجت زعاقا

وزعق الماء «ككرم» صار مرا (١) قال ياقوت: هى فى بحر عمان دورها أربعة فراسخ، وهى مدينة مليحة المنظر ذات بساتين وعمارات جيدة، وبها مسكن ملك ذلك البحر صاحب عمان، وله ثلثا دخل البحرين، وهى مرفأ مراكب الهند، وبر فارس وجبالها تظهر منها للناظر، وفيها أسواق وخيرات ولملكها هيبة وقدر عند ملوك الهند لكثرة مراكبه ودوانيجه، وهو فارسى شكله ولبسه مثل الديلم، وعنده الخيول العراب الكثيرة والنعمة الظاهرة وفيها مغاص على اللؤلؤ، وفى جزائر كثيرة حولها، وكلها ملك صاحب كيش ورأيت فيها جماعة من أهل الأدب والفقه والفضل، وكان بها رجل صنف كتابا جليلا فيما اتفق لفظه وافترق معناه، وهو ضخم رأيته بخطه فى مجلدين ضخمين اهـ - وكيش تعجيم قيس، وقد نسب المحدثون اليها اسماعيل ابن مسلم العبدى الكيشى قاضيها، كان من أهل البصرة وكان ثقة.

(٢) رامهرمز مدينة مشهوره بنواحى خوزستان، وقد ذكرها الشعراء فقال ورد بن الورد الجعدى:

أمغتربا أصبحت فى رامهرمز؟!   ألا كل كعبى هناك غريب
اذا راح ركب مصعدون فقلبه   مع المصعدين الرائحين جنيب

***

ترجمة ابن المقفع

«وَأَمَّا ابْنُ الْمُقَفَّعِ » فَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ الْكَاتِبُ الْمَشْهُورُ بِالْبَلَاغَةِ ، صَاحِبُ الرَّسَائِلِ الْبَدِيعَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ ، وَكَانَ مَجُوسِيًّا فَأَسْلَمَ عَلَى يَدِ عِيسَى بْنِ عَلِيٍّ (١) عَمِّ السَّفَّاحِ وَالْمَنْصُورِ الْخَلِيفَتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ كَتَبَ لَهُ وَاخْتَصَّ بِهِ . وَمِنْ كَلَامِهِ : شَرِبْتُ مِنَ الْخُطَبِ رِيًّا ، وَلَمْ أَضْبِطْ لَهَا رَوِيًّا ، فَغَاضَتْ ، ثُمَّ فَاضَتْ ، فَلَا هِيَ نِظَامًا ، وَلَيْسَ غَيْرُهَا كَلَامًا (٢) . وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ (٣) : جَاءَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ إِلَى عِيسَى بْنِ عَلِيٍّ فَقَالَ لَهُ : قَدْ دَخَلَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي ، وَأُرِيدُ أَنْ أُسْلِمَ عَلَى يَدِكَ ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى : لِيَكُنْ ذَلِكَ بِمَحْضَرٍ مِنَ الْقُوَّادِ وَوُجُوهِ النَّاسِ ، فَإِذَا كَانَ الْغَدُ فَاحْضُرْ ، ثُمَّ حَضَرَ طَعَامُ عِيسَى عَشِيَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَجَلَسَ

وان القليب الفرد من جانب الحمى الى — وان لم آته — لحبيب
ولا خير فى الدنيا اذا لم تزر بها حبيبا ، ولم يطرب اليك حبيب

ويروى « وان الكثيب الفرد ، والقليب البئر » «أحمد يوسف نجاتى »

(١) وجهه أبو العباس السفاح فى سنة ١٣٢ على فارس ، ثم وجه بعد ذلك واليا على فارس عمه اسماعيل بن على ، وتوفى عيسى بن على سنة ١٦٣ . «أحمد يوسف نجاتى »

(٢) يريد أنه قرأ وحفظ كثيرا من الخطب المتينة لبلغاء الخطباء كعلى وغيره ، وتفهمها حق الفهم حتى امتزجت بنفسه فكانت له خير زاد

(٣) أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى الطائى الكوفى الأخبارى المؤرخ توفى سنة ٢٠٧ . « أحمد يوسف نجاتى »

أَبْنُ اُلْمُقَفَّعِ يَأْكُلُ وَيُزَمْزِمُ (١) عَلَى عَادَةِ الْمَجُوسِ ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى : أَتُزَمْزِمُ وَأَنْتَ عَلَى عَزْمِ الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أَبِيتَ عَلَى غَيْرِ دِينٍ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ . وَكَانَ أَبْنُ اُلْمُقَفَّعِ مَعَ فَضْلِهِ يُتَّهَمُ بِالزَّنْدَقَةِ ، فَحَكَى اُلْجَاحِظُ أَنَّ أَبْنَ اُلْمُقَفَّعِ وَمُطِيعَ بْنَ إِيَاسٍ (٢) وَيَحْيَي بْنَ زِيَادٍ (٣) كَانُوا

---

(١) يزمزم: يرطن وهو صامت لا يستعمل لسانا ولا شفة — وهو صوت يديرونه فى خياشيمهم وحلوقهم فيفهم بعضهم من بعض على حسب عادتهم (٢) هو أبو سلمى مطيع بن اياس بن مسلم الكنانى شاعر ظريف خليع من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . كان حلو العشرة مليح النادرة حاضر البديهة متهما فى دينه بالزندقة، ولد ونشأ بالكوفة ، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أمد بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف فى قتاله ابن الزبير وابن الأشعث، فأقام بالكوفة وتزوج بها، فولد له ابنه مطيع ، وكان مطيع فى أيام بنى أمية منقطعا الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ومتصرفا بعده فى دولتهم ومع أوليائهم وعمالهم وأقاربهم، لا يكسد عند أحد منهم، ثم انقطع فى الدولة العباسية الى جعفر بن أبى جعفر المنصور ، فكان معه حتى مات وكان قد وفد على سليمان بن على بالبصرة فولاه عملا ، وتوفى فى تلك الأيام أو فى أول أيام المهدى . وكان كما وصفه بعض الأدباء : اذا حضر ملك، واذا غاب عنك شاقك ، لا يصبر عنه العاقل اذا رآه ، ولا يعرف بصحبته أحد الا افتضح به . وكان هو ويحي بن زياد صديقين متلازمين لا يكادان يفترقان فى فرح ولا حزن ولا شدة ولا رخاء — وأظنه مع بعض من اتهم معه لما عرفوا بالمجون والخلاعة ولم يكونوا ممن يعنى بأمور الدين كل العناية اتهموا بالزندقة ، ولنا فى ذلك كلام طويل ليس هذا موضعه . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) يحي بن زياد: هو أبو الفضل

يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن المدان بن الديان الحارثى الكوفى، وهو ابن خال أبى العباس السفاح « وقد كان كثير من بنى الحرث يتولون الأعمال والولايات للسفاح والمنصور » وكان أبوه زياد على مكة والمدينة والطائف فى عهدهما، وحج بالناس فى سنة ١٣٣ — وكان يحيى أديبا ظريفا كاتبا خطيبا شاعرا — يميل الى الخلاعة والمجون، والى الأخذ من اللهو بنصيب، وكان يتردد بين بغداد والبصرة والكوفة مع بعض رفاقه — وأخصهم مطيع بن اياس الليثى — يلهون ويمرحون ويلعبون وينشدون الشعر، ويجيبون دواعى النفس، ويخضعون لسلطان الهوى وكان مطيع ويحيى بن زياد وابن المقفع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا يفترقون، ولا يستأثر أحد على صاحبه بمال ولا ملك، وكانوا يتهمون بالزندقة، وكذلك من كان على شاكلتهم فى عصرهم؛ مثل حماد عجرد وعلى بن خليل الشيبانى، وعبد الكريم بن أبى العوجاء — ثم نزع يحيى عن الغواية، وجره الى الرشد عرقه الصالح وأصله الطيب، فأناب الى الله، وهجر الخلعاء والمجان من أصدقائه، فقال فيه حماد عجرد :

لا مؤمن يعرف ايمانه　　وليس يحيى بالفتى الكافر

منافق ظاهره كافر　　مخالف الباطن للظاهر

وكان قبل توبته يتهم بالزندقة، وكان من أظرف الناس وأحسنهم بزة وآنقهم شكلا وأطيبهم حديثا، فكان يقال : أظرف من الزنديق، ولهذا كان بعض الناس ربما أظهر الزندقة تظارفا لما رأى ضرب المثل بظرف الزنديق، حتى قال أبو نواس : فيه مغن وظرف زنديق — لأن الزنديق لايدع شيئا ولا يمتنع عما يدعى اليه، فنسب الى الظرف، لمساعدته على كل شىء، وقلة خلافه، وعدم مبالاته، وتركه التأثم والتحرج، وفى بعض هؤلاء المتزندقين يقول محمد بن مناذر :

لست بزنديق، ولكنما　　أردت أن توسم بالظرف

وسأل المهدى أباه المنصور أن يولى يحيى بن زياد عملا، فلم يجبه، وقال هو خليع متخرق فى النفقة « متوسع فى النفقة والسخاء » ماجن

يُتَّهَمُونَ فِي دِينِهِمْ . قَالَ بَعْضُهُمْ: فَكَيْفَ نَسِيَ ٱلْجَاحِظُ نَفْسَهُ؟
وَكَانَ ٱلْمَهْدِيُّ بْنُ ٱلْمَنْصُورِ ٱلْخَلِيفَةُ يَقُولُ: مَا وَجَدْتُ
كِتَابَ زَنْدَقَةٍ إِلَّا وَأَصْلُهُ ٱبْنُ ٱلْمُقَفَّعِ . وَقَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ: صَنَّفَ
ٱبْنُ ٱلْمُقَفَّعِ ٱلْمُصَنَّفَاتِ ٱلْحِسَانَ، مِنْهَا «ٱلدُّرَّةُ ٱلْيَتِيمَةُ» ٱلَّتِي لَمْ
يُصَنَّفْ فِي فَنِّهَا مِثْلُهَا . وَقَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ: قِيلَ لِٱبْنِ ٱلْمُقَفَّعِ
مَنْ أَدَّبَكَ؟ فَقَالَ: نَفْسِي، إِذَا رَأَيْتُ مِنْ غَيْرِي حَسَنًا أَتَيْتُهُ
وَإِنْ رَأَيْتُ قَبِيحًا أَبَيْتُهُ . وَٱجْتَمَعَ ٱبْنُ ٱلْمُقَفَّعِ بِٱلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ
صَاحِبِ ٱلْعَرُوضِ، فَلَمَّا ٱفْتَرَقَا قِيلَ لِلْخَلِيلِ: كَيْفَ رَأَيْتَهُ؟
فَقَالَ: عِلْمُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَقْلِهِ، وَقِيلَ لِٱبْنِ ٱلْمُقَفَّعِ: كَيْفَ

فقال المهدى: انه قد تاب وأقلع، فولاه المهدى أعمال الأهواز، فقصده بها حماد عجرد، ومدحه فأكرم وفادته، وراعى حقه، وأحسن مثواه — وتوفى يحيى فى زمن المنصور . وروى أنه لما مات جعفر الأكبر ابن أبى جعفر المنصور سنة ١٥٠ اشتد حزنه، فلما فرغ من دفنه التفت الى الربيع ابن يونس فقال: ياربيع، كيف قال مطيع بن اياس فى مرثية يحيى بن زياد؟ فأنشده:

ياأهلى ابكوا لقلبى القرح	وللدموع الذوارف السفح
راحوا بيحيى، ولو تطاوعنى الـ	أقدار لم يبتكر ولم يرح
ياخير من يحسن البكاء له اليو	م، ومن كان أمس للمدح
قد ظفر الحزن بالسرور، وقد	أديل مكروهنا من الفرح

وله فيه مراث أخرى كثيرة كلها باكية حزينة مؤثرة «أحمد يوسف نجاتى»

رَأَيْتَ الْخَلِيلَ ؟ فَقَالَ : عَقْلُهُ أَكْثَرُ مِنْ عِلْمِهِ ، وَيُقَالُ إِنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ هُوَ الَّذِي وَضَعَ كِتَابَ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَضَعْهُ ، وَإِنَّمَا كَانَ بِاللُّغَةِ الْفَارِسِيَّةِ فَعَرَّبَهُ وَنَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ وَإِنَّ الْكَلَامَ الَّذِي فِي أَوَّلِ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ كَلَامِهِ (١) .

وَكَانَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ يَعْبَثُ بِسُفْيَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ أَمِيرِ الْبَصْرَةِ (٢) وَيَنَالُ مِنْ أُمِّهِ ، وَلَا يُسَمِّيهِ إِلَّا بِابْنِ الْمُغْتَلِمَةِ ، وَكَثُرَ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَقَدِمَ سُلَيْمَانُ وَعِيسَى ابْنَا عَلِيٍّ الْبَصْرَةَ - وَهُمَا عَمَّا الْمَنْصُورِ - لِيَكْتُبَا أَمَانًا لِأَخِيهِمَا عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ مِنَ الْمَنْصُورِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ الْمَذْكُورُ قَدْ خَرَجَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْمَنْصُورِ ، وَطَلَبَ الْخِلَافَةَ لِنَفْسِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ جَيْشًا مُقَدَّمُهُ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ ، فَانْتَصَرَ أَبُو مُسْلِمٍ عَلَيْهِ ، وَهَرَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ

---

(١) لايتسع المكان هنا لنقد كلا القولين و بيان حجة كل فريق ، وقد بسطنا القول فى ذلك فى ترجمة ابن المقفع فى كتابنا الجامع فى الأدب « أحمد يوسف نجاتى » (٢) ولاه المنصور ما كان الى سليمان بن على من البصرة وأعمالها فى سنة ١٣٩ فاستمر فى عمله الى سنة ١٤٥ فولى بعده سلم بن قتيبة الباهلى ، وعزل سلم عنها سنة ١٤٦ وولى المنصور محمد بن سليمان بن على . وكانت وفاة سليمان بن على عم المنصور سنة ١٤٢ وولى هو أيضا امرة البصرة ، وكان جوادا ممدحا كريما « أحمد يوسف نجاتى »

إِلَى أَخَوَيْهِ سُلَيْمَانَ وَعِيسَى ، فَاسْتَتَرَ عِنْدَهُمَا خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْمَنْصُورِ، فَتَوَسَّطَا لَهُ عِنْدَ الْمَنْصُورِ لِيَرْضَى عَنْهُ ، وَلَا يُؤَاخِذَهُ بِمَا جَرَى مِنْهُ ، فَقَبِلَ شَفَاعَتَهُمَا ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَكْتُبُوا لَهُ أَمَانًا مِنَ الْمَنْصُورِ ، وَهَذِهِ الْوَاقِعَةُ مَشْهُورَةٌ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ ، وَقَدْ أَتَيْتُ مِنْهَا فِي هَذَا الْمَكَانِ بِمَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ لِيَنْبَنِيَ الْكَلَامُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ — فَلَمَّا أَتَيَا الْبَصْرَةَ قَالَا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُقَفَّعِ اكْتُبْهُ أَنْتَ ، وَبَالِغْ فِي التَّأْكِيدِ كَيْلَا يَقْتُلَهُ الْمَنْصُورُ — وَقَدْ ذَكَرْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ كَانَ كَاتِبًا لِعِيسَى بْنِ عَلِيٍّ — فَكَتَبَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ الْأَمَانَ وَشَدَّدَ فِيهِ، حَتَّى قَالَ فِي جُمْلَةِ فُصُولِهِ : وَمَتَى غَدَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِعَمِّهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ فَنِسَاؤُهُ طَوَالِقُ ، وَدَوَابُّهُ حُبُسٌ[1] وَعَبِيدُهُ أَحْرَارٌ ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي حِلٍّ مِنْ بَيْعَتِهِ ، وَكَانَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ يَتَنَوَّقُ[2] فِي الشُّرُوطِ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ الْمَنْصُورُ

---

(١) الحبس كل شيء وقفه صاحبه وقفا محرما لا يباع ولا يورث بل يحبس أصله أي يوقف ، وتسبل ثمرته وغلته ، وهو جمع حبيس أو حبوس « فعيل أو فعول بمعنى مفعول » والحبيس من الخيل الموقوف في سبيل الله على الغزاة يركبونه في الجهاد « كالمحبوس والمحبس » وكل ما حبس بوجه من الوجوه فهو حبيس ، والحبس وقف . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) تنوق في أموره وتنيق اذا تجود وبالغ وتأنق فيها ، وكان الجوهري وبعضهم ينكر

عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : مَنْ كَتَبَ هَذَا ؟ فَقَالُوا لَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْمُقَفَّعِ يَكْتُبُ لِأَعْمَامِكَ ، فَكَتَبَ إِلَى سُفْيَانَ مُتَوَلِّى ٱلْبَصْرَةِ ٱلْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ يَأْمُرُهُ بِقَتْلِهِ ، وَكَانَ سُفْيَانُ شَدِيدَ ٱلْحَنَقِ عَلَيْهِ لِلسَّبَبِ ٱلَّذِى تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، فَاسْتَأْذَنَ ابْنُ ٱلْمُقَفَّعِ يَوْمًا عَلَى سُفْيَانَ ، فَأَخَّرَ إِذْنَهُ حَتَّى خَرَجَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، فَعَدَلَ بِهِ إِلَى حُجْرَةٍ فَقَتَلَهُ فِيهَا . وَقَالَ ابْنُ ٱلْمَدَائِنِيِّ لَمَّا دَخَلَ ابْنُ ٱلْمُقَفَّعِ عَلَى سُفْيَانَ قَالَ لَهُ : أَتَذْكُرُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي أُمِّى ؟ فَقَالَ أَنْشُدُكَ ٱللهُ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ فِي نَفْسِى ، فَقَالَ : أُمِّى مُغْتَلِمَةٌ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ قِتْلَةً لَمْ يُقْتَلْ بِهَا أَحَدٌ ، وَأَمَرَ بِتَنُّورٍ فَسُجِرَ (١) ثُمَّ أَمَرَ بِابْنِ ٱلْمُقَفَّعِ ، فَقُطِعَتْ أَطْرَافُهُ عُضْوًا عُضْوًا ، وَهُوَ يُلْقِيهَا فِي ٱلتَّنُّورِ وَهُوَ يَنْظُرُ ، حَتَّى أَتَى عَلَى جَمِيعِ جَسَدِهِ ، ثُمَّ

تنوق لأنه من أنق. وقال ابن فارس عندنا أن تنوق من قياس التركيب وهم يشبهون الشيء بما يستحسنونه، فكأن تنوق مقيس على اسم الناقة وهى عندهم من أحسن أموالهم ، بل قال على بن حمزة : تأنق من الأنق ولا يقال تأنقت فى الشيء اذا أحكمته، وانما يقال تنوقت «أحمد يوسف نجاتى».

(١) سجر التنور يسجره : أوقده وأحماه ، أو أشبع وقوده ، والسجو رما يسجر به التنور : أي يوقد و يحمى ، فهو كالوقود لفظا ومعنى . « أحمد يوسف نجاتى »

أَطبق عَليهِ ٱلتَّنُّورَ ، وَقَالَ: لَيْسَ عَلَيَّ فِي هَذِهِ ٱلْمُثْلَةِ [١] بِكَ حَرَجٌ لِأَنَّكَ زِنْدِيقٌ ، وَقَدْ أَفْسَدْتَ ٱلنَّاسَ . وَسَأَلَ سُلَيْمَانُ وَعِيسَى عَنْهُ ، فَقِيلَ إِنَّهُ دَخَلَ دَارَ سُفْيَانَ سَلِيمًا وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا ، فَخَاصَمَاهُ إِلَى ٱلْمَنْصُورِ ، وَأَحْضَرَاهُ إِلَيْهِ مُقَيَّدًا ، وَحَضَرَ ٱلشُّهُودُ ٱلَّذِينَ شَاهَدُوهُ وَقَدْ دَخَلَ دَارَهُ وَلَمْ يَخْرُجْ ، فَأَقَامُوا ٱلشَّهَادَةَ عِنْدَ ٱلْمَنْصُورِ ، فَقَالَ لَهُمُ ٱلْمَنْصُورُ : أَنَا أَنْظُرُ فِي هَذَا ٱلْأَمْرِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ سُفْيَانَ بِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ ٱبْنُ ٱلْمُقَفَّعِ مِنْ هَذَا ٱلْبَيْتِ ـ وَأَشَارَ إِلَى بَابٍ خَلْفَهُ ـ وَخَاطَبَكُمْ ، مَا تَرَوْنَنِي صَانِعًا بِكُمْ ؟ أَقْتُلُكُمْ بِسُفْيَانَ ؟ فَرَجَعُوا كُلُّهُمْ عَنِ ٱلشَّهَادَةِ وَأَضْرَبَ عِيسَى وَسُلَيْمَانُ عَنْ ذِكْرِهِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ قَتْلَهُ كَانَ بِرِضَا ٱلْمَنْصُورِ . وَيُقَالُ إِنَّهُ عَاشَ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً .

وَذَكَرَ ٱلْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ أَنَّ ٱبْنَ ٱلْمُقَفَّعِ كَانَ يَسْتَخِفُّ بِسُفْيَانَ كَثِيرًا ، وَكَانَ أَنْفُ سُفْيَانَ كَبِيرًا ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمَا ـ يَعْنِي نَفْسَهُ وَأَنْفَهُ ـ وَقَالَ لَهُ

(١) مثل به « كنصر » يمثل مثلا ومثلة ومثل اذا نكل به تنكيلا بقطع أطرافه والتنكيل به والتشويه، بأن قطع أطرافه، أوجدع أذنه أو أنفه مثلا، وهي المثلة « بضم الثاء وسكونها مع فتح الميم ، والمثلة: بضمتين و بضم فسكون » والمثلة العقوبة . « أحمد يوسف نجاتي » .

يَوْمًا : مَا تَقُولُ فِي شَخْصٍ مَاتَ وَخَلَّفَ زَوْجًا وَزَوْجَةً ؟ لِيَسْخَرَ بِهِ عَلَى مَلَإٍ مِنَ النَّاسِ ـ وَقَالَ سُفْيَانُ يَوْمًا : مَا نَدِمْتُ عَلَى سُكُوتٍ قَطُّ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : الْخَرَسُ زَيْنٌ لَكَ فَكَيْفَ تَنْدَمُ عَلَيْهِ ؟ وَكَانَ سُفْيَانُ يَقُولُ : وَاللهِ لَأُقَطِّعَنَّهُ إِرْبًا إِرْبًا وَعَيْنُهُ تَنْظُرُ ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَغْتَالَهُ ، فَجَاءَهُ كِتَابُ الْمَنْصُورِ بِقَتْلِهِ ، فَقَتَلَهُ . وَقَالَ الْبَلَاذُرِيُّ[١] : لَمَّا قَدِمَ عِيسَى بْنُ عَلِيٍّ الْبَصْرَةَ فِي أَمْرِ أَخِيهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ اذْهَبْ إِلَى سُفْيَانَ فِي أَمْرِ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ : ابْعَثْ إِلَيْهِ غَيْرِي ، فَإِنِّي أَخَافُ مِنْهُ ، فَقَالَ : اذْهَبْ وَأَنْتَ فِي أَمَانِي ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ بِهِ مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَقِيلَ إِنَّهُ أَلْقَاهُ فِي بِئْرِ الْمَخْرَجِ وَرَدَمَ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ ، وَقِيلَ أَدْخَلَهُ حَمَّامًا وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَاخْتَنَقَ . قُلْتُ : ذَكَرَ صَاحِبُنَا شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْمُظَفَّرِ يُوسُفُ الْوَاعِظُ سِبْطُ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ الْوَاعِظِ الْمَشْهُورِ فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ الَّذِي سَمَّاهُ « مِرْآةَ الزَّمَانِ[٢] » أَخْبَارَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ وَمَا جَرَى لَهُ وَقَتْلَهُ

---

(١) هو أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري الكاتب البغدادي صاحب التاريخ كان أديبا فاضلا ، مدح المأمون ، وجالس المتوكل ، وروى عنه جم غفير ، وتوفى سنة ٢٧٩ . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) كتاب « مرآة الزمان فى تاريخ

فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَمِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَذْكُرَ كُلَّ وَاقِعَةٍ فِي السَّنَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا، فَيَدُلَّ عَلَى أَنَّ قَتْلَهُ كَانَ فِي السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِي كَلَامِ عُمَرَ بْنِ شَبَّةَ(١) فِي كِتَابِ أَخْبَارِ الْبَصْرَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ. وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَلِيٍّ الْمُقَدَّمَ ذِكْرُهُ مَاتَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ قَامَ مَعَ أَخِيهِ عِيسَى بْنِ عَلِيٍّ فِي طَلَبِ ثَأْرِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ، فَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى أَنَّهُ قُتِلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ
وَابْنُ الْمُقَفَّعِ لَهُ شِعْرٌ، وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي كِتَابِ الْحَمَاسَةِ(٢)

الأعيان» فى نحو أربعين مجلدا لأبى المظفر العلامة الواعظ المؤرخ شمس الدين يوسف بن قزأوغلى التركى ثم البغدادى الهبيرى الحنفى المعروف بسبط ابن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤ وكان عذب الروح لطيف الشمائل حسن الحديث، مقبول الوعظ، وكتابه «مرآة الزمان» اسم على مسمى واختصره قطب الدين موسى بن محمد البعلبكى المؤرخ المتوفى سنة ٧٢٦ وذيله فى أربع مجلدات، قال الصفدى: وأنا ممن حسده على تسميته «مرآة الزمان» فانها لائقة بالتاريخ، كأن الناظر فيه يعاين من ذكر فيها الا أن المرآة فيها صدأ المجازفة منه فى أماكن — قال فى الذيل: وهذا من الحسد، فانه فى غاية التحرير، ومن أرخ بعده فقد تطفل عليه، ولاسيما الذهبي والصفدى «أحمد يوسف نجاتى» (١) ستأتى ترجمته وتوفى سنة ٢٦٣
(٢) يأتى فى ترجمة أبى عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ فى حرف العين

وَسَيَأْتِى فِى تَرْجَمَةِ أَبِى عَمْرِو بْنِ الْعَلاَءِ الْمُقْرِئِ لَهُ مَرْثِيَةٌ فِيهِ ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّهَا لِوَلَدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ الْمُقَفَّعِ — عَلَى مَا ذَكَرْتُهُ هُنَاكَ مِنَ الْخِلاَفِ — فَلْيُنْظَرْ فِيهِ. وَكَيْفَمَا كَانَ فَإِنَّ تَارِيخَ قَتْلِهِ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ فِيهَا أَوْ فِيمَا قَبْلَهَا ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَجْتَمِعَ بِالْحَلاَّجِ وَالْجَنَّابِىِّ كَمَا ذَكَرَهُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى ؟ وَمِنْ هَهُنَا حَصَلَ الْغَلَطُ ، وَأَيْضًا فَإِنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ لَمْ يُفَارِقِ الْعِرَاقَ، فَكَيْفَ يَقُولُ إِنَّهُ تَوَغَّلَ[1] فِى بِلاَدِ التُّرْكِ ؟ وَإِنَّمَا كَانَ مُقِيماً بِالْبَصْرَةِ، وَيَتَرَدَّدُ فِى بِلاَدِ الْعِرَاقِ، وَلَمْ تَكُنْ بَغْدَادُ مَوْجُودَةً فِى زَمَنِهِ، فَإِنَّ الْمَنْصُورَ أَنْشَأَهَا فِى مُدَّةِ خِلاَفَتِهِ، فَاخْتَطَّهَا فِى سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ وَاسْتَتَمَّ بِنَاءَهَا وَنَزَلَهَا وَدَخَلَهَا فِى سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ ، وَفِى سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ تَمَّ جَمِيعُ بِنَائِهَا، وَهِىَ بَغْدَادُ الْقَدِيمَةُ الَّتِى كَانَتْ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِىِّ عَلَى دِجْلَةَ ، وَهِىَ بَيْنَ الْفُرَاتِ وَدِجْلَةَ — كَمَا جَاءَ فِى الْحَدِيثِ الْمَرْوِىِّ عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى

وهنالك ترى ماقيل فى قائل الأبيات وفى المرثى بها، وسنقول كلمتنا هناك ان شاء الله. « أحمد يوسف نجاتى »

(١) أمعن وأبعد « أحمد يوسف نجاتى »

ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهَذَا ٱلْحَدِيثُ هُوَ ٱلَّذِى ذَكَرَهُ ٱلْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ ٱلْبَغْدَادِىُّ فِى أَوَّلِ تَارِيخِهِ ٱلْكَبِيرِ . وَبَغْدَادُ فِى هَذَا ٱلزَّمَانِ هِىَ ٱلْجَدِيدَةُ ٱلَّتِى فِى ٱلْجَانِبِ ٱلشَّرْقِىِّ ، وَفِيهَا دُورُ ٱلْخُلَفَاءِ ، وَهِىَ قَاعِدَةُ ٱلْمُلْكِ فِى هَذَا ٱلْوَقْتِ . وَكَانَ ٱلسَّفَّاحُ وَأَخُوهُ ٱلْمَنْصُورُ قَدْ نَزَلَا بِٱلْكُوفَةِ ، ثُمَّ بَنَى ٱلسَّفَّاحُ بَلْدَةً عِنْدَ ٱلْأَنْبَارِ سَمَّاهَا ٱلْهَاشِمِيَّةَ [1] فَٱنْتَقَلَا إِلَيْهَا ، ثُمَّ ٱنْتَقَلَا إِلَى ٱلْأَنْبَارِ ، وَبِهَا مَاتَ ٱلسَّفَّاحُ ، وَقَبْرُهُ ظَاهِرٌ بِهَا ، وَأَقَامَ

(١) مدينة بناها السفاح بالكوفة، وذلك أنه لما ولى الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة، واستتم بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية، فكان الناس ينسبونها الى ابن هبيرة على العادة، فقال: ماأرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها، فرفضها و بنى حيالها مدينة سماها الهاشمية ونزلها، ثم اختار نزول الأنبار فبنى مدينتها المعروفة، فلما توفى سنة ١٣٦ دفن بها، واستخلف المنصور فنزلها أيضا، واستتم أيضا بناء كان بقى فيها، وزاد فيها على ماأراد، ثم تحول عنها فبنى مدينة بغداد، وسماها مدينة السلام، وعرفت أيضا باسم مدينة المنصور وبالهاشمية حبس المنصور عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ومن كان معه من أهل بيته. وقصر ابن هبيرة ينسب الى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى، وستأتى ترجمته، وكان لما ولى العراق من قبل مروان بن محمد بنى على فرات الكوفة مدينة، فنزلها ولم يستتمها حتى كتب اليه مروان بن محمد يأمره بالابتعاد عن مجاورة أهل الكوفة فتركها و بنى قصره المعروف به، فلما ملك السفاح سنة ١٣٢ نزله، واستتم مقاصير فيه، وزاد فى بنائه، ثم كان بعد ذلك ماتقدم «أحمد يوسف نجاتى»

الْمَنْصُورُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ بَنَى بَغْدَادَ، فَانْتَقَلَ إِلَيْهَا أَيْضًا .

وَالْمُقَفَّعُ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ وَفَتْحِهَا وَبَعْدَهَا عَيْنٌ مُهْمَلَةٌ — وَاسْمُهُ دَاذَوَيْهِ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ فِي أَيَّامِ وِلَايَتِهِ الْعِرَاقَ وَبِلَادَ فَارِسَ قَدْ وَلَّاهُ خَرَاجَ فَارِسَ، فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ، فَعَذَّبَهُ، فَتَقَفَّعَتْ يَدُهُ، فَقِيلَ لَهُ الْمُقَفَّعُ، وَقِيلَ بَلْ وَلَّاهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ الْآتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَعَذَّبَهُ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ الثَّقَفِيُّ الْآتِي ذِكْرُهُ لَمَّا تَوَلَّى الْعِرَاقَ بَعْدَ خَالِدٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ.

وَقَالَ ابْنُ مَكِّيٍّ (١) فِي كِتَابِ تَثْقِيفِ اللِّسَانِ : وَيَقُولُونَ: ابْنُ الْمُقَفَّعِ ، وَالصَّوَابُ ابْنُ الْمُقَفِّعِ بِكَسْرِ الْفَاءِ ، لِأَنَّ أَبَاهُ

---

(١) لعله أبو الحسين محمد بن على بن عثمان الأزدى المصرى، كان راوية ثقة وتوفى سنة ٤٦١ وأبو الحسين على بن على بن جراح بن على البغدادى الفقيه الحنبلى الزاهد توفى سنة ٥٨٨ و محمد بن مكى بن أبى الرجا بن على ابن الفضل الأصبهانى المليجى المحدث الحنبلى المؤدب قرأ كثيرا من الكتب وعنى بها وخرج، وأفاد الطلبة بأصفهان، وأجاز للحافظ المنذرى وغيره وتوفى سنة ٦١٠ والسبط جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن مكى بن عبد الرحمن الطرابلسى المغربى ثم الاسكندرى ولد سنة ٥٧٠ وسمع من جده السلفى الكبير وغيره، وانتهى اليه علو الاسناد بالديار المصرية، وتوفى بمصر سنة ٦٥١ والسديد بن مكى بن المسلم بن مكى بن خلف بن علان القيسى الدمشقى المعدل توفى سنة ٦٥٢ . والعدل بهاء الدين محمد بن مكى القرشى الصالحى كان فاضلا أديبا توفى سنة ٦٥٧ « أحمد يوسف نجاتى »

كَانَ يعمَلُ الْقِفَاعَ وَيَبِيعُهَا. قُلْتُ: وَالْقِفَاعُ بِكَسْرِ الْقَافِ جَمْعُ قَفْعَةٍ بِفَتْحِهَا: وَهِيَ شَيْءٌ يُعْمَلُ مِنَ الْخُوصِ شَبِيهُ الزِّنْبِيلِ لَكِنَّهُ بِغَيْرِ عُرْوَةَ، وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَشْهُورُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَهُوَ فَتْحُ الْفَاءِ. قُلْتُ وَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى كَلَامِ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَلَمْ يُمْكِنْ أَنْ يَكُونَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ أَحَدَ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورِينَ قُلْتُ: لَعَلَّهُ أَرَادَ الْمُقَنَّعَ الْخُرَاسَانِيَّ الَّذِي ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ، وَأَظْهَرَ الْقَمَرَ - كَمَا شَرَحْتُهُ فِي تَرْجَمَتِهِ بَعْدَ هَذَا فِي حَرْفِ الْعَيْنِ - فَإِنَّ اسْمَهُ عَطَاءٌ، وَيَكُونُ النَّاسِخُ قَدْ حَرَّفَ كَلَامَ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، فَأَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ الْمُقَنَّعَ فَكَتَبَ الْمُقَفَّعَ، لِأَنَّهُ يَقْرُبُ مِنْهُ فِي الْخَطِّ، فَيَكُونُ الْغَلَطُ وَالتَّحْرِيفُ مِنَ النَّاسِخِ لَا مِنَ الْإِمَامِ، ثُمَّ فَكَّرْتُ فِي أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ أَيْضًا، لِأَنَّ الْمُقَنَّعَ الْخُرَاسَانِيَّ قَتَلَ نَفْسَهُ بِالسُّمِّ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ - كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي تَرْجَمَتِهِ - فَمَا أَدْرَكَ الْحَلَّاجَ وَالْجَنَّابِيَّ أَيْضًا. وَإِذَا أَرَدْنَا تَصْحِيحَ هَذَا الْقَوْلِ وَأَنَّ الثَّلَاثَةَ اجْتَمَعُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الثَّالِثُ إِلَّا ابْنَ الشَّلْمَغَانِيِّ فَإِنَّهُ كَانَ فِي عَصْرِ الْحَلَّاجِ وَالْجَنَّابِيِّ، وَأُمُورُهُ كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ

عَلَى ٱلتَّمْوِيهَاتِ(١) وَقَدْ ذَكَرَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَرْبَابِ ٱلتَّارِيخِ فَقَالَ شَيْخُنَا عِزُّ ٱلدِّينِ بْنُ ٱلْأَثِيرِ فِي تَارِيخِهِ ٱلْكَبِيرِ فِي سَنَةِ ٱثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ فَصْلًا طَوِيلًا ٱخْتَصَرْتُهُ، وَهُوَ: وَفِي هَذِهِ ٱلسَّنَةِ قُتِلَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلشَّلْمَغَانِيُّ ٱلْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَبِي ٱلْعَزَاقِرِ(٢)، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ أَحْدَثَ مَذْهَباً غَالِياً فِي ٱلتَّشَيُّعِ وَٱلتَّنَاسُخِ(٣) وَحُلُولِ ٱلْإِلٰهِيَّةِ فِيهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْكِيهِ، وَأَظْهَرَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ أَبُو ٱلْقَاسِمِ ٱلْحُسَيْنُ بْنُ رَوْحٍ(٤) ٱلَّذِي تُسَمِّيهِ ٱلْإِمَامِيَّةُ ٱلْبَابَ، فَطُلِبَ ٱبْنُ ٱلشَّلْمَغَانِيِّ(٥) فَٱسْتَتَرَ، وَهَرَبَ إِلَى ٱلْمَوْصِلِ، وَأَقَامَ بِهَا سِنِينَ(٦) ثُمَّ ٱنْحَدَرَ إِلَى بَغْدَادَ، وَظَهَرَ عَنْهُ أَنَّهُ يَدَّعِي ٱلرُّبُوبِيَّةَ، وَقِيلَ إِنَّهُ تَبِعَهُ عَلَى

(١) التمويه التلبيس والمخادعة، وموه فلان باطله اذا زينه وأراه فى صورة الحق، والأصل فيه موه الشىء: اذا طلاه بفضة أو ذهب وماتحته شبه أونحاس أوحديد (٢) فى ابن الأثير «العراقر» (٣) التناسخ عندالحكماء انتقال النفس الناطقة من بدن الى بدن آخر، أو هو تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتى بين الروح والجسد. «أحمد يوسف نجاتى» (٤) كان زعيم الرافضة، وكان يتداول وزارة حامد بن العباس الذى تقدم ذكره «أحمد يوسف نجاتى» (٥) كان طلبه فى وزارة الخاقانى «وهو عبد الله بن محمد بن عبيد الله ابن يحيى بن خاقان أبو القاسم بن أبى على الخاقانى» الذى تولى الوزارة فى عهد خلافة المقتدر سنة ٣١٢ وعزل عن الوزارة سنة ٣١٢ وتوفى سنة ٣١٤. «أحمد يوسف نجاتى» (٦) كان بالموصل عند ناصر الدولة

ذَلِكَ ٱلْحُسَيْنُ بْنُ ٱلْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ ٱللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ (١)
ٱلَّذِي وَزَرَ لِلْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، وَٱبْنَا بِسْطَامٍ (٢) ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ
ٱبْنِ أَبِي عَوْنٍ وَغَيْرُهُمْ ، وَطُلِبُوا فِي أَيَّامِ وِزَارَةِ ٱبْنِ مُقْلَةَ لِلْمُقْتَدِرِ
فَلَمْ يُوجَدُوا ، فَلَمَّا كَانَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ
وَثَلَثِمِائَةٍ ظَهَرَ ٱبْنُ ٱلشَّلْمَغَانِيِّ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ ٱبْنُ مُقْلَةَ (٣) وَحَبَسَهُ
وَكَبَسَ دَارَهُ ، فَوَجَدَ فِيهَا رِقَاعًا وَكُتُبًا مِمَّنْ يُدَّعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ
عَلَى مَذْهَبِهِ يُخَاطِبُونَهُ بِمَا لَا يُخَاطَبُ بِهِ ٱلْبَشَرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ،
فَعُرِضَتْ عَلَى ٱبْنِ ٱلشَّلْمَغَانِيِّ ، فَأَقَرَّ أَنَّهَا خُطُوطُهُمْ ، وَأَنْكَرَ
مَذْهَبَهُ ، وَأَظْهَرَ ٱلْإِسْلَامَ ، وَتَبَرَّأَ مِمَّا يُقَالُ فِيهِ ، وَأُحْضِرَ ٱبْنُ أَبِي

الحسن بن عبد الله بن حمدان فى حياة أبيه أبى الهيجاء عبدالله بن حمدان المتوفى سنة ٣١٧ . « أحمد يوسف نجاتى » (١) كانت وزارته سنة ٣١٩ وعزل سنة ٣٢٠ ومكث فى الوزارة سبعة أشهر ، واستوزر المقتدر بعده أبا الفتح الفضل بن جعفر ، وفى هذه السنة قتل الخليفة المقتدر ، وقام بالأمر بعده القاهر بالله ، فاستوزر أبا على بن مقلة ، ثم استوزر بعده فى سنة ٣٢١ أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله أخا الحسين بن القاسم ، وفى سنة ٣٢٢ خلع القاهر بالله ، وولى الخلافة بعده الراضى بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله ، فاستوزره ابن مقلة ، فاستعمل ابن مقلة أبا الفضل جعفر بن الفرات نائبا عنه على سائر الأعمال فى نواح كثيرة ، وقتل الحسين بن القاسم سنة ٣٢٢ . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هما أبو جعفر وأبو على .

(٣) أبو على محمد بن على بن الحسين بن مقله ، توفى سنة ٣٢٨ وتأتى ترجمته

عَوْنٍ وَابْنُ عَبْدُوسٍ (١) مَعَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ، فَأُمِرَا بِصَفْعِهِ، فَامْتَنَعَا، فَلَمَّا أُكْرِهَا مَدَّ ابْنُ عَبْدُوسٍ يَدَهُ فَصَفَعَهُ، وَأَمَّا ابْنُ أَبِي عَوْنٍ فَإِنَّهُ مَدَّ يَدَهُ إِلَى لِحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ وَارْتَعَدَتْ يَدُهُ، وَقَبَّلَ لِحْيَةَ ابْنِ الشَّلْمَغَانِيِّ وَرَأْسَهُ، وَقَالَ: إِلٰهِي وَسَيِّدِي وَرَازِقِي، فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ الرَّاضِي بِاللهِ: قَدْ زَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَدَّعِي الْإِلٰهِيَّةَ فَمَا هٰذَا؟ فَقَالَ: وَمَا عَلَيَّ مِنْ قَوْلِ ابْنِ أَبِي عَوْنٍ؟ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي مَا قُلْتُ لَهُ إِنَّنِي إِلٰهٌ قَطُّ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدُوسٍ: إِنَّهُ لَمْ يَدَّعِ الْإِلٰهِيَّةَ، إِنَّمَا ادَّعَى أَنَّهُ الْبَابُ إِلَى الْإِمَامِ الْمُنْتَظَرِ (٢)، ثُمَّ أُحْضِرُوا مَرَّاتٍ وَمَعَهُمُ الْفُقَهَاءُ وَالْقُضَاةُ. وَفِي آخِرِ الْأَمْرِ أَفْتَى الْفُقَهَاءُ بِإِبَاحَةِ دَمِهِ، فَأُحْرِقَ بِالنَّارِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. وَذَكَرَهُ مُحِبُّ الدِّينِ ابْنُ النَّجَّارِ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ أَبِي عَوْنٍ الْمَذْكُورِ وَقَالَ: إِنَّ ابْنَ أَبِي عَوْنٍ ضُرِبَ عُنُقُهُ بَعْدَ أَنْ ضُرِبَ بِالسِّيَاطِ ضَرْبًا مُبَرِّحًا، لِمُتَابَعَتِهِ ابْنَ الشَّلْمَغَانِيِّ، وَصُلِبَ ثُمَّ أُحْرِقَ بِالنَّارِ،

---

(١) أحمد بن محمد بن عبدوس، وأبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى كان من وجوه العمال فى عهد الخليفة الراضى وتوفى سنة ٣٣١ «أحمد يوسف نجاتى» (٢) كان عندهم الباب الى الامام التنظر مكان أبى القاسم الحسين بن روح المتقدم. «أحمد يوسف نجاتى»

وَذَلِكَ فِي يَوْمِ ٱلثُّلَاثَاءِ لِلَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْ ذِي ٱلْقِعْدَةِ مِنَ ٱلسَّنَةِ ٱلْمَذْكُورَةِ. قُلْتُ وَٱبْنُ أَبِي عَوْنٍ هُوَ صَاحِبُ ٱلتَّصَانِيفِ ٱلْمَلِيحَةِ؛ مِنْهَا ٱلتَّشْبِيهَاتُ، وَٱلْأَجْوِبَةُ ٱلْمُسْكِتَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ ٱلْكُتَّابِ. وَٱلشَّلْمَغَانِيُّ - بِفَتْحِ ٱلشِّينِ ٱلْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ ٱللَّامِ وَبَعْدَهَا مِيمٌ ثُمَّ غَيْنٌ مُعْجَمَةٌ وَبَعْدَ ٱلْأَلِفِ نُونٌ - هَذِهِ ٱلنِّسْبَةُ إِلَى شَلْمَغَانَ، وَهِيَ قَرْيَةٌ بِنَوَاحِي وَاسِطَ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ٱلسَّمْعَانِيُّ فِي كِتَابِ ٱلْأَنْسَابِ أَيْضًا. وَٱللهُ أَعْلَمُ.



﴿ انتهى الجزء الرابع من كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ﴾
ويليه الجزء الخامس ان شاء الله تعالى وأوله
الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا الحكيم المشهور

فهرست

الجزء الرابع من كتاب وفيات الأعيان

